

BOBST LIBRARY  
3 1142 01498 0000

29 : 27

New York University Bobst Library 70 Washington Square South New York, NY 10012-1091	
DUE DATE	DUE DATE
<b>Bobst Library</b> MAR -1 1999 REC'D CIRCULATION FEB	
<b>DUE DATE</b> MAY JAN 25 2002 Bobst Library Circulation	<b>DUE DATE</b> MAY 25 2002 JAN 25 2002 Bobst Library Circulation



Provided by the Library of Congress  
Public Law 480 Program

TO WASHINGTON  
NEW YORK, N.Y.

75-963503

(Vol 18-21)



al-Tabarī, ۴۳۸-۹۲۳.  
/ Jami' al-bayān /

# جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عن

## نَاوِيلِ أَبِي الْقُرَآنِ

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج  
الناس من الظلمات إلى النور بإذن  
ربهم إلى صراط العزيز الحميد »  
قرآن كريم  
« ما أعلم على أديم الأرض أعلم  
من ابن جرير » .  
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف:

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري  
المتوفى ۳۱۰ هـ

الجزء الثامن عشر

الطبعة الثانية

١٣٧٢ هـ - ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

BP

130

.4

.T3

1954

v. 18-21

c.1



فهارس الجزء الثامن عشر

من

جامع البيان، عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر: محمد بن جرير الطبري

الفهرس الأول: للآيات المفسرة.

الفهرس الثاني: للموضوعات.

الفهرس الثالث: للقوافي.

## ١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	قد أفلح المؤمنون	١	٢٣	ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه . . .	١٦
٢	والذين هم في صلاتهم خاشعون . . .	١	٢٤	فقال الملأ الذين كفروا من قومه . . .	١٦
٣	والذين هم عن اللغو معرضون . . .	١	٢٥	إن هو إلا رجل به جنة . . .	١٦
٤	والذين هم للزكاة فاعلون . . .	٤	٢٦	قال رب انصرني بما كذبون . . .	١٦
٥	والذين هم لفروجهم حافظون . . .	٤	٢٧	فأوحينا إليه أن اصنع الفلک بأعيننا . . .	١٦
٦	إلا على أزواجهم . . .	٤	٢٨	فإذا استويت أنت ومن معك . . .	١٨
٧	فمن ابتغى وراء ذلك . . .	٤	٢٩	وقل رب أنزلي مُنزلا مباركا . . .	١٨
٨	والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . . .	٥	٣٠	إن في ذلك لآيات . . .	١٨
٩	والذين هم على صلواتهم يحافظون . . .	٥	٣١	ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين . . .	١٨
١٠	أولئك هم الوارثون . . .	٥	٣٢	فأرسلنا فيهم رسولا منهم . . .	١٨
١١	الذين يرثون الفردوس . . .	٦	٣٣	وقال الملأ من قومه الذين كفروا . . .	١٩
١٢	ولقد خلقنا الإنسان من سلالة . . .	٧	٣٤	ولئن أطعمتم بشرا مثلكم . . .	١٩
١٣	ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . . .	٩	٣٥	أباعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا . . .	١٩
١٤	ثم خلقنا النطفة علقة . . .	٩	٣٦	هيات هيات لما توعدون . . .	٢٠
١٥	ثم إنكم بعد ذلك لميتون . . .	١١	٣٧	إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا . . .	٢٠
١٦	ثم إنكم يوم القيامة تبعثون . . .	١١	٣٨	إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا . . .	٢٢
١٧	ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق . . .	١٢	٣٩	قال رب انصرني بما كذبون . . .	٢٢
١٨	وأنزلنا من السماء ماء بقدر . . .	١٢	٤٠	قال عما قليل ليصبحن نادمين . . .	٢٢
١٩	فأنشأنا لكم به جنات من نخيل . . .	١٢	٤١	فأخذتهم الصيحة بالحق . . .	٢٢
٢٠	وشجرة تخرج من طور سيناء . . .	١٣	٤٢	ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين . . .	٢٣
٢١	وإن لكم في الأنعام لعبرة . . .	١٥	٤٣	ما تسبق من أمة أجلها . . .	٢٣
٢٢	وعليها وعلى الفلک تحمكون . . .	١٥	٤٤	ثم أرسلنا رسلا تترى . . .	٢٣
			٤٥	ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون . . .	٢٤



الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٦	إلى فرعون وملئه فاستكبروا . . .	٢٤	٧٤	وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة . . .	٤٤
٤٧	فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا . . .	٢٥	٧٥	ولو رحمتهم وكشفنا ما بهم من ضرر . . .	٤٤
٤٨	فكذبوهما فكانوا من المهلكين . . .	٢٥	٧٦	ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا . . .	٤٤
٤٩	ولقد آتينا موسى الكتاب . . .	٢٥	٧٧	حتى إذا فتحنا عليهم بابا . . .	٤٥
٥٠	وجعلنا ابن مريم وأمه آية . . .	٢٥	٧٨	وهو الذي أنشأ لكم السمع . . .	٤٦
٥١	يا أيها الرسل كلوا من الطيبات . . .	٢٨	٧٩	وهو الذي ذرأكم في الأرض . . .	٤٦
٥٢	وإن هذه أمتكم أمة واحدة . . .	٢٨	٨٠	وهو الذي يحيي ويميت . . .	٤٦
٥٣	فتقطعوا أمرهم بينهم زُبُرًا . . .	٢٩	٨١	بل قالوا مثل ما قال الأولون . . .	٤٦
٥٤	فذرهم في عمرتهم حتى حين . . .	٣٠	٨٢	قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما . . .	٤٦
٥٥	أيحسبون أنما نمدّهم به من مال وبنين . . .	٣٠	٨٣	لقد وعدنا نحن وآبائنا هذا . . .	٤٧
٥٦	نسارع لهم في الخيرات . . .	٣٠	٨٤	قل لمن الأرض ومن فيها . . .	٤٧
٥٧	إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون . . .	٣١	٨٥	سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون . . .	٤٧
٥٨	والذين هم بآيات ربهم يؤمنون . . .	٣١	٨٦	قل من رب السموات السبع . . .	٤٧
٥٩	والذين هم بربهم لا يشركون . . .	٣١	٨٧	سيقولون لله ، قل أفلا تتقون . . .	٤٧
٦٠	والذين يؤتون ما أتوا . . .	٣٢	٨٨	قل من بيده ملكوت كل شيء . . .	٤٨
٦١	أولئك يسارعون في الخيرات . . .	٣٢	٨٩	سيقولون لله ، قل فأنى تُسحرون . . .	٤٨
٦٢	ولا نكلف نفسا إلا وسعها . . .	٣٥	٩٠	بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون . . .	٤٩
٦٣	بل قلوبهم في عمرة من هذا . . .	٣٥	٩١	ما اتخذ الله من ولد . . .	٤٩
٦٤	حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب . . .	٣٦	٩٢	عالم الغيب والشهادة . . .	٤٩
٦٥	لا تجأروا اليوم . . .	٣٦	٩٣	قل رب إني تريتني ما يوعدون . . .	٥٠
٦٦	قد كانت آياتي تتلى عليكم . . .	٣٨	٩٤	رب فلا تجعلني في القوم الظالمين . . .	٥٠
٦٧	مستكبرين به سامرا تهجرون . . .	٣٨	٩٥	وإنا على أن نريك ما نعدهم . . .	٥٠
٦٨	أفلم يدبّروا القول أم جاءهم . . .	٤١	٩٦	ادفع بالتي هي أحسن . . .	٥١
٦٩	أم لم يعرفوا رسولهم . . .	٤١	٩٧	وقل رب أعوذ بك . . .	٥١
٧٠	أم يقولون به جنّة بل جاءهم . . .	٤١	٩٨	وأعوذ بك رب أن يحضرون . . .	٥١
٧١	ولو اتبع الحق أهواءهم . . .	٤٢	٩٩	حتى إذا جاء أحدهم الموت . . .	٥٢
٧٢	أم تسألهم خراجا فخرّاج ربك خير . . .	٤٣	١٠٠	لعلني أعمل صالحا فيما تركت . . .	٥٢
٧٣	وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم . . .	٤٣	١٠١	فإذا نُفخ في الصور . . .	٥٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠٢	فمن ثقلت موازينه . . .	٥٥	١٠	ولولا فضل الله عليكم ورحمته . . .	٨٦
١٠٣	ومن خفت موازينه . . .	٥٥	١١	إن الذين جاءوا بالإفك . . .	٨٦
١٠٤	تلفح وجوههم النار . . .	٥٥	١٢	لولا إذ سمعوه ظن المؤمنون . . .	٩٦
١٠٥	ألم تكن تُنتلى عليكم . . .	٥٦	١٣	لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء . . .	٩٧
١٠٦	قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا . . .	٥٦	١٤	ولولا فضل الله عليكم ورحمته . . .	٩٧
١٠٧	ربنا أخرجنا منها فإن عدنا . . .	٥٨	١٥	إذ تسلَّوْنه بألسنتكم . . .	٩٧
١٠٨	قال اخسثوا فيها ولا تكلمون . . .	٥٨	١٦	ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا . . .	٩٩
١٠٩	إنه كان فريق من عبادي يقولون . . .	٦٠	١٧	يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا . . .	٩٩
١١٠	فاتخذتموهم مُخزيًا . . .	٦٠	١٨	ويبين الله لكم الآيات . . .	٩٩
١١١	إني جزيتهم اليوم بما صبروا . . .	٦٠	١٩	إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة . . .	١٠٠
١١٢	قال كم لبثتم في الأرض . . .	٦٢	٢٠	ولولا فضل الله عليكم ورحمته . . .	١٠٠
١١٣	قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم . . .	٦٢	٢١	يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات . . .	١٠٠
١١٤	قال إن لبثتم إلا قليلاً . . .	٦٣	٢٢	ولا يأتل أولوا الفضل منكم . . .	١٠١
١١٥	أفحسبتم أننا خلقناكم عبثًا . . .	٦٣	٢٣	إن الذين يرمون المحصنات . . .	١٠٣
١١٦	فتعالى الله الملك الحق . . .	٦٤	٢٤	يوم تشهد عليهم ألسنتهم . . .	١٠٥
١١٧	ومن يدع مع الله إلهاً آخر . . .	٦٤	٢٥	يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق . . .	١٠٦
١١٨	وقل رب اغفر وارحم . . .	٦٥	٢٦	الحيثات للخبِيثين والحيثون للحيثات . . .	١٠٦
<u>سورة النور</u>					
١	سورة أنزلناها وفرضناها . . .	٦٥	٢٧	يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا . . .	١٠٩
٢	الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد . . .	٦٦	٢٨	فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها . . .	١١٢
٣	الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة . . .	٧٠	٢٩	ليس عليكم جناح أن تدخلوا . . .	١١٣
٤	والذين يرمون المحصنات . . .	٧٥	٣٠	قل للمؤمنين يغضوا . . .	١١٦
٥	إلا الذين تابوا من بعد ذلك . . .	٧٦	٣١	وقل للمؤمنات يغضضن . . .	١١٧
٦	والذين يرمون أزواجهم . . .	٨١	٣٢	وأنكحوا الأيامى منكم . . .	١٢٥
٧	والخامسة أن لعنة الله عليه . . .	٨١	٣٣	وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً . . .	١٢٦
٨	ويدرأ عنها العذاب أن تشهد . . .	٨٥	٣٤	ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات . . .	١٣٤
٩	والخامسة أن غضب الله عليها . . .	٨٥	٣٥	الله نور السموات والأرض . . .	١٣٤
			٣٦	في بيوت أذن الله أن ترفع . . .	١٤٣
			٣٧	رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع . . .	١٤٣



الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٨	ليجزئهم الله أحسن ما عملوا . . .	١٤٤	٦٢	إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله . . .	١٧٥
٣٩	والذين كفروا أعمالهم كسراب . . .	١٤٨	٦٣	لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم . . .	١٧٧
٤٠	أو كظلمات في بحر جحش . . .	١٥٠	٦٤	ألا إن لله ما في السموات والأرض . . .	١٧٩
<u>سورة الفرقان</u>					
٤١	ألم تر أن الله يسبح له . . .	١٥١	١	تبارك الذي نزل الفرقان على عبده . . .	١٧٩
٤٢	ولله ملك السموات والأرض . . .	١٥١	٢	الذي له ملك السموات والأرض . . .	١٨٠
٤٣	ألم تر أن الله يزرع سبحا . . .	١٥٣	٣	واتخذوا من دونه آلهة . . .	١٨١
٤٤	يقلب الله الليل والنهار . . .	١٥٣	٤	وقال الذين كفروا إن هذا . . .	١٨١
٤٥	والله خلق كل دابة من ماء . . .	١٥٥	٥	وقالوا أساطير الأولين اكتتبها . . .	١٨٢
٤٦	لقد أنزلنا آيات مبينات . . .	١٥٥	٦	قل أنزله الذي يعلم السر . . .	١٨٢
٤٧	ويقولون آمنا بالله وبالرسول . . .	١٥٥	٧	وقالوا مال هذا الرسول . . .	١٨٣
٤٨	وإذا دُعوا إلى الله ورسوله . . .	١٥٦	٨	أويئسني إليه كنز، أو تتكئون له جنة . . .	١٨٣
٤٩	وإن يكن لهم الحق يأتوا . . .	١٥٦	٩	انظر كيف ضربوا لك الأمثال . . .	١٨٤
٥٠	أفنى قلوبهم مرض أم ارتابوا . . .	١٥٦	١٠	تبارك الذي إن شاء جعل لك . . .	١٨٤
٥١	إنما كان قول المؤمنين إذا دُعوا . . .	١٥٧	١١	بل كذبوا بالساعة . . .	١٨٦
٥٢	ومن يقطع الله ورسوله . . .	١٥٧	١٢	إذا رأهم من مكان بعيد . . .	١٨٦
٥٣	وأقسموا بالله جهنم أيمانهم . . .	١٥٧	١٣	وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا . . .	١٨٧
٥٤	قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول . . .	١٥٨	١٤	لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا . . .	١٨٧
٥٥	وعد الله الذين آمنوا منكم . . .	١٥٨	١٥	قل أذلك خير أم جنة الخلد . . .	١٨٨
٥٦	وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة . . .	١٦٠	١٦	لهم فيها ما يشاءون خالدين . . .	١٨٨
٥٧	لا تحسبن الذين كفروا معجزين . . .	١٦٠	١٧	ويوم يحشرهم وما يعبدون . . .	١٨٩
٥٨	يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم . . .	١٦١	١٨	قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا . . .	١٩٠
٥٩	وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم . . .	١٦٤	١٩	فقد كذبوكم بما تقولون . . .	١٩٢
٦٠	والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون . . .	١٦٥	٢٠	ومن يظلم منكم نذقه . . .	١٩٣
٦١	ليس على الأعمى حرج . . .	١٦٧	٢١	وما أرسلنا قبلك من المرسلين . . .	١٩٣

## ٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٧٠	تأويل قوله تعالى « الزانى لا ينكح إلا زانية » ... الآية .
٧١	الخلاف فيمن نزلت فيه ، وفي المراد منه .
٧٥	حدّ القاذف ، وما تُسقطه توبته عنه .
٨١	اللّعان ، وفيمن يكون، وأسباب نزول آيته .
٨٦	حديث الإفك .
٩٦	تأويل قوله تعالى « لولا إذ سمعتموه ظنّ المؤمنون » ... وما فيه من العتاب .
١٠٢	ما كان من أبي بكر رضى الله عنه من إعادة الإنفاق على مسطح ، عملاً بقوله « ولا يأنل » ... الآية .
١٠٣	تأويل قوله « إن الذين يرمون المحصنات » ... الآية .
١١٠	لا يحلّ للإنسان أن يدخل بيت غيره إلا بعد استئذانه .
١١٣	إذا استأذن المرء على غيره ولم يؤذن له ، فرجوعه يكون أظهر له .
١١٥	للإنسان أن يدخل حوائث التُّجار إذا علم أنهم آذنون لمن يدخل .
١١٦	ما يجب على الرجال والنساء من غضّ أبصارهم ، وحفظ فروجهم .
١٢٠	من يجوز للمرأة إظهار زينتها لديه .
١٢٥	تأويل قوله تعالى « وأنكحوا الأباى » ... الآية .
	تفسير سورة قد أفصح المؤمنون
	٥ المحافظة على الصلاة بفعالها في أوقاتها .
	٩ بيان أن الجنين بنفخ الروح يكون إنساناً ، وقبل ذلك كان صورة .
	١٦ قصة نوح عليه السلام .
	٢٦ المكان الذى أوت إليه مريم وابنها .
	٢٩ كل فريق من أهل الكتاب أحدث كتاباً من نفسه يحتاج به لمقاله .
	٣٢ تأويل قوله تعالى « والذين يؤثتون ما آتوا » ، وبيان أن وجلهم ليس من الذنوب ، بل من عدم قبول العمل .
	٣٧ التوبة عند الأخذ بالعذاب لاتفيد .
	٤٢ تأويل قوله تعالى « بل آتيناهم بالحق » ... الآيات ، وما اشتملت عليه من بليغ الحجّة .
	٥١ ما أمر به صلى الله عليه وسلم من الصبر على ما يلحق قبل الأمر بالحرب .
	٥٣ بيان معنى البرزخ .
	٥٤ تأويل قوله تعالى « فإذا نُفخَ في الصور » ... وبيان آية النّفختين أريدت ، وذكر المحاسبة يوم القيامة .
	٥٧ ما يحصل لأهل النار من اليأس .
	٦٥ تفسير سورة النور
	٦٧ المراد بالرأفة المنهى عنها في إقامة الحدود .

الصفحة	الصفحة
١٦١	١٢٦
الساعات التي نُدب إلى الاستئذان فيهنّ :	هل تجب كتابة العبد إذا طلب أم لا ؟
١٦٥	١٣٢
ما يجوز من وضع الجلباب للمرأة المحرّمة .	ما كان يفعله أهل الجاهلية من إعداد الإماء للزنا، وإكراههنّ عليه، ونهى المسلمين عنه .
١٦٨	١٣٥
تأويل قوله تعالى « ليس على الأعمى حرج » . . . الآية ، وبيان الخلاف فيها .	تأويل قوله تعالى « الله نور السموات والأرض » .
١٧٦	١٤٥
ما كان عليه المؤمنون من استئذان رسول الله إذا أرادوا الانصراف .	ما يُندب فيه ذكر الله من البيوت .
١٧٩	١٤٨
<u>تفسير سورة الفرقان</u>	العمل في الكفر يكون هباء لاغناء فيه ، مع ضرب الأمثال له .
١٨١	١٥٢
تأويل قوله « وقال الذين كفروا » ... الآية .	تأويل قوله « ألم تر أن الله يسبّح له ما في السموات » . . . الآية ، وبيان المراد من الصلاة والتسبيح .
١٨١	١٥٨
الشبّه التي كانت كفار قريش تتمسك بها .	ما وعد الله المؤمنين من استخلافهم في الأرض ، وإنجاز وعده .
١٨٦	
معنى تغيّظ النار وزفيرها .	
١٩٠	
تأويل قوله تعالى « قالوا سبحانك » . . . الآية ، ومعنى البُور ، والشاهد عليه :	



٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	ل		ر		ء
٨	بَعْلُ	١٩١	بُورُ	٨٨	الجزاءُ
١٤	البِئْلُ	٣٩	غَمْرُ	٨٨	وِقَاءُ
٨	سَلَاتِلُهُ	١٨٨	مَثْبُورُ	٨٨	الْفِدَاءُ
٢٠	تَوَاصِلُهُ	٤٨	لَايَسِيرُ	٨٨	الدَّلَاءُ
١٥٩	المُبْدَلُ	٤٨	وَزِيرُ		ب
٨	بالسَّلَاتِلِ	١١	لَايَقْرِي	٢٨	لُحُوبُ
٨٨	الغَوَافِلِ	٣٧	جُوَارَا	١٧	عَصِيبُ
١٥٣	إِتْقَانَهَا		ف		ج
	م	١٩	مَسْرَفَا	١٤	الْفَلَجُ
١٢٥	أَتَايَسِمُ		ق	١٤	بِالْفَرَجِ
٢١	بِالْمَيْسَمِ	٩٨	وَزْمَلِيْقُ		ح
	ن	٩٨	تَلِيْقُ	٥٦	كَلَجُ
٨	حَصِيْنِ	٩٨	الْحَلِيْقُ		د
	ي	٩٨	الْيَلَامِيْقِ	١٤٧	وَعَدُوَا
١٢٥	الغَوَانِيَا	٩٨	آلِيْقِ	١٧	الشُّرْدَا



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تفسير سورة قد أفلح المؤمنون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله من تناؤه

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ

مُعْرِضُونَ (٣)

قال أبو جعفر: يعنى جل ثناؤه بقوله (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) : قد أدرك الذين صدقوا الله ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، وأقرّوا بما جاءهم به من عند الله ، وعملوا بما دعاهم إليه مما سمى في هذه الآيات الخلود في جنّات ربهم ، وفازوا بطليبتهم لديه .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) قال : قال كعب : لم يخلق الله بيده إلا ثلاثة : خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس جنة عدن بيده ، ثم قال لها تكلمى ، فقالت (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) لما علمت فيها من الكرامة . حدثنا سهل بن موسى الرازى ، قال : ثنا يحيى بن الضريس ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن عبد العزيز ابن رفيع ، عن مجاهد ، قال : لما غرس الله تبارك وتعالى الجنة ، نظر إليها فقال (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) قال : ثنا حفص بن عمر ، عن أبي خلدة ، عن أبي العالية ، قال : لما خلق الله الجنة قال (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) فأنزل الله به قرآنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جبير ، عن عطاء ، عن ميسرة ، قال : « لم يخلق الله شيئا بيده غير أربعة أشياء : خلق آدم بيده ، وكتب الألواح بيده ، والتوراة بيده ، وغرس عدنا بيده ، ثم قال (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) . وقوله (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) يقول تعالى ذكره : الذين هم في صلاتهم إذا قاموا فيها خاشعون ، وخشوعهم فيها تدلّهم لله فيها بطاعته ، وقيامهم فيها بما أمرهم بالقيام به فيها . وقيل : لأنها نزلت من أجل أن القوم كانوا يرفعون أبصارهم فيها إلى السماء قبل نزولها ، فنهوا بهذه الآية عن ذلك .

## ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت خالدًا ، عن محمد بن سيرين ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى نظر إلى السماء ، فأُنزلت هذه الآية ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) قال : فجعل بعد ذلك وجهه حيث يسجد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن أبي جعفر ، عن الحجاج الصواف ، عن ابن سيرين ، قال : « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم في الصلاة إلى السماء ، حتى نزلت ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) فقالوا بعد ذلك براء وسهم هكذا » . حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : أخبرنا أيوب ، عن محمد ، قال : « نبئت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء ، فنزلت آية ، إن لم تكن ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) فلا أدري أية آية هي ، قال : فظأطأ » . قال : وقال محمد : وكانوا يقولون : لا يجاوز بصره مصلاه ، فإن كان قد استعاد النظر فليغمض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، عن ابن عون ، عن محمد نحوه : واختلف أهل التأويل في الذي عني به في هذا الموضع من الخشوع ، فقال بعضهم : عني به : سكون الأطراف في الصلاة .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) قال : السكون فيها . حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) قال : سكون المرء في صلاته .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، مثله . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن أبي سفيان الشيباني ، عن رجل ، عن علي ، قال : سئل عن قوله ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) قال : لا تلتفت في صلاتك . حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملي ، قال : قال ضمرة بن ربيعة ، عن أبي شوذب ، عن الحسن ، في قوله ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) قال : كان خشوعهم في قلوبهم ، فغضوا بذلك البصر ، وخفضوا به الجناح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله ( خَاشِعُونَ ) قال : الخشوع في القلب ، وقال : ساكون . قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن المسعودي ، عن أبي سنان ، عن رجل من قومه ، عن علي رضي الله عنه ، قال : الخشوع في القلب ، وأن تليين للمرء المسلم كسنتك ، ولا تلتفت .



قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عطاء بن أبي رباح ، في قوله ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) قال : التخضع في الصلاة . وقال لي غير عطاء : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة نظر عن يمينه ويساره ووجاهه ، حتى نزلت ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) فما رُؤى بعد ذلك ينظر إلا إلى الأرض .  
وقال آخرون : عنى به الخوف في هذا الموضع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) قال : خائفون .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، في قوله ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) قال الحسن : خائفون . وقال قتادة : الخشوع في القلب .  
حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله : ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) يقول : خائفون ساكنون .

وقد بيننا فيما مضى قبل من كتابنا ، أن الخشوع : التذلل والخضوع بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وإذا كان ذلك كذلك ، ولم يكن الله تعالى ذكره دلّ على أن مراده من ذلك معنى دون معنى في عقل ولا خبر ، كان معلوماً أن معنى مراده من ذلك العموم . وإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام ما وصفت من قبل ، من أنه : والذين هم في صلاتهم متذللون لله بإدامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته ، وإذا تذلّل لله فيها العبد رؤيت ذلة خضوعه في سكون أطرافه ، وشغله بفرضه ، وتركه ما أمر بتركه فيها .  
وقوله ( وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ) يقول تعالى ذكره : والذين هم عن الباطل ، وما يكرهه الله من خلقه معرضون .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ) يقول : الباطل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ( عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ) قال : عن المعاصي .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الحسن ، مثله .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ) قال النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من صحابته ، ممن آمن به واتبعه وصدقته ، كانوا عن اللغو معرضين .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ  
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧)

يقول تعالى ذكره : والذين هم لزكاة أموالهم التي فرضها الله عليهم فيها مؤدون ، وفعلمهم الذي وصفوا به هو أداؤها هوها . وقوله ( وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ ) يقول : والذين هم لفروج أنفسهم ، وعنى بالفروج في هذا الموضع : فروج الرجال ، وذلك أقبالهم ، حافظون : يحفظونها من أعمالها في شيء من الفروج ( إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ ) يقول : إلا من أزواجهم اللاتي أحلهن الله للرجال بالنكاح ( أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ) يعنى بذلك : إماءهم . و « ما » التي في قوله ( أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ) في محل خفض ، عطفا على الأزواج ( فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ) يقول : فإن من لم يحفظ فرجه عن زوجته وملك يمينه ، وحفظه عن غيره من الخلق ، فإنه غير مُوبَّخ على ذلك ، ولا مذموم ، ولا هو بفعله ذلك راكب ذنبا يلام عليه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ) يقول : رضى الله لهم إتيانهم أزواجهم وما ملكت أيماهم . وقوله ( فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ ) يقول : فمن التمس لفرجه منكم سوى زوجته وملك يمينه ، ( فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ) يقول : فهم العادون حدود الله ، الجاوزون ما أحل الله لهم ، إلى ما حرم عليهم . وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : نهاهم الله نهيا شديدا ، فقال ( فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ) فسمى الزاني من العادين . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ) قال : الذين يتعدون الحلال إلى الحرام . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن أبي عبد الرحمن ، في قوله ( فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ) قال : من زنى فهو عاد .



القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩)  
أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠)

يقول تعالى ذكره (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَتِهِمْ) التي ائتمنوا عليها وعهدهم ، وهو عقودهم التي عاقدوا الناس (راعون) يقول : حافظون لا يضيعون ، ولكنهم يوفون بذلك كله .  
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار إلا ابن كثير (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَتِهِمْ) على الجمع ، وقرأ ذلك ابن كثير (لَأَمَانَتِهِمْ) على الواحدة .  
والصواب من القراءة في ذلك عندنا : (لَأَمَانَتِهِمْ) لإجماع الحجة من القراء عليها .  
وقوله (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) يقول : والذين هم على أوقات صلاتهم يحافظون ، فلا يضيعونها ، ولا يشتغلون عنها حتى تفوتهم ، ولكنهم يراعونها حتى يؤدوها فيها .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) قال : على وقتها .  
حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) على ميقاتها .  
حدثنا ابن عبد الرحمن البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : أخبرنا يحيى بن أيوب ، قال : أخبرنا ابن زحر ، عن الأعمش ، عن مسلم بن صبيح ، قال (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) قال : أقام الصلاة لوقتها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : على صلواتهم دائمون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم (عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) قال : دائمون ، قال : يعنى بها المكتوبة .  
وقوله (أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين هذه صفتهم في الدنيا ، هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل النار من الجنة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، روى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتأوله أهل التأويل .

ذكر الرواية بذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ مَسْزِلَانِ : مَسْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَمَسْزِلٌ فِي النَّارِ ، وَإِنْ مَاتَ وَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَسْزِلَهُ » فذلك قوله ( أَوْلَيْكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، في قوله ( أَوْلَيْكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ) قال : يرثون مساكنهم ، ومساكن إخوانهم ، التي أعدت لهم لو أطاعوا الله .

حدثني ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الأعمش ، عن أبي هريرة ( أَوْلَيْكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ) قال : يرثون مساكنهم ، ومساكن إخوانهم الذين أعدت لهم لو أطاعوا الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : الوارثون الجنة أورثتموها ، والجنة التي نورث من عبادنا ، هن سواء ؛ قال ابن جريج : قال مجاهد : يرث الذي من أهل الجنة أهله وأهل غيره ، ومنزل الذين من أهل النار ، هم يرثون أهل النار ، فلهم منزلان في الجنة وأهلان ، وذلك أنه منزل في الجنة ، ومنزل في النار . فأما المؤمن فيسبى منزله الذي في الجنة ، ويهدم منزله الذي في النار . وأما الكافر فيهدم منزله الذي في الجنة ، ويبنى منزله الذي في النار . قال ابن جريج عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، أنه قال مثل ذلك .

#### القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)

يقول تعالى ذكره (الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ) البستان ذا الكرم ، وهو (الْفِرْدَوْسُ) عند العرب . وكان مجاهد يقول : هو بالرومية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله (الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ) قال : الفردوس : بستان بالرومية .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : عدن : حديقة في الجنة قصرها فيها عدننا خلقها بيده ، تفتح كل فجر فينظر فيها ، ثم يقول (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) قال : هي الفردوس أيضا تلك الحديقة ، قال مجاهد : غرسها الله بيده ؛ فلما بلغت قال (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) ثم أمر بها تغلق ، فلا ينظر فيها خلق ولا ملك مقرب ، ثم تفتح كل سحر فينظر فيها فيقول (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) ثم تغلق إلى مثلها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : « قتل حارثة بن سراقه يوم بدر ، فقالت أمه : يا رسول الله ، إن كان ابني من أهل الجنة لم أبك عليه ، وإن كان من أهل النار بالغت في البكاء ، قال : يا أم حارثة ، إنها جنتان في الجنة ، وإن ابنتك قد أصاب الفردوس الأعلى من الجنة » .



حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، عن كعب ، قال :  
 خلق الله بيده جنة الفردوس ، غرسها بيده ، ثم قال : تكلمي ، قالت ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ) .  
 قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن حسام بن ميصك ، عن قتادة أيضا ، مثله ، غير أنه قال :  
 تكلمي ، قالت : طوبى للمتقين .  
 قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي داود نفيج ، قال :  
 لما خلقها الله ، قال لها تزيني ، فتزينت ؛ ثم قال لها : تكلمي ، فقالت : طوبى لمن رضيت عنه .  
 وقوله ( هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) يعني ما كثون فيها ، يقول : هؤلاء الذين يرثون الفردوس خالدون ،  
 يعني ما كثون فيها أبدا ، لا يتحولون عنها .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢)

يقول تعالى ذكره ( وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ) أسلناه منه ، فالسلاة هي  
 المستلة من كل تربة ، ولذلك كان آدم خلق من تربة أخذت من أديم الأرض .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في المعنى بالإنسان في هذا الموضع ، فقال  
 بعضهم : عنى به آدم .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( مِنْ طِينٍ ) قال : استل آدم  
 من الطين .  
 حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ  
 طِينٍ ) قال : استل آدم من طين ، وخلقت ذريته من ماء مهين .  
 وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولقد خلقنا ولد آدم ، وهو الإنسان الذي ذكر في هذا الموضع ، من  
 سلاة ، وهي النطفة التي استلّت من ظهر الفحل من طين ، وهو آدم الذي خلق من طين .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن  
 أبي يحيى ، عن ابن عباس ( مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ) قال : صفوة الماء .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
 قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ( مِنْ سُلَالَةٍ ) من منى آدم .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .



ببني آدم وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : معناه : ولقد خلقنا ابن آدم من سلالة آدم ، وهي صفة مائه وآدم هو الطين ، لأنه خلق منه .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية ، لدلالة قوله ( «مَّمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ» ) على أن ذلك كذلك ، لأنه معلوم أنه لم يصر في قرار مكين ، إلا بعد خلقه في صلب الفحل ، ومن بعد تحوله من صلبه صار في قرار مكين ؛ والعرب تسمى ولد الرجل ونطفته : سليله وسلالته ، لأنهما مسلولان منه ؛ ومن السلالة قول بعضهم :

حَمَلَتْ بِهِ عَضْبَ الْأَدِيمِ غَضَنْفَرًا      سُلَالَةَ فَرَجٍ كَانَ غَيْرَ حَصِينٍ<sup>١</sup>  
وقول الآخر :

وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا مُهْرَةً عَرَبِيَّةً      سُلَالَةَ أَفْرَاسٍ تَحَمَّلَهَا بَعْلُ<sup>٢</sup>

فن قال : سلالة جمعها سلالات ، وربما جمعوها سلائل ، وليس بالكثير ، لأن السلائل جمع للسليل ؛ ومنه قول بعضهم :

إِذَا أَنْتَجَبَتْ مِنْهَا الْمَهَارَى تَشَابَهَتْ      عَلَى الْقَوْدِ إِلَّا بِالْأَنْوْفِ سَلَالُهُ<sup>٣</sup>  
وقول الراجز :

يَقْدُ فَنِّ فِي أَسْلَابِهَا لَسَائِلُ<sup>٤</sup>

(١) البيت لحسان بن ثابت (اللسان : سليل) وفيه : فجاءت في موضع حملت . وهو شاهد على أن السلالة بمعنى نطفة الإنسان ، وسلالة الشيء : ما استل منه . واستشهد به المؤلف على أن العرب تسمى ولد الرجل ونطفته : سلالة . وفي اللسان : وقال الفراء : السلالة الذي سل من كل تربة . وقال أبو الهيثم : السلالة : ما سل من صلب الرجل وراثب المرأة ، كما يسل الشيء سلا . والسليل : الولد حين يخرج من بطن أمه ، لأنه خلق من السلالة . وعن عكرمة أنه قال في السلالة : إنه الماء يسيل من الظهر سلا . وعضب الأديم : غليظ الجلد ، ولعله يريد وصفه بالشدّة والقسوة . ولم أجد هذا التعبير في معاجم اللغة ، ووجدته في حاشية جانبية على نسخة مصورة من مجاز القرآن محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة ، رقمها ٢٦٠٥٩ عند تفسير قوله تعالى : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » .

(٢) البيت لهند بنت النعمان (اللسان : سليل) . وروايتها : « وما هند إلا مهرة » . وهو شاهد على أن السليل الولد ، والأنتى سليله ، قال أبو عمرو : السليلة بنت الرجل من صلبه . وتجاهلها : علاها . والمراد بالبغل هنا : الرجل الشبيه بالبغل ، والبغل مذموم عند العرب . وفي اللسان : سليل : قال ابن بري : وذكر بعضهم أنها تصحيف ، وأن صوابه « نعل » بالنون ، وهو الخسيس من الناس والدواب ، لأن البغل لا ينسل . وقال ابن شميل : يقال للإنسان أول ما تضعه أمه : سليل . والسليل والسليلة : المهر والمهرة . (٣) لم أجد هذا البيت في معاني القرآن للفراء ، ولا في مجاز القرآن لأبي عبيدة ، ولا في شواهد معاجم اللغة . وهو شاهد على أن السلائل جمع سلالة ، وقد شرحنا معناها في الشاهدين السابقين ، بما أغنى عن تكراره هنا .

(٤) كذا ورد هذا الشطر في الأصول محرفا . وحسبه المؤلف من الرجز ، ويلوح لي أن هذا جزء من بيت للناطقة الذيباني ، مسخه بعض النساخ في بعض الكتب ، ولم يفتن له المؤلف . وبيت النابتة من البحر الطويل ، وهو من قصيدة له يصف الخيل في وقعة عمرو بن الحارث الأصغر الفسافي بنى مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، قال فيها :

وَقَدْ خِفْتُ حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَتِي      عَلَى وَعِيلٍ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٍ  
مَخَافَةَ عَمْرٍو أَنْ تَكُونَ جِيَادُهُ      يُقْدَنَ إِلَيْنَا بَيْنَ حَافٍ وَنَاعِلٍ  
إِذَا اسْتَعَجَلُوهَا عَنْ بَحِيَّةٍ مَشْبِيهَا      تَتَلَعُّ فِي أَعْنَاقِهَا بِالْحَافِلِ  
وَيَقْدُ فَنِّ بِالْأَوْلَادِ فِي كُلِّ مَسْزِلٍ      تَشْحَطُ فِي أَسْلَابِهَا كَالنَّوَصَائِلِ

وهذا البيت الأخير هو محل الشاهد في بحثنا ، وليس فيه شاهد المؤلف على السلائل جمع السلالة ، لأنها لم تذكر في البيت ولا في القصيدة كلها . وأصل تشحط : تشحط ، أي تضطرب ، يريد أولاد الخيل . والسيل : الجلدة التي يكون فيها الولد من الإنسان أو الحيوان إذا ولد . =

## القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا  
 الْمُضْغَةَ عِظْمًا، فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا، ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤)

يعنى تعالى ذكره بقوله ( ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ) ثم جعلنا الإنسان الذى جعلناه من  
 سلالة من طين ، نظفة في قرار مكين ، وهو حيث استقرت فيه نظفة الرجل من رحم المرأة ، ووصفه بأنه  
 مكين ، لأنه مكن لذلك ، وهى له ، ليستقر فيه إلى بلوغ أمره الذى جعله له قرارا . وقوله ( ثُمَّ خَلَقْنَا  
 النُّطْفَةَ عَلَقَةً ) يقول : ثم صيرنا النطفة التى جعلناها في قرار مكين علقه ، وهى القطعة من الدم ،  
 ( فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ) يقول : فجعلنا ذلك الدم مضغة ، وهى القطعة من اللحم . وقوله ( فَخَلَقْنَا  
 الْمُضْغَةَ عِظْمًا ) يقول : فجعلنا تلك المضغة اللحم عظاما .

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق سوى عاصم ( فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ  
 عِظْمًا ) على الجماع ، وكان عاصم وعبد الله يقرآن ذلك ( عِظْمًا ) في الحرفين على التوحيد جميعا .  
 والقراءة التى نختار في ذلك : الجماع ، لإجماع الحجة من القراء عليه .

وقوله ( فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ) يقول : فألبسنا العظام لحما . وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله  
 ( ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عِظْمًا ) وعصبا ، فكسونا لحمًا . وقوله ( ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) يقول :  
 ثم أنشأنا هذا الإنسان خلقا آخر ، وهذه الهاء التى في ( أَنْشَأْنَاهُ ) عائدة على الإنسان فى قوله ( وَلَقَدْ  
 خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ) قد يجوز أن تكون من ذكر العظم والنطفة والمضغة ، جعل ذلك كله كالشئ الواحد ،  
 فقيل : ثم أنشأنا ذلك خلقا آخر .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) فقال بعضهم : إنشاؤه إياه خلقا  
 آخر : نفخه الروح فيه ، فيصير حينئذ إنسانا ، وكان قبل ذلك صورة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن عطاء ، عن ابن عباس فى قوله  
 ( ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) قال : نفخ الروح فيه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا هشيم ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن عطاء ، عن ابن  
 عباس ، بمثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( ثُمَّ  
 أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) قال : الروح .

= والوسائل : الثياب الحمر المخططة . والمراد أن الأسلاب كانت موشحة بالدم ، وانظر البيت فى (اللسان : شحط) وفى المخصص .  
 لابن سيده ( ١ : ١٧ ) ومختار الشعر الجاهل بشرح مصطلق السقا ( طبعة مصطلق البابى الحلبي وأولاده بالقاهرة ص ٢١١ ) .



حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني عن عكرمة ، في قوله ( **مَّمَّ** أَنْشَأْنَا هُ خَلَقْنَا آخَرَ ) قال : نفخ الروح فيه .

حدثنا ابن بشار وابن المنني ، قالوا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سلمة ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، ( **مَّمَّ** أَنْشَأْنَا هُ خَلَقْنَا آخَرَ ) قال : نفخ فيه الروح .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، بمثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، في قوله ( **مَّمَّ** أَنْشَأْنَا هُ خَلَقْنَا آخَرَ ) قال : نفخ فيه الروح ، فهو الخلق الآخر الذي ذكر .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( **مَّمَّ** أَنْشَأْنَا هُ خَلَقْنَا ) يعني الروح تنفخ فيه بعد الخلق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( **مَّمَّ** أَنْشَأْنَا هُ خَلَقْنَا آخَرَ ) قال : الروح الذي جعله فيه .

وقال آخرون : لإنشأؤه خلقا آخر ، تصرفه إياه في الأحوال بعد الولادة : في الطفولة ، والكهولة ، والاعتناء ، ونبات الشعر ، والسن ، ونحو ذلك من أحوال الأحياء في الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثني عبي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( **مَّمَّ** أَنْشَأْنَا هُ خَلَقْنَا آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ) يقول : خرج من بطن أمه بعدما خلق ، فكان من بدء خلقه الآخر أن استهل ، ثم كان من خلقه أن دلَّ على ثدي أمه ، ثم كان من خلقه أن علم كيف يبسط رجله ، إلى أن قعد ، إلى أن حبا ، إلى أن قام على رجله ، إلى أن مشى إلى أن فطيم ، فعلم كيف يشرب ويأكل من الطعام ، إلى أن بلغ الحلم ، إلى أن بلغ أن يتلقب في البلاد .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( **مَّمَّ** أَنْشَأْنَا هُ خَلَقْنَا آخَرَ ) قال : يقول بعضهم : هو نفخ الروح .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن قتادة ، مثله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ( **مَّمَّ** أَنْشَأْنَا هُ خَلَقْنَا آخَرَ ) قال : يقال الخلق الآخر بعد خروجه من بطن أمه بسنه وشعره .

وقال آخرون : بل عني بإنشائه خلقا آخر : سوى شبابه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( **مَّمَّ** أَنْشَأْنَا هُ خَلَقْنَا آخَرَ ) قال : حين استوى شبابه .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : قال مجاهد : حين استوى به الشباب .

﴿ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : عني بذلك نفخ الروح فيه ، وذلك أنه بنفخ الروح فيه ، يتحوّل خلقاً آخر إنساناً ، وكان قبل ذلك بالأحوال التي وصفه الله أنه كان بها ، من نطفة وعلقة ومضغة وعظم ، وبنفخ الروح فيه ، يتحوّل عن تلك المعاني كلها إلى معنى الإنسانية ، كما تحوّل أبوه آدم بنفخ الروح في الطينة التي خلق منها إنساناً ، وخلقاً آخر غير الطين الذي خلق منه .

وقوله ( فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه فتبارك الله أحسن الصانعين .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد ( فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ) قال : يصنعون ويصنع الله ، والله خير الصانعين .  
وقال آخرون : إنما قيل ( فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ) لأن عيسى بن مريم كان يخلق ، فأخبر جل ثناؤه عن نفسه أنه يخلق أحسن مما كان يخلق .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جُرَيْج ، في قوله ( فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ) قال : عيسى بن مريم يخلق .

﴿ وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد ، لأن العرب تسمى كل صانع خالفاً ، ومنه قول زهير :

وَأَنْتَ تَقْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَقْرِي

ويروي :

وَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا فَرَيْتَ وَبَعْدَ ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَقْرِي

#### القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦)

﴿ يقول تعالى ذكره : ثم إنكم أيها الناس من بعد إنشائكم خلقاً آخر وتصييرناكم إنساناً سوياً ميتون وعائدون تراباً كما كنتم ، ثم إنكم بعد موتكم وعودكم رفاتاً بالياً مبعوثون من التراب خلقاً جديداً ، كما بدأناكم أول مرة . وإنما قيل ( ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ ) لأنه خبر عن حال لهم يحدث لم يكن . وكذلك تقول

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى يمدح رجلاً (اللسان : خلق) يقول : أنت إذا قدرت أمراً قطعته وأمضيته ، وغيرك يقدر مالا يقطعه ، لأنه ليس بماض العزم وأنت مضاه على ما عزمته عليه . والخلق : التقدير ، يقال : خلق الأديم يخلقه خلقاً : قدره لما يريد قبل القطع ، وقاسه ليقطع منه مزايدة أو قربة أو خفا . ولذلك سمت العرب كل صانع كالنجار والخباط ونحوها خالفاً ، لأنه يقيس الخشب ويقدره على ما يريد له . والفرى القطع بعد التقدير ، وقد يكون قبله ، بأن يقطع قطعة من جلد أو ثوب قطعاً مقارباً ، ثم يصلحها ويسويها بالحساب والتقدير على ما يريد . ولذلك جاءت رواية أخرى في البيت : ولأنت تخلق ما فريت . . . الخ البيت .

العرب لمن لم يمت : هو مائت وميت عن قليل ، ولا يقولون لمن قد مات مائت ، وكذلك هو طَمِيعُ فيما عندك ، إذا وصف بالطمع ، فإذا أخبر عنه أنه سيفعل ولم يفعل قيل هو طامع فيما عندك غداً ، وكذلك ذلك في كل ما كان نظيراً لما ذكرناه .

### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ، وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (١٧)

يقول تعالى ذكره : ولقد خلقنا فوقكم أيها الناس سبع سموات ، بعضهن فوق بعض ، والعرب تسمى كل شيء فوق شيء طريقة . وإنما قيل للسموات السبع سبع طرائق ، لأن بعضهن فوق بعض ، فكل سماء منهن طريقة .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله ( وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ) قال : الطرائق : السموات .

وقوله ( وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ) يقول : وما كنا في خلقنا السموات السبع فوقكم عن خلقنا الذي تحتها غافلين ، بل كنا لهم حافظين من أن تسقط عليهم فتهلكهم .

### القول في تأويل قوله تعالى

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ، فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ ، وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٨)

يقول تعالى ذكره : وأنزلنا من السماء ما في الأرض من ماء ، فأسكناه فيها .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ ) ماء هو من السماء .

وقوله ( وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ) يقول جل ثناؤه : وإنا على الماء الذي أسكناه في الأرض لقادرون أن نذهب به ، فتهلكوا أيها الناس عطشا ، وتخرب أرضوكم ، فلا تنبت زرعاً ولا غرساً ، وتهلك مواشيكم ، يقول : فن نعمتي عليكم تركي ذلك لكم في الأرض جارياً .

### القول في تأويل قوله تعالى

فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ، لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٩)

يقول تعالى ذكره : فأحدثنا لكم بالماء الذي أنزلناه من السماء ، بساتين من نخيل وأعناب ، لكم فيها يقول : لكم في الجنات فواكه كثيرة ( وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ) يقول : ومن الفواكه تأكلون . وقد يجوز أن تكون الماء والألف من ذكر الجنات ، ويحتمل أن تكون من ذكر النخيل والأعناب ، وخص جل ثناؤه



الجنات التي ذكرها في هذا الموضع ، فوصفها بأنها من نخيل وأعناب ، دون وصفها بسائر ثمار الأرض ، لأن هذين النوعين من الثمار كانا هما أعظم ثمار الحجاز وما قرب منها ، فكانت النخيل لأهل المدينة ، والأعناب لأهل الطائف ، فذكر القوم بما يعرفون من نعمة الله عليهم ، بما أنعم به عليهم من ثمارها .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْأَكْلِينَ (٢٠)

يقول تعالى ذكره : وأنشأنا لكم أيضا شجرة تخرج من طور سيناء، وشجرة منصوبة عطفًا على الجنات ، ويعنى بها : شجرة الزيتون .

وقوله ( تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ) يقول : تخرج من جبل يُنْبِتُ الأشجار . وقد بينت معنى الطور فيما مضى بشواهد ، واختلاف المختلفين ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وأما قوله ( سَيْنَاءَ ) فإن القراء اختلقت في قراءته ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ( سيناء ) بكسر السين . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ( سيناء ) بفتح السين ، وهما جميعا مجمعون على مدتها . والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان معروفتان في قراءاة الأمصار ، بمعنى واحد ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب .

واختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : المبارك ، كأن معنى الكلام عنده : وشجرة تخرج من جبل مبارك .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( طُورِ سَيْنَاءَ ) قال : المبارك . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ) قال : هو جبل بالشام مبارك . وقال آخرون : معناه : حسن .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( طُورِ سَيْنَاءَ ) قال : هو جبل حسن . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ) الطور : الجبل بالنبطية ، وسيناء : حسنة بالنبطية . وقال آخرون : هو اسم جبل معروف .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن عطاء الخُراساني ، عن  
 عن ابن عباس ، في قوله ( مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ) قال : الجبل الذي نودى منه موسى صلى الله عليه وسلم .  
 حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( طُورِ سَيْنَاءَ ) قال : هو جبل  
 الطور الذي بالشام ، جبل ببيت المقدس ، قال : ممدود هو بين مصر وبين أيلة .  
 وقال آخرون : معناه : أنه جبل ذو شجر .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قاله .  
 والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن سينا اسم أضيف إليه الطور ، يعرف به ، كما قيل جبلا طي ،  
 فأضيفا إلى طي ، ولو كان القول في ذلك كما قال من قال : معناه : جبل مبارك ، أو كما قال : من قال  
 معناه حسن ، لكان الطور منونا . وكان قوله سينا ، من نعته ، على أن سينا بمعنى : مبارك وحسن ،  
 غير معروف في كلام العرب ، فيجعل ذلك من نعت الجبل ، ولكن القول في ذلك - إن شاء الله - كما قال  
 ابن عباس ، من أنه جبل عرف بذلك ، وأنه الجبل الذي نودى منه موسى صلى الله عليه وسلم ، وهو مع ذلك  
 مبارك ، لا أن معنى سينا معنى مبارك .

وقوله ( تَنبُتُ بِالذُّهْنِ ) اختلفت القراء في قراءة قوله ( تَنبُتُ ) فقرأه عامة قرآء الأمصار ( تَنبُتُ )  
 بفتح التاء ، بمعنى : تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن ، وقرأه بعض قرآء البصرة ( تَنبُتُ ) بضم التاء ، بمعنى :  
 تنبت الدهن : تخرجه . وذكر أنها في قراءة عبد الله ( تُخْرِجُ الذُّهْنَ ) وقالوا : الباء في هذا الموضع زائدة ،  
 كما قيل : أخذت ثوبه ، وأخذت بثوبه وكما قال الرازي :

تَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أَرْبَابُ الفَلَجِ نَضْرِبُ بالبَيْضِ وَنَرْجُو بالفَرَجِ<sup>١</sup>

بمعنى : ونرجو الفرج والقول عندي في ذلك أنهما لغتان : نبت ، وأنبت ؛ ومن أنبت قول زهير :

رَأَيْتَ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بَيْتِهِمْ قَطِينًا لَهُمْ حَتَّى إِذَا أَنْبَتَ البَقْلُ<sup>٢</sup>

(١) البيت لنايفة بنى جعدة (خزانة الأدب للبغدادي ٤ : ١٦٠) والفالج في الأصل : النهر الصغير ، والماء الجاري . والمراد به  
 في البيت : موضع في أعلى بلاد قيس . ويروى : « يضرب بالسيف » . والببيض : جمع أبيض ، وهو السيف . والبيت شاهد على زيادة  
 الباء في قوله بالفرج ، أي ونرجو الفرج . وهي زائدة في المفعول به سماعا . قال ابن عصفور في الضرائر : زيادة الباء هنا : ضرورة ،  
 وقال ابن السيد في شرح أدب الكاتب لابن قتيبة : إنما عدى الرجاء بالباء ، لأنه بمعنى الطمع ، والطمع يتعدى بالباء ، كقولك :  
 طمعت بكذا . قال الشاعر :

طَمِعْتُ بَلَيْلِي أَنْ تَجُودَ وَإِنَّمَا تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ المَطَامِيعُ

وبنو جعدة يروى بالرفع على أنه خبر نحن ، وبالنصب على الاختصاص ، والخبر : أرباب . اهـ .

(٢) البيت في (اللسان : نبت) : قال : ونبت البقل وأنبت بمعنى ، وأشد زهير بن أبي سلمى :

إِذَا السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ بِالنَّاسِ أَجْحَقَتْ وَنَالَ كِرَامَ النَّاسِ فِي الحُجْرَةِ الأَكْلُ =

ويروي : نبت ، وهو كقوله ( فَأَسْرِبُ بِأَهْلِيكَ ) وفاسر ، غير أن ذلك وإن كان كذلك ، فإن القراءة التي لأختار غيرها في ذلك ، قراءة من قرأ ( تَنْبُتُ ) بفتح التاء ، لإجماع الحجة من القرآء عليها . ومعنى ذلك : تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ ) قال : بثمره . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . والدهن الذي هو من ثمره الزيت ، كما حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ ) يقول : هو الزيت يؤكل ويُدَّهَنُ به . وقوله ( وَصَبِغٍ لِّلآكِلِينَ ) يقول : تنبت بالدهن وبصبغ لآكلين ، يُصْطَبَعُ بالزيت الذين يأكلونه . كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَصَبِغٍ لِّلآكِلِينَ ) قال : هذا الزيتون صبغ لآكلين ، يأتممون به ويصطبغون به . قال أبو جعفر : فالصبغ عطف على الدهن .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنْقِضُوا مِمَّا فِي بُطُونِهَا ، وَأَلْكُمْ فِيهَا مَتَاعٌ كَثِيرَةً ،

وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : ( وَإِنَّ لَكُمْ ) أيها الناس ( فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ) تعتبرون بها ، فتعرفون بها أيادي الله عندكم ، وقدرته على ما يشاء ، وأنه الذي لا يمتنع عليه شيء أراد ، ولا يُعْجِزُهُ شيء شاء . ( نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا ) من اللبن الخارج من بين الفرث والدم . ( وَأَلْكُمْ ) مع ذلك ( فِيهَا ) يعني في الأنعام مَتَاعٌ كَثِيرَةً ) وذلك كالإبل التي يُحْمَلُ عليها ، ويُرْكَبُ ظهرها ، ويُشْرَبُ دَرَّهَا . ( وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ) يعني من لحومها تأكلون . وقوله ( وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ) يقول : وعلى الأنعام وعلى السفن تحملون على هذه في البر ، وعلى هذه في البحر .

ثم قال : يعني بالشبهاء البيضاء من الجذب ، لأنها تبيض بالثلج أو عدم النبات . والحجرة السنة الشديدة التي تحجر الناس في بيوتهم ، فينحروا كرائم إبلهم ليأكلوها . والقطين : الحشم ، وسكان الدار . وأجحفنت أضرت بهم ، وأهلكت أموالهم . قال : ونبت وأنبت : مثل قولهم مطرت السماء وأمطرت . وقال في قوله تعالى : « تنبت بالدهن » قرأ ابن كثير وأبو عمرو الخضري : « تنبت » بالضم في التاء ، وكسر الباء . وقرأ نافع وعاصم وحزمة والكسائي وابن عامر : بفتح التاء . وقال الفراء : هما لغتان : نبتت الأرض وأنبتت ، قال ابن سيده : أما تنبت ( بضم التاء ) فذهب كثير من الناس إلى أن معناه : تنبت الدهن ، أي شجر الدهن ، أو حب الدهن ، وأن الباء فيه زائدة ، وكذلك قول عنترة « شربت بمام الدهرضين . . . البيت » ، قالوا : أراد شربت ماء الدهرضين . قال : وهذا عند حذاق أصحابنا على غير وجه الزيادة ، وإنما تأويله والله أعلم - تنبت ما تنبت به والدهن فيها ، كما تقول : خرج زيد بثيابه ، أي بثيابه عليه ؛ وركب الأمير بسيفه ، أي وسيفه معه . ٥١ .



القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ، فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ،  
أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣)

يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ) داعيهم إلى طاعتنا وتوحيدنا ، والبراءة من كل معبود سوانا . (فَقَالَ) لهم نوح : (يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ) يقول : قال لهم : ذلوا يا قوم بالله بالطاعة (مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) يقول : ما لكم من معبود يجوز لكم أن تعبدوه غيره (أَفَلَا تَتَّقُونَ) يقول : أفلا تخشون عبادتكم غيره عقابه أن يحل بكم .

القول في تأويل قوله تعالى

فَقَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ : مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ،  
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً ، مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : فقالت جماعة أشرف قوم نوح ، الذين جحدوا توحيد الله ، وكذبوه لقومهم : مانوح أيها القوم إلا بشر مثلكم ، إنما هو إنسان مثلكم ، وكبعضكم (يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ) يقول : يريد أن يصير له الفضل عليكم ، فيكون متبوعا وأنتم له تبع (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً) : يقول : ولو شاء الله أن لا نعبد شيئا سواه لأنزل ملائكة ، يقول : لأرسل بالدعاء إلى ما يدعوكم إليه نوح ملائكة ، تؤدى إليكم رسالته . وقوله (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا) الذي يدعوننا إليه نوح ، من أنه لاله لنا غير الله في القرون الماضية ، وهي آباؤهم الأولون .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ ، فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ (٢٥) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٢٦)  
فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا ، فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ  
كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ، إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ، وَلَا تَخْطُبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا  
إِنَّهُمْ مُعْرِقُونَ (٢٧)

يعني تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملائكة الذين كفروا من قوم نوح (إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ) : مانوح إلا رجل به جنون . وقد يقال أيضا للجن جنة ، فيتنفق الاسم والمصدر ، وهو من قوله «إِنَّ هُوَ» كناية اسم نوح . وقوله (فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ) يقول : فتلبثوا به ، وتنظروا به حتى حين : يقول :



القول في تأويل قوله تعالى

لَوْلَا جَاءَ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ ، فإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ

الْكَذِبُونَ (١٣)

يقول تعالى ذكره : هلا جاء هؤلاء العصبة الذين جاءوا بالإفك، ورموا عائشة بالبهتان، بأربعة شهداء يشهدون على مقالهم فيها، وما رموها به، فإذا لم يأتوا بالشهداء الأربعة على حقيقة ما رموها به ( فأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ) يقول : فالعصبة الذين رموها بذلك عند الله هم الكاذبون ، فيما جاءوا به من الإفك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ

عَظِيمٌ (١٤)

يقول تعالى ذكره ( وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ) أيها الخائضون في أمر عائشة ، المشيعون فيها الكذب والإثم ، بتركه تعجيل عقوبتكم ( وَرَحْمَتُهُ ) إياكم ، لعفوه عنكم ( فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) بقبول توبتكم مما كان منكم في ذلك ، ( لَمَسَّكُمْ فِيهَا ) خضتم فيه من أمرها عاجلا في الدنيا ( عَذَابٌ عَظِيمٌ ) .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ) هذا للذين تكلموا ، فذشروا ذلك الكلام ( لَمَسَّكُمْ فِيهَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنْتِكُمْ ، وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ، وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ

عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥)

يقول تعالى ذكره : لمستم في أفضتم فيه من شأن عائشة عذاب عظيم ، حين تلقوناه بالسنتكم ، و « إذ » من صلة قوله لمستم . ويعنى بقوله ( تَلَقَّوْنَهُ ) تتلقون الإفك الذي جاءت به العصبة من أهل الإفك ، فتقبلونه ، ويرويه بعضكم عن بعض ، يقال : تلقيت هذا الكلام عن فلان ، بمعنى أخذته منه ؛ وقيل ذلك ، لأن الرجل منهم فيما ذكر يركبني آخر ، فيقول : أو ما بلغك كذا وكذا عن عائشة ؟ ليُشيع عليها بذلك الفاحشة . وذكر أنها في قراءة أبي ( إِذْ تَلَقَّوْنَهُ ) بتاءين ، وعليها قرآءة الأمصار ، غير أنهم قرءوها ( تَلَقَّوْنَهُ ) بتاء واحدة ، لأنها كذلك في مصاحفهم .

وقد روي عن عائشة في ذلك ، ما حدثني به محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا خالد بن نزار ، عن نافع ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، أنها كانت تقرأ هذه الآية ( إذ تَلَقُّونَهُ بِالْأَسِنَّتِكُمْ ) تقول : إنما هو وُلِّقَ الكذب ، وتقول : إنما كانوا يَلْقُونُ الكذب . قال ابن أبي مليكة : وهي أعلم بما فيها أنزلت . قال نافع : وسمعت بعض العرب يقول : اللَّيْقُ : الكذب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا نافع بن عمر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر الجَمَحِيُّ ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، أنها كانت تقرأ ( إذ تَلَقُّونَهُ بِالْأَسِنَّتِكُمْ ) وهي أعلم بذلك وفيها أنزلت ، قال ابن أبي مليكة : هو من وُلِّقَ الكذب .

قال أبو جعفر : وكان عائشة وَجَّهَتْ معنى ذلك بقراءتها ( تَلَقُّونَهُ ) بكسر اللام وتخفيف القاف ، إلى إذ تستمرون في كذبكم عليها ، وإفككم بالأسنتكم ، كما يقال : ولَّق فلان في السير فهو يَلِّق : إذا استمر فيه ؛ وكما قال الراجز :

إِنَّ الْخُلَيْدَ زَلِقٌ وَزَمَلِقٌ جَاءَتْ بِهِ عَتَسٌ مِّنَ الشَّامِ تَلِيقٌ  
مَجْجَعُ الْبَطْنِ كِلَابِي الْخُلُقُ ٢

وقد روي عن العرب في الوَلِّقُ : الكذب : الأَلِّقُ ، والإِلِّقُ : بفتح الألف وكسرهما ، ويقال في فعلت منه : أَلِّقْتُ ، فأنا أَلِّقُ ؛ وقال بعضهم :

مَنْ لِي بِالْمُزْرَرِ الْيَسْلَمِيقِ صَاحِبِ أَذْهَانٍ وَأَلِّقِ آلِيقِ ٣  
والقراءة التي لا أستجيز غيرها ( إذ تَلَقُّونَهُ ) على ما ذكرت من قراءة الأُمصار ، لإجماع الحجة من القراء عليها .

وبنحو الذي قلنا من التأويل في ذلك ، قال أهل التأويل .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ( إذ تَلَقُّونَهُ بِالْأَسِنَّتِكُمْ ) قال : تَرَوُونَهُ بعضكم عن بعض .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( إذ تَلَقُّونَهُ ) قال : تَرَوُونَهُ بعضكم عن بعض .  
(١) لم تقف عليه فيما بأيدينا من كتب اللغة ، فلعله مصحف .

(٢) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز ، للقلاخ بن حزن المنقري ، نقلها صاحب ( اللسان : زلق ) . قال : . رجل زلق وزملق مثال هديد وزمالمق وزملق ( بتشديد الميم ) ، وهو الذي ينزل قبل أن يجامع . قال القلاخ بن حزن المنقري . . . الأبيات . ثم قال : والجليد : هو الجليد الكلابي . التهذيب : والعرب تقول : زلق وزملق ، وهو الشكاز ، الذي ينزل إذا حدث المرأة من غير جماع . قال ويقال للخفيف الطيانش : زملق وزملوق وزمالمق وفي ( اللسان : ولق ) قال : وولق في سيره ولقا : أسرع . ونسب أبيات الشاهد للشياخ ، ولم أجدها في ديوان الشياخ المطبوع بمصر سنة ١٣٢٧ هـ .

(٣) هذان بيتان من الرجز أنشدهما الأزهرى عن بعضهم ( اللسان : ولق ) . وألق الكلام : متابعتها في سرعة . والألق : الاستمرار في الكذب وألق يألُق ألقا مثال ضرب يضرب ضربا . واليلاق : جمع يلحق ، وهو القباء ( فارسي معرب ) . . . واستشهد المؤلف بالبيتين على أن بعضهم قرأ قوله تعالى : « إذ تلقونه بالأسنتكم » بكسر اللام ، وتخفيف القاف ، على أنه بمعنى الاستمرار في الكذب .



قوله ( وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ) يقول تعالى ذكره : وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم من الأمر الذي تروونه ، فتقولون : سمعنا أن عائشة فعلت كذا وكذا ، ولا تعلمون حقيقة ذلك ، ولا صحته ( وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا ) وتظنون أن قولكم ذلك وروايتكموه بالسنتكم ، وتلقيكموه بعضكم عن بعض ، هين سهل ، لا إثم عليكم فيه ولا حرج ( وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ) يقول : وتلقيكم ذلك كذلك ، وقولكموه بأفواهكم ، عند الله عظيم من الأمر ، لأنكم كنتم تؤذون به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحليلته .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا ، سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦)

يقول تعالى ذكره : ( فَلَئَوْلَا ) أيها الخائضون في الإفك ، الذي جاءت به عصابة منكم ( إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ) من جاء به ( قُلْتُمْ ) ما يحل لنا أن نتكلم بهذا ، وما ينبغي لنا أن نتفوه به ( سُبْحَانَكَ ، هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ) ، تنزيها لك يا رب ، وبراءة إليك مما جاء به هؤلاء . ( هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ) يقول : هذا القول بهتان عظيم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ، وَاللَّهُ

عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨)

يقول تعالى ذكره : يذكركم الله ، وينهاكم بآي كتابه ، لئلا تعودوا لمثل فعلكم الذي فعلتموه في أمر عائشة ، من تلقيكم الإفك الذي روى عليها بالسنتكم ، وقولكم بأفواهكم ما ليس لكم به علم فيها أبدا ( إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) يقول : إن كنتم تتعظون بعظات الله ، وتأتمرون لأمره ، وتتهبون عما نهاكم عنه . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) قال : والذي هو خير لنا من هذا ، أن الله أعلمنا هذا لكيلا تقع فيه ، لولا أن الله أعلمناهُ لهلكنا كما هلك القوم ، أن يقول الرجل : أنا سمعته ولم أخترقه ، ولم أتقوله ، فكان خيرا حين أعلمناه الله ، لئلا ندخل في مثله أبدا ، وهو عند الله عظيم . وقوله ( وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ) : ويفصل الله لكم حججه عليكم ، بأمره ونهيهِ ، ليقين المطيع له منكم من العاصي ، والله عليم بكم وبأفعالكم ، لا يخفى عليه شيء ، وهو مجاز المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، حكيم في تدبير خلقه ، وتكليفه ما كلفهم من الأعمال ، وفرضه ما فرض عليهم من الأفعال .

(١) اخترق الكذب : مثل اخترعه ، وافتعله ، وصنعه .



القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ،  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩)

يقول تعالى ذكره : إن الذين يحبون أن يذيع الزنا في الذين صدقوا بالله ورسوله ، ويظهر ذلك فيهم ، لهم عذاب أليم : يقول : لهم عذاب وجيع في الدنيا ، بالحد الذي جعله الله حداً لرامي المحصنات والمحصنين إذا رموهم بذلك ، وفي الآخرة عذاب جهنم إن مات مصراً على ذلك غير تائب .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ ) قال : تظهر في شأن عائشة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا ، لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) قال : الخبيث عبد الله بن أبي ابن سلول ، المنافق ، الذي أشاع على عائشة ما أشاع عليها من الفرية ، لهم عذاب أليم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ ) قال : تظهر ، يتحدث عن شأن عائشة .

وقوله ( وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) يقول تعالى ذكره : والله يعلم كذب الذين جاءوا بالإفك من صدقهم ، وأنتم أيها الناس لا تعلمون ذلك ، لأنكم لا تعلمون الغيب ، وإنما يعلم ذلك علام الغيوب : يقول : فلا تترزروا ما لا علم لكم به من الإفك على أهل الإيمان بالله ، ولا سبياً على حلائل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهلكوا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ، وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (٢٠)

يقول تعالى ذكره : ولولا أن تفضل الله عليكم أيها الناس ورحمكم ، وأن الله ذو رافة ، ذو رحمة بخلقه ، هللكم فيما أفضتم فيه ، وعاجلتكم من الله العقوبة . وترك ذكر الجواب ، لمعرفة السامع بالمراد من الكلام بعده ، وهو قوله ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ ، وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ  
بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ،

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، لا تسلكوا سبيل الشيطان وطرقه ، ولا تقتفوا آثاره ، بإساعتكم الفاحشة في الذين آمنوا ، وإذاعتكموها فيهم ، وروايتكم ذلك عن جاء به ، فإن الشيطان يأمر بالفحشاء ، وهي الزنا ، والمنكر من القول .  
وقد بينا معنى الخطوات والفحشاء فيما مضى بشواهد ذلك بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١)

يقول تعالى ذكره : ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته لكم ، ما تطهر منكم من أحد أبدا ، من دنس ذنوبه وشركه ، ولكن الله يطهر من يشاء من خلقه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ) يقول : ما اهتدى منكم من الخلائق لشيء من الخير ، ينفع به نفسه ، ولم يتق شيئا من الشر يدفعه عن نفسه .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ) قال : ما زكى : ما أسلم ، وقال : كل شيء في القرآن من زكى أو تزكى فهو الإسلام .  
وقوله ( وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ) يقول : والله سميع لما تقولون بأفواهكم ، وتلقونه بالسننكم ، وغير ذلك من كلامكم ، عليم بذلك كله ، وبغيره من أموركم ، محيط به ، محصيه عليكم ، ليجازيكم بكل ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا ، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : ولا يخلف بالله ذوو الفضل منكم ، يعني ذوى التفضل والسعة : يقول : وذوو الجدة .  
واختلف القراء في قراءة قوله ( وَلَا يَأْتَلِ ) فقرأته عامة قراء الأمصار ( وَلَا يَأْتَلِ ) بمعنى : يفتعل من الألفية ، وهي القسم بالله ، سوى أبي جعفر وزيد بن أسلم ، فإنه ذكّر عنهما أنهما قرآ ذلك ( وَلَا يَتَأَلَّ ) بمعنى : يتفعل من الألفية .

والصواب من القراءة في ذلك عندى : قراءة من قرأ : وَلَا يَأْتَلِ بمعنى : يفتعل من الألفية ، وذلك أن



ذلك في خطِّ المصحف كذلك ، والقراءة الأخرى مخالفة خطِّ المصحف ، فاتباع المصحف مع قراءة جماعة القراء ، وصحَّة المقرء به ، أولى من خلاف ذلك كله . وإنما عُنِيَ بذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، في حلفه بالله لا يفتق على مِسْطَح ، فقال جلَّ ثناؤه : ولا يحلف من كان ذا فضل من مال وسعة منكم أيها المؤمنون ، بالله ألا يُعْطُوا ذَوِي قَرَابَتِهِمْ ، فيصِلُوا به أرحامهم ، كِمِسْطَح ، وهو ابن خالة أبي بكر ، ( والمساكين ) : يقول : وذوَى خَلَّةِ الْحَاجَةِ ، وكان مِسْطَح منهم ، لأنه كان فقيراً محتاجاً ، ( والمهاجرين في سبيل الله ) ، وهم الذين هاجروا من ديارهم وأموالهم في جهاد أعداء الله ، وكان مِسْطَح منهم ، لأنه كان ممن هاجر من مكة إلى المدينة ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا ( وَلْيَعْفُوا ) يقول وليعفوا عما كان منهم إليهم من جُرم ، وذلك كجرم مِسْطَح إلى أبي بكر ، في إشاعته على ابنته عائشة ، ما أشاع من الإفك . ( وَلْيَصْفَحُوا ) يقول : وليتركوا عقوبتهم على ذلك ، بجرمانهم ما كانوا يؤتونهم قبل ذلك ، ولكن ليعودوا لهم إلى مثل الذي كانوا لهم عليه ، من الإفضال عليهم ، ( أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ) يقول : ألا تحبون أن يستر الله عليكم ذنوبكم ، بأفضالكم عليهم ، فيترك عقوبتكم عليها ( وَاللَّهُ غَفُورٌ ) لذنوب من أطاعه ، واتبع أمره ، رحيم بهم أن يعذبهم مع اتباعهم أمره ، وطاعتهم إياه على ما كان لهم من زلة وهفوة ، قد استغفروه منها ، وتابوا إليه من فعلها .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، وعن سعيد بن المسيب ، وعن عروة بن الزبير ، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة . قال : وثني ابن إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة ؛ قال : وثني ابن إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، قالت : لما نزل هذا ، يعني قوله ( إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ ) في عائشة ، وفيمن قال لها ما قال . قال أبو بكر ، وكان يفتق على مسطح لقرابته وحاجته : والله لأنفق على مسطح شيئاً أبداً ، ولا أنفعه بنفع أبداً ، بعد الذي قال لعائشة ما قال ، وأدخل عليها ما أدخل ، قالت : فأنزل الله في ذلك ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ) . . . الآية ، قالت : فقال أبو بكر : والله إنِّي لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح نفقته التي كان يُنفق عليه ، وقال : والله لأنزعها منه أبداً .

حدثني عليّ ، قال ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ) يقول : لا تُقسِموا ألا تنفعوا أحداً .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عليّ ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ) . . . إلى آخر الآية ، قال : كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رموا عائشة بالقبيح ، وأفسحوا ذلك ، وتكلموا به ، فأقسم ناس من أصحاب



رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم أبو بكر ، ألا يتصدق على رجل تكلم بشيء من هذا ولا يصله ، فقال : لا يُنْقَسِمُ أولوا الفضل منكم والسعة أن يصلوا أرحامهم ، وأن يعطوهم من أموالهم كالذي كانوا يفعلون قبل ذلك ، فأمر الله أن يُعْفَرَ لهم ، وأن يُعْتَفَى عنهم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ) : لما أنزل الله تعالى ذكره عذر عائشة من السماء ، قال أبو بكر وآخرون من المسلمين ، والله لا نصل رجلا منهم تكلمت بشيء من شأن عائشة ، ولا نفعه . فأنزل الله ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ) يقول : ولا يخلف .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ) أن يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى قال : كان مسطح ذا قرابة ( وَالْمَسَاكِينَ ) قال : كان مسكينا ( وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ) كان بدريا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ) قال : أبو بكر حلف أن لا ينفع يتيما في حجره ، كان أشاع ذلك ، فلما نزلت هذه الآية قال : بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ، فلا كونن ليتيمى خيرا ما كنت له قط .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاضِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ

عَظِيمٌ (٢٣)

يقول تعالى ذكره ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ ) بالفاحشة ( الْمُحْصَنَاتِ ) يعنى العفيفات ( الْفَاضِلَاتِ ) عن الفواحش ( الْمُؤْمِنَاتِ ) بالله ورسوله ، وما جاء به من عند الله ( لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) يقول : أبعدوا من رحمة الله في الدنيا والآخرة ( وَلَهُمْ ) في الآخرة ( عَذَابٌ عَظِيمٌ ) وذلك عذاب جهنم .

واختلف أهل التأويل في المحصنات اللاتي هذا حكمهن ، فقال بعضهم : إنما ذلك لعائشة خاصة ، وحكم من الله فيها وفيمن رماها ، دون سائر نساء أمة نبينا صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا خصيف ، قال : قلت لسعيد ابن جبير : الزنا أشد أم قذف المحصنة ؟ فقال : الزنا ، فقلت : أليس الله يقول ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ) . . . الآية ، قال سعيد : إنما كان هذا لعائشة خاصة .

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، قال : قالت عائشة : رميت بما رميت به وأنا غافلة ، فبلغني بعد ذلك ، قالت : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم

عندى جالس ، إذ أوحى إليه ، وكان إذا أوحى إليه أخذته كهيئة السبات ، وإنه أوحى إليه وهو جالس عندى ، ثم استوى جالسا يمسح عن وجهه ، وقال : يا عائشة أبشرى ، قالت : فقلت : بحمد الله لا يحمذك فقراً ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ) . . . حتى بلغ ( أُولَئِكَ مُّسْبِرٌ وَّوْنٌ مِّمَّا يَتَقَوَّلُونَ ) .

وقال آخرون : بل ذلك لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، دون سائر النساء غيرهن .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين . قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ) . . . الآية ، لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة .

وقال آخرون : نزلت هذه الآية في شأن عائشة ، وعنى بها كل من كان بالصفة التي وصف الله هذه الآية ، قالوا : فذلك حكم كل من رمى محصنة ، لم تقارف سوءا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا زيد ، عن جعفر بن برقان ، قال : سألت ميمونا ، قالت : الذي ذكر الله ( الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ) . . . إلى قوله ( إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) فجعل في هذه توبة ؛ وقال في الأخرى : ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ ) . . . إلى قوله ( لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) قال ميمون : أما الأولى فعسى أن تكون قد قارفت ، وأما هذه ، فهي التي لم تقارف شيئا من ذلك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام بن حوشب ، عن شيخ من بني أسد ، عن ابن عباس ، قال : فسر سورة النور ، فلما أتى على هذه الآية ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ) . . . الآية ، قال هذا في شأن عائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي مبهمة ، وليست لهم توبة ، ثم قرأ ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ) . . . إلى قوله ( إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ) . . . الآية ، قال : فجعل هؤلاء توبة ، ولم يجعل لمن قذف أولئك توبة ، قال : فهم بعض القوم أن يقوم إليه فيقبل رأسه من حسن ما فسر سورة النور . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِينُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) قال : هذا في عائشة ، ومن صنع هذا اليوم في المسلمات ، فله ما قال الله ، ولكن عائشة كانت إمام ذلك . وقال آخرون : نزلت هذه الآية في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان ذلك كذلك ، حتى نزلت الآية التي في أول السورة فأوجب الجلد ، وقبل التوبة .



## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ) . . . إلى ( عَذَابٌ عَظِيمٌ ) يعني أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وماهن أهل النفاق ، فأوجب الله لهم اللعنة والغضب ، وباءوا بسخط من الله . وكان ذلك في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم نزل بعد ذلك ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ كَمَّ يَأْتُوا بَأْرُبَعَةٍ شُهَدَاءَ ) . . . إلى قوله ( فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) فأنزله الله الجلد والتوبة ، فالتوبة تُقبل ، والشهادة ترد .

❦ وأولى هذه الأقوال في ذلك عندى بالصواب : قول من قال : نزلت هذه الآية في شأن عائشة ، والحكم بها عام في كل من كان بالصفة التي وصفه الله بها فيها .

وإنما قلنا ذلك أولى تأويلاته بالصواب ، لأن الله عم بقوله ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ) كل محصنة غافلة مؤمنة ، وماها رام بالفاحشة ، من غير أن يخص بذلك بعضا دون بعض ، فكل رام محصنة بالصفة التي ذكر الله جل ثناؤه في هذه الآية ؛ فلعون في الدنيا والآخرة ، وله عذاب عظيم ، إلا أن يتوب من ذنبه ذلك قبل وفاته ، فإن الله دل باستثنائه بقوله ( إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ) على أن ذلك حكم رامي كل محصنة بأي صفة كانت المحصنة المؤمنة المرمية ، وعلى أن قوله ( لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَكُفِّرُوا عَنْ عَذَابِ عَظِيمٍ ) معناه : لهم ذلك إن هلكوا ولم يتوبوا .

## القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤)

❦ يقول تعالى ذكره : ولهم عذاب عظيم ( يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ ) فالיום الذي في قوله ( يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ ) من صلة قوله ( وَكُفِّرُوا عَنْ عَذَابِ عَظِيمٍ ) . وعني بقوله ( يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ ) يوم القيامة ، وذلك حين يحدد أحدهم ما اكتسب في الدنيا من الذنوب ، عند تقرير الله إياه بها ، فيختم الله على أفواههم ، وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون .

فإن قال قائل : وكيف تشهد عليهم ألسنتهم ، حين يختم على أفواههم ، قيل : عني بذلك أن السنة بعضهم تشهد على بعض ، لأن ألسنتهم تنطق وقد ختم على الأفواه .

وقد حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ عَرَفَ الْكَافِرُ بِعَمَلِهِ ، فَجَحَدَ وَخَاصَمَ ، فَيُقَالُ لَهُ هُوَ لَاءَ جِيرَانِكَ يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ ، فَيَقُولُ : كَذَبُوا ، فَيَقُولُ أَهْلُكَ وَعَشِيرَتُكَ ، فَيَقُولُ كَذَبُوا ، فَيَقُولُ : أَتَحْلِفُونَ ؟ فَيَحْلِفُونَ ، ثُمَّ يُضْمِتُهُمُ اللَّهُ ، وَتَشْهَدُ أَلْسِنَتُهُمْ ، ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ النَّارَ » .



## القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥)

يقول تعالى ذكره ( يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) يوفيهم الله حسابهم وجزاءهم الحق على أعمالهم .

والدين في هذا الموضع : الحساب والجزاء كما حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله ( يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ) يقول : حسابهم .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( الْحَقَّ ) فقراءته عامة قراء الأمصار ( دِينَهُمُ الْحَقَّ ) نصبا على النعت للدين ، كأنه قال : يوفيهم الله ثواب أعمالهم حقا ، ثم أدخل في الحق الألف واللام ، فنصبه بما نصب به الدين . وذكر عن مجاهد أنه قرأ ذلك ( يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ) برفع الحق على أنه من نعت الله .

حدثنا بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن جرير بن حازم ، عن حميد ، عن مجاهد ، أنه قرأها الحق بالرفع . قال جرير : وقرأها في مصحف أبي بن كعب ( يُوفِّيهِمُ اللَّهُ الْحَقَّ دِينَهُمْ ) .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : ما عليه قراء الأمصار ، وهو نصب الحق على إتباعه إعراب الدين لإجماع الحجة عليه .

وقوله ( وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ) يقول : ويعلمون يومئذ أن الله هو الحق الذي يبين لهم حقائق ما كان يعدهم في الدنيا من العذاب ، ويزول حينئذ الشك فيه عن أهل النفاق ، الذين كانوا فيما كان يعدهم في الدنيا يمترون .

## القول في تأويل قوله تعالى

الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ ، وَالْحَبِيثُونَ لِلْحَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ،  
أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦)

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : معناه : الحبيثات من القول ، للحبيثين من الرجال ، والحبيثون من الرجال للحبيثات من القول ، والطيبات من القول ، للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس ، للطيبات من القول .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا علي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ وَالْحَبِيثُونَ لِلْحَبِيثَاتِ ) يقول : الحبيثات من القول ، للحبيثين من الرجال ، والحبيثون من الرجال ، للحبيثات من القول .

وقوله ( وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ) يقول : الطيبات من القول ، للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال للطيبات من القول ، نزلت في الذين قالوا في زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ما قالوا من البهتان ، ويقال : الخبيثات للخبيثين : الأعمال الخبيثة تكون للخبيثين ، والطيبات من الأعمال تكون للطيبين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد : الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس ، والطيبات من الكلام للطيبين من الناس .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ عن ابن أبي نجيح ، في قول الله ( الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ ، وَالْحَبِيثُونَ لِلْحَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) قال : الطيبات : القول الطيب يخرج من الكافر والمؤمن فهو للمؤمن ؛ والخبيثات : القول الخبيث يخرج من المؤمن والكافر فهو للكافر ( أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ) وذلك أنه برأ كليهما مما ليس بحق من الكلام .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله : ( الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ ، وَالْحَبِيثُونَ لِلْحَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) يقول : الخبيثات والطيبات : القول السيء والحسن ، للمؤمنين الحسن ، وللكافرين السيء ( أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ) وذلك بأنه ما قال الكافرون من كلمة طيبه فهي للمؤمنين ، وما قال المؤمنون من كلمة خبيثة فهي للكافرين ، كل برىء مما ليس بحق من الكلام .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ ) قال : الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلام . حدثنا الحسن قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، مثله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ ) . . . الآية ، يقول : الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول ، والطيبات من القول للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال للطيبات من القول ، فهذا في الكلام ، وهم الذين قالوا لعائشة ما قالوا ، هم الخبيثون . والطيبون هم المبرءون مما قال الخبيثون . حدثنا أبو زرعة ، قال ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سلمة ، يعني ابن نبيط الأشجعي ، عن الضحاك ( الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ ) قال : الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس ، والطيبات من الكلام للطيبين من الناس .

قال : ثنا قبيصة ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح وعثمان بن الأسود ، عن مجاهد ( الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ ، وَالْحَبِيثُونَ لِلْحَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) قال : الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول ، والطيبات من القول للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من القول .



قال : ثنا سفيان ، عن خصيف ، عن سعيد بن جبير ، قال ( الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ ، وَالْحَبِيثُونَ لِلْحَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) قال : الحبيثات من القول للحبيثين من الناس ، والحبيثون من الناس للحبيثات من القول ، والطيبات من القول للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من القول .

قال : ثنا محمد بن بكر بن مقدم ، قال : أخبرنا يحيى بن سعيد ، عن عبد الملك ، يعني ابن سليمان ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن سعيد بن جبير ، عن مجاهد ( وَالْحَبِيثُونَ لِلْحَبِيثَاتِ ) قال : الحبيثات من القول للحبيثين من الناس .

قال : ثنا عباس بن الوليد النرسي ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ ، وَالْحَبِيثُونَ لِلْحَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) يقول : الحبيثات من القول والعمل للحبيثين من الناس ، والحبيثون من الناس للحبيثات من القول والعمل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، قال : الطيبات للطيبين ، والطيبون للطيبات ، قال : الطيبات من القول للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من القول ، والحبيثات من القول للحبيثين من الناس ، والحبيثون من الناس للحبيثات من القول .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : الحبيثات من النساء للحبيثين من الرجال ، والحبيثون من الرجال للحبيثات من النساء .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ ، وَالْحَبِيثُونَ لِلْحَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) قال : نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفرية ، فبرأها الله من ذلك . وكان عبد الله بن أبي هو خيث ، وكان هو أولى بأن تكون له الحبيثة ويكون لها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبا ، وكان أولى أن تكون له الطيبة ، وكانت عائشة الطيبة ، وكان أولى أن يكون لها الطيب . ( أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ) قال : هاهنا بُرِّئَتْ عائشة ( لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ) .

وأولى هذه الأقوال في تأويل الآية : قول من قال : عتني بالحبيثات : الحبيثات من القول ، وذلك قبيحه وسيئه ، للحبيثين من الرجال والنساء ، والحبيثون من الناس للحبيثات من القول ، هم بها أولى ، لأنهم أهلها ، والطيبات من القول ، وذلك حسنه وجميله ، للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من القول ، لأنهم أهلها ، وأحق بها .

وإنما قلنا هذا القول أولى بتأويل الآية ، لأن الآيات قبل ذلك إنما جاءت بتوبيخ الله للقائلين في عائشة الإفك ، والرامين المحصنات الغافلات المؤمنات ، وإخبارهم ما خصصهم به على إفكهم ، فكان ختم الخبر عن أولى الفريقين بالإفك من الرامى والمرمى به ، أشبه من الخبر عن غيرهم .



وقوله (أَوْلَيْكَ مُسْبِرَةٌ وَنَ) يقول : الطيبون من الناس مبرءون من خيئات القول ، إن قالوها فإن الله يصفح لهم عنها ، ويغفرها لهم ، وإن قيلت فيهم ضرت قائلها ولم تضرهم ، كما لو قال الطيب من القول الخييث من الناس لم ينفعه الله به ، لأن الله لا يتقبله ، ولو قيلت له لضرته ، لأنه يلحقه عارها في الدنيا ، وذلك في الآخرة .

كما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَوْلَيْكَ مُسْبِرَةٌ وَنَ مِمَّا يَقُولُونَ) فن كان طيبا فهو مبرأ من كل قول خييث ، يقول : يغفره الله ؛ ومن كان خييثا فهو مبرأ من كل قول صالح ، فإنه يردّه الله عليه ، لا يقبله منه ، وقد قيل : عُنِيَ بقوله (أَوْلَيْكَ مُسْبِرَةٌ وَنَ مِمَّا يَقُولُونَ) عائشة وصفوان بن المعطل الذي رُميت به ، فعلى هذا القول قيل أولئك ، فجمع ، والمراد ذاك ، كما قيل : فإن كان له إخوة ، والمراد أخوان

وقوله (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) يقول لهؤلاء الطيبين من الناس : مغفرة من الله لذنوبهم ، والخييث من القول إن كان منهم (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) يقول : ولهم أيضا مع المغفرة عظيمة من الله كريمة ، وذلك الجنة ، وما أُعِدَّتْ لهم فيها من الكرامة .

كما حدثنا أبو زرعة ، قال : ثنا العباس بن الوليد الترسى ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) مغفرة لذنوبهم ، ورزق كريم في الجنة .

#### القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ، حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ

أَهْلِهَا ، ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَمَلَكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧)

اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم تأويله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتكم حتى تستأذنوا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ (لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا) قال : وإنما تستأذنوا وهم من الكتاب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في هذه الآية (لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا) وقال : إنما هي خطأ من الكاتب : حتى تستأذنوا وتسلموا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، بمثله ، غير أنه قال : إنما هي حتى تستأذنوا ، ولكنها سقطت من الكاتب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا معاذ بن سليمان ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد عن ابن عباس ( حتى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ) قال : أخطأ الكاتب . وكان ابن عباس يقرأ ( حتى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا ) وكان يقرؤها على قراءة أبي بن كعب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفیان ، عن الأعمش أنه كان يقرؤها ( حتى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا ) قال سفیان : وبلغني أن ابن عباس كان يقرؤها ( حتى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا ) وقال : إنها حطاً من الكاتب .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها ) قال : الاستئذان : الاستئذان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، قال في مصحف ابن مسعود ( حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا ) .

قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جعفر بن إياس ، عن سعيد ، عن ابن عباس أنه كان يقرؤها ( يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا ) قال : وإنما تستأذنوا وهم من الكتاب .

قال : ثنا هشيم ، قال مغيرة ، قال مجاهد : جاء ابن عمر من حاجة ، وقد آذاه الرَّمضاء ، فألقى فسطاط امرأة من قريش ، فقال : السلام عليكم ، أدخل؟ فقالت : أدخل بسلام ، فأعاد ، فأعادت ، وهو يراوح بين قدميه ، قال : قولي أدخل ، قلت : أدخل ، فدخل .

قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا منصور ، عن ابن سيرين ، وأخبرنا يونس بن عبيد ، عن عمرو بن سعيد الثقفي ، أن رجلاً استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أليج أو أليج؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأمة له يقال لها روضة : قومي إلى هذا فكلميه ، فإنه لا يحسن يستأذن ، فقولي له يقول : السلام عليكم ، أدخل؟ فسمعها الرجل ، فقلها ، فقال : أدخل .

حدثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله ( حتى تستأذنوا ) قال : الاستئذان ، ثم نسخ واستثنى ( ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتنا غير مسكونة ) حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو حمزة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، قوله ( لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم ) قال : حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( حتى تستأذنوا ) قال : حتى تستأذنوا وتسلموا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أشعث بن سوار ، عن كردوس ، عن ابن مسعود ، قال : عليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأخواتكم ، قال أشعث ، عن عدى بن ثابت ،



أن امرأة من الأنصار، قالت: يا رسول الله، إني أكرن في منزلي على الحال التي لأحب أن يراني أحد عليها: والدولا ولد، وإنه لا يزال يدخل على رجل من أهلي وأنا على تلك الحال، قال: فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها) ... الآية .  
وقال آخرون: معنى ذلك: حتى تؤنيسوا أهل البيت بالتنحج والتنخم وما أشبهه، حتى يعلموا أنكم تريدون الدخول عليهم .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد، في قوله (لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها) قال: حتى تنتحنحوا وتتنخموا .

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله .  
حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله (حتى تستأذنوا) قال: حتى تجسسوا وتسلموا .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله (حتى تستأذنوا) قال: تتحنحوا وتتنخموا .

قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: سمعت عطاء بن أبي رباح يخبر عن ابن عباس، قال: ثلاث آيات قد جحدهن الناس، قال الله (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) قال: ويقولون: إن أكرمهم عند الله أعظمهم شأنا؛ قال: والإذن كله قد جحدته الناس، فقلت له أستأذن على أخواتي أيتام في حجري معي في بيت واحد؟ قال: نعم، فرددت على من حضرني، فأبى، قال: أتحب أن تراها عريانة، قلت: لا، قال: فاستأذن، فراجعته أيضا، قال: أتحب أن تطيع الله؟ قلت: نعم، قال: فاستأذن، فقال لي سعيد بن جبير: إنك لسُتردد عليه، قلت: أردت أن يرخص لي .

قال ابن جريج: وأخبرني ابن طاموس، عن أبيه، قال: مامن امرأة أكره إلى أن أرى، كأنه يقول عريتها أو عريانة، من ذات محرم، قال: وكان يشدد في ذلك .

قال ابن جريج، وقال عطاء بن أبي رباح: وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا، فواجب على الناس أجمعين إذا احتلموا أن يستأذنوا على من كان من الناس، قلت لعطاء: أوجب على الرجل أن يستأذن على أمه ومن وراءها من ذات قرابته؟ قال: نعم، قلت: أبير وجب؟ قال قوله (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا) .

قال ابن جريج: وأخبرني ابن زياد: أن صفوان مولى لبي زهرة، أخبره عن عطاء بن يسار «أن

(١) في ابن كثير فرددت عليه ليرخص لي، فأبى، فلمله تصحف عنه .



رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ قال: نَعَمْ، قال: إنها ليس لها خادم غيري، أَسْتَأْذِنُ عَلَيْهَا كُلَّمَا دَخَلْتُ؟ قال: أُتَحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً؟ قال الرجل: لا، قال: فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا .

قال ابن جرير عن الزهري، قال: سمعت هزيل بن شرحبيل الأودي الأعمى، أنه سمع ابن مسعود يقول: عليكم الإذن على أمهاتكم .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جرير، قال: قلت لعطاء: أَسْتَأْذِنُ الرَّجُلَ عَلَى امْرَأَتِهِ؟ قال: لا .

حدثنا الحسين، قال: ثنا محمد بن حازم، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن يحيى بن الجزار، عن ابن أخي زينب امرأة ابن مسعود، عن زينب قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانهى إلى الباب، تنحنح وبزق، كراهة أن يهتجم منا على أمر يكرهه .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأذنوا) قال: الاستئناس: التنحنح والتجرس، حتى يعرفوا أن قد جاءهم أحد، قال: والتجرس: كلامه وتنحنحه .

والصواب من القول في ذلك عندى: أن يقال: إن الاستئناس: الاستفعال من الأنس، وهو أن يستأذن أهل البيت في الدخول عليهم، فبذلك من فيه، وهل فيه أحد؟ وليؤذنبهم أنه داخل عليهم، فليأنس إلى إذنبهم له في ذلك، ويأنسوا إلى استئذانه إياهم. وقد حكى عن العرب سماعا: اذهب فاستأنس، هل ترى أحدا في الدار؟ بمعنى: انظر هل ترى فيها أحدا؟ .

فتأويل الكلام إذن، إذا كان ذلك معناه: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تسلموا وتستأذنوا، وذلك أن يقول أحدكم: السلام عليكم، أدخل؟ وهو من المقدم الذي معناه التأخير إنما هو حتى تسلموا وتستأذنوا، كما ذكرنا من الرواية، عن ابن عباس .

وقوله (ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ) يقول: استئناسكم وتسليمكم على أهل البيت الذي تريدون دخوله، فإن دخولكموه خير لكم، لأنكم لا تدرون أنكم إذا دخلتموه بغير إذن، على ماذا تهجمون؟ على ما يسوءكم أو يسركم؟ وأنتم إذا دخلتم بإذن، لم تدخلوا على ما تكرهون، وأذيتهم بذلك أيضا حق الله عليكم في الاستئذان والسلام. وقوله (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) يقول: لتذكروا بفعلكم ذلك أو الله عليكم، واللازم لكم من طاعته، فتطيعوه .

القول في تأويل قوله تعالى

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا، هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨)

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : ثنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا إسرائيل ، قال : أخبرنا سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( وَالَّذِينَ يَبُوتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) قال : يفعلون ما يفعلون وهم يعلمون أنهم صاترون إلى الموت ، وهي من المبشرات .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( يَبُوتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) قال : يُعْطُونَ مَا أُعْطُوا ، ويعملون ما عملوا من خير ، وقلوبهم وجلة خائفة .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا علي ، قال : ثنا معاوية ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالَّذِينَ يَبُوتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) يقول : يعملون خائفين .

قال : حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالَّذِينَ يَبُوتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) قال : يعطون ما أعطوا فرقا من الله ، ووجلا من الله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( يَبُوتُونَ مَا آتَوْا ) ينفقون ما أنفقوا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( يَبُوتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) قال : يعطون ما أعطوا ، وينفقون ما أنفقوا ، ويتصدقون بما تصدقوا وقلوبهم وجلة ، اتقاء لسخط الله والنار . وعلى هذه القراءة ، أعنى على ( وَالَّذِينَ يَبُوتُونَ مَا آتَوْا ) قراءة الأمصار ، وبه رسوم مصاحفهم وبه نقرأ ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، ووفاه خط مصاحف المسلمين .

وروى عن عائشة رضي الله عنها في ذلك ، ما حدثناه أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا علي ابن ثابت ، عن طلحة بن عمر ، عن أبي خلف ، قال : دخلت مع عبيد بن عمير على عائشة ، فسألها عبيد ، كيف نقرأ هذا الحرف ( وَالَّذِينَ يَبُوتُونَ مَا آتَوْا ) فقالت : ( يَبُوتُونَ مَا آتَوْا ) ، وكأنها تأولت في ذلك والذين يفعلون ما يفعلون من الخيرات وهم وجلون من الله .

وكانها تأولت في ذلك : والذين يفعلون ما يفعلون من الخيرات وهم وجلون من الله ، كالذي حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمر بن قيس ، عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب الهمداني ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، قال : قالت عائشة : « يا رسول الله ( وَالَّذِينَ يَبُوتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) هو الذي يذنب الذنب وهو وجل منه ؟ فقال : لا ، ولكن من يصوم ويصلي ويتصدق وهو وجل » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن مالك بن ميعول ، عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب ، أن عائشة قالت : قلت : « يا رسول الله ( الَّذِينَ يَبُوتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) أهم الذين يذنبون وهم مشفقون ، ويصومون وهم مشفقون ؟ »

(١) لعل فيه سقطا ، والأصل : قال لا ولكن الذين يصلون وهم مشفقون ، ويصومون الخ ، كما يتضح من حديث عائشة الآتي بعد .



حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا ليث ، عن مغيث ، عن رجل من أهل مكة ، عن عائشة ، قالت : قلت : يا رسول الله ( الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) قال : فذكر مثل هذا :

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن مالك بن مغول ، عن عبد الرحمن بن سعيد ، عن عائشة أنها قالت : « يا رسول الله ( الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال : لا يا بنة أبي بكر ، أو يا بنة الصديق ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ ، وَيَخَافُ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا جرير ، عن ليث بن أبي سليم ، وهشيم عن العوام بن حوشب جميعا ، عن عائشة ، أنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا بنة أبي بكر ، أو يا بنة الصديق ، هُمُ الَّذِينَ يُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ » . وأن من قوله ( أَلَّهِمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ) : في موضع نصب ، لأن معنى الكلام ( وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) من أنهم ، فلما حذف « مِنْ » اتصل الكلام قبلها ، فنصبت . وكان بعضهم يقول : هو في موضع خفض ، وإن لم يكن الخافض ظاهرا .

وقوله ( أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين هذه الصفات صفاتهم ، يبادرون في الأعمال الصالحة ، ويطلبون الزلفة عند الله بطاعته . كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ) قال : والخيرات : الخافة والوجل والإيمان ، والكف عن الشرك بالله ، فذلك المسابقة إلى هذه الخيرات ، وقوله ( وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ) كان بعضهم يقول : معناه : سبقت لهم من الله السعادة ، فذلك سبقهم الخيرات التي يعملونها .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ) يقول : سبقت لهم السعادة . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ) ، فتلك الخيرات .

وكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى : وهم إليها سابقون . وتأوله آخرون : وهم من أجلها سابقون . وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب : القول الذي قاله ابن عباس ، من أنه سبقت لهم من الله السعادة ، قبل مسارعهم في الخيرات ، ولما سبق لهم من ذلك سارعوا فيها . وإنما قلت ذلك أولى التأويلين بالكلام ، لأن ذلك أظهر معنييه ، وأنه لاجابة بنا إذا وجهنا تأويل الكلام إلى ذلك ، إلى تحويل معنى اللام التي في قوله ( وَهُمْ لَهَا ) إلى غير معناها الأغلب عليها .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ، وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ (٦٢)

يقول تعالى ذكره : ولا نكلف نفسا إلا ما يسعها ، ويصلح لها من العبادة ، ولذلك كلفناها ما كلفناها من معرفة وحدانية الله ، وشرعنا لها ما شرعنا من الشرائع ( وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ ) يقول : وعندنا كتاب أعمال الخلق ، بما عملوا من خير وشر ( يَنْطِقُ بِالْحَقِّ ) وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ ) يقول : يبين بالصدق عما عملوا من عمل في الدنيا ، لازيادة عليه ولا نقصان ، ونحن موفو جميعهم أجورهم ، المحسن منهم بإحسانه ، والمسيء بإساءته ( وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ ) يقول : وهم لا يظلمون ، بأن يزداد على سيئات المسيء منهم ما لم يعمله ، فيعاقب على غير جرمه ، وينقص المحسن عما عمل من إحسانه ، فينقص عما له من الثواب .

## القول في تأويل قوله تعالى

بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا، وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ (٦٣)

يقول تعالى ذكره : ما الأمر كما يحسب هؤلاء المشركون ، من أن إمدادناهم بما نمدّهم به من مال وبينين ، بخير نسوقه بذلك إليهم ، والرضا منا عنهم ، ولكن قلوبهم في غمرة عمى عن هذا القرآن . وعنى بالغمرة : ما غمر قلوبهم ، فغطاها عن فهم ما أودع الله كتابه من المواعظ والعبر والحجج . وعنى بقوله ( مِّنْ هَذَا ) من القرآن . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا ) قال : في عمى من هذا القرآن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله ( فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا ) قال : من القرآن :

وقوله ( وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ) يقول تعالى ذكره : ول هؤلاء الكفار أعمال لا يرضاها الله من المعاصي : من دون ذلك : يقول : من دون أعمال أهل الإيمان بالله ، وأهل التقوى والخشية له .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ( وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ) قال : الخطايا :



حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَكُلُّكُمْ أَعْمَالُ مِمَّنْ دُونَ ذَلِكَ ) قال : الحق . حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَكُلُّكُمْ أَعْمَالُ مِمَّنْ دُونَ ذَلِكَ ) قال : خطايا من دون ذلك الحق .

قال : ثنا حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، في قوله ( وَكُلُّكُمْ أَعْمَالُ مِمَّنْ دُونَ ذَلِكَ ) . . . الآية ، قال : أعمال دُونَ الحق .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : ذكر الله الذين هم من خشية ربهم مشفقون ، والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة ، ثم قال للكفار ( بَلْ قَلُّوا بِهِمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا ، وَكُلُّكُمْ أَعْمَالُ مِمَّنْ دُونَ ذَلِكَ هُمْ كَلَّا عَامِلُونَ ) قال : من دون الأعمال التي منها قوله ( مِمَّنْ دُونَ ذَلِكَ هُمْ كَلَّا عَامِلُونَ ) والذين ، والذين .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن العلاء بن عبد الكريم ، عن مجاهد ، قال : أعمال لا بد لهم من أن يعملوها .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا زيد بن أبي الزرقاء ، عن حماد بن سلمة ، عن حميد ، قال : سألت الحسن عن قول الله ( وَكُلُّكُمْ أَعْمَالُ مِمَّنْ دُونَ ذَلِكَ هُمْ كَلَّا عَامِلُونَ ) قال : أعمال لم يعملوها سيعملونها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَكُلُّكُمْ أَعْمَالُ مِمَّنْ دُونَ ذَلِكَ هُمْ كَلَّا عَامِلُونَ ) قال : لم يكن له بد من أن يستوفي بقية عمله ، ويصلي به .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن العلاء بن عبد الكريم ، عن مجاهد ، في قوله ( وَكُلُّكُمْ أَعْمَالُ مِمَّنْ دُونَ ذَلِكَ هُمْ كَلَّا عَامِلُونَ ) قال : أعمال لا بد لهم من أن يعملوها .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن العلاء بن عبد الكريم ، عن مجاهد ، في قول الله تبارك وتعالى ( وَكُلُّكُمْ أَعْمَالُ مِمَّنْ دُونَ ذَلِكَ ) قال : أعمال لا بد لهم من أن يعملوها .

#### القول في تأويل قوله تعالى

حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ ، إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ (٦٤) لَا تَجْتَرُوا يَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصَرُونَ (٦٥)

يقول تعالى ذكره : ولؤلؤ الكفار من قريش أعمال من دون ذلك هم لها عاملون ، إلى أن يؤخذ أهل النعمة والبطر منهم بالعذاب .

كما حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ )

قال: المُسْتَرْفُونَ: العظماء ( إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ) يقول: فإذا أخذناهم به جأروا ، يقول: ضجروا واستغاثوا مما حلّ بهم من عذابنا ، ولعلّ الجوار: رفع الصوت ، كما يجأر الثور ، ومنه قول الأعشى:

يُرَاوِحُ مِِنْ صَلَوَاتِ الْمَلِيكِ طَوْرًا مُجْبُودًا وَطَوْرًا جَوَارًا

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال: ثنا عبد الله ، قال: ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ) يقول: يستغيثون .

حدثنا ابن بشار ، قال: ثنا يحيى وعبد الرحمن ، قالا: ثنا سفيان ، عن علقمة بن قردد ، عن مجاهد ، في قوله ( حتى إذا أخذنا مسترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون ) قال: بالسيوف يوم بدر .

حدثنا القاسم ، قال: ثنا الحسين ، قال: ثنى حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، في قوله ( إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ) قال: يجزعون .

قال: ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( حتى إذا أخذنا مسترفيهم بالعذاب ) قال: عذاب يوم بدر ( إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ) قال: الذين بمكة .

حدثت عن الحسين ، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد ، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ( حتى إذا أخذنا مسترفيهم بالعذاب ) يعني أهل بدر ، أخذهم الله بالعذاب يوم بدر .

حدثني يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: سمعت ابن زيد يقول في قوله ( إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ) قال: يجزعون .

وقوله ( لا تجأروا اليوم ) يقول: لا تنضجوا وتستغيثوا اليوم وقد نزل بكم العذاب الذي لا يدفع عن الذين ظلموا أنفسهم ، فإن ضجيجكم غير نافعكم ، ولا دافع عنكم شيئاً مما قد نزل بكم من سخط الله ، ( إنكم منّا لا تنصرون ) يقول: إنكم من عذابنا الذي قد حلّ بكم لا تستنقذون ، ولا يخلصكم منه شيء .

وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال: ثنا الحسين ، قال: ثنى حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ( لا تجأروا اليوم ) : لا تجزعوا اليوم .

(١) البيت للأعشى (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٥٣) وهو من قصيدة يمدح بها الأعشى قيس بن معديكرب . وراوح بين العمليين : يتداول هذا مرة ، وهذا مرة . والجوار : مصدر جأر إلى الله إذا تضرع ورفع صوته . يقول إن ممدوحه مع ما وصف به من كرم وقوة ووفاء ، تقى يراقب ربه ، ويتضرع إليه ويجأر في صلواته . واستشهد به المؤلف على أن الجوار : رفع الصوت كما يجأر الثور .



حدثني يونس ، قال : أخبرنا الربيع بن أنس ( لا تَجْمَأُ رُؤَا الْيَوْمَ ) لا تجزعوا الآن حين نزل بكم العذاب ، إنه لا ينفعكم ، فلو كان هذا الجزع قبل نفعكم .

القول في تأويل قوله تعالى

قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ، فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ  
بِهِ سَمِيرًا تَهْجُرُونَ (٦٧)

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش : لا تنصجوا اليوم وقد نزل بكم سخط الله وعذابه ، بما كسبت أيديكم ، واستوجبتموه بكفركم بآيات ربكم ( قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ) يعني : آيات كتاب الله ، يقول : كانت آيات كتابي تقرأ عليكم ، فتكذبون بها ، وترجعون مولين عنها إذا سمعتموها ، كراهية منكم لسماعها . وكذلك يقال لكل من رجع من حيث جاء : نكص فلان على عقبه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ) قال : تستأخرون .  
حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ) يقول : تدبرون .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ، فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ) يعني أهل مكة .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( تَنكِصُونَ ) قال : تستأخرون .  
وقوله ( مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ) يقول : مستكبرين بحرم الله ، يقولون : لا يظهر علينا فيه أحد ، لأننا أهل الحرم .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ) يقول : مستكبرين بحرم البيت أنه لا يظهر علينا فيه أحد .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ( مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ) قال : بمكة بالبلد .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هُوذَة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ( مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ) قال : مستكبرين بحرمي .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن حصين ، عن سعيد بن جبير ، في قوله : ( مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ) بالحرم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ) قال : مستكبرين بالحرم .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ) قال : بالحرم .

وقوله ( ساميراً ) يقول : تَسْمُرُونَ بالليل ، ووحد قوله ( ساميراً ) وهو بمعنى السَّمَار ، لأنه وضع موضع الوقت . ومعنى الكلام : وتهجرون ليلاً ، فوضع السامر موضع الليل ، فوحد لذلك . وقد كان بعض البصريين يقول : وَحَدَّ ومعناه الجمع ، كما قيل : طفل في موضع أطفال . ومما بين عن صحة ما قلنا في أنه وضع موضع الوقت ، فوحد لذلك ، قول الشاعر :

مِنْ دُونِهِمْ إِنْ جِئْتَهُمْ سَمْرًا عَزَفُ الْقِيَانِ وَجَلِيسٌ غَمْرًا

فقال : سمرا لأن معناه : إن جئتهم ليلاً وهم يسمرون ، وكذلك قوله ( ساميراً ) .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( ساميراً ) يقول : يَسْمُرُونَ حول البيت .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( ساميراً ) قال : مجلساً بالليل .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( ساميراً ) قال : مجلس .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن سعيد بن جبير ( ساميراً ) قال : تَسْمُرُونَ بالليل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( ساميراً ) قال : كانوا

(١) البيت لابن أحر الباهل : ( اللسان : سمر ) قال : قال ابن أحر ، وجعل السمر ليلاً : « من دونهم . . . البيت » أراد : إن جئتهم ليلاً ، وبهذا المعنى أورده المؤلف . والشطر الثاني من البيت في رواية اللسان مختلف عنه في رواية المؤلف ، في اللسان « حتى حلال للمم عكر » . والحى الحلال : يريد الجماعة النازلين على الماء أو نحوه . والملم : كثير مجتمع . وكذلك العكر . والمجلس الغمر : الجماعة الكثيرة ، يجتمعون للحديث والسمر .



يسمرون ليلتهم ويلعبون : يتكلمون بالشعر والكهانة وبما لا يدرون .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( ساميراً ) قال : يعني ستمر الليل .

وقال بعضهم في ذلك ما حدثنا به ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( ساميراً ) يقول : سامرا من أهل الحرم ، آمننا لا يخاف ، كانوا يقولون : نحن أهل الحرم ، لا يخافون .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ( ساميراً ) يقول : سامرا من أهل مكة آمننا لا يخاف ، قال : كانوا يقولون : نحن أهل الحرم لا نخاف .

وقوله ( تَهْجُرُونَ ) اختلفت القراء في قراءته ، فقرأته عامة قراء الأمصار ( تَهْجُرُونَ ) بفتح التاء وضم الجيم . ولقراءة من قرأ ذلك كذلك وجهان من المعنى : أحدهما أن يكون عنى أنه وصفهم بالإعراض عن القرآن أو البيت ، أو رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفضه . والآخر : أن يكون عنى أنهم يقولون شيئاً من القول كما يهجر الرجل في منامه ، وذلك إذا هدأ ، فكأنه وصفهم بأنهم يقولون في القرآن ، ما لا معنى له من القول ، وذلك أن يقولوا فيه باطلاً من القول الذي لا يضره ، وقد جاء بكلا القولين التأويل من أهل التأويل .

ذكر من قال : كانوا يُعْرِضُونَ عن ذكر الله والحقّ ويهجرونه

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( تَهْجُرُونَ ) قال : يهجرُونَ ذكر الله والحقّ .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن السدي ، عن أبي صالح ، في قوله ( ساميراً تَهْجُرُونَ ) قال : السبّ .

ذكر من قال : كانوا يقولون الباطل والسيئ من القول في القرآن

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن سعيد بن جبيرة ( تَهْجُرُونَ ) قال : يهجرُونَ في الباطل .

قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن حصين ، عن سعيد بن جبيرة ( ساميراً تَهْجُرُونَ ) قال : يسمرون بالليل يخوضون في الباطل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( تَهْجُرُونَ ) قال : بالقول السيئ في القرآن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( تَهْجُرُونَ ) قال : الهديان الذي يتكلم بما لا يريد ولا يعقل ، كالمريض الذي يتكلم بما لا يدري ، قال : كان أبي يقرأها ( ساميراً تَهْجُرُونَ ) .

وقرأ ذلك آخرون ( ساميراً تَهْجُرُونَ ) بضم التاء وكسر الجيم ، وممن قرأ ذلك كذلك من قراء

الأمصار : نافع بن أبي نعيم ، بمعنى : يُفحشون في المنطق ، ويقولون الحننا ، من قولهم : أهجر الرجل : إذا أفحش في القول ، وذكر أنهم كانوا يسبُّون رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( تُهَجِرُونَ ) قال : تقولون هُجْرًا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، عن أبي تهبك ، عن عكرمة ، أنه قرأ ( ساميرًا تهجيرُونَ ) : أي تسبون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوزة ، قال : ثنا عون ، عن الحسن ، في قوله ( ساميرًا تهجيرُونَ ) رسول .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال الحسن ( تهجيرُونَ ) رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ( تهجيرُونَ ) يقول : يقولون سوءا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : قال الحسن ( تهجيرُونَ ) كتاب الله ورسوله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( تهجيرُونَ ) يقول : يقولون المنكر والحننا من القول ، كذلك هجر القول .

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا : القراءة التي عليها قرأ الأمصار ، وهي فتح التاء ، وضم الجيم ، لإجماع الحجة من القراء .

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (٦٩) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ ، وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَرَهُونَ (٧٠)

يقول تعالى ذكره : أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تنزيل الله وكلامه ، فيعلموا ما فيه من العبر ، ويعرفوا حجج الله التي احتج بها عليهم فيه ؟ ( أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ) ؟ يقول : أم جاءهم أمر ما لم يأت من قبلهم من أسلافهم ، فاستكبروا ذلك وأعرضوا ، فقد جاءت الرسل من قبلهم ، وأنزلت معهم الكتب ، وقد يحتمل أن تكون « أم » في هذا الموضع بمعنى : بل ، فيكون تأويل الكلام : أفلم يدبّروا القول ؟ بل جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ، فتركوا لذلك التدبر ، وأعرضوا عنه ، إذ لم يكن فيمن سلف من آباؤهم ذلك . وقد ذكر عن ابن عباس في نحو هذا القول .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله ( أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ) قال : لعمرى لقد جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ، ولكن أو لم يأتهم ما لم يأت آباءهم الأولين .  
وقوله ( أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ ) يقول تعالى ذكره : أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا هؤلاء المكذَّبون محمدا ، وأنه من أهل الصدق والأمانة ، فهم له منكرون ، يقول : فينكروا قوله ، أو لم يعرفوه بالصدق ، ويحتجوا بأنهم لا يعرفونه ، يقول جل ثناؤه : فكيف يُكذِّبونه وهم يعرفونه فيهم بالصدق والأمانة ! ( أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ) يقول : أيقولون بمحمد جنون ، فهو يتكلم بما لا معنى له ولا يفهم ، ولا يدري ما يقول ( بَلْ جَاءَهُمُ الْحَقُّ بِالْحَقِّ ) يقول تعالى ذكره : فإن يقولوا ذلك فكذِّبهم في قبيلهم ذلك واضح بين ، وذلك أن المجنون يهذي ، فيأتي من الكلام بما لا معنى له ، ولا يعقل ، ولا يفهم ، والذي جاءهم به محمد هو الحكمة التي لا أحكم منها ، والحق الذي لا تخفى صحته على ذى فطرة صحيحة ، فكيف يجوز أن يقال : هو كلام مجنون . وقوله ( وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ) يقول تعالى ذكره : ما بهؤلاء الكفرة أنهم لم يعرفوا محمدا بالصدق ، ولا أن محمدا عندهم مجنون ، بل قد علموه صادقا محقا فيما يقول ، وفيما يدعوهم إليه ، ولكن أكثرهم للإذعان للحق كارهون ، ولاتباع محمد ساخطون ، حسدا منهم له ، وبغيا عليه ، واستكبارا في الأرض .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ؛ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ ، فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (٧١)

يقول تعالى ذكره : ولو عمل الرب تعالى ذكره بما يهوى هؤلاء المشركون ، وأجرى التدبير على مشيئتهم وإرادتهم ، وترك الحق الذي هم له كارهون ، لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ، وذلك أنهم لا يعرفون عواقب الأمور ، والصحيح من التدبير والفاسد ؛ فلو كانت الأمور جارية على مشيئتهم وأهوائهم ، مع إيثار أكثرهم الباطل على الحق ، لم تقر السموات والأرض ومن فيهن من خلق الله ، لأن ذلك قام بالحق .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا السدي ، عن أبي صالح ( وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ ) قال : الله .

قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ( وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ ) قال : الحق : هو الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ ) قال : الحق : الله .

وقوله ( بَلْ أَتَيْنَاهُمُ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عِنْدَ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ) اختلف أهل التأويل في تأويل الذكر في هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو بيان الحق لهم بما أنزل على رجل منهم من هذا القرآن .  
ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( بَلْ أَتَيْنَاهُمُ بِذِكْرِهِمْ ) يقول : بينا لهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بل أتيناهم بشرّ فهم ، وذلك أن هذا القرآن كان شرّفا لهم ، لأنه نزل على رجل منهم ، فأعرضوا عنه ، وكفروا به ، وقالوا ذلك نظير قوله ( وَإِنَّهُ لَدِكْرٌ لَّكَ وَلِيقَوْمِكَ ) وهذان القولان متقاربا المعنى . وذلك أن الله جلّ ثناؤه ، أنزل هذا القرآن بيانا بين فيه ما خلّقه إليه الحاجة من أمر دينهم ، وهو مع ذلك ذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم وقومه ، وشرّف لهم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجُ رَبِّكَ خَيْرٌ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٧٢) وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ (٧٣)

يقول تعالى ذكره : أم تسأل هؤلاء المشركين يا محمد من قومك خراجا ، يعني أجرا على ما جنّتهم به من عند الله من النصيحة والحقّ ( فَخَرَجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ) : فأجر ربك على نفاذك لأمره ، وابتغاء مرضاته خير لك من ذلك ، ولم يسألهم صلى الله عليه وسلم على ما أتاهم به من عند الله أجرا ، قال لهم كما قال الله له ، وأمره بقبيله لهم ( قُلْ لَأَسْأَلَنَّكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ) وإنما معنى الكلام : أم تسألهم على ما جنّتهم به أجرا ، فنكصوا على أعقابهم إذا تلوتّه عليهم ، مستكبرين بالحرم ، فخرج ربك خير .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ( أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ) قال : أجرا .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن الحسن ، مثله ، وأصل الخراج والخرج : مصدران لا يجتمعان .

وقوله ( وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ) يقول : والله خير من أعطى عوضا على عمل ، ورزق رزقا .



وقوله ( وَإِنَّكَ لَتَتَدَعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) يقول تعالى ذكره : وإنك يا محمد لتدعو هؤلاء المشركين من قومك إلى دين الإسلام ، وهو الطريق القاصد ، والصراط المستقيم ، الذي لا اعوجاج فيه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَسَكَبُونَ (٧٤) وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُؤُا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٥)

يقول تعالى ذكره : والذين لا يصدقون بالبعث بعد الممات ، وقيام الساعة ، وبجازاة الله عباده في الدار الآخرة ( عَنِ الصِّرَاطِ لَنَسَكَبُونَ ) يقول : عن حجة الحق ، وقصد السبيل ، وذلك دين الله الذي ارتضاه لعباده ، لعادلون ، يقال منه : قد نكب فلان عن كذا : إذا عدل عنه ، ونكَّب عنه : أى عدل عنه .  
وبنحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، في قوله ( عَنِ الصِّرَاطِ لَنَسَكَبُونَ ) قال : لعادلون .  
حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَسَكَبُونَ ) يقول : عن الحق عادلون .  
وقوله ( وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ ) يقول تعالى : ولو رحمتنا هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة ، ورفعنا عنهم ما بهم من القحط والجذب ، وضرب الجوع والهزال . ( كَلَجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ ) يعنى في عتوهم ، وجرأتهم على ربهم . ( يَعْمَهُونَ ) يعنى : يترددون .  
كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ ) قال : الجوع .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٩)

يقول تعالى ذكره : ولقد أخذنا هؤلاء المشركين بعذابنا ، وأنزلنا بهم بأسنا ، وسخطنا وضيقنا عليهم معاشهم ، وأجدبنا بلادهم ، وقتلنا سراهم بالسيف . ( فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ ) يقول : فما خضعوا لربهم ، فينقادوا لأمره ونهيه ، وينيبوا إلى طاعته ( وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ) يقول : وما يتذللون له .  
وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخذ الله قريشا بسنى الجذب ، إذ دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

## ذكر الخبر بذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن الحسن ، عن يزيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : جاء أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، أتشدك الله والرحم ، فقد أكلنا العليهيز ، يعني الوبر والدم ، فأنزل الله : ( وَلَقَدْ أَخَذْنَا لَهُمْ بِالْعَذَابِ ، فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ ، وَمَا يَنْتَصِرُونَ ) .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، عن عيلباء بن أحر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن ابن أثال الخنفي «لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو أسير ، فخلى سبيله ، فلحق بمكة ، فحال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة ، حتى أكلت قریش العليهيز ، فجاء أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أليس تزعم بأنك بعثت رحمة للعالمين ؟ فقال : بلى ، فقال : قد قتلت الآباء بالسيف ، والأبناء بالجوع ، فأنزل الله ( وَلَقَدْ أَخَذْنَا لَهُمْ بِالْعَذَابِ ) ... الآية » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : أخبرنا عمرو ، قال : قال الحسن : إذا أصاب الناس من قبل الشيطان بلاء ، وإنما هي نعمة ، فلا تستقبلوا نعمة الله بالحمية ، ولكن استقبلوها بالاستغفار ، وتضرعوا إلى الله ، وقرأ هذه الآية ( وَلَقَدْ أَخَذْنَا لَهُمْ بِالْعَذَابِ ، فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ ، وَمَا يَنْتَصِرُونَ ) .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَلَقَدْ أَخَذْنَا لَهُمْ بِالْعَذَابِ ) قال : الجوع والجدب ( فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ ) فصبروا ( وَمَا يَنْتَصِرُونَ ) .

## القول في تأويل قوله تعالى

حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٧)

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : حتى إذا فتحنا عليهم باب القتال ، فقتلوا يوم بدر .

## ذكر من قال ذلك

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود بن أبي هند ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، في قوله ( حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ) قد مضى ، كان يوم بدر .  
حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس مثله .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ) قال : يوم بدر .

وقال آخرون : معناه : حتى إذا فتحنا عليهم باب المجاعة والضر ، وهو الباب ذو العذاب الشديد .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن



قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ) قال : لكفار قريش الجوع ، وما قبلها من القصة لهم أيضا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : وما قبلها أيضا . وهذا القول الذي قاله مجاهد : أولى بتأويل الآية ، لصحة الخبر الذي ذكرناه قبل عن ابن عباس ، أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في قصة المجاعة التي أصابت قريشا ، بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ، وأمر ثمامة بن أثال ، وذلك لاشك أنه كان بعد وقعة بدر .  
وقوله ( إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِِسُونَ ) يقول : إذا هؤلاء المشركون فيما فتحنا عليهم من العذاب حَزَنَاتِي ، نادمون على ما سلف منهم في تكذيبهم بآيات الله ، في حين لا ينفعهم الندم والحزن .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ، قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٧٨)

يقول تعالى ذكره : والله الذي أحدث لكم أيها المكذبون بالبعث بعد الممات ، السمع الذي تسمعون به ، والأبصار التي تبصرون بها ، والأفئدة التي تفقهون بها ، فكيف يتعذّر على من أنشأ ذلك ابتداء عاقبته بعد عدمه وفقده ، وهو الذي يوجد ذلك كله إذا شاء ، ويفنيه إذا أراد قليلا ما تشكرون ، يقول : تشكرون أيها المكذبون خبر الله من عطائكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ، وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٩)

يقول تعالى ذكره : والله الذي خلقكم في الأرض ، وإليه تُحْشَرُونَ من بعد مماتكم ، ثم تُبعثون من قبوركم إلى موقف الحساب .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟ (٨٠)

يقول تعالى ذكره : والله الذي يحيي خلقه : يقول : يجعلهم أحياء بعد أن كانوا نُطْفًا أمواتا ، بنفخ الروح فيها بعد التارات التي تأتي عليها ، ويميت : يقول : ويميتهم بعد أن أحياهم ( وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ) يقول : وهو الذي جعل الليل والنهار مختلفين ، كما يقال في الكلام : لك المنّ والفضل ، بمعنى : إنك تَمُنُّ وتُفْضِلُ . وقوله ( أَفَلَا تَعْقِلُونَ ) يقول : أفلا تعقلون أيها الناس أن الذي فعل هذه الأفعال ابتداء من غير أصل ، لا يمتنع عليه إحياء الأموات بعد فنائهم ، وإنشاء ما شاء إعدامه بعد إنشائه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالِ الْأَوَّلُونَ (٨١) قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءَن نَّالْمُبْعُوثُونَ ؟ (٨٢)

يقول تعالى ذكره : ما اعتبر هؤلاء المشركون بآيات الله ، ولا تدبّروا ما احتجّ عليهم من الحجج والدلالة على قدرته ، على فعل كل ما يشاء ، ولكن قالوا مثل ما قال أسلافهم ، من الأمم المكذبة رسلها قبلهم ، ( قالوا أئذا ميتنا وكنتنا ترابا وعظاما ) يقول : أئذا متنا ، وعدنا ترابا ، قد بليت أجسامنا ، وبرأت عظامنا من لحومنا ( أئتنا لمبعوثون ) يقول : إنا لمبعوثون من قبورنا أحياء ، كهيتتنا قبل الممات ؟ إن هذا لشيء غير كائن .

## القول في تأويل قوله تعالى

لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ ، إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ (٨٣)

يقول تعالى ذكره : قالوا : لقد وعدنا هذا الوعد الذي تعدنا يا محمد ، ووعد آباءنا من قبلنا قوم ذكروا أنهم لله رسل من قبلك ، فلم نره حقيقة أن هذا يقول : ما هذا الذي تعدنا من البعث بعد الممات ( إلا أساطير الأولين ) يقول : ماسطره الأولون في كتبهم ، من الأحاديث والأخبار التي لاصحة لها ولا حقيقة .

## القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ؟ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ؟ (٨٥)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء المكذبين بالآخرة من قومك : لمن ملك الأرض ومن فيها من الخلق ، إن كنتم تعلمون من مالكتها ، ثم أعلمه أنهم سيقرون بأنها لله ملكا ، دون سائر الأشياء غيره ( قل أفلا تذكرون ) يقول : فقل لهم إذا أجابوك بذلك كذلك أفلا تذكرون ، فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء ، فهو قادر على إحيائهم بعد مماتهم ، وإعادتهم خلقا سويا بعد فنائهم .

## القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ؟ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ؟ (٨٧)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم يا محمد ، من رب السموات السبع ، ورب العرش المحيط بذلك ؟ سيقولون ذلك كله لله ، وهو ربه ، فقل لهم : أفلا تتقون عقابه على كفركم به ، وتكذيبكم خبره وخبر رسوله ؟

وقد اختلفت القراء في قراءة قوله ( سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ) فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق والشام : ( سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ) سوى أبي عمرو ، فإنه خالفهم فقرأه ( سَيَقُولُونَ اللَّهُ ) في هذا الموضع ، وفي الآخر الذي بعده ، اتباعا لخط المصحف ، فإن ذلك كذلك في مصاحف الأمصار ، إلا في مصحف أهل البصرة ،



فإنه في الموضوعين بالألف ، فقرعوا بالألف كلَّها اتباعا لخط مصحفهم ، فأما الذين قرعوه بالألف فلا مؤنة في قراءتهم ذلك كذلك ، لأنهم أجروا الجواب على الابتداء ، وردوا مرفوعا على مرفوع . وذلك أن معنى الكلام على قراءتهم : قل من رب السموات السبع ، ورب العرش العظيم ، سيقولون رب ذلك الله ، فلا مؤنة في قراءة ذلك كذلك . وأما الذين قرعوا ذلك في هذا والذي يليه بغير ألف ، فإنهم قالوا : معنى قوله قل من رب السموات : لمن السموات ، لمن ملك ذلك ؟ فجعل الجواب على المعنى ، فقيل : الله ، لأن المسألة عن ملك ذلك لمن هو ؟ قالوا : وذلك نظير قول قائل لرجل : من مولاك ؟ فيجيب الجيب عن معنى ما سئل ، فيقول : أنا لفلان ، لأنه مفهوم بذلك من الجواب ، ما هو مفهوم بقوله : مولاى فلان . وكان بعضهم يذكر أن بعض بنى عامر أنشده :

وَأَعْلَمُ أَنِّي سَأَكُونُ رَمْسًا إِذَا سَارَ النَّوَاجِعُ لَايَسِيرُ  
فَقَالَ السَّائِلُونَ لِمَنْ حَقَّرْتُمْ فَقَالَ الْمُخْبِرُونَ كَلَّمُ : وَزِيرًا

فأجاب المنخفض بمرفوع ، لأن معنى الكلام : فقال السائلون : من الميت ؟ فقال المخبرون : الميت وزير . فأجابوا عن المعنى دون اللفظ .

والصواب من القراءة في ذلك أنهما قراءتان قد قرأ بهما علماء من القراء ، متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب ، غير أنى مع ذلك أختار قراءة جميع ذلك بغير ألف ، لإجماع خطوط مصاحف الأمصار على ذلك ، سوى خط مصحف أهل البصرة .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ؟ (٨٨)  
سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ؛ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد من بيده خزائن كل شيء .  
كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ) قال : خزائن كل شيء .

(١) البيتان ما أنشده الفراء عن بعض بنى عامر ، في كتابه معاني القرآن (الورقة ٢١٦ من مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩) قال الفراء : وقوله « قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله » هذه مسألة فيها ؛ لأنه قد استفهم بلام ، فرجعت في خبر المستفهم . وأما الأخريان ، فإن أهل المدينة وعامة أهل الكوفة يقرونهما كقراءة أبي كذلك : لله ، لله ، لله ، ثلاثين . وأهل البصرة يقرؤون الأخيرين الله ، الله ، وهو في العربية أبين ، لأنه مردود مرفوع ؛ ألا ترى أن قوله « قل من رب السموات » مرفوع ، لاخفص فيه ، فجرى جوابه على مبتدأ به ، وكذلك هي في قراءة عبد الله . والعلة في إدخال اللام في الأخيرين في قول أبي وأصحابه : أنك لو قلت لرجل : من مولاك ؟ فقال : أنا لفلان ، كفاك من أن يقول : مولاى فلان ، فلما كان المعنيان واحدا ، جرى ذلك في كلامهم ؛ أنشدني بعض بنى عامر « وأعلم أنني سأكون رمسا . . . البيتين . فرفع . أراد : الميت وزير . والنواجع : جمع ناجعة ، وهي الجماعة تترك منازلها في طلب الكلاء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن مجاهد ، في قول الله ( قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ) قال : خزائن كل شيء .

وقوله ( وَهُوَ يُجِيرُ ) من أراد من قصده بسوء ( وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ) يقول : ولا أحد يمتنع من إرادته هو بسوء ، فيدفع عنه عذابه وعقابه ( إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) من ذلك صفة ، فإنهم يقولون : إن ملكوت كل شيء ، والقدرة على الأشياء كلها لله ، فقل لهم يا محمد ( فَأَنْتَى تُسْحَرُونَ ) يقولون : فن أي وجه تُصَرَّفون عن التصديق بآيات الله ، والإقرار بأخباره وأخبار رسوله ، والإيمان بأن الله القادر على كل ما يشاء ، وعلى بعثكم أحياء بعد مماتكم ، مع علمكم بما تقولون من عظيم سلطانه وقدرته .

وكان ابن عباس فيما ذكر عنه يقول في معنى قوله ( تُسْحَرُونَ ) ما حدثني به علي ، قال : ثنا عبد الله قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( فَأَنْتَى تُسْحَرُونَ ) يقول : تكذبون .

وقد بينت فيما مضى السحر : أنه تخييل الشيء إلى الناظر ، أنه على خلاف ما هو به من هيئته ، فذلك معنى قوله ( فَأَنْتَى تُسْحَرُونَ ) إنما معناه : فن أي وجه يُخَيَّلُ إليكم الكذب حقاً ، والفاسد صحيحاً ، فتصرفون عن الإقرار بالحق ، الذي يدعوكم إليه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٩٠) مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ، إِذْ لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ، وَلَمَّا بَغَضُنَا عَلَى بَعْضِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (٩١) عَلَّمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢)

يقول : ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون بالله ، من أن الملائكة بنات الله ، وأن الآلهة والأصنام آلهة دون الله ( بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ ) اليقين ، وهو الدين الذي ابتعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم ، وذلك الإسلام ، ولا يُعْبَدُ شيء سوى الله ، لأنه لا إله غيره ( وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ) يقول : وإن المشركين لكاذبون فيما يضيفون إلى الله ، ويَسْحَرُونَهُ من الولد والشريك . وقوله ( مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ) يقول تعالى ذكره : ما لله من ولد ، ولا كان معه في القديم ، ولا حين ابتدع الأشياء ، مَنْ تَصْلِحُ عِبَادَتُهُ ، ولو كان معه في القديم ، أو عند خلقه الأشياء ، مَنْ تَصْلِحُ عِبَادَتُهُ ( مِنْ إِلَهٍ ، إِذْ لَذَهَبَ ) يقول : إذن لا عززل كل إله منهم ( بِمَا خَلَقَ ) من شيء ، فانفرد به ، ولتغالبا ، فلعلنا بعضهم على بعض ، وغلب القوى منهم الضعيف ، لأن القوى لا يرضى أن يعلوه ضعيف ، والضعيف لا يصلح أن يكون إلهاً ، فسبحان الله ما أبلغها من حجة ، وأوجزها لمن عقل وتدبر ! وقوله ( إِذْ لَذَهَبَ ) جواب لحذوف ، وهو : لو كان معه إله إذن لذهب كل إله بما خلق ، اجتزى بدلالة ما ذكر عليه عنه . وقوله ( سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ) يقول تعالى ذكره تزيهاً لله عما يصفه به هؤلاء المشركون ، من أن له ولداً ، وعما قالوه ، من أن له شريكاً ، أو أن معه في القدم إلهاً يُعْبَدُ ، تبارك وتعالى .



وقوله (عالم الغيب والشهادة) يقول تعالى ذكره : هو عالم ما غاب عن خلقه من الأشياء ، فلم يَرَوْه ولم يشاهدوه ، وما رآوه وشاهدوه ، إنما هذا من الله خبير عن هؤلاء الذين قالوا من المشركين : اتخذ الله ولداً ، وعبدوا من دونه آلهة ، إنهم فيما يقولون ويفعلون مُبْطِلُونَ مَخْطُونَ ، فإنهم يقولون ما يقولون من قول في ذلك عن غير علم ، بل عن جهل منهم به ، وإن العالم بقديم الأمور وبخديتها ، وشاهدها وغائبها عنهم ، الله الذي لا يخفى عليه شيء ، فخبيره هو الحق دون خبرهم ، وقال : (عالم الغيب) فرجع على الابتداء ، بمعنى : هو عالم الغيب ، ولذلك دخلت الفاء في قوله (فَتَعَالَى) كما يقال : مررت بأخيك المحسن ، فأحسنت إليه ، فترفع المحسن إذا جعلت فأحسنت إليه بالفاء ، لأن معنى الكلام إذا كان كذلك : مررت بأخيك هو المحسن ، فأحسنت إليه . ولو جعل الكلام بالواو فقليل : وأحسنت إليه لم يكن وجه الكلام في المحسن إلا الخفض على النعت للأخ ، ولذلك لوجاء فتعالى بالواو ، كان وجه الكلام في عالم الغيب الخفض على الاتباع لإعراب اسم الله ، وكان يكون معنى الكلام : سبحان الله عالم الغيب والشهادة وتعالى ! فيكون قوله « وتعالى » حينئذ معطوفاً على سبحان الله ، وقد يجوز الخفض مع الفاء ، لأن العرب قد تبدى الكلام بالفاء ، كابتهائها بالواو ، وبالخفض كان يقرأ (عالم الغيب) في هذا الموضع أبو عمرو ، وعلى خلافه في ذلك قرآءة الأمصار .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : الرفع ، لمعنيين : أحدهما : إجماع الحجة من القرآء عليه ، والثاني : صحته في العربية .

وقوله (فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول تعالى ذكره : فارتفع الله وعلا عن شرك هؤلاء المشركين ، بوصفهم إياه بما يصفون .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرِيئُنِي مَا يُوعَدُونَ (٩٣) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٩٤) وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ (٩٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد : رب إن تُرِيئُنِي في هؤلاء المشركين ما تعدهم من عذابك ، فلا تهلكني بما تهلكهم به ، ونجني من عذابك وسخطك ، فلا تجعلني في القوم المشركين ولكن اجعلني ممن رضيت عنه من أوليائك . وقوله (فَلَا تَجْعَلْنِي) جواب لقوله : إِنَّمَا تُرِيئُنِي ، اعترض بينهما بالنداء ، ولو لم يكن قبله جزء لم يجوز ذلك في الكلام ، لا يقال : يا زيد فقم ، ولا يارب فاعفر ، لأن النداء مستأنف ، وكذلك الأمر بعده مستأنف ، لا تدخله الفاء والواو ، إلا أن يكون جواباً لكلام قبله . وقوله (وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ) يقول تعالى ذكره : وإنا يا محمد على أن نريك في هؤلاء المشركين ما نعدهم من تعجيل العذاب لهم ، لقادرون ، فلا يحزننك تكذيبهم إياك بما نعدهم به ، وإنما تؤخر ذلك ، ليلبغ الكتاب أجله .

القول في تأويل قوله تعالى

ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ، نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦) وَقُلْ رَبِّ اعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبَّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٩٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه : ادفع يا محمد بالحلقة التي هي أحسن ، وذلك الإغضاء والصفح عن جهلة المشركين ، والصبر على أذاهم ، وذلك أمره إياه قبل أمره بحرهم ، وعنى بالسيئة : أذى المشركين إياه وتكذيبهم له فيما أتاهم به من عند الله ، يقول له تعالى ذكره : اصبر على ماتلقى منهم في ذات الله . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله ( ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ) قال : أعرض عن أذاهم إياك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجزري ، عن مجاهد ( ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ) قال : هو السلام ، تُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقَيْتَهُ .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هُوْدَةَ ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قوله ( ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ) قال : والله لا يصيبها صاحبها حتى يكظم غيظا ، ويصفح عما يكره .

وقوله ( نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ) يقول تعالى ذكره : نحن أعلم بما يصفون الله به ، وينحسونه من الأكاذيب والفرية عليه ، وبما يقولون فيك من سوء ، ونحن مجازوهم على جميع ذلك ، فلا يحزنك ماتسمع منهم من قبيح القول .

وقوله ( وَقُلْ رَبِّ اعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وقل يا محمد رب أستجير بك من خسئ الشياطين وهمزاتها ، والهَمْزُ : هو الغَمْزُ ، ومن ذلك قيل للهمز في الكلام : همزة ، والهَمْزَاتُ جمع همزة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرني ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَقُلْ رَبِّ اعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ) قال : همزات الشياطين : خسئهم الناس ، فذلك همزاتهم .

وقوله ( وَأَعُوذُ بِكَ رَبَّ أَنْ يَحْضُرُونِ ) يقول : وقل أستجير بك رب أن يحضرون في أموري : كالذي حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأَعُوذُ بِكَ رَبَّ أَنْ يَحْضُرُونِ ) في شيء من أمري :

(١) في غريب القرآن للراغب الأصفهاني : ( همز ) : « الهمز كالعصر » وهو مناسب لقول المؤلف : خسئ الشياطين . لأن الخسئ :

هو عصر الرقبة وضغطها ، لينقطع النفس .



القول في تأويل قوله تعالى

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ؛ كَلَّا إِنهَا  
كَلِمَةٌ هَوَاقِفٌ لَهَا ، وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)

يقول تعالى ذكره : حتى إذا جاء أحد هؤلاء المشركين الموت ، وعين نزول أمر الله به ، قال لعظيم ما يعين مما يقدر عليه من عذاب ، الله تندما على ما فات ، وتلهفا على ما فرط فيه قبل ذلك من طاعة الله ، ومثله للإقالة ( رَبِّ ارْجِعُونِ ) إلى الدنيا ، فردوني إليها ( لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا ) يقول : كنى أعمل صالحا فيما تركت قبل اليوم من العمل ، فضيعته ، وفرطت فيه .  
وبنحو الذي قلنا فيه قال أهل التأويل :

ذكر من قال بذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي معشر ، قال : كان محمد بن كعب القرظي يقرأ علينا ( حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون ) قال محمد : إلى أي شيء يريد ؟ إلى أي شيء يرغب ؟ أجمع المال ، أو غرس الغراس ، أو بسني بنيان ، أو شق أنهار ؟ ثم يقول ( لعلني أعمل صالحا فيما تركت ) يقول الجبار : كلاً .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( رَبِّ ارْجِعُونِ ) قال : هذه في الحياة الدنيا ، ألا تراه يقول ( حتى إذا جاء أحدهم الموت ) قال : حين تنقطع الدنيا ، ويعاين الآخرة ، قبل أن يذوق الموت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة : « إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا : نرجعك إلى الدنيا ؟ فيقول : إلى دار المسوم والأحزان ، فيقول بئس قد ماني إلى الله ، وأما الكافر فيقال : نرجعك ؟ فيقول : لعلني أعمل صالحا فيما تركت » . . . الآية .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون ) : يعني أهل الشرك ، وقيل : رب ارجعون ، فابتدأ الكلام بخطاب الله تعالى ، ثم قيل : ارجعون ، فصار إلى خطاب الجماعة ، والله تعالى ذكره واحد . وإنما فعل ذلك كذلك ، لأن مسألة القوم الرد إلى الدنيا ، إنما كانت منهم للملائكة الذين يقبضون روحهم ، كما ذكر ابن جريج أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله . وإنما ابتدئ الكلام بخطاب الله جل ثناؤه ، لأنهم استغاثوا به ، ثم رجعوا إلى مسألة الملائكة الرجوع ، والرد إلى الدنيا .

وكان بعض نحويي الكوفة يقول : قيل ذلك كذلك ، لأنه مما جرى على وصف الله نفسه من قوله ( وَقَدْ خَلَقْتَنكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ) في غير مكان من القرآن ، فجرى هذا على ذلك .

وقوله (كَلَاً) يقول تعالى ذكره : ليس الأمر على ما قال هذا المشرك ، لن يُرْجَع إلى الدنيا ، ولن يُعاد إليها (لِأَنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا) يقول : هذه الكلمة ، وهو قوله (رَبِّ ارْجِعُونِ) كلمة هو قائلها : يقول : هذا المشرك هو قائلها .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (كَلَاً لِأَنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا) لا بد له أن يقولها (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ) يقول : ومن أمامهم حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع ، يعني إلى يوم يبعثون من قبورهم ، وذلك يوم القيامة ؛ والبرزخ والحاجز والمُهَلَّة متقاربات في المعنى . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) يقول : أجل إلى حين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ) قال : ما بعد الموت .

حدثني أبو حميد الحمصي أحمد بن المغيرة ، قال : ثنا أبو حنيفة شريح بن يزيد ، قال : ثنا أرتاة ، عن أبي يوسف ، قال : خرجت مع أبي أمامة في جنازة ، فلما وُضِعَتْ في لحدها ، قال أبو أمامة : هذا برزخ إلى يوم يُبْعَثُونَ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا مطر ، عن مجاهد ، قوله (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) قال : ما بين الموت إلى البعث .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) قال : حجاب بين الميت والرجوع إلى الدنيا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) قال : برزخ بقية الدنيا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) قال : البرزخ ما بين الموت إلى البعث .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : البرزخ : ما بين الدنيا والآخرة .



القول في تأويل قوله تعالى

فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١)

اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ ) من النفختين أيتهما عني بها ، فقال بعضهم : عني بها النفخة الأولى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، قال : ثنا عمرو بن مطرف ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، أن رجلا أتى ابن عباس فقال : سمعت الله يقول ( فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ) . . . الآية . وقال في آية أخرى ( وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ) فقال : أما قوله ( فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ) فذلك في النفخة الأولى ، فلا يبقى على الأرض شيء ( فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ) وأما قوله ( وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ) فإنهم لما دخلوا الجنة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، في قوله ( فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ ) فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ) قال : في النفخة الأولى .

حدثنا علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ) فذلك حين ينفخ في الصور ، فلا حتى يبقى إلا الله ( وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ) فذلك إذا بعثوا في النفخة الثانية .

قال أبو جعفر : فمعى ذلك على هذا التأويل : فإذا نفخ في الصور ، فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، فلا أنساب بينهم يومئذ يتواصلون بها ، ولا يتساءلون ، ولا يتزاورون ، فيتساءلون عن أحوالهم وأنسابهم .

وقال آخرون : بل عني بذلك النفخة الثانية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن هارون بن أبي وكيع ، قال : سمعت زاذان يقول : أتيت ابن مسعود ، وقد اجتمع الناس إليه في داره ، فلم أقدر على مجلس ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، من أجل أنى رجل من العجم تحقرنى ؟ قال : أدن ، قال : فدنوت ، فلم يكن بينى وبينه جليس ، فقال : يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة ، على رموس الأولين والآخرين ، قال : وينادى مناد : ألا إن هذا فلان بن فلان ، فمن كان له حق قبله فليأت إلى حقه ، قال : فتفرح المرأة يومئذ أن يكون لها حق على ابنها ، أو على أبيها ، أو على أخيها ، أو على زوجها ( فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن هارون بن عتبة ، عن زاذان ،

قال : سمعت ابن مسعود يقول : « يؤخذ العبد أو الأمة يوم القيامة ، فينصب على رءوس الأولين والآخرين ، ثم ينادى مناد ، ثم ذكر نحوه ، وزاد فيه : فيقول الرب تبارك وتعالى للعبد : أعطِ هؤلاء حقوقهم ، فيقول : أي رب ، فنيت الدنيا ، فمن أين أعطيهم ؟ فيقول للملائكة : خذوا من أعماله الصالحة ، وأعطوا لكل إنسان بقدر طلبته ، فإن كان له فضلٌ مثقال حبة من خردل ، ضاعفها الله له ، حتى يدخله بها الجنة ، ثم تلا ابن مسعود ( إن الله لا يظلمُ مثقالَ ذرَّةٍ ، وإن تك حسنةٌ يضاعفها ، ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا ) وإن كان عبدا شقيا قالت الملائكة : ربنا ، فنيت حسنته ، وبقى طالبون كثير ، فيقول : خذوا من أعمالهم السيئة ، فأضيفوها إلى سيئاته ، وصكوا له صكًا إلى النار . »

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج « ( فإذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْتَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ) قال : لا يسأل أحد يومئذ بنسب شيئا ، ولا يتساءلون ، ولا يمت إليه برحم . »  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى محمد بن كثير ، عن حفص بن المغيرة ، عن قتادة ، قال : « ليس شيء أبغض إلى الإنسان يوم القيامة من أن يرى من يعافه ، مخافة أن يذوب له عليه شيء ، ثم قرأ ( يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنَ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ) . »

قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا الحكم بن سنان ، عن سدوس صاحب السائري ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، نَادَى مُنَادٍ مِّنْ أَهْلِ الْعَرْشِ : يَا أَهْلَ التَّظَالِمِ تَدَارَكُوا مَطْلَمَكُمْ ، وَادْخُلُوا الْجَنَّةَ . »

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤)

يقول تعالى ذكره ( فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ) : موازين حسنته وخفت موازين سيئاته ( فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) : يعنى الخالدون في جنات النعيم ( وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ) : يقول : ومن خفت موازين حسنته ، فرجحت بها موازين سيئاته ( فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ) : يقول : غبثوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله ( فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ) : يقول : هم في نار جهنم .  
وقوله ( تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ) : يقول : تسفح وجوههم النار .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ) : قال : تنفح ( وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ) : والكالوح : أن تنقلص الشفتان عن الأسنان ، حتى تبدو الأسنان ، كما قال الأعشى :



وَلَهُ الْمُقَدَّمُ لَامِثِلَ لَهُ سَاعَةَ الشَّدَقِ عَنِ النَّابِ كَلَّحًا  
فتأويل الكلام : يَسْتَفَعُ وجوههم لهب النار ، فتُحْرَقُهَا ، وهم فيها متقلصو الشفاه عن الأسنان ، من  
إحراق النار وجوههم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَهُمْ  
فِيهَا كَالْحُوتِ ) يقول : عابسون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ، قالوا : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص  
عن عبد الله ، في قوله ( وَهُمْ فِيهَا كَالْحُوتِ ) قال : ألم تر إلى الرأس المشيط قد بدت أسنانه ، وَقَلَّصَتْ  
شفاهه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص  
عن عبد الله ، قرأ هذه الآية ( تَلَفَّحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ) . . . الآية ، قال : ألم تر إلى الرأس المشيط بالنار  
وقد قَلَّصَتْ شفاهه ، وبدت أسنانه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَهُمْ فِيهَا كَالْحُوتِ ) قال  
ألم تر إلى الغم إذا مست النار وجوهها كيف هي ؟ .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَكُنْ أَتَىٰ تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ (١٠٥) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا  
شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦)

يقول تعالى ذكره : يقال لهم ( أَلَمْ تَكُنْ أَتَىٰ تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ) يعني آيات القرآن تتلى عليكم  
في الدنيا ( فَكُنْتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ ) وترك ذكر يقال ، لدلالة الكلام عليه . ( قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا  
شِقْوَتُنَا ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ، وبعض أهل الكوفة ( غَلَبَتْ  
عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ) بكسر الشين ، وبغير ألف . وقراءته عامة قراء أهل الكوفة ( شِقَاوَتُنَا ) بفتح الشين والألف .  
والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان ، وقرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء بمعنى  
واحد ، فأبتهما قرأ القارئ فصيب . وتأويل الكلام : قالوا : ربنا غلبت علينا ما سبق لنا في سابق علمك  
وخط لنا في أم الكتاب .

(١) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة (ديوانه ص ٢٤١ بشرح الدكتور محمد حسين ، طبع القاهرة) . والرمية فيه في الحرب « إذا »  
في موضع « لا مثل له » . والمقدم يضم الميم : مصدر بمعنى الإقدام . وكلح الشدق : كشر عن الأنياب في عبوس .  
مدح إياس بن قبيصة الطائي ، بأن من صفاته الإقدام في الحرب حين تكره الأبطال النزال ، وتكثر أشداقهم عن أنيابهم ، كرها للحرب .  
واستشهد به المؤلف هنا على أن معنى الكلوح تقلص الشفتين عن الأسنان حتى تبدو الأسنان .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، قوله ( غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ) قال : التي كتبت علينا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ) التي كتبت علينا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
وقال : قال ابن جريج : « بلغنا أن أهل النار نادوا خِزْرَةَ جَهَنَّمَ : أَنْ ( ادْعُوا رَبَّكُمْ يَخْفَعُ عَنَا يَوْمَآ مِنَ

العذاب ) فلم يجيبوهم ما شاء الله ؛ فلما أجابوهم بعد حين ، قالوا : ( ادْعُوا وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ) .  
قال : ثم نادوا مالكا : يا مالكا ليقض علينا ربك ، فسكت عنهم مالك خازن جهنم أربعين سنة ، ثم أجابهم فقال : ( إِنَّكُمْ مَا كَثُرُونَ ) . ثم نادى الأشقياء ربهم ، فقالوا ( رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ، رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ، فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ) فسكت عنهم مثل مقدار الدنيا ، ثم أجابهم بعد ذلك تبارك وتعالى ( اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ) .

قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، قال : « ينادي أهل النار أهل الجنة فلا يجيبونهم ما شاء الله ، ثم يقال : أجيبوهم ، وقد قطع الرحيم والرحمة ، فيقول أهل الجنة : يا أهل النار ، عليكم غضب الله ، يا أهل النار ، عليكم لعنة الله ، يا أهل النار ، لا لبئسكم ولا سعد بكم ، ماذا تقولون ؟ فيقولون : ألم نك في الدنيا آباءكم وأبناءكم وإخوانكم وعشيرتكم ؟ فيقولون : بلى ، فيقولون ( أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ ، أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ، قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ) . »

قال : ثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ؛ قال : وثني عبدة المروزي ، عن عبد الله ابن المبارك ، عن عمرو بن أبي ليلى ، قال : سمعت محمد بن كعب ، زاد أحدهما على صاحبه : قال محمد ابن كعب : بلغني ، أو ذكر لي ، أن أهل النار استغاثوا بالخزنة ، ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب ، فردوا عليهم ما قال الله : فلما أيسوا نادوا : يا مالكا ، وهو عليهم ، وله مجلس في وسطها ، وجسور تمر عليها ملائكة العذاب ، فهو يرى أقصاها كما يرى أذناها ، فقالوا : يا مالكا ، ليقض علينا ربك ، سألوها الموت ، فكث لا يجيبهم ثمانين ألف سنة من سنى الآخرة ، أو كما قال : ثم انحط إليهم ، فقال ( إِنَّكُمْ مَا كَثُرُونَ ) فلما سمعوا ذلك قالوا : فاصبروا ، فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله ، قال : فصبروا ، فطال صبرهم ، فنادوا ( سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرٌ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنَ مَحِيصٍ ) : أي منجى ، فقام إبليس عند ذلك فخطبهم ، فقال ( إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ ، وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ، وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ) ؛ فلما سمعوا مقالهم ، مَقَّتُوا أَنفُسَهُمْ ، قال : فَنُودُوا ( لَمَقَّتْ

(١) لعل القائل هنا أيضا : هو القاسم ، راوى الحديث بالإسناد السابق على هذا .



اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ، إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ. قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا...  
 الآية، قال: فيجيبهم الله فيها (ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ، وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا  
 فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ) قال: فيقولون: ما أيسنا بعد. قال: ثُمَّ دَعَوَا مَرَّةً أُخْرَى، فيقولون،  
 (رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا، فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا، إِنَّا مُوقِنُونَ) قال: فيقول الرب تبارك وتعالى  
 (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا) يقول الرب: لو شئت لهديت الناس جميعا، فلم يختلف منهم  
 أحد (وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، فَذُوقُوا بِمَا  
 نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا) يقول: بما تركتم أن تعملوا ليومكم هذا (إِنَّا نَسِينَاكُمْ) : أي تركناكم  
 (وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) قال: فيقولون: ما أيسنا بعد. قال: فيدعون مرة  
 أخرى (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ، نُحِبِّ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ) قال: فيقال لهم (أَوَلَمْ  
 تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ، وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا  
 أَنْفُسَهُمْ) . . . الآية، قال: فيقولون: ما أيسنا بعد. ثم قالوا مرة أخرى (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ  
 صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) ، قال: فيقول (أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكَّرٍ  
 وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ) . . . إلى (نَصِيرٍ) . ثم مكث عنهم ما شاء الله ، ثم ناداهم (أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي  
 تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ) فلما سمعوا ذلك قالوا: الآن يرحمنا ، فقالوا عند ذلك (رَبَّنَا  
 غَلَبَتْنَا عَلَيْهِمْ شِقْوَتُنَا) : أي الكتاب الذي كتب علينا (وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ، رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا)  
 . . . الآية ، فقال عند ذلك (اخْسُؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ) قال: فلا يتكلمون فيها أبدا ، فانقطع عند  
 ذلك الدعاء والرجاء منهم . وأقبل بعضهم يندب في وجه بعض ، فأطبقت عليهم . قال عبد الله بن المبارك  
 في حديثه : فحدثني الأزهر بن أبي الأزهر أنه قال: فذلك قوله ( هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ، وَلَا يُؤْذَنُ  
 لَهُمْ فَيَعْتَدِرُونَ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، أنه قال : فوالذي  
 أنزل القرآن على محمد ، والتوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، ما تكلم أهل النار كلمة بعدها إلا  
 الشهيق والزعيق في الخلد أبدا ، ليس له نفاذ .

قال : ثني حجاج ، عن أبي معشر ، قال : كنا في جنازة ومعنا أبو جعفر القارئ ، فجلسنا ، فتنحى  
 أبو جعفر ، فبكى ، فقيل له : ما يبكيك يا أبا جعفر؟ قال : أخبرني زيد بن أسلم ، أن أهل النار لا يتنفسون .  
 وقوله ( وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ) يقول : كنا قوما ضللتنا عن سبيل الرشاد ، وقصد الحق .

#### القول في تأويل قوله تعالى

رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسُؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الذين خضت موازين أعمالهم يوم القيامة في جهنم : ربنا أخرجنا  
 من النار ، فإن عدنا لما تكره منا من عمل ، فإننا ظالمون .

وقوله ( قالَ اخْسِئُوا فِيهَا ) يقول تعالى ذكره : قال الربّ لهم جلّ ثناؤه مجيباً : ( اخْسِئُوا فِيهَا ) : أى اقعّدوا في النار ، يقال منه : خَسَّاتُ فلاناً اخْسِئُوهُ خَسّاً وخُسُوعاً ، وخَسِيٌّ هو يَخْسُو وما كان خاسئاً ، ولقد خَسِيٌّ . ( وَلَا تُكَلِّمُونِ ) فعند ذلك أيس المساكين من الفرج ، ولقد كانوا طامعين فيه . كما حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهديّ ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، قال : ثنا أبو الزعراء ، عن عبد الله ، في قصة ذكرها في الشفاعة ، قال : فإذا أراد الله ألا يُخْرِجَ منها ، يعنى من النار أحداً ، غير وجوههم وألوانها ، فيجىء الرجل من المؤمنين ، فيشفع فيهم ، فيقول : يا ربّ ، فيقول من عرف أحداً فليخرجه ؛ قال : فيجىء الرجل فينظر ، فلا يعرف أحداً ، فيقول : يا فلان يا فلان ، فيقول : ما أعرفك ، فعند ذلك يقولون ( رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ، فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ) فيقول ( اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ) فإذا قالوا ذلك ، انطبقت عليهم جهنم ، فلا يخرج منها بشر .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن شهر ابن حوشب ، عن معدي كرب ، عن أبي الدرداء ، قال : يُرْسَلُ ، أو يصبّ على أهل النار الجوع ، فيعدل ما هم فيه من العذاب ، فيستغيثون فيفأثون بالصّريع الذي لا يُسْمِنُ ولا يُغْنِي من جوع ، فلا يغنى ذلك عنهم شيئاً ، فيستغيثون ، فيفأثون بطعام ذى غصّة ، فإذا أكلوه نشب في حلوقهم ، فيذكرون أنهم كانوا في الدنيا يحذرون الغصّة بالماء ، فيستغيثون ، فيرفع إليهم الحميم في كلابيب الحديد ، فإذا انتهى إلى وجوههم شوى وجوههم ، فإذا شربوه قطع أمعاءهم ، قال : فينادون مالكا لِيَقْتَضِ عَلَيْنَا رَبِّكَ ، قال : فيتركهم ألف سنة ، ثم يجيبهم : إنكم ما كنون ، قال : فينادون خزنة جهنم : ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب ، قالوا : أو لم تَكُ تأتيكم رسلكم بالبينات ؟ قالوا : بلى ، قالوا : فادعوا ، وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ، قال : فيقولون ما نجد أحداً خيراً لنا من ربنا ، فينادون ربهم : ( رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ، فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ) ، قال : فيقول الله ( اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ) قال : فعند ذلك يثسوا من كل خير ، فيدعون بالويل والشهيق والشبور .

حدثني محمد بن حمارة الأسديّ ، قال : ثنا عاصم بن يوسف البربوعيّ ، قال : ثنا قطبة بن عبد العزيز الأسديّ ، عن الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن شهر بن حوشب ، عن أمّ الدرداء ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُلْقَى عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعُ » . . . ثم ذكر نحوه منه . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُصَمِيّ ، عن هارون بن عثرة ، عن عمرو بن مرة ، قال : يرى أهل النار في كل سبعين عاماً ساق مالك خازن النار ، فيقولون ( يَا مَالِكُ ، لِيَقْتَضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ) ! فيجيبهم بكلمة ، ثم لا يرونها سبعين عاماً ، فيستغيثون بالخزنة ، فيقولون لهم : ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب ! فيجيبونهم : ( أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ) . . . الآية ، فيقولون : ادعوا ربكم ، فليس أحد أرحم من ربكم ، فيقولون ( رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ، فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ) . قال : فيجيبهم ( اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ) فعند ذلك يثسون من كل خير ، ويأخذون في الشهيق والويل والشبور .



حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( اخسستوا فيها ولا تكلمتمون ) : قال : بلغني أنهم ينادون مالكا فيقولون : ليقض علينا ربك ، فيسكت عنهم قدر أربعين سنة ، ثم يقول ( إنكم ما كيثون ) قال : ثم ينادون ربهم ، فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ، ثم يقول ( اخسستوا فيها ولا تكلمتمون ) قال : فيبأس القوم ، فلا يتكلمون بعدها كلمة ، وكان إنما هو الزفير والشهيق . قال قتادة : صوت الكافر في النار مثل صوت الحمار : أوله زفير ، وآخره شهيق .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الله بن عيسى ، قال : أخبرني زياد الخراساني ، قال : أسنده إلى بعض أهل العلم ، فنسبته في قوله ( اخسستوا فيها ولا تكلمتمون ) قال : فيسكتون ، قال : فلا يسمع فيها حيس إلا كطين الطست .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( اخسستوا فيها ولا تكلمتمون ) هذا قول الرحمن عز وجل ، حين انقطع كلامهم منه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ، آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ، وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩)

يقول تعالى ذكره ( إنه ) وهذه الهاء في قوله « إنه » هي الهاء التي يسميها أهل العربية المجهولة . وقد بينت معناها فيما مضى قبل ، ومعنى دخولها في الكلام ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ( كان فريق من عبادي ) يقول : كانت جماعة من عبادي ، وهم أهل الإيمان بالله ، يقولون في الدنيا : ( ربنا آمنا ) بك وبرسلك ، وما جاءوا به من عندك ، ( فاغفر لنا ذنوبنا وارحمنا ) وأنت خير من رحم أهل البلاء ، فلا تعذبنا بعدابك .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَاتَّخَذُوا لَهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي ، وَكَنتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠)

إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا ، أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآزُونَ (١١١)

يقول تعالى ذكره : فاتخذتم أيها القائلون لربهم ( ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ) في الدنيا ، القائلين فيها ( ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ) سخريا . والهاء والميم في قوله ( فاتخذتموهم ) من ذكر الفريق .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( سخريا ) فقرأه بعض قراء الحجاز وبعض أهل البصرة والكوفة ( فاتخذتموهم سخريا ) بكسر السين ، ويتأولون في كسرهما أن معنى ذلك الهزة ، ويقولون : إنها إذا ضمت ، فعنى الكلمة : السخرة والاستعباد . فعنى الكلام على مذهب هؤلاء : فاتخذتم أهل الإيمان بي

في الدنيا هُزُّوا ولعبا، تهزءون بهم، حتى أنسوكم ذكري . وقرأ ذلك عامة قرآء المدينة والكوفة ( فأتخذتموهم سُخْرِيًّا ) بضم السين ، وقالوا : معنى الكلمة في الضم والكسر واحد . وحكى بعضهم عن العرب سماعا بِلِحْيٍ وَبِلِحْيٍ ، وِدْرِيٍّ ، وِدْرِيٍّ ، منسوب إلى الدرّ ، وكذلك كِيرَسِيٍّ وَكُرْسِيٍّ ؛ وقالوا ذلك من قبلهم كذلك : نظير قولهم في جمع العصا : العِصِيَّ بكسر العين ، والعُصَى بضمها ؛ قالوا : وإنما اخترنا الضم في السُّخْرِيٍّ ، لأنه أفصح اللغتين .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان معروفتان ، بمعنى واحد ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرآء ، فبأيهما قرأ القارئ ذلك فصيب ، وليس يُعْرَفُ من فرق بين معنى ذلك إذا كسرت السين وإذا ضمت ، لما ذكرت من الرواية عن سماع من العرب ما حكيت عنه : ذكر الرواية به عن بعض من فرّق في ذلك بين معناه مكسورة سينه ومضمومة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( فأتخذتموهم سُخْرِيًّا ) قال : هما مختلفتان : سُخْرِيًّا ، وسُخْرِيًّا ، يقول الله ( وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ) قال : هذا سُخْرِيًّا : يُسَخَّرُونَهُمْ ، والآخرون : الذين يستهزئون بهم هم سُخْرِيًّا ، فتلك سُخْرِيًّا يُسَخَّرُونَهُمْ عندك ، فسُخْرِكُ : رفعتك فوقه ؛ والآخرون : استهزءوا بأهل الإسلام هي سُخْرِيًّا يُسَخَّرُونَهُمْ ، فهما مختلفتان . وقرأ قول الله ( كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ) ، قال : إنَّ تَسَخَّرُ مِنْهُ وَإِنَّمَا تَسَخَّرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسَخَّرُونَ ) وقال : يسخرون منهم كما سخر قوم نوح بنوح ، اتخذوهم سُخْرِيًّا : اتخذوهم هُزُّوا ، لم يزالوا يستهزئون بهم .

وقوله ( حتى أنسوكم ذكري ) يقول : لم يزل استهزؤكم بهم ، أنساكم ذلك من فعلكم بهم ذكري ، فألهاكم عنه ( وكنتم منهم تضحكون ) .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( حتى أنسوكم ذكري ) قال : أنسى هؤلاء الله استهزؤهم بهم ، وضحكهم بهم ، وقرأ ( إنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ) حتى بلغ ( إنَّ هؤلاء لَضَالُّونَ ) ، وقوله ( إني جزيتهم اليوم بما صبروا ) يقول تعالى ذكره : إني أهبها المشركون بالله المخلدون في النار ، جزيت الذين اتخذتموهم في الدنيا سخريا من أهل الإيمان بي ، وكنتم منهم تضحكون . اليوم بما صبروا على ما كانوا يلقون بينكم من أذى سخريتهم وضحككم منهم في الدنيا ، لأنهم هم الفائزون .

اختلفت القرآء في قراءة ( لآتهم ) فقرآته عامة قرآء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة ( آتهم ) ، بفتح الألف من « آتهم » بمعنى : جزيتهم هذا ، فأن في قراءة هؤلاء : في موضع نصب بوقوع قوله جزيتهم عليها ، لأن معنى الكلام عندهم : إني جزيتهم اليوم الفوز بالجنة ؛ وقد يحتمل النصب من وجه آخر ، وهو أن يكون موجها معناه إلى : إني جزيتهم اليوم بما صبروا ، لأنهم هم الفائزون بما صبروا في الدنيا ، على ما تقدّموا



في ذات الله . وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفة (لآتى) بكسر الألف منها ، بمعنى الابتداء ، وقالوا : ذلك ابتداء من الله مدحهم .

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب : قراءة من قرأ بكسر الألف ، لأن قوله : جزيتهم ، قد عمل في الهاء والميم ، والجزء إنما يعمل في منصوبين ، وإذا عمل في الهاء والميم ، لم يكن له العمل في « أن » فيصير عاملاً في ثلاثة إلا أن يسوَّى به التكرير ، فيكون نصب « أن » حينئذ بفعل مضمر ، لا بقوله : جزيتهم ، وإن هي نصبت بإضمار لام ، لم يكن له أيضاً كبير معنى ، لأن جزاء الله عباده المؤمنين بالجنة ، إنما هو على ما سأل من صالح أعمالهم في الدنيا ، وجزاؤه إياهم ، وذلك في الآخرة هو الفوز ، فلا معنى لأن يشترط لهم الفوز بالأعمال ، ثم يخبر أنهم إنما فازوا لأنهم هم الفائزون .

فتأويل الكلام إذ كان الصواب من القراءة ما ذكرنا : إني جزيتهم اليوم الجنة بما صبروا في الدنيا على أذاكم بها ، في أمهم اليوم هم الفائزون بالنعيم الدائم ، والكرامة الباقية أبداً ، بما عملوا من صالحات الأعمال في الدنيا ، ولقوا في طلب رضى من المكاره فيها .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا : لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، فَسئَلِ

الْعَادِينَ (١١٣)

اختلفت القراء في قراءة قوله ( كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ) ، وفي قوله ( لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ) فقرأ ذلك عامة قرآء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة على وجه الخبر ( قال كَمْ لَبِثْتُمْ ) ، وكذلك قوله ( قال إن لَبِثْتُمْ ) . ووجه هؤلاء تأويل الكلام إلى أن الله قال هؤلاء الأشقياء من أهل النار ، وهم في النار ( كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ؟ ) وأنهم أجابوا الله فقالوا ( لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ) ، ففسى الأشقياء ، لعظيم ما هم فيه من البلاء والعذاب ، مدة مكثهم التي كانت في الدنيا ، وقصر عندهم أمد مكثهم الذي كان فيها ، لما حلَّ بهم من نعمة الله ، حتى حسبوا أنهم لم يكونوا مكثوا فيها إلا يوماً أو بعض يوم . ولعل بعضهم كان قد مكث فيها الزمان الطويل ، والسنين الكثيرة .

وقرأ ذلك عامة قرآء أهل الكوفة ، على وجه الأمرهم بالقول ، كأنه قال لهم : قولوا كم لبثتم في الأرض ؟ وأخرج الكلام مخترج الأمر للواحد ، والمعنى به الجماعة ، إذ كان مفهوماً معناه ، وإنما اختار هذه القراءة من اختارها من أهل الكوفة ، لأن ذلك في مصاحفهم ، قُلْ بغير ألف ، وفي غير مصاحفهم بالألف .

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب : قراءة من قرأ ذلك ( قال كَمْ لَبِثْتُمْ ) على وجه الخبر ، لأن وجه الكلام لو كان ذلك أمراً ، أن يكون « قولوا » على وجه الخطاب للجمع ، لأن الخطاب فيما قبل ذلك وبعده جرى لجماعة أهل النار ، فالذى هو أولى أن يكون كذلك قوله « قولوا » : لو كان الكلام جاء على وجه الأمر ، وإن كان الآخر جائزاً ، أعنى التوحيد ، لما بينت من العلة لقارئ ذلك كذلك ، وجاء الكلام بالتوحيد

في قراءة جميع القرآء ، كان معلوما أن قراءة ذلك على وجه الخبر عن الواحد أشبهه ، إذا كان ذلك هو الفصيح المعروف من كلام العرب ، فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : قال الله كم لبثتم في الدنيا من عدد سنين ؟ قالوا مجيبين له : لبثنا فيها يوما أو بعض يوم ، فاسأل العادين ، لأننا لاندري ، قد نسينا ذلك .  
واختلف أهل التأويل في المعنى بالعادين ، فقال بعضهم : هم الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ، ويُحصون عليهم ساعاتهم .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن .  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فاسأل العادين ) قال : الملائكة .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
وقال آخرون : بل هم الحُساب .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فاسأل العادين ) قال : فاسأل الحُساب .  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( فاسأل العادين ) قال : فاسأل أهل الحساب .  
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال كما قال الله جل ثناؤه ( فاسأل العادين ) وهم الذين يعدون عدد الشهور والسنين وغير ذلك ، وجائز أن يكونوا الملائكة ، وجائز أن يكونوا بني آدم وغيرهم ، ولا حجة بأى ذلك من أى ثبتت صحتها ، فغير جائز توجيه معنى ذلك إلى بعض العادين دون بعض .

## القول في تأويل قوله تعالى

قَلْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ،  
وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥)

اختلقت القرآء في قراءة قوله ( قَلْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ) اختلافهم في قراءة قوله ( قَلْ كَمْ لَبِثْتُمْ ) والقول عندنا في ذلك في هذا الموضع ، نحو القول الذي بيناه قبل ، في قوله ( كَمْ لَبِثْتُمْ ) وتأويل الكلام على قراءة تنا : قال الله لهم : ما لبثتم في الأرض إلا قليلا يسيرا ، لو أنكم كنتم تعلمون قدر لبثكم فيها .  
وقوله ( أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ؟ ) يقول تعالى ذكره : أفحسبتم أيها الأشقياء أنا إنما خلقناكم إذ خلقناكم لعبا وباطلا ، وأنكم إلى ربكم بعد مما تكتم لاتصيرون أحياء ، فتجزون بما كنتم في الدنيا تعملون ؟ وقد اختلفت القرآء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض قرآء المدينة والبصرة والكوفة ( لَا تُرْجَعُونَ ) بضم التاء : لَا تُرْجَدُونَ ، وقالوا : إنما هو من مَرَّجِع الآخرة ، لا من الرجوع إلى الدنيا ، وقرأ ذلك عامة قرآء



الكوفة ( لا تَرْجِعُونَا ) وقالوا : سواء في ذلك مرجع الآخرة ، والرجوع إلى الدنيا .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، لأن من رده الله إلى الآخرة من الدنيا بعد فوائده ، فقد رجع إليها ، وأن من رجع إليها ، فبرده الله إياه إليها رجع . وهما مع ذلك قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ( أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ) قال : باطلا .

القول في تأويل قوله تعالى

فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦)

يقول تعالى ذكره : فتعالى الله الملك الحق عما يصفه به هؤلاء المشركون ، من أن له شريكا ، وعما يضيفون إليه من اتخاذ البنات ( لا إله إلا هو ) يقول : لا معبود تنبغي له العبادة إلا الله الملك الحق ، رب العرش الكريم ، والرب : مرفوع بالرد على الحق ، ومعنى الكلام : فتعالى الله الملك الحق ، رب العرش الكريم ، لا إله إلا هو .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ، إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧)

يقول تعالى ذكره : ومن يدع مع المعبود الذي لاتصلح العبادة إلا له معبودا آخر ، لاحجة له بما يقول ويعمل من ذلك ، ولا بينة .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ) قال : بينة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ) قال : حجة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله ( لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ) قال : لاحجة .

وقوله ( فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ) يقول : وإنما حساب عمله السَّيِّئِ عند ربه ، وهو مؤقَّب فيه جزاءه إذا

قدم عليه ( إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ) يقول : إنه لا ينجح أهل الكفر بالله عنده ، ولا يدركون الخلود والبقاء في النعيم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ ، وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ . ( ١١٨ )

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وقل يا محمد ، رب استر علي ذنوبي بعفوك عنها ، وارحمني بقبول توبتك ، وتركك عقابي علي ما اجترمت ( وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ) يقول : وقل أنت يارب خير من رحم ذا ذنب ، فقبل توبته ، ولم يعاقبه علي ذنبه .

آخر تفسير سورة المؤمنين

## تفسير سورة النور

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ، وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ( ١ )

قال أبو جعفر : يعني بقوله تعالى ذكره ( سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا ) وهذه السورة أنزلناها ، وإنما قلنا معنى ذلك كذلك ، لأن العرب لا تكاد تبتدئ بالنعرات قبل أخبارها إذا لم تكن جوابا ، لأنها توصل كما يوصل «الذي» ، ثم يخبر عنها بخبر سوى الصلة ، فيستقبح الابتداء بها قبل الخبر إذا لم تكن موصولة ، إذ كان يصير خبرها إذا ابتدئ بها كالصلة لها ، ويصير السامع خبرها كالموقع خبرها ، بعد إذ كان الخبر عنها بعدها ، كالصلة لها ، وإذا ابتدئ بالخبر عنها قبلها ، لم يدخل الشك على سامع الكلام في مراد المتكلم . . . وقد بيننا فيما مضى قبل أن السورة وصف لما ارتفع بشواهد ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .

وأما قوله ( وَفَرَضْنَاهَا ) فإن القراء اختلفت في قراءته ، فقرأه بعض قراء الحجاز والبصرة ( وَفَرَضْنَاهَا ) ويتأولونه : وفصلناها ونزلنا فيها فرائض مختلفة . وكذلك كان مجاهد يقرؤه ويتأوله .

حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا ابن مهدي ، عن عبد الوارث بن سعيد ، عن حميد ، عن مجاهد ، أنه كان يقرؤها ( وَفَرَضْنَاهَا ) يعني بالتشديد .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَفَرَضْنَاهَا ) قال : الأمر بالحلال ، والنهي عن الحرام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . وقد يحتمل



ذلك إذا قرئ بالتشديد وجها غير الذي ذكرنا عن مجاهد ، وهو أن يوجه إلى أن معناه : وفرضناها عليكم وعلى من بعدكم من الناس إلى قيام الساعة . وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة والشام ( وَفَرَضْنَاهَا ) بتخفيف الراء ، بمعنى : أوجبنا ما فيها من الأحكام عليكم ، وألزمنا كونه وبيننا ذلك لكم .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب . وذلك أن الله قد فصلها ، وأنزل فيها ضروبا من الأحكام ، وأمر فيها ونهى ، وفرض على عباده فيها فرائض ، ففيها المعنيان كلاهما : التفريض ، والفرض ، فلذلك قلنا بأية القراءتين قرأ القارئ فمصيب الصواب .

ذكر من تأول ذلك بمعنى الفرض والبيان من أهل التأويل

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله : ( وَفَرَضْنَاهَا ) يقول : بينهاها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ) قال : فرضناها لهذا الذي يتلوها مما فرض فيها ، وقرأ فيها ( آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ ) .

وقوله ( وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ) يقول تعالى ذكره : وأنزلنا في هذه السورة علامات ودلالات على الحق بينات ، يعني واضحات لمن تأملها وفكر فيها بعقل ، أنها من عند الله ، فإنها الحق المبين ، وإنها تهدي إلى الصراط المستقيم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ) قال : الحلال والحرام والحدود ( لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ ) يقول : لتذكروا بهذه الآيات البينات التي أنزلناها

القول في تأويل قوله تعالى

الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ، وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ

اللَّهِ ، إِنَّكُمْ تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلَيْشَهِدَ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢)

يقول تعالى ذكره : من زنى من الرجال ، أو زنت من النساء ، وهو حرٌّ بيكر غير مُحْصَنٍ بزوجه ، فاجلدوه ضربا مئة جلدة ، عقوبة لما صنع ، وأتى من معصية الله ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) يقول تعالى ذكره : لا تأخذكم بالزاني والزانية أيها المؤمنون رافة ، وهي رقة الرحمة في دين الله ، يعني في طاعة الله فيما أمركم به من إقامة الحد عليهما ، على ما ألزمكم به .

واختلف أهل التأويل في المنهى عنه المؤمنون من أخذ الرافة بهما ، فقال بعضهم : هو ترك إقامة حد الله عليهما ، فأما إذا أقيم عليهما الحد ، فلم تأخذهم بهما رافة في دين الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا يحيى بن أبي زائدة ، عن نافع بن عمر ، عن ابن أبي مليكة ، عن عبيد الله

ابن عبد الله بن عمر ، قال : جلد ابن عمر جارية له أحدثت ، فجلد رجلها ، قال نافع : وحسيت أنه قال : وظهرها ، فقلت ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) فقال : وأخذتني بها رأفة ، إن الله لم يأمرني أن أقتلها .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسبة ، عن ابن جريج ، قال : سمعت عبد الله بن أبي مليكة يقول : ثنا عبيد الله بن عبد الله بن عمر ، أن عبد الله بن عمر حدث جارية له ، فقال للجالد : وأشار إلى رجلها ، وإلى أسفلها ، قلت : فأين قول الله ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال : أفأقتلها ؟ حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال : أن تقيم الحد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، ابن جريج ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال : لاتضيعوا حدود الله . قال ابن جريج : وقال مجاهد : ( لَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ ) : لاتضيعوا الحدود في أن تقيموها ، وقالها عطاء بن أبي رباح .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا عبد الملك وحجاج ، عن عطاء ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال : يقام حد الله ولا يعطل ، وليس بالقتل .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن داود ، عن سعيد بن جبير ، قال : الجلد . حدثني عبيد بن إسحاق الهبباري ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال : الضرب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت عمران ، قال : قلت لأبي مجلز ( الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ) . . . إلى قوله ( واليوم الآخر ) إنا لرحمهم أن يجلد الرجل حداً ، أو تقطع يده ، قال : إنما ذلك أنه ليس للسلطان إذا رفعوا إليه أن يدعهم رحمة لهم حتى يقيم الحد .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال : لاتقام الحدود .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ ) فتدعوها من حدود الله التي أمر بها ، وافترضها عليهما .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، أنه سأل سليمان بن يسار ، عن قول الله ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) أي في الحدود ، أو في العقوبة ؟ قال : ذلك فيهما جميعاً .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأميلي ، قال : ثنا يحيى بن زكريا ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء في قوله ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال : أن يقام حد الله ، ولا يعطل ، وليس بالقتل .



حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن عامر في قوله ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال : الضرب الشديد .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ ) فتمخفتموا الضرب عنهما ، ولكن أوجعهما ضربا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن أبي بكر ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن قتادة ، عن الحسن وسعيد ابن المسيب ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال : الجلد الشديد .  
قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن حماد ، قال : يُحَدِّدُ الْقَازِفَ وَالشَّارِبَ وَعَلَيْهِمَا ثِيَابُهُمَا .  
وأما الزاني فتخلع ثيابه ، وتلا هذه الآية ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) فقلت لحماد : أهذا في الحكم ؟ قال : في الحكم والجلد .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، قال : يجتهد في حدّ الزاني والفرية ، ويخفف في حدّ الشرب . وقال قتادة : يخفف في الشرب ، ويجتهد في الزاني .  
وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : ولا تأخذكم بهما رأفة في إقامة حدّ الله عليهما ، الذي افترض عليكم إقامته عليهما .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب ، لدلالة قول الله بعده « في دين الله » ، يعني في طاعة الله التي أمركم بها ، ومعلوم أن دين الله الذي أمر به في الزانيين : إقامة الحدّ عليهما ، على ما أمر من جلد كل واحد منهما مئة جلدة ، مع أن الشدة في الضرب لا حدّ لها يوقف عليه ، وكلّ ضرب أوجع فهو شديد ، وليس للذي يوجع في الشدة حدّ لازيادة فيه ، فيؤمر به . وغير جائز وصفه جلّ ثناؤه بأنه أمر بما لا سبيل للمأمور به إلى معرفته . وإذا كان ذلك كذلك ، فالذي للمأمورين إلى معرفته السبيل هو عدد الجلد على ما أمر به ، وذلك هو إقامة الحد على ما قلنا . وللعرب في الرأفة لغتان : الرأفة بتسكين الهمزة ، والرأفة بمدّها ، كالسأمة والسامة ، والكأبة والكأبة . وكان الرأفة المرّة الواحدة ، والرأفة المصدر ، كما قيل : ضَوَّلَ ضَالَّةً ، مثل فَعَلَّ فَعَالَةً ، وقَبَّحَ قَبَاحَةً .

وقوله ( إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ) يقول : إن كنتم تصدقون بالله ربكم وباليوم الآخر ، وأنكم فيه مبعوثون لحشر القيامة ، وللثواب والعقاب ، فإن من كان بذلك مصدقا ، فإنه لا يخالف الله في أمره ونهيه ، خوف عقابه على معاصيه . وقوله ( وَلَيْسَ شَهْدُ عِدَاكُمْ عَلَيْكُمْ إِذْ حَضَرَ جِلْدَ الزَّانِيْنَ الْبَيْكُرِينَ وَحَدَّهُمَا إِذَا أَقِيمَ عَلَيْهِمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) يقول تعالى ذكره : وليحضر جلد الزانيين البيكُرِينَ وحدّهما إذا أقيم عليهما طائفة من المؤمنين . والعرب تسمى الواحد فما زاد : طائفة . وقوله ( مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) يقول : من أهل الإيمان بالله ورسوله .  
وقد اختلف أهل التأويل في مبلغ عدد الطائفة الذي أمر الله بشهود عذاب الزانيين البيكُرِينَ ، فقال بعضهم : أقله واحد .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الطائفة : رجل .

حدثنا علي بن سهل بن موسى بن إسحاق الكناني وابن القوَّاس ، قالا : ثنا يحيى بن عيسى ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( وَلَيْشْهَدَ عَدَا بَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال : الطائفة رجل ، قال علي : فما فوق ذلك ؛ وقال ابن القوَّاس : فأكثر من ذلك .

حدثنا علي ، قال : ثنا زيد ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الطائفة : رجل .  
حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن عسّية ، قال : قال ابن أبي نجيح ( وَلَيْشْهَدَ عَدَا بَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال مجاهد : أقله رجل .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد ، في قوله ( وَلَيْشْهَدَ عَدَا بَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال : الطائفة : الواحد إلى الألف .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد في هذه الآية ( وَلَيْشْهَدَ عَدَا بَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال : الطائفة واحد إلى الألف ( وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، قال : الطائفة : الرجل الواحد إلى الألف ، قال ( وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ) : إنما كانا رجلين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : سمعت عيسى بن يونس ، يقول : ثنا النعمان بن ثابت ، عن حماد وإبراهيم قالا : الطائفة : رجل .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَلَيْشْهَدَ عَدَا بَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال : الطائفة : رجل واحد فما فوقه .  
وقال آخرون : أقله في هذا الموضع رجلان .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم . قال : ثنا ابن عسّية ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، في قوله ( وَلَيْشْهَدَ عَدَا بَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال : قال عطاء : أقله رجلان .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عمر بن عطاء عن عكرمة قال : ليحضر رجلان فصاعدا .

وقال آخرون : أقل ذلك ثلاثة فصاعدا .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن ابن أبي ذئب ، عن الزهري ، قال : الطائفة : الثلاثة فصاعدا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَلَيْسَ شَهِدًا عَدَا بَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال : نفر من المسلمين .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص بن غياث ، قال : ثنا أشعث ، عن أبيه ، قال : أتيت أبا بَرَزَةَ الأَسْلَمِيَّ في حاجة ، وقد أخرج جارية إلى باب الدار ، وقد زنت ، فدعا رجلا فقال : اضربها خمسين ، فدعا جماعة ، ثم قرأ ( وَلَيْسَ شَهِدًا عَدَا بَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا يحيى ، عن أشعث ، عن أبيه ، أن أبا بَرَزَةَ أمر ابنه أن يضرب جارية له ولدت من الزنا ، ضربا غير مبرح ، قال : فأتى عليها ثوبا وعنده قوم ، وقرأ ( وَلَيْسَ شَهِدًا عَدَا بَهُمَا ) الآية . وقال آخرون : بل أقل ذلك أربعة .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَيْسَ شَهِدًا عَدَا بَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال : فقال : الطائفة التي يجب بها الحد أربعة .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : أقل ما ينبغي حضور ذلك من عدد المسلمين : الواحد فصاعدا ، وذلك أن الله عم بقوله ( وَلَيْسَ شَهِدًا عَدَا بَهُمَا طَائِفَةٌ ) والطائفة : قد تقع عند العرب على الواحد فصاعدا . فإذا كان ذلك كذلك ، ولم يكن الله تعالى ذكره وضع دلالة على أن مراده من ذلك خاص من العدد ، كان معلوما أن حضور ما وقع عليه أدنى اسم الطائفة ذلك المحضر مخرج مقيم الحد ، مما أمره الله به بقوله ( وَلَيْسَ شَهِدًا عَدَا بَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) ، غير أني وإن كان الأمر على ما وصفت ، أستحب أن لا يقصر بعدد من يحضر ذلك الموضع عن أربعة أنفس ، عدد من تقبل شهادته على الزنا ، لأن ذلك إذا كان كذلك ، فلا خلاف بين الجميع أنه قد أدى المقيم الحد ما عليه في ذلك ، وهم فيما دون ذلك مختلفون .

## القول في تأويل قوله تعالى

الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ،

وَحُرْمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (٥)

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : نزلت هذه الآية في بعض من استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح نسوة كن معروفات بالزنا ، من أهل الشرك ، وكن أصحاب رايات ، يكثرين أنفسهن ، فأنزل الله تحريمهن على المؤمنين ، فقال الزاني من المؤمنين لا يتزوج إلا زانية أو مشركة ، لأنهن

كذلك ، والزانية من أولئك البغايا لا ينكحها إلا زان من المؤمنين أو المشركين ، أو مشرك مثلها ، لأنهن كنّ مشركات ( وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ) فحرم الله نكاحهن في قول أهل هذه المقالة بهذه الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : ثنى الحضرمي ، عن القاسم بن محمد ، عن عبد الله بن عمرو : أن رجلا من المسلمين استأذن نبي الله في امرأة يقال لها أم مهزول ، كانت تسافح الرجل ، وتشرط له أن تنفق عليه ، وأنه استأذن فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر له أمرها ، قال : فقرأ نبي الله صلى الله عليه وسلم ( الزَّانِيَةُ لَإِيْتِكَاحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) أو قال : فأنزلت « الزانية » . حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنى هشيم ، عن التيمي ، عن القاسم بن محمد ، عن عبد الله بن عمرو في قوله ( الزَّانِي لَإِيْتِكَاحُهَا إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لَإِيْتِكَاحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال : كن نساء معلومات ، قال : فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوج المرأة ممنه لتنفق عليه ، فنهاهم الله عن ذلك .

قال : أخبرنا سليمان التيمي ، عن سعيد بن المسيب ، قال : كن نساء موارد بالمدينة .

حدثنا أحمد بن المقدم ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت أبي ، قال : ثنا قتادة ، عن سعيد بن المسيب في هذه الآية ( وَالزَّانِيَةُ لَإِيْتِكَاحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال : نزلت في نساء موارد كن بالمدينة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عاصم الكلابي ، قال : ثنا معتمر ، عن أبيه ، عن قتادة ، عن

سعيد ، بنحوه .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن رجل ، عن عمرو بن شعيب ، قال كان لمرثد صديقة في الجاهلية يقال لها عناق ، وكان رجلا شديدا ، وكان يقال له دُدُل ، وكان يأتي مكة فيحمل ضعة المسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقى صديقتة ، فدعته إلى نفسها ، فقال : إن الله قد حرم الزنا ، فقالت : أفني تَبْرُزُ ، فخشى أن تشيع عليه ، فرجع إلى المدينة ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كانت لي صديقة في الجاهلية ، فهل ترى لي نكاحها ؟ قال : فأنزل الله ( الزَّانِي لَإِيْتِكَاحُهَا إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لَإِيْتِكَاحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال : كن نساء معلومات يُدْعَوْنَ القليقيات <sup>١</sup> .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن إبراهيم بن مهاجر ، قال : سمعت مجاهدا يقول في هذه الآية ( الزَّانِي لَإِيْتِكَاحُهَا إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) قال : كن بغايا في الجاهلية .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن أخبره ، عن مجاهد ، نحو من حديث ابن المثنى ، إلا أنه قال : كانت امرأة ممنه يقال لها : أم مهزول ، يعنى في قوله ( الزَّانِي لَإِيْتِكَاحُهَا إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) قال : فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوج المرأة ممنه لتنفق عليه ، فنهاهم الله عن ذلك ، هذا في حديث التيمي .

(١) كذا جاءت هذه الكلمة في الأصول . ولعل أصلها : القليقيات ، نسبة إلى القلق ، وهو ضرب من القلائد المنظومة بالؤلؤ ، كن يلبسه يستهوين به الرجال . أو نسبة إلى القلق ، لكثرة اضطرابهن وتحر كهن . ( أنظر التاج : قلق ) .



حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً ) قال : رجال كانوا يريدون الزنا بنساء زوان بغايا متعاملات كنَّ في الجاهلية ، فقبل لهم هذا حرام ، فأرادوا نكاحهن ، فحرم الله عليهم نكاحهن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : بغايا مُعَلِّنَاتٍ كنَّ كذلك في الجاهلية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه وإسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، وابن أبي ذئب ، عن شعبة ، عن ابن عباس ، قال : كنَّ بغايا في الجاهلية ، على أبوابهنَّ رايات مثل رايات البيطار ، يعرفن بها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن قيس بن سعد ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : نساء بغايا متعاملات ، حرم الله نكاحهنَّ ، لا ينكحهنَّ إلا زان من المؤمنين ، أو مشرك من المشركين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ، وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ) قال : كانت بيوت تسمى المواخير في الجاهلية ، وكانوا يؤاجرون فيها فتياتهنَّ ، وكانت بيوتنا معلومة للزنا ، لا يدخل عليهنَّ ولا يأتينَّ ، إلا زان من أهل القبلة ، أو مشرك من أهل الأوثان ، فحرم الله ذلك على المؤمنين .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علي ، عن ابن جُرَيْج ، عن عطاء ، في قوله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال : بغايا متعاملات كنَّ في الجاهلية بغى آل فلان ، وبغى آل فلان ، فأنزل الله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ، وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ) فحكم الله بذلك من أمر الجاهلية على الإسلام ، فقال له سليمان بن موسى ، أبلغك ذلك عن ابن عباس ؟ فقال : نعم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : سمعت عطاء بن أبي رباح يقول في ذلك : كنَّ بغايا متعاملات ، بغى آل فلان ، وبغى آل فلان ، وكنَّ زواني مشركات ، فقال ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ، وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ) قال : أحكم الله من أمر الجاهلية بهذا ، قيل له : أبلغك هذا عن ابن عباس ؟ قال : نعم .

قال ابن جريج : وقال عكرمة : إنه كان يسمى تسعا بعد صواحب الرايات ، وكن أكثر من ذلك ، ولكن هؤلاء أصحاب الرايات : أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي ، وأم عليط جارية صفوان بن أمية ، وحنة القبطية ، جارية العاصي بن وائل ، ومربية جارية مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار ، وحلالة ، جارية سهيل بن عمرو ، وأم سويد ، جارية عمرو بن عثمان المخزومي ، وسريفة ، جارية زمعة بن الأسود ، وفرسة ، جارية هشام بن ربيعة بن حبيب بن حذيفة بن جبل بن مالك بن عامر بن لؤي ، وقريبا ، جارية هلال ابن أنس بن جابر بن نمر بن غالب بن فهر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وقال الزهري وقتادة ، قالوا : كان في الجاهلية بغايا معلوم ذلك منهن ، فأراد ناس من المسلمين نكاحهن ، فأنزل الله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) . . . الآية .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وقاله الزهري وقتادة ، قالوا : كانوا في الجاهلية بغايا ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن القاسم بن أبي بزة : كان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية التي قد علم ذلك منها ، يتخذها متاً كلة ، فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الجهة ، فنهوا عن ذلك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، قال : قال القاسم بن أبي بزة ، فذكر نحوه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا سليمان التيمي ، عن سعيد بن المسيب ، قال : كن نساء موارداً بالمدينة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان ، عن سعيد بن جبير أن نساء في الجاهلية كن يؤاجرن أنفسهن ، وكان الرجل إنما ينكح إحداهن ، يريد أن يصيب منها عرساً ، فنهوا عن ذلك ، ونزل ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) ومنهن امرأة يقال لها أم مهزول .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل ، عن الشعبي ، في قوله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال : كن نساء يكبرين أنفسهن في الجاهلية .

وقال آخرون : معنى ذلك : الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة ، والزانية لا يزني بها إلا زان أو مشرك . قالوا : ومعنى النكاح في هذا الموضع : الجماع .



ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قول الله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) قال : لا يزني إلا بزانية أو مشركة .

حدثنا ابن المنثري قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبيرة أنه قال في هذه الآية ( وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال : لا يزني الزاني إلا بزانية مثله . أو مشركة .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن شبرمة ، عن سعيد بن جبيرة وعكرمة في قوله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) قالوا : هو الوطء .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد ، عن معمر ، قال : قال سعيد بن جبيرة ومجاهد ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) قالوا : هو الوطء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك بن مزاحم وشعبة ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبيرة ، قوله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) ، والزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قالوا : لا يزني الزاني حين يزني إلا بزانية مثله أو مشركة ، ولا تزني مشركة إلا بمثلها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) ، والزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال : هؤلاء بغايا كنن في الجاهلية ، والنكاح في كتاب الله الإصابت ، لا يصيبها إلا زان أو مشرك ، لا يحرم الزنا ، ولا تصيب هي إلا مثلها . قال : وكان ابن عباس يقول : بغايا كنن في الجاهلية .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن قيس بن سعد ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : إذا زنى بها فهو زان .

حدثنا علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) قال : الزاني من أهل القبلة لا يزني إلا بزانية مثله أو مشركة . قال : والزانية من أهل القبلة لا تزني إلا بزنان مثلها من أهل القبلة ، أو مشرك من غير أهل القبلة ، ثم قال ( وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ) .

وقال آخرون : كان هذا حكم الله في كل زان وزانية ، حتى نسخه بقوله ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ) ، فأحل نكاح كل مسلمة ، وإنكاح كل مسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، في قوله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) ، والزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) ، وحرّم ذلك على

المؤمنين) قال: يَرَوْنَ الآية التي بعدها نسختها (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ) قال: فهن من أبيي المسلمين.

حدثنا القاسم ، قال ثنا الحسين قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : أخبرني يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ) قال : نسختها التي بعدها (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ) وقال : إلهن من أبيي المسلمين .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : وذكر عن يحيى ، عن ابن المسيب ، قال : نسختها (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : نسختها قوله (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا أنس بن عياض ، عن يحيى ، قال : ذكر عند سعيد بن المسيب (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً) قال : فسمعتة يقول : إنها قد نسختها التي بعدها ، ثم قرأها سعيد ، قال يقول الله (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً) ثم يقول الله (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ) فهن من أبيي المسلمين .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب : قول من قال : عني بالنكاح في هذا الموضع : الوطء ، وأن الآية نزلت في البغايا المشركات ذوات الرابات ، وذلك لقيام الحججة على أن الزانية من المسلمات حرام على كل مشرك ، وأن الزاني من المسلمين حرام عليه كل مشركة من عبدة الأوثان . فعلوم إذا كان ذلك كذلك ، أنه لم يُعَنَّ بِالآية أن الزاني من المؤمنين لا يعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات ، ولا يَنْكِحُ إِلَّا بزانية أو مشركة . وإذ كان ذلك كذلك ، فبين أن معنى الآية : الزاني لا يزني إلا بزانية لا تستحل الزنا ، أو بمشركة تستحلها .

وقوله (وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) يقول : وحرّم الزنا على المؤمنين بالله ورسوله ، وذلك هو النكاح الذي قال جل ثناؤه (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ، وَلَا

تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤)

يقول تعالى ذكره : والذين يشتمون العفاف من حرائر المسلمين ، فيرمونهن بالزنا ، ثم لم يأتوا على مرمونهن به من ذلك بأربعة شهداء عدول ، يشهدون عليهن أنهن رأوهن يفعلن ذلك ، فاجلدوا الذين رموهن بذلك ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الذين خالفوا أمر الله ، وخرجوا من طاعته ، ففسقوا عنها .



وذكر أن هذه الآية إنما نزلت في الذين رموا عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بما رموها به من الإفك .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب وإبراهيم بن سعيد ، قالا : ثنا ابن فضيل ، عن خصيف ، قال : قلت لسعيد بن جبير : الزنا أشد ، أو قذف المحصنة ؟ قال : لا ، بل الزنا ، قلت : إن الله يقول ( والَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ) قال : إنما هذا في حديث عائشة خاصة .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ) . . . الآية في نساء المسلمين .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ) قال : الكاذبون .

القول في تأويل قوله تعالى

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)

اختلف أهل التأويل في الذي استثنى منه قوله ( إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ) فقال بعضهم : استثنى من قوله ( وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ) وقالوا : إذا تاب القاذف قبلت شهادته ، وزال عنه اسم الفسق ، حُدِّ فيه أو لم يحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن حاد الدؤلابي ، قال : ثنا سفيان ، عن الزهري ، عن سعيد إن شاء الله ، أن عمر قال لأبي بكر : إن تبت قبلت شهادتك ، أو ردَّيت شهادتك .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، أن عمر بن الخطاب ضرب أبا بكر وشبل بن معبد ونافع بن الحارث بن كلدة حدَّهم ، وقال لهم : من أكذب نفسه أجزت شهادته فيما استقبل ، ومن لم يفعل لم أجز شهادته ، فأكذب شبل نفسه ونافع ، وأبي بكر أن أن يفعل . قال الزهري : هو والله سنة فاحفظوه .  
حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا داود ، عن الشعبي ، قال : إذا تاب ، يعني القاذف ، ولم يعلم منه إلا خير ، جازت شهادته .  
حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا داود ، عن الشعبي ، قال : على الإمام أن يستتيب القاذف بعد الجلدة ، فإن تاب وأونس منه خير ، جازت شهادته ، وإن لم يتب فهو خلیع ، لا تجوز شهادته .  
حدثنا ابن المنثري ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، أنه قال في القاذف إذا تاب وعلم منه خير ، إن شهادته جائزة ، وإن لم يتب فهو خلیع لا تجوز شهادته ، وتوبته إكذابه نفسه .  
قال : ثنا ابن أبي عدى ، عن داود ، عن الشعبي ، نحوه .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، قال في القاذف إذا تاب وأكذب نفسه ، قُبلت شهادته ، وإلا كان خليعا لاشهادة له ، لأن الله يقول : ( لَوْلا جِاءُوا عَلَيَّ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ ) . . . إلى آخر الآية .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا داود بن أبي هند ، عن الشعبي : أنه كان يقول في شهادة القاذف : إذا رجع عن قوله حين يُضرب ، أو أكذب نفسه ، قُبلت شهادته .  
قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي أنه كان يقول : يقبل الله توبته ، وتردّون شهادته ؟ وكان يقبل شهادته إذا تاب .

قال : أخبرنا إسماعيل عن الشعبي : أنه كان يقول في القاذف : إذا شهد قبل أن يُضرب الحدّ ، قُبلت شهادته .  
قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبيدة ، عن إبراهيم وإسماعيل بن سالم ، عن الشعبي ، أنهما قالا في القاذف : إذا شهد قبل أن يُجلد فشهادته جائزة .

حدثني يعقوب ، قال : قال أبو بشر ، يعني ابن عسّية ، سمعت ابن أبي نجيح يقول : القاذف إذا تاب تجوز شهادته ، وقال : كنا نقوله ، فقيل له من ؟ قال : قال عطاء وطاوس ومجاهد .  
حدثنا ابن بشار ، وابن المثنى ، قالا : ثنا محمد بن خالد بن عسّمة ، قال : ثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن عمر بن طلحة ، عن عبد الله ، قال : إذا تاب القاذف جلد ، وجازت شهادته ، قال أبو موسى : هكذا قال ابن أبي عسّمة .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا ابن أبي عسّمة ، قال : ثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن سليمان ابن يسار والشعبي قالا : إذا تاب القاذف عند الجلد جازت شهادته .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : أن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة جلد رجلا في قذف ، فقال : أ كَذِبُ نَفْسِكَ ، حتى تجوز شهادتك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي الهيثم ، قال : سمعت إبراهيم والشعبي يتذاكران شهادة القاذف ، فقال الشعبي لإبراهيم : لم لانقبل شهادته ؟ فقال : لأني لأدري تاب أم لا .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن مسروق ، قال : تُقبل شهادته إذا تاب .

قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن يعقوب بن القعقاع ، عن محمد بن زيد ، عن سعيد بن جبير ، مثله .  
قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن ابن جريج ، عن عمران بن موسى ، قال : شهدت عمر بن عبد العزيز أجاز شهادة القاذف ومعه رجل .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : قال الشعبي : إذا تاب جازت شهادته ، قال ابن المثنى ، قال : عندي ، يعني في القذف .



حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا مسعر ، عن عمرآن بن عمير ، أن عبد الله بن عتبة كان يجيز شهادة القاذف إذا تاب .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : إذا تاب وأصلح قبلت شهادته يعنى القاذف .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن ابن المسيب ، قال : تقبل شهادة القاذف إذا تاب .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن ابن المسيب ، مثله .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد ، عن معمر ، قال : قال الزهري : إذا حد القاذف ، فإنه ينبغي للإمام أن يستتيه ، فإن تاب قبلت شهادته ، وإلا لم تقبل ، قال : كذلك فعل عمر بن الخطاب بالذين شهدوا على المغيرة بن شعبة ، فتابوا إلا أبا بكر ، فكان لا تقبل شهادته .

وقال آخرون : الاستثناء في ذلك من قوله ( وَأَوْلَايِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ) .

وأما قوله ( وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ) فقد وصل بالأبد ولا يجوز قبولها أبدا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا أشعث بن سوار ، قال : ثنا الشعبي ، قال : كان شريح يجيز شهادة صاحب كل عمل إذا تاب إلا القاذف ، فإن توبته فيما بينه وبين ربه ، ولا يجيز شهادته .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا أشعث بن سوار ، قال : ثنا الشعبي ، عن شريح بنحوه ، غير أنه قال : صاحب كل حد إذا كان عدلا يوم شهد .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن شريح ، قال : كان لا يجيز شهادة القاذف ، ويقول : توبته فيما بينه وبين ربه .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن مطرف ، عن أبي عثمان ، عن شريح في القاذف : يقبل الله توبته ، ولا أقبل شهادته .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا أشعث ، عن الشعبي ، قال : أتاه خصمان ، فجاء أحدهما بشاهد أقطع ، فقال الخصم : ألا ترى ما به ؟ قال : قد أراه ، قال : فسأل القوم ، فأثنوا عليه خيرا ، فقال شريح : يجيز شهادة كل صاحب حد ، إذا كان يوم شهد عدلا ، إلا القاذف ، فإن توبته فيما بينه وبين ربه .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا أشعث ، عن الشعبي ، قال : جاء خصمان إلى شريح ، فجاء أحدهما ببينة ، فجاء بشاهد أقطع ، فقال الخصم : ألا ترى إلى ما به ؟ فقال شريح : قد رأيته ، وقد سألتنا القوم فأثنوا خيرا ، ثم ذكر سائر الحديث ، نحو حديث أبي كريب .

- حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا الشيباني ، عن الشعبي ، عن شريح أنه كان يقول : لا تُقبل له شهادة أبدا ، توبته فيما بينه وبين ربه ، يعنى القاذف .
- قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا الأشعث ، عن الشعبي ، بأن ربابا قطع رجلا في قطع الطريق ، قال : فقطع يده ورجله ، قال : ثم تاب وأصلح ، فشهد عند شريح ، فأجاز شهادته ، قال : فقال المشهود عليه : أتجزئ شهادته علىّ وهو أقطع ؟ قال : فقال شريح : كل صاحب حدّ إذا أقيم عليه ثم تاب وأصلح ، فشهادته جائزة إلا القاذف .
- حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو الوليد ، قال : ثنا شعبة ، قال المغيرة : أخبرني ، قال : سمعت إبراهيم يحدث عن شريح ، قال : قضاء من الله لا تقبل شهادته أبدا ، توبته فيما بينه وبين ربه ، قال أبو موسى : يعنى القاذف .
- حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : قال شريح : لا يقبل الله شهادته أبدا .
- حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو الوليد ، قال : ثنا حماد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : لا تجوز شهادة القاذف ، توبته فيما بينه وبين الله .
- حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، أنه قال : القاذف توبته فيما بينه وبين الله ، وشهادته لا تقبل .
- حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو الوليد ، قال : ثنا حماد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : لا تجوز شهادة القاذف ، توبته فيما بينه وبين الله .
- حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، أنه قال : القاذف توبته فيما بينه وبين الله ، وشهادته لا تقبل .
- حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم أنه قال في الرجل يُجئد الحدّ ، قال : لا تجوز شهادته أبدا .
- حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم أنه كان لا يقبل له شهادة أبدا ، وتوبته فيما بينه وبين الله ، يعنى القاذف .
- حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن حجاج ، عن عمرو بن سعيد ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تجوز شهادة محدود في الإسلام » .
- حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ( ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ) قال : كان يقول : لا تقبل شهادة القاذف أبدا ، إنما توبته فيما بينه وبين الله . وكان شريح يقول : لا تقبل شهادته .



حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ) ، ثم قال ( فَتَنَّا تَابَ وَأَصْلَحَ ) فشهادته في كتاب الله تقبل .

والصواب من القول في ذلك عندنا : أن الاستثناء من المعنيين جميعا ، أعني من قوله ( وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ) ، ومن قوله ( وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ) ، وذلك أنه لاخلاف بين الجميع أن ذلك كذلك ، إذ لم يحد في القذف حتى تاب ، إما بأن يرفع إلى السلطان بعفو المقدوفة عنه ، وإما بأن ماتت قبل المطالبة بحدّها ولم يكن لها طالب يطلب بحدّها . فإذا كان ذلك كذلك ، وحدثت منه توبة ، صحّت له بها العدالة .

فإذا كان من الجميع إجماعا ، ولم يكن الله تعالى ذكره شرط في كتابه أن لا تقبل شهادته أبدا بعد الحد في رميّه ، بل نهى عن قبول شهادته في الحال التي أوجب عليه فيها الحدّ ، وسماه فيها فاسقا ، كان معلوما بذلك أن إقامة الحدّ عليه في رميّه ، لا تحدث في شهادته مع التوبة من ذنبه ، ما لم يكن حادثا فيها قبل إقامته عليه ، بل توبته بعد إقامة الحدّ عليه من ذنبه ، أخرى أن تكون شهادته معها أجوز منها قبل إقامته عليه ، لأن الحدّ يزيد المحدود عليه تطهيرا من جرّمه الذي استحقّ عليه الحدّ .

فإن قال قائل : فهل يجوز أن يكون الاستثناء من قوله ( فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ) فتكون التوبة مسقطّة عنه الحدّ ، كما كانت لشهادته عندك قبل الحدّ وبعده مجيزة ، ولا سمّ الفسق عنه مزيلة ؟ قيل : ذلك غير جائز عندنا ، وذلك أن الحدّ حقّ عندنا للمقدوفة ، كالقصاص الذي يجب لها من جنابة يجنبها عليها ، مما فيه القصاص ، ولا خلاف بين الجميع أن توبته من ذلك لا تضيع عنه الواجب لها من القصاص منه ، فكذلك توبته من القذف لا تضيع عنه الواجب لها من الحدّ ، لأن ذلك حقّ لها ، إن شاءت عفّته ، وإن شاءت طالبت به ، فتوبة العبد من ذنبه ، إنما تضيع عن العبد الأسماء الذميمة ، والصفات القبيحة . فأما حقوق الآدميين التي أوجبها الله لبعضهم على بعض في كلّ الأحوال ، فلا تزول بها ولا تبطل .

واختلف أهل العلم في صفة توبة القاذف ، التي تقبل معها شهادته ، فقال بعضهم : هو إكذابه نفسه فيه . وقد ذكرنا بعض قائل ذلك فيما مضى قبل ، ونحن نذكر بعض ما حضرنا ذكره ، مما لم نذكره قبل .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، عن ليث ، عن طاوس ، قال : توبة القاذف أن يكذب نفسه . حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، قال : رأيت رجلا ضرب حدّا في قذف بالمدينة ، فلما فرغ من ضربه تناول ثوبه ، ثم قال : أستغفر الله وأتوب إليه من قذف المحصنات ، قال : فلقيت أبا الزناد ، فذكرت ذلك له ، قال : فقال : إن الأمر عندنا ها هنا أنه إذا قال ذلك حين يفرغ من ضربه ، ولم نعلم منه إلا خيرا قبلت شهادته .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ) ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا . . الآية ، قال :

من اعترف وأقرّ على نفسه علانية أنه قال البهتان ، وتاب إلى الله توبة نصوحا . والنصوح : أن لا يعودوا وإقراره واعترافه عند الحدّ حين يؤخذ بالجلد ، فقد تاب والله غفور رحيم .

وقال آخرون: توبته من ذلك: صلاح حاله، وندمه على ما فرط منه من ذلك، والاستغفار منه، وتركه العود في مثل ذلك من الجرم. وذلك قول جماعة من التابعين وغيرهم، وقد ذكرنا بعض قائله فيما مضى، وهو قول مالك بن أنس.

وهذا القول أولى القولين في ذلك بالصواب؛ لأن الله تعالى ذكره جعل توبة كل ذي ذنب من أهل الإيمان تركه العود منه، والندم على ما سلف منه، واستغفار ربه منه، فيما كان من ذنب بين العبد وبينه، دون ما كان من حقوق عباده ومظالمهم بينهم، والقاذف إذا أقيم عليه فيه الحد، أو عُنِيَ عنه، فلم يبق عليه إلا توبته من جرمه بينه وبين ربه، فسبيل توبته منه سبيل توبته من سائر أجهامه. فإذا كان الصحيح في ذلك من القول ما وصفنا، فتأويل الكلام: وأولئك هم الفاسقون، إلا الذين تابوا من جرمهم الذي اجترموا، بقذفهم المحصنات من بعد اجترامهموه. (فإن الله غفورٌ رحيمٌ) يقول: سائر على ذنوبهم بعفوه لهم عنها، رحيم بهم بعد التوبة أن يعدّ بهم عليها، فاقبلوا شهادتهم، ولا تسموهم فسقة، بل سموهم بأسمائهم التي هي لهم في حال توبتهم.

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ، فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَأَخْمِسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧)

يقول تعالى ذكره (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ) من الرجال (أَزْوَاجَهُمْ) بالفاحشة، فيقذفونهم بالزنا، (وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ) يشهدون لهم بصحة ما رموهن به من الفاحشة (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ).

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة (أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ) نصبا، ولنصيبهم ذلك وجهان: أحدهما: أن تكون الشهادة في قوله (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ) مرفوعة بمضمر قبلها، وتكون الأربع منصوبا بمعنى الشهادة، فيكون تأويل الكلام حينئذ: فعلى أحدهم أن يشهد أربع شهادات بالله: والوجه الثاني: أن تكون الشهادة مرفوعة بقوله (إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) والأربع منصوبة بوقوع الشهادة عليها، كما يقال: شهادتي ألف مرة: إنك لرجل سوء. وذلك أن العرب ترفع الأيمان بأجوبتها، فتقول: حليفٌ صادقٌ لأقومٍ، وشهادة عمرو ليقعدن. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين: (أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ)، برفع الأربع، ويجعلونها للشهادة مرافعة، وكأنهم وجهوا تأويل الكلام، فالذي يلزم من الشهادة، أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين.

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب: قراءة من قرأ: (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) بنصب أربع، بوقوع الشهادة عليها، والشهادة مرفوعة حينئذ على ما وصفت من الوجهين



قبل . وأحب وجهيها إلى : أن تكون به مرفوعة بالجواب ، وذلك قوله ( إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ) وذلك أن معنى الكلام : والذين يرمون أزواجهم ، ولم يكن لهم شهادة إلا أنفسهم ، فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ، تقوم مقام الشهداء الأربعة ، في دفع الحد عنه . فترك ذكر تقوم مقام الشهداء الأربعة ، اكتفاء بمعرفة السامعين بما دُكِر من الكلام ، فصار مُرَافِع الشهادة ما وصفت . ويعنى بقوله ( فَشَهَادَةٌ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ) : فحلف أحدهم أربع أيمان بالله ، من قول القائل : أشهد بالله إنه لمن الصادقين ، فيما رمى زوجته به من الفاحشة . ( والخامسة ) يقول : والشهادة الخامسة . ( أن لعنة الله عليه ) يقول : إن لعنة الله له واجبة ، وعليه حالة ، إن كان فيما رماها به من الفاحشة من الكاذبين .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالت به جماعة من أهل التأويل .

ذكر الرواية بذلك ، وذكر السبب الذي فيه أنزلت هذه الآية

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عسّية ، قال : ثنا أيوب ، عن عكرمة ، قال : « لما نزلت ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ ، فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ) قال سعد بن عباد : الله إن أنا رأيت لككاع متفخذها رجل ، فقلت بما رأيت ، إن في ظهري ثمانين ، إلى ما أجمع أربعة قد ذهب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الأنصار ، ألا تسمعون إلى ما يقول سيّدكم ؟ قالوا : يا رسول الله لا نلسمه ، وذكروا من غيرته ، فأتزوج امرأة قطّ إلا بكرا ، ولا طلق امرأة قطّ فرجع فيها أحد منا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإن الله يأتي إلا ذاك ، فقال : صدق الله ورسوله . قال : فلم يلبثوا أن جاء ابن عمّ له ، فرمى امرأته ، فشق ذلك على المسلمين ، فقال : لا والله ، لا يجعّل في ظهري ثمانين أبدا ، لقد نظرت حتى أيقنت ، ولقد استسمعت حتى استشفيت . قال : فأنزل الله القرآن باللّعان ، فقيل له : احلف ، فحلف ، قال : قفوه عند الخامسة ، فإنها موجبة . فقال : لا يندخله الله النار بهذا أبدا ، كما درأ عنه جلد ثمانين ، لقد نظرت حتى أيقنت ، ولقد استسمعت حتى استشفيت ، فحلف ، ثم قيل : احلفي ، فحلفت ، ثم قال : قفوها عند الخامسة ، فإنها موجبة ، فقيل لها : إنها موجبة ، فنلكأت ساعة ، ثم قالت : لأخزى قومي ، فحلفت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن جاءت به كدّا وكدّا ، فهو لزوجيها ، وإن جاءت به كدّا وكدّا ، فهو للذي قيل فيه ما قيل . قال : فجاءت به غلاما كأنه جمل أورك ، فكان بعد أميرا بمصر ، لا يعرف نسبه ، أو لا يدري من أبوه . »

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا عباد ، قال : سمعت عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : « لما نزلت هذه الآية ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ ، فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ) ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الفاسقون ) قال سعد بن عباد : هلكذا أنزلت يا رسول الله ؟ لو أتيت لككاع قد تفخذها رجل ، لم يكن لي أن أهيجه ولا أحرّكه ، حتى آتى بأربعة شهداء ، فوالله ما كنت لآتى بأربعة شهداء ، حتى يفرغ من حاجته ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، أَمَا تَسْمَعُونَ إِلَى مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ ، قالوا : لَاتَلْمُهُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ غَيُورٌ ، مَا تَزُوجُ فِينَا قَطًّا إِلَّا عِذَاءً ، وَلَا تَطْلُقُ امْرَأَةً لَهُ ، فَاجْتَرَأَ رَجُلٌ مِنَّا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا ، قَالَ سَعْدٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بَأبِي وَأُمِّي ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأَعْرِفُ أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ ، وَأَنَّهَا حَقٌّ ، وَلَكِنْ عَجِبْتُ لَوْ وَجَدْتُ لِكِتَابِ اللَّهِ قَدْ تَفَخَّضَهَا رَجُلٌ ، لَمْ يَكُنْ لِي أَنْ أَهِيَجُهُ وَلَا أَحْرَكُهُ ، حَتَّى آتَى بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ، وَاللَّهِ لَا آتَى بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ، حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ حَاجَتِهِ . فَوَاللَّهِ مَا لَبِثُوا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى جَاءَ هَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ مِنْ حَدِيثِهِ لَهُ ، فَرَأَى بَعِيذِيهِ ، وَسَمِعَ بِأُذُنِيهِ ، فَأَمْسَكَ حَتَّى أَصْبَحَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي جِئْتُ أَهْلِي عِشَاءً ، فَوَجَدْتُ رَجُلًا مَعَ أَهْلِي ، رَأَيْتُ بَعِيذِي ، وَسَمِعْتُ بِأُذُنِي ، فَفَكَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَتَاهُ بِهِ ، وَنَقَلَ عَلَيْهِ جِدًّا ، حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ، فَقَالَ هَلَالٌ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لِأَرَى الْكِرَاهَةَ فِي وَجْهِكَ مِمَّا أَتَيْتُكَ بِهِ ، وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي صَادِقٌ ، وَمَا قُلْتُ إِلَّا حَقًّا ، فَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ فِرْجًا . قَالَ : وَاجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ ، فَقَالُوا : ابْتَلِينَا بِمَا قَالَ سَعْدٌ . أُجِيبْتُمْ هَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ ، وَتَبَطَّلَ شَهَادَتُهُ فِي الْمُسْلِمِينَ ؟ فَفَهَّمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضَرْبِهِ ، فَإِنَّهُ لَكَذَلِكَ ، يَرِيدُ أَنْ يَأْمُرَ بِضَرْبِهِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ ، إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ ، فَأَمْسَكَ أَصْحَابَهُ عَنْ كَلَامِهِ ، حِينَ عَرَفُوا أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ نَزَلَ ، حَتَّى فَرَّغَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ، وَهُمْ لَا يَكُونُ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ ) . . . إِلَى ( أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَبَشِيرُ يَا هَلَالُ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ فِرْجًا ، فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَرْجُو ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أُرْسِلُوا إِلَيْهَا ، فَجَاءَتْ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ لَهَا ، فَكَذَّبْتَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ ، فَهَلْ مِينَكُمَا تَائِبٌ ؟ فَقَالَ هَلَالٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بَأبِي وَأُمِّي لَقَدْ صَدَقْتُ ، وَمَا قُلْتُ إِلَّا حَقًّا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا عِشُوا بَيْنَهُمَا ، قِيلَ لَهَلَالٌ : يَا هَلَالُ اشْهَد ، فَشَهِدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ، فَقِيلَ لَهُ عِنْدَ الْخَامِسَةِ : يَا هَلَالُ اتَّقِ اللَّهَ ، فَإِنَّ عَذَابَ اللَّهِ أَشَدُّ مِنْ عَذَابِ النَّاسِ ، وَإِنَّهَا الْمَوْجِبَةُ ، الَّتِي تَوْجِبُ عَلَيْكَ الْعَذَابَ ، فَقَالَ هَلَالٌ : وَاللَّهِ لَا يَعَذِّبُنِي اللَّهُ عَلَيْهَا ، كَمَا لَمْ يَجْلِدْنِي عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَشَهِدَ الْخَامِسَةَ : ( أَنْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ) ؛ ثُمَّ قِيلَ لَهَا : اشْهَدِي ، فَشَهِدَتْ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ، فَقِيلَ لَهَا عِنْدَ الْخَامِسَةِ : اتَّقِ اللَّهَ ، فَإِنَّ عَذَابَ اللَّهِ أَشَدُّ مِنْ عَذَابِ النَّاسِ ، وَإِنَّ هَذِهِ الْمَوْجِبَةَ ، الَّتِي تَوْجِبُ عَلَيْكَ الْعَذَابَ ، فَتَلَكَّأَتْ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَتْ : وَاللَّهِ لَا أَفْضَحُ قَوْمِي ، فَشَهِدَتْ الْخَامِسَةَ : ( أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ) فَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَضَى أَنْ الْوَالِدَ لَهَا ، وَلَا يُدْعَى لِأَبٍ ، وَلَا يَرْمَى وَلَدَهَا .

حدثني أحمد بن محمد الطُّوسِيّ ، قال : ثنا أبو أحمد الحسين بن محمد ، قال : ثنا جرير بن حازم ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لَمَّا قَدَفَ هَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ امْرَأَتَهُ ، قِيلَ لَهُ : وَاللَّهِ لِيَجْلِدَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ، قَالَ : اللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ ذَلِكَ ، أَنْ يَضْرِبَنِي ضَرْبَةً وَقَدْ عَلِمَ أَنِّي



قد رأيت حتى استيقنت ، وسمعت حتى استثبتت ، لا والله لا يضر بني أبدا ؛ فنزلت آية الملاعنة ، فدعا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت الآية ، فقال : الله يعلم أن أحدكما كاذب ، فهل منكما تائب ؟ فقال هلال : والله إنى لصادق ، فقال له : احلف بالله الذي لا إله إلا هو : إني لصادق ، يقول ذلك أربع مرّات ، فإن كنت كاذبا فعلى لعنة الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قِفُوهُ عِنْدَ الْخَامِسَةِ ، فَإِنَّهَا مُوجِبَةٌ ، فحلف ، ثم قالت أربعاً : والله الذي لا إله إلا هو : إنه لمن الكاذبين ، فإن كان صادقا فعليها غضب الله ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قِفُوها عِنْدَ الْخَامِسَةِ ، فَإِنَّهَا مُوجِبَةٌ ، فَرَدَدَتْ وَهَمَّتْ بِالاعْتِرَافِ ، ثُمَّ قَالَتْ لَا أَفْضَحُ قَوْمِي .

حدثنا أبو كريب وأبو هشام الرفاعي ، قالوا : ثنا عبدة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : كنا ليلة الجمعة في المسجد ، فدخل رجل فقال : لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا فقتله قتلتموه ، وإن تكلم جلدتموه . فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله آية اللعان ، ثم جاء الرجل بعد ، فكذب امرأته ، فلاعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما ، فقال : عسى أن تجيء به أسود جعداً ، فجاءت به أسود جعداً .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير بن عبد الحميد ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن سعيد بن جبير قال : سألت ابن عمر ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، أيُفترق بين المتلاعنين ؟ فقال : نعم ، سبحان الله ! إن أول من سأل عن ذلك فلان ، أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ، فقال : رأيت لو أن أحدنا رأى صاحبه على فاحشة ، كيف يصنع ؟ فلم يجبه في ذلك شيئاً . قال : فأتاه بعد ذلك فقال : إن الذي سألت عنه قد ابتليت به ، فأنزل الله هذه الآية في سورة النور ، فدعا الرجل فوعظه وذكره ، وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ؛ قال : والذي بعثك بالحق ، لقد رأيتُ وما كذبت عليها ؛ قال : ودعا المرأة فوعظها ، وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، فقالت : والذي بعثك بالحق إنه لكاذب ، وما رأى شيئاً ؛ قال : فبدأ الرجل ، فشهد أربع شهادات بالله : إنه لمن الصادقين ، والخامسة : أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ؛ ثم إن المرأة شهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ، وفرق بينهما .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن عامر ، قال : لما أنزل (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ كُنَّ يَأْتِيَنَّهُنَّ بَأْرَبَعَةٍ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُنَّ وَهُنَّ ثَمَانِينَ جَلْدَةً) قال عاصم بن عدي : إن أنا رأيت فتكلمت جلدت ثمانين ، وإن أنا سكت ، سكت على الغيظ ! قال : فكأن ذلك شق على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأنزلت هذه الآية : (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَكُنَّ يَرْمُونَ شُهَدَاءَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ) قال : فما لبثوا إلا جمعة ، حتى كان بين رجل من قومه وبين امرأته ، فلاعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ ) . . . الآية ، والخامسة : أن يقال له : إن عليك لعنة الله إن كنت من الكاذبين ، وإن أقرت المرأة بقوله رُبِحْتِ ، وإن أنكرت شهدت أربع شهادات بالله : إنه لمن الكاذبين ، والخامسة أن يقال لها : غضب الله عليك إن كان من الصادقين ، فيُنْذَرُ عنها العذاب ، ويُفْتَرَقُ بينهما ، فلا يجتمعان أبدا ، ويلحق الولد بأمه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن عكرمة ، قوله ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ) قال هلال بن أمية : والذي رُمِيَتْ به شريك بن سماء ، والذي استفتى عاصم ابن عدى .

قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : أخبرني الزهري عن الملاعنة والسنة فيها ، عن حديث سهل بن سعد ، أن رجلا من الأنصار جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : رأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا ، أيقضه فقتلوه ؟ أم كيف يفعل ؟ فأنزل الله في شأنه ما ذكر من أمر المتلاعنين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قَدْ قَضَى اللَّهُ فِيكَ وَفِي امْرَأَتِكَ ، فتلاعنا وأنا شاهد ، ثم فارقتها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت السنة بعدها أن يُفْتَرَقَ بين المتلاعنين ، وكانت حاملة ، فأنكره ، فكان ابنها يُدعى إلى أمه ، ثم جرت السنة أن ابنها يترها ، وترث ما فرض الله لها .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ) . . . إلى قوله ( إِنَّ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ) قال : إذا شهد الرجل خمس شهادات ، فقد برئ كل واحد من الآخر ، وعِدَّتُهَا إن كانت حاملا أن تضع حملها ، ولا يجلد واحد منهما ، وإن لم تحلف أقيم عليها الحد والرجم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَذَرُوهَا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ : إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخُمِيسَةَ :  
أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩)

يعنى جل ذكره بقوله ( وَيَذَرُوهَا عَنْهَا الْعَذَابَ ) : ويدفع عنها الحد .

واختلف أهل العلم في العذاب الذي عناه الله في هذا الموضع ، أنه يذروه عنها شهاداتها الأربع ، فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك ، من أن الحد جلد مئة إن كانت بكرا ، أو الرجم إن كانت ثيبا قد أحصنت . وقال آخرون : بل ذلك الحبس ، وقالوا : الذي يجب عليها إن هي لم تشهد الشهادات الأربع بعد شهادات الزوج الأربع والتنعان : الحبس دون الحد .

وإنما قلنا : الواجب عليها إذا هي امتنعت من الائتعان بعد التنعان الزوج ، الحد الذي وصفنا ، قياسا على



إجماع الجميع ، على أن الحد إذا زال عن الزوج بالشهادات الأربع ، على تصديقه فيما رماها به ، أن الحد عليها واجب ، فجعل الله أيمانه الأربع ، والتعانه في الخامسة ، مخرجا له من الحد الذي يجب لها ، برميها إياها ، كما جعل الشهداء الأربعة ، مخرجا له منه في ذلك ، وزائلا به عنه الحد ، فكذلك الواجب أن يكون بزوال الحد عنه بذلك ، واجبا عليها حدها ، كما كان بزواله عنه بالشهود واجبا عليها ، لافرق بين ذلك ، وقد استقصينا العلل في ذلك في باب اللعان من كتابنا المسمى « لطيف القول في شرايع الإسلام » ، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع . وقوله ( أن تشهد أربع شهادات بالله ) يقول : ويدفع عنها العذاب أن تحلف بالله أربع أيمان : أن زوجها الذي رماها بما رماها به من الفاحشة ، لمن الكاذبين فيما رماها به من الزنا . وقوله ( والخامسة أن غضب الله عليهما ) . . . الآية ، يقول : والشهادة الخامسة : أن غضب الله عليها إن كان زوجها فيما رماها به من الزنا من الصادقين ؛ ورفع قوله ( والخامسة ) في كلتا الآيتين ، بأن التي تليها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠)

يقول تعالى ذكره : ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم ، وأنه عواد على خلقه بلطفه وطوله ، حكيم في تدبيره إياهم ، وسياسته لهم ، لعاجلكم بالعقوبة على معاصيكم ، وفضح أهل الذنوب منكم بذنوبهم ، ولكنه ستر عليكم ذنوبكم ، وترك فضيحتكم بها عاجلا ، رحمة منه بكم ، وتفضلا عليكم ، فاشكروا نعمه ، وانتهوا عن التقدم عما عنه نهاكم من معاصيه . وترك الجواب في ذلك ، اكتفاء بمعرفة السامع المراد منه .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ : لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ، وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١)

يقول تعالى ذكره : إن الذين جاءوا بالكذب والبهتان . (عصبة منكم) يقول : جماعة منكم أيها الناس . ( لا تحسبوه شرا لكم ، بل هو خير لكم ) يقول : لا تظنوا ما جاءوا به من الإفك شرا لكم عند الله ، وعند الناس ، بل ذلك خير لكم عنده وعند المؤمنين ، وذلك أن الله يجعل ذلك ، كفارة للمرعى به ، ويظهر براءته مما رمى به ، ويجعل له منه مخرجا . وقيل : إن الذي عسى الله بقوله ( إن الذين جاءوا بالإفك ، عصبة منكم ) : جماعة ، منهم حسان بن ثابت ، ومسطح بن أثانة ، وحمنة بنت جحش .

كما حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أبان العطار ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن عروة : أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : كتبت إلى تسألني في الذين جاءوا بالإفك ، وهم كما قال الله ( إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ) ، وأنه لم يسم منهم أحد إلا حسان بن ثابت ، ومسطح بن أثانة ، وحمنة بنت جحش ، وهو يقال في آخرين لا علم لي بهم ، غير أنهم عصبة ، كما قال الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( جاءُوا بالإفكِ عَصْبَةَ مِنْكُمْ ) هم أصحاب عائشة ، قال ابن جريج : قال ابن عباس : قوله ( جاءُوا بالإفكِ عَصْبَةَ مِنْكُمْ ) . . . الآية ، الذين افترّوا على عائشة : عبد الله بن أبي ، وهو الذي تولى كيبره ، وحسان بن ثابت ، ومسطح ، وحمّة بنت جحش .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ) الذين قالوا لعائشة الإفك والبهتان .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ) ، لا تحسبوه شراً لكم ، بل هو خير لكم ) قال : الشر لكم بالإفك الذي قالوا ، الذي تكلموا به ، كان شراً لهم ، وكان فيهم من لم يقله ، إنما سمعه ، فعاتبهم الله ، فقال : أول شيء ( إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ) ، لا تحسبوه شراً لكم ، بل هو خير لكم ) ثم قال : ( وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) .

وقوله ( لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ) يقول : لكل امرئ من الذين جاءوا بالإفك جزء ما اجترم من الإثم ، بمجيئه بما جاء به ، من الأولى عبد الله . وقوله ( وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ ) يقول : والذي تحمل معظم ذلك الإثم والإفك منهم : هو الذي بدأ بالخوض فيه .

كما حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ ) يقول : الذي بدأ بذلك .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ) قال : أصحاب عائشة عبد الله بن أبي ابن سؤل ، ومسطح ، وحسان . قال أبو جعفر : له من الله عذاب عظيم يوم القيامة .

وقد اختلف القراء في قراءة قوله ( كِبْرَهُ ) فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار ( كِبْرَهُ ) بكسر الكاف ، سوى حميد الأعرج ، فإنه كان يقرؤه ( كِبْرَهُ ) بمعنى : والذي تحمل أكبره .

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب : القراءة التي عليها عوام القراء ، وهي كسر الكاف ، لإجماع الحجة من القراء عليها . وأن الكبير : بالكسر : مصدر الكبير من الأمور ، وأن الكبير بضم الكاف : إنما هو من الولاء والنسب ، من قولهم : هو كبير قومه ؛ والكبير في هذا الموضع : هو ما وصفناه من معظم الإثم والإفك . فإذا كان ذلك كذلك ، فالكسر في كافته هو الكلام الفصيح ، دون ضمها ، وإن كان لضمها وجه مفهوم .

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ ) . . . الآية ، فقال

بعضهم : هو حسان بن ثابت .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن قرة ، قال : ثنا مسلمة بن علقمة ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، أن عائشة قالت : ما سمعت بشيء أحسن من شعر حسان ، وما تمثلت به إلا رجوت له الجنة ، قوله لأبي سفيان :

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ  
فَإِنِّي أُنِي وَوَالِدَهُ وَعَيْرِضِي لِعَيْرِضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ  
أَتَشْتُمُهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكُفٍّ فَشَرُّكُمْ لَخَيْرِكُمْمَا الْفِدَاءُ  
لِسَانِي صَارِمٌ لَا عَيْبَ فِيهِ وَبَحْرِي لَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَاءُ<sup>١</sup>

فقيل : يا أم المؤمنين ، أليس هذا لغوا ؟ قالت : لا ، إنما اللغو ما قيل عند النساء . قيل : أليس الله يقول : ( وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) قالت : أليس قد أصابه عذاب عظيم ، أليس قد ذهب بصره ، وكُنِعَ بالسيف<sup>٢</sup> .

قال : ثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق قال : كنت عند عائشة ، فدخل حسان بن ثابت ، فأمرت ، فألقى له وسادة ، فلما خرج قلت لعائشة : ما تصنعين بهذا وقد قال الله ما قال ؟ فقالت : قال الله ( وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) وقد ذهب بصره ، ولعل الله يجعل ذلك العذاب العظيم : ذهاب بصره .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي الضحى ، عن مسروق قال : دخل حسان بن ثابت على عائشة ، فشَبَّ بِأبيات له ، فقال :

• وَتُضْبِحُ غَرَّتِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ<sup>٣</sup> .

فقالت عائشة : أما إنك لست كذلك ! فقلت : تدعين هذا الرجل يدخل عليك ، وقد أنزل الله فيه ( وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ ) . . . الآية ؟ فقالت : وأي عذاب أشد من العمى ، وقالت : إنه كان يدفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثني محمد بن عثمان الواسطي ، قال : ثنا جعفر بن عون ، عن المُعَسَّلِيِّ بن عرفان ، عن محمد بن عبد الله ابن جحش ، قال : تفاخرت عائشة وزينب ، قال : فقالت زينب : أنا التي نزل تزويجي من السماء ،

(١) هذه الأبيات الأربعة لحسان بن ثابت الأنصاري ، شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم ، يهجو بها أبا سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب ، شاعر قريش قبل إسلامه . وهي من قصيدته التي مطلعها : « عفت ذات الأصابع فالجواء » . والأبيات قرب نهاية القصيدة ، وقبلها « ألا أبلغ أبا سفيان عنى مغلغلة فقد برح الخفاء » ( وانظر القصيدة في سيرة ابن هشام طبعة الحلبي ج ٤ : ٦٤ - ٦٦ ) وقد استشهد بها المؤلف على أن حسان كان من خاص في حديث الأفك ، الذي رميت به أم المؤمنين عائشة المبرأة ، رضى الله عنها .

(٢) كنع بالسيف : ضرب به حتى يبس جلده ( اللسان ) .

(٣) هذا عجز بيت لحسان بن ثابت ، من أبيات له في مدح أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها بعد أن نزلت برامتها في سورة النور ، من الإفك الذي خاض فيه بعض الصحابة ، وكان حسان من أشدهم خوفا فيه ، حتى إذا حصص الحق ، وظهرت براءة أم المؤمنين ، ندم حسان واعتذر ، وقال بمدحها في أبيات له . وصدر البيت : « حصان رزان ما ترن بريية » . والحصان : العفيفة والرزان : الرزينة الثابتة التي لا يستخفها الطيش . وترن : ترمي وتتهم . والريية : الهمة والشك . وغرني : جاتمة ، يريد لا تغتاب النساء ، والغوافل : جمع غافلة ، وهي التي غفل قلبها عن الشر ( وانظر سيرة ابن هشام طبعة الحلبي ٣ : ٣١٩ ، ٣٢٠ ) .

قال : وقالت عائشة : أنا التى نزل عذرى فى كتابه ، حين حملنى ابن المعتل على الراحلة ، فقالت لها زينب : يا عائشة ، ما قلت حين ركبتها ، قالت : قلت : حسبي الله ونعم الوكيل ، قالت : قلت كلمة المؤمنين . وقال آخرون : هو عبد الله بن أبي ابن سلول .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : كان الذين تكلموا فيه : المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول ، وكان يستوشيه ويجمعه ، وهو الذى تولى كبره ، ومسطحا ، وحسان بن ثابت .

حدثنا سفيان ، قال : ثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن علقمة بن وقاص وغيره أيضا ، قالوا : قالت عائشة : كان الذى تولى كبره : الذى يجمعهم فى بيته ، عبد الله بن أبي ابن سلول .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن شهاب ، قال : ثنى عروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب ، وعلقمة بن وقاص ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان الذى تولى كبره : عبد الله بن أبي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( إن الذين جاءوا ) . . . الآية ، الذين افستروا على عائشة : عبد الله بن أبي ، وهو الذى تولى كبره ، وحسان ، ومسطح ، وحمزة بنت جحش .

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أبان العطار ، قال : ثنا هشام بن عروة فى الذين جاءوا بالإفك ، يزعمون أنه كان كبر ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول ، أحد بنى عوف بن الخزرج ، وأخبرت أنه كان يحدث به عنهم ، فيقره ويسمعه ويستوشيه .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أما الذى تولى كبره منهم ، فعبد الله بن أبي ابن سلول الخبيث ، هو الذى ابتداء هذا الكلام ، وقال : امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ، ثم جاء يقود بها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، والذى تولى كبره هو عبد الله بن أبي ابن سلول ، وهو بدأه .

وأولى القولين فى ذلك بالصواب : قول من قال : الذى تولى كبره من عصابة الإفك ، كان عبد الله بن أبي ، وذلك أنه لاخلاف بين أهل العلم بالسيرة ، أن الذى بدأ بذكر الإفك ، وكان يجمع أهله ويحدثهم ، عبد الله بن أبي ابن سلول ، وفعله ذلك على ما وصفت ، كان توليه كبر ذلك الأمر .

وكان سبب مجيء أهل الإفك ، ما حدثنا به ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ،



عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب ، قال : ثنى عروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب ، وعلقمة بن وقاص ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ، فبرأها الله ، وكلهم حدثني طائفة من حديثها ، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض ، وأثبت اقتصاصا ، وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة ، وبعض حديثهم يصدق بعضها :

زعموا أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه ، فأيهن خرج سهمها خرج بها ؛ قالت عائشة : فأقرع بيننا في غزاة غزاها ، فخرج سهمي ، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك بعد ما أنزل الحجاب ، وأنا أُحْمَلُ في هودجِي ، وأنزل فيه ، فسرنا ، حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه ، وقفل إلى المدينة ، أذن ليلة بالرحيل ، فممت حين آذونا بالرحيل ، فشيت حتى جاوزت الجيش ؛ فلما قضيت شأني ، أقبلت إلى الرحل ، فلمست صدري ، فإذا عقدي من جزع ظنمَارٍ قد انقطع ، فرجعت فالتمت عقدي ، فحبسني ابتغاؤه ، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي ، فاحتملوا هودجِي ، فراحوا على بعيري الذي كنت أركب ، وهم يحسبون أني فيه ؛ قالت : وكانت النساء إذ ذاك خيفافا ، لم يهبتهن ولم يعشهن اللحم ، إنما يأكلن العلقمة من الطعام ، فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين راحلوه ورفعوه ، وكنت جارية حديثة السن ، فبعثوا الحمل وساروا ، فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش ، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب ، فتيممت منزلي الذي كنت فيه ، وظننت أن القوم سيفقدوني ، ويرجعون إلي ، فيينا أنا جالسة في منزلي ، غلبتني عيني ، فنمت حتى أصبحت . وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني ، قد عرس من وراء الجيش ، فادلج فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد إنسان نائم ، فأتاني ، فعرفني حين رأيته ، وكان يراني قبل أن يضرب الحجاب عسي ، فاستيقظت باستر جاعه حين عرفني ، فحسرت وجهي بجلابي ، والله ما تكلمت بكلمة ، ولا سمعت منه كلمة غير أستر جاعه ، حتى أناخ راحلته ، فوطئني على يديها ، فركبتها ، فانطلق يقودني الراحلة ، حتى أتينا الجيش ، بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة ، فهلك من هلك في شأني ، وكان الذي تولى كسبه عبد الله بن أبي ابن سلول . فقدمنا المدينة ، فاشتكت شهرا ، والناس يفيضون في قول أهل الإفك ، ولا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يربيني في وجعي ، أني لأعرف من رسول الله اللطيف الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخل فيسلم ثم يقول : كيف تيكم ؟ فذلك يربيني ، ولا أشعر بالشر ، حتى خرجت بعد ما نكمت ، فخرجت مع أم مسطح قبيل المنصاع ، وهو مستبرزنا ، ولا نخرج إلا ليلا إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكسف قريبا من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه<sup>١</sup> ، وكنا نتأذى بالكسف أن نتخذها عند بيوتنا ، فانطلقت أنا وأم مسطح ، وهي ابنة أبي رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وأمها ابنة صخر بن عامر ، خالة أبي بكر الصديق ، وابنها مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب ، فأقبلت أنا وابنة أبي رهم قبل بيتي ، حين فرغنا من شأننا ، فعثرت أم مسطح في ميرطها ، فقالت : تعس مسطح ! فقلت لها : بيئس ما قالت ! أتسبين رجلا قد شهد بدرا ؟ فقالت : أي هنتاه ، أو لم تسمعي ما قال ؟ قلت : وما قال ؟ فأخبرتني بقول أهل

(١) كذا رواه الإمام مسلم في صحيحه (١٧ : ١٠٦) بشرح النووي . وفي صحيح البخاري طبعة الحلبي (٥ : ١٥٠) : البرية قبل الغائط ، في مكان : التنزه .

الإفك ، فازددت مرصاً على مرضى ؛ فلما رجعت إلى منزلي ، ودخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : كَيْفَ تَبْكُكُمْ ؟ فقلت : أتأذن لي أن آتي أبوي ؟ قال : نعم . قالت : وأنا حينئذ أريد أن أستنبت الخبر من قبيلهما . فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجنحت أبوي ، فقلت لأمي : أي أمتاه ، ماذا يتحدث الناس ؟ فقالت : أي بنية ، هوني عليك ! فوالله لقلما كانت امرأة قطّ وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر ، إلا أكثرن عليها . قالت : قلت : سبحان الله ، أو قد تحدث الناس بهذا ، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : نعم ، فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت ، لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، ثم أصبحت ، فدخل علي أبو بكر وأنا أبكي ، فقال لأمي : ما يبكيها ؟ قالت : لم تكن علمت ما قيل لها ، فأكبّ يبكي ، فبكي ساعة ، ثم قال : اسكتي يا بنية ، فبكيت يومئذ ، لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، ثم بكيت ليلى المقبل لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، ثم بكيت ليلتي المقبلة ، لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، حتى ظنّ أبواي أن البكاء سيفلق كبدي .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ، وأسامة بن زيد ، حين استلبث الوحي ، يستشيرهما في فراق أهله ؛ قالت : فأما أسامة ، فأشار علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله ، وبالذي في نفسه من الود ، فقال : يا رسول الله ، هم أهلك ، ولا نعلم إلا خيرا . وأما علي فقال : لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وإن تسأل الجارية تصدقك ، يعني بريرة . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة ، فقال : هل رأيت من شئ يربيك من عائشة ؟ قالت له بريرة : والذي بعثك بالحق ، ما رأيت عليها أمراً قطّ أغصه عليها ، أكثر من أنها حديثه السن ، تنام عن عجين أهلها ، فتأني الداجن فتأكله . فقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : مَنْ يَعْذِرُنِي مِمَّنْ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي ؟ يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر أيضا : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِمَّنْ رَجُلٌ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا ، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا ، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعَى . فقام سعد بن معاذ الأنصاري ، فقال : أنا أعذرك منه يا رسول الله ، إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك ؛ فقام سعد بن عبادة ، فقال ، وهو سيد الخزرج ، وكان رجلاً صالحاً ، ولكن احتملته الحمية ، فقال : أي سعد بن معاذ ، لعمر الله لا تقتله ، ولا تقدر على قتله . فقام أسيد بن حضير ، وهو ابن عمه سعد بن معاذ ، فقال لسعد بن عبادة : كذبت ، لعمر الله لا تقتله ، فإنك منافق ، تجادل عن المنافقين . فثار الحيان : الأوس والخزرج ، حتى هموا أن يقتلوا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا ، ثُمَّ أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا فِي بَيْتِ أَبِي ، فَبَيْنَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي ، اسْتَأْذَنْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَأَذْنَتْ لَهَا ، فَجَلَسْتُ تَبْكِي مَعِيَ ؛ قَالَتْ : فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ ، دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ جَلَسَ عِنْدِي ، وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْذُ قَبْلِ مَا قِيلَ ، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحِي إِلَيهِ

(١) هذه رواية مسلم . وفي صحيح البخاري ( ١٥٠ : ٥ ) : قالت : أريد أن أستيقن الخبر من قبيلهما . قالت : فأذن . الخ .



في شأنى بشيء ؛ قالت : فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ، ثم قال : **أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ** فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَاً وَكَدَاً ، فَإِنْ كُنْتِ بِرَيْثَةٍ فَسَيَّبِرْتُكَ اللَّهُ ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ ، وَتَوَيِّي إِلَيْهِ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ . فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته ، قَلَصَ دَمْعِي ، حَتَّى مَا أَحْسَنَ مِنْهُ دَمْعَةٌ ؛ قُلْتُ لِأَبِي : أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا قَالَ ، قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُ لِأُمِّي : أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، : فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةَ السَّنَنِ ، لِأَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ : إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا ، حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ ، حَتَّى كِدْتُمْ أَنْ تَصَدَّقُوا بِهِ ، فَإِنْ قُلْتِ لَكُمْ : إِنِّي بِرَيْثَةٍ ، وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي بِرَيْثَةٍ ، لَا تَصَدَّقُونِي بِذَلِكَ ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ ، وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بِرَيْثَةٍ ، لِتَصَدَّقْتَنِي ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَجْدَى لِي وَلَكُمْ مِثْلًا إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ : ( فَصَبِّرْ بِجَمِيلٍ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ) .  
ثُمَّ تَوَلَّيْتُ وَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي ، وَأَنَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنِّي بِرَيْثَةٍ ، وَأَنَّ اللَّهَ سَيَّرْتَنِي بِبِرَاعَتِي ، وَلَكِنِّي وَاللَّهُ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يَنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحَيُّ يَتَلَّى ، وَلِشَأْنِي كَانَ أَحَقَّرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِي بَأْمُرٍ يَتَلَّى ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ رُؤْيَا يَبْرِئُنِي اللَّهُ بِهَا . قَالَتْ : وَاللَّهُ مَا رَامَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسَهُ ، وَلَا خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ أَحَدٌ ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ ، حَتَّى إِذَا لَيْتَ حَدَثَ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي الْيَوْمِ الشَّامِي ، مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ ؛ قَالَتْ : فَلَمَّا سُرِّيَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَضْحَكُ ، كَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ : **أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدَ بَرَّأَكَ** . فَقَالَتْ لِي أُمِّي ، قَوْمِي إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهُ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بِرَاعَتِي . فَأَنْزَلَ اللَّهُ ( **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ** ) عَشْرَ آيَاتٍ ، فَأَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَاتِ بِرَاعَةَ لِي . قَالَتْ : فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَكَانَ يَنْفِقُ عَلَى مِسْطَاحٍ لِقَرَابَتِهِ وَفَقْرِهِ : وَاللَّهُ لَا أَنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ . قَالَتْ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ( **وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ** ) حَتَّى بَلَغَ ( **غَمُورٌ رَحِيمٌ** ) فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنِّي لِأَحَبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي ، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَاحِ النَّفَقَةِ الَّتِي كَانَ يَنْفِقُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : لِأَنْزَعَهَا مِنْهُ أَبَدًا .

قَالَتْ عَائِشَةُ : وَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جِحْشٍ عَنْ أَمْرِي ، وَمَا رَأَتْ ، وَمَا سَمِعَتْ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَحْمَى سَمْعِي وَبَصْرِي ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتِ إِلَّا خَيْرًا . قَالَتْ عَائِشَةُ : وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تَسَامِينِي ، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ ، وَطَفَقَتْ أَخْبَهَا حَمْنَةَ تَحَارِبَ ، فَهَلَكْتَ فِيمَنْ هَلَكَ .  
قَالَ الزُّهْرِيُّ بْنُ شَهَابٍ : هَذَا الَّذِي انْتَهَى إِلَيْنَا مِنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ الزُّهْرِيِّ ، وَعَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصِ اللَّيْثِيِّ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيْبِ ، وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ . قَالَ الزُّهْرِيُّ : كُلٌّ قَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُ هَذَا الْحَدِيثِ ، وَبَعْضُ الْقَوْمِ كَانَ لَهُ أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ . قَالَ : وَقَدْ جَمَعْتُ لَكَ كُلَّ الَّذِي قَدْ حَدَّثَنِي :

(١) لم تذكر أم المؤمنين رضي الله عنها اسم النبي يعقوب أبي يوسف عليهما السلام ، لأنها كانت جارية حديثة السن ، ولم تقرأ كثيراً من القرآن بعد .

وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ؛ قال : وثني محمد بن إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة ؛ قال : وثني عبد الله بن بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، عن عميرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة قالت : وكل قد اجتمع في حديثه قصة خير عائشة عن نفسها ، حين قال أهل الإفك فيها ما قالوا ، وكله قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعا ، ويحدث بعضهم ما لم يحدث بعض ؛ وكل كان عنها ثقة ، وكل قد حدث عنها ما سمع .

قالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، فلما كانت غزاة بني المصطلق ، أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمي عليهن ، فخرج بي رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ، قالت : وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق ، لم يهيجهن اللحم فينقلن ؛ قالت : وكنت إذا رحل بعيري جلست في هودج ، ثم يأتي القوم الذين يرحلون بي بعيري ويحملوني ، فيأخذون بأسفل الهودج ، يرفعونه فيضعونه على ظهر البعير ، فينطلقون به ؛ قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، وجه قافلا ، حتى إذا كان قريبا من المدينة ، نزل منزلا ، فبات بعض الليل ، ثم أذن في الناس بالرحيل ؛ فلما ارتحل الناس ، خرجت لبعض حاجتي ، وفي عنقي عقد لي من جزع ظفار ، فلما فرغت انسلت من عنقي وما أدري ؛ فلما رجعت إلى الرحل ، ذهبت أتمسه في عنقي فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرحيل ؛ قالت : فرجعت عودي إلى بدئي ، إلى المكان الذي ذهبت إليه ، فالتسته حتى وجدته ؛ وجاء القوم خلافي الذين كانوا يرحلون بي البعير . ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى ، عن ابن ثور .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : لما ذكر من شأني الذي ذكر ، وما علمت به ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا وما علمت ، فتشهد ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد أشيروا علي في أناس أبئسوا أهلي ، والله ما علمت علي أهلي سوء قط ، وأبئسوا هم بمن ، والله ما علمت عليهن سوء قط ، ولا دخل بييتي قط إلا وأنا حاضِر ، ولا أغيب في سفر إلا غاب معي ، فقام سعد بن معاذ فقال : يا رسول الله ، نرى أن تضرب أعناقهم ، فقام رجل من الخزرج ، وكانت أم حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل ، فقال : كذبت ، أما والله لو كانوا من الأوس ، ما أحببت أن تضرب أعناقهم ، حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج في المسجد شر ، وما علمت به ؛ فلما كان مساء ذلك اليوم ، خرجت لبعض حاجتي ومعى أم مسطح ، فعثرت ، فقالت : تعس مسطح ! فقلت علام تسيين ابنك ؟ فسكتت ، ثم عثرت الثانية ، فقالت : تعس مسطح ! قلت : علام تسيين ابنك ؟ فسكتت الثانية ؛ ثم عثرت الثالثة ، فقالت : تعس مسطح ! فأنهت بها ، وقلت : علام تسيين ابنك ؟ قالت : والله ما أسبه إلا فيك ، قلت : في أي شأني ، فبقرت لي الحديث ، فقلت : وقد كان هذا ؟ قالت : نعم والله ؛ قالت : فرجعت إلى بيتي فكأن الذي خرجت له لم أخرج له ، ولا أجد منه قليلا ولا كثيرا ، ووُعيت ، فقلت : يا رسول الله ، أرسلني إلى بيت أبي ، فأرسل معي الغلام ، فدخلت الدار ، فإذا أنا بأبي أم رومان ، قالت : ما جاء بك يا بنية ؟



فأخبرتها ، فقالت : خففصني عليك الشأن ، فإنه والله ما كانت امرأة جميلة عند رجل يحبها ولها ضرائر ، إلا حسدتها وقلن فيها . قلت : وقد علم بها أبي ؟ قالت : نعم . قلت : ورسول الله ؟ قالت : نعم . فاستعبرت وبكيت ، فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ ، فنزل فقال لأمي : ما شأنها ؟ قالت : بلغها الذي ذكر من أمرها ، ففاضت عيناه ، فقال : أقسمت عليك إلا جععت إلى بيتك . فرجعت .

فأصبح أبوأي عندى ، فلم يزالا عندى حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعد العصر ، وقد اكتنفتي أبوأي ، عن يميني ، وعن شمالي ، فشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد يا عائشة ، إن كنت قارفت سوءاً أو ألمت ، فتوبني إلى الله ، فإن الله يقبيل التوبة عن عبادِه . وقد جاءت امرأة من الأنصار وهي جالسة ، فقلت : ألا تستحي من هذه المرأة أن تقول شيئاً ؟ فقلت لأبي : أجه . فقال : أقول ماذا ؟ قلت لأمي : أجيبيه . فقالت : أقول ماذا ؟ فلما لم يجيباه تشهدت ، فحمدت الله ، وأثنت عليه بما هو أهله ، ثم قلت : أما بعد ، فوالله لئن قلت لكم إنى لم أفعل ، والله يعلم إنى لصادقة ، ماذا بنافعي عندكم ، لقد تكلمتم به ، وأشربته قلوبكم ، وإن قلت إنى قد فعلت ، والله يعلم أنى لم أفعل ، لتقولن قد باءت به على نفسها ، وإيم الله ما أجدلى ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف وما أحفظ اسمه : ( فصبر جميل ) ، والله المستعان على ما تصفون . وأنزل الله على رسوله ساعتئذ ، فرفع عنه ، وإنى لأتبين السرور في وجهه ، وهو يمسح جبينه يقول : أبشيري يا عائشة ، فقد أنزل الله براءتكَ ، فكنت أشد ما كنت غضبا ، فقال لى أبوأي : قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : والله لأقوم إليه ، ولا أحده ، ولا أحمد كما ، لقد سمعتموه فما أنكرتموه ، ولا غيرتموه ، ولكنى أحمد الله الذى أنزل براءتى ، ولقد جاء رسول الله بى ، فسأل الجارية عنى ، فقالت : والله ما أعلم عليها عيباً ، إلا أنها كانت تنام ، حتى كانت تدخل الشاة ، فتأكل حصيرها أو عجينا ، فانتهرها بعض أصحابه ، وقال لها : اصدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عروة : فعتب على من قاله ، فقال : لا ، والله ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر ، وبلغ ذلك الرجل الذى قيل له ، فقال : سبحان الله ! ما كشفت كنت أنى قط ، فقتل شهيدا فى سبيل الله . قالت عائشة : فأما زينب بنت جحش ، فعصمها الله بدنها ، فلم تقل إلا خيراً ، وأما حمزة أختها ، فهلكت فىمن هلك . وكان الذين تكلموا فيه : المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول ، وكان يستوشيه ويجمعه ، وهو الذى تولى كبره ، ومسطحا ، وحسان بن ثابت ، فحلف أبو بكر أن لا يرفع مسطحا بنافعة ، فأنزل الله : ( ولا يأتلر أولوا الفضل منكم والسعة ) يعنى أبا بكر ( أن يؤتوا أوى القررى والمساكين ) يعنى مسطحا ( ألا تحببون أن يغفر الله لكم ) ، والله غفور رحيم ) قال أبو بكر : بلى والله ، إنا لنحب أن يغفر الله لنا ، وعاد أبو بكر لمسطح بما كان يصنع به : حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب ، عن علقمة بن وقاص وغيره أيضا ، قال : خرجت عائشة تريد المذهب ، ومعها أم مسطح ، وكان مسطح بن أثانة ممن قال ما قال ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس قبل ذلك ، فقال :

كَيْفَ تَرَوْنَ فِيمَنْ يُؤْذِيَنِي فِي أَهْلِي، وَيَجْمَعُ فِي بَيْتِهِ مَنْ يُؤْذِيَنِي؟ فقال سعد بن معاذ: أى رسول الله، إن كان منا معشر الأوس جلدنا رأسه، وإن كان من إخواننا من الخزرج، أمرتنا فأطعنك. فقال سعد بن عباد: يا بن معاذ، والله ما بك نُصْرَة رسول الله، ولكنها قد كانت ضعائن في الجاهلية وإحن لم تحلل لنا من صدوركم بعد، فقال ابن معاذ: الله أعلم ما أردت، فقام أُسَيْد بن حُضَيْر، فقال: يا بن عباد، إن سعدا ليس شديدا، ولكنك تجادل عن المنافقين، وتدفع عنهم، وكثر اللغَط في الحيين في المسجد، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على المنبر، فما زال النبي صلى الله عليه وسلم يومئ بيده إلى الناس ههنا وههنا، حتى هدا الصوت.

وقالت عائشة: كان الذى تولى كِبره، والذى يجمعهم فى بيته، عبد الله بن أُبَيّ ابن سلول، قال: فخرجت إلى المذْهَب ومعى أمّ مسطح، فعثرت، فقالت: تَعَسَّ مِسْطَح! فقلت: غفر الله لك، أنتقولين هذا لابنك، ولصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت ذلك مرتين، وما شعرت بالذى كان، فحدثت، فذهب عني الذى خرجت له، حتى ما أجد منه شيئا، ورجعت على أبوي: أبي بكر، وأمّ رومان، فقلت: أما اتقينا الله في وما وصلنا رحي؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم الذى قال، وتحدث الناس بالذى تحدثوا به، ولم تعلماني، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: أى بنية، والله لقلما أحب رجل قطّ امرأته، إلا قالوا لها نحو الذى قالوا لك، أى بنية ارجعي إلى بيتك، حتى نأتيك فيه، فرجعت وارتكبتى صالِب من حُمَى، فجاء أبواي فدخلا، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس على سريري وجاهي، فقالا: أى بنية، إن كنت صنعت ما قال الناس، فاستغفري الله، وإن لم تكوني صنعتيه، فأخبري رسول الله بعذرك. قلت: ما أجد لي ولكم إلا كأبي يوسف (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ). قالت: فالتست اسم يعقوب، فما قدرت، أو فلم أقدر عليه، فشخص بصر رسول الله إلى السقف، وكان إذا نزل عليه وجَد، قال الله (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) فوالذى هو أكرمهم، وأنزل عليه الكتاب، ما زال يضحك، حتى إنني لأنظر إلى نواجذه سرورا، ثم مسح عن وجهه، فقال: يا عائشة أبشيري، قد أنزل الله عذرك. قلت: بحمد الله لا بحمدك، ولا بحمد أصحابك، قال الله (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ) . . . حتى بلغ (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ) وكان أبو بكر حلف أن لا ينفع مسطحا بنافعة، وكان بينهما رحم، فلما أنزلت (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ) . . . حتى بلغ (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) قال أبو بكر: بلى، إى رب، فعاد إلى الذى كان لمسطح (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ) . . . حتى بلغ (أُولَئِكَ مُّسَرَّوْنَ مِمَّا يَقُولُونَ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) قالت عائشة: والله ما كنت أرجو أن ينزل في كتاب، ولا أطمع به، ولكن أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا تذهب ما في نفسه، قالت: وسأل البخارية الحبشية، فقالت: والله لعائشة أطيب من طيب الذهب، وما بها عيب إلا أنها ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل عجينها، ولئن كانت صنعت ما قال الناس، ليخبرنك الله، قال: فعجب الناس من فقهاها.



## القول في تأويل قوله تعالى

لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا، وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (٦٣)

وهذا عتاب من الله تعالى ذكّره أهل الإيمان به، فيما وقع في أنفسهم من إرجاف من أرجف في أمر عائشة، بما أرجف به، يقول لهم تعالى ذكره: هلا أيها الناس إذ سمعتم ما قال أهل الإفك في عائشة، ظنّ المؤمنون منكم والمؤمنات بأنفسهم خيرا: يقول: ظننتم بمن قُرب بذلك منكم خيرا، ولم تظنوا به أنه أتى الفاحشة، وقال بأنفسهم، لأن أهل الإسلام كلهم بمنزلة نفس واحدة، لأنهم أهل ملة واحدة. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن أبيه، عن بعض رجال بني النجار، أن أبا أيوب خالد بن زيد، قالت له امرأته أم أيوب: أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك. قال: فلما نزل القرآن، ذكر الله من قال في الفاحشة ما قال من أهل الإفك (إنّ الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم) وذلك حسان وأصحابه الذين قالوا ما قالوا، ثم قال (لولا إذ سمعتموه ظنّ المؤمنون) . . . الآية: أي كما قال أبو أيوب وصاحبه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (لولا إذ سمعتموه ظنّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) ما هذا الخير ظنّ المؤمن أن المؤمن لم يكن ليفجر بأمه، وأن الأم لم تكن لتفجر بابنها، إن أراد أن يفجر ففجر بغير أمه، يقول: إنما كانت عائشة أما، والمؤمنون بنون لها، محرّما عليها، وقرأ (لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء) . . . الآية.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله (ظنّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) قال لهم خيرا، ألا ترى أنه يقول: لا تقتلوا أنفسكم، يقول بعضكم بعضا، وسلموا على أنفسكم، قال: يسلم بعضكم على بعض.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا هُوذة، قال: ثنا عوف عن الحسن، في قوله (لولا إذ سمعتموه ظنّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) يعني بذلك المؤمنين والمؤمنات.

وقوله (وقالوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ) يقول: وقال المؤمنون والمؤمنات: هذا الذي سمعناه من القول الذي رُمي به عائشة من الفاحشة: كذب وإثم، بين لمن عقل وفكر فيه، أنه كذب وإثم وبهتان.

كما حدثنا ابن بشار، قال: ثنا هُوذة، قال: أخبرنا عوف عن الحسن (وقالوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ) قالوا: إن هذا لا ينبغي أن يتكلم به إلا من أقام عليه أربعة من الشهود، وأقيم عليه حد الزنا.

القول في تأويل قوله تعالى

لَوْلَا جَاءَ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ ، فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ

الْكَذِبُونَ (١٣)

يقول تعالى ذكره : هلا جاء هؤلاء العصبة الذين جاءوا بالإفك، ورموا عائشة بالبهتان، بأربعة شهداء يشهدون على مقالتهم فيها، وما رموها به، فإذا لم يأتوا بالشهداء الأربعة على حقيقة ما رموها به ( فأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ ) يقول : فالعصبة الذين رموها بذلك عند الله هم الكاذبون ، فيما جاءوا به من الإفك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ

عَظِيمٌ (١٤)

يقول تعالى ذكره ( وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ) أيها الخائضون في أمر عائشة ، المشيعون فيها الكذب والإثم ، بتركه تعجيل عقوبتكم ( وَرَحْمَتُهُ ) إياكم ، لعفوه عنكم ( في الدنيا والآخرة ) بقبول توبتكم مما كان منكم في ذلك ، ( لَمَسَّكُمْ فِيهَا ) خضتم فيه من أمرها عاجلا في الدنيا ( عَذَابٌ عَظِيمٌ ) .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ) هذا للذين تكلموا ، فذسروا ذلك الكلام ( لَمَسَّكُمْ فِيهَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنْتِكُمْ ، وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ

عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥)

يقول تعالى ذكره : لمستم فيما أفضتم فيه من شأن عائشة عذاب عظيم ، حين تلقونه بالسنتكم ، و « إذ » من صلة قوله لمستم . ويعني بقوله ( تَلَقَّوْنَهُ ) تتلقون الإفك الذي جاءت به العصبة من أهل الإفك ، فتقبلونه ، ويرويه بعضكم عن بعض ، يقال : تلقيت هذا الكلام عن فلان ، بمعنى أخذته منه ؛ وقيل ذلك ، لأن الرجل منهم فيما ذكر يلقى آخر ، فيقول : أو ما بلغك كذا وكذا عن عائشة ؟ ليشتيع عليها بذلك الفاحشة . وذكر أنها في قراءة أبي ( إِذْ تَلَقَّوْنَهُ ) بتاءين ، وعليها قراءة الأمصار ، غير أنهم قرعوها ( تَلَقَّوْنَهُ ) بتاء واحدة ، لأنها كذلك في مصاحفهم :



وقد روى عن عائشة في ذلك ، ما حدثني به محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا خالد بن نزار ، عن نافع ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، أنها كانت تقرأ هذه الآية ( إذ تَلَقُّوْهُ بِالْسِيْنَتِكُمْ ) تقول : إنما هو ولتق الكذب ، وتقول : إنما كانوا يلقون الكذب . قال ابن أبي مليكة : وهي أعلم بما فيها أنزلت . قال نافع : وسمعت بعض العرب يقول : اللبيق : الكذب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا نافع بن عمر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر الجَمَحِي ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، أنها كانت تقرأ ( إذ تَلَقُّوْهُ بِالْسِيْنَتِكُمْ ) وهي أعلم بذلك وفيها أنزلت ، قال ابن أبي مليكة : هو من ولتق الكذب .

قال أبو جعفر : وكان عائشة وجَّهت معنى ذلك بقراءتها ( تَلَقُّوْهُ ) بكسر اللام وتخفيف القاف ، إلى إذ تستمرون في كذبكم عليها ، وإفككم بألسنتكم ، كما يقال : ولتق فلان في السير فهو يلقى : إذا استمر فيه ؛ وكما قال الراجز :

إِنَّ الْجَلْبِيْدَ زَلِقٌ وَزُمْلِقٌ جَاءَتْ بِهِ عَنَسٌ مِّنَ الشَّامِ تَلِقٌ  
مُجَوِّعُ الْبَطْنِ كِلَابِيٌّ الْخُلُقُ ٢٠

وقد روى عن العرب في الولاقت : الكذب : الألقى ، والإلقى : بفتح الألف وكسرهما ، ويقال في فعلت منه : ألقى ، فأنا ألقى ، وقال بعضهم :

مَنْ لِيَّ بِالْمُزْرَرِ الْيَسْلَامِقِ صَاحِبِ أَذْهَانٍ وَأَلْقِي آلِقِي ٣  
والقراءة التي لا أستجيز غيرها ( إذ تَلَقُّوْهُ ) على ما ذكرت من قراءة الأمصار ، لإجماع الحجة من القراء عليها .

وبنحو الذي قلنا من التأويل في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( إذ تَلَقُّوْهُ بِالْسِيْنَتِكُمْ ) قال : تَرَوُوْهُ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( إذ تَلَقُّوْهُ ) قال : تَرَوُوْهُ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ :

(١) لم نقف عليه فيما بأيدينا من كتب اللغة ، فلعله مصحف .

(٢) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز ، للقلاخ بن حزن المنقري ، نقلها صاحب (اللسان : زلق) . قال : . رجل زلق وزملق مثال هديب وزمائق وزملق ( بتشديد الميم ) ، وهو الذي ينزل قبل أن يجامع . قال القلاخ بن حزن المنقري . . . الأبيات . ثم قال : والجليد : هو الجليد الكلابي . التهذيب : والعرب تقول : زلق وزملق ، وهو الشكاز ، الذي ينزل إذا حدث المرأة من غير جماع . قال ويقال للخفيف الطياش : زملق وزملوق وزمائق وفي (اللسان : ولق) قال : وولق في سيره ولقا : أسرع . ونسب أبيات الشاهد للشباخ ، ولم أجدها في ديوان الشباخ المطبوع بمصر سنة ١٣٢٧ هـ .

(٣) هذان بيتان من الرجز أنشدهما الأزهري عن بعضهم (اللسان : ولق) . وألقى الكلام : متابته في سرعة . والألق : الاستمرار في الكذب وألقى يألُق مثل ضرب يضرب ضربا . واليلاق : جمع يلقى ، وهو القباة (فارسي معرب) . . . واستشهد المؤلف بالبيتين على أن بعضهم قرأ قوله تعالى : « إذ تلقونه بألسنتكم » بكسر اللام ، وتخفيف القاف ، على أنه بمعنى الاستمرار في الكذب .

قوله (وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ) يقول تعالى ذكره : وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم من الأمر الذي تروونه ، فتقولون : سمعنا أن عائشة فعلت كذا وكذا ، ولا تعلمون حقيقة ذلك ، ولا صحته ( وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا ) وتظنون أن قولكم ذلك وروايتكموه بالسنتكم ، وتلقيكموه بعضكم عن بعض ، هين سهل ، لا إثم عليكم فيه ولا حرج ( وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ) يقول : وتلقيكم ذلك كذلك ، وقولكموه بأفواهكم ، عند الله عظيم من الأمر ، لأنكم كنتم تؤذون به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحليته .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا ، سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦)

يقول تعالى ذكره : ( فَلَئَوْلًا ) أيها الخائضون في الإفك ، الذي جاءت به عصابة منكم ( إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ) من جاء به ( قُلْتُمْ ) ما يحل لنا أن نتكلم بهذا ، وما ينبغي لنا أن نتفوه به ( سُبْحَانَكَ ، هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ) ، تنزيها لك يا رب ، وبراءة إليك مما جاء به هؤلاء . ( هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ) يقول : هذا القول بهتان عظيم .

## القول في تأويل قوله تعالى

يَعِظُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ، وَاللَّهُ

عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨)

يقول تعالى ذكره : يذكركم الله ، وينهاكم بأى كتابه ، لئلا تعودوا لمثل فعلكم الذي فعلتموه في أمر عائشة ، من تلقيكم الإفك الذي روى عليها بالسنتكم ، وقولكم بأفواهكم ما ليس لكم به علم فيها أبدا ( إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) يقول : إن كنتم تتعظون بعظات الله ، وتأتمرون لأمره ، وتنتهون عما نهاكم عنه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) قال : والذي هو خير لنا من هذا ، أن الله أعلمنا هذا لكيلا تقع فيه ، لولا أن الله أعلمنا هلكنا كما هلك القوم ، أن يقول الرجل : أنا سمعته ولم أخترقه ولم أتقوله ، فكان خيرا حين أعلمناه الله ، لئلا ندخل في مثله أبدا ، وهو عند الله عظيم . وقوله ( وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ) : ويفصل الله لكم حججه عليكم ، بأمره ونهيه ، ليتبين المطيع له منكم من العاصي ، والله عليم بكم وبأفعالكم ، لا يخفى عليه شيء ، وهو مجاز المحسن منكم بإحسانه ، والمسئء بإساءته ، حكيم في تدبير خلقه ، وتكليفه ما كلفهم من الأعمال ، وفرضه ما فرض عليهم من الأفعال .

(١) اخترق الكذب : مثل اختراعه ، وافتعله ، وصنعه .



القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ،  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩)

يقول تعالى ذكره : إن الذين يحبون أن يذيع الزنا في الذين صدقوا بالله ورسوله ، ويظهر ذلك فيهم ، لهم عذاب أليم : يقول : لهم عذاب وجيع في الدنيا ، بالحد الذي جعله الله حداً لرامي المحصنات والمحصنين إذا رموهم بذلك ، وفي الآخرة عذاب جهنم إن مات مصرّاً على ذلك غير تائب .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ ) قال : تظهر في شأن عائشة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا ، لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) قال : الحديث عبد الله بن أبي ابن سلول ، المنافق ، الذي أشاع على عائشة ما أشاع عليها من الفرية ، لهم عذاب أليم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ ) قال : تظهر ، يتحدث عن شأن عائشة .

وقوله ( وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) يقول تعالى ذكره : والله يعلم كذب الذين جاءوا بالإفك من صدقهم ، وأنتم أيها الناس لا تعلمون ذلك ، لأنكم لا تعلمون الغيب ، وإنما يعلم ذلك علام الغيوب : يقول : فلا تروا ما لا علم لكم به من الإفك على أهل الإيمان بالله ، ولا سيما على حلائل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهلكوا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ، وَأَنَّ اللَّهَ رَهُوفٌ رَحِيمٌ (٢٠)

يقول تعالى ذكره : ولولا أن تفضل الله عليكم أيها الناس ورحمكم ، وأن الله ذو رافة ، ذو رحمة بخلقه ، هللكم فيما أفضتم فيه ، وعاجلتكم من الله العقوبة . وترك ذكر الجواب ، لمعرفة السامع بالمراد من الكلام بعده ، وهو قوله ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ ، وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ  
بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ،

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، لا تسلكوا سبيل الشيطان وطرقه ، ولا تقتفوا آثاره ، بإشاعتكم الفاحشة في الذين آمنوا ، وإذاعتكموها فيهم ، وروايتكم ذلك عنمن جاء به ، فإن الشيطان يأمر بالفحشاء ، وهي الزنا ، والمنكر من القول .

وقد بيننا معنى الخطوات والفحشاء فيما مضى بشواهد ذلك بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١)

يقول تعالى ذكره : ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته لكم ، ما تطهر منكم من أحد أبدا ، من دنس ذنوبه وشركه ، ولكن الله يطهر من يشاء من خلقه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ) يقول : ما اهتدى منكم من الخلاق لشيء من الخير ، ينفع به نفسه ، ولم يتق شيئا من الشر يدفعه عن نفسه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ) قال : ما زكى : ما أسلم ، وقال : كل شيء في القرآن من زكى أو تزكى فهو الإسلام .

وقوله ( وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ) يقول : والله سميع لما تقولون بأفواهكم ، وتلقونه بالسننكم ، وغير ذلك من كلامكم ، عليم بذلك كله ، وبغيره من أموركم ، محيط به ، محصيه عليكم ، ليجازيكم بكل ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلِيَعْفُوا أُولِيصَفْحُوا ، أَلَّا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : ولا يحلف بالله ذوو الفضل منكم ، يعني ذوى الفضل والسعة ، يقول : وذوو الجدة . واختلف القراء في قراءة قوله ( وَلَا يَأْتَلِ ) فقرأته عامة قراء الأمصار ( وَلَا يَأْتَلِ ) بمعنى : يفتعل من الألفية ، وهي القسم بالله ، سوى أبي جعفر وزيد بن أسلم ، فإنه ذكير عنهما أنهما قرأ ذلك ( وَلَا يَتَأَلِ ) بمعنى : يتفعل من الألفية .

والصواب من القراءة في ذلك عندي : قراءة من قرأ : وَلَا يَأْتَلِ بمعنى : يفتعل من الألفية ، وذلك أن



ذلك في خطِّ المصحف كذلك ، والقراءة الأخرى مخالفة خطِّ المصحف ، فاتباع المصحف مع قراءة جماعة القراء ، وصحة المقرء به ، أولى من خلاف ذلك كله . وإنما عني بذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، في حلفه بالله لا ينفق على مسطح ، فقال جل ثناؤه : ولا يحلف من كان ذا فضل من مال وسعة منكم أيها المؤمنون ، بالله ألا يعطوا ذوى قرابتهم ، فيصلاوا به أرحامهم ، كيمسطح ، وهو ابن خالة أبي بكر ، ( والمساكين ) : يقول : وذوى خلة الحاجة ، وكان مسطح منهم ، لأنه كان فقيرا محتاجا ، ( والمهاجرين في سبيل الله ) ، وهم الذين هاجروا من ديارهم وأموالهم في جهاد أعداء الله ، وكان مسطح منهم ، لأنه كان ممن هاجر من مكة إلى المدينة ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر ( وأيعفوا ) يقول وليعفوا عما كان منهم إليهم من جرم ، وذلك كجرم مسطح إلى أبي بكر ، في إشاعته على ابنته عائشة ، ما أشاع من الإفك . ( وليصفحوا ) يقول : وليركوا عقوبتهم على ذلك ، بجرمانهم ما كانوا يؤتونهم قبل ذلك ، ولكن ليعودوا لهم إلى مثل الذي كانوا لهم عليه ، من الإفضال عليهم ، ( ألا تحبون أن يغفر الله لكم ) يقول : ألا تحبون أن يستر الله عليكم ذنوبكم ، بأفضالكم عليهم ، فيترك عقوبتكم عليها ( والله غفور ) لذنوب من أطاعه ، واتبع أمره ، رحيم بهم أن يعذبهم مع اتباعهم أمره ، وطاعتهم إياه على ما كان لهم من زلة وهفوة ، قد استغفروه منها ، وتابوا إليه من فعلها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، وعن سعيد بن المسيب ، وعن عروة بن الزبير ، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة . قال : وثني ابن إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة ؛ قال : وثني ابن إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، قالت : لما نزل هذا ، يعني قوله ( إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ) في عائشة ، وفيمن قال لها ما قال . قال أبو بكر ، وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته : والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا ، ولا أنفعه بنفع أبدا ، بعد الذي قال لعائشة ما قال ، وأدخل عليها ما أدخل ، قالت : فأنزل الله في ذلك ( ولا يأتلوا الفضل منكم والسعة ) . . . الآية ، قالت : فقال أبو بكر : والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبدا .

حدثني علي ، قال ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( ولا يأتلوا الفضل منكم والسعة ) يقول : لا تنقسيموا إلا تنفعوا أحدا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد الله بن علي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( ولا يأتلوا الفضل منكم والسعة ) . . . إلى آخر الآية ، قال : كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رموا عائشة بالقبیح ، وأفسحوا ذلك ، وتكلموا به ، فأقسم ناس من أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم أبو بكر ، ألا يتصدق على رجل تكلم بشيء من هذا ولا يصله ، فقال : لا يُقْسِمُ أولوا الفضل منكم والسعة أن يصلوا أرحامهم ، وأن يعطوهم من أموالهم كالذي كانوا يفعلون قبل ذلك ، فأمر الله أن يُعْفَرَ لهم ، وأن يُعْتَقَى عنهم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ) : لما أنزل الله تعالى ذكره عذر عائشة من السماء ، قال أبو بكر وآخرون من المسلمين ، والله لا نصل رجلا منهم تتكلم بشيء من شأن عائشة ، ولا نفعه . فأنزل الله ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ) يقول : ولا يخلف .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى ) قال : كان مسطح ذا قرابة (والمساكين) قال : كان مسكينا (والمهاجرين في سبيل الله) كان بدريا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ) قال : أبو بكر حلف أن لا ينفع يتيما في حجره ، كان أشاع ذلك ، فلما نزلت هذه الآية قال : بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ، فلا كونن ليتيما خيرا ما كنت له قط .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ

عَظِيمٌ (٢٣)

يقول تعالى ذكره ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ ) بالفاحشة ( الْمُحْصَنَاتِ ) يعني العفيفات ( الْغَافِلَاتِ ) عن الفواحش ( الْمُؤْمِنَاتِ ) بالله ورسوله ، وما جاء به من عند الله ( لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) يقول : أبعدوا من رحمة الله في الدنيا والآخرة ( وَلَهُمْ ) في الآخرة ( عَذَابٌ عَظِيمٌ ) وذلك عذاب جهنم .

واختلف أهل التأويل في المحصنات اللاتي هذا حكمهن ، فقال بعضهم : إنما ذلك لعائشة خاصة ، وحكم من الله فيها وفيمن رماها ، دون سائر نساء أمة نبينا صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا خصيف ، قال : قلت لسعيد ابن جبير : الزنا أشد أم قذف المحصنة ؟ فقال : الزنا ، فقلت : أليس الله يقول ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ) . . . الآية ، قال سعيد : إنما كان هذا لعائشة خاصة .

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، قال : قالت عائشة : رميت بما رميت به وأنا غافلة ، فبلغني بعد ذلك ، قالت : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم



عندى جالس ، إذ أوحى إليه ، وكان إذا أوحى إليه أخذه كهيئة السبات ، وإنه أوحى إليه وهو جالس عندى ، ثم استوى جالسا يمسح عن وجهه ، وقال : يا عائشة أبشري ، قالت : فقلت : بحمد الله لا بحمدك فقرأ ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ) . . . حتى بلغ ( أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ) .

وقال آخرون : بل ذلك لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، دون سائر النساء غيرهن .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ) . . . الآية ، أزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة .

وقال آخرون : نزلت هذه الآية في شأن عائشة ، وعنى بها كل من كان بالصفة التي وصف الله هذه الآية ، قالوا : فذلك حكم كل من رمى محصنة ، لم تقارف سوءا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا زيد ، عن جعفر بن برقان ، قال : سألت ميمونا ، قلت : الذي ذكر الله ( الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ كَفَرُوا بِأَنَّهُنَّ بَارِبَعَةٌ شُهَدَاءٌ ) . . . إلى قوله ( إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) فجعل في هذه توبة ؛ وقال في الأخرى : ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ ) . . . إلى قوله ( لَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) قال ميمون : أما الأولى فمسي أن تكون قد قارفت ، وأما هذه ، فهي التي لم تقارف شيئا من ذلك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام بن حوشب ، عن شيخ من بني أسد ، عن ابن عباس ، قال : فسر سورة النور ، فلما أتى على هذه الآية ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ) . . . الآية ، قال هذا في شأن عائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي مبهم ، وليست لم توبة ، ثم قرأ ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ كَفَرُوا بِأَنَّهُنَّ بَارِبَعَةٌ شُهَدَاءٌ ) . . . إلى قوله ( إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ) . . . الآية ، قال : فجعل ذؤلاء توبة ، ولم يجعل لمن قذف أولئك توبة ، قال : فهم بعض القوم أن يقوم إليه فيقبل رأسه من حسن ما فسر سورة النور . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) قال : هذا في عائشة ، ومن صنع هذا اليوم في المسلمات ، فله ما قال الله ، ولكن عائشة كانت إمام ذلك .

وقال آخرون : نزلت هذه الآية في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان ذلك كذلك ، حتى نزلت

الآية التي في أول السورة فأوجب الجلد ، وقبل التوبة .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ) . . . إلى ( عَذَابٌ عَظِيمٌ ) يعني أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وماهن أهل النفاق ، فأوجب الله لهم اللعنة والغضب ، وباعوا بسخط من الله . وكان ذلك في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم نزل بعد ذلك ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ) . . . إلى قوله ( فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) فأنزل الله الجلد والتوبة ، فالتوبة تُقبل ، والشهادة ترد .

وأولى هذه الأقوال في ذلك عندى بالصواب : قول من قال : نزلت هذه الآية في شأن عائشة ، والحكم بها عام في كل من كان بالصفة التي وصفه الله بها فيها .

وإنما قلنا ذلك أولى تأويلاته بالصواب ، لأن الله عم بقوله ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ) كل محصنة غافلة مؤمنة ، وماها رام بالفاحشة ، من غير أن يخص بذلك بعضا دون بعض ، فكل رام محصنة بالصفة التي ذكر الله جل ثناؤه في هذه الآية ، فلعلون في الدنيا والآخرة ، وله عذاب عظيم ، إلا أن يتوب من ذنبه ذلك قبل وفاته ، فإن الله دل باستثنائه بقوله ( إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ) على أن ذلك حكم رامي كل محصنة بأي صفة كانت المحصنة المؤمنة المرمية ، وعلى أن قوله ( لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) ، ولهم عَذَابٌ عَظِيمٌ ) معناه : لم ذلك إن هلكوا ولم يتوبوا .

## القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَسِنَّتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : ولهم عذاب عظيم ( يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَسِنَّتُهُمْ ) فالיום الذي في قوله ( يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ ) من صلة قوله ( وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) . وعني بقوله ( يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَسِنَّتُهُمْ ) يوم القيامة ، وذلك حين يجحد أحدهم ما اكتسب في الدنيا من الذنوب ، عند تقرير الله إياه بها ، فيحتم الله على أفواههم ، وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون .

فإن قال قائل : وكيف تشهد عليهم أسنتهم ، حين يحتم على أفواههم ، قيل : عني بذلك أن السنة بعضهم تشهد على بعض ، لأن أسنتهم تنطق وقد ختم على الأفواه .

وقد حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ عَرَفَ الْكَافِرُ بِعَمَلِهِ ، فَجَحَدَ وَخَاصَمَ ، فَيُقَالُ لَهُ هُوَ لَاءِ جِيرَانِكَ يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ ، فَيَقُولُ : كَذَبُوا ، فَيَقُولُ أَهْلُكَ وَعَشِيرَتُكَ ، فَيَقُولُ كَذَبُوا ، فَيَقُولُ : أَتَحْلِفُونَ ؟ فَيَحْلِفُونَ ، ثُمَّ يُصْنِتُهُمُ اللَّهُ ، وَتَشْهَدُ أَسِنَّتُهُمْ ، ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ النَّارَ » .



## القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥)

يقول تعالى ذكره ( يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) يوفيهم الله حسابهم وجزاءهم الحق على أعمالهم .

والدَّيْنُ في هذا الموضع : الحساب والجزاء كما حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله ( يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ) يقول : حسابهم .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( الْحَقَّ ) فقرأته عامة قراء الأمصار ( دِينَهُمُ الْحَقَّ ) نصبا على النعت للدين ، كأنه قال : يوفيهم الله ثواب أعمالهم حقا ، ثم أدخل في الحق الألف واللام ، فنصبه بما نصب به الدين . وذكر عن مجاهد أنه قرأ ذلك ( يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ) برفع الحق على أنه من نعت الله .

حدثنا بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن جرير بن حازم ، عن حميد ، عن مجاهد ، أنه قرأها الحق بالرفع . قال جرير : وقرأتها في مصحف أبي بن كعب ( يُوفِّيهِمُ اللَّهُ الْحَقَّ دِينَهُمْ ) .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : ما عليه قراء الأمصار ، وهو نصب الحق على إتباعه إعراب الدين لإجماع الحجة عليه .

وقوله ( وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ) يقول : ويعلمون يومئذ أن الله هو الحق الذي يبين لهم حقائق ما كان يعدهم في الدنيا من العذاب ، ويزول حينئذ الشك فيه عن أهل النفاق ، الذين كانوا فيما كان يعدهم في الدنيا يمترون .

## القول في تأويل قوله تعالى

الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ، وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ،  
أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦)

يختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : معناه : الخبيثات من القول ، للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول ، والطيبات من القول ، للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس ، للطيبات من القول .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ) يقول : الخبيثات من القول ، للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال ، للخبيثات من القول .

وقوله ( وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ) يقول : الطيبات من القول ، للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال للطيبات من القول ، نزلت في الذين قالوا في زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ما قالوا من البهتان ، ويقال : الخبيثات للخبيثين : الأعمال الخبيثة تكون للخبيثين ، والطيبات من الأعمال تكون للطيبين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد : الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس ، والطيبات من الكلام للطيبين من الناس .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ عن ابن أبي نجيح ، في قول الله ( الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ، وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) قال : الطيبات : القول الطيب يخرج من الكافر والمؤمن فهو للمؤمن ؛ والخبيثات : القول الخبيث يخرج من المؤمن والكافر فهو للكافر ( أَوْلَيْكَ مَسْبَرٌ وَمَا يَقُولُونَ ) وذلك أنه برأ كليهما مما ليس بحق من الكلام .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله : ( الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ، وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) يقول : الخبيثات والطيبات : القول السيئ والحسن ، للمؤمنين الحسن ، وللكافرين السيئ ( أَوْلَيْكَ مَسْبَرٌ وَمَا يَقُولُونَ ) وذلك بأنه ما قال الكافرون من كلمة طيبة فهي للمؤمنين ، وما قال المؤمنون من كلمة خبيثة فهي للكافرين ، كل برىء مما ليس بحق من الكلام .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ) قال : الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلام . حدثنا الحسن قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، مثله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ) . . . الآية ، يقول : الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول ، والطيبات من القول للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال للطيبات من القول ، فهذا في الكلام ، وهم الذين قالوا لعائشة ما قالوا ، هم الخبيثون . والطيبون هم المبرءون مما قال الخبيثون . حدثنا أبو زرعة ، قال ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سلمة ، يعنى ابن نبيط الأشجعي ، عن الضحاك ( الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ) قال : الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس ، والطيبات من الكلام للطيبين من الناس .

قال : ثنا قبيصة ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح وعثمان بن الأسود ، عن مجاهد ( الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ، وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) قال : الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول ، والطيبات من القول للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من القول .



قال : ثنا سفيان ، عن خصيف ، عن سعيد بن جبير ، قال ( الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ، وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) قال : الخبيثات من القول للخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول ، والطيبات من القول للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من القول .

قال : ثنا محمد بن بكر بن مقدم ، قال : أخبرنا يحيى بن سعيد ، عن عبد الملك ، يعنى ابن أبي سليمان ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن سعيد بن جبير ، عن مجاهد ( وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ) قال : الخبيثات من القول للخبيثين من الناس .

قال : ثنا عباس بن الوليد الترمسى ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ، وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) يقول : الخبيثات من القول والعمل للخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والعمل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، قال : الطيبات للطيبين ، والطيبون للطيبات ، قال : الطيبات من القول للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من القول ، والخبيثات من القول للخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ، وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) قال : نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفرية ، فبرأها الله من ذلك . وكان عبد الله بن أبي هو خيث ، وكان هو أولى بأن تكون له الخبيثة ويكون لها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبا ، وكان أولى أن تكون له الطيبة ، وكانت عائشة الطيبة ، وكان أولى أن يكون لها الطيب . ( أَوْلَشَكَ مَسْبْرَةٌ وَمِمَّا يَقُولُونَ ) قال : ها هنا بُرئت عائشة ( لَمْ تُسْمَعْ مَغْفِرَةً وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ) .

وأولى هذه الأقوال في تأويل الآية : قول من قال : عَسَى بِالْخَبِيثَاتِ : الخبيثات من القول ، وذلك قبيحه وسيئه ، للخبيثين من الرجال والنساء ، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول ، هم بها أولى ، لأنهم أهلها ، والطيبات من القول ، وذلك حسنه وجميله ، للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من القول ، لأنهم أهلها ، وأحق بها .

وإنما قلنا هذا القول أولى بتأويل الآية ، لأن الآيات قبل ذلك إنما جاءت بتوبيخ الله للقائلين في عائشة الإفك ، والرايين المحصنات الغافلات المؤمنات ، وإخبارهم ما خصصهم به على إفكهم ، فكان ختم الخبر عن أولى الفريقين بالإفك من الرامى والمرمى به ، أشبه من الخبر عن غيرهم .

وقوله (أَوْلَيْتِكَ مَسْبِرًا وَنَ) يقول : الطيبون من الناس مبرءون من خبيثات القول ، إن قالوها فإن الله يصفح لهم عنها ، ويغفرها لهم ، وإن قيلت فيهم ضرت قائلها ولم تضرهم ، كما لو قال الطيب من القول الخبيث من الناس لم ينفعه الله به ، لأن الله لا يتقبله ، ولو قيلت له لضرته ، لأنه يلحقه عارها في الدنيا ، وذلك في الآخرة .

كما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَوْلَيْتِكَ مَسْبِرًا وَنَ مِمَّا يَقُولُونَ) فن كان طيبا فهو مبرأ من كل قول خبيث ، يقول : يغفره الله ؛ ومن كان خبيثا فهو مبرأ من كل قول صالح ، فإنه يرده الله عليه ، لا يقبله منه ، وقد قيل : عَسَى بِقَوْلِهِ (أَوْلَيْتِكَ مَسْبِرًا وَنَ مِمَّا يَقُولُونَ) عائشة وصفوان بن المعطل الذي رُميت به ، فعلى هذا القول قيل أولئك ، فجمع ، والمراد ذاك ، كما قيل : فإن كان له إخوة ، والمراد أخوان

وقوله (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) يقول لهؤلاء الطيبين من الناس : مغفرة من الله لذنوبهم ، والخبيث من القول إن كان منهم (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) يقول : ولهم أيضا مع المغفرة عطية من الله كريمة ، وذلك الجنة ، وما أُعِدَّ لهم فيها من الكرامة .

كما حدثنا أبو زرعة ، قال : ثنا العباس بن الوليد الترسى ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) مغفرة لذنوبهم ، ورزق كريم في الجنة .

#### القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ، حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ

أَهْلِهَا ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَمَلَكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧)

﴿﴾ اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم تأويله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأذنوا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ (لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا) قال : وإنما تستأذنوا وهم من الكتاب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في هذه الآية (لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا) وقال : إنما هي نخطأ من الكاتب : حتى تستأذنوا وتسلموا .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، بمثله ، غير أنه قال : إنما هي حتى تستأذنوا ، ولكنها سقطت من الكاتب .



حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا معاذ بن سليمان ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد عن ابن عباس ( حتى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ) قال : أخطأ الكاتب . وكان ابن عباس يقرأ ( حتى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا ) وكان يقرؤها على قراءة أبي بن كعب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفیان ، عن الأعمش أنه كان يقرؤها ( حتى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا ) قال سفیان : وبلغني أن ابن عباس كان يقرؤها ( حتى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا ) وقال : إنها خطأ من الكاتب .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ) قال : الاستئذان : الاستئذان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، قال في مصحف ابن مسعود ( حتى تُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا وَتَسْتَأْذِنُوا ) .

قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جعفر بن إياس ، عن سعيد ، عن ابن عباس أنه كان يقرؤها ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا وَتَسْتَأْذِنُوا ) قال : وإنما تستأذِنُوا وَهَمَّ مِنَ الْكُتَّابِ .

قال : ثنا هشيم ، قال مغيرة ، قال مجاهد : جاء ابن عمر من حاجة ، وقد آذاه الرَّمْضاء ، فأقْبَى فُسْطَاطَ امرأة من قريش ، فقال : السلام عليكم ، أدخل؟ فقالت : ادخل بسلام ، فأعاد ، فأعادت ، وهو يراوح بين قدميه ، قال : قولي أَدْخُلْ ، قالت : ادخل ، فدخل .

قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا منصور ، عن ابن سيرين ، وأخبرنا يونس بن عبيد ، عن عمرو بن سعيد الثقفي ، أن رجلاً استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أَلِجْ أَوْ أَتَلِجْ ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأمة له يقال لها رَوْضَةٌ : قُومِي إِلَى هَذَا فَكَلِّمِيهِ ، فَإِنَّهُ لَا يُحْسِنُ يَسْتَأْذِنُ ، فَقُومِي لَهُ يُقُولُ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، أَدْخُلْ ؟ فسمعها الرجل ، فقالها ، فقال : أَدْخُلْ .

حدثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله ( حتى تَسْتَأْذِنُوا ) قال : الاستئذان ، ثم نُسِخَ وَاسْتُنِيَ ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ) حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو حمزة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، قوله ( لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ) قال : حتى تسلموا على أهلها وتستأذِنُوا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( حتى تَسْتَأْذِنُوا ) قال : حتى تستأذِنُوا وتسلموا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أشعث بن سوار ، عن كردوس ، عن ابن مسعود ، قال : عليكم أن تستأذِنُوا على أمهاتكم وأخواتكم ، قال أشعث ، عن عدى بن ثابت ،

أن امرأة من الأنصار، قالت: يا رسول الله، إني أكون في منزلي على الحال التي لأحب أن يراني أحد عليها: والدولا ولد، وإنه لا يزال يدخل على رجل من أهلي وأنا على تلك الحال، قال: فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها) . . . الآية .  
وقال آخرون: معنى ذلك: حتى تؤنيسوا أهل البيت بالتنحنح والتنخم وما أشبهه، حتى يعلموا أنكم تريدون الدخول عليهم .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد، في قوله (لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها) قال: حتى تتنحنحوا وتتخنموا .

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله .  
حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله (حتى تستأذنوا) قال: حتى تجسّسوا وتسلموا .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله (حتى تستأذنوا) قال: تتنحنحوا وتتخنموا .

قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: سمعت عطاء بن أبي رباح يخبر عن ابن عباس، قال: ثلاث آيات قد جحدهن الناس، قال الله (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) قال: ويقولون: إن أكرمهم عند الله أعظمهم شأنا؛ قال: والإذن كله قد جحدته الناس، فقلت له أستأذن على أخواتي أيتام في حجري معي في بيت واحد؟ قال: نعم، فرددت على من حضرني، فأبى، قال: أتحب أن تراها عريانة، قلت: لا، قال: فاستأذن، فراجعته أيضا، قال: أتحب أن تطيع الله؟ قلت: نعم، قال: فاستأذن، فقال لي سعيد بن جبير: إنك لست ردّ عليه، قلت: أردت أن يرخص لي .

قال ابن جريج: وأخبرني ابن طاوس، عن أبيه، قال: مامن امرأة أكره إلى أن أرى، كأنه يقول عريتها أو عريانة، من ذات محرم، قال: وكان يشدد في ذلك .

قال ابن جريج، وقال عطاء بن أبي رباح: وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا، فواجب على الناس أجمعين إذا احتلموا أن يستأذنوا على من كان من الناس، قلت لعطاء: أوجب على الرجل أن يستأذن على أمه ومن وراءها من ذات قرابته؟ قال: نعم، قلت: أبيرّ وجب؟ قال قوله (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا) .

قال ابن جريج: وأخبرني ابن زياد: أن صفوان مولى لبي زهرة، أخبره عن عطاء بن يسار أن

(١) في ابن كثير فرددت عليه ليرخص لي، فأبى، فلعله تصحفت عنه .



رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لِمَا لَيْسَ لَهَا خَادِمٌ غَيْرِي، أَفَأَسْتَأْذِنُ عَلَيْهَا كَمَا دَخَلْتُ؟ قَالَ: أَلْتَحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً؟ قَالَ الرَّجُلُ: لَا، قَالَ: فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا .

قال ابن جرير عن الزهري، قال: سمعت هزيل بن شرحبيل الأودي الأعمى، أنه سمع ابن مسعود يقول: عليكم الإذن على أمهاتكم .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جرير، قال: قلت لعطاء: أيسأذن الرجل على امرأته؟ قال: لا .

حدثنا الحسين، قال: ثنا محمد بن حازم، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن يحيى بن الجزار، عن ابن أخي زينب امرأة ابن مسعود، عن زينب قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة فأنهى إلى الباب، تنحنح وبزق، كراهة أن يهتجم منا على أمر يكرهه .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا) قال: الاستئناس: التنحنح والتجسس، حتى يعرفوا أن قد جاءهم أحد، قال: والتجسس: كلامه وتنحنحه .

والصواب من القول في ذلك عندى: أن يقال: إن الاستئناس: الاستفعال من الأنس، وهو أن يستأذن أهل البيت في الدخول عليهم، مخبرا بذلك من فيه، وهل فيه أحد؟ وليؤذنبهم أنه داخل عليهم، فليأنس إلى إذنبهم له في ذلك، ويأنسوا إلى استئذانه إياهم . وقد حكى عن العرب ساعا: اذهب فاستأنس، هل ترى أحدا في الدار؟ بمعنى: انظر هل ترى فيها أحدا؟ .

فتأويل الكلام إذن، إذا كان ذلك معناه: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تسلموا وتستأذنوا، وذلك أن يقول أحدكم: السلام عليكم، أدخل؟ وهو من المقدم الذي معناه التأخير إنما هو حتى تسلموا وتستأذنوا، كما ذكرنا من الرواية، عن ابن عباس .

وقوله (ذليكم خير لكم) يقول: استئناسكم وتسليمكم على أهل البيت الذي تريدون دخوله، فإن دخولكموه خير لكم، لأنكم لا تدرون أنكم إذا دخلتموه بغير إذن، على ماذا تهجمون؟ على ما يسوءكم أو يسركم؟ وأنتم إذا دخلتم بئذن، لم تدخلوا على ما تكرهون، وأذيتم بذلك أيضا حتى الله عليكم في الاستئذان والسلام . وقوله (لعلكم تذكرون) يقول: لتذكروا بفعلكم ذلك أو الله عليكم، واللازم لكم من طاعته، فتطيعوه .

القول في تأويل قوله تعالى

فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا، هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : فإن لم تجدوا في البيوت التي تستأذنون فيها أحدا ، يأذن لكم بالدخول إليها ، فلا تدخلوها ، لأنها ليست لكم ، فلا يحل لكم دخولها إلا بإذن أربابها ، فإن أذن لكم أربابها أن تدخلوها ، فادخلوها ( وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ) يقول : وإن قال لكم أهل البيوت التي تستأذنون فيها ارجعوا فلا تدخلوها ، وارجعوا عنها ولا تدخلوها ( هُوَ أَزْكَى لَكُمْ ) يقول : رجوعكم عنها إذا قيل لكم ارجعوا ، ولم يؤذن لكم بالدخول فيها ، أظهر لكم عند الله . وقوله ( هُوَ ) : كناية من اسم الفعل ، أعنى من قوله ( فَارْجِعُوا ) . وقوله ( وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ) يقول جل ثناؤه : والله بما تعملون من رجوعكم ، بعد استئذانكم في بيوت غيركم ، إذا قيل لكم ارجعوا ، وترك رجوعكم عنها ، وطاعتكم الله فيما أمركم ، ونهاكم في ذلك وغيره ، من أمره ونهيه ، ذو علم محيط بذلك كله ، مُحْصٍ جميعه عليكم ، حتى يجازيكم على جميع ذلك .

وكان مجاهد يقول في تأويل ذلك ما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا ) قال : إن لم يكن لكم فيها متاع ، فلا تدخلوها إلا بإذن ( وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ) .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا هاشم بن القاسم المزني ، عن قتادة ، قال : قال رجل من المهاجرين : لقد طلبت عمرى كله هذه الآية فما أدركتها : أن أستأذن على بعض إخواني ، فيقول لي : ارجع ، فأرجع وأنا معتبط ، لقوله ( وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ، هُوَ أَزْكَى لَكُمْ ) . وهذا القول الذي قاله مجاهد في تأويل قوله ( فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا ) بمعنى : إن لم يكن لكم فيها متاع ، قول بعيد من مفهوم كلام العرب ، لأن العرب لا تكاد تقول : ليس بمكان كذا أحد ، إلا وهي تعنى ليس بها أحد من بني آدم . وأما الأمتعة وسائر الأشياء غير بني آدم ، ومن كان سبيله سبيلهم ، فلا تقول ذلك فيها .

#### القول في تأويل قوله تعالى

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا

تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : ليس عليكم أيها الناس إثم وجرح ، أن تدخلوا بيوتا لاساكن بها ، بغير استئذان . ثم اختلفوا في ذلك أي البيوت عسى ، فقال بعضهم : عسى بها الخانات والبيوت المبنية بالطرق التي ليس بها سكان معروفون ، وإنما بنيت لمارة الطريق والسابلة ، ليأووا إليها ، ويؤووا إليها أمتعتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن سالم المكي ، عن محمد بن الحنفية ،

(١) يريد باسم الفعل : المصدر ، لأنه اسم الحدث ، ولا يريد ما اصطلاح النحاة على تسميته اسم فعل كسه وأف .



في قوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ) قال : هي الخانات التي تكون في الطرق .

حدثني عباس بن محمد ، قال : ثنا مسلم ، قال : ثنا عمر بن فروخ ، قال : سمعت قتادة يقول : ( بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ) قال : هي الخانات ، تكون لأهل الأسفار .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ، فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) قال : كانوا يضعون في بيوت في طرق المدينة متاعا وأقتابا ، فرخص لهم أن يدخلوها .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ) قال : هي البيوت التي ينزلها السفير ، لا يسكنها أحد .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ) قال : كانوا يصنعون أو يضعون بطريق المدينة أقتابا وأمتعة ، في بيوت ليس فيها أحد ، فأحل لهم أن يدخلوها بغير إذن .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : كانوا يضعون بطريق المدينة بغير شك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، غير أنه قال : كانوا يضعون بطريق المدينة أقتابا وأمتعة .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ) هي البيوت التي ليس لها أهل ، وهي البيوت التي تكون بالطرق والحربة ( فِيهَا مَتَاعٌ ) منفعة للمسافر في الشتاء والصيف ، يأوى إليها . وقال آخرون : هي بيوت مكة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن سعيد بن سائق ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن سالم بن محمد بن الحنفية ، في ( بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ) قال : هي بيوت مكة .

وقال آخرون : هي البيوت الحربية . والمتاع الذي قال الله فيها لكم : قضاء الحاجة ، من الخلاء والبول فيها .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سمعت عطاء يقول ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ، فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) قال : الخلاء والبول .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا حسن بن عيسى بن زيد ، عن أبيه ، في هذه الآية ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ، فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) قال : التخلي في الحراب .

وقال آخرون : بل عنى بذلك بيوت التجار ، التي فيها أمتعة الناس .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ، فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) قال : بيوت التجار ، ليس عليكم جناح أن تدخلوها بغير إذن ، الحوانيت التي بالقيساريات والأسواق . وقرأ ( فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) متاع للناس ، ولبنى آدم . وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله عم بقوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ، فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) كل بيت لساكن به ، لنا فيه متاع ، ندخله بغير إذن ، لأن الإذن إنما يكون ليؤنس المأذون عليه قبل الدخول ، أو ليأذن للدخل إن كان له مالكا ، أو كان فيه ساكنا . فأما إن كان لامالك له ، فيحتاج إلى إذنه لدخوله ولا ساكن فيه ، فيحتاج الداخل إلى إيناسه ، والتسليم عليه ، لئلا يهجم على ما لا يحب رؤيته منه ، فلا معنى للاستئذان فيه . فإذا كان ذلك ، فلا وجه لتخصيص بعض ذلك دون بعض ، فكل بيت لامالك له ولا ساكن ، من بيت مبنى ببعض الطرق للمارة والسابلة ليأوا إليه ، أو بيت خراب قد باد أهله ولا ساكن فيه ، حيث كان ذلك ، فإن لمن أراد دخوله أن يدخل بغير استئذان ، لمتاع له يؤويه إليه ، أو للاستمتاع به ، لقضاء حقه ، من بول أو غائط أو غير ذلك . وأما بيوت التجار ، فإنه ليس لأحد دخولها إلا بإذن أربابها وسكانها .

فإن ظنّ ظان أن التاجر إذا فتح دكانه وقعد للناس ، فقد أذن لمن أراد الدخول عليه في دخوله ، فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظنّ ، وذلك أنه ليس لأحد دخول ملك غيره ، بغير ضرورة أبلأته إليه ، أو بغير سبب أباح له دخوله ، إلا بإذن ربه ، لاسيما إذا كان فيه متاع ، فإن كان التاجر قد عرف منه أن فتحه حانوته إذن منه لمن أراد دخوله في الدخول ، فذلك بعد راجع إلى ما قلنا ، من أنه لم يدخله من دخله إلا بإذنه . وإذا كان ذلك كذلك ، لم يكن من معنى قوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) في شيء ، وذلك أن التي وضع الله عنا الجناح في دخولها بغير إذن من البيوت ، هي ما لم يكن مسكونا ، إذ حانوت التاجر لاسبيل إلى دخوله إلا بإذنه ، وهو مع ذلك مسكون ، فتبين أنه مما عسى الله من هذه الآية بمعزل .

وقال جماعة من أهل التأويل : هذه الآية مستثناة من قوله ( لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرير ، قال : قال ابن عباس : ( لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ) ثم نسخ واستثنى فقال ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ( حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا )



. . . الآية ، ففسخ من ذلك ، واستثنى فقال ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ، فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) . وليس في قوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) دلالة على أنه استثناء من قوله ( لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا ) ، لأن قوله ( لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا ) وتَسَلَّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ) : حكم من الله في البيوت التي لها سكان وأرباب . وقوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) : حكم منه في البيوت التي لا سكان لها ولا أرباب معروفون ، فكل واحد من الحكمين حكم في معنى غير معنى الآخر ، وإنما يستثنى الشيء من الشيء إذا كان من جنسه أو نوعه ، في الفعل أو النفس . فأما إذا لم يكن كذلك ، فلا معنى لاستثنائه منه . وقوله ( وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ) يقول تعالى ذكره : والله يعلم ما تظهرون أيها الناس بألسنتكم ، من الاستئذان إذا استأذنتم على أهل البيوت المسكونة ( وَمَا تَكْتُمُونَ ) يقول : وما تضمرونه في صدوركم عند فعلكم ذلك ما الذي تقصدون به : إطاعة الله والانتهاء إلى أمره ، أم غير ذلك ؟

## القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ، وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ، ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم ( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ ) بالله وبك يا محمد ( يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ) يقول : يكفوا من نظرهم إلى ما يشتهون النظر إليه ، مما قد نهاهم الله عن النظر إليه ( وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ) أن يراها من لا يحل له رؤيتها ، بلبس ما يسترها عن أبصارهم ( ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ) يقول : فإن غضها من النظر عما لا يحل النظر إليه ، وحفظ الفرج عن أن يظهر لأبصار الناظرين ، أظهر لهم عند الله وأفضل ( إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ) يقول : إن الله ذو خبرة بما تصنعون أيها الناس ، فيما أمركم به من غض أبصاركم عما أمركم بالغض عنه ، وحفظ فروجكم عن إظهارها لمن نهاكم عن إظهارها له . وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن سهل الرملي ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية في قوله ( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ، وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ) قال : كل فرج ذكر حفظه في القرآن ، فهو من الزنا ، إلا هذه ( وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ) فإنه يعنى السر .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( قُلْ

لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ، وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ - وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ، وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ) قال : يغضوا أبصارهم عما يكره الله .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ) قال : يغض من بصره : أن ينظر إلى ما لا يحل له ، إذا رأى ما لا يحل له غض من بصره ، لا ينظر إليه ، ولا يستطيع أحد أن يغض بصره كله ، إنما قال الله ( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ) .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ، وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ، وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ، وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَاءَهُنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ .

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم ( وَقُلْ ) يا محمد ( لِلْمُؤْمِنَاتِ ) من أمتك ( يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ) عما يكره الله النظر إليه ، مما نهاكم عن النظر إليه ( وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ) يقول : ويحفظن فروجهن عن أن يراها من لا يحل له رؤيتها ، بلبس ما يسترها عن أبصارهم .  
 وقوله ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ) يقول تعالى ذكره : ولا يُظْهَرَنَّ للناس الذين ليسوا لهم بمحرم زينتهن ، وهما زينتان : إحداهما : ما خفي ، وذلك كالحلخال والسوارين والقُرطَيْنِ والقلائد . والأخرى : ما ظهر منها ، وذلك مختلف في المعنى منه بهذه الآية ، فكان بعضهم يقول : زينة الثياب الظاهرة .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن الحجاج ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن ابن مسعود ، قال : الزينة زينتان : فالظاهرة منها : الثياب ، وما خفي : الحلخالان والقُرطان والسواران .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني الثوري ، عن أبي إسحاق الهمداني ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، أنه قال ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) : قال : هي الثياب .  
 حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : الثياب .  
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، مثله .  
 قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن زيد ، عن عبد الله ، مثله .



قال : ثنا سفيان ، عن علقمة ، عن إبراهيم ، في قوله ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) :  
قال : الثياب .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : أخبرنا بعض أصحابنا ، إما يونس ، وإما غيره ، عن  
الحسن ، في قوله ( إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : الثياب .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ،  
عن عبد الله ( إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : الثياب .

قال أبو إسحاق : ألا ترى أنه قال ( خذوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : ثنا محمد بن الفضل ، عن الأعمش ،  
عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن زيد ، عن ابن مسعود ( إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : هو الرداء .

وقال آخرون : الظاهر من الزينة التي أبيع لها أن تبديه : الكحل ، والخاتم ، والسواران ، والوجه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مروان ، قال : ثنا مسلم الملائى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس  
( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : الكحل والخاتم .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأملى ، قال : ثنا مروان ، عن مسلم الملائى ، عن سعيد بن جبير ، مثله ،  
ولم يذكر ابن عباس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون ، عن أبي عبد الله نهشل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال :  
الظاهر منها : الكحل والخدآن .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن مسلم بن هرمز ، عن سعيد  
ابن جبير ، في قوله ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : الوجه والكف .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن عبد الله بن مسلم بن هرمز المكي ، عن  
سعيد بن جبير ، مثله .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا أبو عمرو ، عن عطاء في قول الله ( وَلَا  
يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : الكفمان والوجه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي عن سعيد ، عن قتادة قال : الكحل ، والسواران والخاتم .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا يُبْدِينَ  
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : والزينة الظاهرة : الوجه ، وكحل العين ، وخضاب الكف ، والخاتم ؛

فهذه تظهر في بيتها لمن دخل من الناس عليها .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ )

( إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : المسكتان والخاتم والكحل ، قال قتادة : وبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال « لا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُخْرِجَ يَدَهَا إِلَّا إِلَى هَاهُنَا ، وَقَبْضُ نِصْفِ الذَّرَاعِ »  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن رجل ، عن المسور  
ابن مخزوم ، في قوله (إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) قال : القلبين ، والخاتم ، والكحل : يعنى السوار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله  
( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : الخاتم والمسكة .

قال ابن جريج ، وقالت عائشة : القلْبُ والفَتْخَةُ ، قالت عائشة : « دخلت على ابنة أختي لأمي عبد الله  
ابن الطفيل مزينة ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم ، فأعرض ، فقالت عائشة : يا رسول الله إنها ابنة  
أختي وجارية ، فقال : إذا عَرَكَتِ الْمَرْأَةُ الْمِخْلَ لَهَا أَنْ تَظْهَرَ إِلَّا وَجْهَهَا ، وَإِلَّا مَا دُونَ هَذَا ، وَقَبْضُ عَلَى  
ذِرَاعِ نَفْسِهِ ، فَتَرَكَ بَيْنَ قَبْضَتِهِ وَبَيْنَ الْكَفِّ مِثْلَ قَبْضَةِ أُخْرَى » . وأشار به أبو علي .

قال ابن جريج ، وقال مجاهد : قوله (إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) قال : الكحل والخضاب والخاتم .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عاصم ، عن عامر (إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) قال : الكحل ،  
والخضاب ، والثياب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا  
مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) من الزينة : الكحل ، والخضاب والخاتم ، هكذا كانوا يقولون ، وهذا يراه الناس .  
حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا عمر بن أبي سلمة ، قال : سئل الأوزاعي عن ( وَلَا يُبْدِينَ  
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : الكفين والوجه .

حدثنا عمرو بن بندق ، قال : ثنا مروان ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ )  
قال : الكف والوجه .  
وقال آخرون : عَسَى بِهِ الْوَجْهَ وَالثِّيَابَ .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : قال يونس ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ  
مِنْهَا ) قال الحسن : الوجه والثياب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، وعبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ،  
في قوله ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : الوجه والثياب .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : عَسَى بِذَلِكَ : الوجهُ والكفان ، يدخل في ذلك إذا كان  
كذلك : الكحل ، والخاتم ، والسوار ، والخضاب .

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالتأويل : لإجماع الجميع على أن على كل مصل أن يستر عورته  
في صلاته ، وأن للمرأة أن تكشف وجهها وكفيها في صلاتها ، وأن عليها أن تستر ما عدا ذلك من بدنها ،  
إلا ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أباح لها أن تبديته ، من ذراعها إلى قدر النصف . فإذا كان ذلك

(١) عرَكَتِ الْجَارِيَةَ تَعْرَكُ ( كَتَمَتْ ) عَرَكَتِ وَعَرَكَتِ وَعَرَكَتِ : حَاضَتْ ، فَهِيَ عَارِكَةٌ ؛ وَأَعْرَكَتِ فَهِيَ مَعْرَكَةٌ .



من جميعهم إجماعاً ، كان معلوماً بذلك أن لها أن تبدى من بدنها ما لم يكن عورة كما ذلك للرجال ، لأن ما لم يكن عورة ، فغير حرام لإظهاره . وإذا كان لها إظهار ذلك ، كان معلوماً أنه مما استثناه الله تعالى ذكره ، بقوله (إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) ، لأن كل ذلك ظاهر منها .

وقوله (وَلَيْضِرِينَ بِحُمْرِهِنَّ عَلَى جِيُوبِهِنَّ) يقول تعالى ذكره : وليلقين حُمْرَهُنَّ ، وهي جمع خمار ، على جيوبهنَّ ، ليسترن بذلك شعورهنَّ وأعناقهنَّ وَقُرْطَهُنَّ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن إبراهيم بن نافع ، قال : ثنا الحسن بن مسلم بن يناق ، عن صفية بنت شيبة ، عن عائشة ، قالت : لما نزلت هذه الآية (وَلَيْضِرِينَ بِحُمْرِهِنَّ عَلَى جِيُوبِهِنَّ) قال : شققن السُّبُرَ مما يلي الحواشي ، فاختمرن به .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، أن قررة بن عبد الرحمن ، أخبره ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت : يرحم الله النساء المهاجرات الأول ! لما أنزل الله (وَلَيْضِرِينَ بِحُمْرِهِنَّ عَلَى جِيُوبِهِنَّ) شققن أكثف مروطن ، فاختمرن به .  
وقوله (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ) يقول تعالى ذكره : (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) التي هي غير ظاهرة ، بل الخفية منها ، وذلك الخلل والقرط والملج ، وما أمرت بتغطيته بخمارها من فوق الجيب ، وما وراء ما أبيض لها كشفه وإبرازه في الصلاة وللأجنبيين من الناس ، والذراعين إلى فوق ذلك ، إلا لبعولتهنَّ .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن طلحة بن مُصَرِّف ، عن إبراهيم (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ) قال : هذه ما فوق الذراع .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، قال : سمعت رجلاً يحدث عن طلحة ، عن إبراهيم ، قال في هذه الآية (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ) أو آباءٍ بُعُولَتِهِنَّ) قال : ما فوق الجيب ، قال شعبة : كتب به منصور إلى ، وقرأته عليه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، في قوله (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ) قال : تبدى لهؤلاء الرأس .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ) . . . إلى قوله (عَوْرَاتِ النِّسَاءِ) قال : الزينة التي يبدونها لهؤلاء : قرطها وقلائدتها وسوارها ، فأما خلخالها ومِعْضُداها ونحرها وشعرها ، فإنه لا تبدى إلا لزوجها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن مسعود ، في قوله (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ) قال : الطوق والقرطين ، يقول الله تعالى ذكره :

قل للمؤمنات الحرائر: لا يظهرن هذه الزينة الخفية، التي ليست بالظاهرة، إلا لبعولتهن، وهم أزواجهن، واحدهم: بعل، أو لآبائهن، أو لآباء بعولتهن، يقول: أو لآباء أزواجهن، أو لأبنائهن، أو لأبناء بعولتهن، أو لإخوانهن، أو لبني إخوانهن. ويعنى بقوله (أو لإخوانهن) أو لإخوانهن، أو لبني إخوانهن، أو لبني أخواتهن، أو نساين. قيل: عنى بذلك نساء المسلمين.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قوله (أو نساين) قال: بلغنى أنهن نساء المسلمين، لا يجلّ لمسلمة أن ترى مشركة عربتها، إلا أن تكون أمة لها، فذلك قوله: (أو ما ملكت إيمانهن).

قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عيسى بن يونس، عن هشام بن الغازي، عن عبادة بن نسي، أنه كره أن تقبل النصرانية المسلمة، أو ترى عورتها، ويتأول أو نساين.

قال: ثنا عيسى بن يونس، عن هشام، عن عبادة، قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح رحمة الله عليهما: أما بعد، فقد بلغنى أن نساء يدخلن الحمامات ومعهن نساء أهل الكتاب، فامنع ذلك، وحلّ دونه. قال: ثم إن أبا عبيدة قام في ذلك المقام مبهلاً: اللهم أيما امرأة تدخل الحمام من غير علة ولا سقم، تريد البياض لوجهها، فسود وجهها يوم تبيض الوجوه.

وقوله (أو ما ملكت إيمانهن) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: أو مما ليكن، فإنه لا بأس عليها أن تظهر لهم من زينتها ما تظهره لؤلؤاء.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عمرو بن دينار، عن مخلد التيمي، أنه قال، في قوله (أو ما ملكت إيمانهن) قال: في القراءة الأولى: إيمانكم. وقال آخرون: بل معنى ذلك: أو ما ملكت إيمانهن من إماء المشركين، كما قد ذكرنا عن ابن جريج قبل، من أنه لما قال (أو نساين) عنى بهن النساء المسلمات دون المشركات، ثم قال: أو ما ملكت إيمانهن من الإماء المشركات.

القول في تأويل قوله تعالى

أَوِ التَّبَعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَتِ النِّسَاءِ، وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ، وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)

يقول تعالى ذكره: والذين يتبعونكم لطعام يأكلونه عندكم، ممن لأرب له في النساء من الرجال، ولا حاجة به إليهن، ولا يريدن.



وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : قوله ( أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ) قال : كان الرجل يتبع الرجل في الزمان الأول لا يغار عليه ولا ترهب المرأة أن تضع خمارها عنده ، وهو الأحمق الذي لاحاجة له في النساء .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ) فهذا الرجل يتبع القوم ، وهو مُغْفَلٌ في عقله ، لا يكثرث للنساء ، ولا يشتهين ، فالزينة التي تبديها لهؤلاء : قرظها ، وقلاذتها ، وسوارها ، وأما خلتخالها ، ومعضداها ، ونحرها ، وشعرها ، فإنها لا تبديه إلا لزوجها .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( أَوِ التَّابِعِينَ ) قال : هو التابع يتبعك يصيب من طعامك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسماعيل بن عسّية ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ) قال : الذي يريد الطعام ، ولا يريد النساء .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ) الذين لا يهجمهم إلا بطونهم ، ولا يخافون على النساء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا إسماعيل بن موسى السديّ قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله ( غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ ) قال : الأبله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا ، عن مجاهد ، قوله ( غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ ) قال : هو الأبله ، الذي لا يعرف شيئا من النساء .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسّية ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ) الذي لأرب له بالنساء مثل فلان .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق عن حدثه ، عن ابن عباس ( غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ ) قال : هو الذي لا تستحي منه النساء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي ( غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ ) قال : من تتبع الرجل وحشمه : الذي لم يبلغ أربه أن يطلع على عورة النساء .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن المغيرة ، عن الشعبي ( غير أولي الإرببة ) قال : الذي لأرب له في النساء .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : المعتوه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري في قوله ( أو التابعين غير أولي الإرببة من الرجال ) قال : هو الأحمق ، الذي لاهمة له بالنساء ولا أرب .

وبه عن معمر ، عن ابن طائوس ، عن أبيه ، في قوله ( غير أولي الإرببة من الرجال ) يقول : الأحمق ، الذي ليست له همة في النساء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : الذي لا حاجة له في النساء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أو التابعين غير أولي الإرببة من الرجال ) قال : هو الذي يتبع القوم ، حتى كأنه كان منهم ، ونشأ فيهم ، وليس يتبعهم لإربة نسائهم ، وليس له في نسائهم إربة ، وإنما يتبعهم لإرفاقهم إياه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت « كان رجل يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مُحَنَّثٌ ، فكانوا يعدونه من غير أولي الإربة ، فدخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه ، وهو ينعت امرأة ، فقال : إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع ، وإذا أدبرت أدبرت بثان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا أرى هذا يعلم ما هاهنا ، لا يدخلن هذا عليكم ، فحججوه » .

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري ، قال : ثنا حفص بن عمر العدني ، قال : ثنا الحكم ابن أبان ، عن عكرمة في قوله ( أو التابعين غير أولي الإرببة ) قال : هو المُحَنَّثُ ، الذي لا يقوم زبه . واختلف القراء في قوله ( غير أولي الإرببة ) فقرأ ذلك بعض أهل الشام ، وبعض أهل المدينة والكوفة ،

( غير أولي الإرببة ) بنصب غير ؛ ولنصب غير هاهنا وجهان : أحدهما على القطع من التابعين ، لأن التابعين معرفة وغير نكرة ، والآخر على الاستثناء ، وتوجيه غير إلى معنى « إلا » ، فكأنه قيل : إلا . وقرأ غير من ذكرت بخفض ( غير ) ، على أنها نعت للتابعين ، وجازعت التابعين بغير ، والتابعون معرفة ، وغير نكرة ، لأن التابعين معرفة غير مؤقتة . فتأويل الكلام على هذه القراءة ، أو الذين هذه صفتهم .

والقول في ذلك عندي : أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، مستفيضة القراءة بهما في الأمصار ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب ، غير أن الخفض في غير : أقوى في العربية ، فالقراءة به أعجب إلى ، والإربة : الفعلة من الأرب ، المثل الجلوسة من الجلوس ، والمشية من المشي ، وهي الحاجة : يقال : لأرب لى فيك : لا حاجة لى فيك ؛ وكذا أربت لكذا وكذا : إذا احتجت إليه ، فأنا أرب له أربا . فأما الأربة ، بضم الألف : فالعقدة :



وقوله (أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ) يقول تعالى ذكره : أو الطفل الذين لم يكشفوا عن عورات النساء بجماعهن ، فيظهروا عليهن ، لصغرهن .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (على عَوْرَاتِ النِّسَاءِ) قال : لم يدروا ما تم ، من الصَّغَرِ قبل الخُلْمِ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله .  
وقوله (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) يقول تعالى ذكره : ولا يجعلن في أرجلهن من الخُلْمِ ، ما إذا مشين أو حركهن ، علم الناس الذين مشين بينهم ، ما يخفين من ذلك .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : زعم حَضْرِمِي ، أن امرأة اتخذت بُرْتَمِينَ ! من فضة ، واتخذت جزعا ، فمرت على قوم ، فضربت برجلها ، فوقع الخللخال على الجزع . فصوت ، فأنزل الله (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) قال : كان في أرجلهن خرز ، فكن إذا مررن بالجالس ، حركن أرجلهن ، ليعلم ما يخفين من زينتهن .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ) فهو أن تقرع الخللخال بالآخر عند الرجال ، ويكون في رجلها خلخال ، فتحركهن عند الرجال ، فنهى الله سبحانه وتعالى عن ذلك ، لأنه من عمل الشيطان .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) قال : هو الخللخال ، لا تضرب امرأة برجلها ، لسمع صوت خلخالها .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ) ، لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) قال : الأجراس من حليهن يجعلنها في أرجلهن ، في مكان الخللخال ، فنهان الله أن يضربن بأرجلهن ، لتسمع تلك الأجراس .

(١) مشى برة ، بتخفيف الراء وهي كل حلقة من سوار وقرط وخلخال وما أشبهها . قال • وقممن الخللخال والبرينا • وفي الأصل : «مرين» بدون نقط . وانظر (اللسان : برا) .

وقوله ( وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ) يقول تعالى ذكره : وارجعوا أيها المؤمنون إلى طاعة الله فيما أمركم ونهاكم ، من غَضَّ البَصْرَ ، وحفظ الفرج ، وترك دخول بيوت غير بيوتكم ، من غير استئذان ولا تسليم ، وغير ذلك من أمره ونهيه ( لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ) يقول : لتفلحوا وتدرکوا طلباتكم لديه ، إذا أنتم أطعتموه فيما أمركم ونهاكم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ، إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : وزوجوا أيها المؤمنون من لازوج له من أحرار رجالكم ونسائكم ، ومن أهل الصلاح من عبيدكم ومماليككم . والأيامى : جمع أيم ، وإنما جمع الأيم أيامى ، لأنها فعيلة في المعنى ، فجمعت كذلك ، كما جمعت اليتيمة : يتامى ؛ ومنه قول جميل :

أَحِبُّ الْأَيَامَىٰ إِذْ بُشِينَتُهُ أَيْمٌ وَأَحْبَبْتُ لَمَّا أَنْ غَنِيَتِ الْغَوَانِيَا

ولو جمعت أيامم كان صوابا ، والأيم يوصف به الذكر والأنثى ، يقال : رجل أيم ، وامرأة أيم وأئمة : إذا لم يكن لها زوج ؛ ومنه قول الشاعر :

فَإِنْ تَنْكِحِي أَنْكِحِي وَإِنْ تَتَأَيَّمِي (وإن كنت أفتى منكم) أتأيم

(إن يَكُونُوا فُقَرَاءَ) يقول : إن يكن هؤلاء الذين تنكحونهم من أيامى رجالكم ونسائكم وعبيدكم وإمائكم ، أهل فاقة وفقر ، فإن الله يغنيهم من فضله ، فلا يمنعكم فقرهم من إنكاحهم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ ، وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ) قال : أمر الله سبحانه بالنكاح ، ورغبتهم فيه

(١) البيت لجميل العذري صاحب بشينة ، كما قال المؤلف ، وكما في (اللسان : غنا) . قال : والغانية : التي غنيت بالزوج ، وقال جميل : « أحب الأيامى . . . البيت » وغنيت المرأة بزوجها غنيانا . أي استفتت . والأيامى : جمع أيم ، وهي في الأصل : التي لازوج لها ، بكرا كانت أو ثيبا ، مطلقة كانت أو متوفى عنها (اللسان) . وفي التنزيل العزيز : « وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ » : دخل فيه الذكر والأنثى ، والبكر والثيب . واستشهد به المؤلف على أن الأيم : التي ليس لها زوج .  
(٢) البيت أنشده صاحب (اللسان) في أيم ، قال : وتأيم الرجل زمانا ، وتأيمت المرأة : إذا مكثت أياما وزمانا لا يتزوجان ، وأنشد ابن بري :

فَإِنْ تَنْكِحِي أَنْكِحِي وَإِنْ تَتَأَيَّمِي (بِيدِ الدهرِ ما لم تنكحِي) أتأيم

وفي رواية الشطر خلاف بين ما أنشده المؤلف ، وما أنشده ابن بري . والشاهد فيه عند المؤلف ، كما قدمناه في الشاهد الذي قبله ، وهو أن الأيم من الرجال أو النساء : من لازوج له أو لها . والفعل منه أم يئيم ، وتأيم يتأيم .



وأمرهم أن يزوجوا أحرارهم وعبيدهم ، ووعدهم في ذلك الغنى ، فقال ( إن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا حسن أبو الحسن ، وكان إسماعيل بن صبيح مولى هذا ، قال : سمعت القاسم بن الوليد ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : « اتمسوا الغنى في النكاح ، يقول الله ( إن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ) » .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ) قال : أياي النساء : اللاتي ليس لهن أزواج .

وقوله ( وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ) يقول جل ثناؤه : والله واسع الفضل ، جواد بعطاياه ، فزوجوا إماءكم ، فإن الله واسع يوسع عليهم من فضله ، إن كانوا فقراء . عليم : يقول : هو ذو علم بالفقير منهم والغنى ، لا يخفى عليه حال خلقه في شيء وتديبرهم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَيْسَتَعَفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ، وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ

يقول تعالى ذكره : ( وَلَيْسَتَعَفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ ) ما ينكحون به النساء عن إتيان ما حرم الله عليهم من الفواحش ( حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ) ، ويوسع عليهم من رزقه .

وقوله ( وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) يقول جل ثناؤه : والذين يلتمسون المكاتبه منكم من ممالئكم ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) .

واختلف أهل العلم في وجه مكاتبه الرجل عبده الذي قد علم فيه خيرا ، وهل قوله ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) على وجه الفرض ، أم هو على وجه الندب ؟ فقال بعضهم : فرض على الرجل أن يكاتب عبده الذي قد علم فيه خيرا ، إذا سأله العبد ذلك .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : أوجب على إذا علمت مالا أن أكاتبه ، قال : ما أراه إلا واجبا ، وقالها عمرو بن دينار ، قال : قلت لعطاء : أتأثيره عن أحد ؟ قال : لا .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن بكر ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن سيرين ، أراد أن يكاتبه ، فتلكأ عليه ، فقال له عمر : لتكاتبته .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : لا ينبغي لرجل إذا كان عنده المملوك الصالح الذي له المال ، يزيد أن يكاتب ألا يكاتبه .

وقال آخرون: ذلك غير واجب على السيد، وإنما قوله (فَكَاتِبُوهُمْ) : نَدَبٌ من الله سادة العبيد إلى كتابة من علم فيه منهم خير ، لا لإيجاب .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال مالك بن أنس : الأمر عندنا : أن ليس على سيد العبد أن يكتبه ، إذا سأله ذلك ، ولم أسمع بأحد من الأئمة أكره أحدا على أن يكتب عبده . وقد سمعت بعض أهل العلم ، إذا سُئِلَ عن ذلك ، فقيل له : إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه (فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) يتلو هاتين الآيتين (فَإِذَا حَكَتُمْ فَاصْطَادُوا ، فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ، وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) قال مالك : وإنما ذلك أمر أذن الله فيه للناس ، وليس بواجب على الناس ، ولا يلزم أحدا . وقال الثوري : إذا أراد العبد من سيده أن يكتبه ، فإن شاء السيد أن يكتبه كاتبه ، ولا يُجْبَرُ السيد على ذلك .

حدثني بذلك عليّ عن زيد عنه ؛ وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) قال : ليس بواجب عليه أن يكتبه ، وإنما هذا أمر أذن الله فيه ودليل .

وأولى القولين في ذلك عندى بالصواب : قول من قال : واجب على سيد العبد أن يكتبه ، إذا علم فيه خيرا ، وسأله العبد الكتابة ، وذلك أن ظاهر قوله (فَكَاتِبُوهُمْ) ظاهر أمر ، وأمر الله فرض الانتهاء إليه ، ما لم يكن دليل من كتاب أو سنة ، على أنه ندب ، لما قد بيننا من العلة في كتابنا المسمى «البيان عن أصول الأحكام» .

وأما الخير الذي أمر الله تعالى ذكره عباده بكتابة عبيدهم إذا علموه فيهم ، فهو القُدْرَةُ على الاحتراف والكسب ، لأداء ما كوتبوا عليه :

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الكريم الجزري ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنه كره أن يكتب مملوكه إذا لم تكن له حرفة ، قال : تطعمني أوساخ الناس .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) يقول : إن علمتم لهم حيلة ، ولا تلقوا مؤنتهم على المسلمين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا أشهب ، قال : سئل مالك بن أنس ، عن قوله (فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) فقال : إنه ليقال : الخير : القوة على الأداء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا ابن زيد ، عن أبيه ، قول الله (فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) قال : الخير : القوة على ذلك .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن علمتم فيهم صدقا ، ووفاء ، وأداء :



## ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن ، في قوله ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال : صدقا ، ووفاء ، وأداء ، وأمانة .

قال : ثنا ابن علقمة ، قال : ثنا عبد الله ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد وطاوس ، أنهما قالا في قوله ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قالا : مالا ، وأمانة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال : أداء ، وأمانة .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن المغيرة ، قال : كان إبراهيم يقول في هذه الآية ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال : صدقا ، ووفاء ، أو أحدهما .

حدثنا أبو بكر ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء ، في قوله ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال : أداء ومالا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قال عمرو بن دينار : أحسبه كل ذلك المال والصلاح .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا زيد ، قال : ثنا سفيان ( إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) يعني : صدقا ، ووفاء ، وأمانة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) ، قال : إن علمت فيه خيرا لنفسك ، يؤدّي إليك ويصدقك ما حدثك ، فكاتبه .

وقال آخرون بل معنى ذلك : إن علمتم لهم مالا .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) يقول : إن علمتم لهم مالا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال : مالا .

حدثنا ابن بشار وابن المثني ، قالا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد : ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال : مالا .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال لهم مالا ، فكاتبوهم .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال : إن علمتم لهم مالا ، كائنة أخلاقهم وأديانهم ما كانت .  
حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن زاذان ، عن عطاء بن أبي رباح ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال : مالا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد ، قال : إن علمتم عندهم مالا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني محمد بن عمرو الياضعي ، عن ابن جُرَيْج ، أن عطاء بن أبي رباح ، كان يقول : ما نراه إلا المال ، يعني قوله ( إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال : ثم تلا ( كَتِيبَ عَلَيْهِمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا ) .

وأولى هذه الأقوال في معنى ذلك عندي : قول من قال : معناه : فكاتبوهم إن علمتم فيهم قوة على الاحتراف والاكتماب ، ووفاء بما أوجب على نفسه وألزمها ، وصدق لهجة . وذلك أن هذه المعاني هي الأسباب التي بمولى العبد الحاجة إليها إذا كاتب عبده ، مما يكون في العبد ، فأما المال وإن كان من الخير ، فإنه لا يكون في العبد ، وإنما يكون عنده أوله لا فيه ، والله إنما أوجب علينا مكاتبة العبد إذا علمنا فيه خيرا ، لا إذا علمنا عنده أو له ، فلذلك لم نقل : إن الخير في هذا الموضع معنى به المال .

وقوله ( وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) يقول تعالى ذكره : وأعطوهم من مال الله الذي أعطاكم .

ثم اختلف أهل التأويل في المأمور بإعطائه من مال الله الذي أعطاه من هو؟ وفي المال أي الأموال هو؟ فقال بعضهم : الذي أمر الله بإعطاء المكاتب من مال الله : هو مولى العبد المكاتب ، ومال الله الذي أمر بإعطائه منه هو مال الكتابة ، والقدر الذي أمر أن يعطيه منه : الربيع .  
وقال آخرون : بل ما شاء من ذلك المولى .

ذكر من قال ذلك

حدثني عمرو بن علي ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، قال : ثنا عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السلمى ، عن علي في قول الله ( وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) قال : ربيع المكاتب .  
حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المخاربي ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السلمى ، عن علي ، في قول الله ( وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) قال : ربيع الكتابة يحطها عنه .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن ليث ، عن عبد الأعلى ، عن أبي عبد الرحمن ، عن علي رضي الله عنه ، في قول الله ( وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) قال : الربيع من أول نجومه .



قال : أخبرنا ابن عُلَيَّة ، قال : عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ ، عن عليّ ، في قوله (وَأَتَوْهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ) قال : الربع من مكاتبته .

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسيّ ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عبد الملك بن أعين ، قال : كاتب أبو عبد الرحمن غلاما في أربعة آلاف درهم ، ثم وضع له الربع ، ثم قال : لولا أني رأيت عليا رضوان الله عليه كاتب غلاما له ، ثم وضع له الربع ، ما وضعت لك شيئا .

حدثنا ابن المنثريّ ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عبد الأعلى ، عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ أنه كاتب غلاما له على ألف ومئتين ، فترك الربع وأشهدني ، فقال لي : كان صديقك يفعل هذا ، يعني عليا رضوان الله عليه ، يتأول (وَأَتَوْهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الملك ، قال : ثنا فضالة بن أبي أمية ، عن أبيه ، قال : كاتبني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فاستقرض لي من حَقْصَةِ مِثْثِي درهم . قلت : ألا تجعلها في مكاتبتي ؟ قال : إني لأدرى أدرك ذلك أم لا .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، بلغني أنه كاتبه على مِثْثَةِ أوقية : قال : ثنا سفيان ، عن عبد الملك ، قال : ذكرت ذلك لعكرمة ، فقال : هو قول الله (وَأَتَوْهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ) .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قول الله (وَأَتَوْهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ) يقول : ضعوا عنهم من مكاتبهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَأَتَوْهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ) يقول : ضعوا عنهم مما قاطعتموهم عليه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء ، في قوله (وَأَتَوْهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ) قال : مما أخرج الله لكم منهم .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد (وَأَتَوْهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ) قال : آتاهم مما في يديك .

حدثني الحسين بن عمرو العنقزيّ ، قال : ثنا أبي ، عن أسباط ، عن السديّ ، عن أبيه ، قال : كاتبني زينب بنت قيس بن مخزومة من بني المطلب بن عبد مناف ، على عشرة آلاف ، فتركت لي ألفا ، وكانت زينب قد صلّت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلتين جميعا .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا أبو مسعود الحريريّ ، عن أبي تَضْرَةَ ، عن أبي سعيد ، مولى أبي أسيد ، قال : كاتبني أبو أسيد ، على ثلثي عشرة مئة ، فحجته بها ، فأخذ منها ألفا ، وردّ عليّ مئتين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن عنبسة ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، قال : كان ابن عمر إذا كاتب مكاتبه ، لم يضع عنه شيئا من أول نجومه ، مخافة أن يعجز ، فترجع إليه صدقته ، ولكنه إذا كان في آخر مكاتبته ، وضع عنه ما أحب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني مَحْمَرَة ، عن أبيه ، عن نافع ، قال : كاتب عبد الله بن عمر غلاما له يقال له شرف ، على خمسة وثلاثين ألف درهم ، فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف ، ولم يذكر نافع أنه أعطاه شيئا غير الذي وضع له .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال قال مالك : سمعت بعض أهل العلم يقول : إن ذلك أن يكتب الرجل غلامه ، ثم يضع عنه من آخر كتابته شيئا مسمى ، قال مالك : وذلك أحسن ما سمعت ، وعلى ذلك أهل العلم ، وعمل الناس عندنا .

حدثني عليّ ، قال : ثنا زيد ، قال : ثنا سفيان : أحبّ إلىّ أن يعطيه الربع ، أو أقلّ منه شيئا ، وليس بواجب ، وأن يفعل ذلك حسن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن عبد الله بن حبيب أبي عبد الرحمن السلميّ ، عن عليّ رضي الله عنه ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) قال : هو ربع المكتبة .

وقال آخرون : بل ذلك حصص من الله أهل الأموال ، على أن يعطوهم سهمهم الذي جعله لهم من الصدقات المفروضة لهم في أموالهم بقوله : ( إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرَّقَابِ ) قال : فالرقاب التي جعل فيها أحد ستمائة الصدقة الثمانية : هم المكاتبون ، قال : وإياه عنى جل ثناؤه بقوله ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) : أي سهمهم من الصدقة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن ابن زيد ، عن أبيه ، قوله ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) قال : يحث الله عليه ، يُعْطُونَهُ .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علقمة ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) قال : حث الناس عليه : مولاه وغيره .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن حماد ، عن إبراهيم ، في قوله ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) قال : يعطى مكاتبه وغيره ، حث الناس عليه .

حدثني يعقوب قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم أنه قال في قوله ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) قال : أمر مولاه والناس جميعا أن يعينوه .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد ، قال : ثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) قال : أمر المسلمين أن يعطوهم مما آتاهم الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا ابن زيد ، عن أبيه ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) قال : ذلك في الزكاة على الولاة يعطونهم من الزكاة ، يقول الله ( وفي الرقاب ) .

قال : ثنا ابن زيد ، عن أبيه ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) قال : الفسء والصدقات .  
وقرأ قول الله ( إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ) ، وقرأ حتى بلغ ( وفي الرقاب ) فأمر الله أن يوفئوها



منه ، فليس ذلك من الكتابة ، قال : وكان أبي يقول ماله وللكتابة ، هو من مال الله الذي قرّض له فيه نصيبا .  
 ﴿١٣٢﴾ وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي : القول الثاني ، وهو قول من قال : عَسَىٰ بِهِ إِيْتَاءَهُمْ سَهْمُهُمْ  
 من الصدقة المفروضة .

وإنما قلنا ذلك أولى القولين ؛ لأن قوله ( وَأَتَوْهُم مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) أمر من الله تعالى ذكره بإيتاء المكاتبين من ماله الذي آتى أهل الأموال ، وأمر الله فرض على عباده الانتهاء إليه ، ما لم يخبرهم أن مراده التدب ، لما قد بينّا في غير موضع من كتابنا ، فإذا كان ذلك كذلك ، ولم يكن أخبرنا في كتابه ، ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، أنه تدب ، ففرض واجب . وإذا كان ذلك كذلك ، وكانت الحاجة قد قامت أن لاحقاً لأحد في مال أحد غيره من المسلمين ، إلا ما أوجبه الله لأهل سهمان الصدقة ، في أموال الأغنياء منهم ، وكانت الكتابة التي يقتضيها سيد المكاتب من مكاتبه مالا من مال سيد المكاتب ، فيفاد أن الحق الذي أوجب الله له على المؤمنين ، أن يؤتوه من أموالهم ، هو ما قرّض على الأغنياء في أموالهم له ، من الصدقة المفروضة ، إذ كان لاحقاً في أموالهم لأحد سواها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتِكُمْ عَلَىٰ الْبِغَاءِ إِن أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَعُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَنْ  
 يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٣)

﴿٣٣﴾ يقول تعالى ذكره : زوّجوا الصالحين من عبادكم وإمائكم ، ولا تُكْرِهُوا إماءكم على البغاء ، وهو الزنا ؛ ( إن أردنَّ تحصُّنًا ) يقول : إن أردن تعففا عن الزنا ( لِتَبْتَعُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) يقول : لتلتمسوا بإكراهكم إياهنّ على الزنا عَرَضَ الْحَيَاةِ ، وذلك ما تعرّض لهم إليه الحاجة ، من ريشها وزينتها وأموالها ، ( وَمَنْ يُكْرِهِنَّ ) يقول : ومن يُكْرِهْهُنَّ فَتِيَّاتَهُ عَلَى الْبِغَاءِ ، فإن الله من بعد إكراهه إياهنّ على ذلك ، لهم ( غَفُورٌ رَّحِيمٌ ) ، ووَزَّرَ ما كان من ذلك عليهم دونهنّ . . .

وذكر أن هذه الآية أنزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول ، حين أكره أمته مُسَيِّكَةَ على الزنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن الصباح ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جُرَيْج ، قال : أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : جاءت مسيكة لبعض الأنصار فقالت : إن سيدي يكرهني على الزنا ، فنزلت في ذلك ( وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ) .

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان عن جابر ، قال : كانت جارية لعبد الله بن أبي ابن سلول ، يقال لها مُسَيِّكَةَ ، فأجرها وأكرهها « الطبري شك » فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فشكّت ذلك إليه ، فأنزل الله ( وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّاتِكُمْ عَلَى

البيغاء إن أردنَّ تحصُّنا لتبتتوا عرَّضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَنْ يُكْرِهَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِيَهُنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) يعنى بهنَّ .

حدثنا أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عَبَسْتَرُ ، قال : ثنا حصين ، عن الشعبي ، في قوله ( وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ) قال : رجل كانت له جارية تفجر ، فلما أسلمت نزلت هذه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْجٍ ، قال : أخبرني أبو الزبير ، عن جابر ، قال : جاءت جارية لبعض الأنصار ، فقالت : إن سيدى أكرهنى على البيغاء ، فأنزل الله في ذلك : ( وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ) قال ابن جُرَيْجٍ : وأخبرني عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، قال : أمة لعبد الله بن أبي ، أمرها فزنت ، فجاءت ببيرد ، فقال لها ارجعى فازنى ، قالت : والله لأفعل ، إن يك هذا خيرا ، فقد استكرت منه . وإن يك شرًّا فقد آن لى أن أدعه . قال ابن جُرَيْجٍ ، وقال مجاهد نحو ذلك ، وزاد قال : البيغاء : الزنا . ( وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) قال : للمكروهات على الزنا ، وفيها نزلت هذه الآية .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، أن رجلا من قريش أسير يوم بدر . وكان عبد الله بن أبي أسرهُ ، وكان لعبد الله جارية يقال لها مُعَاذَةُ ، فكان القرشى الأسير يريدها على نفسها ، وكانت مسلمة ، فكانت تمتنع منه ، لإسلامها ، وكان ابن أبي يكرهها على ذلك ويضربها ، رجاء أن تحمل للقرشى ، فيطلب فداء ولده ، فقال الله : ( وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ) إن أردنَّ تحصُّنا ) قال الزهرى ( وَمَنْ يُكْرِهَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِيَهُنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) يقول : غفور لمن ما أكرهن عليه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير : أنه كان يقرأ ( فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِيَهُنَّ لَكُنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) .

حدثنا علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ) إن أردنَّ تحصُّنا ) يقول : ولا تكرهوا إماءكم على الزنا ، فإن فعلتم فإن الله سبحانه لمن غفور رحيم ، ولأنهن على من أكرهن .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ) . . . إلى آخر الآية ، قال : كانوا في الجاهلية يكرهون إماءهم على الزنا ، يأخذون أجورهن ، فقال الله : لا تكرهوهن على الزنا من أجل المتالة في الدنيا ، ومن يكرهن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم لمن : يعنى إذا أكرهن .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ) على الزنا ، قال عبد الله بن أبي ابن سَكُورٍ أمرأمة له بالزنا ، فجاءته بدينار أو ببيرد ، شك أبو عاصم ، فأعطته ، فقال : ارجعى فازنى بآخر ، فقالت : والله ما أنا براجعة ، فالله غفور رحيم للمكروهات على الزنا ، ففي هذا أنزلت هذه الآية .



حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه ، إلا أنه قال في حديثه : أمر أمة له بالزنا ، فزنت ، فجاءته ببرد فأعطته ، فلم يشك .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ) يقول : على الزنا ( فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِيهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) يقول : غفور لمن ، للمكرهات على الزنا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَنْ يُكْرِهْنُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِيهِمْ غَفُورٌ ) قال : غفور رحيم لمن حين أكرهن ، وقسرن على ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كانوا يأمرن ولائهم بباغين ، يفعلن ذلك ، فيصبن ، فيأتينهم بكسبهن ، فكانت لعبد الله بن أبي ابن سلول جارية ، فكانت تباغى ، فكرهت وحلفت أن لا تفعله ، فأكرهها أهلها ، فانطلقت فباغت ببرد أخضر ، فأتهم به ، فأنزل الله تبارك وتعالى ( وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ ، وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ، وَمَوْعِظَةً  
لِلْمُتَّقِينَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : ولقد أنزلنا إليكم أيها الناس دلائل وعلامات مبينات : يقول : مفصلات الحق من الباطل ، وموضحات ذلك .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين والبصريين ( مُبَيِّنَاتٍ ) بفتح الياء : بمعنى مفصلات ، وأن الله فصلهن وبيهن لعباده ، فهن مفصلات مبينات . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ( مُبَيِّنَاتٍ ) بكسر الياء ، بمعنى أن الآيات هن تبين الحق والصواب للناس ، وتهديهم إلى الحق . والصواب من القول في ذلك عندنا : أنهما قراءتان معروفتان ، وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، متقاربتا المعنى ، وذلك أن الله إذ فصلها وبيهنها صارت مبينة بنفسها الحق ، لمن التمسه من قبلها ، وإذا بينت ذلك لمن التمسه من قبلها ، فبين الله ذلك فيها ، فبأى القراءتين قرأ القارى ، فصيب في قراءته الصواب . وقوله ( وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ) من الأمم ، وموعظة لمن اتقى الله ، فخاف عقابه وخشى عذابه .

القول في تأويل قوله تعالى

اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ،  
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ، لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ، يَكَادُ

زَيْتَهَا يُضِيءُ وَلَوْلَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ، نُورٌ عَلَى نُورٍ، يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ، وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ  
لِلنَّاسِ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥)

يعنى تعالى ذكره بقوله (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) هادى من فى السموات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون، وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون.

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك، فقال بعضهم: فيه نحو الذى قلنا.

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يقول: الله سبحانه هادى أهل السموات والأرض.

حدثني سليمان بن عمر بن خلف بن الرقى، قال: ثنا وهب بن راشد، عن فرقد، عن أنس بن مالك، قال: إن إلهي يقول: نوري هداى.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: الله مدبّر السموات والأرض.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد وابن عباس فى قوله (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يدبّر الأمر فيهما: نجومهما وشمسهما وقمرهما.

وقال آخرون: بل عنى بذلك النور: الضياء. وقالوا: معنى ذلك: ضياء السموات والأرض.

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: ثنا أبو جعفر الرازى، عن الربيع ابن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، فى قول الله (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) قال: فبدأ بنور نفسه، فذكره، ثم ذكر نور المؤمن.

وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فى ذلك؛ لأنه عقيب قوله (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ، وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَقُوا مِن قَبْلِكُمْ، وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) فكان ذلك بأن يكون خبراً عن موقع يقع تنزيه من خلقه. ومن مدح ما ابتداء بذكر مدحه، أولى وأشبه، ما لم يأت ما يدل على انقضاء الخبر عنه من غيره. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ولقد أنزلنا إليكم آياتها الناس، آيات مبيّنات الحق من الباطل. (وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَقُوا مِن قَبْلِكُمْ، وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) فهديناكم بها، وبيّنا لكم معالم دينكم بها، لأنى هادى أهل السموات وأهل الأرض، وترك وصل الكلام باللام، وابتداء الخبر عن هداية خلقه ابتداء، وفيه المعنى الذى ذكرت، استغناء بدلالة الكلام عليه من ذكره، ثم ابتداء فى الخبر عن مثل هدايته خلقه بالآيات المبيّنات التى أنزلها إليهم، فقال (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) يقول: مثل ما أنار من الحق بهذا التنزيل فى بيانه: كمشكاة.



وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بالهاء في قوله (مَثَلُ نُورِهِ) علام هي عائدة ، ومن ذكر ما هي ؟ فقال بعضهم : هي من ذكر المؤمن ، وقالوا : معنى الكلام : مثل نور المؤمن الذي في قلبه من الإيمان والقرآن : مثل مشكاة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ، في قول الله (مَثَلُ نُورِهِ) قال : ذكر نور المؤمن فقال : مثل نوره ، يقول : مثل نور المؤمن . قال : وكان أبي يقرؤها كذلك : مَثَلُ المؤمن ، قال : هو المؤمن قد جعل الإيمان والقرآن في صدره .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن أبي العالية ، عن أبي ابن كعب (الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ) قال : بدأ بنور نفسه ، فذكره ، ثم قال (مَثَلُ نُورِهِ) يقول : مثل نور مَنْ آمَنَ به . قال : وكذلك كان يقرأ أبي ، قال : هو عبد جعل الله القرآن والإيمان في صدره .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة (مَثَلُ نُورِهِ) قال : مثل نور المؤمن .

حدثني علي بن الحسن الأزدي ، قال : ثنا يحيى بن النيمان ، عن أبي سنان ، عن ثابت ، عن الضحاک في قوله (مَثَلُ نُورِهِ) قال : نور المؤمن .

وقال آخرون : بل عُنِيَ بالنور : محمد صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : الهاء التي في قوله (مَثَلُ نُورِهِ) : عائدة على اسم الله .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُصَمِيُّ ، عن حفص ، عن شَمِير ، قال : جاء ابن عباس إلى كعب الأبحار ، فقال له : حدثني عن قول الله عز وجل (الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) . . . الآية ، فقال كعب : الله نور السموات والأرض ، مَثَلُ نوره : مثل محمد صلى الله عليه وسلم : كمشكاة .

حدثني علي بن الحسن الأزدي ، قال : ثنا يحيى بن النيمان ، عن أشعث ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبيرة في قوله (مَثَلُ نُورِهِ) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : بل عُنِيَ بذلك : هَدَى الله وبيانه ، وهو القرآن ، قالوا : والهاء من ذكر الله : قالوا : ومعنى الكلام : الله هادي أهل السموات والأرض بآياته المبينات ، وهي النور الذي استنار به السموات والأرض ، مَثَلُ هداه وآياته التي هَدَى بها خلقه ، ووعظهم بها في قلوب المؤمنين : كمشكاة .

## ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (مَثَلُ نُورِهِ) مثل هُدَاهُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّةَ ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (مَثَلُ نُورِهِ) قال : مثل هذا القرآن في القلب : كمشكاة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مَثَلُ نُورِهِ) : نور القرآن الذي أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعباده ، هذا مثل القرآن (كَمِشْكَاتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عبد الله بن عبيّاش ، قال : قال زيد بن أسلم ، في قول الله تبارك وتعالى (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ) ونوره الذي ذكر : القرآن ، ومثله الذي ضَرَبَ له .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : مثل نور الله ، وقالوا : يعنى بالنور : الطاعة .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) وذلك أن اليهود قالوا لمحمد : كيف يَخْلُصُ نور الله من دون السماء؟ فضرب الله مَثَلَ ذلك لنوره ، فقال (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاتٍ) قال : وهو مثل ضربه الله لطاعته ، فسمى طاعته نورا ، ثم سماها أنوارا شتى . وقوله (كَمِشْكَاتٍ) اختلف أهل التأويل في معنى المِشْكَاة والمِصْبَاح ، وما المراد بذلك ، وبالزجاجة ، فقال بعضهم : المِشْكَاة كل كوة لا منفذ لها ، وقالوا : هذا مثل ضربه الله لقلب محمد صلى الله عليه وسلم .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص ، عن شَمِير ، قال : جاء ابن عباس إلى كعب الأخبار ، فقال له : حدثني عن قول الله (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاتٍ) قال : المشكاة وهي الكوة ، ضربها الله مثلا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، المِشْكَاة (فِيهَا مِصْبَاحٌ ، المِصْبَاحُ) قلبه (فِي زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ) صدره الزجاجة (كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ) شبه صدر النبي صلى الله عليه وسلم بالكوكب الدرّي ، ثم رجع المصباح إلى قلبه ، فقال (تُوَقَّدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ، لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ) لم تمسها شمس المشرق ولا شمس المغرب (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ) يكاد محمد يبين للناس ، وإن لم يتكلم أنه نبي ، كما يكاد ذلك الزيت يضيء (وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، نُورٌ عَلَى نُورٍ) .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (كَمِشْكَاتٍ) يقول : موضع الفتيحة .



حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) . . . إلى ( كَيْشْكَاةٍ ) قال : المِشْكَاةُ : كَوَّةُ الْبَيْتِ . وقال آخرون : عني بالمشكاة : صدر المؤمن ، وبالمصباح : القرآن والإيمان ، وبالزجاجة : قلبه . ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ( مَثَلُ نُورِهِ كَيْشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ) قال : مَثَلُ الْمُؤْمِنِ قَدْ جَعَلَ الْإِيمَانَ وَالْقُرْآنَ فِي صَدْرِهِ كَمِشْكَاةٍ ، قال : المشكاة : صدره ( فِيهَا مِصْبَاحٌ ) قال : والمصباح القرآن والإيمان الذي جعل في صدره ( الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ) قال : والزجاجة : قلبه . ( الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ تَوَقَّدُ ) ، قال : فثله مما استنار فيه القرآن والإيمان كأنه كوكب دري ، يقول : مُضِيءٌ ( تَوَقَّدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ) والشجرة المباركة ، أصله المباركة الإخلاص لله وحده وعبادته ، لا شريك له ( لَا شَرْفِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ ) قال : فثله مَثَلُ شَجَرَةٍ تَنْفَعُ بِهَا الشَّجَرُ ، فهي خضراء ناعمة ، لا تصيبها الشمس على أي حال كانت ، لا إذا طلعت ، ولا إذا غربت ، وكذلك هذا المؤمن قد أجبر من أن يصيبه شيء من الغيبر ، وقد ابتلى بها ، فثبته الله فيها ، فهو بين أربع خلال ، إن أُعْطِيَ شكر ، وإن ابتلى صبر ، وإن حَكَمَ عدل ، وإن قال صدق ، فهو في سائر الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الأموات ، قال ( نُورٌ عَلَى نُورٍ ) فهو يتقلب في خمسة من النور ، فكلامه نور ، وعمله نور ، ومدخله نور ، ومخرجه نور ، ومصيره إلى النور يوم القيامة في الجنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني يحيى بن النيمان ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ، قال : المشكاة : صدر المؤمن ( فيها مصباح ) ، قال : القرآن . قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ، نحو حديث عبد الأعلى ، عن عبيد الله .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( مَثَلُ نُورِهِ كَيْشْكَاةٍ ) قال : مثل هداه في قلب المؤمن ، كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار ، فإذا مسته النار ازداد ضوءاً على ضوء ، كذلك يكون قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم ، فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ، ونورا على نور ، كما قال إبراهيم صلوات الله عليه قبل أن تجيئه المعرفة ( قال هذا ربي ) حين رأى الكوكب من غير أن يخبره أحد أن له ربا ، فلما أخبره الله أنه ربه ، ازداد هدى على هدى .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَيْشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ) وذلك أن اليهود قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم : كيف يخلص نور الله من دون السماء ، فضرب الله مَثَلُ ذلك لنوره ، فقال ( اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَيْشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ) والمِشْكَاةُ : كَوَّةُ الْبَيْتِ فِيهَا مِصْبَاحٌ ،

(المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوُكَبٌ دُرِّيٌّ) والمصباح : السراج يكون في الزجاج ، وهو مثل ضربه الله لطاعته ، فسمى طاعته نورا ، وسماها أنواعا شتى .

قوله (تَوَقَّدُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ، لِأَشْرَقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ) قال : هي شجرة لا ينفى عليها ظل شرق ، ولا ظل غرب ، ضاحية ، ذلك أصفى للزيت ، (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ كَمْ تَمَسَّسَهُ نَارٌ) قال معمر ، وقال الحسن : ليست من شجر الدنيا ، ليست شرقية ولا غربية .

وقال آخرون : هو مثل للمؤمن غير أن المصباح وما فيه مثل لفؤاده ، والمشكاة مثل لجوفه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريح ، قال : قال مجاهد وابن عباس جميعا ، المصباح وما فيه مثل فؤاد المؤمن وجوفه ، المصباح مثل الفؤاد ، والكوة مثل الجوف .

قال ابن جرير (كَمِشْكَاةٍ) : كوة غير نافذة . قال ابن جرير ، وقال ابن عباس : قوله (نُورٌ عَلَى نُورٍ) يعني : إيمان المؤمن وعمله .

وقال آخرون : بل ذلك مثل للقرآن في قلب المؤمن :

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ) قال : ككوة (فِيهَا مِصْبَاحٌ ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوُكَبٌ دُرِّيٌّ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ) نور القرآن الذي أنزل على رسوله وعباده ، فهذا مثل القرآن (كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ) فقرأ حتى بلغ (مَبَارَكَةٍ) فهذا مثل القرآن يستضاء به في نوره ويعلمونه ويأخذون به ، وهو كما هو لا ينقص ، فهذا مثل ضربه الله لنوره . وفي قوله (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ) قال : الضوء : إشراق ذلك الزيت ، والمشكاة : التي فيها الفتيلة التي في المصباح ، والقناديل تلك المصابيح .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن عياض في قوله (كَمِشْكَاةٍ) قال : الكوة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قررة ، عن عطية ، في قوله (كَمِشْكَاةٍ) قال : قال ابن عمر : المشكاة : الكوة .

وقال آخرون : المشكاة : القنديل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (كَمِشْكَاةٍ) قال : القنديل ، ثم العمود الذي فيه القنديل .

(١) في الأصل : الزيت ، بدون لام قبلها ، وأظنه محرفا عما أثبتناه .



حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( كَمِشْكَاءٌ ) :  
الصفْر الذي في جوف القنديل .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله عن داود ، عن رجل ، عن مجاهد ، قال :  
المِشْكَاءُ : القنديل .

وقال آخرون : المشكاة : الحديد الذي يعلق به القنديل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المنثي ، قال : ثنا محمد بن المفضل ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا داود بن أبي هند ، عن  
مجاهد ، قال : المشكاة : الحدائد التي يعلق بها القنديل .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلب أهل الإيمان به ،  
فقال : مثَّل نور الله الذي أنار به لعباده سبيل الرشاد ، الذي أنزله إليهم ، فأمنوا به ، وصدقوا بما فيه ، في قلوب  
المؤمنين ، مثل مشكاة ، وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة ، وذلك هو نظير الكوّة التي تكون في الحيطان  
التي لا منفذ لها ، وإنما جعل ذلك العمود مشكاة ، لأنه غير نافذ ، وهو أجوف مفتوح الأعلى ، فهو كالكوّة  
التي في الحائط التي لا تنفذ ، ثم قال ( فيها مصباحٌ ) وهو السراج ، وجعل السراج وهو المصباح مثلاً لما  
في قلب المؤمن من القرآن والآيات المبينات ، ثم قال ( المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ) يعني : أن السراج الذي  
في المشكاة : في القنديل ، وهو الزجاج ، وذلك مثل للقرآن ، يقول : القرآن الذي في قلب المؤمن الذي أنار  
الله قلبه في صدره ، ثم مثل الصدر في خلوصه من الكفر بالله ، والشك فيه ، واستنارته بنور القرآن ، واستضاءته  
بآيات ربه المبينات ، ومواعظه فيها ، بالكوكب الدرّي ، فقال : الزجاج ، وذلك صدر المؤمن الذي فيه قلبه  
كأنها كوكب درّي .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( درّي ) فقرأته عامة قراء الحجاز ( درّي ) بضم الدال ، وترك الهمز :  
وقرأ بعض قراء البصرة والكوفة : ( درّي ) بكسر الدال وهمزة . وقرأ بعض قراء الكوفة ( درّي ) بضم  
الدال وهمزة ، وكان الذين ضموا داله ، وتركوا الهمزة ، وجهوا معناه إلى ما قاله أهل التفسير الذي ذكرنا عنهم ،  
من أن الزجاج في صفائها وحسبها كالدرّ ، وأنها منسوبة إليه لذلك من نعتها وصفتها . ووجه الذين قرءوا  
ذلك بكسر داله وهمزة ، إلى أنه فعيل من درّي الكوكب : أي دُفِع ورجم به الشيطان ، من قوله ( وَيَدْرَأُ  
عَثْهَا الْعَذَابَ ) : أي يدفع ، والعرب تسمى الكواكب العظام التي لا تعرف أسماءها الدراري بغير همز .  
وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول : هي الدراري بالهمز ، من يدْرَأُ . وأما  
الذين قرءوه بضمّ داله وهمزة ، فإن كانوا أرادوا به درّوء مثل سُبُوح و قدوس من درأت ، ثم استنقلوا  
كثرة الضمات فيه ، فصرفوا بعضها إلى الكسرة ، فقالوا : درّي ، كما قيل : ( وَقَدْ بَلَغَتْ مِنَ الْكَبِيرِ عِتِيًّا )  
وهو فعول ، من عتوت عتواً ، ثم حوّلت بعض ضماتها إلى الكسر ، فقيل : عتيا ، فهو مذهب ، وإلا فلا

أعرف لصحة قراءتهم ذلك كذلك وجها، وذلك أنه لا يُعرف في كلام العرب فِعِيلٌ ، وقد كان بعض أهل العربية يقول : هو لحن .

والذي هو أولى القراءات عندي في ذلك بالصواب : قراءة من قرأ ( دُرَى ) بضمّ داله، وترك همزه، على النسبة إلى الدرّ، لأن أهل التأويل بتأويل ذلك جاءوا، وقد ذكرنا أقوالهم في ذلك قبل، ففي ذلك مُكْتَنَى عن الاستشهاد على صحتها بغيره ، فتأويل الكلام : الزجاجة : وهي صدر المؤمن ، ( كأنها ) : يعني كأن الزجاجة ، وذلك مثل لصدر المؤمن ( كَوَكَب ) : يقول : في صفاتها وضيائها وحسنها . وإنما يصف صدره بالنقاء من كلّ ريب وشكّ ، في أسباب الإيمان بالله، وبعده من دنس المعاصي ، كالكوكب الذي يُشبه الدرّ في الصفاء والضياء والحسن .

واختلفوا أيضا في قراءة قوله ( تُوَقَّدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ) فقرأ ذلك بعض المكّيين والمدنيّين وبعض البصريّين ( تَوَقَّدَ مِنْ شَجَرَةٍ ) بالتاء، وفتحها، وتشديد القاف، وفتح الدال، وكأنهم وجهوا معنى ذلك إلى تَوَقَّدَ المصباح من شجرة مباركة . وقرأه بعض عامة قرّاء المدنيّين ( يُوقَدُ ) بالياء ، وتخفيف القاف، ورفع الدال ، بمعنى : يُوقَدُ المصباح مُوقِدُهُ من شجرة ، ثم لم يُسَمَّ فاعله . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة ( تُوَقَّدُ ) بضمّ التاء وتخفيف القاف ورفع الدال ، بمعنى : يُوقَدُ الزجاجة مُوقِدُها من شجرة مباركة المالم يسمّ فاعله ، فقليل تُوَقَّد . وقرأه بعض أهل مكة ( تَوَقَّدُ ) بفتح التاء ، وتشديد القاف ، وضمّ الدال ، بمعنى : تَتَوَقَّدُ الزجاجة من شجرة ، ثم أسقطت إحدى التائين ، اكتفاء بالباقية من الذاهبة . وهذه القراءات متقاربات المعاني ، وإن اختلفت الألفاظ بها، وذلك أن الزجاجة إذا وُصِفَتْ بالتوقد، أو بأنها تَوَقَّدَ ، فمعلوم معنى ذلك، فإن المراد به تَوَقَّدَ فيها المصباح، أو يُوقَدَ فيها المصباح، ولكن وجهوا الخبر إلى أن وصفها بذلك، أقرب في الكلام منها ، وفهم السامعين معناه . والمراد منه، فإذا كان ذلك كذلك ، فبأى القراءات قرأ القارئ فصيب، غير أن أعجب القراءات إلىّ ، أن أقرأ بها في ذلك ( تَوَقَّدَ ) بفتح التاء، وتشديد القاف، وفتح الدال، بمعنى : وصف المصباح بالتوقد، لأن التوقد والاتقاد لاشكّ أنهما من صفة، دون الزجاجة، فعنى الكلام إذن : كمشكاة فيها مصباح، المصباح من دهن شجرة مباركة، زيتونة، لا شرقية ولاغربية . وقد ذكرنا بعض ما روى عن بعضهم من الاختلاف في ذلك فيما قد مضى ، ونذكر باقي ما حضرنا مما لم نذكره قبل ، فقال بعضهم : إنما قيل لهذه الشجرة : لاشرقية ولاغربية : أي ليست شرقية وحدها، حتى لاتصيبها الشمس إذاغربت ، وإنما لها نصيبها من الشمس بالغدادة ما دامت بالجانب الذي يلي الشرق ، ثم لا يكون لها نصيب منها إذا مالت إلى جانب الغرب ؛ ولا هي غربية وحدها ، فتصيبها الشمس بالعشيّ، إذا مالت إلى جانب الغرب ، ولا تصيبها بالغدادة ، ولكنها شرقية غربية ، تطلع عليها الشمس بالغدادة ، وتغرب عليها ، فيصيبها حرّ الشمس بالغدادة والعشيّ ، قالوا : وإذا كانت كذلك ، كان أجود لزيّتها .

(١) لعل هنا سقطا في العبارة ، تقديره : « ثم بنى » كما يفهم من السياق .



ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سيبك ، عن عكرمة ، في قوله ( زَيْتُونَةٍ ، لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ ) قال : لا يسترها من الشمس جبل ولا واد ، إذا طلعت ، وإذا غربت .  
حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا حيرم بن عمار ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني عمار ، عن عكرمة ، في قوله ( لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ ) قال : الشجرة تكون في مكان لا يسترها من الشمس شيء ، تطلع عليها ، وتغرب عليها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد وابن عباس ( لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ ) قالوا : هي التي يشقّ الجبل ، التي يصيبها شروق الشمس وغروبها ، إذا طلعت أصابها ، وإذا غربت أصابها .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : ليست شرقية ولا غربية .

ذكر من قال ذلك

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنى محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ ) قال : هي شجرة وَسَطُ الشجر ، ليست من الشرق ، ولا من الغرب .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ ) متيامنة الشام ، لا شرقى ولا غربى .  
وقال آخرون : ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قول الله ( لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ ) قال : والله لو كانت في الأرض لكانت شرقية أو غربية ، ولكنها هو مثل ضربه الله لنوره .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عثمان ، يعني ابن الهيثم ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قول الله ( زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ ) قال : لو كانت في الأرض هذه الزيتون ، كانت شرقية أو غربية ، ولكن والله ما هي في الأرض ، وإنما هو مثل ضربه الله لنوره .  
حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عوف ، عن الحسن ، في قوله ( لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ ) قال : هذا مثل ضربه الله ، ولو كانت هذه الشجرة في الدنيا ، لكانت إما شرقية ، وإما غربية .  
وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك : قول من قال : إنها شرقية غربية ؛ وقال : ومعنى الكلام : ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالعشى دون الغداة ، ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب ، فهي شرقية غربية .

وإنما قلنا ذلك أولى بمعنى الكلام ، لأن الله إنما وصف الزيت الذي بوقد على هذا المصباح بالصفاء والجلودة ، فإذا كان شجره شرقيا غربيا ، كان زيتته لاشك أجود وأصنى وأضوأ .  
 وقوله ( يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ) يقول تعالى ذكره : يكاد زيت هذه الزيتون يضيء من صفائه ، وحسن ضيائه . ( وَلَوْ كَمْ تَمَسَّسَهُ نَارٌ ) يقول : فكيف إذا مسته النار .  
 وإنما أريد بقوله ( تَوَقَّدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ) أن هذا القرآن من عند الله ، وأنه كلامه ، فجعل مثله ومثله كونه من عنده ، مثل المصباح الذي يوقد من الشجرة المباركة ، التي وصفها جل ثناؤه في هذه الآية . وعني بقوله ( يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ) : أن حُجَجَ الله تعالى ذكره على خلقه ، تكاد من بيانها ووضوحها تضيء لمن فكر فيها ونظر ، أو أعرض عنها ولها ( وَلَوْ كَمْ تَمَسَّسَهُ نَارٌ ) يقول : ولو لم يَزِدْها الله بيانا ووضوحا ، بإنزاله هذا القرآن إليهم ، منبها لهم على توحيدهِ ، فكيف إذا نبههم به ، وذكرهم بآياته ، فزادهم به حجة إلى حُجَجِهِ عليهم قبل ذلك ، فذلك بيان من الله ، ونور على البيان ، والنور الذي كان قد وضعه لهم ونصبه قبل نزوله .

وقوله ( نُورٌ عَلَى نُورٍ ) يعني النار على هذا الزيت الذي كاد يضيء ، ولو لم تمسه النار .  
 كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( نُورٌ عَلَى نُورٍ ) قال : النار على الزيت .  
 قال أبو جعفر : وهو عندي كما ذكرت مثل القرآن ، ويعني بقوله ( نُورٌ عَلَى نُورٍ ) هذا القرآن نور من عند الله ، أنزله إلى خلقه يستضيئون به . ( على نور ) على الحجج والبيان الذي قد نصبه لهم قبل مجيء القرآن إنزاله إياه ، مما يدل على حقيقة وحدانيته ، فذلك بيان من الله ، ونور على البيان ، والنور الذي كان وضعه لهم ، ونصبه قبل نزوله .

وذكر عن زيد بن أسلم في ذلك ، ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عبد الله بن عياش ، قال : قال زيد بن أسلم ، في قوله ( نُورٌ عَلَى نُورٍ ) يضيء بعضه بعضا ، يعني القرآن .  
 وقوله ( يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ) : يقول تعالى ذكره : يُوقِّتُ اللَّهُ لَاتِّبَاعِ نُورِهِ ، وهو هذا القرآن ، من يشاء من عباده . وقوله ( وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ) يقول : ويُمثل الله الأمثال والأشياء للناس ، كما مثل لهم مثل هذا القرآن في قلب المؤمن ، بالمصباح في المشكاة ، وسائر ما في هذه الآية من الأمثال . ( وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ) يقول : والله بضرب الأمثال ، وغيرها من الأشياء كلها ، ذو علم .

القول في تأويل قوله تعالى

فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيَدْعَرَ فِيهَا أَسْمُهُ ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦)  
 رِجَالٌ لَا تُلْهِمُهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، يَخَافُونَ يَوْمًا



تَمَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ، وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ، وَاللَّهُ  
يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨)

يعنى تعالى ذكره بقوله ( فِي بُيُوتِ أَذِنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ ) الله نور السموات والأرض ، ممثّل نوره  
كمشكاة فيها مصباح ، في بيوت أذن الله أن ترفع .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : المشكاة : التي فيها الفتيلة التي فيها  
المصباح ، قال : المصابيح في بيوت أذن الله أن ترفع .

قال أبو جعفر : قد يحتمل أن تكون من في صلة توقد ، فيكون المعنى : توقد من شجرة مباركة ذلك  
المصباح في بيوت أذن الله أن ترفع ، وعنى بالبيوت : المساجد .

وقد اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم بالذي قلنا في ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، ونصر بن عبد الرحمن الأودي ، قالوا : ثنا حكام ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن  
أبي صالح في قول الله ( فِي بُيُوتِ أَذِنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ ) قال : المساجد .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله ( فِي  
بُيُوتِ أَذِنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ ) وهي المساجد تُكْرَم ، ونهى عن اللغو فيها .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
في قوله ( فِي بُيُوتِ أَذِنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ ) يعني : كل مسجد يصلى فيه ، جامع أو غيره .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله  
( فِي بُيُوتِ أَذِنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ ) قال : مساجد تُبَنَى .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله ( فِي بُيُوتِ  
أَذِنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ ) قال : في المساجد .

قال : أخبرنا معمر ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : أدركت أصحاب رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وهم يقولون : المساجد : بيوت الله ، وإنه حق على الله أن يُكْرَم من زاره فيها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سالم بن عمر ، في قوله ( فِي بُيُوتِ أَذِنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ )  
قال : هي المساجد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فِي بُيُوتِ أَذِنِ اللَّهِ أَنْ  
تُرْفَعَ ) قال : المساجد .

وقال آخرون : عنى بذلك البيوت كلها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، ونصر بن عبد الرحمن الأودى ، قالا : حدثنا حكام بن سلم ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عكرمة ( في بيوت أذن الله أن ترفع ) قال : هي البيوت كلها .  
وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك ، لدلالة قوله ( يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ) على أنها بيوت بنيت للصلاة ، فلذلك قلنا هي المساجد .  
واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( أذن الله أن ترفع ) فقال بعضهم : معناه : أذن الله أن تبتنى .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أذن الله أن ترفع ) قال : تبتنى .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .  
وقال آخرون : معناه : أذن الله أن تعظم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله ( أذن الله أن ترفع ) يقول : أن تعظم لذكره .  
وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب : القول الذي قاله مجاهد ، وهو أن معناه : أذن الله أن ترفع بناء ، كما قال جل ثناؤه ( وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ) وذلك أن ذلك هو الأغلب من معنى الرفع في البيوت والأبنية .  
وقوله ( وَيُذَكِّرُ فِيهَا اسْمُهُ ) يقول : وأذن لعباده أن يذكروا اسمه فيها . وقد قيل : عنى به ، أنه أذن لهم بتلاوة القرآن فيها .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : ثم قال : ( وَيُذَكِّرُ فِيهَا اسْمُهُ ) يقول : يتلى فيها كتابه . وهذا القول قريب المعنى مما قلناه في ذلك ، لأن تلاوة كتاب الله من معاني ذكر الله ، غير أن الذي قلنا به أظهر معنييه ، فلذلك اخترنا القول به .  
وقوله ( يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ) :  
اختلفت القراء في قراءة قوله ( يُسَبِّحُ لَهُ ) ، فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار ( يُسَبِّحُ لَهُ ) بضم الياء ، وكسر الباء ، بمعنى : يصلى له فيها رجال ، ويجعل يسبح فعلا للرجال ، وخبرا عنهم ، وترفع به الرجال ، سوى عاصم وابن عامر ، فإنهما قرأ ذلك ( يُسَبِّحُ لَهُ ) بضم الياء ، وفتح الباء ، على ما لم يسم فاعله ، ثم يرفعان الرجال بخير ثان مضمر ، كأنهما أرادا : يسبح الله في البيوت التي أذن الله أن ترفع ، فسبح له رجال فرعوا الرجال ، بفعل مضمر .



والقراءة التي هي أولاهما بالصواب : قراءة من كسر الباء ، وجعله خبرا للرجال وفعلًا لهم . وإنما كان الاختيار رفع الرجال بمضمر من الفعل ، لو كان الخبر عن البيوت لا يتم إلا بقوله ( يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا ) ، فأما والخبر عنها دون ذلك تام ، فلا وجه لتوجيه قوله ( يُسَبِّحُ لَهُ ) إلى غيره ، أي غير الخبر عن الرجال . وعني بقوله ( يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ) يصلّي له في هذه البيوت بالغدوات والعشيات رجال .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن الحسن الأزدي ، قال : ثنا المعاني بن عمران ، عن سفيان ، عن عمّار الدهني <sup>٢</sup> ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : كلّ تسبيح في القرآن فهو صلاة .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : ثم قال ( يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ) يقول : يصلّي له فيها بالغدوة والعشي ، يعني بالغدوة : صلاة الغداة ، ويعني بالآصال : صلاة العصر ، وهما أول ما افترض الله من الصلاة ، فأحب أن يذكرهما ، ويذكر بهما عبادته : حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ( يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ) أذن الله أن تبنى ، فيصلّي فيها بالغدوة والآصال .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول في قوله ( يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ) يعني الصلاة المفروضة .

وقوله ( رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ) يقول تعالى ذكره : لا يشغل هؤلاء الرجال الذين يصلّون في هذه المساجد ، التي أذن الله أن ترفع ، عن ذكر الله فيها ، وإقام الصلاة ، وتجارة ولا بيع . كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سعيد بن أبي الحسن عن رجل نسي اسمه في هذه الآية ( فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ، وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ) . . . إلى قوله ( وَالْأَبْصَارِ ) قال : هم قوم في تجاراتهم وبيوعهم ، لا تلهيهم تجاراتهم ولا يبيوعهم عن ذكر الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن عمرو بن دينار ، عن سالم بن عبد الله ، أنه نظر إلى قوم من السوق ، قاموا وتركوا بيعاتهم إلى الصلاة ، فقال هؤلاء الذين ذكر الله في كتابه ( لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ) . . . الآية .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، عن سيار ، عن حدثه ، عن ابن مسعود ، نحو ذلك . حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن سيار ، قال : حدثت عن ابن مسعود ، أنه رأى قوما من أهل السوق حيث نودي بالصلاة ، تركوا بيعاتهم ، ونهضوا إلى الصلاة ، فقال عبد الله : هؤلاء

(١) في الأصل : إلى غير . ولعله تحريف . (٢) هو عمار بن معاوية الدهني بضم المهملة ، الكوفي ، وثقه أحمد . مات سنة ١٣٣ هـ .

من الذين ذكر الله في كتابه ( لا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ) .

وقال بعضهم : معنى ذلك ( لا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ ) عن صلاتهم المفروضة عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قال : ثم قال ( رجالٌ لا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ) يقول : عن الصلاة المكتوبة .

وقوله ( وإِقامِ الصَّلَاةِ ) يقول : ولا يشغلهم ذلك أيضا عن إقام الصلاة بحدودها في أوقاتها .

وبنحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد ، قال : ثنا عوف ، عن سعيد بن أبي الحسن ، عن رجل نسي عوف اسمه في ( وإِقامِ الصَّلَاةِ ) قال : يقومون للصلاة عند مواقيت الصلاة .

فإن قال قائل : أوليس قوله ( وإِقامِ الصَّلَاةِ ) مصدرا من قوله أقمته ؟ قيل : بلى . فإن قال :

أو ليس المصدر منه إقامة ، كالمصدر من آجرت إجارة ؟ قيل : بلى . فإن قال : وكيف قال ( وإِقامِ الصَّلَاةِ ) ، أو تجيز أن نقول : أقمته إقاما ؟ قيل : ولكني أجزيت أعجبتني إقام الصلاة . فإن قيل : وما وجه

جواز ذلك ؟ قيل : إن الحكم في أقمته إذا جعل منه مصدر ، أن يقال إقواما ، كما يقال : أقعدت فلانا إقعدادا ، وأعطيته إعطاء . ولكن العرب لما سكنت الواو من أقمته ، فسقطت لاجتماعها وهي ساكنة ، والميم

وهي ساكنة ، بنوا المصدر على ذلك ، إذ جاءت الواو ساكنة قبل ألف الإفعال وهي ساكنة ، فسقطت الأولى منهما ، فأبدلوا منها هاء في آخر الحرف ، كالتكثير للحرف ، كما فعلوا ذلك في قولهم : وَعَدَدته عِدَّة ،

ووزنته زنة ، إذ ذهبت الواو من أوله ، كثروه من آخره بالهاء ، فلما أضيفت الإقامة إلى الصلاة ، حذفوا

الزيادة التي كانوا زادوها للتكثير ، وهي الهاء في آخرها ، لأن الخافض وما خفض عندهم كالحرف الواحد ، فاستغنوا بالمتصاف إليه من الحرف الزائد ، وقد قال بعضهم في نظير ذلك :

إِنَّ الْخَلِيْطَ أَجَدُّوا الْبَسِيْنَ فَأَنْجَرَدُوا وَأَخْلَفوكَ عَيْدَ الْأَمْرِ الْبَدِي وَعَدَدُوا

يريد : عدة الأمر ، فأسقط الهاء من العدة لما أضافها ، فكذلك ذلك في إقام الصلاة .

وقوله ( وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ) قيل : معناه : وإخلاص الطاعة لله .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وأَقِيمُوا

الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ) وكان يأمر أهلهم بالصلاة والزكاة ، وقوله ( وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ) ، وقوله

(١) البيت للفعل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب ، وهو في ( اللسان : وعد ) قال : وقال القراء : وعدت عدة ، ويحذفون الهاء إذا

أضافوا ، وأنشد : « إن الخليط ... البيت » . وقال ابن الأنباري وغيره : القراء يقول عدة وعدى ، وأنشد : « وأخلفوك عدى ... البيت » . وقال : أراد : عدة الأمر ، فحذف الهاء عند الإضافة ، قال : ويكتب بالياء . وقال الجوهري : والعدة الوعد ، والهاء

عوض من الواو . والخليط : اسم لمن يخالطك بجوار أو قرابة أو عمل أو نحوه . وأجدوا البين : أسرعوا في الفراق ، واجتهدوا فيه . وانجردوا :

أسرعوا وشروا . والشاهد في البيت عند المؤلف ، أن الهاء في عدة ونحوها تحذف منها عند الإضافة ، استغناء عنها بالمتصاف إليه عن الحرف الزائد .



(وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَايَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا) ، وقوله (وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً) ونحو هذا في القرآن ، قال : يعني بالزكاة : طاعة الله والإخلاص ، وقوله (يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) يقول : يخافون يوما تتقلب فيه القلوب من هوله ، بين طمع بالنجاة ، وحذر بالهلاك . (والأبصار) : أى ناحية يؤخذ بهم : أذات البين أم ذات الشمال ؟ ومن أين يؤتون كتبهم : أمن قبل الأيمان ، أم من قبل الشئائل ؟ وذلك يوم القيامة .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال عبد الله بن عياش ، قال زيد بن أسلم ، في قول الله (فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ) . . . إلى قوله (تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) يوم القيامة .

وقوله (لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا) يقول : فعلوا ذلك ، يعني أنهم لم تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأطاعوا ربهم ، مخافة عذابه يوم القيامة ، كى يثيبهم الله يوم القيامة بأحسن أعمالهم التي عملوها في الدنيا ، ويزيدهم على ثوابه إياهم على أحسن أعمالهم التي عملوها في الدنيا ، من فضله ، فيفضل عليهم من عنده ، بما أحب من كرامته لهم . وقوله (وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) : يقول تعالى ذكره : يتفضل على من شاء وأراد ، من طوله وكرامته ، مما لم يستحقه بعمله ، ولم يبلغه بطاعته (بغير حساب) يقول : بغير محاسبة على ما بذل له وأعطاه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً ، حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ، وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ ، فَوْقَهُ حِسَابُهُ ، وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩)

وهذا مثل ضربه الله لأعمال أهل الكفر به ، فقال : والذين جحدوا توحيد ربهم ، وكذبوا بهذا القرآن ، وبمن جاء به ، مثل أعمالهم التي عملوها (كسراب) يقول : مثل سراب ، والسراب : ما لتصيق بالأرض ، وذلك يكون نصف النهار ، وحين يشتد الحر . والآل ما كان كالماء بين السماء والأرض ، وذلك يكون أول النهار ، يرفع كل شيء ضحى . وقوله (بقيعة) وهي جمع قاع ، كالجيرة جمع جار ، والقاع : ما انبسط من الأرض واتسع ، وفيه يكون السراب . وقوله (يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً) يقول : يظن العطشان من الناس السراب ، ماء (حتى إذا جاءه) والماء من ذكر السراب ، والمعنى : حتى إذا جاء الظمآن السراب ، ملتصقا ماء يستغيث به من عطشه ، لم يجده شيئا ، يقول : لم يجد السراب شيئا ، فكذلك الكافرون بالله من أعمالهم التي عملوها في غرور ، يحسبون أنها منجيتهم عند الله من عذابه ، كما حسب الظمآن الذي رأى السراب ، فظنه ماء يرويه من ظمته ، حتى إذا هلك وصار إلى الحاجة إلى عمله الذي كان يرى أنه نافعه عند الله ، لم يجده ينفعه شيئا ، لأنه كان عمله على كفر بالله ، ووجد الله هذا الكافر عند هلاكه بالميرصاد ، فوقاه يوم القيامة حساب أعماله التي عملها في الدنيا ، وجازاه بها جزاءه الذي يستحقه عليها منه .

فإن قال قائل : وكيف قيل ( حتى إذا جاءه كم يجده شيئا ) فإن لم يكن السراب شيئا ، فعلام أدخلت الهاء في قوله ( حتى إذا جاءه ) ؟ قيل : إنه شيء يرمى من بعيد كالضباب الذي يرى كثيفا من بعيد ، والهباء ، فإذا قرب منه المرء ، رقى وصار كالهواء . وقد يحتمل أن يكون معناه : حتى إذا جاء موضع السراب لم يجد السراب شيئا ، فاكتفى بذكر السراب من ذكر موضعه ( والله سريع الحساب ) يقول : والله سريع حسابه ، لأنه تعالى ذكره لا يحتاج إلى عقد أصابع ، ولا حفظ بقلب ، ولكنه عالم بذلك كله ، قبل أن يعمل العبد ، ومن بعد ما عمله .

وبنحو الذي قلنا في معنى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ، قال : ثم ضرب مثلا آخر ، فقال ( واللذين كفروا أعمأ لهم كسراب بقيعة ) قال : وكذلك الكافر يجيء يوم القيامة ، وهو بحسب أن له عند الله خيرا ، فلا يجد ، فيدخله النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب بنحوه .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله ( أعمأ لهم كسراب بقيعة ) يقول : الأرض المستوية .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( واللذين كفروا أعمأ لهم كسراب بقيعة ) . . . إلى قوله ( والله سريع الحساب ) قال : هو مثل ضربه الله لرجل عطش ، فاشتد عطشه ، فرأى سرايا ، فحسبه ماء ، فطلبه وظن أنه قد قدر عليه ، حتى أتاه ، فلما أتاه لم يجده شيئا ، وقبض عند ذلك . يقول : الكافر كذلك ، يحسب أن عمله مغن عنه ، أو نافعه شيئا ، ولا يكون آتيا على شيء حتى يأتيه الموت ، فإذا أتاه الموت ، لم يجد عمله أغنى عنه شيئا ، ولم ينفعه إلا كما نفع العطشان المشتد إلى السراب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( كسراب بقيعة ) قال : بقاع من الأرض ، والسراب : عمله ، زاد الحارث في حديثه عن الحسن : والسراب عمل الكافر ( إذا جاءه كم يجده شيئا ) . إتيانه إياه : موته وفراقه الدنيا . ( ووجد الله ) عند فراقه الدنيا ، ( فوقاه حسابه ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( كسراب بقيعة ) قال : بقيعة من الأرض ( يحسبه الظمان ماء ) : هو مثل ضربه الله لعمل الكافر ، يقول : يحسب أنه في شيء ، كما يحسب هذا السراب ماء ( حتى إذا جاءه كم يجده شيئا ) ، وكذلك الكافر إذا مات ، لم يجد عمله شيئا ( ووجد الله عنده ) ، فوقاه حسابه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( واللذين كفروا ) . . .



إلى قوله (وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ) قال : هذا مثل ضربه الله للذين كفروا (أَعْمَأُ لُهُمْ كَسْرَابٌ بِقِيَعَةٍ) : قد رأى السراب ، ووثق بنفسه أنه ماء ، فلما جاءه لم يجده شيئا ؛ قال : وهؤلاء ظنوا أن أعمالهم صالحة ، وأنهم سيترجعون منها إلى خير ، فلم يرجعوا منها إلا كما رجع صاحب السراب ، فهذا مثل ضربه الله جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه .

### القول في تأويل قوله تعالى

أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ، ظَلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا، وَمَنْ لَّمْ يَجْمَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَعَمَاهُ مِنَ نُورٍ (٤٠)

وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار ، يقول تعالى ذكره : ومثل أعمال هؤلاء الكفار ، في أنها عميت على خطأ وفساد ، وضلالة وحيرة من عملها فيها ، وعلى غير هدى ، مثل ظلمات في بحر لُجِّيٍّ ، ونسب البحر إلى اللُجَّةِ ، وصفاء له بأنه عميق كثير الماء ، ولُجَّةُ البحر : معظمه ، (يَغْشَاهُ مَوْجٌ) يقول : يغشى البحر موج ، (مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ) : يقول : من فوق الموج موج آخر يغشاه ، (مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ) : يقول : من فوق الموج الثاني الذي يغشى الموج الأول سحاب ، فجعل الظلمات مثلا لأعمالهم ، والبحر اللُجِّيَّ مثلا لقلب الكافر ، يقول : عميل بنية قلب قد تعمَّره الجهل ، وتغشَّته الضلالة والحيرة ، كما يغشى هذا البحر اللُجِّيُّ موج من فوقه موج ، من فوقه سحاب ، فكذلك قلب هذا الكافر الذي مثل عمله مثل هذه الظلمات ، يغشاه الجهل بالله ، بأن الله حتم عليه ، فلا يعقل عن الله ، وعلى سمعه ، فلا يسمع مواعظ الله ، وجعل على بصره غشاوة ، فلا يبصر به حجج الله ، فتلك ظلمات بعضها فوق بعض .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ) . . . إلى قوله (مِنْ نُورٍ) قال : يعنى بالظلمات : الأعمال ، وبالبحر اللُجِّيِّ : قلب الإنسان ، قال : يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، قال : ظلمات بعضها فوق بعض ، يعنى بذلك الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر ، وهو كقوله (حَمَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) . . . الآية ، وكقوله (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ الْهَوَاةَ هَوَاةً) . . . إلى قوله (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ) عميق ، وهو مثل ضربه الله للكافر يعمل في ضلالة وحيرة ، قال (ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) .

(١) قال الشوكاني في فتح القدير (٤ : ٣٨) ومن غرائب التفسير : أن سبحانه وتعالى أراد بالظلمات أعمال الكافر ، وبالبحر اللُجِّيَّ قلبه ، وبالموج : ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة . والسحاب : الرين والخم والطبع على قلبه . وهذا تفسير هو عن لغة العرب بمكان بعيد . اهـ .

وروي عن أبي بن كعب ، ما حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ، في قوله ( أَوْ كُظِّلُمَاتٍ فِي بَحْرِ الْجَحِيمِ يَبْغِشَاهُ مَوْجٌ ) . . . الآية ، قال : ضرب مثلاً آخر للكافر ، فقال : ( أَوْ كُظِّلُمَاتٍ فِي بَحْرِ الْجَحِيمِ ) . . . الآية ، قال : فهو يتقلب في خمس من الظلم ، فكلامه ظلمة ، وعمله ظلمة ، ومدخله ظلمة ، ومخرجه ظلمة ، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة ، إلى النار . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن أبي الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ، بنحوه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( أَوْ كُظِّلُمَاتٍ فِي بَحْرِ الْجَحِيمِ يَبْغِشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ ) . . . إلى قوله ( ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ) قال : شرَّ بعضه فوق بعض . وقوله ( إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا ) يقول : إذا أخرج الناظر يده في هذه الظلمات ، لم يكد يراها . فإن قال لنا قائل : وكيف قيل : لم يكد يراها ، مع شدة هذه الظلمة التي وصف ، وقد علمت أن قول القائل : لم أكد أرى فلانا ، إنما هو إثبات منه لنفسه رؤيته بعد جهد وشدة ، ومن دون الظلمات التي وصف في هذه الآية ، ما لا يرى الناظر يده إذا أخرجها فيه ، فكيف فيها ؟ قيل : في ذلك أقوال نذكرها ، ثم نخبر بالصواب من ذلك . أحدها : أن يكون معنى الكلام : إذا أخرج يده راثياً لها لم يكد يراها : أي لم يعرف من أين يراها ، فيكون من المقدم الذي معناه التأخير ، ويكون تأويل الكلام على ذلك : إذا أخرج يده لم يقرب أن يراها . والثاني : أن يكون معناه : إذا أخرج يده لم يرها ، ويكون قوله ( لَمْ يَكِدْ ) في دخوله في الكلام ، نظير دخول الظن فيما هو يقين من الكلام ، كقوله ( وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ ) ونحو ذلك . والثالث : أن يكون قد رآها بعد بقاء وجهه ، كما يقول القائل لآخر : ما كدت أراك من الظلمة ، وقد رآه ، ولكن بعد إياس وشدة . وهذا القول الثالث أظهر معاني الكلمة من جهة ما تستعمل العرب « أكاد » في كلامها . والقول الآخر الذي قلنا إنه يتوجه إلى أنه بمعنى لم يرها ، قول أوضح من جهة التفسير ، وهو أخفى معانيه . وإنما حسن ذلك في هذا الموضع ، أعني أن يقول : لم يكد يراها مع شدة الظلمة التي ذكر ، لأن ذلك مثل لاخبر عن كائن كان ( وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا ) يقول : من لم يرزقه الله إيماناً وهدى من الضلالة ، ومعرفة بكتابه ، ( فَهَلْ مِنْ نُورٍ ) يقول : فإله من إيمان وهدى ومعرفة بكتابه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْبِغُ لَهُ مَنِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ ، كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١) وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٤٢)

(١) في فتح القدير للشوكاني ( طبعة الحلبي ٤ : ٣٨ ) قال الزجاج وأبو عبيدة : لم يرها ولم يكد . وقال الفراء : إن كاد زائدة . وقال المحقق الرضي في شرحه لكافية بن الحاجب ( ٢ : ٣٠٦ ) إن نون القرب من الفعل ، أبلغ في انتفاء ذلك الفعل ، من نون الفعل نفسه ؛ فإن ما قربت من الضرب ، أكد في نون الضرب من ما ضربت . هـ .



يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تنظر يا محمد بعين قلبك ، فتعلم أن الله يصلي له من في السموات والأرض ، من ملك وإنس وجن ( والطَّيِّرُ صَافَاتٍ ) الهواء أيضا تسبح له ( كُلُّ قَدٌ عَلِيمٌ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ) ، والتسبيح عندك صلاة ، فيقال : قيل : إن الصلاة لبني آدم ، والتسبيح لغيرهم من الخلق ، ولذلك فصل فيما بين ذلك .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيِّرُ صَافَاتٍ ، كُلُّ قَدٌ عَلِيمٌ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ) قال : والصلاة للإنسان ، والتسبيح لما سوى ذلك من الخلق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيِّرُ صَافَاتٍ ، كُلُّ قَدٌ عَلِيمٌ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ) قال : صلواته : للناس ، وتسبيحه : عامة لكل شيء .

ويتوجه قوله ( كُلُّ قَدٌ عَلِيمٌ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ) لوجوه : أحدها : أن تكون الهاء التي في قوله ( صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ) من ذكر كل ، فيكون تأويل الكلام : كل مصلي وتسبيح منهم قد علم الله صلواته وتسبيحه ، ويكون الكل حينئذ مرتفعا بالعائد من ذكره في قوله ( كُلُّ قَدٌ عَلِيمٌ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ) ، وهو الهاء التي في الصلاة .

والوجه الآخر : أن تكون الهاء في الصلاة والتسبيح أيضا للكل ، ويكون الكل مرتفعا بالعائد من ذكره عليه في ( عَلِيمٌ ) ، ويكون ( عَلِيمٌ ) فعلا للكل ، فيكون تأويل الكلام حينئذ : قد علم كل مصلي وتسبيح منهم صلاة نفسه وتسبيحه ، الذي كُتِّفَهُ وَأُلْتَزِمَهُ .

والوجه الآخر : أن تكون الهاء في الصلاة والتسبيح من ذكر الله ، والعلم للكل ، فيكون تأويل الكلام حينئذ : قد علم كل مسبح ومصلي صلاة الله التي كلفه إياها ، وتسبيحه : وأظهر هذه المعاني الثلاثة ، على هذا الكلام : المعنى الأول ، وهو أن يكون المعنى : كل مصلي منهم ومسبح ، قد علم الله صلواته وتسبيحه .

وقوله ( وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ) يقول تعالى ذكره : والله ذو علم بما يفعل كل مصلي ومسبح منهم ، لا يخفى عليه شيء من أفعالهم ، طاعتها ومعصيتها ، محيط بذلك كله ، وهو مجازيهم على ذلك كله .

وقوله ( وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) يقول جل ثناؤه : والله سلطان السموات والأرض وملكها ، دون كل من هو دونه من سلطان وملك ، فإياه فارهبوا أيها الناس ، وإليه فارغبوا ، لا إلى غيره ، فإن بيده خزائن السموات والأرض ، لا يخشى بعباياكم منها فقرا . ( وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ) : يقول : وأنتم إليه

(١) يظهر أن في الكلام سقطا . تقديره : فإن قيل : ما فائدة عطف « وتسبيحه » على صلواته ... الخ . بدليل قوله : قيل ... الخ وهو جواب عن سؤال .

بعد وفاتكم ، مصيركم ومعادكم ، فيوفيكم أجور أعمالكم التي عملتموها في الدنيا ، فأحسنوا عبادته ، واجتهدوا في طاعته ، وقدّموا لأنفسكم الصالحات من الأعمال .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا ، ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ، ثُمَّ يُجْمَلُهُ رُكَامًا ، فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ، وَيُنزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ، فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ ، يَكَادُ سُنَّاءُ بَرَقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ (٤٣) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ (٤٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ( أَلَمْ تَرَ ) يا محمد ( أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي ) يعنى يسوق ( سَحَابًا ) حيث يريد . ( ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ) يقول : ثم يؤلف بين السحاب ، وأضاف بين إلى السحاب ، ولم يذكر معه غيره ، وبين لا تكون مضافة إلا إلى جماعة أو اثنين ، لأن السحاب في معنى جمع ، واحده سحابة ، كما يجمع النخلة : نخئل ، والتمر : تمر ، فهو نظير قول قائل : جلس فلان بين النخل ؛ وتأليف الله السحاب : جمعه بين متفرقتها .

وقوله ( ثُمَّ يُجْمَعُهُ رُكَامًا ) يقول : ثم يجعل السحاب الذي يزرجه ، ويؤلف بعضه إلى بعض ( رُكَامًا ) : يعنى : مترا كما بعضه على بعض .

وقد حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا خالد ، قال : ثنا مطر ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن عبيد بن عمير الليثي ، قال : الرياح أربع : يبعث الله الريح الأولى ، فتتم الأرض قتمًا ، ثم يبعث الثانية ، فتنشئ سحابًا ، ثم يبعث الثالثة ، فتؤلف بينه ، فتجعله رُكَامًا ، ثم يبعث الرابعة فتمطره .  
وقوله ( فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ) يقول : فترى المطر يخرج من بين السحاب ، وهو الودق ؛ قال الشاعر :

فَلَا مَزْنَةٌ وَدَقَّتْ وَدَقَّتْهَا وَلَا أَرْضَ أَبْقَلٍ إِبْقَالَهَا

والهاء في قوله ( مِنْ خِلَالِهِ ) من ذكر السحاب ، والخلال : جمع خنكل . وذكر عن ابن عباس وجماعة ، أنهم كانوا يقرءون ذلك ( مِنْ خَنَكِهِ ) .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا حيرم بن عمار ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا قتادة ، عن الضحاك بن مزاحم أنه قرأ هذا الحرف ( فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ) : مِنْ خَنَكِهِ .

(١) البيت لعامر بن جوين الطائي (اللسان : ودق) قال : الودق المطر كله : شديده وهينه . وقد ودق يدق ودقا : أى قطر . قال عامر بن جوين الطائي : « فلا مزنة . . . البيت » . والمزنة : السحابة . واستشهد المؤلف بالبيت على أن معنى الودق : المطر .



قال: ثنا شُعْبَةُ، قال: أخبرني عُمَارَةُ، عن رجل، عن ابن عباس، أنه قرأ هذا الحرف (فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) : من خَلَّه .

حدثنا أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا حجاج، عن هارون، قال: أخبرني عُمَارَةُ بن أبي حفصة، عن رجل، عن ابن عباس، أنه قرأها (مِنْ خِلَالِهِ) بفتح الخاء، من غير ألف .  
قال هارون: فذكرت ذلك لأبي عمرو، فقال: إنها لحسنة، ولكن خِلَالَهُ أعم .

وأما قرء الأمصار، فإنهم على القراءة الأخرى: من خِلَالِهِ، وهي التي نختار، لإجماع الحجة من القراء عليها .  
حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) قال: الودق: القطر، والخيلال: السحاب .

وقوله (وَيَسْزُلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ) : قيل في ذلك قولان: أحدهما: أن معناه: وأن الله ينزل من السماء من جبال في السماء من بَرَدٍ، مخلوقة هنالك خلقه، كأن الجبال على هذا القول، هي من بَرَدٍ، كما يقال: جبال من طين . والقول الآخر: أن الله ينزل من السماء قَدْرَ جبال، وأمثال جبال من بَرَدٍ إلى الأرض، كما يقال: عندى بيتان تبنا . والمعنى: قدر بيتين من التبن، والبيتان ليسا من التبن .  
وقوله (فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ) يقول: فيعذب بذلك الذي ينزل من السماء، من جبال فيها من بَرَدٍ، من يشاء فيهلكه، أو يهلك به زروعه وماله (وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ) من خلقه، يعنى عن زروعهم وأموالهم .

وقوله (يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ) : يقول: يكاد شدة ضوء برق هذا السحاب يذهب بأبصار من لاقى بصره، والسنا: مقصور، وهو ضوء البرق .

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جرير، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، قوله (يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ) قال: ضوء برقه .

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، في قوله (يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ) يقول: كَمَعَانِ البرق يذهب بالأبصار .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ) قال: سناه: ضوء يذهب بالأبصار .

وقرأت قرء الأمصار (يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ) بفتح الياء من يَذْهَبُ، سوى أبي جعفر القاري، فإنه قرأه بضم الياء (يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ) .

والقراءة التي لا أختار غيرها هي فتحها، لإجماع الحجة من القراء عليها، وأن العرب إذا أدخلت الباء في مفعول ذهبت، لم يقولوا: إلا ذهبت به، دون أذهبت به، وإذا أدخلوا الألف في أذهبت، لم يكادوا أن يدخلوا الباء في مفعوله، فيقولون: أذهبت به، وذهبت به .

وقوله (يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) يقول: يُعْتَبِ اللَّهُ بين الليل والنهار، ويصرفهما، إذا أذهب هذا

جاء هذا ، وإذا أذهب هذا ، جاء هذا ( إن في ذلك لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ) يقول : إن في إنشاء الله السحاب ، وإنزاله منه الودق ، ومن السماء البرد ، وفي تقليبه الليل والنهار ، لعبرة لمن اعتبر به ، وعظة لمن اتعظ به ، ممن له فهم وعقل ، لأن ذلك ينبي ويدل على أن له مدبراً ومصرفاً ومقلباً ، لا يشبهه شيء .

القول في تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ، فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ، وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ، يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ، إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٥)

اختلفت القراء في قراءة قوله ( وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ) فقرأته عامة قراء الكوفة غير عاصم : ( وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ دَابَّةٍ ) وقراءته عامة قراء المدينة والبصرة وعاصم ( وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ ) بنصب كل ، وخالق على مثال فعَّل ، وهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، وذلك أن الإضافة في قراءة من قرأ ذلك « خالق » تدل على أن معنى ذلك المضي ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب . وقوله ( خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ) يعنى : من نطفة ، ( فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ ) كالحيات وما أشبهها ، وقيل إنما قيل : ( فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ ) والمشى لا يكون على البطن ، لأن المشى إنما يكون لما له قوائم ، على التشبيه ، وأنه لما خالط ماله قوائم ما لا قوائم له ، جاز ، كما قال ( وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ ) كالطير ( وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ) كالبهائم .

فإن قال قائل : فكيف قيل : فمنهم من يمشى ، ومن للناس ، وكل هذه الأجناس أو أكثرها غيرهم ؟ قيل : لأنه تفريق ما هو داخل في قوله ( وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ ) وكان داخلا في ذلك الناس وغيرهم ، ثم قال : فمنهم ، لاجتماع الناس والبهائم وغيرهم في ذلك واختلاطهم ، فكفى عن جميعهم كناية عن بنى آدم ، ثم فسره بمن ، إذ كان قد كنى عنهم كناية بنى آدم خاصة . ( يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ) يقول : يحدث الله ما يشاء من الخلق ( إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) يقول : إن الله على إحداث ذلك وخلقته ، وخلق ما يشاء من الأشياء غيره ، ذو قدرة لا يتعذر عليه شيء أراد .

القول في تأويل قوله تعالى

لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : لقد أنزلنا آيات مبينات ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . وسبيل الرشاد . ( وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ) يقول : والله يرشد من يشاء من خلقه بتوفيقه ، فيهديه إلى دين الإسلام ، وهو الصراط المستقيم ، والطريق القاصد ، الذي لا عوجاج فيه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا، ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ، وَمَا



أُولَئِكَ بِأَلْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ  
مُعْرِضُونَ (٤٨)

يقول تعالى ذكره : ويقول المنافقون : صدقنا بالله وبالرسول ، وأطعنا الله وأطعنا الرسول ، ( ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ ) يقول : ثم تدبر كل طائفة منهم ، من بعد ما قالوا هذا القول ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتدعو إلى المحاكمة إلى غيره خصمها . ( وَمَا أَوْلَيْتِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ) يقول : وليس قائلو هذه المقالة ، يعنى قوله ( آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ) بالمؤمنين ، لتركهم الاحتكام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإعراضهم عنه إذا دُعُوا إِلَيْهِ . وقوله ( وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ) يقول : وإذا دُعِيَ هؤلاء المنافقون إلى كتاب الله وإلى رسوله ( لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ) فيما اختصموا فيه بحكم الله ( إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ) عن قبول الحق ، والرضا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ، أَمْ أُرْتَابُوا ؟ أَمْ يَخَافُونَ

أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ ؟ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : وإن يكن الحق لهُؤلاء الذين يدعون إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ، فيأبون ويُعْرِضُونَ عن الإجابة إلى ذلك ، قِبَلَ الَّذِينَ يدعونهم إلى الله ورسوله ، يأتوا إلى رسول الله مدعنين ، يقول مدعنين : متقادين لحكمه ، مقرين به ، طائعين غير مكرهين ؛ يقال منه : قد أذعن فلان بحقه : إذا أقر به طائعا غير مستكره ، وانقاد له وسلم .

وكان مجاهد فيها ذكر عنه يقول في ذلك ، ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال ؛ ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ) قال : سيرا .

وقوله ( أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ) يقول تعالى ذكره : أفي قلوب هؤلاء الذين يُعْرِضُونَ إذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ، شك في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه لله رسول ، فهم يمتنعون من الإجابة إلى حكمه ، والرضا به ( أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ ) إذا احتكموا إلى حكم كتاب الله ، وحكم رسوله ، وقال ( أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ ) والمعنى : أن يحيف رسول الله عليهم ، فبدأ بالله تعالى ذكره ، تعظيما لله ، كما يقال : ما شاء الله ، ثم شئت ، بمعنى : ما شئت . ومما يدل على أن معنى ذلك كذلك ، قوله ( وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ) فأفرد الرسول بالحكم ، ولم يقل : ليحكم . وقوله ( بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ) يقول : ما خاف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله ، إذ أعرضوا عن الإجابة إلى ذلك ، مما دُعُوا إِلَيْهِ ، أن يحيف عليهم رسول الله ، فيجور في حكمه عليهم ، ولكنهم

قوم أهل ظلم لأنفسهم ، بخلافهم أمر ربهم ، ومعصيتهم الله فيما أمرهم من الرضا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما أحبوا وكرهوا ، والتسليم له .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ،  
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١)

يقول تعالى ذكره : إنما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين إذا دُعوا إلى حكم الله وإلى حكم رسوله ، ( لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ) وبين خصومهم ( أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا ) ما قيل لنا ، ( وَأَطَعْنَا ) من دعانا إلى ذلك . ولم يُعَنَّ بكان في هذا الموضع الخبر عن أمر قد مضى فيقضى ، ولكنه تأنيب من الله الذين أنزلت هذه الآية بسببهم ، وتأديب منه آخرين غيرهم . وقوله ( وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) يقول تعالى ذكره : والذين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم وبين خصومهم ، أن يقولوا : سمعنا وأطعنا . ( المفلحون ) : يقول : هم المنجيحون المدركون طلبياتهم ، بفعلهم ذلك ، المخلدون في جنات الله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢)

يقول تعالى ذكره : ومن يطع الله ورسوله فيما أمره ونهاه ، ويسلم لحكما له وعليه ، ويخف عاقبة معصية الله ويحذره ، ويتق عذاب الله بطاعته إياه في أمره ونهيه ( فَأُولَئِكَ ) يقول : فالذين يفعلون ذلك ، هم الفائزون برضا الله عنهم يوم القيامة ، وأمنهم من عذابه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَقْسِمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ : لَنْ أَمْرَهُمْ لِيَخْرُجُنَّ ، قُلْ لَا تُقْسِمُوا ، طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ ، إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٥٣)

يقول تعالى ذكره : وحلف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله ، إذ دعوا إليه ( بالله جهداً أيمانهم ) يقول : أغلظ أيمانهم وأشدّها : ( لَنْ أَمْرَهُمْ ) يا محمد بالخروج إلى جهاد عدوك وعدو المؤمنين ( لِيَخْرُجُنَّ ) : لا تخفوا ، فإن هذه ( طاعة مَعْرُوفَةٍ ) منكم ، فيها التكذيب . كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبيد بن عمير ، قال : ( قُلْ ) لا تُقْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ قال : قد عرفت طاعتكم إلى أنكم تكذبون ( إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ) : يقول : إن الله ذو خبرة بما تعملون من طاعتكم الله ورسوله ، أو خلافتكم أمرهما ، أو غير ذلك من أموركم ، لا يخفى عليه من ذلك شيء ، وهو مجازيكم بكل ذلك .



القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ، فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ،  
وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا، وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٥٤)

يقول تعالى ذكره (قُلْ) يا محمد لذولاء المقسمين بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجننّ، وغيرهم من أمتك (أَطِيعُوا اللَّهَ) أيها القوم، فيما أمركم به، ونهاكم عنه (وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) فإن طاعته لله طاعة. (فَإِن تَوَلَّوْا) يقول: فإن تعرضوا وتذبذبوا عما أمركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو نهاكم عنه، وتأبوا أن تَدْعُوا لحكمه لكم وعليكم. (فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ) يقول: فإنما عليه فعل ما أمر بفعله، من تبليغ رسالة الله إليكم، على ما كلفه من التبليغ (وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ) يقول: وعليكم أيها الناس أن تفعلوا ما أكرمكم، وأوجب عليكم، من اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، والانتباه إلى طاعته فيما أمركم ونهاكم.

وقلنا: إن قوله (فَإِن تَوَلَّوْا) بمعنى: فإن تتولوا، فإنه في موضع جزم، لأنه خطاب للذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) يدل على أن ذلك كذلك، قوله (وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ)، ولو كان قوله (تَوَلَّوْا) فعلا ماضيا، على وجه الخبر عن غيب، لكان في موضع قوله (وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَعَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا)

وقوله (وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا) يقول تعالى ذكره: وإن تطيعوا أيها الناس رسول الله فيما يأمركم وينهاكم، تَرْتَدُّوا، وتصيبوا الحق في أموركم (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) يقول: وغير واجب على من أرسله الله إلى قوم برسالة إلا أن يبلغهم رسالته، بلاغا يبين لهم ذلك البلاغ عما أراد الله به، يقول: فليس على محمد أيها الناس إلا أداء رسالة الله إليكم، وعليكم الطاعة؛ وإن أطمعتموه الحظوظ أنفسكم تصيبون، وإن عصيتموه بأنفسكم فتوبقون. ٢

القول في تأويل قوله تعالى

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ: لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ  
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ، وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ، وَلِيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا،  
يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)

يقول تعالى ذكره: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) بالله ورسوله (مِنكُمْ) أيها الناس (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول: وأطاعوا الله ورسوله فيما أمرهم ونهاهم (لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ) يقول: لَيَسُورَنَّهُمْ الله أرض المشركين من العرب والعجم، فيجعلهم ملوكها وسانتها (كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) يقول: كما فعل من قبلهم ذلك بني إسرائيل، إذ أهلك الجبارة بالشأم، وجعلهم ملوكها

(١) كأنه على تقدير الفاء في جواب الشرط، أي فلحظوظ... الخ.

(٢) كان الأولى أن يقول: وإن عصيتموه فلأنفسكم فتوبقون.

وسكانها ( وَلَيَسْمَكَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ) يقول : وليوطنن لهم دينهم ، يعنى ملتهم التي ارتضاها لهم ، فأمرهم بها . وقيل : وعد الله الذين آمنوا ، ثم تلى ذلك بجواب اليمين بقوله ( لَيَسْتَخْلِفْنَهُمْ ) لأن الوعد قول يصلح فيه « أن » ، وجواب اليمين كقوله : وعدتك أن أكرمك ، ووعدتك لأكرمك .

واختلف القراء في قراءة قوله ( كَمَا اسْتَخْلَفَ ) فقرأته عامة القراء ( كَمَا اسْتَخْلَفَ ) بفتح التاء واللام ، بمعنى : كما استخلف الله الذين من قبلهم من الأمم . وقرأ ذلك عاصم ( كَمَا اسْتُخْلِفَ ) بضم التاء ، وكسر اللام ، على مذهب ما لم يُسَمَّ فاعله .

واختلفوا أيضا في قراءة قوله ( وَلَيَسْبَدَنَّ لَهُمْ ) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار سوى عاصم ( وَلَيَسْبَدَنَّ لَهُمْ ) بتشديد الدال ، بمعنى : وليغيرن حالهم عما هي عليه ، من الخوف إلى الأمن ، والعرب تقول : قد بَدَّلَ فلان : إذا غيرت حاله ، ولم يأت مكان فلان غيره ، وكذلك كل مغير عن حاله ، فهو عندهم مبدل بالتشديد . وربما قيل بالتخفيف ، وليس بالفصح . فأما إذا جعل مكان الشيء المبدل غيره ، فذلك بالتخفيف : أبدلته فهو مُبَدَّلٌ . وذلك كقولهم : أبدل هذا الثوب : أى جعل مكانه آخر غيره ، وقد يقال بالتشديد ، غير أن الفصح من الكلام ما وصفت . وكان عاصم يقرؤه ( وَلَيَسْبَدَنَّ لَهُمْ ) بتخفيف الدال .

والصواب من القراءة في ذلك : التشديد ، على المعنى الذى وصفت قبل ، لإجماع الحجة من قراء الأمصار عليه ، وأن ذاك تغيير حال الخوف إلى الأمن ، وأرى عاصمًا ذهب إلى أن الأمن لما كان خلاف الخوف ، وجه المعنى إلى أنه ذهب بحال الخوف ، وجاء بحال الأمن ، فخفف ذلك .

ومن الدليل على ما قلنا ، من أن التخفيف إنما هو ما كان في إبدال شيء مكان آخر ، قول أبي النجم :

• عَزَلُ الْأَمِيرِ لِلْأَمِيرِ الْمُبَدَّلِ ١ •

وقوله ( يَعْْبُدُونَنِي ) يقول : يخضعون لى بالطاعة ، ويتذللون لأمرى ونهى ( لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ) يقول : لا يشركون في عبادتهم إياى الأوثان والأصنام ولا شيئا غيرها ، بل يخلصون لى العبادة ، فيفردونها لى ، دون كل ما عبد من شىء غيرى . وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل شكاية بعض أصحابه إليه ، في بعض الأوقات التي كانوا فيها من العدو في خوف شديد ، مما هم فيه من الرعب والخوف ، وما يتلقون بسبب ذلك من الأذى والمكروه .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قوله ( وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) . . . الآية ، قال : « مكث النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين خائفا ، يدعو إلى الله سرا وعلانية ، قال : ثم أمر بالهجرة إلى المدينة ، قال : فكث بها

(١) البيت من مشطور الرجز ، لأبي النجم العجل الراجز ( اللسان : بدل ) قال : قال أبو العباس ( يعنى ثعلبا ) وحقيقته : أن التبديل تغيير الصورة إلى صورة أخرى ، والجوهرة بعينها ؛ الإبدال : تنحية الجوهرة ، واستئناف جوهرة أخرى . منه قول أبي النجم • عزل الأمير للأمير المبدل • ألا ترى أنه نحى جسما ، وجعل مكانه جسما غيره ؟



هو وأصحابه خائفون ، يُصْبِحُونَ فِي السَّلَاحِ ، وَيُمْسُونَ فِيهِ ، فَقَالَ رَجُلٌ : مَا بَأْسُ عَلَيْنَا يَوْمَ نَأْمَنُ فِيهِ ، وَنَضَعُ عِنَّا السَّلَاحَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تَعْتَبِرُونَ إِلَّا بِسَيْرٍ ، حَتَّى يَجْلِسَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي الْمَلَأِ الْعَظِيمِ مُحْتَبِئًا فِيهِ ، لَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ يَدَعُوهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ ( وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ) . . . إِلَى قَوْلِهِ ( فَكَفَرُوا بَعْدَ ذَلِكَ ) « قَالَ : يَقُولُ : مَنْ كَفَرَ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ ( فَأَوْلَتْكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ ) وَلَيْسَ بِعَنَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ . قَالَ : فَأَظْهَرَ اللَّهُ عَلَى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، فَأَمَنُوا ، ثُمَّ تَجَسَّبَرُوا ، فَغَيَّرَ اللَّهُ مَا بِهِمْ ، وَكَفَرُوا بِهَذِهِ النِّعْمَةِ ، فَأَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْخَوْفَ الَّذِي كَانَ رَفَعَهُ عَنْهُمْ ؛ قَالَ الْقَاسِمُ : قَالَ أَبُو عَلِيٍّ ٢ : بِقَتْلِهِمْ عُمَانَ بْنَ عِفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

واختلف أهل التأويل في معنى الكفر الذي ذكره الله في قوله ( فَكَفَرُوا بَعْدَ ذَلِكَ ) فقال أبو العالية ما ذكرنا عنه من أنه كفر بالنعمة لا كفر بالله .

وروى عن حذيفة في ذلك ما حدثنا به ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ابن أبي الشعثاء ، قال : كنت جالسا مع حذيفة وعبد الله بن مسعود ، فقال حذيفة : ذهب النفاق ، وإنما كان النفاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما هو الكفر بعد الإيمان ، قال : فضحك عبد الله ، فقال : لم تقول ذلك ؟ قال : علمت ذلك ، قال ( وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ) . . . حَتَّى بَلَغَ آخِرَهَا .

حدثنا ابن المنثري ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي الشعثاء ، قال : قعدت إلى ابن مسعود وحذيفة ، فقال حذيفة : ذهب النفاق فلا نفاق ، وإنما هو الكفر بعد الإيمان ، فقال عبد الله : تعلم ما تقول ؟ قال : فتلا هذه الآية ( إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ ) . . . حَتَّى بَلَغَ ( فَأَوْلَتْكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ ) قال : فضحك عبد الله ، قال : فلقيت أبا الشعثاء بعد ذلك بأيام ، فقلت : من أي شيء ضحكك عبد الله ؟ قال : لأدري ، إن الرجل ربما ضحك من الشيء الذي يُعْجِبُهُ ، وربما ضحك من الشيء الذي لا يعجبه ، فمن أي شيء ضحك ؟ لأدري . والذي قاله أبو العالية من التأويل أشبه بتأويل الآية ، وذلك أن الله وعد الإنعام على هذه الأمة بما أخبر في هذه الآية ، أنه منعم به عليهم ؛ ثم قال عقيب ذلك : فمن كفر هذه النعمة بعد ذلك ( فَأَوْلَتْكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قول : ( يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ) قال : تلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ( أَمَا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ) قال : لا يخافون غيري .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ، وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥٦) لَا تَحْسَبَنَّ  
الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ، وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ، وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٥٧)

(١) في فتح التقدير للشوكاني ( ٤ : ٤٧ ) ليست فيهم جديدة . ولعلها رواية أخرى . (٢) لعله أبو العالية ، راوى الحديث .

يقول تعالى ذكره ( وأقيموا ) أيها الناس ( الصلاة ) بحدودها ، فلا تضيعوها ( وآتوا الزكاة ) التي فرضها الله عليكم أهلها ، وأطيعوا رسول ربكم فيما أمركم ونهاكم ( لعلكم ترحمون ) يقول : كفى برحمكم ربكم ، فينجيكم من عذابه ، وقوله ( لا تحسبن الذين كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ) يقول تعالى ذكره : لا تحسبن الذين كفروا بالله معجزيه في الأرض ، إذا أراد إهلاكهم ( وما وأهم ) بعد هلاكهم ( النار ، وليئسن المصير ) الذي يصبرون إليه ذلك المأوى . وقد كان بعضهم يقول : لا يحسبن الذين كفروا بالياء ، وهو مذهب ضعيف عند أهل العربية ، وذلك أن تحسب محتاج إلى منصوبين . وإذا قرئ ( يحسبن ) لم يكن واقعا إلا على منصوب واحد ، غير أني أحسب أن قائله بالياء ظن أنه قد عمل في معجزين ، وأن منصوبه الثاني في الأرض ، وذلك لالمعنى له إن كان ذلك قصد .

#### القول في تأويل قوله تعالى

يَسْأَلُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ، وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ ، وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ، ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ، طَوَّفُونَ عَلَيْكُمْ بِمَعْصُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨)

اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) فقال بعضهم : <sup>١</sup>عنى بذلك : الرجال دون النساء ، ونهوا عن أن يدخلوا عليهم في هذه الأوقات الثلاثة ، هؤلاء الذين <sup>٢</sup>سئوا في هذه الآية إلا بإذن .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قوله : ( لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) قال : هي على الذكور دون الإناث . وقال آخرون : بل عني به الرجال والنساء .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن أبي عبد الرحمن ، في قوله ( يا أيها الذين آمنوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) قال : هي في الرجال والنساء ، يستأذنون على كل حال ، بالليل والنهار .  
 وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب : قول من قال : <sup>١</sup>عنى به الذكور والإناث ، لأن الله عم بقوله ( الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) جميع أملاك إيماننا ، ولم يخص منهم ذكرا ولا أنثى ، فذلك على جميع من عمه ظاهر التنزيل :



فتأويل الكلام : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، ليستأذنكم في الدخول عليكم عبيدكم وإماءكم ، فلا يدخلوا عليكم إلا بإذن منكم لهم .

( وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ) يقول : والذين لم يحتلموا من أحراركم ثلاث مرات ، يعنى ثلاث مرات ، في ثلاثة أوقات من ساعات ليلكم ونهاركم :

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، في قوله ( يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ) قال : عبيدكم المملوكون ( وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ) قال : لم يحتلموا من أحراركم :

قال ابن جُرَيْج : قال لى عطاء بن أبي رباح : فذلك على كل صغير وصغيرة أن يستأذن ، كما قال ( ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ ، وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ) قالوا : هى العتمة ، قلت : فإذا وضعوا ثيابهم بعد العتمة ، استأذنوا عليهم حتى يصبحوا ، قال نعم : قلت لعطاء : هل استأذناهم إلا عند وضع الناس ثيابهم ؟ قال لا :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن صالح بن كيسان ويعقوب ابن عتبة ، وإسماعيل بن محمد ، قالوا : لاستئذان على خدام الرجل عليه ، إلا في العورات الثلاث : حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله : ( لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) يقول : إذا خلا الرجل بأهله بعد صلاة العشاء ، فلا يدخل عليه خادم ولا صبي إلا بإذن ، حتى يصلّى الغداة ، فإذا خلا بأهله عند صلاة الظهر فمثل ذلك :

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني قرة بن عبد الرحمن ، عن ابن شهاب ، عن ثعلبة ، عن أبي مالك القرظي ، أنه سأل عبد الله بن سويد الحارثي ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإذن في العورات الثلاث ، فقال : إذا وضعت ثيابي من الظهر ، لم يلج عليّ أحد من الخدم الذي بلغ الحلم ، ولا أحد ممن لم يبلغ الحلم من الأحرار ، إلا بإذن .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن ابن جُرَيْج ، قال : سمعت عطاء يقول : قال ابن عباس : ثلاث آيات جحدهنّ الناس : الإذن كله ، وقال ( إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ ) وقال الناس : أكرمكم أعظمكم بيتا ، ونسيت الثالثة :

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، في هذه الآية : ( لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) قال : كان الحسن يقول : إذا آيات الرجل خادمه معه ، فهو إذنه ، وإن لم يبتّه معه ، استأذن في هذه الساعات :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا موسى بن أبي عائشة ، عن الشعبي في قوله ( لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) قال : لم تُنسخ ، قلت : إن الناس لا يعملون به ، قال الله المستعان :

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن الشعبي ، وسأله عن هذه الآية ( لَيْسَتْ أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا ) قلت : منسوخة هي ؟ قال : لا والله ما نسخت ، قلت : إن الناس لا يعملون بها ، قال : الله المستعان .  
قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال : إن ناسا يقولون نسخت ، ولكنها مما يتهاون الناس به .

قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير في هذه الآية ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَتْ أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا ) . . . إلى آخر الآية ، قال : لا يعمل بها اليوم . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا حنظلة ، أنه سمع القاسم بن محمد يسأل عن الإذن ، فقال : يستأذن عند كل عورة ، ثم هو طواف ، يعني الرجل على أمه .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : أخبرنا عبد العزيز بن أبي رواد ، قال : أخبرني رجل من أهل الطائف ، عن غيلان بن شريح ، عن عبد الرحمن بن عوف ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم ، قال الله ، ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم » ولأتم العتممة عتممة الإبل .

وقوله ( ثلاث عورات لكم ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة : ( ثلاث عورات لكم ) برفع الثلاث ، بمعنى الخبر عن هذه الأوقات التي ذكرت ، كأنه عندهم قيل : هذه الأوقات الثلاثة التي أمرناكم بأن لا يدخل عليكم فيها من ذكرنا إلا بإذن ، ثلاث عورات لكم ، لأنكم تضعون فيها ثيابكم ، وتخلون بأهلكم . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ( ثلاث عورات ) بنصب الثلاث على الرد على الثلاث الأولى . وكان معنى الكلام عندهم : ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ، والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ، ثلاث عورات لكم .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فبأيهما قرأ القارى فصيح .

وقوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ ، طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ ) يقول تعالى ذكره : ليس عليكم معشر أرباب البيوت والمساكن ، ولا عليهم ، يعني : ولا على الذين ملكت أيمانكم من الرجال والنساء ، والذين لم يبلغوا الحلم من أولادكم الصغار حرج ولا إثم بعدهن ، يعني بعد العورات الثلاث ، والهاء والنون في قوله ( بَعْدَ هُنَّ ) عائدتان على الثلاث من قوله ( ثلاث عورات لكم ) ، وإنما يعني بذلك أنه لا حرج ولا جناح على الناس ، أن يدخل عليهم مما يليكهم البالغون ، وصبيانهم الصغار بغير إذن بعد هذه الأوقات الثلاث ، اللاتي ذكرهن في قوله ( مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنْ الظَّهِيرَةِ ، وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :



ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قال : ثم رخص لهم في الدخول فيما بين ذلك بغير إذن ، يعني فيما بين صلاة الغداة إلى الظهر ، وبعد الظهر إلى صلاة العشاء ، أنه رخص لخدام الرجل والصبى أن يدخل عليه منزله بغير إذن ، قال : وهو قوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ ) فأما من بلغ الحلم ، فإنه لا يدخل على الرجل وأهله إلا بإذن على كل حال : وقوله ( طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ ) رفع الطوافون بمضمر ، وذلك هم ، يقول هؤلاء المماليك والصبيان الصغار هم طوافون عليكم أيها الناس ، ويعنى بالطوافين : أنهم يدخلون ويخرجون على مواليتهم وأقربائهم في منازلهم غدوة وعشية بغير إذن ، يطوفون عليهم ، بعضهم على بعض في غير الأوقات الثلاث التي أمرهم أن لا يدخلوا على ساداتهم وأقربائهم فيها إلا بإذن ( كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ ) يقول جل ثناؤه : كما بينت لكم أيها الناس أحكام الاستئذان في هذه الآية ، كذلك بين الله لكم جميع أعلامه وأدلته وشرائع دينه ( وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) يقول : والله ذو علم بما يصلح عباده ، حكيم في تدبيره إياهم ، وغير ذلك من أموره :

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩)

يقول تعالى ذكره : وإذا بلغ الصغار من أولادكم وأقربائكم ، ويعنى بقوله ( مِنْكُمْ ) من أحراركم : ( الْحُلُمَ ) يعنى الاحتلام واحتلموا ( فَلْيَسْتَأْذِنُوا ) يقول : فلا يدخلوا عليكم في وقت من الأوقات إلا بإذن ، لافي أوقات العورات الثلاث ولا في غيرها . وقوله ( كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ) : يقول : كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقربائه الأحرار ، وخص الله تعالى ذكره في هذه الآية الأطفال بالذكر ، وتعريف حكمهم عباده في الاستئذان ، دون ذكر مملكت أيماننا ، وقد تقدمت الآية التي قبلها ، بتعريفهم حكم الأطفال الأحرار والمماليك ، لأن حكم ما ملكت أيماننا من ذلك حكم واحد ، سواء فيه حكم كبارهم وصغارهم ، في أن الإذن عليهم في الساعات الثلاث التي ذكرها الله في الآية التي قبل . وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قال : أما من بلغ الحلم ، فإنه لا يدخل على الرجل وأهله ، يعنى من الصبيان الأحرار ، إلا بإذن على كل حال ، وهو قوله ( وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عطاء ( وإذا بلغ الأطفالُ منكم الحلمَ فليستأذِنوا ) قال : واجب على الناس أجمعين أن يستأذِنوا إذا احتلموا ، على من كان من الناس .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن ابن المسيب ، قال : يستأذن الرجل على أمه ، قال : إنما أنزلت ( وإذا بلغ الأطفالُ منكم الحلمَ ) في ذلك ( كذلك يبينُ الله لكم آياته ) يقول : هكذا يبين الله لكم آياته ، أحكامه وشرايع دينه ، كما بين لكم أمر هؤلاء الأطفال في الاستئذان بعد البلوغ ( والله عليمٌ حكيمٌ ) يقول : والله عليم بما يصلح خلقه وغير ذلك من الأشياء ، حكيم في تدبيره خلقه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ، وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٦٠)

يقول تعالى ذكره : واللواتي قد قعدن عن الولد ، من الكبر ، من النساء ، فلا يحضن ولا يلدن ، واحدن قاعد ( اللاتي لا يترجون نكاحا ) يقول : اللاتي قد يئسن من البعولة ، فلا يطمعن في الأزواج ( فليست عليهن جناح أن يضعن ثيابهن ) يقول : فليس عليهن حرج ولا إثم أن يضعن ثيابهن ، يعنى جلابيبن ، وهى القناع الذى يكون فوق الخمار ، والرداء الذى يكون فوق الثياب ، لاحرج عليهن أن يضعن ذلك عند المحارم من الرجال ، وغير المحارم من الغرباء ، غير متبرجات بزينة .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

#### ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( والقواعدُ من النساء اللاتي لا يترجون نكاحا ) وهى المرأة لاجتاحت عليها أن تجلس فى بيتها بدرع وخمار ، وتضع عنها الجلاب ، ما لم تتبرج لما يكره الله ، وهو قوله ( فليست عليهن جناح أن يضعن ثيابهن ) غير متبرجات بزينة ) ثم قال ( وأن يستعففن خيرٌ لهن ) :

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله ( يضعن ثيابهن ) يعنى : الجلاب ، وهو القناع ، وهذا للكبيبة التى قد قعدت عن الولد ، فلا يضرها أن لا تجلب فوق الخمار . وأما كل امرأة مسلمة حرّة ، فعليها إذا بلغت المحيض أن تدى الجلاب على الخمار . وقال الله فى سورة الأحزاب ( يذنين عليهن من جلابيبن ) ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ) وكان بالمدينة رجال من المنافقين إذا مرت بهم امرأة سيئة الهيئة والزى ، حسب



المنافقون أنها مزينة ، وأنها من بغيتهم ، فكانوا يؤذون المؤمنات بالرفث ، ولا يعلمون الحرّة من الأمة ، فأُنزل الله في ذلك ( يا أيّها النّبيّ قل لا تزواجك وبناتك وتساء المؤمنين يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ ) ، ذلك أدّتي أن يعرّفنّ فلا يؤذينّ ) يقول : إذا كان زيهنّ حسنا ، لم يطمع فيهنّ المنافقون :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جرّيج ، في قوله ( والقواعد من النساء ) التي قعدت من الولد وكبرت . قال ابن جرّيج : قال مجاهد : ( اللاتي لا يرّجون نكاحا ) قال : لا يردنه ( فليئس عليهنّ جناح أن يضعنّ ثيابهنّ ) قال : جلابيبهنّ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( والقواعد من النساء اللاتي لا يرّجون نكاحا ، فليئس عليهنّ جناح أن يضعنّ ثيابهنّ غير متبرّجات بزينة ) قال : وضع الخمار ، قال : التي لا ترجو نكاحا ، التي قد بلغت أن لا يكون لها في الرجال حاجة ، ولا للرجال فيها حاجة ، فإذا بلغت ذلك وضعن الخمار ، غير متبرّجات بزينة ، ثم قال ( وأن يستعففنّ خبيرهنّ ) كان أبي يقول هذا كله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ، قالوا : ثنا سفيان ، عن علقمة بن مرثد ، عن ذرّ ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، في قوله ( فليئس عليهنّ جناح أن يضعنّ ثيابهنّ ) قال : الجلابب أو الرداء ، شكّ سفيان .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله ( لئس عليهنّ جناح أن يضعنّ ثيابهنّ ) قال : الرداء .

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن مالك ابن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، قال : قال عبد الله في هذه الآية ( فليئس عليهنّ جناح أن يضعنّ ثيابهنّ ) قال : هي الملحفة .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت أبا وائل قال : سمعت عبد الله يقول في هذه الآية ( فليئس عليهنّ جناح أن يضعنّ ثيابهنّ ) قال : الجلابب .

حدثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، قال : أخبرني الحكم ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن ابن مسعود ، في قوله ( أن يضعنّ ثيابهنّ غير متبرّجات بزينة ) قال : هو الرداء .

قال الحسن ، قال : عبد الرزاق ، قال الثوري : وأخبرني أبو حصين وسالم الأفطس ، عن سعيد بن جبّير ، قال : هو الرداء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي ( أن يضعنّ ثيابهنّ غير متبرّجات

بِزَيْنَةَ ) قال : تضع الجلباب المرأة التي قد عجزت ولم تزوج . قال الشعبي : فإن أُبَيَّ بن كعب يقرأ ( أن ) يَضَعَنَّ مِنْ ثِيَابِهِنَّ ) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : قلت لابن أبي نجيح ، قوله ( فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعَنَّ ثِيَابَهُنَّ ) غير مُتَبَرِّجَاتٍ بِزَيْنَةٍ ) قال : الجلباب ، قال يعقوب ، قال أبو يونس : قلت له : عن مجاهد ؟ قال : نعم ، في الدار والحجرة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعَنَّ ثِيَابَهُنَّ ) قال : جلابيهن .

وقوله ( غير مُتَبَرِّجَاتٍ بِزَيْنَةٍ ) يقول : ليس عليهن جناح في وضع أرديتهن إذا لم يُرِدْنَ بوضع ذلك عنهن ، أن يبدن ما عليهن من الزينة للرجال . والتبرج : هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما ينبغي لها أن تستره . وقوله ( وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لهنَّ ) يقول : وإن تعففن عن وضع جلابيهن وأرديتهن ، فيلبسها ، خير لهن من أن يضعنها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لهنَّ ) قال : أن يلبسن جلابيهن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي ( وأن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لهنَّ ) قال : ترك ذلك ، يعني ترك وضع الثياب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لهنَّ ) والاستعفاف : لبس الخمار على رأسها ، كان أبي يقول هذا كله ( والله سميع ) ما تنطقون بألسنتكم ( عليهم ) بما تضمه صدوركم ، فاتقوه أن تنطقوا بألسنتكم ، ما قد نهاكم عن أن تنطقوا بها ، أو تضمروا في صدوركم ما قد كرهه لكم ، فتستوجبوا بذلك منه عقوبة .

القول في تأويل قوله تعالى

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ يُؤْتِكُمْ أَوْ يَبِئْتِكُمْ أَوْ يُبِئْتِكُمْ أَوْ يَمْتَسِكُمْ ، فَمَنْ لَكُمْ ذَنْبٌ فَأْتُوا بِهِ بِأَخْوَابِكُمْ أَوْ يَمِيزُ بَيْنَ أَخْوَابِكُمْ أَوْ يُؤْتِكُمْ أَوْ يَمْتَسِكُمْ أَوْ يَمِيزُ بَيْنَ أَخْوَابِكُمْ أَوْ يُؤْتِكُمْ أَوْ يَمْتَسِكُمْ



خَلَّيْتُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا  
أَوْ أَشْتَاتًا ، فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ ، كَذَلِكَ  
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦١)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في هذه الآية في المعنى الذي أنزلت فيه ، فقال بعضهم : أنزلت هذه  
الآية ترخيصا للمسلمين في الأكل مع العُمَيَّانِ والعُرْجَانِ والمرضى وأهل الزَّمانَةِ من طعامهم ، من أجل أنهم  
كانوا قد امتنعوا من أن يأكلوا معهم من طعامهم ، خشية أن يكونوا قد أتوا بأكلهم معهم من طعامهم ،  
شيئا مما نهاهم الله عنه بقوله ( يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بِالْبَاطِلِ ) ، إلا أن  
تَكُونِ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ  
جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ ) . . . إلى قوله ( أَوْ أَشْتَاتًا ) وذلك لما أنزل الله ( يا أيُّهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بِالْبَاطِلِ ) فقال المسلمون : إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا  
بالباطل ، والطعام من أفضل الأموال ، فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد ، فكف الناس عن ذلك ،  
فأنزل الله بعد ذلك ( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ) . . . إلى قوله ( أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ ) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله  
( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ) . . . الآية ، كان أهل المدينة قبل أن يُبعث النبي صلى الله عليه وسلم  
لا يخاطبهم في طعامهم أعمى ولا مريض ، فقال بعضهم : إنما كان بهم التقذّر والتقرّز . وقال بعضهم :  
المريض لا يستوفى الطعام كما يستوفى الصحيح ، والأعرج المنحبس لا يستطيع المزاحمة على الطعام ، والأعمى  
لا يبصر طيب الطعام ، فأنزل الله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ حَرَجٌ ) في مؤاكلة المريض والأعمى والأعرج ، فعنى  
الكلام على تأويل هؤلاء : ليس عليكم أيها الناس في الأعمى حرج ، أن تأكلوا منه ومعه ، ولا في الأعرج  
حرج ، ولا في المريض حرج ، ولا في أنفسكم ، أن تأكلوا من بيوتكم ، فوجهها معنى « على » في هذا  
الموضع إلى معنى « في » . . .

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية ترخيصا لأهل الزمانَةِ ، في الأكل من بيوت من سمي الله في هذه  
الآية ، لأن قوما كانوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا لم يكن عندهم في بيوتهم ما يطعمونهم ،  
ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم ، أو بعض من سمي الله في هذه الآية ، فكان أهل الزمانَةِ يتخوفون من  
أن يطعموا ذلك الطعام ، لأنه أطعمهم غير ملكه .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لا جناحَ عليَّكُمْ أنْ تأْكُلُوا مِن بَيْوتِكُمْ أوْ بِيُوتِ آبَائِكُمْ ) قال : كان رجال زَمَنِي . قال ابن عمرو في حديثه : عُثْمَانُ وَعُرْجَان . وقال الحارث : عُثْمَى عُرْجُ أولو حاجة ، يستبعمهم رجال إلى بيوتهم ، فإن لم يجدوا طعاما ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم ، ومن عدد منهم من البيوت ، فكره ذلك المستبعمون ، فأَنْزَلَ اللهُ في ذلك ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ) ، وأحلَّ لهم الطعام حيث وجدوه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : كان الرجل يذهب بالأعمى والمريض والأعرج إلى بيت أبيه ، أو إلى بيت أخيه ، أو عمه ، أو خاله ، أو خالته ، فكان الزماني يتحرّجون من ذلك ، يقولون : إنما يذهبون بنا إلى بيوت غيرهم ، فنزلت هذه الآية رخصة لهم . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحو حديث ابن عمرو ، عن أبي عاصم .

وقال آخرون : بل نزلت ترخيصا لأهل الزمان الذين وصفهم الله في هذه الآية ، أن يأكلوا من بيوت من خلّفهم في بيوتهم من الغزاة .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، قال : قلت للزهري ، في قوله ( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ) ما بال الأعمى ذكر هاهنا ، والأعرج والمريض ، فقال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله ، أن المسلمين كانوا إذا غزّوا خلّفوا زمناهم ، وكانوا يدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم ، يقولون : قد أحلّلنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا ، وكانوا يتحرّجون من ذلك ، يقولون : لاندخلها وهم غيب ، فأَنْزَلَ اللهُ هذه الآية رخصة لهم .

وقال آخرون : بل عني بقوله ( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ) ، ولا على الأعرج حرَجٌ ، ولا على المريض حرَجٌ ) في التخلّف عن الجهاد في سبيل الله ، قالوا : وقوله ( وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِن بَيْوتِكُمْ ) كلام منقطع عما قبله .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ) ، ولا على الأعرج حرَجٌ ، ولا على المريض حرَجٌ ) قال : هذا في الجهاد في سبيل الله ، وفي قوله ( وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِن بَيْوتِكُمْ ) . . . إلى قوله ( أوْ صَدَيْقِكُمْ ) قال : هذا شيء قد انقطع ، إنما كان هذا في الأول ، لم يكن لهم أبواب ، وكانت الستور مُرْخَاة ، فربما دخل الرجل



البيت وليس فيه أحد، فربما وجد الطعام وهو جائع، فسوّغه الله أن يأكله. قال: وقد ذهب ذلك اليوم، البيوت اليوم فيها أهلها، وإذا أخرجوا أغلقوها، فقد ذهب ذلك.

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية ترخيصة للمسلمين الذين كانوا يتقون مؤاكلة أهل الزمانة في مؤاكلتهم إذا شاءوا ذلك.

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن قيس بن مسلم، عن مِقْسَم، في قوله (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ) قال: كانوا يتقون أن يأكلوا مع الأعمى والأعرج، فنزلت (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا).

واختلفوا أيضا في معنى قوله (أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاحَهُ) فقال بعضهم: عنى بذلك: وكيل الرجل وقِيَمَتَه، أنه لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته، ونحو ذلك.

#### ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله (أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاحَهُ) وهو الرجل يوكّل الرجل بضيعته، فرخص الله له أن يأكل من ذلك الطعام والتمر، ويشرب اللبن.

وقال آخرون: بل عُنِيَ بذلك: منزل الرجل نفسه، أنه لا بأس عليه أن يأكل.

#### ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحّاك يقول في قوله (أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاحَهُ) يعني: بيت أحدهم، فإنه يملكه، والعبيد منهم مما ملكوا.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، في قوله (أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاحَهُ) مما تحبون يا بن آدم:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن مجاهد، قال (أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاحَهُ) قال: خزائن لأنفسهم، ليست لغيرهم.

وأشبه الأقوال التي ذكرنا في تأويل قوله (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ) . . . إلى قوله (أَوْ صَدِّيقِكُمْ) القول الذي ذكرنا عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، وذلك أن أظهر معاني قوله (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ، ولا على الأعرج حَرَجٌ): أنه لا حرج على هؤلاء الذين سُمُّوا في هذه الآية، أن يأكلوا من بيوت من ذكره الله فيها، على ما أباح لهم من الأكل منها، فإذا كان ذلك أظهر معانيه، فتوجيه معناه إلى الأغلب الأعراف من معانيه، أولى من توجيهه إلى الأنكر منها. فإذا كان ذلك كذلك، كان ما خالف من التأويل قول من قال: معناه: ليس في الأعمى والأعرج حرج، أولى بالصواب. وكذلك أيضا الأغلب من تأويل قوله (ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) أنه بمعنى: ولا عليكم أيها الناس، ثم جمع هؤلاء

والزَّمَنِي الذين ذكرهم قبل في الخطاب ، فقال : أن تأكلوا من بيوت أنفسكم ، وكذلك تفعل العرب إذا جمعت بين خبر الغائب والمخاطب ، غَلَّبَتِ المخاطب ، فقالت : أنت وأخوك قمتما ، وأنت وزيد جلستما ، ولا تقول : أنت وأخوك جلستا ، وكذلك قوله ( وَلَا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ ) والخبر عن الأعمى والأعرج والمريض ، غَلَّبَتِ المخاطب ، فقال : أن تأكلوا ، ولم يقل : أن يأكلوا .

فإن قال قائل : فهذا الأكل من بيوتهم قد علمناه ، كان لهم حلالا ، إذ كان ملكا لهم ، أو كان أيضا حلالا لهم الأكل من مال غيرهم ؟ قيل له : ليس الأمر في ذلك على ما توهمت ، ولكنه كما ذكرناه عن عبيد الله ابن عبد الله ، أنهم كانوا إذا غابوا في مغازيهم ، وتخلف أهل الزمانة منهم ، دفع الغازي مفتاح مسكنه إلى المتخلف منهم ، فأطلق له في الأكل مما يخلف في منزله من الطعام ، فكان المتخلفون يتخوفون الأكل من ذلك وربه غائب ، فأعلمه الله أنه لا حرج عليه في الأكل منه ، وأذن لهم في أكله ، فإذا كان ذلك كذلك تبين أن لا معنى لقول من قال : إنما أنزلت هذه الآية من أجل كراهة المستبغ أكل طعام غير المستبغ ، لأن ذلك لو كان كما قال من قال ذلك ، لقليل : ليس عليكم حرج أن تأكلوا من طعام غير من أضافكم ، أو من طعام آباء من دعاكم ، ولم يقل : أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم ، وكذلك لا وجه لقول من قال : معنى ذلك : ليس على الأعمى حرج في التخلف عن الجهاد في سبيل الله ، لأن قوله ( أَنْ تَأْكُلُوا ) خبر ليس ، وأن في موضع نصب على أنها خبر لها ، فهي متعلقة بليس ، فعلوم بذلك أن معنى الكلام : ليس على الأعمى حرج أن يأكل من بيته ، لاما قاله الذين ذكرنا ، من أنه لا حرج عليه في التخلف عن الجهاد . فإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا ، تبين أن معنى الكلام : لا ضيق على الأعمى ، ولا على الأعرج ، ولا على المريض ، ولا عليكم أيها الناس ، أن تأكلوا من بيوت أنفسكم ، أو من بيوت آبائكم ، أو من بيوت أمهاتكم ، أو من بيوت إخوانكم ، أو من بيوت أخواتكم ، أو من بيوت أعمامكم ، أو من بيوت عماتكم ، أو من بيوت أخوالكم ، أو من بيوت خالاتكم ، أو من البيوت التي ملكتم متفاتها ، أو من بيوت صديقتكم ، إذا أذنوا لكم في ذلك ، عند مغيبهم ومشهدهم . والمفاتيح : الخزائن ، واحداها : مَفْتَح ، إذا أريد به المصدر ، وإذا كان من المفاتيح التي يفتح بها ، فهي مِفْتَح ومفاتيح ، وهي هاهنا على التأويل الذي اخترناه جمع مِفْتَح الذي يفتح به .

وكان قتادة يتأول في قوله ( أَوْ صَدِيقِكُمْ ) : ما حدثنا به الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق عن معمر ، عن قتادة ( أَوْ صَدِيقِكُمْ ) فلو أكلت من بيت صديقك من غير أمره ، لم يكن بذلك بأس ، قال معمر : قلت لقتادة : أَوَلَا أَشْرَبُ مِنْ هَذَا الْحُبِّ ، قال : أنت لى صديق .  
وأما قوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : كان الغنى من الناس يتخوف أن يأكل مع الفقير ، فرخص لهم في الأكل معهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن عطاء الخراساني ، عن



ابن عباس ، قوله ( أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا ) قال : كان الغنى يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصديقه ، فيدعوه إلى طعامه ليأكل معه ، فيقول : والله إنى لأجنيح أن آكل معك ، والجنيح : الحرج ، وأنا غنى وأنت فقير ، فأمرُوا أن يأكلوا جميعا ، أو أشتاتا .

وقال آخرون : بل عني بذلك حتى من أحياء العرب ، كانوا لا يأكل أحدهم وحده ، ولا يأكل إلا مع غيره ، فأذن الله لهم أن يأكل من شاء منهم وحده ، ومن شاء منهم مع غيره .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قال : كانوا يأنفون ويتحرّجون أن يأكل الرجل الطعام وحده ، حتى يكون معه غيره ، فرخص الله لهم ، فقال ( لئيس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : كانت بنو كنانة يستحى الرجل منهم أن يأكل وحده ، حتى نزلت هذه الآية .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : كانوا لا يأكلون إلا جميعا ، ولا يأكلون متفرقين ، وكان ذلك فيهم ديننا ، فأنزل الله : ليس عليكم حرج في مؤاكلة المريض والأعمى ، وليس عليكم حرج أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لئيس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا ) قال : كان من العرب من لا يأكل أبدا جميعا ، ومنهم من لا يأكل إلا جميعا ، فقال الله ذلك .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : نزلت ( لئيس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا ) في حتى من العرب كان الرجل منهم لا يأكل طعامه وحده ، كان يحمله بعض يوم ، حتى يجد من يأكله معه ؛ قال : وأحسب أنه ذكر أنهم من كنانة .

وقال آخرون : بل عني بذلك قوم كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلامع ضيفهم ، فرخص لهم في أن يأكلوا كيف شاءوا .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، عن عمران بن سليمان ، عن أبي صالح وعكرمة ، قالوا : كانت الأنصار إذا نزل بهم الضيف ، لا يأكلون حتى يأكل الضيف معهم ، فرخص لهم ، قال الله ( لا جناح عليكم أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا ) .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله وضع الحرج عن المسلمين ، أن يأكلوا جميعا معا إذا شاءوا ، أو أشتاتا متفرقين إذا أرادوا ، وجائز أن يكون ذلك نزل بسبب من كان يتخوف من الأغنياء الأكل مع الفقير ، وجائز أن يكون نزل بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا لا يطعمون وحدا ، وبسبب

غير ذلك ، ولا خبر بشيء من ذلك يقطع العذر ، ولادلالة في ظاهر التنزيل على حقيقة شيء منه . والصواب التسليم لما دل عليه ظاهر التنزيل ، والتوقف فيما لم يكن على صحته دليل .

وقوله ( فإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ) اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فإذا دخلتم أيها الناس بيوت أنفسكم ، فسلموا على أهل بيوتكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري وقادة في قوله ( فسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ) قالوا : بيتك إذا دخلته ، فقل : سلام عليكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( فإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ) قال : سلم على أهلك . قال ابن جريج ، وسئل عن عطاء بن أبي رباح : أحق على الرجل إذا دخل على أهله أن يسلم عليهم ، قال : نعم ، وقالها عمرو بن دينار ، وتَلَمَّوْا ( فإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ) قال عطاء بن أبي رباح ذلك غير مرة .

قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني أبو الزبير ، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم ( تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ) قال : ما رأيته إلا يوجهه . قال ابن جريج ، وأخبرني زياد ، عن ابن طاوس أنه كان يقول : إذا دخل أحدكم بيته فليسلم .

قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : إذا خرجت أوجب السلام ، هل أسلم عليهم ؟ فلما قال ( إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا ) قال : ما أعلمه واجبا ، ولا آثر عن أحد وجوبه ، ولكن أحب إلي ، وما أدعه إلا ناسيا .

قال ابن جريج ، وقال عمرو بن دينار : لا ، قال : قلت لعطاء : فإن لم يكن في البيت أحد ؟ قال : سلم ، قل : السلام على النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، السلام على أهل البيت ورحمة الله ، قلت له : قولك هذا إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد ممن تَأْتِيهِمْ ، قال : سمعته ولم يؤثر لي عن أحد .

قال ابن جريج ، وأخبرني عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قال : السلام علينا من ربنا ، وقال عمرو بن دينار : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

حدثنا أحمد بن عبد الرحيم ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : ثنا صدقة ، عن زهير ، عن ابن جريج ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال : إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم ، تحية من عند الله مباركة طيبة ، قال : ما رأيته إلا يوجهه .

حدثنا محمد بن عباد الرازي ، قال : ثنا حجاج بن محمد الأعور ، قال : قال لي ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول ، فذكر مثله .



حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ) يقول : سلموا على أهاليكم إذا دخلتم بيوتكم ، وعلى غير أهاليكم ، فسلموا إذا دخلتم بيوتهم .  
وقال آخرون : بل معناه : فإذا دخلتم المساجد فسلموا على أهلها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ( إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ) قال : هي المساجد ، يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، في قوله ( فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ) قال : إذا دخلت المسجد فقل : السلام على رسول الله ، وإذا دخلت بيتا ليس فيه أحد ، فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وإذا دخلت بيتك فقل : السلام عليكم .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : إذا دخلتم بيوتا من بيوت المسلمين فيها ناس منكم ، فليسلم بعضهم على بعض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله ، فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ) أى ليسلم بعضهم على بعض ، كقوله ( وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ) قال : إذا دخل المسلم سلم عليه ، كمثل قوله ( لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ) إنما هو : لا تقتل أخاك المسلم .

وقوله ( هُمْ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ) قال : يقتل بعضهم بعضا ، قُرَيْظَةُ وَالنَّصِيرُ :  
وقال آخرون : معناه : فإذا دخلتم بيوتا ليس فيها أحد ، فسلموا على أنفسكم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن أبي مالك ، قال : إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد ، فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وإذا دخلت بيتا فيه ناس من المسلمين وغير المسلمين ، فقل مثل ذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي سنيان ، عن ماهان ، قال : إذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم ، قال : تقولوا : السلام علينا من ربنا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : أخبرنا شعبة عن منصور ، قال شعبة : وسألته عن

هذه الآية (فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) قال : قال إبراهيم : إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد ، فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن بكير بن الأشج ، عن نافع ، أن عبد الله كان إذا دخل بيتا ليس فيه أحد ، قال : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .  
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، قال : ثنا منصور ، عن إبراهيم (فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ) قال : إذا دخلت بيتا فيه يهود ، فقل : السلام عليكم ، وإن لم يكن فيه أحد فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال معناه : فإذا دخلتم بيوتا من بيوت المسلمين ، فليسلم بعضكم على بعض .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ؛ لأن الله جل ثناؤه قال (فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا) ولم يخص من ذلك بيتا دون بيت ، وقال (فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ) يعني : بعضكم على بعض ، فكان معلوما إذ لم يخص ذلك على بعض البيوت دون بعض ، أنه معنى به جميعها ، مساجدها وغير مساجدها . ومعنى قوله (فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ) نظير قوله (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) ، وقوله (تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) ونصب تحية ، بمعنى : يحيئون أنفسكم تحية من عند الله السلام تحية ، فكأنه قال : فليحي بعضكم بعضا تحية من عند الله . وقد كان بعض أهل العربية يقول : إنما نصبت بمعنى : أمركم بها تفعلونها تحية منه ، ووصف جل ثناؤه هذه التحية المباركة الطيبة ، لما فيها من الأجر الجزيل ، والثواب العظيم .

وقوله (كَذَلِكَ يَسْبِغُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ) يقول تعالى ذكره : هكذا يفصل الله لكم معالم دينكم ، فيبينها لكم ، كما فصل لكم في هذه الآية ما أحل لكم فيها ، وعرفكم سبيل الدخول على من تدخلون عليه ، (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) يقول : لكي تفقهوا عن الله أمره ونهيه وأدبه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٢)

يقول تعالى ذكره : ما المؤمنون حتى الإيمان ، إلا الذين صدقوا الله ورسوله (وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ) ، يقول : وإذا كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ) يقول : على أمر يجمع جميعهم من حرب حضرت ، أو صلاة اجتمع لها ، أو تشاور في أمر نزل (لَمْ يَذْهَبُوا) يقول : لم ينصرفوا عما اجتمعوا له من الأمر ، حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،



وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ) يقول : إذا كان أمر طاعة لله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : قال ابن عباس ، قوله ( وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ ) قال : أمر من طاعة الله عام .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن بكر ، قال : أخبرنا ابن جُرَيْج ، قال : سألت مكحولاً الشاميَّ إنسان وأنا أسمع ، ومكحول جالس مع عطاء ، عن قول الله في هذه الآية ( وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ) فقال مكحول : في يوم الجمعة ، وفي زحف ، وفي كل أمر جامع ، قد أمر أن لا يذهب أحد في يوم جمعة حتى يستأذن الإمام ، وكذلك في كل جامع ، ألا ترى أنه يقول ( وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ ) .

حدثني يعقوب ، قال : ثني ابن عُلَيَّة ، قال : أخبرنا هشام بن حسان ، عن الحسن ، قال : كان الرجل إذا كانت له حاجة والإمام يخطب ، قام فأمسك بأنفه ، فأشار إليه الإمام أن يخرج ، قال : فكان رجل قد أراد الرجوع إلى أهله ، فقام إلى هَرَمِ بن حَيَّان وهو يخطب ، فأخذ بأنفه ، فأشار إليه هَرَمُ أن يذهب ، فخرج إلى أهله ، فأقام فيهم ، ثم قدم ، قال له هَرَمُ : أين كنت ؟ قال : في أهلي ؟ قال : أليذن ذهبت ؟ قال : نعم ، قمت إليك وأنت تخطب ، فأخذت بأنفي ، فأشرت إلى أن اذهب فذهبت ، فقال : أفأخذت هذا دَغَلًا ، أو كلمة نحوها ، ثم قال : اللهم أخسر رجال السوء إلى زمان السوء .

حدثني الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، في قوله ( وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ ) قال : هو الجمعة إذا كانوا معه ، لم يذهبوا حتى يستأذنوه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ) قال : الأمر الجامع حين يكونون معه في جماعة الحرب أو جمعة ، قال : والجمعة من الأمر الجامع ، لا ينبغي لأحد أن يخرج إذا قعد الإمام على المنبر يوم الجمعة إلا بإذن سلطان ، إذا كان حيث يراه أو يقدر عليه ، ولا يخرج إلا بإذن ، وإذا كان حيث لا يراه ولا يقدر عليه ، ولا يصل إليه ، فالله أولى بالعذر .

وقوله ( إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ) يقول تعالى ذكره : إن الذين لا ينصرفون يا محمد إذا كانوا معك في أمر جامع ، عنك إلا بإذنك لهم ، طاعة منهم لله ولك ، وتصديقاً بما أتيتهم به من عندي ، أولئك الذين يصدقون الله ورسوله حقاً ، لا من يخالف أمر الله وأمر رسوله ، فينصرف عنك بغير إذن منك له ، بعد تقدمك إليه أن لا ينصرف عنك إلا بإذنك . وقوله ( فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ

لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ ، فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ) يقول تعالى ذكره : فإذا استأذنتك يا محمد الذين لا يذهبون عنك إلا بإذنتك في هذه المواطن لبعض شأنهم ، يعني لبعض حاجاتهم التي تعرض لهم ، فأذن لمن شئت منهم في الانصراف عنك لقضاءها ( وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ ) يقول : وادع الله لهم بأن يتفضل عليهم بالعتو عن تبعات ما بينه وبينهم ( إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ ) لذنوب عباد التائبين ( رَحِيمٌ ) بهم أن يعاقبهم عليها ، بعد توبتهم منها .

### القول في تأويل قوله تعالى

لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ، قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ، فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)

يقول تعالى ذكره لأصحاب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ( لَا تَجْعَلُوا ) أيها المؤمنون ( دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ) ،

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : نهى الله بهذه الآية المؤمنين أن يتعترضوا لدعاء الرسول عليهم ، وقال لهم : اتقوا دعاءه عليكم ، بأن تفعلوا ما يسخطه ، فيدعو لذلك عليكم فتهلكوا ، فلا تجعلوا دعاءه كدعاء غيره من الناس ، فإن دعاءه موجبة .

### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ) دعوة الرسول عليكم موجبة ، فاحذروها .

وقال آخرون : بل ذلك نهى من الله أن يدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلظ وجفاء ، وأمر لهم أن يدعوه بلين وتواضع .

### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ) قال : أمرهم أن يدعوا : يارسول الله ، في لين وتواضع ، ولا يقولوا : يا محمد ، في تجهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله : ( لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ) قال : أمرهم أن يدعوه : يارسول الله ، في لين وتواضع .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ) قال : أمرهم أن يفخموه ويشرفوه .



﴿ وَأُولَى التَّوْبِيلِينَ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ عِنْدِي : التَّوْبِيلُ الَّذِي قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِي قَبِّلَ قَوْلَهُ ( لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ) نَهَى مِنْ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْ يَأْتُوا مِنَ الْإِنْصِرَافِ عَنْهُ ، فِي الْأَمْرِ الَّذِي يَجْمَعُ جَمِيعَهُمْ ، مَا يَكْرَهُهُ ، وَالَّذِي بَعْدَهُ وَعِيدَ لِلْمُنْصَرِفِينَ بِغَيْرِ إِذْنِهِ عَنْهُ ، فَالَّذِي بَيْنَهُمَا بَأَنْ يَكُونَ تَحْذِيرًا لَهُمْ مُخْطَئُهُ ، أَنْ يَضْطَرَّهُ إِلَى الدُّعَاءِ عَلَيْهِمْ ، أَشْبَهَ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَمْرًا لَهُمْ بِمَا لَمْ يَجْرُلْهُ ذِكْرٌ ، مِنْ تَعْظِيمِهِ وَتَوْقِيرِهِ بِالْقَوْلِ وَالِدُّعَاءِ .

وقوله ( قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ) يقول تعالى ذكره : إنكم أيها المنصرفون عن نبيكم بغير إذنه ، تسرًا وخفية منه ، وإن خفي أمر من يفعل ذلك منكم ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الله يعلم ذلك ، ولا يخفى عليه ، فليتق من يفعل ذلك منكم ، الذين يخالفون أمر الله في الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بإذنه ، أن تصيبهم فتنة من الله ، أو يصيبهم عذاب أليم ، فيطبع على قلوبهم ، فيكفروا بالله .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قول الله ( قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ) قال : كانوا يستتر بعضهم ببعض ، فيقومون ، فقال : فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ، قال : يطبع على قلبه ، فلا يأمن أن يظهر الكفر بلسانه ، فتضرب عنقه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ) قال : خلافا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ) قال : هؤلاء المنافقون الذين يرجعون بغير إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : اللواذ : يلوذ عنه ويروغ : ويذهب بغير إذن النبي صلى الله عليه وسلم ( فليحذر الذين يخالفون عن أمره ) الذين يصنعون هذا ( أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ، أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) . الفتنة هاهنا : الكفر ، واللواذ : مصدر لاوذت بفلان ملاءمة و لياوذا ، ولذلك ظهرت الواو ، ولو كان مصدرا للذت لقليل : لياذا ، كما يقال : قُمت قياما ، وإذا قيل : قاومتك ، قيل : قواما طويلا . واللواذ : هو أن يلوذ القوم بعضهم ببعض ، يستتر هذا بهذا ، وهذا بهذا ، كما قال الضحاك :

وقوله ( أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) يقول : أو يصيبهم في عاجل الدنيا عذاب من الله موجه ، على صنيعهم ذلك ، وخلافهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله ( فليحذر الذين يخالفون عن أمره ) وأدخلت « عن » ، لأن معنى الكلام : فليحذر الذين يلوذون ، عن أمره ، ويدبرون عنه معرضين :

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٤) .

يقول تعالى ذكره : ألا إن لله ملك جميع السموات والأرض : يقول : فلا ينبغي لمملوك أن يخالف أمر مالكة فيعصيه ، فيستوجب بذلك عقوبته . يقول : فكذلك أنتم أيها الناس ، لا يصلح لكم خلاف ربكم الذي هو ما لكمم ، فأطيعوه ، وأتَمروا لأمره ، ولا تنصرفوا عن رسوله إذا كنتم معه على أمر جامع ، إلا بإذنه . وقوله ( قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ) من طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم من ذلك ، كما حدثني أيضا يونس ، قال : أحبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ) صنيعكم هذا أيضا ( وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ ) يقول : ويوم يَرُجَع إلى الله الذين يخالفون عن أمره ، ( فَيُنَبِّئُهُمْ ) يقول : فيخبرهم حينئذ ( بِمَا عَمِلُوا ) في الدنيا ، ثم يجازيهم على ما أسلفوا فيها ، من خلافهم على ربهم ( وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ) يقول : والله ذو علم بكل شيء عملتموه أنتم وهم وغيركم ، وغير ذلك من الأمور ، لا يخفى عليه شيء ، بل هو محيط بذلك كله ، وهو مؤفِّ كل عامل منكم أجر عمله يوم ترجعون إليه :  
آخر تفسير سورة النور

## تفسير سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١)

قال أبو جعفر : تبارك : تفاعل من البركة ، كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمارة ، قال : ثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : تبارك : تفاعل من البركة ، وهو كقول القائل : تقدس ربنا ، فقوله ( تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ) يقول : تبارك الذي نزل الفصل بين الحق والباطل ، فصلا بعد فصل ، وسورة بعد سورة ، على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ، ليكون محمد لجميع الجن والإنس ، الذين بعثه الله إليهم داعيا إليه ، نذيرا : يعني منذرا ينذرهم عقابه ، ويخوفهم عذابه ، إن لم يوحده ، ولم يخلصوا له العبادة ، ويحللوا كل ما دونه من الآلهة والأوثان :  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :



[ذكر من قال ذلك]

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ) قال النبي النذير ، وقرأ ( وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ) وقرأ ( وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ) قال : رسل ، قال : المنذرون : الرسل قال : وكان نذيرا واحدا بلغ ما بين المشرق والمغرب ، ذوالقرنين ، ثم بلغ السدّين ، وكان نذيرا ، ولم أسمع أحدا يُحِقِّقُ أنه كان نبيا ( وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَذَا الْقُرْآنِ لِأَنَّ نَذِيرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ) قال : من بلغه القرآن من الخلق ، فرسول الله نذيره ، وقرأ ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ) وقال : لم يرسل الله رسولا إلى الناس عامة إلا نوحا ، بدأ به الخلق ، فكان رسول أهل الأرض كلهم ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ختم به .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ، وَآمَ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ،

وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا (٢)

يقول تعالى ذكره : ( تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ - الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) فالذي الثانية من نعت الذي الأولى ، وهما جميعا في موضع رفع ، الأولى بقوله تبارك ، والثانية نعت لها ، ويعنى بقوله ( الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) الذي له سلطان السموات والأرض يُنْفِذُ فِي جَمِيعِهَا أمره وقضاه ، وَيُنْضِي فِي كُلِّهَا أَحْكَامَهُ ، يقول : فحقّ على من كان كذلك أن يطيعه أهل مملكته ، وَمَنْ فِي سُلْطَانِهِ ، وَلَا يَعْصُوهُ ، يقول : فلا تعصوا نذيري إليكم أيها الناس ، واتبعوه ، واعملوا بما جاءكم به من الحقّ ( وَكَمْ يَتَّخِذُ وَلَدًا ) يقول : تكذيبا لمن أضاف إليه الولد ، وقال : الملائكة بنات الله ، ما اتخذ الذي نزل الفرقان على عبده ولدا ، فن أضاف إليه ولدا فقد كذب وافتري على ربه ( وَكَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ) يقول تكذيبا لمن كان يضيف الألوهة إلى الأصنام ويعبدها من دون الله من مشركي العرب ، ويقول في تليته : لَسَبَّكَ لِشَرِيكَ لَكَ ، إِلا شَرِيكَ هُوَ لَكَ ، تملكه وما ملك ، كذب قائلو هذا القول ، ما كان لله من شريك في ملكه وسلطانه ، فيصلح أن يُعْبَدَ مِنْ دُونِهِ ، يقول تعالى ذكره : فَأَفْرِدُوا أَيُّهَا النَّاسُ لِرَبِّكُمْ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَلْهُوَةَ ، وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ ، دُونَ كُلِّ مَا تَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ ، وَالْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، فَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ خَلَقَهُ وَفِي مَلِكِهِ ، فَلَا تَصْلِحُ الْعِبَادَةُ إِلا لِلَّهِ الَّذِي هُوَ مَالِكُ جَمِيعِ ذَلِكَ ، وَقَوْلُهُ ( وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ) يقول تعالى ذكره : وَخَلَقَ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ الْفُرْقَانَ كُلَّ شَيْءٍ ، فَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا خَلَقَهُ وَمِلْكُهُ ، وَعَلَى الْمَمَالِكِ طَاعَةُ مَالِكِهِمْ ، وَخِدْمَةُ سَيِّدِهِمْ دُونَ غَيْرِهِ ، يقول : وَأَنَا خَالِقُكُمْ وَمَالِكُكُمْ ، فَأَخْلِصُوا لِي الْعِبَادَةَ دُونَ غَيْرِي ، وَقَوْلُهُ ( فَتَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ) يقول : فَسَوَّى كُلَّ مَا خَلَقَ ، وَهَيَّأَ لِمَا يَصْلِحُ لَهُ ، فَلَا خَلْقَ فِيهِ وَلَا تَفَاوُتَ .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ، وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا  
وَلَا نَفْعًا ، وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا (٣)

يقول تعالى ذكره: مقررًا على مشركي العرب بعبادتهم مادونه من الآلهة ، ومعجبًا أولى الهى منهم ، ومنسبهم على موضع خطأ فعلهم ، وذهابهم عن منهج الحق ، وركوبهم من سبيل الضلالة ما لا يركبه إلا كل مدخول الرأي ، مسلوب العقل ، واتخذ هؤلاء المشركون بالله من دون الذى له ملك السموات والأرض وحده ، من غير شريك ، الذى خلق كل شىء فقدّره ، آلهة : يعنى أصناما بأيديهم يعبدونها ، لا تخلق شيئًا وهى 'تخلق' ، ولا تملك لأنفسها نفعًا تجرّه إليها ، ولا ضرًا تدفعه عنها من أرادها بضر ، ولا تملك إماتة حى ، ولا إحياء ميت ، ولا نشره من بعد مماته ، وتركوا عبادة خالق كل شىء ، وخالق آلهتهم ، ومالك الضر والنفع ، والذى بيده الموت والحياة والنشور . والنشور : مصدر نُشِرَ الميت نشورًا ، وهو أن يُبعث ويحيا بعد الموت .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ، فَقَدْ جَاءُوا  
ظُلْمًا وَزُورًا (٤)

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء الكافرون بالله ، الذين اتخذوا من دونه آلهة : ما هذا القرآن الذى جاءنا به محمد (إلا إفك) يعنى : إلا كذب وبهتان (افتراه) اختلقه وتخرّصه بقوله (وأعانه عليه قوم آخرون) ذكر أنهم كانوا يقولون : إنما يُعَلِّمُ محمدًا هذا الذى يجيئنا به اليهود ، فذلك قوله (وأعانه عليه قوم آخرون) يقول : وأعان محمدًا على هذا الإفك الذى افتراه يهود .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وأعانه عليه قوم آخرون) قال : يهود .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله :  
وقوله (فقد جاءوا ظلماً وزوراً) يقول تعالى ذكره : فقد أتى قائلو هذه المقالة ، يعنى الذين قالوا : (إن هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) ظلماً ، يعنى بالظلم نسبتهم كلام الله وتزييله ، إلى أنه إفك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم . وقد بيّنا فيما مضى أن معنى الظلم : وضع الشىء



في غير موضعه ، فكأنّ ظلم قائل هذه المقالة القرآن بقيلهم هذا ، وصفهم إياه بغير صفته . والزور : أصله تحسين الباطل . فتأويل الكلام : فقد أتى هؤلاء القوم في قيلهم ( إن هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ) كذبا محضاً .  
وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ؛ وحدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَقَدْ جَاءُوا ظَلْمًا وَزُورًا ) قال : كذباً .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأُولِينَ أَكْتَتَبَهَا ، فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥) قُلْ : أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٦)

✽ ذكر أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث ، وأنه المعنى بقوله ( وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأُولِينَ ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : « ثنا شيخ من أهل مصر ، قدم منذ بضع وأربعين سنة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان النضر بن الحارث بن كندة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، من شياطين قريش ، وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينصب له العداوة ، وكان قد قدم الحيرة ، تعلم بها أحاديث ملوك فارس ، وأحاديث رستم وأسفنديار ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس مجلساً ، فذكر بالله ، وحدثت قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم ، من نعمة الله ، خلّفه في مجلسه إذا قام ، ثم يقول : أنا والله يامعشر قريش أحسن حديثاً منه ، فهلّموا فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم وأسفنديار ، ثم يقول : ما محمد أحسن حديثاً مني ، قال : فأنزل الله تبارك وتعالى في النضر ثماني آيات من القرآن ، قوله ( وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالِ أَأَسْطِيرُ الْأُولِينَ ) وكل ما ذُكِرَ فِيهِ الْأَسْطِيرُ فِي الْقُرْآنِ . »

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد أو عكرمة ، عن ابن عباس نحوه ، إلا أنه جعل قوله « فأنزل الله في النضر ثماني آيات ، » عن ابن إسحاق ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( أَأَسْطِيرُ الْأُولِينَ ) أشعارهم وكتبانهم ، وقالها النضر بن الحارث .

فتأويل الكلام : وقال هؤلاء المشركون بالله ، الذين قالوا لهذا القرآن : إن هذا إلا إفك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم ، هذا الذي جاءنا به محمد ، أساطير الأولين ، يعنون أحاديثهم التي كانوا يُسَطِّرونها في كتبهم ، اكتبها محمد صلى الله عليه وسلم من يهود ، ( فَهِيَ تَمَلَى عَلَيْهِ ) يعنون بقوله ( فَهِيَ تَمَلَى عَلَيْهِ ) فهذه الأساطير تُقرأ عليه ، من قولهم : أمليت عليك الكتاب ، وأملكنت ( بُكْرَةً وَأَصِيلًا ) يقول : وتملى عليه غُدُوَّة وعشيا .

وقوله ( قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) يقول تعالى ذكره : قل يا محمد هؤلاء المكذِّبين بآيات الله من مشركي قومك : ما الأمر كما تقولون ، من أن هذا القرآن أساطير الأولين ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم افتراه ، وأعانه عليه قوم آخرون ، بل هو الحق ، أنزله الرب الذي يعلم سر من في السموات ومن في الأرض ، ولا يخفى عليه شيء ، ومُخْصِي ذلك على خلقه ، ومُجَازِيهِمْ بما عزمت عليه قلوبهم ، وأضمره في نفوسهم ( إِنَّهُ كَانَ عَفْوَرًا رَحِيمًا ) يقول : إنه لم يزل يصفح عن خلقه ويرحمهم ، فيفضل عليهم بعفوه ، يقول : فلأن ذلك من عادته في خلقه ، يُمهِّلكم أيها القائلون ما قلتم من الإفك ، والفاعلون ما فعلتم من الكفر .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) قال : ما يسر أهل الأرض وأهل السماء .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا : مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَنْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ؟ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُون مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ، وَقَالَ الظَّالِمُونَ : إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٨)

❦ ذكر أن هاتين الآيتين نزلتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان مشركو قومه قالوا له ليلة اجتماع أشرافهم بظهر الكعبة ، وعرضوا عليه أشياء ، وسألوه الآيات .

فكان فيما كلموه به حينئذ ، فيما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثني محمد ابن أبي محمد ، مولى زيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، « أن قالوا له : فإن لم تفعل لنا هذا ، يعني ما سألوه من تسيير جبالهم عنهم ، وإحياء آبائهم ، والحجىء بالله والملائكة قبلا ، وما ذكره الله في سورة بنى إسرائيل ، فخذ لنفسك ، سل ربك يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وسله فيجعل لك قصورا وجنانا ، وكنوزا من ذهب وفضة ، تغنيك عما نراك ،



تبتغي ، فإنك تقوم بالأسواق ، وتلتمس المعاش كما نلتسمه ، حتى نعلم فضلك ومنزلتك من ربك ، إن كنت رسولاً كما تزعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا بفاعيلٍ ، فأنزل الله في قولهم : أن خذْ لنفسك ما سألوهُ أن يأخذ لها : أن يجعل له جنانا وقصورا وكنوزا ، أو يبعث معه ملكاً يصدقه بما يقول ، ويرد عنه من خاصمه ، (وقالوا ما لهذا الرسولِ يأْكُلُ الطَّعامَ ، ويمشِي في الأسواقِ ، لو أنزلَ إلهه ملكاً فيسكُونُ معه نُذيراً ، أو يلقي إلهه كسراً ، أو تكونُ له جنةٌ يأْكُلُ منها ، وقال الظَّالمونَ إن تتَّبِعُونِ إلَّا رجلاً مسحوراً) .

فتأويل الكلام : وقال المشركون (ما لهذا الرسولِ) : يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم ، الذي يزعم أن الله بعثه إلينا (يسأْكُلُ الطَّعامَ) كما نأكل ، (ويمشِي) في أسواقنا كما نمشي . (لو أنزلَ إلهه) : يقول : هلا أنزلَ إلهه (ملكاً) إن كان صادقا من السماء (فيسكُونُ معه) منذرا للناس ، مصداقا له على ما يقول ، أو يلقي إليه كنز من فضة أو ذهب ، فلا يحتاج معه إلى التصرف في طلب المعاش (أو تكون له جنة) : يقول : أو يكون له بستان (يسأْكُلُ منها) .

واختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (يسأْكُلُ) بالياء ، بمعنى : يأكل منها الرسول . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين (نأْكُلُ منها) بالنون ، بمعنى : نأكل من الجنة . وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب : قراءة من قرأه بالياء ، وذلك للخبر الذي ذكرنا قبل بأن مسألة من سأل من المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يسأل ربه هذه الخلال لنفسه لاهم ؛ فإذا كانت مسألةهم إياه ذلك كذلك ، فغير جائز أن يقولوا له : سلْ لنفسك ذلك ، لنأكل نحن . وبعد ، فإن في قوله تعالى ذكره : (تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) ، دليلاً بيناً على أنهم إنما قالوا له : اطلب ذلك لنفسك ، لتأكل أنت منه ، لأنحن .

وقوله (وقال الظَّالمونَ) يقول : وقال المشركون للمؤمنين بالله ورسوله (إن تتَّبِعُونِ) أيها القوم ، باتباعكم محمداً (إِلَّا رجلاً) به سحر :

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلِ فَضَلُّوا ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٩) تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا (١٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : انظر يا محمد إلى هؤلاء المشركين الذين شبهوا لك الأشباه بقولهم لك : هو مسحور ، فضلوا بذلك عن قصد السبيل ، وأخطئوا طريق الهدى والرشاد ، فلا يستطيعون : يقول : فلا يجدون سبيلاً إلى الحق ، إلا فيما بعثتك به ، ومن الوجه الذي ضلوا عنه .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس ( انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ، فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ) أى التمسوا الهدى فى غير ما بعثت بك به إليهم فضلوا ، فلن يستطيعوا أن يصيبوا الهدى فى غيره . وقال آخرون فى ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فلا يستطيعون سبيلًا ) قال : تخترجا يخرجهم من الأمثال التى ضربوا لك .

وقوله ( تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) يقول تعالى ذكره : " تقدر الذى إن شاء جعل لك خيرا من ذلك .

واختلف أهل التأويل فى المعنى « بذلك » التى فى قوله ( جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ) فقال بعضهم : معنى ذلك : خيرا مما قال هؤلاء المشركون لك يا محمد ، هلا أوتيته وأنت لله رسول ، ثم بين تعالى ذكره عن الذى لو شاء جعل له من خير مما قالوا ، فقال ( جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) .

## ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ) خيرا مما قالوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ) قال : مما قالوا ، وتمنوا لك ، فيجعل لك مكان ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار .

وقال آخرون : عني بذلك المشى فى الأسواق ، والتماس المعاش .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، فيما يرى الطبرى ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ثم قال : ( تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ) من أن تمشى فى الأسواق ، وتلتمس المعاش كما يلتمسه الناس ، ( جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ) .

قال أبو جعفر : والقول الذى ذكرناه عن مجاهد فى ذلك : أشبه بتأويل الآية ، لأن المشركين إنما استعظموا أن لا تكون له جنة يأكل منها ، وأن لا يُلْتَقَى إليه كنز ، واستنكروا أن يمشى فى الأسواق ، وهو لله رسول ، فالذى هو أولى بوعد الله إياه ، أن يكون وعدا بما هو خير ما كان عند المشركين عظيما ، لا بما



كان منكرا عندهم ، وعُني بقوله ( جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) : بساتين تجري في أصول أشجارها الأنهار .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) قال : حوائط .

وقوله ( وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ) يعني بالقصور : البيوت المبنية .  
وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ) قال : بيوتا مبنية مشيدة ، كان ذلك في الدنيا ، قال : كانت قريش ترى البيت من الحجارة قصرا كائنا ما كان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ) مشيدة في الدنيا ، كل هذا قالته قريش ، وكانت قريش ترى البيت من حجارة ما كان صغيرا قصرا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب قال : « قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : إن شئت أن نعطيك من خزائن الأرض ومفاتيحها ، ما لم يعط نبي قبلك ، ولا يعطى من بعدك ، ولا ينقص ذلك مما لك عند الله تعالى ، فقال : اجمعوها لي في الآخرة ، فأنزل الله في ذلك ( تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ) » .

القول في تأويل قوله تعالى

بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ، وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ

سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا (١٢)

يقول تعالى ذكره : ما كذب هؤلاء المشركون بالله ، وأنكروا ما جئتهم به يا محمد من الحق ، من أجل أنك تأكل الطعام ، وتمشي في الأسواق ، ولكن من أجل أنهم لا يوقنون بالمعاد ، ولا يصدقون بالثواب والعقاب ، تكذبا منهم بالقيامة ، وبعث الله الأموات أحياء لحشر القيامة . وأعدنا لمن كذب ببعث الله الأموات أحياء بعد فناءهم لقيام الساعة ، نارا تسعر عليهم ، وتتقد إذا رأتهم من مكان بعيد ، يقول : إذا رأته النار التي أعدناها هؤلاء المكذبين ، أشخاصهم من مكان بعيد ، تغيطت

(١) الظاهر أنه سقط من قلم الناسخ « أو كبيرا » كما يفيد مقابلة . والنبي في ابن كثير « صغيرا كان أو كبيرا » .

عليهم ، وذلك أن تغلى وتفور ، يقال : فلان تغيط على فلان ، وذلك إذ غضب عليه ، فغلى صدره من الغضب عليه ، وتبين في كلامه ، وزفيرا ، وهو صوتها .  
 فإن قال قائل : وكيف قيل ( سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا ) والتغيط : لا يسمع ، قيل : معنى ذلك : سمعوا لها صوت التغيط ، من التلهب والتوقد .

حدثني محمود بن خدّاش ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطي ، قال : ثنا أصبع بن زيد الوراق ، عن خالد بن كثير ، ، عن فديك ، عن رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ يَقُولُ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَّبِعُوا بَيْنَ عَيْسَىٰ جَهَنَّمَ مَقْعَدًا » قالوا : يا رسول الله ، وهل لها من عين ؟ قال : أَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ اللَّهِ ( إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ) . الآية .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر في قوله ( سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ) قال : أخبرني المنصور بن المعتمر ، عن مجاهد ، عن عبيد بن عمير ، قال : إن جهنم لتزفر زفرة لا يبيى ملك ولا نبي إلا خرّ ترعد فرائصه حتى إن إبراهيم ليجثو على ركبتيه ، فيقول : يا ربّ لا أسألك اليوم إلا نفسي .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : « إن الرجل ليُسجّر إلى النار ، فتزوى ، وينقبض بعضها إلى بعض ، فيقول لها الرحمن : مالك ؟ فتقول : إنه ليستجير مني ، فيقول : أرسلوا عبدي ، وإن الرجل ليُسجّر إلى النار ، فيقول : يا ربّ ما كان هذا الظنّ بك ؟ فيقول : فما كان ظنك ؟ فيقول : أن تسعني رحمتك ، قال : فيقول أرسلوا عبدي . وإن الرجل ليُسجّر إلى النار ، فتشهى إليه النار شهوق البغلة إلى الشعير ، وتزفر زفرة لا يبيى أحد إلا خاف . »

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا

وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (١٤)

يقول تعالى ذكره : وإذا أُلقي هؤلاء المكذّبون بالساعة من النار مكانا ضيقا ، قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال ( دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ) .  
 واختلف أهل التأويل في معنى الثُبُور ، فقال بعضهم : هو الوَيْل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ) يقول : وَيَبْلًا .



حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس :  
لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا ، يقول : لاتدعوا اليوم ويلا واحدا ، وادعوا ويلا كثيرا .  
وقال آخرون : الثبور : الهلاك .

#### ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله  
( لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا ) الثبور : الهلاك .

قال أبو جعفر : والثبور في كلام العرب : أصله انصراف الرجل عن الشيء ، يقال منه : ما تترك عن  
هذا الأمر : أي ما صرفك عنه ، وهو في هذا الموضع دعاء هؤلاء القوم بالندم ، على انصرفهم عن طاعة الله  
في الدنيا ، والإيمان بما جاءهم به نبي الله صلى الله عليه وسلم ، حتى استوجبوا العقوبة منه ، كما يقول القائل :  
واندامتاه ، واحسرتاه على ما فرطت في جنب الله . وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة  
يقول في قوله ( دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ) أي هلكة ، ويقول : هو مصدر من ثبُر الرجل : أي أهلك ،  
ويستشهد لقيله في ذلك بيت ابن الزبيرى :

إِذْ أَجَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَتَنِ الْعَسَىٰ وَمَنْ مَالٍ مَيْلَهُ مَثْبُورًا

وقوله ( لاتدعوا اليوم ) أيها المشركون ندما واحدا : أي مرة واحدة ، ولكن ادعوا ذلك كثيرا ،  
وإنما قيل ( لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا ) لأن الثبور مصدر ، والمصادر لاتجمع ، وإنما توصف  
بامتداد وقتها وكثرتها ، كما يقال : قعد قعودا طويلا ، وأكل أكلا كثيرا .

حدثنا محمد بن مرزوق ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا علي بن زيد ، عن أنس بن  
مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَوَّلُ مَنْ يَكْسَى حُلَّةً مِنَ النَّارِ إبْلِيسُ ، فَيَصْعَعُهَا  
عَلَى حَاجِبَيْهِ ، وَيَسْحَبُهَا مِنْ خَلْفِهِ ، وَذُرِّيَّتُهُ مِنْ خَلْفِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : يَا ثُبُورَاهُ ، وَهُمْ  
يُنَادُونَ يَا ثُبُورَهُمْ حَتَّى يَقِفُوا عَلَى النَّارِ ، وَهُوَ يَقُولُ : يَا ثُبُورَاهُ ، وَهُمْ يُنَادُونَ يَا ثُبُورَهُمْ  
فَيُقَالُ ( لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا ، وادعوا ثبورا كثيرا ) » .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ : أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ، كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا (١٥) لَهُمْ فِيهَا

مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ، كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا (١٦)

(١) البيت لعبد الله بن الزبيرى شاعر قریش ، الذى كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ثم خرج إليه وأسلم بعد فتح مكة ، وقال حين أسلم شعرا ، منه هذا البيت ، من مقطوعة أربعة أبيات ، أنشدها ابن إسحاق في السيرة ( طبعة الحلبي ٤ : ٦١ ) ومعنى أجارى : أبارى وأعارض . والسنن بالتحريك : وسط الطريق . ومثبور : هالك . والشاهد فيه عند المؤلف أن الثبور معناه الهلاك ، والثبور : الهالك .

\* يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالساعة : أهذه النار التي وصف لكم ربكم صفتها وصفة أهلها ، خير ؟ أم بستان الخلد الذي يدوم نعيمه ولا يبديد ، الذي وعد من اتقاه في الدنيا ، بطاعته فيما أمره ونهاه ؟ وقوله ( كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ) يقول : كانت جنة الخلد للمتقين جزاء أعمالهم لله في الدنيا بطاعته ، وثواب تقواهم إياه ، ومصيرا لهم ، يقول : ومصيرا للمتقين يصيرون إليها في الآخرة . وقوله ( لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ) يقول : لهؤلاء المتقين في جنة الخلد التي وعدهموها الله ، ما يشاءون مما تشبهه الأنفس ، وتلد الأعين ( خالدين ) فيها ، يقول : لا يثن فيها ما كثرين أبدا ، لا يزولون عنها ، ولا يزول عنهم نعيمها . وقوله ( كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعَدًّا مَسْئُولًا ) وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم ذلك في الدنيا حين قالوا ( آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ ) يقول الله تبارك وتعالى : كان إعطاء الله المؤمنين جنة الخلد التي وصف صفتها في الآخرة ، وعدا وعدهم الله على طاعتهم إياه في الدنيا ، ومسلتهم إياه ذلك : وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ( كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعَدًّا مَسْئُولًا ) قال : فسألوا الذي وعدهم وتجزوه . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعَدًّا مَسْئُولًا ) قال : سأله إياها في الدنيا ، طلبوا ذلك فأعطاهم وعدهم ، إذ سأله أن يعطيهم ، فأعطاهم ، فكان ذلك وعدا مسئولا ، كما وقت أرزاق العباد في الأرض قبل أن يخلقهم ، فجعلها أقواتا للسائلين ، وقت ذلك على مسئلتهم ، وقرأ ( وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ) . وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى قوله ( وَعَدًّا مَسْئُولًا ) إلى أنه معنى به وعدا واجبا ، وذلك أن المسئول واجب ، وإن لم يسأل كالدين ، ويقول ذلك نظير قول العرب : لأعطينك ألفا وعدا مسئولا ، بمعنى واجب لك ، فتسأله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَيَقُولُ، أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ

ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٧)

\* يقول تعالى ذكره : ويوم نحشر هؤلاء المكذبين بالساعة ، العابدين الأوثان ، وما يعبدون من دون الله من الملائكة والإنس والجن :

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ( وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) فيقول ( أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ ) قال : عيسى وعزير والملائكة .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .  
واختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأه أبو جعفر القارى وعبد الله بن كثير ( وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا  
يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ) بالياء جميعا ، بمعنى : ويوم يحشرهم ربك ، ويحشر ما يعبدون من  
دونه فيقول . وقرأته عامة قراء الكوفيين ( تَحْشُرُهُمْ ) بالنون ، فنقول . وكذلك [قرأه نافع .  
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، متقاربتا المعنى ، فأبتهما قرأ  
القارى فصيب .

وقوله ( فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ ) يقول : فيقول الله للذين كان هؤلاء المشركون  
يعبدونهم من دون الله : أأنتم أضللتهم عبادى هؤلاء : يقول : أنتم أزلتموهم عن طريق الهدى ، ودعوتموهم إلى  
الغى والضلالة ، حتى تاهوا وهلكوا ، أم هم ضلوا السبيل ، يقول : أم عبادى هم الذين ضلوا سبيل الرشده  
والحق ، وسلخوا العطب .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : سُبْحٰنَكَ مَا كَانَ يُدْبِغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ، وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ

وَأَبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (١٨)

يقول تعالى ذكره : قالت الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله وعيسى : تنزيها لك  
يا ربنا ، وتبرئة مما أضف إليك هؤلاء المشركون ، ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء نوالهم ،  
أنت ولينا من دونهم ، ولكن متعتهم بالمال يا ربنا في الدنيا والصحة ، حتى نسوا الذكر ، وكانوا قوما هلكى ،  
قد غلب عليهم الشقاء والحذلان .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ) يقول : قوم قد ذهب  
أعمالهم وهم فى الدنيا ، ولم تكن لهم أعمال صالحة .

حدثني على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله ( وَكَانُوا  
قَوْمًا بُورًا ) يقول : هلكى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد ، قوله ( وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ) يقول : هلكى ؛  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن الحسن ( وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ) قال :  
هم الذين لاخير فيهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وكانوا قوماً بوراً ) قال : يقول : ليس من الخير في شيء . البور : الذي ليس فيه من الخير شيء .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( ما كان يتنبغي لنا أن نتخذ من دونك أولياء ) فقراء ذلك عامة قراء الأمصار ( نتخذ ) بفتح النون ، سوى الحسن ، ويزيد بن القعقاع ، فإنهما قرآه ( أن نتخذ ) بضم النون ، فذهب الذين فتحوها إلى المعنى الذي بيناه في تأويله ، من أن الملائكة وعيسى ، ومن عبد من دون الله من المؤمنين ، هم الذين تبرءوا أن يكون كان لهم ولي غير الله تعالى ذكره . وأما الذين قرءوا ذلك بضم النون ، فإنهم وجهوا معنى الكلام إلى أن المعبودين في الدنيا ، إنما تبرءوا إلى الله أن يكون كان لهم أن يعبدوا من دون الله جل ثناؤه ، كما أخبر الله عن عيسى ، أنه قال : إذا قيل ( أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق - ما قلت لكم إلا ما أمرتني به : أن اعبدوا الله ربي وربكم ) .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب : قراءة من قرأه بفتح النون ، لعل ثلاث : إحداهن إجماع الحجة من القراء عليها ، والثانية أن الله جل ثناؤه ذكر نظير هذه القصة في سورة سبأ ، فقال ( ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا : سبحانك أنت وليئنا من دونهم ) ، فأخبر عن الملائكة أنهم إذا سئلوا عن عبادة من عبدهم ، تبرءوا إلى الله من ولايتهم ، فقالوا لربهم : ( أنت وليئنا من دونهم ) ، فذلك يوضح عن صحة قراءة من قرأ ذلك ( ما كان يتنبغي لنا أن نتخذ من دونك أولياء ) بمعنى : ما كان ينبغي لنا أن نتخذهم من دونك أولياء . والثالثة : أن العرب لا تدخل « من » هذه التي تدخل في الجحد إلا في الأسماء ، ولا تدخلها في الإخبار ، لا يقولون : ما رأيت أخاك من رجل ، وإنما يقولون : ما رأيت من أحد ، وما عندي من رجل ، وقد دخلت هاهنا في الأولياء ، وهي في موضع الخبر ، ولو لم تكن فيها « من » ، كان وجهها حسناً . وأما البور : فصدر واحد ، وجمع للباثر ، يقال : أصبحت منازلهم بوراً : أي خالية لأشياء فيها ، ومنه قولهم : بارت السوق ، وبار الطعام : إذا خلا من الطلاب والمشتري ، فلم يكن له طالب ، فصار كالشيء الهالك ، ومنه قول ابن الزبير :

يارسول المليك إن لساني راتق ما فتقت إذ أنا بوراً

وقد قيل : إن بور : مصدر ، كالعدل والزور والقطع ، لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث ، وإنما أريد بالبور في هذا الموضع أن أعمال هؤلاء الكفار كانت باطلة ، لأنها لم تكن لله كما ذكرنا عن ابن عباس .

(١) البيت لعبد الله بن الزبير ، قاله حين أسلم عند فتح مكة . وهو في أول المقطوعة قبل البيت الذي مضى شرحه قبل هذا . وراتق : مصلح لما أفسدت ، وأصل الرقق : السد للثوب الممزق ، بإصلاح ما تقطع منه . وفتقت : أي أفسدت من الدين ، فكل إثم فتق وتمزيق ، وكل توبة رتق وإصلاح . وبور : هالك . يقال رجل بور وبار ، وقوم بور ، وأصل البور : مصدر باريبور بوراً ، ثم وصف به ، فلزم الإفراد ، لأن المصادر لا تجمع . وقال المؤلف إنه مصدر واحد ( غير مجموع ) ، وجمع للباثر ، قال يقال : أصبحت منازلهم بوراً ، أي خالية .



## القول في تأويل قوله تعالى

فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا

\* يقول تعالى ذكره محبوا عما هو قائل للمشركين عند تبرئ من كانوا يعبدونه في الدنيا من دون الله منهم ، قد كذبوكم أيها الكافرون ، من زعمتم أنهم أضلوكم ، ودعوكم إلى عبادتهم بما تقولون ، يعني بقولكم ، يقول : كذبوكم بكذبكم .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ ) يقول الله للذين كانوا يعبدون عيسى وعزيرا والملائكة ، يكذبون المشركين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ ) قال : عيسى وعزير والملائكة ، يكذبون المشركين بقولهم .

وكان ابن زيد يقول في تأويل ذلك ، ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ ) فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ) قال : كذبوكم بما تقولون بما جاء من عند الله جاءت به الأنبياء والمؤمنون آمنوا به ، وكذب هؤلاء ، فوجه ابن زيد تأويل قوله ( فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ ) إلى : فقد كذبوكم أيها المؤمنون المكذَّبون بما جاءهم به محمد من عند الله ، بما تقولون من الحق ، وهو أن يكون خبرا عن الذين كذبوا الكافرين ، في زعمهم أنهم دعواهم إلى الضلالة ، وأمروهم بها ، على ما قاله مجاهد من القول الذي ذكرناه عنه ، أشبه وأولى ، لأنه في سياق الخبر عنهم . والقراءة في ذلك عندنا ( فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ ، بِالتَّاء ) على التأويل الذي ذكرناه ، لإجماع الحجة من قراءة الأمصار عليه . وقد حكى عن بعضهم أنه قرأه ( فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا يَقُولُونَ ) بالياء ، بمعنى : فقد كذبوكم بقولهم .

وقوله جل ثناؤه ( فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ) يقول : فما يستطيع هؤلاء الكفار صرف عذاب الله حين نزل بهم عن أنفسهم ، ولا نصرها من الله حين عذبها وعاقبها .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ) قال : المشركون لا يستطيعونه .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( *فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا* ) قال : المشركون لا يستطيعونه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( *فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا* ) قال : المشركون . قال ابن جريج : لا يستطيعون صرف العذاب عنهم ، ولا نصر أنفسهم . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( *فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا* ) قال : لا يستطيعون يصرفون عنهم العذاب الذي نزل بهم حين كذبوا ، ولا أن ينتصروا . قال : وينادي مناد يوم القيامة حين يجتمع الخلائق : مالكم لاتنصرون ، قال : من عبد من دون الله لا ينصر اليوم من عبده ، وقال العابدون من دون الله لا ينصره اليوم إله الذي يعبد من دون الله ، فقال الله تبارك وتعالى : ( *بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ* ) ، وقرأ قول الله جل ثناؤه ( *فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا* ) . ورؤى عن ابن مسعود في ذلك ما حدثنا به أحمد بن يونس ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : هي في حرف عبد الله بن مسعود ( *فَمَا يَسْتَطِيعُونَ لَكَ صَرْفًا* ) فإن تكن هذه الرواية عنه صحيحة ، صح التأويل الذي تأوله ابن زيد في قوله ( *فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ* ) ، وبصير قوله ( *فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ* ) خبرا عن المشركين أنهم كذبوا المؤمنين ، ويكون تأويل قوله حينئذ ( *فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا* ) فما يستطيع يا محمد هؤلاء الكفار لك صرفا عن الحق الذي هداه الله له ، ولا نصر أنفسهم ، مما بهم من البلاء الذي هم فيه ، بتكذيبهم إياك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ يَظْلِمِ مِّنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا (٢٠)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به ( *وَمَنْ يَظْلِمِ مِّنْكُمْ* ) أيها المؤمنون ، يعني بقوله ( *وَمَنْ يَظْلِمِ* ) ومن يشرك بالله فيظلم نفسه ، فذلك نذقه عذابا كبيرا ، كالذي ذكرنا أنا نذيقه الذين كذبوا بالساعة . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنى الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، في قوله ( *وَمَنْ يَظْلِمِ مِّنْكُمْ* ) قال : بشرك ( *نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا* ) . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله ( *وَمَنْ يَظْلِمِ مِّنْكُمْ* ) قال : هو الشرك :

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ،

وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ، أَتَصْبِرُونَ ؟ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا (٢١)



وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه على مشركي قومه الذين قالوا ( مَا هَذَا الرَّسُولِ يَا كُلُّ الطَّعَامِ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ) وجواب لهم عنه يقول لهم جل ثناؤه: وما أنكر يا محمد هؤلاء القائلون ما لهذا: الرسول يأكل الطعام ، ويمشي في الأسواق ، من أكلك الطعام ، ومشيك في الأسواق ، وأنت لله رسول ، فقد علموا أنا ما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ، ويمشون في الأسواق ، كالذي تأكل أنت وتمشي ، فليس لهم عليك بما قالوا من ذلك حجة .

فإن قال قائل : فإن « مَنْ » ليست في التلاوة ، فكيف قلت : معنى الكلام : إلا مَنْ- إنهم ليأكلون الطعام ؟ قيل : قلنا في ذلك : معناه : أن الهاء والميم في قوله : إنهم ، كناية أسماء لم تُذكر ، ولا بد لها من أن تعود على من كُنِيَ عنه بها ، وإنما ترك ذكر « مَنْ » وإظهاره في الكلام ، اكتفاء بدلالة قوله ( مِنْ الْمُرْسَلِينَ ) عليه ، كما اكتفى في قوله ( وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ) من إظهار « مَنْ » ، ولا شك أن معنى ذلك : وما منا إلا من له مقام معلوم ، كما قيل ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) ومعناه : وإن منكم إلا من هو واردها ، فقوله ( لِيَأْكُلُوا مِنَ الطَّعَامِ ) صلة لمن المتروك ، كما يقال في الكلام : ما أرسلت إليك من الناس إلا مَنْ إنه ليبلغك الرسالة ، فإنه ليبلغك الرسالة : صلة لمن .

وقوله ( وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ) يقول تعالى ذكره : وامتنحنا أيها الناس بعضكم ببعض ، جعلنا هذا نبيا ، وخصصناه بالرسالة ، وهذا مليكا ، وخصصناه بالدنيا ، وهذا فقيرا ، وحرمناه الدنيا ، لنختبر الفقير بصبره على ما حُرِّم مما أعطيه الغني ، والمملك بصبره على ما أعطيه الرسول من الكرامة ، وكيف رضى كل إنسان منهم بما أعطى ، وقَسِم له ، وطاعته ربه مع ما حُرِّم مما أعطى غيره . يقول : فمن أجل ذلك لم أعط محمدا الدنيا ، وجعلته يطلب المعاش في الأسواق ، ولأبتليكم أيها الناس ، وأختبر طاعتكم ربكم ، وإجاباتكم رسوله إلى مادعاكم إليه ، بغير عَرَض من الدنيا ترجونه من محمد أن يعطيكم على اتباعكم إياه ، لأنى لو أعطيته الدنيا ، لسارع كثير منكم إلى اتباعه ، طمعا في دنياه أن ينال منها .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، قال : ثنى عبد القدوس ، عن الحسن ، في قوله ( وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ) . . . الآية ، يقول : هذا الأعمى لو شاء الله لجعلني بصيرا مثل فلان ، ويقول هذا الفقير : لو شاء الله لجعلني غنيا مثل فلان ، ويقول هذا السقيم : لو شاء الله لجعلني صحيحا مثلا فلان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ؟ ) قال : يُمَسِّك عن هذا ، ويُوَسِّع على هذا ، فيقول : لم يعطني مثل ما أعطى فلانا ، ويبتلى بالوجع كذلك ، فيقول : لم يجعلني ربي صحيحا مثل فلان ، في أشباه ذلك من البلاء ، ليعلم من يصبر ممن يجزع .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن أبي محمد ، فيما يروى

الطبري ، عن عكرمة ، أو عن سعيد ، عن ابن عباس ، قال : وأنزل عليه في ذلك من قولهم ( ما لهدآ الرسول يا كل الطعام ويمشي في الأسواق ) . . . الآية ( وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنَّهُم لبيّاتٌ كلون الطعام ، ويمشون في الأسواق ، وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ) : أي جعلت بعضكم لبعض بلاء ، لتصبروا على ما تسمعون منهم ، وترون من خلافهم ، وتبعوا الهدى بغير أن أعطيهم عليه الدنيا ، ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي ، فلا يخالفون لفعلت ، ولكني قد أردت أن أبتلي العباد بكم ، وأبتليكم بهم .

وقوله ( وكان ربك بصيراً ) يقول : وربك يا محمد بصير بمن يجزع ، ومن يصبر على ما امتحن به

من المحن .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( وكان ربك بصيراً )

إن ربك لبصير بمن يجزع ، ومن يصبر .





# جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عن

## نَافِلِ آيِ الْقُرْآنِ

« كتاب أزلناه إليك لتخرج  
الناس من الظلمات إلى النور بإذن  
ربهم إلى صراط العزيز الحميد »  
قرآن كريم  
« ما أعلم على أديم الأرض أعلم  
من ابن جرير » .  
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المنوفى ٣١٠ سنة

الجزء التاسع عشر

الطبعة الثانية

١٣٧٢ هـ - ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بصرة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## فهارس

الجزء التاسع عشر من جامع البيان للإمام محمد بن جرير الطبري

### ١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢١	وقال الذين لا يرجون لقاءنا . . .	١	٤٤	أم تحسب أن أكثرهم يسمعون . . .	١٧
٢٢	يوم يرون الملائكة لا يبشرون . . .	١	٤٥	ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظلّ . . .	١٨
٢٣	وقدمنا إلى ما عملوا . . .	٣	٤٦	ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا . . .	١٨
٢٤	أصحاب الجنة يومئذ خير . . .	٣	٤٧	وهو الذي جعل لكم الليل لباسا . . .	٢٠
٢٥	ويوم تشقق السماء بالغمام . . .	٦	٤٨	وهو الذي أرسل الرياح بشرا . . .	٢١
٢٦	الملك يومئذ الحقّ للرحمن . . .	٦	٤٩	لنجي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا . . .	٢١
٢٧	ويوم يعرض الظالم على يديه . . .	٧	٥٠	ولقد صرفناه بينهم ليدذكروا . . .	٢٢
٢٨	يا ويلتسى ليتنى لم أتخذ فلانا . . .	٧	٥١	ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا . . .	٢٢
٢٩	لقد أضلني عن الذكر . . .	٧	٥٢	فلا تطع الكافرين وجاهدهم به . . .	٢٢
٣٠	وقال الرسول يا رب إن قومي . . .	٩	٥٣	وهو الذي مرج البحرين . . .	٢٣
٣١	وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوا . . .	٩	٥٤	وهو الذي خلق من الماء بشرا . . .	٢٥
٣٢	وقال الذين كفروا لولا نزل عليه . . .	١٠	٥٥	ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم . . .	٢٦
٣٣	ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحقّ . . .	١١	٥٦	وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا . . .	٢٧
٣٤	الذين يحشرون على وجوههم . . .	١١	٥٧	قل ما أسألكم عليه من أجر . . .	٢٧
٣٥	ولقد آتينا موسى الكتاب . . .	١٣	٥٨	وتوكل على الحيّ الذي لا يموت . . .	٢٧
٣٦	فقلنا اذهبوا إلى القوم الذين كذبوا . . .	١٣	٥٩	الذي خلق السموات والأرض . . .	٢٨
٣٧	وقوم نوح لما كذبوا الرسل . . .	١٣	٦٠	وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن . . .	٢٨
٣٨	وعادا وثمود وأصحاب الرس . . .	١٣	٦١	تبارك الذي جعل في السماء بروجا . . .	٢٩
٣٩	وكلا ضربنا له الأمثال . . .	١٣	٦٢	وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة . . .	٣٠
٤٠	ولقد أتوا على القرية التي أمطرت . . .	١٦	٦٣	وعباد الرحمن الذين يمشون على . . .	٣٢
٤١	وإذا رأوك إن يتخذونك . . .	١٧	٦٤	والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . . .	٣٥
٤٢	إن كاد ليضلنا عن آهتنا . . .	١٧	٦٥	والذين يقولون ربنا اصرف عنا . . .	٣٥
٤٣	أرأيت من اتخذ إلهه هواه . . .	١٧	٦٦	إنها ساءت مستقرا ومقاما . . .	٣٥



الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦٧	والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا . . .	٣٧	١٦	فأتيا فرعون فقولا إنا رسول . . .	٦٥
٦٨	والذين لا يدعون مع الله إلها آخر . . .	٤٠	١٧	أن أرسل معنا بني إسرائيل .	٦٥
٦٩	يضاعف له العذاب يوم القيامة . . .	٤٠	١٨	قال ألم نربك فينا وليدا . . .	٦٥
٧٠	إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا . . .	٤٠	١٩	وفعلت فعلتك التي فعلت . . .	٦٥
٧١	ومن تاب وعمل صالحا . . .	٤٠	٢٠	قال فعلتها إذا وأنا من الضالين .	٦٦
٧٢	والذين لا يشهدون الزور . . .	٤٨	٢١	ففررت منكم لما خفتكم . . .	٦٧
٧٣	والذين إذا ذكروا بآيات ربهم . . .	٥١	٢٢	وتلك نعمة تمسها على . . .	٦٨
٧٤	والذين يقولون ربنا هب لنا . . .	٥٢	٢٣	قال فرعون وما رب العالمين ؟	٦٨
٧٥	أولئك يُجزون الغرفة بما صبروا . . .	٥٤	٢٤	قال رب السموات والأرض . . .	٦٨
٧٦	خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما . . .	٥٥	٢٥	قال لمن حوله ألا تستمعون ؟	٦٩
٧٧	قل ما يعبا بكم ربي . . .	٥٥	٢٦	قال ربكم ورب آبائكم الأولين . . .	٦٩
<u>سورة الشعراء</u>					
١	طسم .	٥٨	٢٧	قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم . . .	٦٩
٢	تلك آيات الكتاب المبين .	٥٨	٢٨	قال رب المشرق والمغرب وما بينهما . . .	٦٩
٣	لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين .	٥٨	٢٩	قال لئن اتخذت إلها غيري . . .	٦٩
٤	إن نشأ نزل عليهم من السماء آية . . .	٥٩	٣٠	قال أو لو جئتكم بشيء مبين .	٧٠
٥	وما يأتيهم من ذكر من الرحمن . . .	٦٢	٣١	قال فأتت به إن كنت من الصادقين .	٧٠
٦	فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا . . .	٦٢	٣٢	فألقي عصاه فإذا هي ثعبان مبين .	٧٠
٧	أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها . . .	٦٣	٣٣	ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين .	٧٠
٨	إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم . . .	٦٣	٣٤	قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم .	٧١
٩	وإن ربك لهو العزيز الرحيم .	٦٣	٣٥	يريد أن يخرجكم من أرضكم . . .	٧١
١٠	وإذ نادى ربك موسى . . .	٦٣	٣٦	قالوا أرجه وأخاه . . .	٧١
١١	قوم فرعون ألا يتقون .	٦٤	٣٧	يأتوك بكل سخار عليم . . .	٧١
١٢	قال رب إني أخاف أن يكذبون .	٦٤	٣٨	فجمع السحرة لميقات يوم معلوم . . .	٧٢
١٣	ويضيق صدري ولا ينطق لساني . . .	٦٤	٣٩	وقيل للناس هل أنتم مجتمعون .	٧٢
١٤	ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون .	٦٤	٤٠	لعلنا نتبع السحرة . . .	٧٢
١٥	قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم . . .	٦٥	٤١	فلما جاء السحرة قالو الفرعون . . .	٧٢
			٤٢	قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين .	٧٢
			٤٣	قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون .	٧٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٤	فَأَلْقُوا حِجَالَهُمْ وَعَصِيهِمْ . . .	٧٢	٧٢	قال هل يسمعونكم إذ تدعون ؟	٨٣
٤٥	فَأَلْتَقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ . . .	٧٣	٧٣	أو ينفعونكم أو يضرون ؟	٨٣
٤٦	فَأَلْتَقَىٰ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ .	٧٣	٧٣	قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ؟	٨٣
٤٧	قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ .	٧٣	٧٣	قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون ؟	٨٤
٤٨	رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ .	٧٣	٧٣	أنتم وآباؤكم الأقدمون .	٨٤
٤٩	قال آمنتم له قبل أن آذن لكم . . .	٧٣	٧٣	فإنهم عدو لي إلا رب العالمين .	٨٤
٥٠	قالوا لاضير إنا إلى ربنا منقلبون .	٧٣	٧٣	الذى خلقنى فهو يهدين .	٨٥
٥١	إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا . . .	٧٤	٧٤	والذى هو يطعمنى ويسقئ .	٨٥
٥٢	وأوحينا إلى موسى أن أسر . . .	٧٤	٧٤	وإذا مرضت فهو يشفين .	٨٥
٥٣	فأرسل فرعون في المدائن . . .	٧٤	٧٤	والذى يميتنى ثم يحيينى .	٨٥
٥٤	إن هؤلاء لشر ذمة قليلون .	٧٤	٧٤	والذى أطمع أن يغفر لى . . .	٨٥
٥٥	وإنهم لنا لغائظون .	٧٤	٧٤	رَبِّ هَبْ لى حَكْمًا، وَالْحَقْنى بِالصَّالِحِينَ .	٨٥
٥٦	وإنا لجمع حاذرون .	٧٤	٧٤	واجعل لى لسان صدق فى الآخرين .	٨٥
٥٧	فأخرجناهم من جنات وعيون .	٧٨	٧٨	واجعلنى من ورثة جنة النعيم .	٨٦
٥٨	وكنوز ومقام كريم .	٧٨	٧٨	واغفر لأبى إنه كان من الصالحين .	٨٦
٥٩	كذلك وأورثناها بنى إسرائيل .	٧٨	٧٨	ولا تحزنى يوم يُبعثون .	٨٦
٦٠	فأتبعوهم مُشْرِقِينَ .	٧٨	٧٨	يوم لا ينفع مال ولا بنون .	٨٦
٦١	فلما تراءى الجمعان . . .	٧٨	٧٨	إلا من أتى الله بقلب سليم .	٨٦
٦٢	قال كلاً إن معى ربى سيهدين .	٧٨	٧٨	وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ .	٨٧
٦٣	فأوحينا إلى موسى . . .	٧٨	٧٨	وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ .	٨٧
٦٤	وأزلفنا ثم الآخرين .	٨١	٨١	وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون .	٨٧
٦٥	وأنجينا موسى ومن معه أجمعين .	٨١	٨١	من دون الله هل ينصرونكم . . . ؟	٨٧
٦٦	ثم أغرقنا الآخرين .	٨١	٨١	فككبوا فيها هم والغاوون .	٨٧
٦٧	إن فى ذلك آية وما كان أكثرهم . . .	٨١	٨١	وجنود إبليس أجمعون .	٨٧
٦٨	وإن ربك ذو العزيز الرحيم .	٨١	٨١	قالوا وهم فيها يختصمون .	٨٨
٦٩	واتل عليهم نبأ إبراهيم .	٨٣	٨٣	تالله إن كنا لى ضلال مبين .	٨٨
٧٠	إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ؟	٨٣	٨٣	إذ نسويكم رب العالمين .	٨٨
٧١	قالوا نعبد أصناما ، فنظّل لها عاكفين .	٨٣	٨٣	وما أضلنا إلا الحجر من .	٨٩



الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠٠	فما لنا من شافعين .	٨٩	١٢٨	أتبنون بكل ربيع آية ؟	٩٣
١٠١	ولا صديق حميم .	٨٩	١٢٩	وتتخذون مصانع لعلكم .	٩٣
١٠٢	فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين .	٨٩	١٣٠	وإذا بطشتم بطشتم جبارين .	٩٣
١٠٣	إن في ذلك لآية ، وما كان أكثرهم . . .	٨٩	١٣١	فاتقوا الله وأطيعون .	٩٦
١٠٤	وإن ربك هو العزيز الرحيم .	٨٩	١٣٢	واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون .	٩٦
١٠٥	كذبت قوم نوح المرسلين .	٩٠	١٣٣	أمدكم بأنعام وبنين .	٩٦
١٠٦	إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون ؟	٩٠	١٣٤	وجنات وعيون .	٩٦
١٠٧	إني لكم رسول أمين .	٩٠	١٣٥	إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم .	٩٦
١٠٨	فاتقوا الله وأطيعون .	٩٠	١٣٦	قالوا سواء علينا أوعظت . . .	٩٧
١٠٩	وما أسألكم عليه من أجر . . .	٩٠	١٣٧	إن هذا إلا خلق الأولين .	٩٧
١١٠	فاتقوا الله وأطيعون .	٩٠	١٣٨	وما نحن بمعذبين .	٩٧
١١١	قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ؟	٩٠	١٣٩	فكذبوه فأهلكناهم . . .	٩٨
١١٢	قال وما علمي بما كانوا يعملون ؟	٩٠	١٤٠	وإن ربك هو العزيز الرحيم .	٩٨
١١٣	إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون ؟	٩٠	١٤١	كذبت ثمود المرسلين .	٩٨
١١٤	وما أنا بطارد المؤمنين .	٩١	١٤٢	إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون ؟	٩٨
١١٥	إن أنا إلا نذير مبين .	٩١	١٤٣	إني لكم رسول أمين .	٩٨
١١٦	قالوا لئن لم تنته يا نوح . . .	٩١	١٤٤	فاتقوا الله وأطيعون .	٩٩
١١٧	قال رب إن قومي كذبون .	٩١	١٤٥	وما أسألكم عليه من أجر . . .	٩٩
١١٨	فافتح بيني وبينهم فتحا . . .	٩١	١٤٦	أتركون في ما هاهنا آمنين .	٩٩
١١٩	فأنجيناه ومن معه في الفلك . . .	٩١	١٤٧	في جنات وعيون .	٩٩
١٢٠	ثم أغرقنا بعد الباقين .	٩١	١٤٨	وزروع ونخل طلعها هضيم .	٩٩
١٢١	إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم . . .	٩٢	١٤٩	وتنحيتون من الجبال بيوتا فارهين .	٩٩
١٢٢	وإن ربك هو العزيز الرحيم .	٩٢	١٥٠	فاتقوا الله وأطيعون .	٩٩
١٢٣	كذبت عاد المرسلين .	٩٢	١٥١	ولا تطيعوا أمر المسرفين .	١٠٢
١٢٤	إذ قال لهم أخوهم هود . . .	٩٢	١٥٢	الذين يفسدون في الأرض . . .	١٠٢
١٢٥	إني لكم رسول أمين .	٩٢	١٥٣	قالوا إنما أنت من المسحرين .	١٠٢
١٢٦	فاتقوا الله وأطيعون .	٩٣	١٥٤	ما أنت إلا بشر مثلنا . . .	١٠٣
١٢٧	وما أسألكم عليه من أجر . . .	٩٣	١٥٥	قال : هذه ناقة لها شرب . . .	١٠٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٥٦	ولا تمسوها بسوء . . .	١٠٣	١٨٤	واتقوا الله الذي خلقكم . . .	١٠٨
١٥٧	ففقروها فأصبحوا نادمين .	١٠٤	١٨٥	قالوا إنما أنت من المسحرين .	١٠٨
١٥٨	فأخذهم العذاب . . .	١٠٤	١٨٦	وما أنت إلا بشر مثلنا . . .	١٠٨
١٥٩	وإن ربك هو العزيز الرحيم .	١٠٤	١٨٧	فأسقط علينا كسفا من السماء . . .	١٠٨
١٦٠	كذبت قوم لوط المرسلين .	١٠٤	١٨٨	قال ربي أعلم بما تعملون . . .	١٠٩
١٦١	إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون ؟	١٠٤	١٨٩	فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلّة .	١٠٩
١٦٢	إني لكم رسول أمين .	١٠٤	١٩٠	إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم . . .	١١١
١٦٣	فاتقوا الله وأطيعون .	١٠٤	١٩١	وإن ربك هو العزيز الرحيم .	١١١
١٦٤	وما أسألكم عليه من أجر . . .	١٠٤	١٩٢	وإنه لتنزيل رب العالمين .	١١١
١٦٥	أتأتون الذكّران من العالمين ؟	١٠٥	١٩٣	نزل به الروح الأمين .	١١١
١٦٦	وتلدرون ما خلق لكم ربكم . . .	١٠٥	١٩٤	على قلبك لتكون من المنذرين .	١١١
١٦٧	قالوا لئن لم تنته يا لوط . . .	١٠٥	١٩٥	بلسان عربي مبين .	١١١
١٦٨	قال إني لعلمكم من القالين .	١٠٥	١٩٦	وإنه لفي زبر الأولين .	١١٢
١٦٩	رب نجني وأهلي مما يعملون .	١٠٦	١٩٧	أو لم يكن لهم آية . . .	١١٢
١٧٠	فأنجيناه وأهله أجمعين .	١٠٦	١٩٨	ولو نزلناه على بعض الأعجمين .	١١٢
١٧١	إلا عجوزا في الغابرين .	١٠٦	١٩٩	فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين .	١١٢
١٧٢	ثم دمرنا الآخرين .	١٠٦	٢٠٠	كذلك سلكناه في قلوب المجرمين .	١١٢
١٧٣	وأمطرنا عليهم مطرا . . .	١٠٦	٢٠١	لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم .	١١٢
١٧٤	إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم . . .	١٠٦	٢٠٢	فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون .	١١٦
١٧٥	وإن ربك هو العزيز الرحيم .	١٠٦	٢٠٣	فيقولوا هل نحن منظرون ؟	١١٦
١٧٦	كذب أصحاب الأيكة المرسلين .	١٠٦	٢٠٤	أفبعذابنا يستعجلون ؟	١١٦
١٧٧	إذ قال لهم شعيب ألا تتقون ؟	١٠٦	٢٠٥	أفرأيت إن متعناهم سنين ؟	١١٦
١٧٨	إني لكم رسول أمين .	١٠٦	٢٠٦	ثم جاءهم ما كانوا يوعدون .	١١٦
١٧٩	فاتقوا الله وأطيعون .	١٠٦	٢٠٧	ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون .	١١٦
١٨٠	وما أسألكم عليه من أجر .	١٠٧	٢٠٨	وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون .	١١٧
١٨١	أوفوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين .	١٠٧	٢٠٩	ذكرى وما كنا ظالمين .	١١٧
١٨٢	وزنوا بالقسطاس المستقيم .	١٠٨	٢١٠	وما تنزلت به الشياطين .	١١٧
١٨٣	ولا تبخسوا الناس أشياءهم .	١٠٨	٢١١	وما ينبغى لهم وما يستطيعون .	١١٧



الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢١٢	إنهم عن السمع لمعزولون .	١١٧	١١	إلا من ظلم ثم بدّل حسناً . . .	١٣٥
٢١٣	فلا تدع مع الله إلهاً آخر . . .	١١٨	١٢	وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء . . .	١٣٨
٢١٤	وأندر عشيرتك الأقربين .	١١٨	١٣	فلما جاءتهم آياتنا مبصرة . . .	١٣٩
٢١٥	واخفض جناحك لمن اتبعك . . .	١١٨	١٤	وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم . . .	١٣٩
٢١٦	فإن عصوك فقل إني بريء . . .	١٢٣	١٥	ولقد آتينا داود وسليمان علماً . . .	١٤٠
٢١٧	وتوكل على الله العزيز الرحيم .	١٢٣	١٦	وورث سليمان داود . . .	١٤١
٢١٨	الذي يراك حين تقوم .	١٢٣	١٧	وحشّر لسليمان جنوده . . .	١٤١
٢١٩	وتقلبك في الساجدين .	١٢٣	١٨	حتى إذا أتوا على واد النمل . . .	١٤٢
٢٢٠	إنه هو السميع العليم . . .	١٢٣	١٩	فتبسم ضاحكاً من قولها . . .	١٤٣
٢٢١	هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ؟	١٢٥	٢٠	وتفقد الطير . . .	١٤٣
٢٢٢	تنزل على كل أفك أثيم .	١٢٥	٢١	لأعذبه عذاباً شديداً . . .	١٤٣
٢٢٣	يلقون السمع وأكثرهم كاذبون .	١٢٥	٢٢	فكث غير بعيد فقال أحطت . . .	١٤٧
٢٢٤	والشعراء يتبعهم الغاؤون .	١٢٦	٢٣	إني وجدت امرأة تملكهم . . .	١٤٨
٢٢٥	ألم تر أنهم في كل واد يهيمون .	١٢٦	٢٤	وجللتها وقومها يسجدون للشمس . . .	١٤٨
٢٢٦	وأنتهم يقولون ما لا يفعلون .	١٢٦	٢٥	ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء . . .	١٤٩
٢٢٧	إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٢٦	٢٦	الله لا إله إلا هو ربّ العرش العظيم .	١٤٩
<u>سورة النمل</u>					
١	طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين .	١٣١	٢٧	قال سننظر أصدقت . . .	١٥١
٢	هدى وبشرى للمؤمنين .	١٣١	٢٨	أذهب بكتابي هذا فألقه إليهم . . .	١٥١
٣	الذين يقيمون الصلاة . . .	١٣١	٢٩	قالت يا أيها الملأ إني أتيتي لى . . .	١٥٢
٤	إنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة . . .	١٣٢	٣٠	إنه من سليمان . . .	١٥٢
٥	أولئك لهم سوء العذاب . . .	١٣٢	٣١	ألا تعلوا علىّ وأتوني مسلمين .	١٥٢
٦	وإنك لتسقى القرآن من لدن . . .	١٣٢	٣٢	قالت يا أيها الملأ أفنتوني في أمرى . . .	١٥٣
٧	إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا .	١٣٢	٣٣	قالوا نحن أولوا قوة . . .	١٥٣
٨	فلما جاءها نودي أن بورك . . .	١٣٢	٣٤	قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية . . .	١٥٤
٩	يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم .	١٣٥	٣٥	وإني مرسله إليهم بهدية . . .	١٥٥
١٠	وألق عصاك ، فلما رآها تهتز . . .	١٣٥	٣٦	فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال . . .	١٥٥
			٣٧	ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود . . .	١٥٥
			٣٨	قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها . . .	١٥٨

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٩	قال عفريت من الجن . . .	١٥٨	٤٨	وكان في المدينة تسعة رهط . . .	١٧١
٤٠	قال الذي عنده علم من الكتاب . . .	١٥٨	٤٩	قالوا تقاسموا بالله لنبيته وأهله . . .	١٧١
٤١	قال نكروا لها عرشها . . .	١٦٥	٥٠	ومكروا مكرا ومكرنا مكرا . . .	١٧٣
٤٢	فلما جاءت قيل أهكذا عرشك . . ؟	١٦٦	٥١	فانظر كيف كان عاقبة مكرهم . . .	١٧٣
٤٣	وصدّها ما كانت تعبد من دون الله . .	١٦٧	٥٢	فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا . . .	١٧٤
٤٤	قيل لها ادخلي الصرح . . .	١٦٨	٥٣	وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون .	١٧٤
٤٥	ولقد أرسلنا إلى ثمود . . .	١٧٠	٥٤	ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة . . .	١٧٥
٤٦	قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة . . ؟	١٧٠	٥٥	أئنكم لتأتون الرجال شهوة . . .	١٧٥
٤٧	قالوا اطيرنا بك وبمن معك . . .	١٧١			



## ٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٩٠ قصة نوح عليه السلام مع قومه .	١ تأويل قوله تعالى « وقال الذين لا يرجون لقاءنا » ، وأن رؤية الملائكة لاتصلح لعموم الناس إلا في الدار الآخرة .
٩٢ قصة هود عليه السلام مع قومه .	٥ ينتهى الحساب يوم القيامة في نصف يوم ، حتى يقبل أصحاب الجنة في منازلهم .
٩٨ خبر ثمود مع صالح عليه السلام .	٧ ما كانت عليه قريش من إضلال بعضهم بعضا وطعنهم في القرآن .
١٠٤ خبر لوط مع قومه .	١١ فوائد نزول القرآن على حسب الوقائع .
١٠٦ خبر شعيب مع أصحاب الأيكة .	١٣ خبر أصحاب الرس .
١١٣ من كان يعلم من بني إسرائيل صدق النبي ، وأن كفار قريش كان كفرهم عنادا ، حتى لو نزل هذا القرآن على بعض الحيوانات العجم ، وقرأه عليهم ما آمنوا .	٢٤ معنى البرزخ .
١١٨ ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة عشيرته	٢٦ الكافر يظاهر الشيطان على ربه .
١٢٦ ذم الشعراء قاصر على شعراء المشركين ومن كان على صفتهم .	٣٣ تأويل قوله « وعباد الرحمن » . . . الآية .
تفسير سورة النمل	٣٤ فضيلة الحلم والتأني .
١٤١ ما أوتي سليمان من سعة الملك .	٣٥ عذاب جهنم يلزم الإنسان كالغريم .
١٤٣ السبب في تفقد سليمان الطير ، وذكر بعض خصال للهدد .	٣٧ تحلى المؤمنين عن وصفي الإسراف والتقتير .
١٤٧ سبأ وملكتهم .	٤٠ تأويل قوله تعالى « والذين لا يدعون مع الله إلها آخر » .
١٥٢ كتاب سليمان إلى بلقيس واستشارتها قومها .	٤١ كبائر الذنوب .
١٥٥ الهدية التي أرسلتها بلقيس إلى سليمان .	٤٢ التوفيق بين هذه الآية وآية « ومن يقتل مؤمنا » الخ .
١٥٩ من أحضر عرشها لسليمان .	٤٩ محاسن الغضب عن سفساف الأمور .
١٦٥ كيفية تنكير العرش وما قيل فيه .	تفسير سورة الشعراء
١٧٢ التسعة الذين كانوا يفسدون في الأرض من قوم صالح .	٦٤ قصة موسى عليه السلام مع فرعون .
	٨٣ قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه .

## ٣ - فهرس القوافى

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	ع	١١٦	تَبَسَّرِدُ		ا
١٤٢	وَأَزِعُ	١٠٧	بِالِإِثْمِ	٦٥	مُنْتَهَاهَا
٣١	بَجَمَاعَا	٤٥	مُوقِدِ	٣٧	لَا يَبْرَاهَا
٣١	بَيْعَا	٨١	أَطْوَادِ		ب
٢٨	انْقِطَاعَا		ر		
	ف	٧٧	حَدِرُ	٥٢	الْحَضَابُ
٦٠	المُسَجِّفُ	٦٩	تَنْتَظِرُ	٥٢	الجَلْبَابُ
٥٦	اللَّقِيفُ	٢	المَحْجَرُ	٥٢	الأَرْكَابُ
١٣٥	أَسْدَا	٥٨	المَقَادِرُ	٥٢	لُعَابُ
١٣٥	رُجْنَا	١٤٩	الدَّهْرِ	٥٩	فَتَصَوَّبُوا
١٣٥	خَيْطِنَا	١٠٣	المُسْحَرِ	١٥٦	تُرَابِ
٨١	فَزَلْنَا	٢١	النَّاشِرِ	١٠١	الطَّلَبِ
٨١	أَحْقَوْقَا	٣١	وَأَحْجَارِ	٣٦	تَأْوِيبِ
٤٧	الْوَجِيفَا	٥٤	بِأَمِيرِ	٣٩	وَمُنْتَقَبَا
	ق		س		ت
٧٥	أَخْلَاقُ		الْقَمَرَسُ	١٤٢	الْفَتَاةُ
٧٥	التَّوَاقُ	١١٦	عَرَّوسُ	٦١	الْكُثْمَاةُ
٦٠	خَيْفَقُ	٥٥	الدَّهَارِيسُ	٦٠	أُبْعَدَتُ
٦٠	المُوقِقُ	٢	القَبَسِ		ج
٩٣	يَبْرَقَرِقُ	١٣٣	الجَوَامِيسِ	٢٣	مَمْرَجَا
١٣٩	فَرُوقُ	١٤٧	الرَّسَاسَا		د
٨٣	وَالْأَبْقَا	١٤		١١٦	لَا تَرِدُ



الجزء التاسع عشر

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
٣٢	مَجْسَمٌ	٣٥	لَا يُبَالِي	٣	ل
٣٦	غَرَامَا	٥٧	وَقِتَالَا	٣	الضَّلَالُ
	ن		م	٣	وَقَالُوا
٦٨	وَعَبْدَانُ	١١٣	عَجْمٌ	٣	حَلَالُ
٧٥	وَاحِدِينَا	٤٠	أَثَامُ	٩٣	أَلْهِنَا
	ي	٦١	طَاعِمُ	١٠٨	الْجَبِيلُ
١١٤	دَوَّارِي	٦٠	الدَّمُ	٦٥	بِرَسُولِ
				٦٢	الْهِلَالِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا : لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ، لَقَدْ

اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا (٢١)

يقول تعالى ذكره : وقال المشركون الذين لا يخافون لقاءنا ، ولا يخشون عقابنا ، هلا أنزل الله علينا ملائكة ، فتحبرنا أن محمداً حقّ فيما يقول ، وأن ما جاءنا به صدق ، أو نرى ربنا ، فيخبرنا بذلك ، كما قال جل ثناؤه مخبراً عنهم (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَائِدَةٌ مِّنَ السَّمَاءِ) . ثم قال بعد ( أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ) بالله والملائكة قبيلاً ) يقول الله : لقد استكبر قائلو هذه المقالة في أنفسهم ، وتعظّموا : ( وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا ) يقول : وتجاوزوا في الاستكبار بقيلهم ذلك حدّه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال كفار قريش : لولا أنزل علينا الملائكة ، فيخبرونا أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد استكبروا وعتوا عتوا ؛ لأن عتوا من ذوات الواو ، فأخرج مصدره على الأصل بالواو ، وقيل في سورة مريم ( وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ) وإنما قيل ذلك كذلك ، لموافقة المصادر في هذا الوجه جمع الأسماء ، كقولهم : قعد قعوداً ، وهم قوم قعود ، فلما كان ذلك كذلك ، وكان العاني يجمع عتياً بناء على الواحد ، جعل مصدره أحياناً موافقاً لجمعه ، وأحياناً مردوداً إلى أصله .

القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ، وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا (٢٢)

يقول تعالى ذكره : يوم يرى هؤلاء الذين قالوا : لولا أنزل علينا الملائكة ، أو نرى ربنا بتصديق



محمد الملائكة ، فلا بُشِّرِي لهم يومئذ بخير (يَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) يعنى أن الملائكة يقولون للمجرمين : حجرا محجورا ، حراما محرما عليكم اليوم البشري ، أن تكون لكم من الله ؛ ومن الحجر قول المتلمس : حنَّتُ إلى نَخْلَةِ الْقُصُوصِ فَقُلْتُ لَهَا حِجْرٌ حَرَامٌ أَلَا تِلْكَ الدَّهَارِيسُ<sup>١</sup> ومنه قولهم : حَجَرَ الْقَاضِي عَلَى فُلَانٍ ، وَحَجَرَ فُلَانٌ عَلَى أَهْلِهِ ؛ وَمِنْهُ حِجْرُ الْكَعْبَةِ ، لِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ إِلَيْهِ فِي الطَّوَافِ ، وَإِنَّمَا يَطَافُ مِنْ وَرَائِهِ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الْآخِرِ : فَهَمَمْتُ أَنْ أَلْفِيَ إِلَيْهَا مَحْجِرًا فَلَمِثْلُهَا يُلْقَى إِلَيْهِ الْمَحْجِرُ<sup>٢</sup> أى مثلها يُركب منه المحرّم .

واختلف أهل التأويل في المحرّم عنهم بقوله ( وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ) ومن قائلوه ؟ فقال بعضهم : قائلو ذلك الملائكة للمجرمين ، نحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن الأجلح ، قال : سمعت الضحاك ابن مزاحم ، وسأله رجل عن قول الله ( وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ) قال : تقول الملائكة : حراما محرما أن تكون لكم البشري .

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنا أبي ، عن جدي ، عن الحسن ، عن قتادة : ( وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ) قال : هى كلمة كانت العرب تقولها ، كان الرجل إذا نزل به شدة قال : حِجْرًا يقول : حراما محرما .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله ( لَا بُشِّرِي يَوْمَئِذٍ لِلسُّعِيرِ مِيزِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ) لما جاءت زلازل الساعة ، فكان من زلازله أن السماء انشقت ، ( فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ، وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا ) على شفة كل شىء تشقق

(١) البيت للمتلمس جرير بن عبد المسيح ( عن معجم ما استمع لأبي عبيد البكرى : رسم نخلة ) . . وحننت : اشتاقت . وفى ( اللسان : دهرس ) : حجت . ونخلة القصوى : موضع على ليلة من مكة . وقيل : هى نخلة الشامية ونخلة إيمانية ؛ فالشامية : واد ينصب من الغمير . وإيمانية : واد ينصب من بطن قرن المنازل ، وهو طريق اليمن إلى مكة . وحجر : مثلث الحاء بمعنى حرام ، وفى معجم البكرى : يسئل عليك ، وهو الحرام أيضا . والدعاريس جمع دهرس ، مثلث الدال ، وهى الداهية ( عن اللسان ) . والبيت من شواهد أبي عبيدة فى مجاز القرآن ( الورقة ١٦٧ من مصورة الجامعة رقم ٢٦٠٥٩ ) وعنه أخذ المؤلف .

(٢) البيت لحميد بن ثور الهلالى ( اللسان : حجر . والديوان طبعة دار الكتب المصرية ص ٨٤ ) . وفى رواية الديوان واللسان : أغشى فى موضع : ألقى . والمحجر : الحرام . قال فى اللسان : مثلها يؤق إلى الحرام . وقبل البيت ثلاثة أبيات ، وهى :  
لَمْ أَلْقَ عَمْرَةَ بَعْدَ إِذْ هِيَ نَاشِيَةٌ      خَرَجْتُ مُعْطَفَةً عَلَيْهَا مُتَزَّرٌ  
بَرَزَتْ عَقِيلَةَ أَرْبَعٍ هَادِيْنَهَا      بِيضِ الْوُجُوهِ كَأَنَّهُنَّ الْعُنُقُرُ  
ذَهَبَتْ بِعَقْلِكَ رِيْطَةً مَطْوِيَةً      وَهِيَ الَّتِي تُهْدَى بِهَا لَوْ تَشْعُرُ

والبيت : شاهد على أن المحجر الحرام . وقال الفراء فى معانى القرآن ( الورقة ٢٢٤ من مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩ ) : ألقى : من لقيت أى مثلها يركب منه المحرم . وعنه أخذ المؤلف .

من السماء ، فذلك قوله ( يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ ) : يعنى الملائكة تقول للمجرمين : حراما محرما ايها المجرمون ، أن تكون لكم البشري اليوم حين رأيتمونا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ( يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ ) قال : يوم القيامة ( وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ) قال : عَوْذًا مَعَاذًا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، مثله ، وزاد فيه : الملائكة تقوله .

وقال آخرون : ذلك خبر من الله عن قيل المشركين إذا عاينوا الملائكة :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ، وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ) قال ابن جريج : كانت العرب إذا كرهوا شيئا قالوا حجرا ، فقالوا حين عاينوا الملائكة . قال ابن جريج : قال مجاهد : ( حِجْرًا ) : عَوْذًا ، يستعيذون من الملائكة .

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك ، من أجل أن الحِجْر هو الحرام ، فعلوم أن الملائكة هي التي تخبر أهل الكفر أن البشري عليهم حرام . وأما الاستعاذة ، فإنها الاستجارة ، وليست بتحريم ، ومعلوم أن الكفار لا يقولون للملائكة حرام عليكم ، فيوجه الكلام إلى أن ذلك خبر عن قيل المجرمين للملائكة :

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُمْ نَارًا مَّثُورًا (٢٣) أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا (٢٤)

يقول تعالى ذكره : وقدمنا : وعمدنا إلى ما عمل هؤلاء المجرمون من عمل ؛ ومنه قول الراجز :

وَقَدِمَ الْخَوَارِجُ الضَّلَالُ إِلَىٰ عِبَادِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا  
إِنَّ دِمَاءَكُمْ لَنَا حَلَالٌ

يعنى بقوله : قدم : عمد :

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

(١) الراجز من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ( الورقة ١٦٧ مصورة الجامعة ٢٦٠٥٩ ) . وقدم إلى الشيء : عمد إليه وقصد . وهو

عمل الشاهد عند المؤلف .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله : ( وَقَدِمْنَا ) قال : محمدنا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، وقوله ( فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ) يقول : فجعلناه باطلا ، لأنهم لم يعملوه لله ، وإنما عملوه للشيطان . والهباء : هو الذي يرمى كهيئة الغبار إذا دخل ضوء الشمس من كوة ، يحسبه الناظر غبارا ، ليس بشيء تقبض عليه الأيدي ولا تمسه ، ولا يرمى ذلك في الظل .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد ، قال : ثنا شعبة ، عن مياك ، عن عكرمة : أنه قال في هذه الآية : ( هَبَاءً مَنْثُورًا ) قال : الغبار الذي يكون في الشمس .  
حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عليه ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله ( وَقَدِمْنَا ) ما عمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ) قال : الشعاع في كوة أحدهم ، إن ذهب يقبض عليه لم يستطع .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( هَبَاءً مَنْثُورًا ) قال : شعاع الشمس من الكوة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله ( هَبَاءً مَنْثُورًا ) قال : ما رأيت شيئا يدخل البيت من الشمس ، تُدْخِلُهُ مِنَ الْكُوَّةِ ، فهو الهباء .  
وقال آخرون : بل هو ما تسفيه الرياح من التراب ، وتذروه من حطام الأشجار ، ونحو ذلك .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قوله ( هَبَاءً مَنْثُورًا ) قال : ما تسفي الرياح وتبششه .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( هَبَاءً مَنْثُورًا ) قال : هو ما تذر الرياح من حطام هذا الشجر .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( هَبَاءً مَنْثُورًا ) قال : الهباء : الغبار .

وقال آخرون : هو الماء المتهراق .

## ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( هَبَاءٌ مَنْشُورًا ) يقال : الماء المهراق .  
وقوله جل ثناؤه ( أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) يقول تعالى ذكره :  
أهل الجنة يوم القيامة خير مستقرًا ، وهو الموضع الذي يستقرون فيه من منازلهم في الجنة ، من مستقر هؤلاء  
المشركين ، الذين يفتخرون بأموالهم ، وما أوتوا من عَرَضِ هذه الدنيا في الدنيا ، وأحسن منهم فيها مَقِيلًا .  
فإن قال قائل : وهل في الجنة قائلة ؟ فيقال ( وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) فيها ؟ قيل : معنى ذلك : وأحسن فيها  
قرارا في أوقات قائلتهم في الدنيا ، وذلك أنه ذكر أن أهل الجنة لا يمر فيهم في الآخرة إلا قدر ميقات النهار ، من  
أوله إلى وقت القائلة ، حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة ، فذلك معنى قوله ( وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) .

## ذكر الرواية عن قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) يقول : قالوا في الغرف في الجنة ، وكان  
حسابهم أن عَرَضُوا على ربهم عَرَضَةً واحدة ، وذلك الحساب اليسير ، وهو مثل قوله ( فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ  
كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ، وَيَنْتَقِلُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ) .  
حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، في قوله ( أَصْحَابُ الْجَنَّةِ  
يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) قال : كانوا يرون أنه يفرغ من حساب الناس يوم القيامة  
في نصف النهار ، فيقبل هؤلاء في الجنة ، وهؤلاء في النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ  
خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) قال : لم ينتصف النهار حتى يقضى الله بينهم ، فيقبل أهل الجنة في الجنة ،  
وأهل النار في النار . قال : وفي قراءة ابن مسعود : ثم إن مَقِيلَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ  
خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) قال : قال ابن عباس : كان الحساب من ذلك في أوله ، وقال القوم  
حين قالوا في منازلهم من الجنة ، وقرأ ( أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث أن سعيدا الصواف حدثه ، أنه بلغه  
أن يوم القيامة يُقَضَى على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس ، وأنهم يتقبلون في رياض  
الجنة ، حتى يُفْرَغَ من الناس ، فذلك قول الله ( أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) .  
قال أبو جعفر : وإنما قلنا : معنى ذلك : خير مستقرًا في الجنة منهم في الدنيا ، لأن الله تعالى ذكره عمّ  
بقوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلا ، جميع أحوال الجنة في الآخرة ، أنها خير في الاستقرار  
فيها ، والقائلة من جميع أحوال أهل النار ، ولم يخص بذلك أنه خير من أحوالهم في النار دون الدنيا ، ولا



في الدنيا دون الآخرة ، فالواجب أن يَعْمَمَ كما عمَّ ربنا جل ثناؤه ، فيقال أصحاب الجنة يوم القيامة خير مستقرّ في الجنة من أهل النار في الدنيا والآخرة ، وأحسن منهم مقبلا . وإذا كان ذلك معناه ، صحّ فساد قول من توهم أن تفضيل أهل الجنة بقول الله ( حَسْبِرُ مُسْتَقَرًّا ) على غير الوجه المعروف من كلام الناس بينهم في قولهم : هذا خير من هذا ، وهذا أحسن من هذا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّ وَنُزُلِ الْمَلَائِكَةِ تَنْزِيلًا (٢٥) الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ  
لِلرَّحْمَنِ، وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (٢٦)

اختلف القراء في قراءة قوله ( تَشْقُقُ ) فقراءته عامة قراء الحجاز ( وَيَوْمَ تَشْقُقُ ) بتشديد الشين بمعنى : تَشْقُقُ ، فأدغموا إحدى التاءين في الشين ، فشدّ دوها ، كما قال ( لا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى ) .  
وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة ( وَيَوْمَ تَشْقُقُ ) بتخفيف الشين ، والاجزاء بإحدى التاءين من الأخرى .

والقول في ذلك عندي : أنهما قراءتان مستفيضتان في قرآنة الأمصار بمعنى واحد ، فأبتهما قرأ القارئ فصيب ، وتأويل الكلام : ويوم تُشَقَّقُ السماء عن الغمام . وقيل : إن ذلك غمام أبيض ، مثل الغمام الذي ظلل على بني إسرائيل ، وجعلت الباء ، في قوله ( بالغمام ) مكان « عن » ، كما تقول : رميت عن القوس وبالقوس ، وعلى القوس ، بمعنى واحد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّ ) قال : هو الذي قال : ( فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ) الذي يأتي الله فيه يوم القيامة ، ولم يكن في تلك قط إلا لبني إسرائيل . قال ابن جريج : الغمام الذي يأتي الله فيه غمام زعموا في الجنة .

قال : « ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن عبد الجليل ، عن أبي حازم ، عن عبد الله بن عمرو قال : يهبط الله حين يهبط ، وبينه وبين خلقه سبعون حجابا ، منها النور والظلمة والماء ، فيصوت الماء صوتا تنخلع له القلوب .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة في قوله ( يَا تَيْبِيمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ ) يقول : والملائكة حوله .

قال : ثنى حجاج ، عن مبارك بن فضالة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهران ، أنه سمع ابن عباس يقول : إن هذه السماء إذا انشقت نزل منها من الملائكة أكثر من الجن والإنس ، وهو يوم التلاق ، يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض ، فيقول أهل الأرض : جاء ربنا ، فيقولون : لم يجي وهو

آت ، ثم تشقق السماء الثانية ، ثم سماء سماء على قدر ذلك من التضعيف ، إلى السماء السابعة ، فينزل منها من الملائكة أكثر من جميع من نزل من السموات ، ومن الجن والإنس ، قال : فتنزل الملائكة الكُروبيون ، ثم يأتي ربنا تبارك وتعالى في حملة العرش الثمانية ، بين كعب كل ملك وركبته مسيرة سبعين سنة ، وبين فخذة ومنكبه مسيرة سبعين سنة ، قال : وكل ملك منهم لم يتأمل وجه صاحبه ، وكل ملك منهم واضع رأسه بين ثديه ، يقول : سبحان الملك القدوس ، وعلى رؤوسهم شيء مبسوط كأنه القباة ، والعرش فوق ذلك ، ثم وقف . قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن هارون بن وثاب ، عن شهر بن حوشب ، قال : حملة العرش ثمانية ، فأربعة منهم يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ، لك الحمد على حلمك بعد علمك . وأربعة يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ، لك الحمد على عقوك بعد قدرتك .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن أبي بكر بن عبد الله ، قال : إذا نظر أهل الأرض إلى العرش يهبط عليهم فوقهم ، شخصت إليه أبصارهم ، ورجفت كُلاهم في أجوافهم . قال : وطارت قلوبهم من مقرها في صدورهم إلى حناجرهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ) يعني يوم القيامة حين تشقق السماء بالغمام ، وتنزل الملائكة تنزيلا .

وقوله ( وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ) يقول : ونزل الملائكة إلى الأرض تنزيلا ( المُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ) يقول : الملك الحق يومئذ خالص للرحمن ، دون كل من سواه ، وبطلت الممالك يومئذ سوى ملكه . وقد كان في الدنيا ملوك ، فبطل الملك يومئذ سوى ملك الجبار ( وكان يوما على الكافرين عسيرا ) : يقول : وكان يوم تشقق السماء بالغمام ، يوما على أهل الكفر بالله عسيرا ، يعني صعبا شديدا .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ، يَقُولُ يَلِيَّتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سِدِيلًا (٢٧) يَوْمَئِذٍ لِيَّتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَنَا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩)

يقول تعالى ذكره ويوم يعص الظالم نفسه المشرك بربه على يديه ، ندما وأسفا على ما فرط في جنب الله ، وأوبق نفسه بالكفر به ، في طاعة خليله الذي صدّه عن سبيل ربه ، يقول : يا ليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول سيلا ، يعني طريقا إلى النجاة من عذاب الله . وقوله ( يا وَيَلِّتَا آيَّتِنِي لَمْ أَخَذْ فَلَنَا خَلِيلًا ) اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( الظالم ) ويقولوه ( فلانا ) ، فقال بعضهم : عنى بالظالم : عقبية بن أبي معيط ، لأنه ارتد بعد إسلامه ، طلبا منه لرضا أبي بن خلف ، وقالوا : فلان هو أبي .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جرير ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قال : كان أبي بن خلف يحضر النبي صلى الله عليه وسلم ، فزجره عقبة بن أبي معيط ، فنزل ( وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ) . . . إلى قوله ( خَذُوا ) قال : الظالم : عقبة ، وفلانا خليلا : أبي بن خلف .

حدثنا ابن حيد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي في قوله ( لَيْتَنِي كَمْ أَتَّخِذُ فُلَانًا خَلِيلًا ) قال : كان عقبة بن أبي معيط خليلا لأمية بن خلف ، فأسلم عقبة ، فقال أمية : وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمدا ، فكفر ؛ وهو الذي قال ( لَيْتَنِي كَمْ أَتَّخِذُ فُلَانًا خَلِيلًا ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن قتادة وعثمان الجزري ، عن ميسم في قوله ( وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ) قال : اجتمع عقبة بن أبي معيط وأبي بن خلف ، وكانا خليلين ، فقال أحدهما لصاحبه : بلغني أنك أتيت محمدا ، فاستمعت منه ، والله لأرضى عنك حتى تنفل في وجهه وتكذبه ، فلم يسلطه الله على ذلك ، فقتل عقبة يوم بدر صبورا . وأما أبي بن خلف ، فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد في القتال ، وهما اللذان أنزل الله فيهما ( وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ) . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ) . . . إلى قوله ( فُلَانًا خَلِيلًا ) قال : هو أبي بن خلف كان يحضر النبي صلى الله عليه وسلم ، فزجره عقبة بن أبي معيط .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ) قال : عقبة ابن أبي معيط دعا مجلسا فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لطعام ، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم أن يأكل ، وقال : «لَا أَكُلُ حَتَّى تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ، وَأَنْ تُحَمَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ، فقال : ما أنت بأكل حتى أشهد؟ قال : نعم ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فلقبه أمية بن خلف فقال : صبوت؟ فقال : إن أخاك على ماتعلم ، ولكني صنعت طعاما فأبى أن يأكل حتى أقول ذلك ، فقلته ، وليس من نفسي . وقال آخرون : عنى بفلان : الشيطان .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فُلَانًا خَلِيلًا ) قال : الشيطان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جرير ، عن مجاهد ، مثله .

(١) يقال : قتل فلان صبورا ؛ ومعناه : قدم فقتل ، وهو يرى وينظر ؛ وهو غير من يقتل في حرب أو حادث . السقا .

وقوله ( لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ) يقول جل ثناؤه مخبرا عن هذا النادم على ماسلف منه في الدنيا ، من معصية ربه في طاعة خليله ، لقد أضلني عن الإيمان بالقرآن ، وهو الذكر ، بعد إذ جاءني من عند الله ، فصدتني عنه ، يقول الله ( وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ) يقول : مسلما لما ينزل به من البلاء غير منقذه ولا منجيه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ، وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (٣١)

يقول تعالى ذكره : وقال الرسول : يوم يعص الظالم على يديه : يا رب إن قومي الذين بعثتني إليهم لأدعوهم إلى توحيدك ، اتخذوا هذا القرآن مهجورا .  
واختلف أهل التأويل في معنى اتخاذهم القرآن مهجورا ، فقال بعضهم : كان اتخاذهم ذلك هجورا ، قولهم فيه السبي من القول ، وزعمهم أنه سحر ، وأنه شعر .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله ( اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ) قال : يهجرون فيه بالقول ، يقولون : هو سحر .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَقَالَ الرَّسُولُ ) . . . الآية ، يهجرون فيه بالقول ، قال مجاهد : وقوله ( مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ) قال : مستكبرين بالبلد سامرا مجالس تهجرون ، قال : بالقول السبي في القرآن غير الحق .  
حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، في قول الله ( إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ) قال : قالوا فيه غير الحق ، ألم تر إلى المريض إذا هذى قال غير الحق .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : الخبر عن المشركين أنهم هجروا القرآن ، وأعرضوا عنه ، ولم يسمعوا له :

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله ( وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ) لا يريدون أن يسمعوه ، وإن دُعوا إلى الله قالوا لا ، وقرأ ( وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ) قال : ينهون عنه ، ويبعدون عنه .  
قال أبو جعفر : وهذا القول أولى بتأويل ذلك ، وذلك أن الله أخبر عنهم أنهم قالوا : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ، وذلك هجرهم إياه .



وقوله (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : وكما جعلنا لك يا محمد أعداء من مشركي قومك ، كذلك جعلنا لكل من نبأناه من قبلك عدوًّا من مشركي قومه ، فلم تُتخصَّصْ بذلك من بينهم ، يقول : فاصبر لما نالك منهم ، كما صبر من قبلك أولو العزم من رسلنا .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن عباس (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ) قال : يُوطَّنُ محمداً صلى الله عليه وسلم أنه جاعل له عدوًّا من المجرمين ، كما جعل لمن قبله .

وقوله (وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا) يقول تعالى ذكره لنبية : وكفأك يا محمد بربك هاديا يهديك إلى الحق ، ويصِّرك الرُّشْد ، ونصيرا : يقول : ناصرالك على أعدائك ، يقول : فلا يهولنك أعداؤك من المشركين ، فإني ناصرك عليهم ، فاصبر لأمرى ، وامنض لتبليغ رسالتي إليهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ، كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ  
وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢)

يقول تعالى ذكره (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله (لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ) يقول : هلا نزل على محمد صلى الله عليه وسلم القرآن (جُمْلَةً وَاحِدَةً) كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة؟ قال الله : (كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) تنزيله عليك الآية بعد الآية ، والشئ بعد الشئ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ نزلناه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً؟ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ، وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) قال : كان الله ينزل عليه الآية ، فإذا عَلِمَهَا نبي الله نزلت آية أخرى ، ليعلمه الكتاب عن ظهر قلب ، ويثبت به فؤاده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً) كما أنزلت التوراة على موسى ؟ قال (كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) قال : كان القرآن يُنزل عليه جوابا لقولهم : ليعلم محمد أن الله يجيب القوم بما يقولون بالحق .  
ويعنى بقوله (لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) : لنصحح به عزيمة قلبك ، ويقين نفسك ، ونشجعك به .

وقوله ( وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ) يقول : وشيئا بعد شيء علمناكه ، حتى تحفظته ، والترتيل في القراءة :  
الترسل والتثبت .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله ( وَرَتَّلْنَاهُ  
تَرْتِيلًا ) قال : نزل متفرقا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله ( وَرَتَّلْنَاهُ  
تَرْتِيلًا ) قال : كان ينزل آية وآيتين وآيات ، جوابا لهم إذا سألوا عن شيء أنزله الله جوابا لهم ، وردا عن  
النبي فيما يتكلمون به ، وكان بين أوله وآخره نحو من عشرين سنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا )  
قال : كان بين ما أنزل القرآن إلى آخره أنزل عليه لأربعين ، ومات النبي صلى الله عليه وسلم لثنتين أو  
لثلاث وستين .

وقال آخرون : معنى الترتيل : التبيين والتفسير .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ) قال :  
فسرناه تفسيرا ، وقرأ ( وَرَتَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣) الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ  
إِلَىٰ جَهَنَّمَ ، أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٣٤)

يقول تعالى ذكره : ولا يأتيتك يا محمد هؤلاء المشركون بمثل يضربونه إلا جئناك من الحق ، بما يبطل به  
ما جاءوا به ، وأحسن منه تفسيرا .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ  
إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ ) قال : الكتاب بما ترد به ما جاءوا به من الأمثال التي جاءوا بها ، وأحسن تفسيرا .  
وعنى بقوله ( وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ) : وأحسن مما جاءوا به من المثل بيانا وتفصيلا .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ) يقول : أحسن تفصيلا .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ( وأحسن تفسيرا ) قال بيانا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وأحسن تفسيرا ) يقول : تفصيلا .

وقوله ( الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا ) يقول تعالى ذكره لنيبه : هؤلاء المشركون يا محمد ، القائلون لك ( لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ بِجُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ ) ومن كان على مثل الذي هم عليه من الكفر بالله ، الذين يحشرون يوم القيامة على وجوههم إلى جهنم ، فيساقون إلى جهنم ، شر مستقرا في الدنيا والآخرة من أهل الجنة في الجنة ، وأضلّ منهم في الدنيا طريقا .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ( الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ) قال : الذي أمشاهم على أرجلهم ، قادر على أن يمشيهم على وجوههم ( أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا ) من أهل الجنة ( وأضلّ سبيلا ) قال : طريقا .

حدثني محمد بن يحيى الأزدي ، قال : ثنا الحسين بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، عن قتادة ، قوله ( الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ) قال « حدثنا أنس بن مالك ، أن رجلا قال : يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه ، قال : الذي أمشاه على رجلَيْهِ قادرٌ أن يُمشيه على وجهه » .  
حدثنا أبو سفيان الغنوي يزيد بن عمرو ، قال : ثنا خلاد بن يحيى الكوفي ، قال : ثنا سفيان الثوري ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، قال : أخبرني من سمع أنس بن مالك يقول : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كيف يحشرهم على وجوههم ؟ قال : الَّذِينَ يُحْشَرُهُمْ عَلَىٰ أَرْجُلِهِمْ قادرٌ بأن يُحْشَرَهُمْ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ » .

حدثنا عبيد بن محمد الوراق ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي داود ، عن أنس بن مالك ، قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف يحشر أهل النار على وجوههم ؟ فقال : إنَّ الَّذِينَ أَمْشَاهُمْ عَلَىٰ أَعْقَادِهِمْ ، قادرٌ على أن يُمشيهم على وجوههم » .  
حدثني أحمد بن المقدم ، قال : ثنا حزم ، قال : سمعت الحسن يقول : « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ( الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ) فقالوا : يا نبي الله كيف يمشون على وجوههم ؟ قال : أَرَأَيْتَ الَّذِينَ أَمْشَاهُمْ عَلَىٰ أَعْقَادِهِمْ ، أَلَيْسَ قادرًا أن يُمشيهم على وجوههم » .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا منصور بن زاذان ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن أبي خالد ، عن أبي هريرة ، قال : « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف :

صنف على الدواب ، وصنف على أقدامهم ، وصنف على وجوههم ، فقيل : كيف يمشون على وجوههم؟ قال : إن الذي أمشاهم على أقدامهم ، قادر أن يمشيهم على وجوههم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (٣٥) فَقُلْنَا إْذْهَبَا إِلَى

الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (٣٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، يتوعد مشركي قومه على كفرهم بالله ، وتكذيبهم رسوله ويخوفهم من حلول نعمته بهم ، نظير الذي يحل بمن كان قبلهم من الأمم المكذبة رسلها ( وَلَقَدْ آتَيْنَا ) يا محمد ( مُوسَى الْكِتَابَ ) يعني التوراة ، كالذي آتيناك من الفرقان ( وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ) ، يعني معينا وظهيراً ( فَقُلْنَا إِذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ) يقول : فقلنا لهما : اذها إلى فرعون وقومه ، الذين كذبوا بإعلامنا وأدلتنا ، فدمرناهم تدميراً . وفي الكلام متروك ، استغنى بدلالة ما ذكر من ذكره ، وهو : فذهبا فكذبوهما ، فدمرناهم حينئذ .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَوْمِ نُوحٍ إِذْ كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ ، وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ، وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا

أَلِيمًا (٣٧)

يقول تعالى ذكره : وقوم نوح لما كذبوا رسلنا ، وردوا عليهم ما جاءهم به من الحق ، أغرقناهم بالطوفان ( وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ) يقول : وجعلنا تغريقنا إياهم وإهلاكنا ، عظة وعبرة للناس يعتبرون بها ( وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ) يقول : وأعدنا لهم من الكافرين بالله في الآخرة عذاباً أليماً ، سوى الذي حل بهم من عاجل العذاب في الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ ، وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (٣٨) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ،

وَكَُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (٣٩)

يقول تعالى ذكره : ودمرنا أيضاً عاداً وثمود وأصحاب الرس .

واختلف أهل التأويل في أصحاب الرس ، فقال بعضهم : أصحاب الرس : من ثمود .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس :

( وَأَصْحَابَ الرِّسِّ ) قال : قرية من ثمود .



وقال آخرون : بل هي قرية من اليمامة يقال لها الفلج .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : ثنا جرير بن حازم ، قال : قال قتادة : الرس : قرية من اليمامة يقال لها الفلج .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال عكرمة : أصحاب الرس بفلج هم أصحاب يس .

وقال آخرون : هم قوم رسوا نبيهم في بئر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي بكر ، عن عكرمة ، قال : كان الرس بئرا رسوا فيها نبيهم .

وقال آخرون : هي بئر كانت تسمى الرس .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( وأصحاب الرس ) قال : هي بئر كانت تسمى الرس .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد في قوله ( وأصحاب الرس ) قال : الرس بئر كان عليها قوم .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك ، قول من قال : هم قوم كانوا على بئر ، وذلك أن الرس في كلام العرب : كل محفور ، مثل البئر ، والقبر ، ونحو ذلك ؛ ومنه قول الشاعر :

سَبَقْتُ إِلَى فَرَطٍ بَاهِلٍ تَنَابِلَةَ يَحْفُرُونَ الرَّسَاسَا

يريد أنهم يحفرون المعادن ، ولا أعلم قوما كانت لهم قصة بسبب حفرة ، ذكرهم الله في كتابه ، إلا أصحاب الأخدود ، فإن يكونوا هم المعنيين بقوله ( وأصحاب الرس ) فإننا سنذكر خبرهم إن شاء الله إذا انتهينا إلى سورة البروج ، وإن يكونوا غيرهم ، فلا نعرف لهم خيرا ، إلا ما جاء من جملة الخبر عنهم ، أنهم قوم رسوا نبيهم في حفرة .

إلا ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبد الأسود » . وذلك أن الله تبارك وتعالى بعث نبيا إلى أهل قرية ، فلم يؤمن من أهلها أحد إلا ذلك الأسود ، ثم إن أهل

(١) في تاج العروس : وقيل ( فلج ) : بلد . ومنه قيل لطريق مأخذه من البصرة إلى اليمامة : طريق يعن فلج . ا هـ .

(٢) البيت للتأنيف الجعدي ( اللسان : رس ) . والفراط بالتحريك : القوم يتقدمون إلى الماء قبل الورد ، فيمشون لهم الأرسان والدلاء ، ويمشون الحياض ، ويستقون لهم ( عن اللسان ) . والباهل : المتردد بلا عمل . والتنايلة : جمع تنبل ، بوزن جعفر ، وهو الرجل القصير . ولعله كناية عن البطء والعجز عن العمل . والرساس : جمع رس ، وهي البئر القديمة أو المعدن ( المنجم تستخرج منه المعادن كالحديد ونحوه ) . استشهد به المؤلف على أن كل محفور مثل البئر والقبر والمعدن ، فهو رس عند العرب .

القرية عدوا على النبي عليه السلام ، فحفروا له بئرا ، فألقوه فيها ، ثم أطبقوا عليه بحجر ضخم . قال : وكان ذلك العبد يذهب فيحطّب على ظهره ، ثم يأتي بحطبه فيبيعه ، فيشترى به طعاما وشرابا ، ثم يأتي به إلى ذلك البئر ، فيرفع تلك الصخرة ، فيعيّنه الله عليها ، فيدلى إليه طعامه وشرابه ، ثم يعيدها كما كانت ، قال : فكان كذلك ما شاء الله أن يكون ، ثم إنه ذهب يوما يحطّب ، كما كان يصنع ، فجمع حطبه ، وحزم حزمته ، وفرغ منها ، فلما أراد أن يخلعها وجد سِنَّة ، فاضطجع فنام ، فضرب الله على أذنه سبع سنين نائما ، ثم إنه هب فتمطّى ، فتحول لشقه الآخر ، فاضطجع ، فضرب الله على أذنه سبع سنين أخرى ، ثم إنه هب ، فاحتمل حزمته ، ولا يحسب إلا أنه نام ساعة من نهار ، فجاء إلى القرية ، فباع حزمته ، ثم اشترى طعاما وشرابا كما كان يصنع ، ثم ذهب إلى الحفرة في موضعها التي كانت فيه ، فالتسه فلم يجده ، وقد كان بدا لقومه فيه بداء ، فاستخرجوه وآمنوا به وصدقوه ، قال : فكان النبي عليه السلام يسألهم عن ذلك الأسود ما فعل ؟ فيقولون : ما ندري ، حتى قبض الله النبي ، فأهب الله الأسود من نومته بعد ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ذلك الأسود لا أول من يَدْخُلُ الحنّة » غير أن هؤلاء في هذا الخبر يذكر محمد بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم آمنوا بنبيهم ، واستخرجوه من حفرة ، فلا ينبغي أن يكونوا المعنيين بقوله ( وأصحاب الرّس ) لأن الله أخبر عن أصحاب الرّس أنه دَمَرَهُمْ تدميرا ، إلا أن يكونوا دمروا بأحداث أحدثوها بعد نبيهم الذي استخرجوه من الحفرة وآمنوا به ، فيكون ذلك وجهها ( وقرونا بين ذلك كثيرًا ) يقول : ودمرنا بين أضعاف هذه الأمم التي سميناها لكم أمما كثيرة .

كما حدثنا الحسن بن شبيب ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن جعفر بن علي بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : خلّفت بالمدينة عمّي ممن يفتي على أن القرن سبعون سنة ، وكان عمه عبيد الله بن أبي رافع كاتب علي رضي الله عنه .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، قال : القرن أربعون سنة .

وقوله ( وكُلّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ) يقول تعالى ذكره : وكل هذه الأمم التي أهلكتها ، التي سميناها لكم أو لم نسمها ، ضربنا له الأمثال ، يقول : مثلنا له الأمثال ، ونهناها على حججنا عليها ، وأعدنا إليها بالعبر والمواعظ ، فلم تهلك منهم أمة إلا بعد الإبلاغ إليهم في المعذرة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وكُلّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ) قال : كل قد أعذر الله إليه ، ثم انتقم منه .

وقوله ( وكُلّا تَسْبِرْنَا تَتَّبِيرًا ) يقول تعالى ذكره : وكل هؤلاء الذين ذكرنا لكم أمرهم ، استأصلناهم ، فدمرناهم بالعذاب إبادة ، وأهلكتناهم جميعا .



وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله ( وَكُلًّا تَسْبِرْنَا تَسْبِيرًا ) قال : تبر الله كلًّا بعذاب تنبيها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ( وَكُلًّا تَسْبِرْنَا تَسْبِيرًا ) قال : تنبير : بالنبطية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله ( وَكُلًّا تَسْبِرْنَا تَسْبِيرًا ) قال : بالعذاب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوًّا ، أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (٤٠)

يقول تعالى ذكره : ولقد أتى هؤلاء الذين اتخذوا القرآن مهجورا على القرية التي أمطرها الله مطر السوء ، وهي سدوم ، قرية قوم لوط ، ومطر السوء : هو الحجارة التي أمطرها الله عليهم ، فأهلكهم بها .  
كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوًّا ) قال : حجارة ، وهي قرية قوم لوط ، واسمها سدوم . قال ابن عباس : خمس قرى ، فأهلك الله أربعة ، وبقيت الخامسة ، واسمها صعوة ، لم تهلك صعوة ، كان أهلها لا يعملون ذلك العمل ، وكانت سدوم أعظمها ، وهي التي نزل بها لوط ، ومنها بعث ، وكان إبراهيم صلى الله عليه وسلم ينادى نصيحة لهم : ياسدوم ، يوم لكم من الله ، أنها كم أن تعرضوا لعقوبة الله .  
زعموا أن لوطا ابن أخي إبراهيم صلوات الله عليهما .

وقوله ( أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ) يقول جل ثناؤه : أو لم يكن هؤلاء المشركون الذين قد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء يرون تلك القرية ، وما نزل بها من عذاب الله بتكذيب أهلها رسلهم ، فيعتبروا ويتذكروا ، فيراجعوا التوبة من كفرهم ، وتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، بل كانوا لا يرجون نشورا ، يقول تعالى ذكره : ما كذبوا محمدا فيما جاءهم به من عند الله ، لأنهم لم يكونوا رأوا ما حل بالقرية التي وصفت ، ولكنهم كذبوه من أجل أنهم قوم لا يخافون نشورا بعد الممات ، يعني أنهم لا يوقنون بالعقاب والثواب ، ولا يؤمنون بقيام الساعة ، فيردعهم ذلك عما يأتون من معاصي الله .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( أفلكم يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ، بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ) : بعثنا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا ، أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (٤١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإذا رآك هؤلاء المشركون الذين قصصت عليك قصصهم ( إن يتخذونك إلا هُزُوءًا ) يقول : ما يتخذونك إلا سخرية يسخرون منك ، يقولون : أهذا الذي بعث الله إلينا رسولا من بين خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى

إِن كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا ، لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ  
مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢)

يقول تعالى ذكره ، مخبرا عن هؤلاء المشركين الذين كانوا يهزؤون برسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنهم يقولون إذا رأوه : قد كاد هذا يضلنا عن آلهتنا التي نعبدها ، فيصدتنا عن عبادتها لولا صبرنا عليها ، وثبتتنا على عبادتها ( وسوف يعلمون حين يرون العذاب ) يقول جل ثناؤه : سيبين لهم حين يعاينون عذاب الله قد حل بهم على عبادتهم الآلهة ( من أضل سبيلا ) يقول : من الراكب غير طريق الهدى ، والسالك سبيل الردى أنت أوهم .

وبنحو ما قلنا في تأويل قوله ( لولا أن صبرنا عليها ) قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( إن كاد ليضلنا عن آلِهتنا ، لولا أن صبرنا عليها ) قال : ثبتنا عليها .

القول في تأويل قوله تعالى

أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا؟ (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ  
يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ، إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَكْأَابِ ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)

يقول تعالى ذكره : أريت يا محمد من اتخذ إلهه شهوته التي يهواها ، وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر ، فإذا رأى أحسن منه رمى به ، وأخذ الآخر يعبد ، فكان معبوده وإلهه ما يتخيره لنفسه ،



فلذلك قال جل ثناؤه ( أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ لِأَهْلِهِ هَوَاهُ ، أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ) يقول تعالى ذكره : أفأنت تكون يا محمد على هذا حفيظا في أفعاله مع عظيم جهله ؟ أم تحسب يا محمد أن أكثر هؤلاء المشركين يسمعون ما يُتلى عليهم ، فيعمون أو يعقلون ما يعاينون من حُجج الله ، فيفهمون ( إن هُم إلا كالأنعام ) يقول : ما هم إلا كالبهائم التي لاتعقل ما يقال لها ، ولا تفقه ، بل هم من البهائم أضل سبيلا ، لأن البهائم تهتدى لمراعبيها ، وتنقاد لأربابها ، وهؤلاء الكفرة لايطيعون ربهم ، ولا يشكرون نعمة من أنعم عليهم ، بل يكفرونها ، ويعصون من خلقهم وبرأهم .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ، ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (٤٥) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (٤٦)

يقول تعالى ذكره : ألم تر يا محمد كيف مد ربك الظل ، وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس . وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ) يقول : ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ) قال : مدّه ما بين صلاة الصبح إلى طلوع الشمس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ) قال : الظل : ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا أبو محصن ، عن حصين ، عن أبي مالك ، قال ( أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ) قال : ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ) قال : ظل الغداة قبل أن تطلع الشمس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : الظل : ظل الغداة .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله ( أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ) قال : مدّه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ) يعني من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس . قوله ( وَكَوْشَاءَ بَلَعَلَهُ سَاكِنًا ) يقول : ولو شاء لجعله دائماً لا يزول ، ممدوداً لا تذهب الشمس ، ولا تنقصه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَكَوْشَاءَ بَلَعَلَهُ سَاكِنًا ) يقول : دائماً .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَكَوْشَاءَ بَلَعَلَهُ سَاكِنًا ) قال : لاتصيبة الشمس ولا يزول .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَكَوْشَاءَ بَلَعَلَهُ سَاكِنًا ) قال : لا يزول .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَكَوْشَاءَ بَلَعَلَهُ سَاكِنًا ) قال : دائماً لا يزول .

وقوله ( ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ) يقول جل ثناؤه : ثم دللناكم أيها الناس بنسخ الشمس إياه عند طلوعها عليه ، أنه خلق من خلق ربكم ، يوجد إذا شاء ، ويفنيه إذا أراد ؛ والهاء في قوله « عليه » من ذكر الظل . ومعناه : ثم جعلنا الشمس على الظل دليلاً . قيل : معنى دلالتها عليه : أنه لو لم تكن الشمس التي تنسخه ، لم يعلم أنه شيء ، إذ كانت الأشياء إنما تعرف بأضدادها ، نظير الحلو الذي إنما يعرف بالحامض ، والبارد بالحار ، وما أشبه ذلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ) يقول : طلوع الشمس .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ) قال : تحويه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله ( ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ) قال : أخرجت ذلك الظل ، فذهبت به .



وقوله ( **ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا** ) يقول تعالى ذكره : **ثُمَّ قَبَضْنَا ذَلِكَ الدَّلِيلَ مِنَ الشَّمْسِ عَلَى الظِّلِّ إِلَيْنَا قَبْضًا خَفِيًّا سَرِيعًا ، بِالْقِيَّةِ الَّذِي نَأْتِي بِهِ بِالْعَشِيِّ .**  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( **ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا** ) قال : حوى الشمس الظل . وقيل : إن الهاء التي في قوله ( **ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا** ) عائدة على الظل ، وإن معنى الكلام : **ثُمَّ قَبَضْنَا الظلَّ إِلَيْنَا بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا غَرَبَتْ غَابَ الظِّلُّ الممدود ، قالوا : وذلك وقت قبضه .**

واختلف أهل التأويل في معنى قوله ( **يَسِيرًا** ) فقال بعضهم : معناه : سريعا .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( **ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا** ) يقول : سريعا .  
وقال آخرون : بل معناه : قبضا خفيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن مجاهد ( **ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا** ) قال : خفيا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ( **قَبْضًا يَسِيرًا** ) قال : خفيا ، قال : إن ما بين الشمس والظل مثل الخيط ، واليسير التفعيل من اليسر ، وهو السهل الهين في كلام العرب . فعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك ، يتوجه لما روى عن ابن عباس ومجاهد ، لأن سهولة قبض ذلك قد تكون بسرعة وخفاء . وقيل : إنما قيل ( **ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا** ) لأن الظل بعد غروب الشمس لا يذهب كله دفعة ، ولا يقبل الظلام كله جملة ، وإنما يقبض ذلك الظل قبضا خفيا ، شيئا بعد شيء ، ويعقب كل جزء منه يقبضه ، جزء من الظلام .

القول في تأويل قوله تعالى

**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا ، وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (٤٧)**

❦ يقول تعالى ذكره : **الَّذِي مَدَّ الظِّلَّ ثُمَّ جَعَلَ الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ، هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ اللَّيْلَ لِبَاسًا .** وإنما قال جل ثناؤه ( **جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا** ) لأنه جعله لخلق جنة يجتنون فيها ويسكنون ، فصار لهم سترًا يستترون به ، كما يستترون بالثياب التي يكسوتونها . وقوله ( **وَالنَّوْمَ سُبَاتًا** ) يقول : وجعل

لكم النوم راحة تستريح به أبدانكم ، وتهدأ به جوارحكم . وقوله ( وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ) يقول تعالى ذكره : وجعل النهار يقظة وحياة من قولهم : نَشَرَ المِيتَ ، كما قال الأعشى :

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا يَا عَجَبًا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ

ومنه قول الله ( لَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ) .

وكان مجاهد يقول في تأويل ذلك ، ما حدثني محمد بن عمر ، وقال ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( والنَّهَارَ نُشُورًا ) قال : يُنْشَرُ فِيهِ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك ، لأنه عقيب قوله ( والنَّوْمَ سُبَاتًا ) في الليل . فإذا كان ذلك كذلك ، فوصف النهار بأن فيه اليقظة والنشور من النوم أشبه إذ كان النوم أخا الموت . والذي قاله مجاهد غير بعيد من الصواب ، لأن الله أخبر أنه جعل النهار معاشا ، وفيه الانتشار للمعاش ، ولكن النشور مصدر من قول القائل : نَشَرَ ، فهو بالنشر من الموت والنوم أشبه ، كما صحَّت الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا أصبح وقام من نومه : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا ، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ » .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ، وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨)

لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْاسٍ كَثِيرًا (٤٩)

يقول تعالى ذكره ، والله الذي أرسل الرياح الملقحة نُشْرًا : حياة ، أو من الحيا والغيث ، الذي هو منزله على عباده ( وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ) يقول : وأنزلنا من السحاب الذي أنشأناه بالرياح من فوقكم أيها الناس ، ماء طهورا (لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا) يعني أرضا قحطة عدية لانتبت . وقال ( بَلْدَةً مَيْتًا ) ولم يقل ميتة ، لأنه أريد بذلك ، لنحيي به موضعا ومكانا ميتا ، ونسقيه من خلقنا أنعاما من البهائم ، وأناسي كثيرا ، يعني بالأناسي : جمع إنسان ، وجمع أناسي ، فجعل الياء عوضا من النون التي في إنسان ، وقد يجمع إنسان : إناسين ، كما يجمع النشيان<sup>٢</sup> : نشيابين . فإن قيل : أناسي : جمع واحده إنسي ، فهو مذهب أيضا

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة ، بشرح الدكتور محمد حسين ص ١٤١) وهو من قصيدة يهجو بها علقمة ابن علاثة ، ويمدح عامر بن الطفيل ، في المنافرة التي جرت بينهما) . وقيل البيت قوله :

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتًا إِلَى صَدْرِهَا عَاشَ وَكَمْ يُنْقَلُ إِلَى قَابِرِ

والبيت كذلك في (اللسان : نشر) قال : ونشر الله الميت ينشره نشرًا ونشورا ، وأنشره ، فنشر الميت ( برفع الميت ) لاغير : أحياء ، قال الأعشى : « حتى يقول . . . البيت » . وهذا محل الشاهد عند المؤلف .

(٢) يقال رجل نشوان ، من السكر ؛ ونشيان للخبر ؛ يختبر الأخبار أول ورودها ، ويبحث عنها . وأصلها الواو .



محكى ، وقد يجمع أناسي مخففة الياء ، وكأن من جمع ذلك كذلك ، أسقط الياء التي بين عين الفعل ولامه ، كما يجمع القُرُقور : قراقير وقراقر . ومما يصحح جمعهم إياه بالتخفيف ، قول العرب : أناسية كثيرة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا ، فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٥٠)

يقول تعالى ذكره : ولقد قسمنا هذا الماء الذي أنزلناه من السماء طهورا ، لنحيي به الميت من الأرض بين عبادي ، ليتذكروا نعمي عليهم ، ويشكروا أياديّ عندهم ، وإحساني إليهم ، ( فأبى أكثرهم إلا كُفُورًا ) يقول : إلا جحودا لنعمي عليهم ، وأياديّ عليهم . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : سمعت الحسن بن مسلم يحدث طاوسا ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : ما عام بأكثر مطرا من عام ، ولكن الله يصرّفه بين خلقه ، قال : ثم قرأ ( وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ )

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن سليمان التيمي ، قال : ثنا الحسن بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال ابن عباس : ما عام بأكثر مطرا من عام ، ولكنه يصرّفه في الأرضين ، ثم تلا ( وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ ) قال : المطر ينزله في الأرض ، ولا ينزله في الأرض الأخرى ، قال : فقال عكرمة : صرفناه بينهم ليدذكروا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا ) قال : المطر مرّة هاهنا ، ومرّة هاهنا .

حدثنا سعيد بن الربيع الرازي ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن يزيد بن أبي زياد ، أنه سمع أبا جحيفة يقول : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : ليس عام بأكثر من عام ، ولكنه يصرّفه ، ثم قرأ عبد الله ( وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ ) .

وأما قوله ( فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ) فإن القاسم حدثنا ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج عن ابن جريج ، عن عكرمة ( فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ) قال : قولهم في الأنواء .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا (٥١) فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا

كَبِيرًا (٥٢)

❦ يقول تعالى ذكره : ولو شئنا يا محمد لأرسلنا في كلِّ مصر ومدينة نذيرا ينذرهم بأسنا ، على كفرهم بنا ، فيخفف عنك كثيرا من أعباء ما حملناك منه ، ويسقط عنك بذلك مؤنة عظيمة ، ولكننا حملناك ثقل نذارة جميع القرى ، لتستوجب بصبرك عليه إن صبرت ، ما أعدَّ الله لك من الكرامة عنده ، والمنازل الرفيعة قبيله ، فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه ، من أن تعبد آلهتهم ، فنذيقك ضعف الحياة وضعف الممات ، ولكن جاهدهم بهذا القرآن جهادا كبيرا ، حتى ينقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله ، ويدينوا به ، ويدعوا للعمل بجميعة ، طوعا وكرها .

وبنحو الذي قلنا في قوله ( وَجَاهِدْهُمْ بِهِ ) قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله ( فَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ ، وَجَاهِدْهُمْ بِهِ ) قال : بالقرآن .  
وقال آخرون في ذلك بما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ) قال : الإسلام ، وقرأ ( وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ ) وقرأ ( وَلَيَسْجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ) وقال : هذا الجهاد الكبير .

القول في تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ، وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا

وَحِجْرًا مَّحْجُورًا (٥٣)

❦ يقول تعالى ذكره : والله الذي خلط البحرين ، فأمرج أحدهما في الآخر ، وأفاضه فيه ، وأصل المَرَجُ : الخلط ، ثم يقال للتخلية مَرَجٌ ، لأن الرجل إذا خلى الشيء حتى اختلط بغيره ، فكأنه قد مرجه ، ومنه الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقوله لعبد الله بن عمرو : « كَيْفَ بِكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِذَا كُنْتَ فِي حُثَالَةٍ مِّنَ النَّاسِ ، قَدِمَ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَتُهُمْ ، وَصَارُوا هَكَذَا ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ؟ » يعني بقوله : قد مَرَجَتْ : اختلطت ، ومنه قول الله ( فِي أَمْرِ مَرْيَمَ ) : أي مختلط . وإنما قيل للمَرَجِ مَرَجٌ من ذلك ، لأنه يكون فيه أخلاط من الدواب ، ويقال : مَرَجَتْ دَابَّتُكَ : أي خليتها تذهب حيث شاءت ، ومنه قول الراجز :

رَعَى بِهَا مَرَجَ رَبِيعٍ تَمْرَجًا

وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

(١) البيت من مشطور الرجز ، المعجاج الراجز (ديوان طبع ليبسج سنة ١٠٩٣ ص ٩) وهو البيت الثاني والثالثون من أرجوزته التي مطلعها • ماهاج أحزاننا وشجوا قد شجا • وضبط ناشره لفظة ممرج ، بضم الميم الأول وكسر الراء ، والصواب ما في اللسان ، ونقلناه عنه ، وهو اسم مكان من مرج الدابة يمرجها (من باب نصر) إذا أرسلها ترعى في الممرج .



ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ) يعني أنه خلع أحدهما على الآخر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ) : أفاض أحدهما على الآخر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ) يقول : خلع أحدهما على الآخر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد ( مَرَجَ ) أفاض أحدهما على الآخر .

وقوله ( هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ) الفرات : شديد العذوبة ، يقال : هذا ماء فرات : أي شديد العذوبة .  
وقوله ( وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ) يقول : وهذا ملح مرّ ، يعني بالعذب الفرات : مياه الأنهار والأمطار ، وبالمالح الأجاج : مياه البحار .

ولما عني بذلك أنه من نعمته على خلقه ، وعظيم سلطانه ، يخلط ماء البحر العذب بماء البحر المالح الأجاج ، ثم يمنع المالح من تغيير العذب عن عذوبته ، وإفساده إياه بقضائه وقدرته ، لئلا يضرّ إفساده إياه بركبان المالح منهما ، فلا يجدوا ماء يشربونه عند حاجتهم إلى الماء ، فقال جل ثناؤه ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ) يعني حاجزا يمنع كل واحد منهما من إفساد الآخر ( وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ) يقول : وجعل كل واحد منهما حراما محرّما على صاحبه أن يغيره ويفسده .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ) يعني أنه خلع أحدهما على الآخر ، فليس يفسد العذب المالح ، وليس يفسد المالح العذب ، وقوله ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ) قال : البرزخ : الأرض بينهما ( وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ) يعني : حجر أحدهما على الآخر بأمره وقضائه ، وهو مثل قوله ( وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ) .

وحدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ) قال : محبسا ، قوله ( وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ) قال : لا يختلط البحر بالعذب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ) قال : حاجزا لا يراه أحد ، لا يختلط العذب في البحر ، قال ابن جُرَيْج : فلم أجد بحرا عذبا إلا الأنهار العذبا ، فإن دجلة تقع في البحر ، فأخبرني الخبير بها أنها تقع في البحر ، فلا تمور فيه بينهما مثل الخيط الأبيض ، فإذا رجعت لم ترجع في طريقها من البحر ، والنيل يصب في البحر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ) قال : البرزخ أنهما يلتقيان فلا يختلطان ، وقوله ( حِجْرًا مَحْجُورًا ) : أي لا تختلط ملححة هذا بعذوبة هذا ، لا يبغي أحدهما على الآخر .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن رجاء ، عن الحسن ، في قوله ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ) قال : هذا اليبس .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ) قال : جعل هذا ملحا أجاجا ، قال : والأجاج : المر .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ( مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ : هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ) يقول : خلع أحدهما على الآخر ، فلا يغير أحدهما طعم الآخر ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ) هو الأجل ما بين الدنيا والآخرة ( وَحِجْرًا مَحْجُورًا ) جعل الله بين البحرين حِجْرًا ، يقول : حاجزا حَجَزَ أحدهما عن الآخر ، بأمره وقضائه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ) وجعل بينهما سترًا لا يلتقيان . قال : والعرب إذا كلم أحدهم الآخر بما يكره قال : حِجْرًا ، قال : سترًا دون الذي تقول .

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في معنى قوله ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ) دون القول الذي قاله من قال معناه : إنه جعل بينهما حاجزا من الأرض أو من اليبس ، لأن الله تعالى ذكره أخبر في أول الآية أنه مرج البحرين ، والمرج : هو الخلط في كلام العرب ، على ما بينت قبل ، فلو كان البرزخ الذي بين العذب الفرات من البحرين ، والملح الأجاج ، أرضا أو يَبَسًا ، لم يكن هناك مرج للبحرين ، وقد أخبر جل ثناؤه أنه مرجهما ، وإنما عرفنا قدرته بحجزه هذا الملح الأجاج عن إفساد هذا العذب الفرات ، مع اختلاط كل واحد منهما بصاحبه . فأما إذا كان كل واحد منهما في حيز عن حيز صاحبه ، فليس هناك مرج ، ولا هناك من الأعجوبة ما ينبه عليه أهل الجهل به من الناس ، ويذكرون به ، وإن كان كل ما ابتدعه ربنا عجيبا ، وفيه أعظم العبر والمواعظ والحجج البوالغ :

القول في تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ، وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (٥٤)



يقول تعالى ذكره : والله الذي خلق من التُّطَف بشرا إنسانا ، فجعله نسا ، وذلك سبعة ، وصهرا ، وهو خمسة .

كما حدثت بن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ) النسب : سبع ، قوله ( حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ) . . . إلى قوله ( وَبَنَاتُ الْأَخْتِ ) ، والصر خمس ، قوله ( وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ ) . . . إلى قوله ( وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ) ، وقوله ( وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ) يقول : وربك يا محمد ذو قدرة على خلق ما يشاء من الخلق ، وتصريفهم فيما شاء وأراد .

### القول في تأويل قوله تعالى

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا (٥٥)

يقول تعالى ذكره : ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهة لا تنفعهم ، فتجلب إليهم نفعا إذا هم عبدوها ، ولا تضرهم إن تركوا عبادتها ، ويتركون عبادة من أنعم عليهم هذه النعم التي لا كفاء لأدناها ، وهي ما عددنا علينا جل جلاله في هذه الآيات من قوله ( أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ) إلى قوله ( قَدِيرًا ) ، ومن قدرته القدرة التي لا يمتنع عليه معها شيء أراده ، ولا يتعذر عليه فعل شيء أراد فعله ، ومن إذا أراد عقاب بعض من عصاه من عباده ، أحل به ما أحل بالذين وصف صفتهم ، من قوم فرعون وعاد وثمود وأصحاب الرس ، وقرونا بين ذلك كثيرا ، فلم يكن لمن غضب عليه منه ناصر ، ولا له عنه دافع ( وكان الكافر على ربه ظهيرا ) يقول تعالى ذكره : وكان الكافر معينا للشيطان على ربه ، مظاهرا له على معصيته .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد ( وكان الكافر على ربه ظهيرا ) قال : يظاهر الشيطان على معصية الله يعينه .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( على ربه ظهيرا ) قال : معين .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . قال ابن جريج : أبو جهل معين ظاهر الشيطان على ربه .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله ( وكان الكافر على ربه ظهيرا ) قال : عوننا للشيطان على ربه على المعاصي .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وكان الكافر على ربه ظهيرا ) قال : على ربه عوينا . والظهير : العوين . وقرأ قول الله ( فلا تكوتن ظهيرا للكافرين ) قال : لانكوتن لهم عوينا . وقرأ أيضا قول الله ( وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصبيهم ) قال : ظاهروهم : أعانوهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وكان الكافر على ربه ظهيرا ) يعني : أبا الحكم الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبا جهل بن هشام .

وقد كان بعضهم يوجه معنى قوله ( وكان الكافر على ربه ظهيرا ) . . . إلى : وكان الكافر على ربه هينا ، من قول العرب : ظهرت به ، فلم ألتفت إليه ، إذا جعله خلف ظهره ، فلم يلتفت إليه ، وكان الظهير كان عنده فعيل ، صرف من مفعول ، إليه من مظهر به ، كأنه قيل : وكان الكافر مظهورا به . والقول الذي قلناه هو وجه الكلام ، والمعنى الصحيح ، لأن الله تعالى ذكره أخبر عن عبادة هؤلاء الكفار من دونه ، فأولت الكلام أن يتبسع ذلك ذمه إياهم ، وذم فعلهم ، دون الخبر عن هوانهم على ربهم ، ولما يجز لاستكبارهم عليه ذكر ، فيتبع بالخبر عن هوانهم عليه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٥٦) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ، إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ

يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٥٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ( وما أرسلناك يا محمد ) إلى من أرسلناك إليه ( إلا مبشرا ) بالثواب الجزيل ، من آمن بك وصدقك ، وآمن بالذي جئتكم به من عندي ، وعملوا به ، ( ونذيرا ) من كذبك وكذب ما جئتكم به من عندي ، فلم يصدقوا به ، ولم يعملوا ( قل ما أسألكم عليه من أجر ) يقول له : قل هؤلاء الذين أرسلتكم إليهم ، ما أسألكم يا قوم على ما جئتكم به من عند ربي أجرا ، فتقولون : إنما يطلب محمد أموالنا ، بما يدعوننا إليه ، فلا نتبعه فيه ، ولا نعطي من أموالنا شيئا ، ( إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا ) يقول : لكن من شاء منكم اتخذ إلى ربه سبيلا ، طريقا بإنفاقه من ماله في سبيله ، وفيما يقربه إليه من الصدقة ، والإنفقة في جهاد عدوه ، وغير ذلك من سبل الخير .

القول في تأويل قوله تعالى

وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُذُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا (٥٨)

يقول تعالى ذكره : وتوكل يا محمد على الذي له الحياة الدائمة ، التي لاموت معها ، فتق به في أمر ربك ، وفوض إليه ، واستسلم له ، واصبر على ما نابك فيه . قوله ( وسبح بحمده ) يقول : واعبده شكرا منك



له على ما أنعم به عليك . قوله ( وَكَفَىٰ بِهِ بِيذْنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ) يقول : وحسبك بالحي الذي لا يموت خابرا بذنوب خلقه ، فإنه لا يخفى عليه شيء منها ، وهو محصٍ جميعها عليهم ، حتى يجازيهم بها يوم القيامة .

#### القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ

فَسُئِلَ بِهِ خَبِيرًا (٥٩)

يقول تعالى ذكره : ( وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ - الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ) فقال : وما بينهما ، وقد ذكر السموات والأرض ، والسموات جماع ، لأنه وجه ذلك إلى الصنفين والشئيين ، كما قال القُطامي :

أَلَمْ يَخْبُرُنْكَ أَنَّ حِبَالَ قَيْسٍ وَتَغْلِبَ قَدْ تَبَايَنَتَا انْقِطَاعًا

يريد : وحبال تغلب ، فتنى ، والحبال جمع ، لأنه أراد الشئيين والنوعين .

وقوله ( فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ) قيل : كان ابتداء ذلك يوم الأحد ، والفراغ يوم الجمعة ( ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ ) يقول : ثم استوى على العرش الرحمن وعلا عليه ، وذلك يوم السبت فيما قيل . وقوله ( فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ) يقول : فاسأل يا محمد خبيراً بالرحمن ، خبيراً بخلقها ، فإنه خالق كل شيء ، ولا يخفى عليه ما خلق .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ) قال : يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتك شيئاً ، فاعلم أنه كما أخبرتك ، أنا الخبير ، والخبير في قوله ( فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ) منصوب على الحال من الهاء التي في قوله : به .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ ، قَالُوا ؟ وَمَا الرَّحْمَنُ ؟ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ؛ وَزَادَهُمْ نُفُورًا (٦٠)

يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء الذين يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم : اسجدوا للرحمن : أى اجعلوا سجدكم لله خالصاً دون الآلهة والأوثان ، قالوا : أنسجد لما تأمرنا .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ( لِمَا تَأْمُرُنَا ) بمعنى : أنسجد نحن

(١) البيت للقُطامي ، وقد سبق الكلام عليه مفصلاً . والشاهد فيه هنا : أن الشاعر قال « تباينتا » بالثنية ، مع أن حبال جمع حبل . والمسوغ لذلك : أن حبال قيس جماعة ، وحبال تغلب جماعة أخرى ، فعاملهما في إعادة الضمير عليهما معاملة المفردين ، ومثله في القرآن : « الذي خلق السموات والأرض وما بينهما » ، لأنه وجه ذلك إلى الصنفين .

يا محمد لما تأمرنا أنت أن نسجد له ؟ ! وقرأته عامة قرآء الكوفة (لَمَّا يَا مُرُّنَا) بالياء ، بمعنى : أنسجد لما يأمرنا الرحمن ، وذكر بعضهم أن مسيلمة كان يدعى الرحمن ، فلما قال لم النبي صلى الله عليه وسلم : اسجدوا للرحمن ، قالوا : أنسجد لما يأمرنا رَحْمَنَ اليمامة ؟ يعنون مسيلمة ، بالسجود له .  
قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك ، أنهما قراءتان مستفيضتان مشهورتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فبأيهما قرأ القارى فصيب .  
وقوله ( وَزَادَهُمْ نُفُورًا ) يقول : وزاد هؤلاء المشركين قول القائل لهم : اسجدوا للرحمن من إخلاص السجود لله ، وإفراد الله بالعبادة ، بعدا ومما دعوا إليه من ذلك وفرارا .

## القول في تأويل قوله تعالى

تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ، وَجَعَلَ فِيهَا سِرَّجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (٦١)

يقول تعالى ذكره : تقدس الرب الذي جعل في السماء بروجاً . ويعنى بالبروج : القصور في قول بعضهم .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن العلاء ومحمد بن المنثى وسلم بن جنادة ، قالوا : ثنا عبد الله بن إدريس ، قال : سمعت أبا ، عن عطية بن سعد ، في قوله ( تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ) قال : قصورا في السماء ، فيها الحرس .

حدثنا محمد بن المنثى ، قال : ثنا أبو معاوية ، قال : ثنا إسماعيل ، عن يحيى بن رافع ، في قوله ( تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ) قال : قصورا في السماء .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن إبراهيم ( جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ) قال : قصورا في السماء .

حدثني إسماعيل بن سيف ، قال : ثنا علي بن مسهر ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، في قوله ( تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ) قال : قصورا في السماء فيها الحرس .  
وقال آخرون : هي النجوم الكبار .

## ذكر من قال ذلك

حدثني ابن المنثى ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، قال : ثنا إسماعيل ، عن أبي صالح ( تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ) قال : النجوم الكبار .

قال : ثنا الضحاك ، عن مخلد ، عن عيسى بن ميمون ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : الكواكب .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( بُرُوجًا ) قال :

البروج : النجوم .



قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: هي قصور في السماء، لأن ذلك في كلام العرب (وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ) وقول الأخطل:

كَأَنَّهَا بُرُجٌ رُّومِيٌّ يُشَيِّدُهُ<sup>١</sup> بَانَ بِحِصٍّ وَأَجْرٌ وَأَحْجَارًا

يعنى بالبرج: القصر.

قوله (وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا) اختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة (وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا) على التوحيد، ووجهوا تأويل ذلك إلى أنه جعل فيها الشمس، وهي السراج التي عنى عندهم، بقوله (جَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا).

كما حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله (وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا) قال: السراج: الشمس.

وقرأته عامة قراء الكوفيين (وَجَعَلَ فِيهَا سُرْجًا) على الجماع، كأنهم وجهوا تأويله: وجعل فيها نجومًا (وَقَمَرًا مُنِيرًا) وجعلوا النجوم سُرْجًا، إذ كان يُهتدى بها.

والصواب من القول في ذلك عندي: أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار، لكل واحدة منهما وجه مفهوم، فأبيتهما قرأ القارئ فصيبي.

وقوله (وَقَمَرًا مُنِيرًا) يعنى بالمنير: المضيء.

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٢)

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً) فقال بعضهم: معناه: أن الله جعل كل واحد منهما خلفًا من الآخر، في أن ما فات في أحدهما من عمل يعمل فيه لله، أدرك قضاؤه في الآخر.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القمي، عن حفص بن حميد، عن شمر بن عطية، عن شقيق قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: فاتتني الصلاة الليلة، فقال: أدرك ما فاتك من ليلتك في نهارك، فإن الله جعل الليل والنهار خلفًا لمن، أراد أن يذَّكَّرَ أو أراد شكورًا.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (وَهُوَ

(١) البيت للأخطل كما قال المؤلف. والبرج: المراد به القصر كما قاله. وقد كثر في كلام العرب تشبيه إبل السفر القوية الموثقة الخلق بأبنية الروم، ومن ذلك قول طرفة في وصف ناقته:

كَقَنْظَرَةِ الرُّومِيِّ أَقْسَمَ رَبُّهَا  
لَتُكْتَنَفَنَّ حَتَّى تُشَادَ بِقَمَرٍ مَدٍ

والبيت شاهد على أن البرج معناه: القصر.

الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ( يقول : من فاته شيء من الليل أن يعملهُ أدركه بالنهار ، أو من النهار أدركه بالليل .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله ( جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ) قال : جعل أحدهما خلفاً للآخر ، إن فات رجلاً من النهار شيء ، أدركه من الليل ، وإن فاته من الليل ، أدركه من النهار .

وقال آخرون : بل معناه أنه جعل كل واحد منهما مخالفاً صاحبه ، فجعل هذا أسود ، وهذا أبيض .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ) قال : أسود وأبيض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا سفیان ، عن عمر بن قيس ، بن أبي مسلم الماصر ، عن مجاهد ( وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ) قال : أسود وأبيض .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن كل واحد منهما يخلف صاحبه ، إذا ذهب هذا جاء هذا ، وإذا جاء هذا ذهب هذا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : ثنا قيس ، عن عمر بن قيس الماصر ، عن مجاهد ، قوله ( جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ) قال : هذا يخلف هذا ، وهذا يخلف هذا .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ) قال : لولم يجعلهما خلفه لم يدرك كيف يعمل ، لو كان الدهر ليلاً كله ، كيف يدري أحد كيف يصوم ؟ أو كان الدهر نهاراً كله ، كيف يدري أحد كيف يصلي . قال : والخلفة : مختلفان ، يذهب هذا ويأتي هذا ، جعلهما الله خلفه للعباد ، وقرأ ( لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَدَّكُرَ ، أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ) والخليفة : مصدر ، فلذلك وُحِّدَتْ ، وهي خبر عن الليل والنهار ؛ والعرب تقول : خَلَفَ هذا من كذا خِلْفَةً ، وذلك إذا جاء شيء مكان شيء ذهب قبله ، كما قال الشاعر :

وَلَهَا بِالْمَاطِرُونَ إِذَا أَكَلَ النَّمْلُ الَّذِي جَمَعَا  
خِلْفَةً حَتَّى إِذَا ارْتَبَعَتْ سَكَنْتَ مِنْ جِلْقٍ بَيْعًا

(١) البيتان : ليزيد بن معاوية ، من مقطوعة له ذكرها صاحب ( غزاة الأدب الكبرى ٣ : ٢٧٨ - ٢٨٠ ) قالها متغزلاً في امرأة نصرانية ، كانت قد ترهبت في دِعْنَد الماطرون ، وهو بستان بظاهر دمشق . وفي الأبيات « خرقه » في موضع « خلفه » والخرقه يضم الحاء : ما يخترق ويختنق ، وهذه رواية المبرد في الكامل . ورواية المؤلف موافقة لرواية صاحب العباب ، وكذلك رواها العيني عن ابن القوطية قال : الرواية : هي الخلفة باللام ، وهو ما يطلع من الثمر بعد الثمر الطيب . قال البغدادي : والجيد عندي رواية الخلفة ، على =



وكما قال زهير :

بِهَاءِ الْعَيْنِ وَالْآرَامِ يَمْشِينَ خَلْفَةً وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْمَعٍ  
يعنى بقوله : يمشين خلفه : تذهب منها طائفة ، وتختلف مكانها طائفة أخرى . وقد يَحْتَمِلُ أَنْ زُهَيْرًا أَرَادَ  
بقوله : خلفه : مختلفات الألوان ، وأنها ضروب في ألوانها وهيئاتها . ويحتمل أن يكون أراد أنها تذهب  
في مشيها كذا ، وتجيء كذا .

وقوله ( لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَدَّكَّرَ ) يقول تعالى ذكره : جعل الليل والنهار ، وخلوف كل واحد منهما  
الآخر حجة وآية لمن أراد أن يدكر أمر الله ، فينيب إلى الحق ، أو أراد شكورا ، أو أراد شكر نعمة الله  
التي أنعمها عليه في اختلاف الليل والنهار .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ) قال : شكر نعمة ربه  
عليه فيهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( لِمَنْ  
أَرَادَ أَنْ يَدَّكَّرَ ) ذلك آية له ( أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ) قال : شكر نعمة ربه عليه فيهما .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( يَدَّكَّرَ ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين :  
( يَدَّكَّرُ ) مشددة ، بمعنى يتذكر . وقرأه عامة قراء الكوفيين ( يَدَّكَّرَ ) مخففة ، وقد يكون التشديد  
والتخفيف في مثل هذا بمعنى واحد ، يقال : ذكرت حاجة فلان وتذكرتها .  
والقول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب الصواب فيهما .

القول في تأويل قوله تعالى

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ، وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣)

= أنها اسم من الاختلاف ، أي التردد . وارتبعت : دخلت في الربيع . وروى : ربت ، بمعناه . وروى : ذكرت : بدل سكتت .  
وجلج : مدينة بالشام ، والبيع : جمع بيعة بكسر الباء ، وهي متعبد قال الجوهري وصاحب العباب والمصباح : هي للنصارى ، وقال  
العيني : البيعة : لليهود ، والكنيسة للنصارى ، وهذا لا يناسب قوله إن الشعر في نصرانية . ومعنى البيتين : إن هذه المرأة ترددا إلى  
المطرون في الشتاء ، فإن النمل يخزن الحب في الصيف ، ليأكله في الشتاء ؛ وإذا دخلت في أيام الربيع ارتحلت إلى البيع التي يخلق . اهـ .  
وأورد المؤلف الشعر شاهدا على معنى الخلفة كما شرحه البغدادي .

(١) البيت من معلقة زهير بن أبي سلمى ( مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطلق السقا ، طبعة مصطلق الباني الحلبي وأولاده  
ص ٢٢٨ ) قال شارحه : العين : جمع عيناء ، بقر الوحش . والآرام : جمع رُم ، وهو الظبي الخالص البياض . وخلفة : يخلف  
بعضها بعضا . والأطلاء : جمع الطلاء ، وهو الولد من ذوات الظلف . والمجم : المرْبُض والشاهد في البيت عند المؤلف في قوله « خلفة »  
كأن في الشاهد الذي قبله : أي يذهب بعضها ويخلفه بعض .

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) بِالْحِلْمِ وَالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ ،  
غير مستكبرين ، ولا متجبرين ، ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصي الله .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، غير أنهم اختلفوا ، فقال بعضهم : عنى بقوله ( يَمْشُونَ  
عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) أنهم يمشون عليها بالسكينة والوقار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( الَّذِينَ  
يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قال : بالوقار والسكينة .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن أبي الوضاح ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد ( يَمْشُونَ عَلَى  
الْأَرْضِ هَوْنًا ) قال : بالحلم والوقار .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال :  
ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قال : بالوقار  
والسكينة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله :

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( يَمْشُونَ  
عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) بالوقار والسكينة .

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، وعبد الرحمن ( الَّذِينَ  
يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قالوا : بالسكينة والوقار .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن شريك ، عن جابر ، عن عمار ، عن عكرمة ، في قوله  
( يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قال : بالوقار والسكينة .

قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أيوب ، عن عمرو الملائى ( يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا )  
قال : بالوقار والسكينة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم يمشون عليها بالطاعة والتواضع .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( الَّذِينَ  
يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) بالطاعة والعفاف والتواضع .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قال : يمشون على الأرض بالطاعة .



حدثني أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنى عمي ، عبد الله بن وهب ، قال : كتب إلى إبراهيم بن سويد ، قال : سمعت زيد بن أسلم يقول : التمس تفسير هذه الآية ( الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) فلم أجدها عند أحد ، فأثيت في النوم ، فقيل لي : هم الذين لا يريدون يفسدون في الأرض .  
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أسامة بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قال : لا يفسدون في الأرض :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قال : لا يتكبرون على الناس ، ولا يتجبرون ، ولا يفسدون . وقرأ قول الله : ( تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم يمشون عليها بالحلم لا يجهلون على من جهل عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أبي الأشهب ، عن الحسن في : ( يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قال : حلماء ، وإن جهيل عليهم لم يجهلوا .

حدثنا ابن حميد قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ( يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قال : حلماء .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله ( يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قال : علماء حلماء لا يجهلون :

وقوله ( وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ) يقول : وإذا خاطبهم الجاهلون بالله بما يكرهونه من القول ، أجابوهم بالمعروف من القول ، والسداد من الخطاب .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو الأشهب ، عن الحسن ( وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ) . . . الآية ، قال : حلماء ، وإن جهل عليهم لم يجهلوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن يحيى بن المختار ، عن الحسن ، في قوله ( وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ) قال : إن المؤمنين قوم ذليل ، ذلت منهم والله الأسماع والأبصار والجوارح ، حتى يحسبهم الجاهل مرضى ، وإنهم لأصحاء القلوب ، ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة ، فقالوا : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ، والله ما حزنهم حزن الدنيا ، ولا تعاطف في أنفسهم ما طلبوا به الجنة ، أبكاهم الخوف من النار ، وإنه من لم يتعز بعزاء الله ، تقطع نفسه على الدنيا حسرات ، ومن لم ير الله عليه نعمة إلا في مطعم ومشرب ، فقد قل علمه ، وحضر عذابه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ) قال : سدادا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن أبي الوضاح ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد ( وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ) قال : سَدَادٌ مِنَ الْقَوْلِ .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ) حلماء .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن أبي الأشهب ، عن الحسن ، قال : حلماء لا يجهلون ، وَإِنْ جُهِلَ عَلَيْهِمْ حَلَمُوا وَلَمْ يَسْفَهُوا ، هذا نهارهم فكيف ليلهم ؟ خير ليل صفوا أقدامهم ، وأجروا دموعهم على خدودهم ، يطلبون إلى الله جل ثناؤه في فكك رقابهم .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبادة ، عن الحسن ، قال : حلماء لا يجهلون وَإِنْ جُهِلَ عَلَيْهِمْ حَلَمُوا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ يَدِينُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ، إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦)

يقول تعالى ذكره : والذين يدينون لربهم يصلون لله ، يراوحن بين سجود في صلاتهم وقيام ( وقِيَامًا ) جمع قائم ، كما الصيام جمع صائم ( وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ) يقول تعالى ذكره : والذين يدعون الله أن يصرف عنهم عقابه وعذابه حذرا منه ووجلا . وقوله ( إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ) يقول إن عذاب جهنم كان غراما ملحا دائما لازما ، غير مفارق من عذاب به من الكفار ، ومهلكا له ، ومنه قولهم : رجل مغرم ، من الغرم والدين . ومنه قيل للغريم غريم لطلبه حقه ، وإلحاحه على صاحبه فيه . ومنه قيل للرجل المولع بالنساء : إنه لمغرم بالنساء ، وفلان مغرم بفلان : إذا لم يصبر عنه ؛ ومنه قول الأعشى :

إِنْ يُعَاقَبُ يَكُنْ غَرَامًا وَإِنْ يُعْطَى جَزِيلًا فَإِنَّهُ لَا يُبَالِي

يقول : إن يعاقب يكن عقابه عقابا لازما ، لا يفارق صاحبه مهلكا له ، وقول بشر بن أبي حازم :

(١) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة ( ديوانه طبع القاهرة ، بشرح الدكتور محمد حسين ، ص ٩ ) وهو من قصيدة يمدح بها الأسود بن المنذر اللخمي ، وأولها « ما بكاء الكبير بالأطلال » والغرام : الشر الدائم ، ومنه قوله تعالى « إن عذابها كان غراما » أي هلاكها ولزاما لم . يقول : إن عاقب كان غراما ، وإن أعطى لم يبالي العذال .



وَيَوْمَ النَّسَارِ وَيَوْمَ الْخَيْفِ رِكَانَ عِيقَابًا وَكَانَ غَرَامًا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن الحسن اللاني ، قال : أخبرنا المعافي بن عمران الموصلي ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب في قوله ( إنَّ عَدَّآبَهَا كَانَ غَرَامًا ) قال : إن الله سأل الكفار عن نعمه ، فلم يردوها إليه ، فأغرمهم ، فأدخلهم النار .

قال : ثنا المعافي ، عن أبي الأشهب ، عن الحسن ، في قوله ( إنَّ عَدَّآبَهَا كَانَ غَرَامًا ) قال : قد علموا أن كلَّ غريم مفارق غريمه ، إلا غريم جهنم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إنَّ عَدَّآبَهَا كَانَ غَرَامًا ) قال : الغرام : الشر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( إنَّ عَدَّآبَهَا كَانَ غَرَامًا ) قال : لا يفارقه .

وقوله ( لَهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ) يقول : إن جهنم ساءت مستقرًّا ومقامًا ، يعني بالمستقر : القرار ، وبالمقام : الإقامة ، كأن معنى الكلام : ساءت جهنم منزلاً ومقامًا ، وإذا ضمت الميم من المقام فهو من الإقامة ، وإذا فتحت فهو من قمت ، ويقال : المقام إذا فتحت الميم أيضا هو المجلس ، ومن المقام بضم الميم بمعنى الإقامة ، قول سلامة بن جندل :

يَوْمَانِ : يَوْمٌ مُقَامَاتٍ وَأَنْدِيَّةٍ وَيَوْمٌ سَيِّرٍ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَأْوِيبًا

(١) البيت لبشر بن أبي خازم كما قال المؤلف . وفي اللسان نسبة للطرماح . قال : والفراغ : اللزوم من العذاب ، والشر الدائم ، والبلاء ، والحب والعشق ، وما لا يستطاع أن يتفصى منه ، وقال الزجاج : هو أشد العذاب في اللغة . قال الله عز وجل : « إن عذابها كان غراما » ، وقال الطرماح : « ويوم النصار . . . البيت » . وقوله عز وجل : « إن عذابها كان غراما » : أي ملحا دائما ملازما . وفي معجم ما استجزم للبكري « طيبة القاهرة ص ٣٨٥ » الجفار : بكسر أوله ، وبالراء المهملة : موضع بنجد ، وهو الذي عنى بشر بن أبي خازم بقوله : « ويوم الجفار . . . البيت » . وقال أبو عبيدة : الجفار : في بلاد بني تميم . وقال البكري في رسم النصار : النصار ، بكسر أوله : على لفظ الجمع ، وهي أجبل صفار ، شبهت بأنسر واقعة ، ذكر ذلك أبو حاتم . وقال في موضع آخر : هي ثلاث قارات سود ، تسمى الأنسر . وهناك أوقعت طيس وأسد وخطفان ، وهم حلفاء بني عامر وبني تميم ، ففرت تميم ، وثبتت بنو عامر ، فقتلوهم قتلا شديدا ؛ فغضبت بنو تميم لبني عامر ، فجمعوا ولقوه يوم الجفار ، فلقيت أشد ما لقيت بنو عامر ، فقال بشر بن أبي خازم :

غَضِبْتَ تَمِيمٌ أَنْ تُقْتَلَ عَامِرًا وَيَوْمَ النَّسَارِ فَأَعْقَبُوا بِالصَّيْلَمِ

قلت : الصيلم : الداهية المستأصلة . وفي رواية : فأعتبوا .

(٢) البيت لسلامة بن جندل ، كما قال المؤلف . ( وانظر اللسان : أوب ) . والمقامات جمع المقامة ، بمعنى الإقامة . والتأويب في كلام العرب : سير النهار كله إلى الليل . يقول : إننا نمضي حياتنا على هذا النحو : نجعل يوما للإقامة ، يجتمع أولو الرأي فينا في أنديتهم ومجالسهم ، ليتشاوروا ويدبروا أمر القبيلة ؛ واليوم الآخر نجعله للإغارة على الأعداء ، نشهنا عليهم ، ولو سرنا إليهم النهار كله فإنبال ، لأننا أهل عزة ومنعة . واستشهد به المؤلف عند قوله تعالى في صفة جهنم : « إنها ساءت مستقرًّا ومقامًا » أي إقامة .

ومن المقام الذي بمعنى المجلس ، قول عباس بن مرداس :  
فَأَبِي مَا وَأَيْتُكَ كَانَ شَرًّا فَتَقِيدَ إِلَى الْمَقَامَةِ لَا يَرَاهَا

يعنى : المجلس .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ، وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧)

يقول تعالى ذكره : والذين إذا أنفقوا أموالهم لم يسرفوا في إنفاقها .

ثم اختلف أهل التأويل في النفقة التي عنها الله في هذا الموضع ، وما الإسراف فيها والإقتار ، فقال بعضهم : الإسراف : ما كان من نفقة في معصية الله ، وإن قلت . قال وإياها ، عنى الله ، وسماها إسرافا . قالوا : والإقتار : المنع من حق الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ) ، وكان بين ذلك قواما قال : هم المؤمنون لا يسرفون فينفقون في معصية الله ، ولا يقترون فيمنعون حقوق الله تعالى .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، قال : لو أنفقت مثل أبي قبيس ذهبا في طاعة الله ، ما كان سرفا ، ولو أنفقت صاعا في معصية الله كان سرفا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال قوله ( وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ) قال : في النفقة فيما نهاهم ، وإن كان درهما واحدا ، ولم يقتروا ولم يقصروا عن النفقة في الحق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ) ، وكان بين ذلك قواما قال : لم يسرفوا فينفقوا في معاصي الله ؛ كل ما أنفق في معصية الله ، وإن قل فهو إسراف ، ولم يقتروا فيمسكوا عن طاعة الله . قال : وما أمسيك عن طاعة الله وإن كثر فهو إقتار .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني إبراهيم بن شبيب ، عن عمرو بن غنم ، أنه سئل عن الإسراف ما هو ؟ قال : كل شيء أنفقته في غير طاعة الله فهو سرف .

وقال آخرون : السرف : المجاوزة في النفقة الحد ، والإقتار : التقصير عن الذي لا بد منه .

(١) البيت لعباس بن مرداس ، أشده ابن بريق (اللسان: قوم) وهو شاهد على أن المقام والمقامة ، بفتح الميم : المجلس . وقال ، البغدادي في الخزانة (٢ : ٢٣٠) يدعو على الشر منهما ، أي من كان منا شرا أعماه الله في الدنيا ، فلا يبصر حتى يقاد إلى مجلسه . وقال شارح الباب : أي قيد إلى مواضع إقامة الناس وجمعهم في العرصات لا يراها ، أي قيد أعشى لا يرى المقامة . والبيت من جملة أبيات للعباس بن مرداس السلمي ، قالها لخفاف بن ندبة ، في أمر شجر بينهما .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عبد السلام بن حرب ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قوله ( وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتَرُوا ) قال : لا يجيعهم ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف .

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن يزيد بن حنيس أبو عبد الله الخزومي المكي ، قال : سمعت وهيب بن الورد أبي الورد مولى بني مخزوم ، قال : لقي عالم عالما هو فوقه في العلم ، فقال : يرحمك الله أخبرني عن هذا البناء الذي لإسراف فيه ما هو ؟ قال : هو ما سترك من الشمس ، وأكنك من المطر ، قال : يرحمك الله ، فأخبرني عن هذا الطعام الذي نصيبه لإسراف فيه ما هو ؟ قال : ماسد الجوع ودون الشبع ، قال : يرحمك الله ، فأخبرني عن هذا اللباس الذي لإسراف فيه ما هو ؟ قال : ما ستر عورتك ، وأدفاك من البرد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن شريح ، عن يزيد بن أبي حبيب في هذه الآية ( وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا ) . . . الآية ، قال : كانوا لا يلبسون ثوبا للجمال ، ولا يأكلون طعاما للذة ، ولكن كانوا يريدون من اللباس ما يستر به عورتهم ، ويكتنون به من الحر والقر ، ويريدون من الطعام ما سد عنهم الجوع ، وقوامهم على عبادة ربهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن العلاء بن عبد الكريم ، عن يزيد بن مرة الجعفي ، قال : العلم خير من العمل ، والحسنة بين السيئتين ، يعني : إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وخير الأعمال أوسطها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا كعب بن فروخ ، قال : ثنا قتادة ، عن مطرف ابن عبد الله ، قال : خير هذه الأمور أوسطها ، والحسنة بين السيئتين ، فقلت لقتادة : ما الحسنة بين السيئتين ؟ فقال ( الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتَرُوا ) . . . الآية . وقال آخرون : الإسراف : هو أن تأكل مال غيرك بغير حق .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا سالم بن سعيد ، عن أبي معاذ ، قال : كنت عند عون بن عبد الله ابن عتبة ، فقال : ليس المسرف من يأكل ماله ، إنما المسرف من يأكل مال غيره .  
قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك ، قول من قال : الإسراف في النفقة الذي عناه الله في هذا الموضع : ما جاوز الحد الذي أباحه الله لعباده ، إلى ما فوقه ، والإقتار : ما قصر عما أمر الله به ، والقوام : بين ذلك .

وإنما قلنا إن ذلك كذلك ، لأن المسرف والمقتر كذلك ، ولو كان الإسراف والإقتار في النفقة مرخصا فيهما ، ما كانا مذمومين ، ولا كان المسرف ولا المقتر مذموما ، لأن ما أذن الله في فعله ، فغير مستحق فاعله الذم .

فإن قال قائل : فهل لذلك من حدّ معروف تبيّنه لنا ؟ قيل : نعم ، ذلك مفهوم في كلّ شيء من المطاعم والمشارب والملابس والصدقة وأعمال البرّ وغير ذلك ، نكره تطويل الكتاب بذكر كلّ نوع من ذلك مفصلاً ، غير أن جملة ذلك هو ما بيّنا ، وذلك نحو أكل آكل من الطعام فوق الشبع ما يضعف بدنه ، وينهك قواه ، ويشغله عن طاعة ربه ، وأداء فرائضه ، فذلك من السرف ، وأن يترك الأكل وله إليه سبيل حتى يضعف ذلك جسمه ، وينهك قواه ، ويضعفه عن أداء فرائض ربه ، فذلك من الإقتار ، وبين ذلك القوام على هذا النحو ، كلّ ما جانس ما ذكرنا . فأما اتخاذ الثوب للجمال ، يلبسه عند اجتماعه مع الناس ، وحضوره المحافل والجمع والأعياد ، دون ثوب مهتته ، أو أكله من الطعام ما قواه على عبادة ربه ، مما ارتفع عما قد يسدّ الجوع ، مما هو دونه من الأغذية ، غير أنه لا يعين البدن على القيام لله بالواجب معونته ، فذلك خارج عن معنى الإسراف ، بل ذلك من القوام ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر ببعض ذلك ، وحضّ على بعضه ، كقوله « ما على أحدكم لئوٍ تتخذ ثوبين : ثوباً لمهنتيه ، وثوباً لجمعتيه وعيديه » وكقوله « إذا أنعم الله على عبده نعمة أحبّ أن يرى أثره عليه » ، وما أشبه ذلك من الأخبار التي قد بيّناها في مواضعها .

وأما قوله ( وكان بين ذلك قواماً ) فإنه النفقة بالعدل والمعروف ، على ما قد بيّنا .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي سليمان ، عن وهب بن منبه ، في قوله ( وكان بين ذلك قواماً ) قال : الشطر من أموالهم .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وكان بين ذلك قواماً ) النفقة بالحق .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وكان بين ذلك قواماً ) قال : القوام : أن ينفقوا في طاعة الله ، ويمسكوا عن محارم الله .  
قال : أخبرني إبراهيم بن شبيب ، عن عمر مولى غفيرة ، قال : قلت له : ما القوام ؟ قال : القوام : أن لا تنفق في غير حقّ ، ولا تمسك عن حقّ هو عليك . والقوام في كلام العرب ، بفتح القاف ، وهو الشيء بين الشيتين ، تقول للمرأة المعتدلة الخلق : إنها لحسنة القوام في اعتدالها ، كما قال الحطيئة :  
طافت أمانة بالركبان آونةً يا حسنة من قوامٍ ماٍ ومُنتقبا!  
فأما إذا كسرت القاف فقلت : إنه قوام أهله ، فإنه يعني به : أن به يقوم أمرهم وشأنهم . وفيه لغات

(١) البيت للحطيئة . وآونة : جمع أوان . والقوام : حسن الطول . والمنتقب : مصدر ميمي بمعنى الانتقاب . يقول : إن أمانة كانت أحياناً تطوف بالركبان ، فأعدل قوامها ، وأحسن نقبها . والنقاب : ما وضع على مارن الأنف من أغطية الوجه . والنقبة : هيئة الانتقاب به ، يقال إن فلانة لحسنة النقبة . ويكون معنى القوام كذلك : الشيء الوسط بين الشيتين . وقد حل عليه المؤلف معنى البيت .



أُخْرَ، يقال منه : هو قيام أهله وقبيلهم ، في معنى قوامهم . فعنى الكلام : وكان إنفاقهم بين الإسراف والإقتار قواماً معتدلاً ، لا يجاوزة عن حدّ الله ، ولا تقصيراً عما فرضه الله ، ولكن عدلاً بين ذلك على ما أباحه جل ثناؤه ، وأذن فيه ورخص .

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَلَمْ يَنْقُتُوا) فقراءته عامة قراء المدينة (وَلَمْ يَنْقُتُوا) بضم الياء ، وكسر التاء من : أقرت يقر . وقراءته عامة قراء الكوفيين (وَلَمْ يَنْقُتُوا) بفتح الياء وضم التاء من قسرت يقسر . وقراءته عامة قراء البصرة (وَلَمْ يَنْقُتُوا) بفتح الياء وكسر التاء ، من قسرت يقسر . والصواب من القول في ذلك : أن كل هذه القراءات على اختلاف ألفاظها ، لغات مشهورات في العرب ، وقراءات مستفيضات وفي قراء الأمصار ، بمعنى واحد ، فبأيتها قرأ القارئ فصيب .

وقد بيننا معنى الإسراف والإقتار بشواهدهما فيما مضى في كتابنا في كلام العرب ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضوع . وفي نصب القوام وجهان : أحدهما ما ذكرت ، وهو أن يجعل في كان اسم الإنفاق بمعنى : وكان إنفاقهم ما أنفقوا بين ذلك قواماً : أى عدلاً ، والآخر أن يجعل بين هو الاسم ، فتكون وإن كانت في اللفظة نصبا في معنى رفع ، كما يقال : كان دون هذا لك كافياً ، يعنى به : أقل من هذا كان لك كافياً ، فكل ذلك يكون في قوله (وكان بين ذلك قواماً) لأن معناه : وكان الوسط من ذلك قواماً .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ  
وَلَا يَزْنُونَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩)  
إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا  
رَحِيمًا (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١)

يقول تعالى ذكره : والذين لا يعبدون مع الله إلهاً آخر ، فيشركون في عبادتهم إياه ، ولكنهم يخلصون له العبادة ، ويفردونه بالطاعة ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق ، إما بكفر بالله بعد إسلامها ، أو زنا بعد إحصانها ، أو قتل نفس ، فتقتل بها ، ولا يزنون ، فيأتون ما حرم الله عليهم إتيانه من الفروج . (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ) يقول : ومن يأت هذه الأفعال ، فدعا مع الله إلهاً آخر ، وقتل النفس التي حرم الله بغير الحق ، وزنى (يَلْقَى أَثَامًا) يقول : يلق من عقاب الله عقوبة ونكالاً ، كما وصفه ربنا جل ثناؤه وهو أنه (يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا) ، ومن الأثام قول بلعاء بن قيس الكنانى :  
جَزَى اللَّهُ ابْنَ عَرُورَةَ حَيْثُ أَمْسَى عَقُورًا وَالْعُقُورُ لَهُ أَثَامٌ  
يعنى بالأثام : العقاب .

(١) البيت لبلعاء بن قيس بن ربيعة بن عبد الله بن يعمر ، واسمه حمضة ، وهو من كنانة بن خزيمه ، وكان بلعاء رأس بني كنانة في أكثر حروبهم ومغازيهم ، وكان كثير الغارات على العرب ، وله أخبار في حروب الفجار . وهو شاعر محسن ، قال في كل فن أشعاراً =

وقد ذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل قوم من المشركين أرادوا الدخول في الإسلام ، ممن كان منه في شركه هذه الذنوب ، فخافوا ألا ينفعهم مع ماسلف منهم من ذلك إسلام ، فاستفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية ، يعلمهم أن الله قابل توبة من تاب منهم .

## ذكر الرواية بذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : ثنى يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن ناسا من أهل الشرك قَتَلُوا فَأَكْثَرُوا ، فَأَتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالُوا : إِنْ الَّذِي تَدْعُونَا إِلَيْهِ لِحَسَنٍ ، لَوْ تَخْبَرْنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَارَةً ، فَنَزَلَتْ ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا يَزْنُونَ ) ، وَنَزَلَتْ ( قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ) . . . إِلَى قَوْلِهِ ( مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ) . قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : وَقَالَ مُجَاهِدٌ مِثْلَ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ سِوَاهُ .

حدثنا عبد الله بن محمد الفريابي ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي معاوية ، عن أبي عمرو الشيباني ، عن عبد الله ، قال : « سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا الْكِبَائِرُ ؟ قَالَ : أَنْ تَدْعُوَ لِلَّهِ نِدَاءً وَهُوَ خَلَقَكَ ، وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ ، وَأَنْ تَزْنِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ ، وَقُرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ : « وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا يَزْنُونَ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان عن الأعمش ومنصور ، عن أبي وائل عن عمرو ابن شريح ، عن عبد الله ، قال : « قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ ؟ قَالَ : أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً وَهُوَ خَلَقَكَ . قُلْتُ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةً أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ . قُلْتُ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : « ثُمَّ أَنْ تَزْنِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ » فَأَنْزَلَ تَصْدِيقَ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا يَزْنُونَ ) . . . الْآيَةَ .

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا علي بن قادم ، قال : ثنا أسباط بن نصر الهمداني ، عن منصور ، عن أبي وائل ، عن أبي ميسرة ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

== جيادا (انظر المؤلف والمختلف ١٠٦ ومعجم الشعراء للمرزباني ٣٥٧) . والبيت أنشده صاحب (اللسان: أثم) ونسبه إلى شافع الليثي . ونسبه أبو عبيدة في مجاز القرآن إلى بلعاء بن قيس الكناني ، وعنه أخذ المؤلف . قال في اللسان : قال أبو إسحاق : تأويل الأثام : المجازاة وقال أبو عمرو الشيباني : لقي فلان أثم ذلك : أي جزاء ذلك ، فإن الخليل وسبويه يذهبان إلى أن معناه : يلقي جزاء الأثام . وقول شافع الليثي في ذلك : « جزى الله بن عروة . . . » . له أثم « أي عقوبته مجازاة العقوق ، وهي طيبة الرحم . وقال الليث : الأثم في جملة التفسير : عقوبة الإثم . وقيل في قوله تعالى « يلقي أثاما » : قيل هو واد في جهنم . قال ابن سيده : والصواب عندي : أن معناه : يلقي عقاب الأثام . اهـ .



حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي ، قال : ثنا عيسى بن يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن سفيان ، عن عبد الله قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أي الذنب أكبر ؟ ثم ذكر نحوه » .

حدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : ثنا عامر بن مدرك ، قال : ثنا السري ، يعني ابن إسماعيل قال : ثنا الشعبي ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، فاتبعته ، فجلس على نشتر من الأرض ، وقعدت أسفل منه ، ووجهي حيال ركبتيه ، فاغتنمت خلوته ، وقلت : بأبي وأمي يا رسول الله ، أي الذنوب أكبر ؟ قال : « أن تدعوَ لله نداءً وهو خَلَقَكَ . قلت : ثم مه ؟ قال : أن تقتلَ ولَدَكَ كراهيةً أن يطعمَ معَكَ . قلت : ثم مه ؟ قال : أن تُزاني حليمةَ جارك ، ثم تلا هذه الآية « وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ » . . . إلى آخر الآية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طلحة بن غنم ، عن زائدة ، عن منصور ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، أو حدثت عن سعيد بن جبير ، أن عبد الرحمن بن أبزى أمره أن يسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين التي في النساء ( وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ) . . . إلى آخر الآية ، والآية التي في الفرقان ( وَمَنْ يَقْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ) . . . إلى ( وَيَحْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ) قال ابن عباس : إذا دخل الرجل في الإسلام ، وعلم شرائعه وأمره ، ثم قتل مؤمنا متعمدا ، فلا توبة له ، والتي في الفرقان ، لما أنزلت قال المشركون من أهل مكة : فقد عدلنا بالله ، وقتلنا النفس التي حرم الله بغير الحق ، فما ينفعنا الإسلام ؟ قال : فنزلت ( إِلَّا مَنْ تَابَ ) قال : فمن تاب منهم قبل منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، أو قال : حدثني الحكم عن سعيد بن جبير ، قال : أمرني عبد الرحمن بن أبزى ، فقال : سل ابن عباس ، عن هاتين الآيتين ، ما أمرهما عن الآية التي في الفرقان ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ) . . . الآية ، والتي في النساء ( وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ) . فسألت ابن عباس عن ذلك ، فقال : لما أنزل الله التي في الفرقان ، قال مشركو أهل مكة : قد قتلنا النفس التي حرم الله ، ودعونا مع الله إلها آخر ، فقال ( إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ) . . . الآية . فهذه لأولئك . وأما التي في النساء ( وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ) . . . الآية ، فإن الرجل إذا عرف الإسلام ، ثم قتل مؤمنا متعمدا ، فجزاؤه جهنم ، فلا توبة له ، فذكرته لجاهد ، فقال : إلا من ندم .

حدثنا محمد بن عوف الطائي ، قال : ثنا أحمد بن خالد الذهني ، قال : ثنا شيبان ، عن منصور بن المعتمر ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، قال لي سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى : سل ابن عباس عن هاتين الآيتين عن قول الله ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ) . . . إلى ( مَنْ تَابَ ) ، وعن قوله ( وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ) . . . إلى آخر الآية . قال : فسألت عنها ابن عباس ، فقال : أنزلت

هذه الآية في الفرقان بمكة إلى قوله ( وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ) فقال المشركون : فما يغني عنا الإسلام ، وقد عدلنا بالله ، وقتلنا النفس التي حرم الله ، وأتينا الفواحش ، قال : فأنزله الله ( إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ) . . . إلى آخر الآية ، قال : وأما من دخل في الإسلام وعقله ، ثم قتل ، فلا توبة له . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال في هذه الآية ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ) . . . الآية ، قال : نزلت في أهل الشرك .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير ، قال : أمرني عبد الرحمن بن أبيزى أن أسأل ابن عباس عن هذه الآية ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ) ، فذكر نحوه .

حدثني عبد الكريم بن عمير ، قال : ثنا إبراهيم بن المنذر ، قال : ثنا عيسى بن شعيب بن ثوبان ، مولى لبني الدليل من أهل المدينة ، عن فليح الشماس ، عن عبيد بن أبي عبيد ، عن أبي هريرة ، قال : « صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العتمة ، ثم انصرفت ، فإذا امرأة عند بابي ، ثم سلمت ، ففتحت ودخلت ، فيينا أنا في مسجدي أصلي ، إذ نقرت الباب ، فأذنت لها ، فدخلت فقالت : إني جئتك أسألك عن عمل عملت ، هل لي من توبة ؟ فقالت : إني زنت وولدت ، فقتلتها ، فقلت : ولا : لا نعمت العين ولا كرامة ، فقامت وهي تدعو بالحسرة تقول : يا حسرتاه ، أخليق هذا الحسن للنار ؟ قال : ثم صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح من تلك الليلة ، ثم جلسنا ننتظر الإذن عليه ، فأذن لنا ، فدخلنا ، ثم خرج من كان معي ، وتخلفت ، فقال : مالك يا أبا هريرة ، ألك حاجة ؟ فقلت له : يا رسول الله صليت معك البارحة ، ثم انصرفت ، وقصصت عليه ما قالت المرأة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما قلت لها ؟ قال : قلت لها : لا والله ولا نعمت العين ولا كرامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بئس ما قلت أما كنت تقرأ هذه الآية ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ) . . . الآية ( إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ) فقال أبو هريرة : فخرجت ، فلم أترك بالمدينة حصنا ولا دارا إلا واقفت عليها ، فقلت : إني تكن فيكم المرأة التي جاءت أبا هريرة الليلة ، فلتأتني ولتبشرني ؛ فلما صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم العشاء ، فإذا هي عند بابي ، فقلت : أبشري ، فإني دخلت على النبي ، فذكرت له ما قلت لي ، وما قلت لك ، فقال : بئس ما قلت لها ، أما كنت تقرأ هذه الآية ؟ فقرأتها عليها ، فخرت ساجدة ، فقالت : الحمد لله الذي جعل محرجا وتوبة مما عملت ، إن هذه الجارية وابنها حران لوجه الله ، وإني قد تبت مما عملت . »

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، قال : اختلفت إلى ابن عباس ثلاث عشرة سنة ، فما شئ من القرآن إلا سأله عنه ، ورسولي يختلف إلى عائشة ، فما سمعته ولا سمعت أحدا من العلماء يقول إن الله يقول لذنب لا يغفره .



وقال آخرون : هذه الآية منسوخة بالتي في النساء .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني المغيرة بن عبد الرحمن الحراني ، عن أبي الزناد ، عن خارجة بن زيد أنه دخل على أبيه وعنده رجل من أهل العراق ، وهو يسأله عن هذه الآية التي في تبارك الفرقان ، والتي في النساء ( وَمَنْ يَمْتَلِئْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ) فقال زيد بن ثابت : قد عرفت الناسخة من المنسوخة ، نسختها التي في النساء بعدها بستة أشهر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال الضحاك بن مزاحم : هذه السورة بينها وبين النساء ( وَمَنْ يَمْتَلِئْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ) ثمان حجج . وقال ابن جريج وأخبرني القاسم بن أبي بزة ، أنه سأل سعيد بن جبيرة : هل لمن قتل مؤمنا متعمدا توبة ؟ فقال : لا ، فقرأ عليه هذه الآية كلها ، فقال سعيد بن جبيرة : قرأتها على ابن عباس ، كما قرأتها على ، فقال : هذه مكية ، نسختها آية مدنية ، التي في سورة النساء .

وقد أتينا على البيان عن الصواب من القول في هذه الآية التي في سورة النساء ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وبنحو الذي قلنا في الأثام من القول ، قال أهل التأويل ، إلا أنهم قالوا : ذلك عقاب يعاقب الله به من أتى هذه الكبائر ، بواد في جهنم يدعى أاثاما .

ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن المقدم ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت أبي يحدث ، عن قتادة ، عن أبي أيوب الأزدي ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : الأثام : واد في جهنم .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ( يَلْتَقِ أَثَامًا ) قال : واديا في جهنم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، حدثنا ابن حميد قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، في قوله ( وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْتَقِ أَثَامًا ) قال : واديا في جهنم فيه الزناة .

حدثني العباس بن أبي طالب ، قال : ثنا محمد بن زياد ، قال : ثنا شريك بن قنينة ، عن لقمان بن عامر الخزاعي ، قال : جئت أبا أمامة صدي بن عجلان الباهلي ، فقلت : حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فدعا لي بطعام ، ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ أَنَّ صَخْرَةَ زَيْنَةَ عَشْرٍ عَشْرَ آوَاتٍ قُدِفَ بِهَا مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ مَا بَلَغَتْ قَعْرَهَا خَمْسِينَ خَرِيفًا ، ثُمَّ تَنْتَهَى إِلَى غِيٍّ وَأَثَامٍ ، قُلْتُ : وما غيٌّ وأثام ؟ قال : بَيْتْرَانِ فِي أَسْفَلِ جَهَنَّمَ ، يَسِيلُ فِيهِمَا »

صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ ، وهما اللذان ذكر الله في كتابه ( أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ) ، وقوله في الفرقان ( وَلَا يَزْنُونَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( يَلْقَى أَثَامًا ) قال : الأثام الشر ، وقال : سيكفيك ما وراء ذلك ( يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ) .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( يَلْقَى أَثَامًا ) قال : نكالا ؛ قال : وقال إنه واد في جهنم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن هشيم ، قال : أخبرنا زكريا بن أبي مریم ، قال : سمعت أبا أمامة الباهلي يقول : إن ما بين شفير جهنم إلى قعرها مسيرة سبعين خريفاً بجحر يهوى فيها ، أو بصخرة تهوى ، عظمها كعشر عشرات سنان ، فقال له رجل : فهل تحت ذلك من شيء ؟ قال : نعم ، غي وأثام .

قوله ( يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) اختلفت القراء في قراءته ، فقرأته عامة قراء الأمصار سوى عاصم ( يُضَاعَفُ ) جزماً ( وَيَخْلُدُ ) جزماً . وقرأه عاصم : ( يُضَاعَفُ ) رفعا ( وَيَخْلُدُ ) رفعا ، كلاهما على الابتداء ، وأن الكلام عنده قد تنهى عند ( يَلْقَى أَثَامًا ) ثم ابتداء قوله ( يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ ) . والصواب من القراءة عندنا فيه : جزم الحرفين كليهما : يضاعف ، ويخلد ، وذلك أنه تفسير للأثام ، لافعل له ، ولو كان فعلا له كان الوجه فيه الرفع ، كما قال الشاعر :

مَتَى تَأْتِيهِ تَعَشُّوْهُ إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ  
تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرٌ مُوقِدًا

فرجع تعشو ، لأنه فعل لقوله تأته ، معناه : متى تأته عاشيا .

وقوله ( وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ) ويبقى فيه إلى ما لانهاية في هوان . وقوله ( إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ) يقول تعالى ذكره : ومن يفعل هذه الأفعال التي ذكرها جل ثناؤه يلقى أثاماً ( إِلَّا مَنْ

(١) البيت الحطيطية (اللسان : عشا) . قال : عشا إلى النار وعشاها عشا وعشوا (كفعل) واعتشاها واعتشى بها : كله : رآها ليلا على بعد ، فقصدها مستضيئا بها ؛ قال الحطيطية : « متى تأته تعشو . . . » البيت . أي متى تأته لاتتبين ناره من ضعف بصره . اهـ . وجملة تعشو : في محل نصب على الحال : ولذلك قال المؤلف : فرجع تعشو لأنه فعل لقوله تأته ، أي هو حال من فاعل تأته . أي متى تأته عاشيا . أما ما رواه الطبري من أن القراء مختلفون في قراءة : « يضاعف » جزماً ورفعا فهو كلام وجيه ، ولكل قراءة تأويلها من جهة النحو ، ولكنه يؤثر رواية الجزم على التفسير ، أي البديل مما قبله ، وهو « يلقى » . والذي ذهب إليه المؤلف تبع فيه القراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ٢٢٦) قال : وقوله : « ومن يفعل ذلك يلقى أثاماً ، يضاعف له العذاب يوم القيامة » : قرأت القراء بجزم يضاعف ، ورفعه عاصم بن أبي النجود ؛ والوجه الجزم . وذلك إن فسرتة ولم يكن فعلا لما قبله (أي مصاحبا الفعل الذي قبله) فالوجه الجزم . وما كان فعلا لما قبله رفعتة ، فأما المفسر للمجزوم (أي البديل منه) فقوله : « ومن يفعل ذلك يلقى أثاماً » ثم فسر الاثام ، فقال : يضاعف له العذاب . ومثله في الكلام : « إن تكلمني توصني بالخير والبر أقبل منك » . ألا ترى أنك فسرت الكلام بالبر ، ولم يكن فعلا له ، فلذلك جزمت - ولو كان الثاني فعلا للأول لرفعتة ، كقولك : « إن تأتينا تطلب الخير تجده » . ألا ترى تجد تطلب فعلا للإتيان ، كقيلك : إن تأتينا طالبا للخير تجده ، قال الشاعر : متى تأته تعشو . . . البيت ، فرجع تعشو لأنه أراد : متى تأته عاشيا . ورفعه عاصم يضاعف له ، لأنه أراد الاستئناف ، كما تقول : إن تأتينا نكرمك ، نعطيك كل ما تريد ، لأجل الجزاء .



تاب) يقول : إلا من راجع طاعة الله تبارك وتعالى بتركه ذلك ، وإنابته إلى ما يرضاه الله (وَأَمَّنَ) يقول : وصدق بما جاء به محمد نبي الله (وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا) يقول : وعمل بما أمره الله من الأعمال ، وانتهى عما نهاه الله عنه .

قوله ( فَأَوْلَيْكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فأولئك يبدل الله بقبايح أعمالهم في الشرك ، محاسن الأعمال في الإسلام ، فيبدله بالشرك إيماناً ، وبقبل أهل الشرك بالله قبل أهل الإيمان به ، وبالزنا عفة وإحصاناً .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( فَأَوْلَيْكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ) قال : هم المؤمنون كانوا قبل لإيمانهم على السيئات ، فرغب الله بهم عن ذلك ، فحوّلهم إلى الحسنات ، وأبدلهم مكان السيئات حسنات .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ) . . . إلى آخر الآية ، قال : هم الذين يتوبون فيعملون بالطاعة ، فيبدل الله سيئاتهم حسنات حين يتوبون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن سعيد ، قال : نزلت ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ) . . . إلى آخر الآية ، في وحشي وأصحابه ، قالوا : كيف لنا بالتوبة ، وقد عبدنا الأوثان ، وقتلنا المؤمنين ، ونكحنا المشركات ، فأنزل الله فيهم ( إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ، فَأَوْلَيْكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ) ، فأبدلهم الله بعبادة الأوثان عبادة الله ، وأبدلهم بقتلهم مع المشركين ، قتلاً مع المسلمين للمشركين ، وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس ، في قوله ( فَأَوْلَيْكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ) قال : بالشرك إيماناً ، وبالقتل إمساكاً ، وبالزنا إحصاناً . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله : ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ) وهذه الآية مكية نزلت بمكة ( وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ) يعني : الشرك ، والقتل ، والزنا جميعاً . لما أنزل الله هذه الآية قال المشركون من أهل مكة : يزعم محمد أن من أشرك وقاتل وزنى فله النار ، وليس له عند الله خير ، فأنزل الله ( إِلَّا مَنْ تَابَ ) من المشركين من أهل مكة ، ( فَأَوْلَيْكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ) يقول : يبدل الله مكان الشرك والقتل والزنا : الإيمان بالله ، والدخول في الإسلام ، وهو التبديل في الدنيا . وأنزل الله في ذلك ( يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ) يعينهم بذلك ( لَاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ) يعني ما كان في الشرك ، يقول الله لهم : أنيبوا إلى ربكم وأسلموا له ، بدعوهم إلى الإسلام ، فهاتان الآيتان مكيتان ،

والتي في النساء ( وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ) . . . الآية ، هذه مدنية ، نزلت بالمدينة ، وبينها وبين التي نزلت في الفرقان ثمان سنين ، وهي مبهمة ليس منها مخرج .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو عميلة ، قال : ثنا أبو حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد ، قال : سئل ابن عباس عن قول الله جل ثناؤه ( يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ) فقال :

بُدِّلْنَ بَعْدَ حَرَّةٍ خَرِيفًا وَبَعْدَ طُولِ النَّفْسِ الْوَجِيفًا

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ) . . . إلى قوله ( يَحْتَلِدُ فِيهِ مُهَانَا ) فقال المشركون : ولا والله ما كان هؤلاء الذين مع محمد إلا معنا ، قال : فأنزل الله ( إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ ) قال : تاب من الشرك ، قال : وآمن بعقاب الله ورسوله ( وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ) ، قال : صدق ، ( فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ) قال : يبدل الله أعمالهم السيئة التي كانت في الشرك بالأعمال الصالحة حين دخلوا في الإيمان .

وقال آخرون : بل معنى ذلك ، فأولئك يبدل الله سيئاتهم في الدنيا حسنات لهم يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن عمرو البصري ، قال : ثنا قريش بن أنس أبو أنس ، قال : ثنى صالح بن رستم ، عن عطاء الخراساني ، عن سعيد بن المسيب ( فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ) قال : تصير سيئاتهم حسنات لهم يوم القيامة .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا محمد بن حازم أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المعمر بن سويد ، عن أبي ذر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَأَتَى لَأَعْرِفُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةِ » ، قال : يُؤْتَى بِرَجُلٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُقَالُ : نَحْوًا كِبَارَ ذُنُوبِهِ وَسَلَوَهُ عَنْ صِغَارِهَا ، قال : فَيُقَالُ لَهُ : سَمِعْتَ كَذَاً وَكَذَا ، وَعَمِلْتَ كَذَاً وَكَذَا ، قال : فَيَقُولُ : يَا رَبِّ لَقَدْ سَمِعْتُ أَشْيَاءَ مَا أَرَاهَا هَاهُنَا ، قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، قال : فَيُقَالُ لَهُ : لَكَ مَكَانٌ كُلُّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةٌ » .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب في ذلك : تأويل من تأوله : فأولئك يبدل الله سيئاتهم : أعمالهم في الشرك ، حسنات في الإسلام ، بنقلهم عما يسخطه الله من الأعمال إلى ما يرضى .

(١) هذا بيت للبيد العامري الشاعر . وروايته هكذا غامضة . ولم أجده في أصل ديوانه ، وإنما وجدته في الملحق بالديوان طبع ليدن ص ٥٦ ، وروايته فيه كرواية السيوطي في ( الاتقان ) ١ : ( وهذه الرواية أجود وأوضح ، وهي :

بُدِّلْنَ بَعْدَ النَّفْسِ الْوَجِيفًا وَبَعْدَ طُولِ الْجِرَةِ الصَّرِيفًا

يصف لبيد جماعة من الإبل ، بأنها كانت ترضع ليلًا زمنًا طويلًا ، ثم بدلت بذلك الوجيف ، وهو ضرب من سبر الإبل والخيل سريع ، يقال وجف البعير والفرس وجفًا ، ووجيفًا : أسرع . وبدلت بعد طول الاجترار في مباركها الصريف . والاجترار : أن يخرج ذو الكرش جزءًا من الطعام ليضمغه جيدًا ثم يعيده . والصريف يطلق على معان ، منها اللبن ساعة يجلب ، والخمر ، والمراد به هنا : صوت ناب الناقة إذا حركته ، وإنما يكون ذلك إذا نالها الإعياء والكلال . فكأن لبيدًا يقول : تبدلت أحوالها بعد النعم بؤسا .



وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية ، لأن الأعمال السيئة قد كانت مضت على ما كانت عليه من القُبْح ، وغير جائز تحويل عين قد مضت بصفة ، إلى خلاف ما كانت عليه ، إلا بتغييرها عما كانت عليه من صفتها في حال أخرى ، فيجب إن فعل ذلك كذلك ، أن يصير شرك الكافر الذي كان شركاً في الكفر بعينه إيماناً يوم القيامة بالإسلام ومعاصيه كلها بأعيانها طاعة ، وذلك ما لا يقوله ذو حجاً .

وقوله ( وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ) يقول تعالى ذكره : وكان الله ذا عفو عن ذنوب من تاب من عباده ، وراجع طاعته ، وذا رحمة به أن يعاقبه على ذنوبه بعد توبته منها . قوله ( وَمَنْ تَابَ ) يقول : ومن تاب من المشركين ، فأمن بالله ورسوله ( وَعَمِلَ صَالِحًا ) يقول : وعمل بما أمره الله فأطاعه ، فإن الله فاعل به من إبداله سبب أعماله في الشرك ، بحسبها في الإسلام ، مثل الذي فعل من ذلك ، بمن تاب وآمن وعمل صالحاً قبل نزول هذه الآية من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ) قال : هذا للمشركين الذين قالوا لما أنزلت ( وَالَّذِينَ لَا يُدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ) . . . إلى قوله ( وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ) لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما كان هؤلاء إلا معناه ، قال : ( وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا ) فإن لهم مثل ما هؤلاء ( فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ) لم تخطر التوبة عليكم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢)

اختلف أهل التأويل في معنى الزور الذي وصف الله هؤلاء القوم بأنهم لا يشهدونه ، فقال بعضهم : معناه الشرك بالله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله : ( لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ) قال : الشرك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ) قال : هؤلاء المهاجرون ، قال : والزور قولهم لآلئهم ، وتعظيمهم إياها . وقال آخرون : بل عني به الغناء .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن عبد الأعلى الحاربي قال : ثنا محمد بن مروان ، عن ليث ، عن مجاهد في قوله ( وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ) قال : لا يسمعون الغناء .

وقال آخرون : هو قول الكذب :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ) قال : الكذب :

قال أبو جعفر : وأصل الزُّور تحسين الشيء ، ووصفه بخلاف صفته ، حتى يخيل إلى من يسمعه أو يراه ، أنه خلاف ما هو به ، والشرك قد يدخل في ذلك ، لأنه محسن لأهله ، حتى قد ظنوا أنه حق ، وهو باطل ، ويدخل فيه الغناء ، لأنه أيضا مما يحسنه ترجيع الصوت ، حتى يستحلي سامعه سماعه ، والكذب أيضا قد يدخل فيه ، لتحسين صاحبه إياه ، حتى يظن صاحبه أنه حق ، فكل ذلك مما يدخل في معنى الزُّور : فإذا كان ذلك كذلك ، فأولى الأقوال بالصواب في تأويله : أن يقال : والذين لا يشهدون شيئا من الباطل ، لا شركا ، ولا غناء ، ولا كذبا ولا غيره ، وكل ما لزمه اسم الزور ، لأن الله عم في وصفه إياهم ، أنهم لا يشهدون الزور ، فلا ينبغي أن يخص من ذلك شيء إلا بحجة يجب التسليم لها ، من خبر أو عقل : وقوله ( وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ) اختلف أهل التأويل في معنى اللغو الذي ذكر في هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناه : ما كان المشركون يقولونه للمؤمنين ، ويكلمونهم به من الأذى ، ومرورهم به كراما : لإعراضهم عنهم وصفحهم :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ) قال : صفحوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ) قال : إذا أودوا مروا كراما ، قال : صفحوا . وقال آخرون : بل معناه : وإذا مروا بذكر النكاح ، كفوا عنه :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام بن حوشب ، عن مجاهد ( وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ) قال : إذا ذكروا النكاح كفوا عنه :

حدثني الحارث ، قال : ثنا الأشيب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام بن حوشب ، عن مجاهد ، ( وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ) قال : كانوا إذا أتوا على ذكر النكاح كفوا عنه :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبي مخزوم ، عن سيار ( وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ) قال : إذا مروا بالرقث كفوا :

وقال آخرون : إذا مروا بما كان المشركون فيه من الباطل مروا منكربين له :



## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ) قال : هؤلاء المهاجرون ، واللغو ما كانوا فيه من الباطل ، يعني المشركين ، وقرأ ( فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ) .  
وقال آخرون : عني باللغو هاهنا : المعاصي كلها .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله ( وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ) قال : اللغو كله : المعاصي .  
قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي ، أن يقال : إن الله أخبر عن هؤلاء المؤمنين الذين مدحهم ، بأنهم إذا مرّوا باللغو مرّوا كراما ، واللغو في كلام العرب هو كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل ، أو ما يستقبح ، فسب الإنسان الإنسان بالباطل الذي لا حقيقة له من اللغو ؛ وذكر النكاح بصريح اسمه مما يستقبح في بعض الأماكن ، فهو من اللغو ، وكذلك تعظيم المشركين آلهتهم من الباطل الذي لا حقيقة لما عظموه ، على نحو ما عظموه ، وسماح الغناء مما هو مستقبح في أهل الدين ، فكل ذلك يدخل في معنى اللغو ، فلا وجه إذ كان كل ذلك يلزمه اسم اللغو ، أن يقال : عني به بعض ذلك دون بعض ، إذ لم يكن لخصوص ذلك دلالة من خبر أو عقل . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : وإذا مرّوا بالباطل فسمعوه أو رأوه ، مرّوا كراما ، مرورهم كراما في بعض ذلك بآلا يسمعه ، وذلك كالغناء . وفي بعض ذلك : بأن يعرضوا عنه ويصفحوا . وذلك إذا أذوا بإسماح القبيح من القول ، وفي بعضه بأن ينهوا عن ذلك ، وذلك بأن يروا من المنكر ما يغير بالقول فيغيروه بالقول . وفي بعضه بأن يضاربوا عليه بالسيوف ، وذلك بأن يروا قوما يقطعون الطريق على قوم ، فيستصرخهم المراد ذلك منهم ، فيصرخونهم ، وكل ذلك مرورهم كراما .  
وقد حدثني ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن مسلم ، عن إبراهيم بن ميسرة ، قال : ما ابن مسعود بلهو مسرعا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَصْبَحَ ابْنُ مَسْعُودٍ لَكَرِيمًا » .  
وقيل : إن هذه الآية مكية .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : سمعت السدي يقول ( وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ) قال : هي مكية ، وإنما عني السدي بقوله هذا إن شاء الله ، أن الله نسخ ذلك بأمره المؤمنين بقتال المشركين بقوله ( فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ) ، وأمرهم إذا مرّوا باللغو الذي هو شرك أن يقتلوا أمراءه ، وإذا مرّوا باللغو الذي هو معصية لله أن يغيروه ، ولم يكونوا أمّروا بذلك بمكة ، وهذا القول نظير تأويلنا الذي تأولناه في ذلك .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣)

يقول تعالى ذكره : والذين إذا ذكّرهم مذكّر بحجج الله ، لم يكونوا صمّا لا يسمعون ، وعميا لا يبصرونها . ولكنهم يمسّطّ القلوب ، فهماء العقول ، يفهمون عن الله ما يذكّرهم به ، ويفهمون عنه ما ينبههم عليه ، فيوعون مواضعه آذانا سمعته ، وقلوبا وعته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( لَمْ يُخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ) فلا يسمعون ، ولا يبصرون ، ولا يفقهون حقا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ) قال : لا يفقهون ، ولا يسمعون ، ولا يبصرون :

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن ابن عون ، قال : قلت للشعبي : رأيت قوما قد سجدوا ، ولم أعلم ما سجدوا منه ، أسجدا ؛ قال ( وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ) قال : هذا مثل ضربه الله لهم ، لم يدعوها إلى غيرها ، وقرأ قول الله ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِاللَّهِ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ) . . . الآية .

فإن قال قائل : وما معنى قوله ( لَمْ يُخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ) أو يخّر الكافرون صمّا وعميانا إذا ذكروا بآيات الله ، فيسنتي عن هؤلاء ما هو صفة للكفار ؟ قيل : نعم ، الكافر إذا تلبّث عليه آيات الله خرّ عليها أصمّ وأعمى ، وخرّ عليها كذلك ، لإقامته على الكفر ، وذلك نظير قول العرب : سببت فلانا ، فقام يبكي ، بمعنى فظلّ يبكي ، ولا قيام هنالك ، ولعله أن يكون بكى قاعدا ؛ وكما يقال : نهيت فلانا عن كذا ، فقعده يشتمني ؛ ومعنى ذلك : فجعل يشتمني ، وظلّ يشتمني ، ولا قعود هنالك ، ولكن ذلك قد جرى على ألسن العرب ، حتى قد فهموا معناه وذكر الفراء أنه سمع العرب تقول : قعد يشتمني ، كقولك : قام يشتمني ، وأقبل يشتمني ؛ قال : وأنشد بعض بني عامر :

(١) أي فكنت أسجد معهم . ولكنه اختصر الكلام . وكثير من هؤلاء السائلين بين والمجيبين ، يختصرون الكلام إلى حد الرمز والإشارة ، اكتفاء بدلالة الحال .



لَا يُقْنَعُ الْجَارِيَةَ الْخِضَابُ وَلَا الْوِشَاحَانِ وَلَا الْجَلْبَابُ  
مِنْ دُونَ أَنْ تَلْتَقِيَ الْأَرْكَابُ وَيَقْعُدَ الْأَيْرُ لَهُ لُعَابًا

بمعنى : بصير ، فكذلك قوله ( لَمْ يَخْرُوا عَلَيْهَا صُمًَّا وَعُمِيَانَا ) إنما معناه : لم يَصْمُوا عنها ، ولا عموا عنها ، ولم يصيروا على باب ربه صُمًَّا وَعُمِيَانَا ، كما قال الراجز :

وَيَقْعُدَ الْمَنْ لَهُ لُعَابُ

بمعنى : وبصير

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ، وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤)

يقول تعالى ذكره : والذين يرغبون إلى الله في دعائهم ومسألهم بأن يقولوا : ( رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا ) ما تقرّ به أعيننا من أن تربناهم يعملون بطاعتك .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ) يعنون : من يعمل لك بالطاعة ، فتقرّ بهم أعيننا في الدنيا والآخرة .  
حدثني أحمد بن المقدم ، قال : ثنا حزم ، قال : سمعت كثيرا سأل الحسن ، قال : يا أبا سعيد ، قول الله ( هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ) في الدنيا والآخرة ، قال : لا بل في الدنيا ، قال : وما ذاك ؟ قال : المؤمن يرى زوجته وولده يطيعون الله .

حدثنا الفضل بن إسحاق ، قال : ثنا سالم بن قتيبة ، قال : ثنا حزم ، قال : سمعت الحسن فذكر نحوه .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : قرأ حضرمي ( رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ) قال : وإنما قرّة أعينهم أن يروهم يعملون بطاعة الله .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن ابن جرير فيما قرأنا عليه في قوله ( هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ) قال : يعبدونك فيحسنون عبادتك ، ولا يجرون الجراء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جرير ، قوله ( رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ) قال : يعبدونك بحسنون عبادتك ، ولا يجرون علينا الجرائر .

(١) هذه أربعة أبيات من مشطور الرجز ، رواها الفراء في معاني القرآن عن بعض العرب ( مصورة الجامعة ص ٢٢٧ ) قال : وسمعت العرب تقول : قد يشتمني ، كتوك ، قام يشتمني ، وأقبل يشتمني ؛ وأنشدني بعض العرب : لا يقنع الجارية . . . . . الأبيات . وفي البيت الرابع : « ويقعد المن » . . . الخ ، كتوك يصير . وقوله : الأركاب ، هو جمع ركب ، كسبب ، وهو العانة أو منبها ، أو ظاهر الفرج . قال الخليل : هو للمرأة خاصة . وقال الفراء : هو للرجل والمرأة . وأنشد الفراء : « لا يقنع الجارية . . . . . الأبيات » . وفي التهذيب : ولا يقال : ركب للرجل . وقيل يجوز أن يقال ركب للرجل . والمن ( في رواية الفراء ) : الحر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَيْنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ) قال : يسألون الله لأزواجهم وذرياتهم أن يهديهم للإسلام . حدثنا محمد بن عون ، قال : ثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، قال : ثنا أبي ، عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نُسَير ، عن أبيه ، قال : جلسنا إلى المقداد بن الأسود ، فقال : لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أشدّ حالة بُعث عليها نبي من الأنبياء في فترة وجاهلية ، ما يرون ديننا أفضل من عبادة الأوثان ، فجاء بفرقان فرّق به بين الحقّ والباطل ، وفرّق بين الوالد وولده ، حتى إن كان الرجل ليرى ولده ووالده وأخاه كافرا وقد فتح الله قفل قلبه بالإسلام ، فيعلم أنه إن مات دخل النار ، فلا تقرّ عينه ، وهو يعلم أن حبيبه في النار ، وإنما لئى قال الله ( وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَيْنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ) . . . الآية .

حدثني ابن عون ، قال : ثنا علي بن الحسن العسقلاني ، عن عبد الله بن المبارك ، عن صفوان ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نُسَير ، عن أبيه ، عن المقداد ، نحوه . وقيل : هب لنا قرّة أعين ، وقد ذكر الأزواج والذريات وهم جمع ، وقوله ( قُرَّةَ أَعْيُنٍ ) واحدة ، لأن قوله : قرّة أعين : مصدر من قول القائل : قرّت عينك قرّة ، والمصدر لا تكاد العرب تجمعها . وقوله ( وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : اجعلنا أئمة يقتدى بنا من بعدنا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني ابن عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا عون بن سلام ، قال : أخبرنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحّاك ، عن ابن عباس . في قوله ( وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ) يقول : أئمة يقتدى بنا . حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ) أئمة التقوى ولأهلهم يقتدى بنا . قال ابن زيد : كما قال لإبراهيم ( إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ) .

وقال آخرون : بل معناه : واجعلنا للمتقين إماما : نأتمّ بهم ، ويأتمّ بنا من بعدنا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ) قال : أئمة نفتدى بمن قبلنا ، ونكون أئمة لمن بعدنا . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ) قال : اجعلنا مؤتمين بهم ، مقتدين بهم .

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : معناه : واجعلنا للمتقين الذين يتقون معاصيك ، ويخافون عقابك ؟ إماما يأتمون بنا في الخيرات ، لأنهم إنما سألوا ربهم أن يجعلهم للمتقين أئمة ، ولم



يسألوه أن يجعل المتقين لهم إماما ، وقال (وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) ولم يقل أئمة ، وقد قالوا : واجعلنا ، وهم جماعة ، لأن الإمام مصدر من قول القائل : أم فلان فلانا إماما ، كما يقال : قام فلان قياما ، وصام يوم كذا صياما . ومن جمع الإمام أئمة ، جعل الإمام اسما ، كما يقال : أصحاب محمد إمام ، وأئمة للناس ، فمن وحد قال : يأتهم بهم الناس . وهذا القول الذي قلناه في ذلك قول بعض نحووي أهل الكوفة . وقال بعض أهل البصرة من أهل العربية : الإمام في قوله (لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) جماعة ، كما تقول : كلهم عدو . قال : ويكون على الحكاية ، كما يقول القائل : إذا قيل له : من أميركم ، هؤلاء أميرنا ، واستشهد لذلك بقول الشاعر :

يا عاذِلاتي لا تُردنَ ملامتي إنَّ العواذِلَ لسننَ لي بأَميرِ

القول في تأويل قوله تعالى

أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَوْنَ فِيهَا تحيةً وَسَلَامًا (٧٥)

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفت صفتهم من عبادي ، وذلك من ابتداء قوله (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) . . . إلى قوله (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا . . . الآية) (يُجْزَوْنَ) يقول : يثابون على أفعالهم هذه ، التي فعلوها في الدنيا (الغُرْفَةَ) وهي منزلة من منازل الجنة رفيعة (بِمَا صَبَرُوا) يقول : بصبرهم على هذه الأفعال ، ومقاساة شدتها . وقوله (وَيُلَقَوْنَ فِيهَا تحيةً وَسَلَامًا) اختلفت القراء في قراءته ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة (وَيُلَقَوْنَ) مضمومة الياء ، مشددة القاف ، بمعنى : وتلقاهم الملائكة فيها بالتحية . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة : (وَيُلَقَوْنَ) بفتح الياء ، وتخفيف القاف .

والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان في قرآنة الأمصار ، بمعنى واحد ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب ، غير أن أعجب القراءتين إلى أن أقرأ بها (وَيُلَقَوْنَ فِيهَا) بفتح الياء ، وتخفيف القاف ، لأن العرب إذا قالت ذلك بالتشديد ، قالت : فلان يُتَلَقَى بالسلام وبالخير ، ونحن نَتَلَقَاهم بالسلام ، قرنته بالياء ، وقلما تقول : فلان يُلَقَى السلام ، فكان وجه الكلام ، لو كان بالتشديد ، أن يقال : وَيُتَلَقَوْنَ فِيهَا بالتحية والسلام . وإنما اخترنا القراءة بذلك ، كما تجيز : أخذت بالخطام ، وأخذت الخطام . وقد بينا معنى التحية والسلام فيما مضى قبل ، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع .

(١) البيت من شواهد ابن هشام في المعنى في حرف اللام ، على أن قوله : « لا تردن ملامتي » أبلغ من : لا تلعني ، لأنه نهى عن السب ، والنهي عن إرادة الفعل أبلغ من النهي عن الفعل نفسه . وقال الأمير في حاشيته : قوله : « بأمر » : أخبر به عن الجمع ، إما لكونه فعلا يستوي فيه الواحد وغيره ، قال الله تعالى « والملائكة بعد ذلك ظهير » أو إنه صفة لمفرد لفظا جمع معنى محذوف ، أي بفريق أمير . فلاحظ في الإخبار معناه ، وفي وصفه لفظه . قلت : ولم ينسب البيت ابن هشام ولا الأمير ، ولا ذكره السيوطي في شرح شواهد المعنى ، في حرف اللام . وتوحيد الأمير في البيت نظير توحيد الإمام في قوله تعالى : واجعلنا للمتقين إماما ، وكلاهما يراد به الجمع في المعنى . قال في اللسان : وقوله تعالى : « واجعلنا للمتقين إماما » . قال أبو عبيدة : هو واحد يدل على الجمع أو .

القول في تأويل قوله تعالى

خَلِدِينَ فِيهَا حَسَدَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦) قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ، فَقَدْ كَذَّبْتُمْ ، فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٧٧) .

يقول تعالى ذكره : أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ، خالدون في الغرفة ، يعني أنهم ما كثون فيها ، لا يثون إلى غير أمد ، حسنت تلك الغرفة قرارا لهم ومقاما : يقول : وإقامة . وقوله ( قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي ) يقول جل ثناؤه لنبيه : قل يا محمد لهؤلاء الذين أُرْسِلتَ إليهم : أى شئ يعبدكم ، وأى شئ يصنع بكم ربى ، يقال منه : عَبَّأت به عَبَّأ عَبَّأً ، وَعَبَّأَت الطيبُ عَبَّؤُهُ : إذا هيأته ، كما قال الشاعر :

كَأَنَّ بِنَحْرِهِ وَبِمَنْكِبَيْهِ عَبَّيرًا بَاتَ يَعْبُؤُهُ عَرُوسٌ<sup>١</sup>

يقول : يهيئه ويعمله ، يعبؤه عبئاً وعبوا ، ومنه قولهم : عَبَّأَت الجيش بالتشديد والتخفيف ، فأنا أُعَبِّئُهُ : أهَيْئُهُ ، والعَبَّاءُ : التَّشْقِيلُ .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله ( قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي ) : يصنع لولا دعاؤكم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي ) قال : يعبأ : يفعل . وقوله ( لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ) يقول : لولا عبادة من يعبد منكم ، وطاعة من يطيعه منكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ) يقول : لولا إيمانكم ، وأخبر الله الكفار أنه لا حاجة له بهم ، إذ لم يخلقهم مؤمنين ، ولو كان له بهم حاجة لحبَّب إليهم الإيمان ، كما حبَّب إلى المؤمنين .

وحدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ) قال : لولا دعاؤكم إياه ، لتعبده وتطيعوه .

(١) البيت لأبي زيد الطائى يصف أسدا (اللسان : عبأ) . قال : وعبأ الطيب يعبؤه عبئا : صنعه وخلطه ، قال أبو زيد يصف أسدا : « كأن بنحره . . . البيت » . ويروى : « بات يخبؤه » . وقال الفراء فى معانى القرآن : وقوله : « ما يعبأ بكم ربى » : استفهام : أى ما يصنع بكم لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام ؟ وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن ( ص ١٧٠ ) ومنه قولهم : ما عبأت بك شيئا : أى ما عدتلك شيئا . اهـ .



وقوله ( فَكَذَّبْتُمْ كَذِبًا ) يقول تعالى ذكره لمشركي قريش قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقد كذبتم أيها القوم رسولكم الذي أرسل إليكم ، وخالفتم أمر ربكم الذي أمر بالتمسك به ، لو تمسكتم به ، كان يعبا بكم ربي ، فسوف يكون تكذيبكم رسول ربكم ، وخلافكم أمر بارئكم ، عذابا لكم ملازما ، قتلا بالسيوف ، وهلاكا لكم مفنيا يلحق بعضكم بعضا ، كما قال أبو ذؤيب الهذلي :

فَفَاجَأَهُ بِعَادِيَةٍ لِيَزَامَ كَمَا يَتَنَجَّرُ الْحَوْضُ اللَّقِيفُ !

يعنى باللزام: الكبير الذي يتبع بعضه بعضا ، وباللقيف: المتساقط الحجارة المهتمم ، ففعل الله ذلك بهم ، وصدقهم وعده ، وقتلهم يوم بدر بأيدي أوليائه ، وألحق بعضهم ببعض ، فكان ذلك العذاب اللزام .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني مولى لشقيق بن ثور أنه سمع سلمان أبا عبد الله ، قال : صليت مع ابن الزبير فسمعتة يقرأ : فقد كذب الكافرون .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سعيد بن أدهم السدوسي ، قال : ثنا محمد بن جعفر قال : ثنا شعبة ، عن عبد المجيد ، قال : سمعت مسلم بن عمار ، قال : سمعت ابن عباس يقرأ هذا الحرف : فقد كذب الكافرون ، فسوف يكون لزاما .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( قُلْ مَا يَعْتَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَكَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِيَزَامَا ) يقول : كذب الكافرون أعداء الله .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن ابن مسعود ، قال : فسوف يلغون لزاما يوم بدر .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : قال عبد الرحمن : خمس قد مضين : الدخان ، واللزام ، والبطشة ، والقمر ، والروم .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله ( فَسَوْفَ يَكُونُ لِيَزَامَا ) قال أبي بن كعب : هو القتل يوم بدر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن عمرو ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : اللزام : يوم بدر .

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي (اللسان : لقف) . قال : وحوض لقف ولقيف : تهور من أسفله واتسع ، ومنه قول أبي ذؤيب : فلم تر غير عادية لزاما . . . البيت قال : ويقال : الملاان . والأول : هو الصحيح . قال : والعادية : القوم يمدون على أرجلهم أي : فحسبهم لزاما ، كأنهم لزموه ، لا يفارقون ما هم فيه . اه . وقال في (لزم) : واللزام : الملازم قال أبو ذؤيب : (البيت كروايته في لقف) ثم فسره كما فسره هناك . قال : واللقيف : التهور من أسفله . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامة رقم ٢٦٠٥٩ ص ١٧٠) : لزام : أي كثيرة ، بعضها في إثر بعض . وبهامشه اللقيف المهتمم ، الذي سقطت حجاره بعضها على بعض . اه .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عسّية ، عن ليث ، عن مجاهد ( فَسَوْفَ يَكُونُ لِيَزَامَا )  
قال : هو يوم بدر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَسَوْفَ يَكُونُ لِيَزَامَا ) قال : يوم بدر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن منصور ، عن سفيان ، عن ابن مسعود ، قال :

اللزّام : القتل يوم بدر .

حدثت عن الحسين قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله  
( فَقَدَرْتُ كَدًّا بِسْمِ فَسَوْفَ يَكُونُ لِيَزَامَا ) الكفار كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به من  
عند الله ، فسوف يكون لزاما ، وهو يوم بدر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : قد مضى اللزّام ،  
كان اللزّام يوم بدر ، أسروا سبعين ، وقتلوا سبعين .  
وقال آخرون : معنى اللزّام : القتال .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَسَوْفَ يَكُونُ لِيَزَامَا )  
قال : فسوف يكون قتالا ؛ اللزّام : القتال .  
وقال آخرون : اللزّام : الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( فَسَوْفَ يَكُونُ  
لِيَزَامَا ) قال : موتا .

وقال بعض أهل العلم بكلام العرب : معنى ذلك : فسوف يكون جزاء ، يلزم كل عامل ما عمل من خير أو شر .  
وقد بينّا الصواب من القول في ذلك . وللنصب في اللزّام وجه آخر غير الذي قلناه ، وهو أن يكون في قوله  
( يَكُونُ ) مجهول ، ثم ينصب اللزّام على الخبر كما قيل :

إِذَا كَانَ طَعْنَا بَيْنَهُمْ وَقِتَالَا

وقد كان بعض من لا علم له بأقوال أهل العلم ، يقول في تأويل ذلك : قل ما يعبا بكم ربّي لولا دُعَاؤكم  
ماتدُعُونَ من دونه من الآلهة والأنداد . وهذا قول لا معنى للتشاغل به . لخروجه عن أقوال أهل العلم ،  
من أهل التأويل .

آخر سورة الفرقان والحمد لله وحده



## تفسير سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

طسّم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) لَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣)

قال أبو جعفر : وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فيما في ابتداء فواتح سور القرآن من حروف الحجاء ، وما انتزع به كل قائل منهم لقوله ومذهبه من العلة . وقد بيننا الذي هو أولى بالصواب من القول فيه ، فيما مضى من كتابنا هذا ، بما أغنى عن إعادته ، وقد ذكر عنهم من الاختلاف في قوله : طسّم وطسّ ، نظير الذي ذكر عنهم في المّ والمرّ والمصّ .

وقد حدثني عليّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله ( طسّم ) قال : فإنه قسم أقسمه الله ، وهو من أسماء الله . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( طسّم ) قال : اسم من أسماء القرآن .

فتأويل الكلام على قول ابن عباس : والجميع ، إن هذه الآيات التي أنزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم في هذه السورة ، لآيات الكتاب الذي أنزلته إليه من قبلها ، الذي بين لمن تدبره بفهم ، وفكر فيه بعقل ، أنه من عند الله جلّ جلاله ، لم يتخرّصه محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يتقوله من عنده ، بل أوحاه إليه ربه . وقوله ( لَعَلَّكَ بَاحِيعٌ نَفْسِكَ أَنْ لَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ) يقول تعالى ذكره : لعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها إن لم يؤمن قومك بك ، ويصدقوك على ما جئتهم به . والبخيع : هو القتل والإهلاك في كلام العرب ؛ ومنه قول ذي الرمة :

أَلَا أَيُّهَذَا الْبَاحِيعُ الْوَجْدُ نَفْسَهُ لِيَشِيءَ نَحْتَهُ عَن يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ  
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ( باخيعٌ نَفْسِكَ ) : قاتل نفسك .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( لَعَلَّكَ بَاحِيعٌ نَفْسِكَ أَنْ لَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ) قال : لعلك من الحرص على إيمانهم مخرج نفسك من جسدك ، قال : ذلك البخع .

(١) البيت لذى الرمة ، وقد تقدم الاستشهاد به في سورة الكهف ( ١٥ : ١٩٤ ) على أن معنى البخع : القتل ، فراجعه ثمة .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : ( لَعَلَّكَ بِاِخْتِاعِ نَفْسِكَ ) عليهم حرصا ، وأن من قوله ( أن لا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ) في موضع نصب بياضع ، كما يقال : زرت عبد الله أن زارني ، وهو جزء ؛ ولو كان الفعل الذي بعد أن مستقبلا ، لكان وجه الكلام في « أن » الكسر ، كما يقال ؛ أزور عبد الله أن يزوني .

#### القول في تأويل قول تعالى

إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ ، فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤)

❦ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ ) ... الآية ، فقال بعضهم : معناه : فظل القوم الذين أنزل عليهم من السماء آية ، خاضعة أعناقهم لها من الذلّة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله ( فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ ) لَهَا خَاضِعِينَ ) قال : فظلوا خاضعة أعناقهم لها .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( خَاضِعِينَ ) قال : لو شاء الله لنزل عليه آية يذون بها ، فلا يتلوى أحد عنقه إلى معصية الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( أن لا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ . إن نشأ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ ) قال : لو شاء الله لأراهم أمرا من أمره لا يعمل أحد منهم بعده بمعصية . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ) قال : ملقّين أعناقهم .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ) قال : الخاضع : الدليل .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فظلت سادتهم وكبرائهم للآية خاضعين ، ويقول : الأعناق : هم الكبراء من الناس .

واختلف أهل العربية في وجه تذكير خاضعين ، وهو خبر عن الأعناق ، فقال بعض نحوّي البصرة : يزعمون أن قوله ( أَعْنَاقُهُمْ ) على الجماعات ، نحو هذا عُنُقُ من الناس كثير ، أو ذُكُرٌ كما يذكر بعض المؤنث ، كما قال الشاعر :

تَمَزَّرَتْهَا وَالذِّيكُ يَدْعُو صَبَاحَهُ إِذَا مَا بَنُو نَعَشٍ دَنَوْا فَتَصَوَّبُوا!

(١) هذا البيت أشده سيويه للناطقة الجعدى ، ( اللسان : نعش ) وقبله بيت آخر ، يصف بهما الخمر ، وهو قوله :

وَصَهْبَاءُ لَا يَخْفَى الْقَدَى وَهِيَ دُونَهُ تُصَقِّقُ فِي رَأُوقِهَا مِمَّ تُقْطَبُ

قال : وبنات نعش سبعة كواكب ، أربعة منها مربعة ، وثلاثة بنات نعش ، الواحد : ابن نعش لأن الكوكب مذكر ، فيذكرونه على تذكيره . وإذا قالوا : ثلاث أو أربع ، ذهبوا إلى البنات ، وكذلك بنات نعش الصغرى . واتفق سيويه والفراء على ترك صرف نعش للمعرفة .



فجماعات هذا أعناق، أو يكون ذكره لإضافته إلى المذكر كما يؤنث لإضافته إلى المؤنث، كما قال الأعشى:

وتَشْرِقُ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَذَعْتَهُ كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنْ الدَّمِ<sup>١</sup>

وقال العجاج:

كَمَا رَأَى مَسْنَنَ الْمَاءِ أَبْعَدَتْ<sup>٢</sup>

وقال الفرزدق:

إِذَا الْقَنْبُضَاتُ السُّودُ طَوَّفْنَ بِالضُّحَى رَقَدْنَ عَلَيَّهِنَّ الْحِجَالُ الْمُسَجَّفُ<sup>٣</sup>

وقال الأعشى:

وَأَنَّ امْرَأً أَهْدَى إِلَيْكَ وَدُونَهُ مِنْ الْأَرْضِ يَهْمَاءٌ وَبَيْدَاءٌ خَيْفَقُ<sup>٤</sup>

لَمَحْقُوقَةٌ أَنْ تَسْتَجِيبِي لِيصَوْتِهِ وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمَعَانَ الْمُؤَفَّقُ<sup>٥</sup>

= والتأنيث. وقيل شبهت بحملة النعش في ترييها. وجاء في الشعر بنو نعش، أنشد سيبويه للناطقة المعلى: «وصبها لا يخفق... البيتان» الصبها الحمر. وقوله «لا يخفق القذى وهي دونه»: أي لا تستره إذا وقع فيها، لكونها صافية، فالقذى يرى فيها إذا وقع. وقوله وهي دونه: يريد أن القذى إذا حصل في أسفل الإناء، رآه الرائي في الموضع الذي فوقه الحمر، والحمر أقرب إلى الرائي من القذى. يريد أنها يرى ما وراءها. وتصفق تدار من إناه إلى إناه. وقوله تحزرتها: أي شربتها قليلا قليلا. وتقطب: تخرج بالماء. قال الأزهري: وللشاعر إذا اضطر أن يقول: بنو نعش، كما قال الشاعر، وأنشد البيت، ووجه الكلام: بنات نعش، كما قالوا: بنات آوى، وبنات عرس، والواحد منها ابن عرس، يؤنثون جمع ما خلا الآدميين، ورواية أبي عبيدة في مجاز القرآن ص ١٧١) شربت إذا ما لديك... الخ البيت.

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (اللسان: شرق) قال شرق الشيء شرقا، فهو شرق: اشتدت حرته، بدم، أو بحسن لون أحر، قال الأعشى: «وتشرق بالقول... البيت. والبيت هو الرابع والثلاثون من قصيدة في ديوانه (طبع القاهرة ص ١٢١) يهجو بها عمير بن عبد الله بن المنذر بن عبدان، حين جمع بينه وبين جهنم الشاعر لهاجيه. قال شارح الديوان: «وحق تشرق بما أذعت من قول، كما يشرق مقدم الرمح بالدم». وصدر القناة: أعلاها. والشاهد في البيت أنه أنث الفعل شرق بالثناء، مع أن فاعله وهو «صدر» مذكر. ولكنه لما أضيف إلى القناة وهي مؤنثة، فكأنه جعل الفعل للقناة لا لصدرها.

(٢) لم أجد البيت في ديوان العجاج ورواية. ووجدت أرجوزة من نفس القافية للزيان ملحقة بديوان العجاج (٩٤، ٩٥) وليس فيها البيت والمتن: الظاهر. والشاهد في هذا الرجز أنه أنث الفعل أبعدت بالثناء، مع أن الضمير فيه راجع إلى المتن، وهو مذكر؛ لكن لما أضيف المتن إلى السماء وهي مؤنثة، فكأن الشاعر أعاد الضمير على السماء، وتناسى المتن، فأنت لذلك، وكأنه قال: «لما رأى السماء أبعدت». وهو كالشاهد الذي قبله.

(٣) البيت للفرزدق (اللسان: قبض) والقنبضة من النساء: القصيرة، والنون زائدة، والضمير في رقدن: يعود إلى نساء وصفهن بالنعمة والترف، إذا كانت القنبضات السود في خدمة وتمب. اه. يعني بالقنبضات الولائد والإماء من الخدم. والحجال: جمع حجلة، بالتحريك، وهي بيت كالقبة يستر بالثياب، ويكون له أزرار كبار. ومنه حديث: «أعروا النساء يلزمن الحجال». وجمع الحجلة: حجل وحجال، قال الفرزدق: «رقدن عليهن الحجال المسجف». قال الحجال، وهي جماعة، ثم قال المسجف فذكر، لأن لفظ الحجال لفظ الواحد، مثل الجراب. قال: ومثله قوله تعالى: «قال من يحسى العظام وهي رميم»، ولم يقل رميمية. وانظر البيت أيضا في ديوان الفرزدق (طبعة الصاوي ص ٥٥٢) قال: والتسجيف: إرخاء السجفين، وهما سترتا باب الحجلة للعروس، وكل باب يستره ستران بينهما مشقوق، فكل شق منهما سجف.

(٤) البيتان لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه ص ٢٢٢) من قافيته التي مطلعها: «أرقت وما هذا السهاد المورق» يمدح بها الخلق ابن خنم بن شداد بن ربيعة. وفي رواية البيت الأول فيه وفي خزانة الأدب الكبرى (للبغدادي ١: ٥٥١، ٢: ٤١٠) أسرى: في موضع: أهدى. و«أن المعان موفق» في موضع «أن المعان الموفق». ومعنى أهدى من الهدية، وهذا لا يصلح إلا على أن الخطاب للناقة، وكان قد أهداها الممدوح إليه، لاعل أن الخطاب للمرأة المذكورة في القصيدة قبل البيت في قوله «وكم دون ليل» وتتمام رواية البيت على أنه خطاب للناقة هو:

وإن امرأ أهداك بيني وبينه فياف تنوفات ويهماء تملق

والأكثر على رواية أسرى إليك، وأنه خطاب للمرأة، وعليه بنى الكوفيون كلامهم في الاستشهاد بالبيت. وأسرى: لغة في مري أي =

قال : ويقولون : بنات نعش وبنو نعش ، ويقال : بنات عيرس ، وبنو عيرس ؛ وقالت امرأة : أنا امرؤ  
لأخبر السر ، قال : وذُكِرَ لرؤبة رجل فقال : هو كان أحد بنات مساجد الله ، يعني الحصى ؛ وكان بعض  
نحوي الكوفة يقول : هذا بمنزلة قول الشاعر :

تَرَى أَرْمَاحَهُمْ مُتَّقَلِّدِيهَا إِذَا صَدَيْتِ الْحَدِيدُ عَلَى الْكُمَامَةِ ٢

فعناه عنده : فضلت أعناقهم خاضعيها هم ، كما يقال : يدك باسطها ، بمعنى : يدك باسطها أنت ، فاكتفي  
بما ابتداء به من الاسم أن يكون ، فصار الفعل كأنه للأول ، وهو للثاني ، وكذلك قوله : لمحقوقة أن تستجيب  
لصوته إنما هو لمحقوقة أنت ، والمحقوقة : الناقة ، إلا أنه عطفه على المرء ، لما عاد بالذكر . وكان آخر  
منهم يقول : الأعناق : الطوائف ، كما يقال : رأيت الناس إلى فلان عنقنا واحدة ، فيجعل الأعناق الطوائف  
والعصب ؛ ويقول : يحتمل أيضا أن تكون الأعناق هم السادة والرجال الكبراء ، فيكون كأنه قيل :  
فضلت رعوس القوم وكبراؤهم لها خاضعين . وقال : أحب إلى من هذين الوجهين في العربية ، أن يقال :  
إن الأعناق إذا خضعت ، فأربابها خاضعون ، فجعلت الفعل أولا للأعناق ، ثم جعلت خاضعين للرجال ،  
كما قال الشاعر :

عَلَى قَبْضَةِ مَرَجُوتٍ ظَهَرَ كَفِّهِ فَلَا الْمَرْءُ مُسْتَحْيٍ وَلَا هُوَ طَاعِمٌ ١

فأنت فعل الظهر ، لأن الكف تجمع الظهر ، وتكنى منه ، كما أنك تكتفى بأن تقول : خضعت لك ، من أن  
تقول : خضعت لك رقبتي ، وقال : ألا ترى أن العرب تقول : كل ذي عين ناظر وناظرة إليك ، لأن

سار ليلا . والمومة : الأرض التي لاماء فيها . والبيداء واليهام القفر . والسلق : الأرض المستوية . وقد اختلف النحويون في تخريج  
قوله : « لمحقوقة أن تستجيب » ، فقيل : لمحقوقة استجابتك ، أي استجابتك لمحقوقة . وعليه فالتأنيث في محقوقة المصدر المؤنث جوازا .  
وعليه أيضا فلا شاهد في البيت . وقال الكوفيون : محقوقة خبر إن امرأ ، غير جار على من هو له ، وهو امرأ ، وإنما هو جار على المرأة  
المخاطبة بقوله إليك . والبصريون يوجبون إذا جرى الخبر على غير من هو له إبراز الضمير المستتر فيه ، فكان حقه أن يقول : لمحقوقة  
أنت أن تستجيب لصوته . ويرى الكوفيون أن إبراز الضمير المستتر في مثل هذه الحالة ، حكمة الجواز لا الوجوب ، واستدلوا بالبيت على  
ترك إبرازه . ورد البصريون كلامهم بما لا محل لذكره هنا . واستشهد المؤلف بالبيت على ما يستشهد به الكوفيون .

(١) البيت ذكره ابن الأنباري في الإنصاف ، ولم ينسبه ، وكذلك لم ينسبه البغدادي في الخزانة (٢ : ٤١١) وهو كالشاهد الذي قبله  
قال البغدادي : الظاهر من كلام ابن الشجري في أماليه ، ومن كلام ابن الأنباري في مسائل الخلاف ، ومن كلام غيرهما : أن مذهب  
الكوفيين ، جواز ترك التأكيد مطلقا ، سواء أمن اللبس أم لا . قال ابن الأنباري : احتج الكوفيون لمذهبهم بالشعر المتقدم ، وبقوله :  
« ترى أرباقهم » . . . البيت . ولو كان إبراز الضمير واجبا لقال : متقلديها هم . فلما لم يبرز الضمير دل على جوازه . وأجاب  
البصريون عن هذا بأنه على حذف مضاف ، أي ترى أصحاب أرباقهم متقلديها . ورواية البيت في الخزانة والإنصاف : « ترى أرباقهم »  
في موضع « ترى أرباقهم » . وكذلك أشده الفراء في معاني القرآن : أرباقهم (ص ٢٢٨) .

(٢) هذا البيت مما استشهد به الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٢٨) قال عند قوله تعالى : « فضلت أعناقهم لها خاضعين » : الفعل  
للأعناق ، فيقول القائل : كيف لم يقل خاضعة . وفي ذلك وجوه كلها صواب . أولها : أن مجاهدا جعل الأعناق الرجال الكبراء ،  
فكانت الأعناق هاهنا بمنزلة قولك : ظلت رموسهم ، رموس القوم وكبراؤهم لها خاضعين ، الآية . والوجه الآخر : أن تجعل الأعناق :  
الطوائف ، كما تقول : رأيت الناس إلى فلان عنقا واحدا ، فتجعل الأعناق : الطوائف والمصعب . وأحب إلى من هذين الوجهين  
في العربية : أن الأعناق إذا خضعت ، فأربابها خاضعون ، فجعلت الفعل أولا للأعناق . ثم جعلت خاضعين للرجال ، كما قال الشاعر :  
« على قبضة مرجوة » . . . البيت . فأنت فعل الظهر ، لأن الكف تجمع الظهر ، وتكنى منه .



قولك : نظرتُ إليك عيني ، ونظرتُ إليك بمعنى واحد بترك كل ، وله الفعل وبرده إلى العين ، فلو قلت :  
فظلت أعناقهم لها خاضعة ، كان صواباً :

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بما قال أهل التأويل في ذلك أن تكون الأعناق  
هي أعناق الرجال ، وأن يكون معنى الكلام : فظلت أعناقهم ذليلة ، للآية التي ينزلها الله عليهم من السماء ،  
وأن يكون قوله خاضعين مذكراً ، لأنه خبر عن الهاء والميم في الأعناق ، فيكون ذلك نظير قول جرير :

أَرَى مَرَّ السَّنِينِ أَخْسَدَنَ مَيْتِي      كَمَا أَخْسَدَ السَّرَّارُ مِنَ الْهِلَالِ

وذلك أن قوله : مرّ ، لو أسقط من الكلام ، لأدى ما بقي من الكلام عنه ولم يفسد سقوطه معنى الكلام عما  
كان به قبل سقوطه ، وكذلك لو أسقطت الأعناق من قوله : فظلت أعناقهم ، لأدى ما بقي من الكلام  
عنها ، وذلك أن الرجال إذا ذلّوا ، فقد ذلت رقابهم ، وإذا ذلت رقابهم فقد ذلوا .

فإن قيل في الكلام : فظلوا لها خاضعين ، كان الكلام غير فاسد ، لسقوط الأعناق ، ولا متغير معناه  
عما كان عليه قبل سقوطها ، فصرف الخبر بالخضوع إلى أصحاب الأعناق ، وإن كان قد ابتدأ بذكر الأعناق  
لما قد جرى به استعمال العرب في كلامهم ، إذا كان الاسم المبتدأ به ، وما أضيف إليه يؤدّي الخبر كل  
واحد منهما عن الآخر .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ الرُّسُلِ مُخَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٥)

يقول تعالى ذكره : وما يجيء هؤلاء المشركين الذين يكذبونك ويحجدون ما أتيتهم به يا محمد من عند  
ربك من تذكير وتنبية على مواضع حجج الله عليهم على صدقتك ، وحقيقة ماتدعوهم إليه مما يحدثه الله إليك  
ويوحيه إليك ، لتذكرهم به ، إلا أعرضوا عن استماعه ، وتركوا إعمال الفكر فيه وتدبره .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٦)

يقول تعالى ذكره : فقد كذب يا محمد هؤلاء المشركون بالذكر الذي أتاهم من عند الله ، وأعرضوا  
عنه ( فسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ) يقول : فسَيَأْتِيهِمْ أخبار الأمر الذي كانوا يسخرون  
وذلك وعيد من الله لهم أنه محلّ بهم عقابه على تماديهم في كفرهم ، وتمردهم على ربهم .

(١) البيت لجرير ، وقد سبق الاستشهاد به في الجزء (١٢ : ١٥٧) وذكره صاحب (اللسان : خضع) قال : جاز أن يخبر عن  
المضاف إليه كما قال الشاعر « رأيت من السنين » ، لما كانت السنون لا تكون إلا بمرأخبر عن السنين ، وإن كان أضاف إليها المروور .  
والمرار : الليلة يخفى فيها الهلال آخر الشهر . ورواية « رأيت من السنين » : هي رواية الديوان ( طبعة الصاوي ٤٢٦ ) . ورواية  
أبي عبيدة في مجاز القرآن ( ص ١٧١ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (٧)

يقول تعالى ذكره : أولم ير هؤلاء المشركون المكذّبون بالبعث والنشر إلى الأرض ، كم أنبتنا فيها بعد أن كانت ميتة لا نبات فيها ( مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ) يعني بالكريم : الحسن ، كما يقال للنخلة الطيبة الحمل : كريمة ، وكما يقال للشاة أو الناقة إذا غزرتا ، فكثرت ألبانها : ناقة كريمة ، وشاة كريمة .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ) قال : من نبات الأرض ، مما تأكل الناس والأنعام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ) قال : حسن .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٩)

يقول تعالى ذكره : إن في إنباتنا في الأرض من كل زوج كريم آية : لدلالة هؤلاء المشركين المكذّبين بالبعث ، على حقيقته ، وأن القدرة التي بها أنبت الله في الأرض ذلك النبات بعد جدوبتها ، لن يُعجزه أن يُنْشِرَ بها الأموات بعد مماتهم ، أحياء من قبورهم . وقوله ( وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ) يقول وما كان أكثر هؤلاء المكذّبين بالبعث ، الجاحدين نبوتك يا محمد ، بمصدقيك على ما أتيتهم به من عند الله من الذكر ، يقول جل ثناؤه : وقد سبق في علمي أنهم لا يؤمنون ، فلا يؤمن بك أكثرهم للسابق من علمي فيهم . وقوله ( وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ) يقول : وإن ربك يا محمد هو العزيز في نعمته ، لا يمتنع عليه أحد أراد الانتقام منه ، يقول تعالى ذكره : وإني إن أحللت بهؤلاء المكذّبين بك يا محمد ، المعرضين عما يأتيهم من ذكر من عندي ، عقوبتي بتكذيبهم إياك ، فلن يمنعه مني مانع ، لأنني أنا العزيز الرحيم ، يعني أنه ذو الرحمة بمن تاب من خلقه من كفره ومعصيته ، أن يعاقبه على ما سلف من جرّمه بعد توبته .

وكان ابن جريج يقول في معنى ذلك ، ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا الحجاج ، عن ابن جريج قال : كل شيء في الشعراء من قوله ( عَزِيزٌ رَحِيمٌ ) فهو ما أهلك ممن مضى من الأمم ، يقول عزيز ، حين انتقم من أعدائه ، رحيم بالمؤمنين ، حين أنجاهم مما أهلك به أعداءه .



قال أبو جعفر: وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك في هذا الموضع ، لأن قوله ( وَإِنَّ رَبَّكَ لَهٗوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ) عقيب وعيد الله قوماً من أهل الشرك والتكذيب بالبعث ، لم يكونوا أهلکوا ، فيوجه إلى أنه خبر من الله عن فعله بهم وإهلاكه . ولعل ابن جرير بقوله هذا أراد ما كان من ذلك عقيب خبر الله عن إهلاكه من الأمم ، وذلك إن شاء الله إذا كان عقيب خبرهم كذلك .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (١١)

يقول تعالى ذكره : واذكر يا محمد إذ نادى ربك موسى بن عمران ( أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ) يعنى الكافرين قوم فرعون ، ونصب القوم الثانى ترجمة عن القوم الأول ، وقوله ( أَلَا يَتَّقُونَ ) يقول : ألا يتقون عقاب الله على كفرهم به . ومعنى الكلام قوم فرعون قتل لهم ألا يتقون ، وترك إظهار « قتل لهم » لدلالة الكلام عليه . وإنما قيل : ألا يتقون بالياء ، ولم يقل ألا تتقون بالتاء ، لأن التنزيل كان قبل الخطاب ، ولو جاءت القراءة فيها بالتاء كان صواباً ، كما قيل : « قل للذين كفروا سيئعلبون وستعلبون » .

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذَّبُونِ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ لِي هَارُونَ (١٣) وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (١٤)

يقول تعالى ذكره ( قَالَ ) موسى لربه ( رَبِّ إِنِّي أَخَافُ ) من قوم فرعون الذين أمرتني أن آتيهم ( أَنْ يُكَذَّبُونِ ) بقيلى لهم : إنك أرسلتني إليهم . ( وَيَضِيقُ صَدْرِي ) من تكذيبهم ليأبى إن كذبوني ، ورفع قوله ( وَيَضِيقُ صَدْرِي ) عطفاً به على أخاف ، وبالرفع فيه قرأته عامة قرآء الأمصار ، ومعناه : وإني يضيق صدري . وقوله ( وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي ) يقول : ولا ينطلق بالعباراة عما ترسلني به إليهم ، للعلة التي كانت بلسانه . وقوله ( وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي ) كلام معطوف به على يضيق . وقوله ( فَأَرْسِلْ لِي هَارُونَ ) يعنى هارون أخاه ، ولم يقل : فأرسل لى هارون ليؤازرنى وليعيننى ، إذ كان مفهوماً معنى الكلام ، وذلك كقول القائل : لونزلت بنا نازلة لفرعنا إليك ، بمعنى : لفرعنا إليك لتعيننا . وقوله ( وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ ) يقول : ولقوم فرعون على دعوى ذنب أذنبت إليهم ، وذلك قتله النفس التي قتلها منهم . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ) قال : قتل النفس التي قتل منهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قَتَلَ موسى النفس .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله ( وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ ) قال قتل النفس ، وقوله ( فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ) يقول : فأخاف أن يقتلوني قوداً بالنفس التي قُتِلت منهم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: كَلَّا فَاذْهَبَا بِثَأْتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (١٥) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧)

يقول تعالى ذكره ( كَلَّا ) : أى لن يقتلك قوم فرعون ( فَاذْهَبَا بِثَأْتِنَا ) يقول : فاذهب أنت وأخوك بآياتنا ، يعنى بأعلامنا وحُجَجنا التي أعطيناك عليهم . وقوله ( إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ) من قوم فرعون ما يقولون لكم ، ويحيبونكم به ، وقوله ( فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا ) . . . الآية ، يقول : فأت أنت يا موسى وأخوك هارون فرعون ( فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) إليك ، ( أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ) وقال رسول رب العالمين ، وهو يخاطب اثنين بقوله فقولا ، لأنه أراد به المصدر من أرسلت ، يقال : أرسلت رسالة ورسولا ، كما قال الشاعر :

لَقَدْ كَذَبَ الْوَأَشُونَ مَا بُحْتُ عِنْدَهُمْ بِسُوءٍ وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولٍ  
يعنى برسالة ، وقال الآخر :

أَلَا مَنْ مَبْلِغٌ عَنِّي خُفَّافًا رَسُولًا بَيَّتُ أَهْلِكَ مُنْتَهَاهَا ٢  
يعنى بقوله : رسولا : رسالة ، فأنت لذلك الهاء :

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: أَلَمْ نَرْبِكُ فِينَا وَلِيْدًا ، وَلَبِئْسَ فِينَا مِنْ عَمْرِكِ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩)

وفي هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة ماظهر عليه منه ، وهو : فأتيا فرعون فأبلغاه رسالة ربهما إليه ،

(١) البيت في (اللسان : رسل) . وفي روايته « بليلى » في موضع « بسوء » . قال : والإرسال التوجيه ، وقد أرسل إليه . والاسم الرسالة ( بكسر الراء المشددة وفتحها ) والرسول والرسيل . الأخيرة عن ثعلب . وأنشد : « لقد كذب الوأشون » . . . البيت قال : والرسول بمعنى الرسالة ، يؤنث ويذكر . وفي (اللسان : رسل) رواية أخرى للبيت كرواية المؤلف ، ونسبه إلى كثير .  
(٢) البيت لعباس بن مرداس (اللسان : رسل) . قال : فأنت الرسول (بعود الضمير المؤنث) حيث كان بمعنى الرسالة . وهذا البيت من المقطوعة التي منها الشاهد السابق ص ٣٧ وهو : فأني ما وأيك . . . البيت . يهجو به العباس بن مرداس خفاف بن ندبة لشيء كان بينهما (خزانة الأدب للبغدادى ٢ : ٢٢٩) .



فقال فرعون : ألم نربك فينا يا موسى وليدا ، ولبثت فينا من عمرك سنين ، وذلك مكثه عنده قبل قتله القتل الذي قتله من القبط ، وفعلت فعلتك التي فعلت : يعنى قتله النفس التي قتل من القبط .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ . ، قال : قتل النفس .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
ولمّا قيل ( وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ ) لأنها مرة واحدة ، ولا يجوز كسر الفاء إذا أريد بها هذا المعنى .  
وذكر عن الشعبي أنه قرأ ذلك ( وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ ) بكسر الفاء ، وهي قراءة لقراءة القرءاء من أهل الأمصار مخالفة .  
وقوله ( وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك :  
وأنت من الكافرين بالله على ديننا .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ) يعنى على ديننا هذا الذي تعيب :  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأنت من الكافرين نعمتنا عليك :

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ) قال : ربيناك فينا وليدا ، فهذا الذي كافأنا، أن قتلنا منا نفسا ، وكفرت نعمتنا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ) يقول : كافرا للنعمة ، أن فرعون لم يكن يعلم ما الكفر :  
قال أبو جعفر : وهذا القول الذي قاله ابن زيد أشبه بتأويل الآية ، لأن فرعون لم يكن متقرا لله بالرؤية ، وإنما كان يزعم أنه هو الرب ، فغير جائز أن يقول لموسى : إن كان موسى كان عنده على دينه يوم قتل القتل على ما قاله السدي : فعلت الفعلة وأنت من الكافرين ، الإيمان عنده : هو دينه الذي كان عليه موسى عنده ، إلا أن يقول قائل : إنما أراد : وأنت من الكافرين يومئذ يا موسى ، على قولك اليوم ، فيكون ذلك وجهها يتوجه . فتأويل الكلام إذن : وقتلت الذي قتلنا منا وأنت من الكافرين نعمتنا عليك ، وإحساننا إليك ، في قتلك إياه . وقد قيل : معنى ذلك : وأنت الآن من الكافرين لنعمتي عليك ، وتربيته إياك .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : فَعَلَّمْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) فَفَرَّرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ ، فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا ، وَجَمَعَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١)

يقول تعالى ذكره : قال موسى لفرعون : فعلت تلك الفعلة التي فعلت : أي قتلت تلك النفس التي قتلت إذن وأنا من الضالين : يقول : وأنا من الجاهلين قبل أن يأتيني من الله وحى بتحريم قتله عليّ : والعرب تضع الضلال موضع الجهل ، والجهل موضع الضلال ، فتقول : قد جهل فلان الطريق ، وضل الطريق ، بمعنى واحد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكرنا من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وأنا من الضالين ) قال : من الجاهلين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . قال ابن جريج : وفي قراءة ابن مسعود ( وأنا من الجاهلين ) .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ( وأنا من الضالين ) قال : من الجاهلين حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وأنت من الكافرين ) فقال موسى : لم أكفر ، ولكن فعلتها وأنا من الضالين . وفي حرف ابن مسعود ( فعلمتها إذا وأنا من الجاهلين ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( قال فعلمتها إذا وأنا من الضالين ) قبل أن يأتيني من الله شيء ، كان قتلى إياه ضلالة خطأ : قال : والضلالة ههنا الخطأ ، لم يقل ضلالة فيما بينه وبين الله :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( قال فعلمتها إذا وأنا من الضالين ) يقول : وأنا من الجاهلين :

وقوله ( ففررت منكم لَمَّا خِفْتُمْكُمْ ) . . . الآية ، يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيل موسى لفرعون : ففررت منكم معشر الملأ من قوم فرعون ، لما خفتكم أن تقتلوني بقتلي القتيل منكم ( فوهب لي ربي حكما ) يقول : فوهب لي ربي نبوة وهي الحكم .

كما حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط عن السدي ( فوهب لي ربي حكما ) والحكم : النبوة .



وقوله ( وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ) يقول : وألحقني بعداد من أرسله إلى خلقه ، مبلغا عنه رسالته إليهم ، بإرساله إياي إليك يا فرعون .

### القول في تأويل قوله تعالى

وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣)

قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه موسى صلى الله عليه وسلم لفرعون ( وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ ) يعني بقوله وتلك : تربية فرعون إياه ، يقول : وتربيتك إياي ، وتركك استعبادي ، كما استعبدت بني إسرائيل ، نعمة منك تمنها علي بحق ، وفي الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ذكر عليه عنه ، وهو : وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل وتركتني ، فلم تستعبدني ، فترك ذكرك وتركتني ، لدلالة قوله أن عبدت بني إسرائيل عليه ، والعرب تفعل ذلك اختصارا للكلام ، ونظير ذلك في الكلام أن يستحق رجلان من ذى سلطان عقوبة ، فيعاقب أحدهما ، ويعفو عن الآخر ، فيقول المعفو عنه هذه نعمة علي من الأمير ، أن عاقب فلانا وتركتني ، ثم حذف وتركتني ، لدلالة الكلام عليه ، ولأن في قوله ( أن عبدت بني إسرائيل ) وجهين : أحدهما النصب ، لتعلق تمنها بها ، وإذا كانت نصبا كان معنى الكلام : وتلك نعمة تمنها علي لتعبدك بني إسرائيل . والآخر : الرفع على أنها رد على النعمة . وإذا كانت رفعا كان معنى الكلام : وتلك نعمة تمنها علي تعبديك بني إسرائيل . ويعني بقوله ( أن عبدت بني إسرائيل ) : أن اتخذتهم عبيدا لك ؛ يقال منه : عبدت العبيد وأعبدتهم ، كما قال الشاعر :

علام يعبيدني قومي وقد كثرت فيها أباغير ما شاءوا وعبيدان<sup>١</sup>

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل ) قال : قهرتهم واستعملتهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : تمن علي أن عبدت بني إسرائيل ، قال : قهرت وغلبت واستعملت بني إسرائيل .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل ) وربيتني قبل وليدا .

(١) البيت من شواهد (اللسان : عبد) قال : تعبد الرجل (وعبده) بتشديد الباء فيها ، وأعبده : صيره كالعبد . قال الشاعر :  
« حتام يعبيدني قومي . . . البيت » .

وقال آخرون : هذا استفهام كان من موسى لفرعون ، كأنه قال : أتمنّ علىّ أن أتخذت بني إسرائيل عبيدا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ ) قال : يقول موسى لفرعون : أتمنّ علىّ أن اتخذت أنت بني إسرائيل عبيدا .

واختلف أهل العربية في ذلك ، فقال بعض نحويي البصرة : وتلك نعمة تمنها علىّ ، فيقال : هذا استفهام كأنه قال : أتمنّها علىّ ؟ ثم فسّر فقال : ( أن عبّدت بني إسرائيل ؟ ) وجعله بدلا من النعمة . وكان بعض أهل العربية ينكر هذا القول ، ويقول : هو غلط من قائله ، لا يجوز أن يكون همز الاستفهام يُلدَقى ، وهو يطلب ، فيكون الاستفهام كالخبر ، قال : وقد استقبح ومعه أم ، وهي دليل على الاستفهام واستقبحوا

تَرْوَحُ مِنَ الْحَيِّ أَمْ تَبْتَكِرُ وَمَاذَا يَصْرُكُ لَوْ تَنْتَظِرُ ١؟

قال : وقال بعضهم : هو أتروح من الحيّ ، وحذف الاستفهام أولا اكتفاء بأم . وقال أكثرهم : بل الأوّل خبر ، والثاني استفهام ، وكأن أم إذا جاءت بعد الكلام فهي الألف ، فأما وليس معه أم ، فلم يقله إنسان . وقال بعض نحويي الكوفة في ذلك ما قلنا . وقال : معنى الكلام : وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين لنعمتي : أي لنعمة تربيتي لك ، فأجابه فقال : نعم هي نعمة علىّ أن عبّدت الناس ولم تستعبدني . وقوله ( قال فرعون وما ربّ العالمين ) يقول : وأي شيء ربّ العالمين ؟ قال موسى هو ( ربّ السموات والأرض ) وما لكنهنّ ( وما بيّنهنّ ) يقول : وما لك ما بين السموات والأرض من شيء ( إن كنتم مؤمنين ) يقول : إن كنتم مؤمنين أن ما تعابونه كما تعابونه ، فكذلك فأيقنوا أن ربنا هو ربّ السموات والأرض وما بينهما .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ: رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ:

إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ: رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا يَبِينُهُمَا

إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ: لَيْنِ اتَّخَذَتْ إِلَهاً غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩)

يعنى تعالى ذكره بقوله ( قال لمنّ حوله ألا تستمعون ) قال فرعون لمن حوله من قومه : ألا تستمعون لما يقول موسى ، فأخبر موسى عليه السلام القوم بالحبوب عن مسألة فرعون إياه وقيله له ( وما ربّ العالمين ؟ ) ليفهم بذلك قوم فرعون مقالته لفرعون ، وجوابه إياه عما سأله ، إذ قال لهم فرعون ( ألا

(١) البيت : لامرئ القيس بن حجر الكندي ( مختار الشعر الجاهل بشرح مصطلح السقا طبعة الحلبي ص ١١٥ ) تروح : أتروح وتبتكر : تخرج مبكرا . يقول : أتروح إلى أهلك آخر النهار ، أم تخرج إليهم بكرة ، وما الذي يجعلك عن الانتظار ، وهو خير لك . والبيت شاهد على أنه حذف همزة الاستفهام اكتفاء بدلالة أم عليه . وبعضهم يستقبح الحذف في هذا الموضع . ويمتنع فيما يلبس بالخبر .



تَسْتَمِعُونَ) إلى قول موسى ، فقال لهم الذي دعوته إليه وإلى عبادته ( رَبِّكُمْ ) الذي خلقكم ( وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ) فقال فرعون لما قال لهم موسى ذلك ، وأخبرهم عما يدعو إليه فرعون وقومه ( إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ) يقول : إن رسولكم هذا الذي يزعم أنه أرسل إليكم ، لمغلوب على عقله ، لأنه يقول قولاً لا يعرفه ولا يفهمه . وإنما قال ذلك ، ونسب موسى عدواً لله إلى الجنة لأنه كان عنده وعند قومه أنه لا ربَّ غيره يُعبد ، وأن الذي يدعو إليه موسى باطل ، ليست له حقيقة ، فقال موسى عند ذلك محتجاً عليهم ، ومعرفهم ربهم بصفته وأدلته ، إذ كان عند قوم فرعون أن الذي يعرفونه ربا لهم في ذلك الوقت ، هو فرعون ، وأن الذي يعرفونه لآبائهم أرباباً ملوك آخر ، كانوا قبل فرعون ، قد مضوا ، فلم يكن عندهم أن موسى أخبرهم بشيء له معنى يفهمونه ولا يعقلونه ، ولذلك قال لهم فرعون : إنه مجنون ، لأن كلامه كان عندهم كلاماً لا يعقلون معناه ، الذي أدعوكم ، وفرعون إلى عبادته ربَّ المشرق والمغرب وما بينهما ، يعني ملك مشرق الشمس ومغربها ، وما بينهما من شيء ، لا إلى عبادة ملوك مصر الذين كانوا ملوكها قبل فرعون لآبائكم فضواها ، ولا إلى عبادة فرعون الذي هو ملكها ( إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ) يقول : إن كان لكم عقول تعقلون بها ما يقال لكم ، وتفهمون بها ما تسمعون مما يعين لكم ؛ فلما أخبرهم عليه السلام بالأمر الذي علموا أنه الحق الواضح ، إذ كان فرعون ومن قبله من ملوك مصر ، لم يجاوز ملكهم عريش مصر ، وتبين لفرعون ومن حوله من قومه أن الذي يدعوهم موسى إلى عبادته ، هو الملك الذي يملك الملوك قال فرعون حينئذ استكباراً عن الحق ، وتمادياً في الغي لموسى ( لَيْسَ اتَّخَذَتْ إِلَٰهًا غَيْرِي ) يقول : لئن أقررت بمعبود سواي ( لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ) يقول : لأجعلنك مع من في السجن من أهله .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: أَوْلُوْجِيْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ (٣٠) قَالَ: فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ (٣١) فَأَلْقَىٰ

عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيْضَاءٌ لِلنّٰظِرِيْنَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : قال موسى لفرعون لما عرفه ربه ، وأنه ربَّ المشرق والمغرب ، ودعاه إلى عبادته وإخلاص الألوهة له ، وأجابه فرعون بقوله ( لَيْسَ اتَّخَذَتْ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ) أتجعلني من المسجونين ( وَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ) بين لك صدق ما أقول يا فرعون ، وحقيقة ما أدعوك إليه ؟ وإنما قال ذلك له ، لأن من أخلاق الناس السكون للإنصاف ، والإجابة إلى الحق بعد البيان ؛ فلما قال موسى له ما قال من ذلك ، قال له فرعون : فأت بالشيء المبين حقيقة ما تقول ، فإننا لن نسجنك حينئذ ، إن اتخذت إلهاً غيري ، إن كنت من الصادقين ، يقول : إن كنت محققاً فيما تقول ، وصادقاً فيما تصف وتخبر . ( فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ) يقول جل ثناؤه : فألقى موسى عصاه ، فتحولت ثعباناً ، وهي الحية الذكر ، كما قد بينت فيما مضى قبل من صفته وقوله ( مُّبِينٌ ) يقول : بين لفرعون والملا من قومه أنه ثعبان .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب عن ابن عباس ، قوله ( فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ) يقول : مبين له خلق حية .  
وقوله ( وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ ) يقول : وأخرج موسى يده من جيبه ، فإذا هي بيضاء تلمع ( لِلنَّاطِرِينَ ) لمن ينظر إليها ويراها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثام بن علي ، قال : ثنا الأعمش ، عن المنهال ، قال : ارتفعت الحية في السماء قدر ميل ، ثم سقطت حتى صار رأس فرعون بين نابيها ، فجعلت تقول : ياموسى مرنى بما شئت ، فجعل فرعون يقول : ياموسى أسألك بالذى أرسلك ، قال : فأخذه بطنه .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ ، إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ؟ (٣٥) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَا تَوَكُّبِكُلٌّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٧)

يقول تعالى ذكره : قال فرعون لما أراه موسى من عظيم قدرة الله وسلطانه ، حجة عليه لموسى بحقيقة مادعاه إليه ، وصدق ما أتاه به من عند ربه ( لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ ) يعنى لأشراف قومه الذين كانوا حوله ( إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ) يقول : إن موسى سحر عصاه ، حتى أراكموها ثعبانا ( عليم ) : يقول : ذو علم بالسحر وبصر به . ( يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ ) يقول : يريد أن يخرج بنى إسرائيل من أرضكم إلى الشام بقهره إياكم بالسحر . وإنما قال : يريد أن يخرجكم فجعل الخطاب للملأ حوله من القبط ، والمعنى به بنو إسرائيل ، لأن القبط كانوا قد استعبدوا بنى إسرائيل ، واتخذوهم خدما لأنفسهم ومهتانا ، فلذلك قال لهم ( يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ ) وهو يريد أن يخرج خدماكم وعبيدكم من أرض مصر إلى الشام .  
وإنما قلت معنى ذلك كذلك ، لأن الله إنما أرسل موسى إلى فرعون ، يأمره بإرسال بنى إسرائيل معه ، فقال له ولأخيه ( فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ ، فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ) وقوله ( فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ) يقول : فأى شئ تأمرون في أمر موسى ؟ وما به تشيرون من الرأى فيه ؟  
( قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ، وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ) يقول تعالى ذكره : فأجاب فرعون الملأ حوله ، بأن قالوا له : أخيرا موسى وأخاه وأنظره ، وأبعث في بلادك وأمصار مصر حاشرين يحشرون إليك كل سحَّارٍ عليمٍ بالسحر .



القول في تأويل قوله تعالى

فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُمْ مُجْتَمِعُونَ؟ (٣٩) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ  
السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (٤٠)

يقول تعالى ذكره : فجمع الساحرون الذين بعثهم فرعون بحشر السحرة ( لميقات يوم معلوم ) يقول : لوقت واعد فرعون لموسى الاجتماع معه فيه من يوم معلوم ، وذلك يوم الزينة ، وأن يحشر الناس ضحى . وقيل للناس : هل أنتم مجتمعون لتنظروا إلى مايفعل الفريقان ، ولمن تكون الغلبة ، لموسى أو للسحرة ؟ فلعلنا نتبع السحرة ، ومعنى لعل هنا كى ، يقول : كى نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين موسى . وإنما قلت ذلك معناها ، لأن قوم فرعون كانوا على دين فرعون ، فغير معقول أن يقول : من كان على دين أنظر إلى حجة من هو على خلافى ، لعل أتبع دينى ، وإنما يقال : أنظر إليها كى أزداد بصيرة بدنى ، فأقيم عليه ، وكذلك قال قوم فرعون ، فاياها عسنا بقليلهم : لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين . وقيل : إن اجتماعهم للميقات الذى اتعد للاجتماع فيه فرعون وموسى كان بالإسكندرية .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُمْ مُجْتَمِعُونَ ) قال : كانوا بالإسكندرية ، قال : ويقال : بلغ ذنب الحية من وراء البحيرة يومئذ ، قال : وهربوا ، وأسلموا فرعون ، وهمت به ، فقال : فخذها يا موسى ، قال : فكان فرعون مما يلى الناس منه ، أنه كان لا يضع على الأرض شيئا ، قال : فأحدث يومئذ تحته ، قال : وكان لإرساله الحية فى القبة الحمراء .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ ، قَالُوا لِفِرْعَوْنَ : أَئِنَّا لَنَا أَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ  
نَعَمْ وَإِنَّا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢) قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُمْ مُلْقُونَ (٤٣) ؟ فَأَلْقَوْا  
حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ ، وَقَالُوا : بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤)

يقول تعالى ذكره ( فلما جاء السحرة ) فرعون لوعده لموسى وموعده فرعون ( قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَا أَجْرًا ) سحرنا قبلك ( إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ) موسى ؟ ( قَالَ ) فرعون لهم ( نَعَمْ ) ، لكم الأجر على ذلك ( وَإِنَّا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ) منا ، فقالوا عند ذلك لموسى : إما أن تلتقى ، وإما أن نكون نحن الملقين ، وترك ذكر قيلهم ذلك ، للدلالة خبر الله عنهم أنهم قال لهم موسى : ألقوا ما أنتم ملقون ، على أن ذلك معناه ( فقال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون ) من حبالكم وعصيكم ( فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ )

وَعَصِيَّهِمْ ) من أيديهم ( وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ ) يقول: أقسموا بقوة فرعون، وشدة سلطانه، ومنشعة مملكته ( إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ) موسى

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ ، فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِيدِينَ (٤٦)  
قَالُوا : ءَأَمْنَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (٤٨) قَالَ : ءَأَمَّنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ، إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ، فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

يقول تعالى ذكره : فألقى موسى عصاه حين ألقى السحرة جباهم وعصيهم ، ( فإذا هي تلتقف ما يافكون ) يقول : فاذا عصا موسى تزدرد ما يأتون به من الفرية والسحر ، الذي لاحقيقة له ، وإنما هو مخايل وخدعة ( فألقى السحرة ساجدين ) يقول : فلما تبين السحرة أن الذي جاءهم به موسى حق لا سحر ، وأنه مما لا يقدر عليه غير الله ، الذي فطر السموات والأرض من غير أصل ، خرّوا لوجوههم سجدا لله ، مُدْعِنِينَ لَهُ بِالطَّاعَةِ ، مقرّين لموسى بالذي أتاهم به من عند الله أنه هو الحق ، وأن ما كانوا يعملونه من السحر باطل ، قائلين : آمنا برب العالمين ، الذي دعانا موسى إلى عبادته دون فرعون وملئه ، رب موسى وهارون ( قال آمنتم له قبل أن آذن لكم ) يقول جل ثناؤه : قال فرعون للذين كانوا سخرته : فآمنوا : آمنتم لموسى بأن ما جاء به حق ، قبل أن آذن لكم في الإيمان به ( إنه لكبيركم الذي علّمكم السحر ) يقول : إن موسى لرئيسكم في السحر ، وهو الذي علّمكموه ، ولذلك آمنتم به ، فسوف تعلمون عند عقابي إياكم وبال ما فعلتم ، وخطأ ما صنعتم من الإيمان به .

القول في تأويل قوله تعالى

لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلْفٍ وَلَا صَلْبَتِكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩) قَالُوا : لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (٥٠)

يقول : لأقطعن أيديكم وأرجلكم ، مخالفا في قطع ذلك منكم بين قطع الأيدي والأرجل ، وذلك أن أقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ، ثم اليد اليسرى والرجل اليمنى ، ونحو ذلك من قطع اليد من جانب ، ثم الرجل من الجانب الآخر ، وذلك هو القطع من خِلاف ( وَلَا صَلْبَتِكُمْ أَجْمَعِينَ ) فوكّد ذلك بأجمعين ، إعلاما منه أنه غير مستبق منهم أحدا ( قَالُوا لِأَضْيِرَّ ) يقول تعالى ذكره : قالت السحرة : لاضير علينا وهو مصدر من قول القائل : قد ضار فلان فلانا فهو يضير ضييرا ، ومعناه : لاضرر .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) مخايل : جمع مخيلة ، بمعنى المظنة ، وأصله مخايل . والكوفيون يزيدون في مثل هذا الجمع ياء قبل آخره ، مثل دراهيم

وصياريف جمع درهم وصيرف .



ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لا ضير ) قال : يقول : لا يضرنا الذي تقول ، وإن صنعتنا بنا وصلبتنا ( إننا إلى ربنا منقلبون ) يقول : إنا إلى ربنا راجعون ، وهو مجازينا بصبرنا على عقوبتك إيانا ، وثباتنا على توحيدك ، والبراءة من الكفر به .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (٥١) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَسْرِ بِعِبَادِيٰ إِيَّاكُمْ مِتَّبِعُونَ (٥٢)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل السحرة : إنا نطمع : إنا نرجو أن يصفح لنا ربنا عن خطايانا التي سلفت منا قبل إيماننا به ، فلا يعاقبنا بها .

كما حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا ) قال : السحر والكفر الذي كانوا فيه ( أن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ) يقول : لأن كنا أول من آمن بموسى ، وصدقته بما جاء به من توحيد الله ، وتكذيب فرعون في ادعائه الربوبية في دهرنا هذا وزماننا . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال : كانوا كذلك يومئذ أول من آمن بآياته حين رأوها .

وقوله ( وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَسْرِ بِعِبَادِي ) يقول : وأوحينا إلى موسى إذ تمادى فرعون في غيه وأبى إلا الثبات على طغيانه بعد ما أريناه آياتنا ، أن أسر بعبادي : يقول : أن سر بني إسرائيل ليلا من أرض مصر ( إِيَّاكُمْ مِتَّبِعُونَ ) إن فرعون وجنده متبعوك وقومك من بني إسرائيل ، ليحولوا بينكم وبين الخروج من أرضهم ، أرض مصر .

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَاظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ (٥٦)

يقول تعالى ذكره : فأرسل فرعون في المدائن يحشر له جنده وقومه ، ويقول لهم : إن هؤلاء : يعني هؤلاء : بني إسرائيل ( لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ) يعني بالشرذمة : الطائفة والعصبة الباقية من عصب جيرة ، وشرذمة كل شيء : بقية القليلة ، ومنه قول الراجز :

جاءَ الشَّتَاءُ وَقَمِيصِي أَخْلَاقُ شَرَاذِمٌ يَضْحَكُ مِنْهُ التَّوَاقُ<sup>١</sup>

وقيل : قليلون ، لأن كل جماعة منهم : كان يلزمها معنى القلة ؛ فلما جمع جماعاتهم قيل : قليلون ، كما قال الكُمَيْت :

فَرَدَّ قَوَاصِيَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ فَقَدَّ صَارُوا كَحَيِّ وَاحِدِنَا<sup>٢</sup>

وذكر أن الجماعة التي سماها فرعون شرذمة قليلين ، كانوا ستّ مئة ألف وسبعين ألفا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة (إنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ) ، قال : كانوا ستّ مئة ألف وسبعين ألفا .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : الشرذمة : ستّ مئة ألف وسبعون ألفا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد الله بن شدّاد بن الهاد ، قال : اجتمع يعقوب وولده إلى يوسف ، وهم اثنان وسبعون ، وخرجوا مع موسى وهم ستّ مئة ألف ، فقال فرعون (إنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ) ، وخرج فرعون على فرس أدهم حصان على لون فرسه في عسكره ثمان مئة ألف .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عليّ ، عن سعيد الجري ، عن أبي السليل ، عن قيس بن عباد ، قال : وكان من أكثر الناس أو أحدث الناس عن نبي إسرائيل ، قال : فحدثنا أن الشرذمة الذين سماهم فرعون من نبي إسرائيل كانوا ستّ مئة ألف ، قال : وكان مقدمة فرعون سبع مئة ألف ، كل رجل منهم على حصان على رأسه بيضة ، وفي يده حربة ، وهو خلفهم في الدهم . فلما انتهى موسى ببني إسرائيل إلى البحر ، قالت بنو إسرائيل : يا موسى أين ما وعدتنا ، هذا البحر بين أيدينا ، وهذا فرعون وجنوده قد دهمنا من خلفنا ، فقال موسى للبحر : انقلق أبا خالد ، قال : لا ، لن أنقلق لك يا موسى ، أنا أقدم منك

(١) البيت في (اللسان : خلق) منسوب لراجز . قال : يقال ثوب أخلاق ، يصفون به الواحد ، إذا كانت الخلوقة فيه كله ، كما قالوا : برمة أعشار ، وحيل أرمام ، وأرض سباب ، وكذلك برمة أخلاق عن الحياني ، أي نواحيها أخلاق . وقال الراجز : «جاء الشتاء . . . البيت » اهـ . كأنه لما صار خلقا كله ، كان كل جزء فيه خلقا ، فجمعه باعتبار أجزائه ، كما تفيد عبارة الحيان . والتواق اسم ولد الراجز . (وفي اللسان : شرذم) الشرذمة : القطعة من الشيء ، والجمع شراذم . والشرذمة : الجماعة من الناس القليلة ، وفي التنزيل « إن هؤلاء لشرذمة قليلون » . وثياب شراذم : أي أخلاق ، منقطعة . وثوب شراذم أي قطع . وأنشد البيت عن ابن بري .

(٢) البيت للكيت (اللسان : وحدث) . قال الجوهرى : العرب تقول : أنتم حى واحد ، وحى واحدون ، كما يقال شرذمة قليلون ، وأنشد للكيت : « فرد قواصي الأحياء . . . البيت » . وهو يشبه كلام الفراء في معاني القرآن ( مصورة الجامعة الورقة ٢٢٩ ) قال : وقوله « إن هؤلاء لشرذمة قليلون » : يقول عصابة قليلة ، وقليلون وكثيرون . وأكثر كلام العرب أن يقولوا : قومك قليل وقومنا كثير . وقليلون وكثيرون : جائز عربي ، وإنما جاز لأن القلة إنما تدخلهم جميعا ، فقليل قليل ؛ وأوتر « قليل » على « قليلين » ، وجاز الجمع إذا كانت القلة تلزم جميعهم في المعنى ، فظهرت أسماءهم على ذلك . ومثله أنتم حى واحد ، وحى واحدون . ومعنى واحدون : واحد ، كما قال الكيت : « فرد قواصي الأحياء . . . البيت » .



خلقا ؛ قال : فنودى : أن اضرب بعصاك البحر ، فضربه ، فانفلق البحر ، وكانوا اثني عشر سبيطا . قال  
الجريري : فأحسبه قال : إنه كان لكل سبط طريق ، قال : فلما انتهى أول جنود فرعون إلى البحر ،  
هابت الخيل اللهب ؛ قال : ومثّل لحصان منها فرس ودّيق ، فوجد ريحها فاشتدّ ، فاتبعه الخيل ؛ قال :  
فلما تنامّ آخر جنود فرعون في البحر ، وخرج آخر بني إسرائيل ، أمر البحر فانصفق عليهم ، فقالت  
بنو إسرائيل : مامات فرعون وما كان ليموت أبدا ، فسمع الله تكذيبهم نبيه عليه السلام ، قال : فرمى به على  
الساحل ، كأنه ثور أحمر يترأه بنو إسرائيل .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله ( إن هؤلاء لشيرذمة  
قليلون ) يعني بني إسرائيل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ( إن هؤلاء لشيرذمة قليلون ) قال : هم  
يومئذ ست مئة ألف ، ولا يحصى عدد أصحاب فرعون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وأوحينا إلى موسى  
أن أسر بعبادي إنكم متبعون ) قال : أوحى الله إلى موسى أن اجمع بني إسرائيل ، كل أربعة آيات  
في بيت ، ثم اذبخوا أولاد الضأن ، فاضربوا بدمائها على الأبواب ، فإني سأمر الملائكة ألا تدخل بيتا على باب  
دم ، وسأمرهم بقتل أبنائك آل فرعون من أنفسهم وأموالهم ، ثم اخبزوا خبزا فطيرا ، فإنه أسرع لكم ، ثم  
أسر بعبادي ، حتى تنهى للبحر ، فيأتيك أمري ، ففعل ؛ فلما أصبحوا قال فرعون : هذا عمل موسى وقومه ،  
قتلوا أبنائنا من أنفسنا وأموالنا ، فأرسل في أثرهم ألف ألف ، وخمس مئة ألف ، وخمس مئة مئة مسور ، مع  
كل ملك ألف رجل ، وخرج فرعون في الكرش العظمى ، وقال ( إن هؤلاء لشيرذمة قليلون )  
قال : قطعة ، وكانوا ست مئة ألف ، مئتا ألف منهم أبناء عشرين سنة إلى أربعين .

قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر بن حوشب ، عن ابن عباس ، قال : كان مع فرعون يومئذ ألف  
جبار ، كلهم عليه تاج ، وكلهم أمير على خيل .

قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : كانوا ثلاثين ملكا ساقه خلف فرعون ، يحسبون أنهم معهم ،  
وجبرائيل أمامهم ، يردّ أوائل الخيل على أواخرها ، فأتبعهم حتى انتهى إلى البحر ، وقوله ( ولأنهم لنا  
لغائطون ) يقول : وإن هؤلاء الشردمة لنا لغائطون ، فذكر أن غيظهم إياهم كان قتل الملائكة من قتلت  
من أبنائهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( ولأنهم لنا لغائطون )  
يقول : بقتلهم أبنائنا من أنفسنا وأموالنا ، وقد يحتمل أن يكون معناه : ولأنهم لنا لغائطون ، بذهابهم منهم

بالعواري التي كانوا استعاروها منهم من الحلي ، ويحتمل أن يكون ذلك بفراقهم إياهم ، وخروجهم من أرضهم ، بكره لهم لذلك :

وقوله ( وَإِنَّا بِجَمِيعِ حَازِرُونَ ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء الكوفة ( وَإِنَّا بِجَمِيعِ حَازِرُونَ ) بمعنى : أنهم معدون مؤدون ذوو أداة وقوة وسلاح . وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة ( وَإِنَّا بِجَمِيعِ حَازِرُونَ ) بغير ألف . وكان القراء يقول : كأن الحاذر الذي يحذر الآن ، وكان الحذر المخلوق حذرا ، لالتقاءه إلا حذرا ؛ ومن الحذر قول ابن أحر :

هَلْ أُنْسَانٌ يَوْمًا إِلَى غَيْرِهِ إِتَى حَوَالِيٍّ وَإِنِّي حَازِرٌ

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان في قراء الأمصار متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ ، فصيب الصواب فيه .

وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت الأسود بن يزيد يقرأ ( وَإِنَّا بِجَمِيعِ حَازِرُونَ ) قال : مقوون مؤدون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عيسى بن عبيد ، عن أيوب ، عن أبي العرجاء عن الضحاك بن مزاحم أنه كان يقرأ ( وَإِنَّا بِجَمِيعِ حَازِرُونَ ) يقول : مؤدون .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي في قوله ( وَإِنَّا بِجَمِيعِ حَازِرُونَ ) يقول : حذرننا ، قال : جمعنا أمرنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( وَإِنَّا بِجَمِيعِ حَازِرُونَ ) قال : مؤدون معدون في السلاح والكرع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج أبو معشر ، عن محمد بن قيس قال : كان مع فرعون ست مئة ألف حصان أدهم سوى ألوان الخيل .

(١) البيت لابن أحر الباهل . قاله المؤلف . ونسبه في (اللسان : حول) إلى المرار بن منقذ العدوي . قال : ويقال رجل حوالى : الجيد الرأي ذى الحيلة كما قال ابن أحر ، ويقال للمرار بن منقذ العدوي « أوتسأن يوى إلى غيره » . وقال في « حذر » : ورجل حذر وحذر ( بكسر الهمزة وضمها ) وحاذورة ، وحذريان : متيقظ ، شديد الحذر والفرع متحرز . وحاذر : متأهب معد ، كأنه يحذر أن يفاجأ . والجمع « حذرون وحذاري » . وفي التنزيل « وَإِنَّا بِجَمِيعِ حَازِرُونَ » وقرئ « حذرون وحذرون » . الأخيرة بضم الهمزة ( حكاها الأختفش . ومعنى « حاذرون » متأهبون ، ومعنى « حذرون » خائفون . وقيل : معنى « حذرون » : معدون . الأزهرى : من قرأ « وَإِنَّا بِجَمِيعِ حَازِرُونَ » أى : مستعدون . ومن قرأ « حذرون » فعناه : إنا نخاف شرهم . وقال الفراء في معاني القرآن ( مصورة الخامة ، الورقة ٢٢٩ ) وقوله « حاذرون ، وحذرون » : حدثني أبو ليل السجستاني ، عن ابن جرير قاضي سجستان ، أن ابن مسعود قرأ : « وَإِنَّا بِجَمِيعِ حَازِرُونَ » . يقولون : مؤدون في السلاح . يقولون ذوو أداة من السلاح . و « حذرون » . وكان الحاذر : الذى يحذر الآن ؛ وكان « الحذر » : المخلوق حذرا ، لالتقاءه إلا حذرا . اهـ .



حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا سليمان بن معاذ الضبيّ، عن عاصم بن بهدلة، عن أبي رزين، عن ابن عباس، أنه قرأها (وَأَنَا بِالْحَمِيحِ حَاذِرُونَ) قال: مؤذون مقوون.

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّتِ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (٦٠)

يقول تعالى ذكره: فأخرجنا فرعون وقومه من بساتين وعيون ماء، وكنوز ذهب وفضة، ومقام كريم. قيل: إن ذلك المقام الكريم: المنابر. وقوله (كَذَلِكَ) يقول: هكذا أخرجناهم من ذلك كما وصفت لكم في هذه الآية والتي قبلها (وأورثناها) يقول: وأورثنا تلك الجنات التي أخرجناهم منها والعيون والكنوز والمقام الكريم عنهم بهلاكهم بنى إسرائيل. وقوله (فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ) فأتبع فرعون وأصحابه بنى إسرائيل، مشرقين حين أشرقت الشمس، وقيل حين أصبحوا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ) قال: خرج موسى ليلا، فكسف القمر وأظلمت الأرض، وقال أصحابه: إن يوسف أخبرنا أننا سننجى من فرعون، وأخذ علينا العهد لنخرجنّ بعظامه معنا، فخرج موسى ليلته يسأل عن قبره، فوجد عجوزا بيّتها على قبره، فأخرجته له بحكها، وكان حكها (أو كلمة تشبه هذا)، أن قالت: احملي فأخرجني معك، فجعل عظام يوسف في كسائه، ثم حمل العجوز على كسائه، فجعله على رقبته، وخيل فرعون هي ملّ أعنتها حضراً في أعينهم ولا تبرح، حبست عن موسى وأصحابه حتى تواروا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله (فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ) قال: فرعون وأصحابه، وخيل فرعون في ملّ أعنتها في رأى عيونهم، ولا تبرح، حبست عن موسى وأصحابه حتى تواروا.

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا تَرَأَى الْجُمُعَانَ، قَالَ: أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ (٦١) قَالَ: كَلَّا إِنْ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ، فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣)

يقول تعالى ذكره: فلما تناظر الجمعان: جمع موسى وهم بنو إسرائيل، وجمع فرعون وهم القبط.

(١) في الأصل خضراء، والراجع أنه «حضرا»، وهو الإسراع في العدو. أي يرونها مسرعة وهي لا تبرح أماكنها.

(قال أصحاب موسى إننا لمدركون) أي إنا للمحققون ، الآن يلحقنا فرعون وجنوده فيقتلوننا ، وذكر أنهم قالوا ذلك لموسى ، تشاؤماً بموسى :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : قلت لعبد الرحمن ( فلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ) قال : تشاءموا بموسى ، وقالوا : أودينا من قبل أن تأتينا ، ومن بعد ما جئتنا .

حدثنا موسى ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ ) فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد رمقهم ، قالوا ( إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ) ( قَالُوا ) : يا موسى ( أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا ، وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ) ، اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا ، إنا لمدركون ، البحر بين أدينا ، وفرعون من خلفنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس ، قال : لما انتهى موسى إلى البحر ، وهاجت الرياح العاصف ، فنظر أصحاب موسى خلفهم إلى الرياح ، وإلى البحر أمامهم ( قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ، قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ) . واختلفت القرآء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرآء الأمصار سوى الأعرج ( إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ) ، وقرآء الأعرج ( إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ) كما يقال نزلت ، وأنزلت .

والقراءة عندنا التي عليها قرآء الأمصار ، لإجماع الحجة من القرآء عليها .

وقوله ( كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ) قال موسى لقومه : ليس الأمر كما ذكرتم ، كلا إن تدركوا إن معي ربى سيهدين ، يقول : سيهدين لطريق أنجو فيه من فرعون وقومه .

كما حدثني ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد ، قال : لقد ذكر لي أنه خرج فرعون في طلب موسى على سبعين ألفاً من دهم الخليل ، سوى ما في جنده من شية الخليل ، وخرج موسى حتى إذا قابله البحر ولم يكن عنه منصرف ، طلع فرعون في جنده من خلفهم ( فلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ، قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ) أي للنجاة ، وقد وعدني ذلك ، ولا خلف لموعوده :

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ) يقول : سيكفيني ، وقال ( عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ) ، وقوله ( فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ ) ذكر أن الله كان قد أمر البحر ألا ينفلق حتى يضربه موسى بعصاه .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : فتقدم هارون ، فضرب البحر ، فأبى أن ينفتح ، وقال : من هذا الجبار الذي يضربني ، حتى أتاه موسى ، فكناه أبا خالد ، وضربه فانفلق .



حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : أوحى الله فيما ذكر إلى البحر إذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له ، قال : فبات البحر يضرب بعضه بعضا ، فرقا من الله ، وانتظار أمره ، وأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ، فضربه بها وفيها سلطان الله الذي أعطاه ، فانفلق .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، ظن سليمان التيمي ، عن أبي السليل ، قال : لما ضرب موسى بعصاه البحر ، قال : إني أبا خالد ، فأخذه إفكل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج وحجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله وغيره ، قالوا : لما انتهى موسى إلى البحر وهاجت الرياح والبحر يرمي بتياره ، ويموج مثل الجبال ، وقد أوحى الله إلى البحر أن لا ينفلق حتى يضربه موسى بالعصا ، فقال له يوشع : يا كليم الله أين أمرت ؟ قال : ها هنا ، قال : فجاز البحر ما يوارى حافره الماء ، فذهب القوم يصنعون مثل ذلك ، فلم يقدرُوا ، وقال له الذي يكتم إيمانه : يا كليم الله أين أمرت ؟ قال : ها هنا ، فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شذقيه ، ثم قحمه البحر فأرسل في الماء ، فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ، فضرب بعصاه موسى البحر فانفلق ، فإذا الرجل واقف على فرسه ، لم يبتل سرجه ولا لبده .

وقوله ( فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ) يقول تعالى ذكره : فكان كل طائفة من البحر لما ضربه موسى ، كالجبل العظيم ، وذكر أنه انفلق اثنتي عشرة فلقة ، على عدد الأسباط ، لكل سبط منهم فرق :  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فانفلق فكان كل فريق كالطود العظيم ) يقول : كالجبل العظيم ، فدخلت بنو إسرائيل ، وكان في البحر اثنا عشر طريقا ، في كل طريق سبط ، وكان الطريق كما إذا انفلقت الجدران ، فقال : كل سبط قد قتل أصحابنا ؛ فلما رأى ذلك موسى دعا الله ، فجعلها قناطر كهيئة الطيقان ، فنظر آخرهم إلى أولهم حتى خرجوا جميعا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج وحجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله وغيره ، قالوا : انفلق البحر ، فكان كل فريق كالطود العظيم ، اثنا عشر طريقا في كل طريق سبط ، وكان بنو إسرائيل اثني عشر سبطا ، وكانت الطرق بجدران ، فقال كل سبط : قد قتل أصحابنا ؛ فلما رأى ذلك موسى ، دعا الله فجعلها لهم بقناطر كهيئة الطيقان ، ينظر بعضهم إلى بعض ، وعلى أرض يابسة كأن الماء لم يصبها قط حتى عبر .  
قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لما انفلق البحر لهم صار فيه كؤوي ينظر بعضهم إلى بعض .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ( فكان كل فريق كالطود العظيم )  
أي كالجبل على تشبؤ من الأرض .

حدثني علي ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( فكان كل فريق كالطود العظيم ) يقول : كالجبل .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( كالطود العظيم ) قال : كالجبل العظيم ؛ ومنه قول الأسود بن يعفر :  
 حَلُّوا بِأَنْقِرَةَ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْفُرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ  
 يعني بالأطواد : جمع طود ، وهو الجبل :

## القول في تأويل قوله تعالى

وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ (٦٤) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ  
 (٦٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ، وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ  
 الرَّحِيمُ (٦٨)

يعنى بقوله تعالى ذكره ( وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ ) : وقرَّبنا هنالك آل فرعون من البحر ، وقدمناهم إليه ، ومنه قوله ( وَأَزَلَفْنَا الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ ) بمعنى : قرَّبنا وأدْنيت ؛ ومنه قول العجاج :  
 طَيَّ اللَّيَالِي زُلْفًا فزُلْفًا سَمَاوَةَ الْهَلَالِ حَتَّى احْتَقَوْقَفًا  
 وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ ) قال : قرَّبنا .  
 حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله ( وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ ) قال : هم قوم فرعون قرَّبهم الله ، حتى أغرقهم فى البحر .

(١) البيت للأشود بن يعفر ، قاله المؤلف . وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (مخطوطة الجامعة ص ١٧٢) قال : كالطود العظيم : أى الجبل . قال : « حلوا بأنقرة . . . البيت » وفى (اللسان : طود) : الطود : الجبل العظيم . وفى حديث عائشة تصف أباها (رضي الله عنهما) : « ذلك طود منيف : أى جبل عال . والطود : الحفصة . عن ابن الأعرابي . والجمع : أطواد . هـ . وفى رواية أبي عبيدة في مجاز القرآن : « يجيش » فى موضع : يسيل . ورواية البكرى فى معجم ما استمع من ٢٠٤ طبعة القاهرة : « يسيل » كرواية المؤلف . وأنقرة : موضع بظهر الكوفة ، أسفل من الخورنق ، كانت إياد تنزل فى الدهر الأول ، إذا غلبوا على ما بين الكوفة والبصرة . قال البكرى : وفيه اليوم طيس وسليح ، وفى بارق إلى هيث وما يليها ، كلها منازل طيس وسليح . هذا قول عمر بن شبة . وقال غيره : أنقرة : موضع بالخير . وقد صرحوا بأن أنقرة هذه غير أنقرة التى فى بلاد الروم (الأناتول) وهى الآن قاعدة دولة الترك .  
 (٢) البيت من مشطور الرجز ، وهما العجاج ، من أرجوزة مطولة له ، وصف ارتحاله فى ظلال الليل ، وجملا ناجيا حمله . ( انظر اللسان : زلف . وأراجيز العرب للسيد البكرى ص ٥٢ ) . وقبل البيتين بيت متصل بمعناها ، وهو قوله « ناج طواه الأين بما وجفا » قال فى اللسان : يقول : منزلة بعد منزلة ، ودرجة بعد درجة . وقال السيد البكرى : زلفا فزلفا : أى درجة فدرجة . وسماوة : أى أعلى . واحقوقت : اعوج . يريد طواه السير كما تلوى الليالى الأهلة حتى تتحل (من التحول) وتعوج هـ . وفى اللسان : الزلف (كسبب) والزلفة والزلى : القرية ، والدرجة والمنزلة . وأزلف الشيء : قربه . وفى التنزيل : « وأزلفت الجنة للمتقين » : أى قربت . قال الزجاج : وتأويله : أى قريب دخولهم فيها ، ونظرهم إليها . وقوله عز وجل : « وأزلفنا ثم الآخريين » : معنى أزلفنا : جمعنا ، وقيل : قرَّبنا الآخريين من الفرق ، وهم أصحاب فرعون ، وكلاهما : حسن جميل ، لأن جمعهم : تقريبتهم من بعض . والبيتان من شواهد أبي عبيدة فى مجاز القرآن (ص ١٧٢ من مخطوطة جامعة القاهرة) .



حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : دنا فرعون وأصحابه بئد ما قَطَعَ موسى ببني إسرائيل البحر ، من البحر ؛ فلما نظر فرعون إلى البحر منقلبا ، قال : ألا ترون البحر قَرِقَ مني ، قد تفتح لي حتى أدرك أعدائي فأقتلهم ، فذلك قول الله ( وَأَزَلَّمْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ ) يقول : قربنا ، ثم الآخريين هم آل فرعون ؛ فلما قام فرعون على الطرق ، وأبت خيله أن تتقحم ، فنزل جبرائيل صلى الله عليه وسلم على ما ذبانه ، فتشامت الحصن ريح الماذبانه ، فافتحمت في أثرها ، حتى إذا هم أولهم أن يخرج ، ودخل آخرهم ، أمر البحر أن يأخذهم ، فالتطم عليهم ، وتفرد جبرائيل بمقلة من مقل البحر ، فجعل يدسها في فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، قال : أقبل فرعون فلما أشرف على الماء ، قال أصحاب موسى : يامكلم الله ، إن القوم يتبعوننا في الطريق ، فاضرب بعصاك البحر فاخبطه ، فأراد موسى أن يفعل ، فأوحى الله إليه : أن اترك البحر رهوا ؛ يقول : أمره على سكناته ؛ ( لَأَنَّهُمْ جُنُودٌ مُّغْرَقُونَ ) إنما أمكر بهم ، فإذا سلخوا طريقكم غرقهم ؛ فلما نظر فرعون إلى البحر ، قال : ألا ترون البحر قَرِقَ مني ، حتى تفتح لي ، حتى أدرك أعدائي فأقتلهم ؟ فلما وقف على أفواه الطرق وهو على حصان ، فرأى الحصان البحر فيه أمثال الجبال ، هاب وخاف ، وقال فرعون : أنا راجع ، فمكر به جبرائيل عليه السلام ، فأقبل على فرس أنثى ، فأدناها من حصان فرعون ، ففطق فرسه لا يقر ، وجعل جبرائيل يقول : تقدم ، ويقول : ليس أحد أحق بالطريق منك ، فتشامت الحصن الماذبانه ، فما ملك فرعون فرسه أن ولج على أثره ؛ فلما انتهى فرعون إلى وسط البحر ، أوحى الله إلى البحر ، خذ عبدى الظالم وعبادى الظلمة ، سلطاني فيك ، فإنني قد سلطتك عليهم ، قال : فَتَغَطَّمَتِ تِلْكَ الْفِرْقَ مِنَ الْأَمْوَاجِ ، كأنها الجبال ، وضرب بعضها بعضا ؛ فلما أدركه الفرق ( قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لِإِلَهِ إِلَّا الْبَدِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ) وكان جبرائيل صلى الله عليه وسلم شديد الأسف عليه ، لما رد من آيات الله ، ولطول علاج موسى إياه ، فدخل في أسفل البحر ، فأخرج طينا ، فحشاه في فم فرعون لكيلا يقولها الثانية ، فندركه الرحمة ، قال : فبعث الله إليه ميكائيل بغيره ( آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ) ؟ وقال جبرائيل : يا محمد ما أبغضت أحدا من خلق الله ما أبغضت اثنين : أحدهما من الجن ، وهو إبليس ، والآخر فرعون ؛ قال : أنا ربكم الأعلى ، ولقد رأيتني يا محمد ، وأنا أحشو في فيه مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها ، وقد زعم بعضهم أن معنى قوله ( وَأَزَلَّمْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ ) وجمعنا ، قال : ومنه ليلة المزدلفة ، قال : ومعنى ذلك : أنها ليلة جمع . وقال بعضهم : وأزلفنا ثم : وأهلكنا . وقوله ( وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ) يقول تعالى ذكره : وأنجينا موسى مما أتبعنا به فرعون وقومه ، من الفرق في البحر ، ومن مع موسى من بني إسرائيل أجمعين ، وقوله ( ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ) يقول : ثم أغرقنا فرعون وقومه من القبط في البحر ، بعد أن أنجينا موسى منه ومن معه ، وقوله ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً ) يقول تعالى ذكره : إن فيما فعلت بفرعون ومن معه ، من تغريق إياهم في البحر ، إذ كذبوا رسولى موسى ، وخالفوا أمرى بعد الإعتذار إليهم والإنذار ، لدلالة بيته يا محمد لقومك من قريش ، على أن ذلك سنتى فيمن سلك سبيلهم من تكذيب رسلى ،

وعظة لهم وعبرة، إن ادّكروا واعتبروا أن يفعلوا مثل فعلهم من تكذيبك، مع البرهان والآيات التي قد أتيتهم، فيحلّ بهم من العقوبة نظير ما حلّ بهم، ولك آية في فعلى بموسى، وتنجيتى إياه، بعد طول علاجه فرعون وقومه منه، وإظهارى إياه، وتوريثه وقومه دورهم وأرضهم وأموالهم، على أنى سألك فيك سبيله، إن أنت صبرت صبره، وقيمت من تبليغ الرسالة إلى من أرسلتك إليه قيامه، ومظهرك على مكذّبيك ومعليك عليهم، (وما كان أكثرهم مؤمنين) يقول: وما كان أكثر قومك يا محمد مؤمنين، بما أتاك الله من الحق المبين، فسابق لهم في علمى أنهم لا يؤمنون، (وإن ربك لهُوَ الْعَزِيزُ) في انتقامه ممن كفر به، وكذب رسله من أعدائه، (الرحيم) بمن أنجى من رسله وأتباعهم من الغرق والعذاب الذى عذب به الكفرة.

## القول فى تأويل قوله تعالى

وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهُمْهَا عَـ كَافِينَ (٧١)

يقول تعالى ذكره: واقصص على قومك من المشركين يا محمد، خبر إبراهيم حين قال لأبيه وقومه: أى شىء تعبدون؟ (قالوا) له: (نعبد أصناما فننظّل لها عاكفين)، يقول: فنظّل لها خدما مقيمين على عبادتها وخدمتها. وقد بينّا معنى العكوف بشواهد فيما مضى قبل، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع: وكان ابن عباس فيما روى عنه يقول فى معنى ذلك ما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، قوله (قالوا نعبد أصناما فننظّل لها عاكفين) قال: الصلاة لأصنامهم.

## القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ؟ (٧٣) قَالُوا: بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤)

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لهم: هل تسمع دعاءكم هؤلاء الآلهة إذ تدعونهم. واختلف أهل العربية فى معنى ذلك، فقال بعض نحوى البصرة معناه: هل يسمعون منكم، أو هل يسمعون دعاءكم، فحذف الدعاء، كما قال زهير:

القائد الحيسل منكوبنا دوابرها قد أحكمت حكمت القيد والأبقا

(١) البيت لزهير بن أبى سلمى المزنى، من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان (مختار الشعر الجاهل، بشرح مصطلق السقا، طبعة الحلبي ٢٤٨) قال شارحه: الدوابر: الحوافر، أى تأكلها الأرض وتؤثر فيها. (وفى اللسان: دبر): دابرة الخافر مؤخره. وقيل: هى التى تلى مؤخر الرسخ. وجمعها: دوابر. (وأحكمت): جعل لها حكمت. والحكمة: التى تكون على الأنف من الرسن. القيد: ما قطع من الجلد. والأبق: شبه الكتان، وقيل: هو القنب. اهـ. وفى (اللسان: حكيم): والحكمة: حديدة فى اللجام، =



وقال : يريد أحكم حكام الأبق ، فألقى الحكام وأقام الأبق مقامها . وقال بعض من أنكر ذلك من قوله من أهل العربية الفصيح من الكلام في ذلك هو ما جاء في القرآن ، لأن العرب تقول : سمعت زيدا متكلماً ، يريدون : سمعت كلام زيد ، ثم تعلم أن السمع لا يقع على الأناسي ، إنما يقع على كلامهم ، ثم يقولون : سمعت زيدا : أي سمعت كلامه ، قال : ولو لم يقدم في بيت زهير حكما القدم لم يجوز أن ينسق بالأبق عليها ، لأنه لا يقال : رأيت الأبق ، وهو يريد الحكمة ، وقوله ( أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ) يقول : أو تنفعكم هذه الأصنام ، فيرزقونكم شيئاً على عبادتكموها ، أو يضرونكم فيعاقبونكم على ترككم عبادتها ، بأن يسلبوكم أموالكم ، أو يهلكوكم إذا هلكتم وأولادكم ( قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ) وفي الكلام متروك استغنى بدلالة ما ذكر عما ترك ، وذلك جوابهم إبراهيم عن مسأله إياهم ( هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ، أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ) فكان جوابهم إياه : لا ، ما يسمعوننا إذا دعوناهم ، ولا ينفعوننا ولا يضرون ، يدل على أنهم بذلك أجابوه قولهم ( بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ) وذلك رجوع عن مجحود ، كقول القائل : ما كان كذا بل كذا وكذا . ومعنى قولهم ( وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ) وجدنا من قبلنا . ولا يضرون ، يدل على أنهم بذلك أجابوه . قولهم من آباؤنا يعبدونها ، ويعكفون عليها لخدمتها وعبادتها ، فنحن نفعل ذلك اقتداء بهم ، واتباعاً لمهاجهم .

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٥٨) أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي

إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧)

يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم لقومه : ( أفرايتم ) أيها القوم ( ما كنتم تعبدون ) من هذه الأصنام ( أنتم وأباؤكم الأقدمون ) يعني بالأقدمين : الأقدمين من الذين كان إبراهيم يخاطبهم ، وهم الأولون قبلهم ممن كان على مثل ما كان عليه الذين كلمهم إبراهيم من عبادة الأصنام ، ( فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ) : يقول قائل : وكيف يوصف الخشب والحديد والنحاس بعداوة ابن آدم ، فإن معنى ذلك : فإنهم عدو لي لو عبدتهم يوم القيامة ، كما قال جل ثناؤه ( وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ، كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ) . وقوله ( إلا رب العالمين ) نصبا على الاستثناء ، والعدو بمعنى الجمع ، ووجد لأنه أخرج مخرج المصدر ، مثل القعود والجلوس . ومعنى الكلام : أفرايتم كل معبود لكم ولآبائكم ، فإن من بريء لأعبده ، إلا رب العالمين .

تكون على أنف الفرس وحناكه ، تمنعه عن مخالفة راحته ( وحكم الفرس حكما ) بفتح الحاء ( وأحكه بالحكمة : جعل للجهامة حكمة ) وكانت العرب تتخذها من القدر والأبق لأن قصدهم الشجاعة ، لا الزينة ؛ قال زهير : « القائد الخيل » . . . البيت . يريد قد أحكت بحكمت القدر ، وبحكمت الأبق . فحذف الحكمت ، وأقام الأبق مكانها . ويروي : « محكومة حكمت القدر والأبقا » على اللغتين جميعا . قال أبو الحسن : عندي « قد أحكت » لأن فيه معنى قلدت ، وقلدت : متعدية إلى مفعولين . الأزهرى : وفرس محكومة : في رأسها حكمة ، وأنشد « محكومة حكمت القدر والأبق . ابن شميل : الحكمة : حلقة تكون في فم الفرس .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ

يَشْفِينِ (٨٠)

يقول: فإنهم عدوا لي إلا رب العالمين (الذي خلقني فهو يهدين) للصواب من القول والعمل، ويسدّ ذنبي للرشاد (والذي هو يطعمني ويسقيني) يقول: والذي يغذوني بالطعام والشراب، ويرزقني الأرزاق (وإذا مرضت فهو يشفيني) يقول: وإذا سقم جسمي واعتلت، فهو يبرئه ويعافيه.

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِي يُمَيِّنُ ثَمَّ يُمِحْنِي (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢)

يقول: والذي يميتني إذا شاء ثم يحييني إذا أراد بعد مماتي (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) فرتب هذا الذي بيده نفعي وضرتي، وله القدرة والسلطان، وله الدنيا والآخرة، لا الذي لا يسمع إذا دُعِيَ، ولا ينفع ولا يضر، وإنما كان هذا الكلام من إبراهيم احتجاجا على قومه، في أنه لا تصلح الألوهة، ولا ينبغي أن تكون العبادة إلا لمن يفعل هذه الأفعال، لا لمن لا يطيق نفعا ولا ضرا. وقيل: إن إبراهيم صلوات الله عليه، عني بقوله (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) والذي أرجو أن يغفر لي قولي (إني سقيم)، وقولي (بل فعله كبيرهم هذا)، وقولي لسارة إنها أختي.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله (أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) قال: قوله (إني سقيم)، وقوله (فعله كبيرهم هذا)، وقوله لسارة: إنها أختي، حين أراد فرعون من الفراعنة أن يأخذها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) قال: قوله (إني سقيم)، وقوله (بل فعله كبيرهم هذا)، وقوله لسارة: إنها أختي.

قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو تميلة، عن أبي حمزة، عن جابر، عن عكرمة ومجاهد نحوه. ويعني بقوله (يوم الدين) يوم الحساب، يوم المجازاة، وقد بينا ذلك بشواهد فيما مضى.

القول في تأويل قوله تعالى

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا، وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤)



يقول تعالى ذكره مخبراً عن مسألة خليله إبراهيم إياه ( رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا ) يقول : ربّ هب لي نبوة ( وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ) يقول : واجعلني رسولا إلى خلقك ، حتى تلحقني بذلك بعداد من أرسلته من رسلك إلى خلقك ، وأتمته على وحيك ، واصطفيته لنفسك ، وقوله ( وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ) يقول : واجعل لي في الناس ذكرا جميلا ، وثناء حسنا ، باقيا فيمن يحيى من القرون بعدى . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر ، عن عكرمة ، قوله ( وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ) ، قوله ( وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ) قال : إن الله فضله بالخلوة حين اتخذ خليليا ، فسأل الله فقال ( وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ) حتى لا تكذبني الأمم ، فأعطاه الله ذلك ، فإن اليهود آمنت بموسى ، وكفرت بعبسى ، وإن النصارى آمنت بعبسى ، وكفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وكلهم يتولى إبراهيم ؛ قالت اليهود : هو خليل الله وهو منا ، فقطع الله ولايتهم منه بعد ما أقرؤا له بالنبوة وآمنوا به ، فقال ( مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ، وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ) ، ثم ألحق ولايته بكم فقال ( إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ، وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ) فهذا أجره الذي عجل له ، وهي الحسنة ، إذ يقول ( وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ) وهو اللسان الصدق الذي سأل ربه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ) قال : اللسان الصدق : الذكر الصدق ، والثناء الصالح ، والذكر الصالح في الآخرين من الناس ، من الأمم .

اقول في تأويل قوله تعالى

وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَأَغْفِرْ لِي يَا رَبِّ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلَا

تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)

يعنى إبراهيم صلوات الله عليه بقوله ( وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ) أورثني يارب من منازل من هلك من أعدائك المشركين بك من الجنة ، وأسكنني ذلك ( وَأَغْفِرْ لِي يَا رَبِّ ) يقول : واصفح لأبي عن شركه بك ، ولا تعاقبه عليه ( إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ) يقول : إنه كان ممن ضل عن سبيل الهدى ، فكفر بك . وقد بينا المعنى الذى من أجله استغفر إبراهيم لأبيه صلوات الله عليه ، واختلاف أهل العلم في ذلك ،

والصواب عندنا من القول فيه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله ( وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ) يقول : ولا تؤذني بعقابك إياي يوم تبعث عبادك من قبورهم

لموقف القيامة (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ) يقول: لا تخزنى يوم لا ينفع من كفر بك وعصاك فى الدنيا مال كان له فى الدنيا ، ولا بنوه الذين كانوا له فيها ، فيدفع ذلك عنه عقاب الله إذا عاقبه ، ولا ينجيه منه . وقوله (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) يقول : ولا تخزنى يوم يبعثون ، يوم لا ينفع إلا القلب السليم . والذى عنى به من سلامة القلب فى هذا الموضع : هو سلامة القلب من الشك فى توحيد الله ، والبعث بعد الممات .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عثية ، عن عون ، قال : قلت لمحمد : ما القلب السليم ؟ قال : أن يعلم أن الله حق ، وأن الساعة قائمة ، وأن الله يبعث من فى القبور . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال : لاشك فيه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال : ليس فيه شك فى الحق . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال : سليم من الشرك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال : سليم من الشرك ، فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد . حدثنى عمرو بن عبد الحميد الأملى ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قول الله (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال : هو الخالص .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمْ آيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ؟ (٩٣) فَكَبَّكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ، (٩٤) وَجُنُودٌ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥)

يعنى جل ثناؤه بقوله (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ) وأدنى الجنة وقربت للمتقين ، الذين اتقوا عقاب الله فى الآخرة ، بطاعتهم إياه فى الدنيا (وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ) يقول : وأظهرت النار للذين غواوا فضلوا عن سواء السبيل (وَقِيلَ لَهُمْ) للغاوين (أَيَسْمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) من الأنداد (هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ) اليوم من الله ، فينقذونكم من عذابه (أَوْ يَنْتَصِرُونَ) لأنفسهم ، فيسجنونها مما يراد بها ؟



وقوله ( فَكُذِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ) يقول : فرمى ببعضهم في الجحيم على بعض ، وطرح بعضهم على بعض منكبين على وجوههم . وأصل كذبوا : كذبوا ، ولكن الكاف كررت كما قيل : ( بَرِيحٍ صَرَّصَرٍ ) يعني به صرّ ، ونهني ينهني ، يعني به : نهني .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله : ( فَكُذِّبُوا ) قال : فدهوروا .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله : ( فَكُذِّبُوا فِيهَا ) يقول : فجمعوا فيها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَكُذِّبُوا فِيهَا ) قال : طرحوا فيها ، فتأويل الكلام : فكذب هؤلاء الأنداد التي كانت تعبد من دون الله في الجحيم ( وَالْغَاوُونَ ) .  
وذكر عن قتادة أنه كان يقول : الغاوون في هذا الموضع : الشياطين .

ذكر الرواية عن قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فَكُذِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ) قال : الغاوون : الشياطين .

فتأويل الكلام على هذا القول الذي ذكرنا عن قتادة : فكذب فيها الكفار الذين كانوا يعبدون من دون الله الأصنام والشياطين .

وقوله ( وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ) يقول : وكذب فيها مع الأنداد والغاوين جنود إبليس أجمعون ، وجنوده ، كل من كان من تباعه من ذريته كان أو من ذرية آدم .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨)

يقول تعالى ذكره : قال هؤلاء الغاوون والأنداد التي كانوا يعبدونها من دون الله وجنود إبليس ، وهم في الجحيم يختصمون ( تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ) يقول : تالله لقد كنا في ذهاب عن الحق ، إن كنا لفي ضلال مبين ، يبين ذهابنا ذلك عنه عن نفسه ، لمن تأمله وتدبره ، أنه ضلال وباطل . وقوله ( إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ) يقول : الغاوون : للذين يعبدونهم من دون الله ، تالله إن كنا لفي ذهاب عن الحق حين تعدلكم برب العالمين فنعبدكم من دونه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ) قال : لتلك الآلهة :

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) فَلَوْ  
أَنَّ آتَيْنَا آلَ آدَمَ كَرَّةً ، فَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٢)

يقول تعالى ذكره نخبوا عن قبل هؤلاء الغاوين في الحميم ( وما أضلنا إلا المجرمون ) يعني بالجرمين إبليس ، وابن آدم الذي سن القتل .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله ( وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ) قال : إبليس وابن آدم القاتل .

وقوله ( فَأَمَّا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ) يقول : فليس لنا شافع فيشفع لنا عند الله من الأبعد ، فيعفو عنا ، وينجيننا من عقابه ( وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ) من الأقارب .

واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بالشافعين ، وبالصديق الحميم ، فقال بعضهم : عنى بالشافعين الملائكة ، وبالصديق الحميم : النسيب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( فَأَمَّا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ) قال : من الملائكة ( وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ) قال : من الناس ، قال مجاهد : صديق حميم ، قال : شقيق . وقال آخرون : كل هؤلاء من بنى آدم .

ذكر من قال ذلك

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا إسحاق بن سعيد البصرى المسمعى ، عن أخيه يحيى بن سعيد المسمعى ، قال : كان قتادة إذا قرأ ( فَأَمَّا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ، وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ) قال : يعلمون والله أن الصديق إذا كان صالحا نفع ، وأن الحميم إذا كان صالحا شفع .  
وقوله ( فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَكَوُنُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) يقول : فلو أن لنا رجعة إلى الدنيا ، فنؤمن بالله فتكون بإيماننا به من المؤمنين .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٠٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٠٤)



يقول تعالى ذكره : إن فيما احتج به إبراهيم على قومه من الحجج التي ذكرنا له ، لدلالة بيته واضحة لمن اعتبر ، على أن سنة الله في خلقه الذين يستنون بسنة قوم إبراهيم من عبادة الأصنام والآلهة ، ويقتدون بهم في ذلك ، ماسنّ فيهم في الدار الآخرة ، من كبتهم وما عبدوا من دونه مع جنود إبليس في الجحيم ، وما كان أكثرهم في سابق علمه مؤمنين ، وإن ربك يا محمد هو الشديد الانتقام ممن عبد دونه ، ثم لم يتب من كفره حتى هلك ، الرحيم بمن تاب منهم أن يعاقبه على ما كان سلف منه قبل توبته من إثم وجرم .

القول في تأويل قوله تعالى

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ؟ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧)

يقول تعالى ذكره : كذبت قوم نوح رسل الله الذين أرسلهم إليهم لما قال لهم أخوهم نوح ( ألا تتقون ) ، فتحذروا عقابه على كفركم به ، وتكذيبكم رسله ( إني لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ) من الله ( أمينٌ ) على وحيه إلى ، برسالته إياي إليكم .

القول في تأويل قوله تعالى

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١١٠)

يقول تعالى ذكره : فاتقوا عقاب الله أيها القوم على كفركم به ، وأطيعوني في نصيحتي لكم ، وأمرى إياكم باتقائه ( وما أسألكم عليه من أجرٍ ) يقول : وما أطلب منكم على نصيحتي لكم ، وأمرى إياكم باتقاء عقاب الله ، بطاعته فيما أمركم ونهاكم ، من ثواب ولا جزاء ( إن أجرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ) دونكم ودون جميع خلق الله ، فاتقوا عقاب الله على كفركم به ، وخافوا حلول سخطه بكم ، على تكذيبكم رسله ، وأطيعون : يقول : وأطيعوني في نصيحتي لكم ، وأمرى إياكم باخلاص العبادة لخالقكم .

القول في تأويل قوله تعالى

\* قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ أَنْتُمْ لَكُمْ وَأَتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ (١١١) قَالَ : وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣)

يقول تعالى ذكره : قال قوم نوح له ، مجيبه عن قوله لهم : إني لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون . قالوا : أنؤمن لك يا نوح ، ونقرّ بتصديقك فيما تدعونا إليه ، وإنما اتبعك منا الأرذلون ، دون ذوى الشرف وأهل البيوتات ( قال وما علمي بما كانوا يعملون ) قال نوح لقومه : وما علمي بما كان أتباعي

يعملون، وإنما لي منهم ظاهر أمرهم دون باطنه، ولم أُكَلِّفَ عَائِمَ باطنهم، وإنما كَلِّفْتُ الظاهر، فمن أظهر حسنا، ظننت به حسنا، ومن أظهر سيئا، ظننت به سيئا (إن حَسِبُ بِهِمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ) : يقول: إن حسابُ باطن أمرهم الذي خفي عني إلا على ربِّي لو تشعرون، فإنه يعلم سرَّ أمرهم وعلايته . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله (إن حَسِبُ بِهِمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ) قال: هو أعلم بما في نفوسهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١١٥) قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهَ يَنْوُحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبل نوح لقومه: وما أنا بطارد من آمن بالله واتبعني، على التصديق بما جئت به من عند الله (إن أنا إلا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) يقول: ما أنا إلا نذير لكم من عند ربكم، أنذركم بأسه وسطوته على كفركم به . مبين: يقول: نذير قد أبان لكم إنذاره، ولم يكتفكم نصيحته (قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهَ يَنْوُحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ) يقول: قال لنوح قومه: لئن لم تنته يانوح عما تقول، وتدعو إليه، وتعيب به آلتنا، لتكوننَّ من المثلومين . يقول: لنشتمك .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا، وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَانجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠)

يقول تعالى ذكره: (قَالَ) نوح (رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ) فيما أتيتهم به من الحق من عندك، وردوا على نصيحتي لم (فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا) يقول: فاحكم بيني وبينهم حكما من عندك، تهلك به المبطل، وتنقم به من كفر بك وجحد توحيدك، وكذب رسولك .

كما حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله (فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا) قال: فاقض بيني وبينهم قضاء .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا) قال: يقول: اقض بيني وبينهم، (وَنَجِّنِي) يقول: ونجني من ذلك العذاب الذي أتى به حكما بيني وبينهم (وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) يقول: والذين معي من أهل الإيمان بك، والتصديق لي .



وقوله ( فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ) يقول : فأنجينا نوحا ومن معه من المؤمنين ، حين فتحنا بينهم وبين قومهم ، وأنزلنا بأسنا بالقوم الكافرين في الفلك المشحون ، يعنى في السفينة الموقرة المملوءة وبنحو الذى قلنا في تأويل قوله ( الْفُلُّ الْمَشْحُونِ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ) قال : يعنى الموقر .

حدثنا محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا الحسين بن الحسن الأشقر ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : المشحون : الموقر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( الْفُلُّ الْمَشْحُونِ ) قال : المفروغ منه المملوء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : المشحون : المفروغ منه تحميلا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قول الله ( الْفُلُّ الْمَشْحُونِ ) قال : هو المحمل .

وقوله ( ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ) من قومه الذين كذبوه ، وردوا عليه النصيحة .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٢٢)

يقول تعالى ذكره : إن فيما فعلنا يا محمد بنوح ومن معه من المؤمنين في الفلك المشحون ، حين أنزلنا بأسنا وسطوتنا بقومه الذين كذبوه ، لآية لك ولقومك المصدقك منهم والمكذبيك ، في أن سنتنا تنجية رسلنا وأتباعهم ، إذا نزلت نعمتنا بالمكذبين بهم من قومهم ، وإهلاك المكذبين بالله ، وكذلك سنتي فيك وفي قومك ( وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ) يقول : ولم يكن أكثر قومك بالذين يصدقونك مما سبق في قضاء الله أنهم لن يؤمنوا . ( وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ ) في انتقامه ممن كفر به ، وخالف أمره ( الرَّحِيمُ ) بالثائب منهم ، أن يعاقبه بعد توبته .

القول في تأويل قوله تعالى

كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ

رَسُولٍ أَمِينٍ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا النَّبِيَّ (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، إِنْ أُجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧)

يقول تعالى ذكره : كذبت عاد رسل الله إليهم ( إذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ) عقاب الله على كفركم به ( إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ ) من ربي يأمركم بطاعته ، ويحذركم على كفركم بأسه ، ( أَمِينٌ ) على وحيه ورسالاته ( فَاتَّقُوا اللَّهَ ) بطاعته والانتباه إلى ما يأمركم وينهاكم ( وَأَطِيعُوا النَّبِيَّ ) فيما أمركم به من اتقاء الله وتحذيركم سطوته ( وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ) يقول : وما أطلب منكم على أمرى إياكم باتقاء الله جزاء ولا ثوابا ( إِنْ أُجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) يقول : ما جزائي وثوابي على نصيحتي إياكم إلا على رب العالمين .

القول في تأويل قوله تعالى

أَتَّبِعُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه ( أَتَّبِعُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ) والريح : كل مكان مشرف من الأرض مرتفع ، أو طريق أو واد ؛ ومنه قول ذي الرمة :  
طِرَاقُ الْحَوَافِي مُشْرِفٌ فَوْقَ رِيْعَةٍ نَدَى لَيْلِهِ فِي رِيْهِ يَتَرَقَّرُقُ<sup>١</sup>  
وقول الأعشى :

وَيَهْمَاءُ قَفْرِ تَجَاوَزَتْهَا إِذَا حَبَّ فِي رِيْعِهَا آهَاءُ<sup>٢</sup>

(١) البيت لدى الرمة (اللسان : ريع) . قال : والريح : الجبل ، والجمع أرياع ، وريوع ، ورياع . وقيل : الواحدة ريمة . والجمع : ريع . وحكى ابن بري عن أبي عبيدة : الريمة : جمع ريع ، بخلاف قول الجوهري ، قال ذو الرمة : « طراق الحوافي واقعا فوق ريمة » والريح : السبيل ، سلك أولم يسلك . وقوله تعالى : « أتبتون بكل ريع آية » . وقمرى : « بكل ريع » ، ( بفتح الراء ) : قيل في تفسيره : بكل مكان مرتفع . وقيل معناه : بكل فج . والفج : الطريق المنفرج في الجبال خاصة . وقيل : بكل طريق . وقال الفراء : الريع والريع ( بكسر الراء وفتحها ) لغتان ، مثل الرير والرير . اهـ . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( مصورة الجامعة ١٧٣ ) : بكل ريع ، وهو الارتفاع من الأرض ، والطريق . والجمع أرياع وريعة . قال ذو الرمة :

طِرَاقُ الْحَوَافِي مُشْرِفٌ فَوْقَ رِيْعَةٍ نَدَى لَيْلِهِ فِي رِيْهِ يَتَرَقَّرُقُ<sup>١</sup>

وفي (اللسان : طرق) : وطائر طراق الريش : إذا ركب بعضه بعضا . قال ذو الرمة يصف بازيا :

طِرَاقُ الْحَوَافِي وَأَقِيعٌ فَوْقَ رِيْعِهِ نَدَى لَيْلِهِ فِي رِيْهِ يَتَرَقَّرُقُ<sup>٢</sup>

ويترقرق : يلعب . وكل شيء له بصيص وتلألؤ فهو رقرق . والحوافي : ما تحت القوادم في الطائر من الريش . والقوادم : جمع قادمة ، وهي أريع ريشات طويلة في أول جناحه .

(٢) البيت نسبة المؤلف للأعشى (أعشى بن قيس بن ثعلبة) وفي ديوانه طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين (ص ١٦٣ - ١٦٩) قصيدة من هذا البحر المتقارب ومن القافية نفسها ، عدتها ٤٧ بيتا ، يمدح بها إياس بن قبيصة الطائي . ولكن البيت سقط منها في نسخة =



وفيه لغتان : ربيع وريبع ، بكسر الراء وفتحها .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( أَتَبَسُّونَ بِكُلِّ رَيْعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ) يقول : بكلّ شرف .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( بِكُلِّ رَيْعٍ ) قال : فجع .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( أَتَبَسُّونَ بِكُلِّ رَيْعٍ آيَةً ) قال : بكلّ طريق .  
حدثني سليمان بن عبيد الله الغيلاني ، قال : ثنا أبو قتيبة ، قال : ثنا مسلم بن خالد ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( أَتَبَسُّونَ بِكُلِّ رَيْعٍ ) قال : الربيع : الثانية الصغيرة .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا يحيى بن حسان ، عن مسلم بن خالد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرير ، قال : قال عكرمة ( بِكُلِّ رَيْعٍ ) قال : فجع وواد ، قال : وقال مجاهد ( بِكُلِّ رَيْعٍ ) بين جبلين .  
قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرير ، عن مجاهد ، قوله ( أَتَبَسُّونَ بِكُلِّ رَيْعٍ ) قال : شرف ومنظر .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( بِكُلِّ رَيْعٍ ) قال : بكلّ طريق .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( بِكُلِّ رَيْعٍ ) بكلّ طريق . ويعنى بقوله ( آيَةً ) بنيانا ، علما . وقد بينا في غير موضع من كتابنا هذا ، أن الآية هي الدلالة والعلامة ، بالشواهد المغنية عن إعادتها في هذا الموضع .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في ألفاظهم في تأويله .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( بِكُلِّ رَيْعٍ آيَةً ) قال : الآية : علم .

= الديوان ، ولعله يوجد في نسخ أخرى منه قديمة . والبهاء : المفازة : لأماء بها ولا أنيس . وخب : تحرك واضطرب . والربيع قد فسرناه في الشاهد قبل هذا ، ونقلنا كلام العلماء . والآل : السراب . وعب السراب : أي تحرك ولمع . وهذا الشاهد كالذي قبله . يريد المؤلف : أنه كل مكان مشرف من الأرض مرتفع ، أو طريق أو واد . وفيه لغتان : ربيع وريبع بكسر الراء وفتحها كما قال ، وكما قال غيره من أهل اللغة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( بِكُلِّ رِيْعٍ آيَةٌ ) قال : آية : بنيان .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ( آيَةٌ ) بنيان :  
حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، في قوله ( بِكُلِّ رِيْعٍ آيَةٌ ) قال : بنيان الحمام .

وقوله ( تَعَبُّشُونَ ) قال : تلعبون .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( تَعَبُّشُونَ ) قال : تلعبون .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، يقول في قوله ( تَعَبُّشُونَ ) قال : تلعبون .

وقوله ( وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ) اختلف أهل التأويل في معنى المصانع ، فقال بعضهم : هي قصور مشيدة :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ) قال : قصور مشيدة ، وبنيان مخلد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ( مَصَانِعَ ) : قصور مشيدة وبنيان .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن مجاهد ، قال : ( مَصَانِعَ ) يقول : حصون وقصور .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا يحيى بن حسان ، عن مسلم ، عن رجل ، عن مجاهد ، قوله ( مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَتَّخِذُونَ ) قال : أبرجة الحمام .  
وقال آخرون : بل هي مأخذ للماء .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( مَصَانِعَ ) قال : مأخذ للماء .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن المصانع جمع مَصْنَعَةٍ ، والعرب تسمى كل



بناء مصنعة ، وجائر أن يكون ذلك البناء كان قصورا وحصونا مشيدة ، وجائر أن يكون كان مأخذ للماء ، ولا خبر يقطع العذر بأى ذلك كان ، ولا هو مما يدرك من جهة العقل .  
فالصواب أن يقال فيه ، ما قال الله : إنهم كانوا يتخذون مصانع .  
وقوله ( لَعَلَّكُمْ تَتَّخِذُونَ ) يقول : كأنكم تخذون ، فتبقون في الأرض .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( لَعَلَّكُمْ تَتَّخِذُونَ ) يقول : كأنكم تخذون .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال فى بعض الحروف ( وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ) كأنكم تخذون . وكان ابن زيد يقول : لعلكم : فى هذا الموضع استفهام .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَتَّخِذُونَ ) قال : هذا استفهام ، يقول : لعلكم تخذون حين تبنون هذه الأشياء .  
وكان بعض أهل العربية يزعم أن لعلكم فى هذا الموضع بمعنى « كما » .  
وقوله ( وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ) يقول : وإذا سطوتم سطوتم قتلا بالسيوف ، وضربا بالسياط :

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ( وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ) قال : القتل بالسيوف والسياط .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنفُسِكُمْ

وَابْنِينَ (١٣٣) وَجَنَّتِ وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيل هود لقومه من عاد : اتقوا عقاب الله أيها القوم ، بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم ، وانتهوا عن اللهو واللعب ، وظلم الناس ، وقهرهم بالغلبة والفساد فى الأرض ، واحذروا سخط الذى أعطاكم من عنده ما تعلمون ، وأعانكم به من بين المواشى والبنين والبساتين والأنهار ( لآتى أخافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ ) من الله ( عَظِيمٍ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ  
الْأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ (١٣٨)

يقول تعالى ذكره : قالت عاد لنبيهم هود صلى الله عليه وسلم : مُعتدلٌ عندنا وعظك إيانا ، وتركك الوعظ ، فلن نؤمن لك ، ولن نصدقك على ما جئتنا به .

وقوله ( إن هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة سوى أبي جعفر ، وعامة قراء الكوفة المتأخرين منهم ( إن هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ) من قبلنا . وقرأ ذلك أبو جعفر ، وأبو عمرو بن العلاء ( إن هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ) بفتح الحاء وتسكين اللام ، بمعنى : ما هذا الذي جئتنا به إلا كذب الأولين وأحاديثهم .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، نحو اختلاف القراء في قرأته ، فقال بعضهم : معناه : ما هذا إلا دين الأولين وعاداتهم وأخلاقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( إن هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ) يقول : دين الأولين .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله ( إن هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ) يقول : هكذا خلقة الأولين ، وهكذا كانوا يحيون ويموتون . وقال آخرون : بل معنى ذلك : ما هذا إلا كذب الأولين وأساطيرهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( إن هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ) قال : أساطير الأولين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ) قال : كذبهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله : حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إن هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ) قال : إن هذا إلا أمر الأولين ، وأساطير الأولين اكتبها ، فهي تملى عليه بكرة وأصيلا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن علقمة ، عن ابن مسعود ( إن هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ) يقول : إن هذا إلا اختلاق الأولين .



قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا داود ، عن الشعبي ، عن علقمة ، عن عبد الله ، أنه كان يقرأ ( إن هَذَا إِلاَّ خُلِقَ الْأَوَّلِينَ ) ويقول شيئا اختلقوه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن داود ، عن الشعبي ، قال : قال علقمة ( إن هَذَا إِلاَّ خُلِقَ الْأَوَّلِينَ ) قال : اختلاق الأولين .

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب : قراءة من قرأ ( إن هَذَا إِلاَّ خُلِقَ الْأَوَّلِينَ ) بضم الخاء واللام ، بمعنى : إن هذا إلا عادة الأولين ودينهم ، كما قال ابن عباس ، لأنهم إنما عوتبوا على البنيان الذي كانوا يتخذونه ، وبطشهم بالناس بطش الجبابرة ، وقلة شكرهم ربهم فيما أنعم عليهم ، فأجابوا نبيهم بأنهم يفعلون ما يفعلون من ذلك ، احتذاءً منهم سنة من قبلهم من الأمم ، واقتفاءً منهم آثارهم ، فقالوا : ما هذا الذي نفعله إلا خلق الأولين ، يعنون بالخلق : عادة الأولين . ويزيد ذلك بيانا وتصحيحا لما اخترنا من القراءة والتأويل ، قولهم ( وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيَيْنِ ) لأنهم لو كانوا لا يُقرّون بأن لهم ربا يقدر على تعذيبهم ، ما قالوا ( وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيَيْنِ ) بل كانوا يقولون : إن هذا الذي جئتنا به يهود إلا خلق الأولين ، وما لنا من معذب يعذبنا ، ولكنهم كانوا مقرّين بالصانع ، ويعبدون الآلهة ، على نحو ما كان مشركو العرب يعبدونها ، ويقولون ( إِنَّا تَقَرَّبْنَا إِلَى اللَّهِ زُلْمَى ) ، فلذلك قالوا لهود وهم منكرون بنبوته ( سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ) ثم قالوا له : ما هذا الذي نفعله إلا عادة من قبلنا وأخلاقهم ، وما الله معذبنا عليه ، كما أخبرنا تعالى ذكره عن الأمم الخالية قبلنا ، أنهم كانوا يقولون لرسولهم ( إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٤٠)

يقول تعالى ذكره : فكذبت عاد رسول ربهم هوداً ، والهاء في قوله ( فَكَذَّبُوهُ ) من ذكر هود : ( فَأَهْلَكْنَاهُمْ ) يقول : فأهلكنا عاداً بتكذيبهم رسولنا ، ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ) يقول تعالى ذكره : إن في إهلاكنا عاداً بتكذيبها رسولها ، لعبرة وموعظة لقومك يا محمد ، المكذبيك فيما أتيتهم به من عند ربك . ( وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ) يقول : وما كان أكثر من أهلكتنا بالذين يؤمنون في سابق علم الله . ( وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ ) في انتقامه من أعدائه ، ( الرَّحِيمُ ) بالمؤمنين به .

القول في تأويل قوله تعالى

كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ؟ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ

رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَسُولَ اللَّهِ (١٤٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥)

يقول تعالى : كذبت ثمود رسول الله ، إذ دعاهم صالح أخوهم إلى الله ، فقال لهم : ألا تتقون عقاب الله يا قوم ، على معصيتكم إياه ، وخلافكم أمره ، بطاعتكم أمر المفسدين في أرض الله ، ( إني لآتي لَكُمْ رَسُولٌ ) من الله أرسلني إليكم بتحذيركم عقوبته ، على خلافكم أمره . ( أَمِينٌ ) على رسالته التي أرسلها معي إليكم ، فاتقوا الله أيها القوم ، واحذروا عقابه ( وَأَطِيعُوا ) في تحذيري إياكم وأمر ربكم ، باتباع طاعته . ( وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ) يقول : وما أسألكم على نصحي إياكم ، وإنذاركم من جزاء ولا ثواب ( إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) يقول : إن جزائي وثوابي إلا على رب جميع ما في السموات وما في الأرض ، وما بينهما من خلق .

القول في تأويل قوله تعالى

أَتَتْكُمْ كُونٌ فِي مَا هُمْ بِنَآءٍ أَمِينٍ (١٤٦) فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَاتَّخَذْتُمْ مِّنْ أَلْبَآلٍ يُبُوتَآ قُرَاهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٥٠)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه من ثمود : أترككم يا قوم ربكم في هذه الدنيا آمين ، لاتخافون شيئا ( في جناتٍ وعيونٍ ) يقول : في بساتين وعيون ماء ( وزروعٍ ونخلٍ طلعها هضيمٌ ) يعني بالطلع الكفري .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله ( هَضِيمٌ ) فقال بعضهم : معناه البائع النضيج .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هَضِيمٌ ) يقول : أبيع وبلغ ، فهو هضيم . وقال آخرون : بل هو المهشم المتفتت .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هَضِيمٌ ) قال محمد بن عمرو في حديثه : تهشم هشيا . وقال الحارث : تهشم تهشما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سمعت عبد الكريم يقول : سمعت مجاهدا يقول في قوله ( وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هَضِيمٌ ) قال : حين تطلع يقبض عليه فيضمه :



قال ابن جرير ، قال مجاهد : إذا مُسَّ تَهَشَّمَتْ وَتَفَتَّتْ ، قال : هو من الرُّطْبِ هَضِيمٌ ، تَقْبُضُ عَلَيْهِ فَتَهْضِمُهُ .  
وقال آخرون : هو الرُّطْبُ اللين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة قوله ( وَتَنْخَلِ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ) قال :  
الهضم : الرطب اللين .  
وقال آخرون : هو الراكب بعضه بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله  
( طَلْعُهَا هَضِيمٌ ) إذا كثر حمل النخلة فركب بعضها بعضا ، حتى نقص بعضها بعضا ، فهو حينئذ هضم .  
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : الهضم : هو المتكسر من لينه ورطوبته ، وذلك من قولهم :  
هضم فلان حقه : إذا انتقصه وتخبَّفه ، فكذلك الهضم في الطلع ، إنما هو التناقص منه ، من رطوبته ولينه ،  
إما بمس الأيدي ، وإما بركوب بعضه بعضا ، وأصله مفعول صُرِفَ إلى فاعيل .  
وقوله ( وَتَنْسَحِحُونَ مِّنَ الْجِبَالِ ) يقول تعالى ذكره : وتتخذون من الجبال بيوتا ،  
فاختلفت القراء في قراءة قوله ( فَرَاهِينَ ) فقراءته عامة قراء أهل الكوفة ( فَرَاهِينَ ) بمعنى : حاذقين بنحها .  
وقراءته عامة قراء أهل المدينة والبصرة ( فَرَاهِينَ ) بغير ألف ، بمعنى : أشيرين بطرين .  
واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك على نحو اختلاف القراء في قراءته ، فقال بعضهم : معنى فراهين :  
حاذقين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثام ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح وعبد الله بن شداد  
( وَتَنْسَحِحُونَ مِّنَ الْجِبَالِ ) قال أحدهما : حاذقين ، وقال الآخر : يتجبرون .  
حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا مروان ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح  
( وَتَنْسَحِحُونَ مِّنَ الْجِبَالِ ) قال : حاذقين بنحها .  
حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( فَرَاهِينَ )  
يقول : حاذقين .

وقال آخرون : معنى فراهين : مستفريهين متجبرين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن السندي ، عن عبد الله بن شداد في قوله  
( فَرَاهِينَ ) قال : يتجبرون .  
قال أبو جعفر : والصواب : فراهين :

وقال آخرون ممن قرأه فارهين : معنى ذلك : كَيْسَيْن .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله ( فَرِهَيْنَ ) قال : كَيْسَيْن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد ، عن الضحاك أنه قرأ ( فَرِهَيْنَ ) قال : كَيْسَيْن .

وقال آخرون : فَرِهَيْنَ : أَشْرَيْن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله ( وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهَيْنَ ) يقول : أشرين ، ويقال : كَيْسَيْن .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله ( بُيُوتًا فَرِهَيْنَ ) قال : شَرِهَيْن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، بمثله .

وقال آخرون : معنى ذلك : أقوياء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهَيْنَ ) قال : الفَرِهَ : القَوَى .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن قتادة ، فى قوله ( فَرِهَيْنَ ) قال : مُعْجَبَيْن بصنيعكم .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن قراءة من قرأها ( فَرِهَيْنَ ) وقراءة من قرأ ( فَرِهَيْنَ ) : قراءتان معروفتان ، مستفيضة القراءة بكل واحدة منهما فى علماء القراء ، فبأيهما قرأ القارى فصيـب . ومعنى قراءة

من قرأ ( فَرِهَيْنَ ) : حاذقين بنحها ، متخيرين لمواضع نحتها كَيْسَيْن ، من الفراهة . ومعنى قراءة من قرأ ( فَرِهَيْنَ ) : مَرِحِينَ أَشْرَيْن . وقد يجوز أن يكون معنى فَرِهَ وفَرِهَ واحداً ، فيكون فارها مبنياً على بنائه ، وأصله من فعيل يفعل ، ويكون فَرِهَ صفة ، كما يقال : فلان حاذق بهذا الأمر وحَدِّق ، ومن الفاره

بمعنى المرح قول الشاعر عدى بن وادع العوفى من الأزدي :

لا أَسْتَكِينُ إِذَا مَا أَزْمَةُ أَزْمَتُ      وَلَكِنْ تَرَانِي بِحَسِيرِ فَارِهِ الطَّلَبِ

(١) البيت لعدى بن وادع الشاعر الأزدي الأعمى ، ( كما سماه صاحب معجم الشعراء ص ٢٥٢ ) ، وكما فى مجاز القرآن لأبى عبيدة ( مصورة الجامعة ص ١٧٣ ) قال : « وتحتون من الجبال بيوتاً فارهين » أى مرحين . قال عدى بن وادع المقوى من الغفاة بن عمرو ابن فهم من الأزدي :



أى مرح الطلب . وقوله ( فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ) يقول تعالى ذكره : فاتقوا عقاب الله أيها القوم على معصيتكم ربكم ، وخلافكم أمره ، وأطيعوا في نصيحتي لكم ، وإنذارى إياكم عقاب الله تترشّدوا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢)  
قَالُوا : إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ (١٥٣)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيل صالح لقومه من ثمود : لا تطيعوا أيها القوم أمر المسرفين على أنفسهم ، فى تماديهم فى معصية الله ، واجترأهم على سخطه ، وهم الرهط التسعة الذين كانوا يفسدون فى الأرض ، ولا يصلحون ، من ثمود الذين وصفهم الله جل ثناؤه بقوله ( وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ) يقول : الذين يسهون فى أرض الله بمعاصيه ، ولا يصلحون ، يقول : ولا يصلحون أنفسهم بالعمل بطاعة الله .

وقوله ( إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم معناه : إنما أنت من المسحورين .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ) قال : من المسحورين حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله ( إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ) قال : إنما أنت من المسحورين . وقال آخرون : معناه : من المخلوقين .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبيد ، قال : ثنا موسى بن عمرو ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، فى قوله ( إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ) قال : من المخلوقين .

= لَا أَسْتَكِينُ إِذَا مَا أْزَمَهُ أَزَمْتُ وَكَمْ تَرَانِي بِحَسِيرٍ فَارِهِ اللَّبِّبِ  
أى مرح اللبب . قال : ويجوز : « فرهين » فى معنى « فارهين » .

أوهو ابن وداع العوقى ، كما فى ( اللسان : فره ) قال : الفاره : الحاذق بالشيء والفروهة ، والفراحة والفراحية : النشاط . وفره بالكسر : أشر وبطر ، ورجل فره نشيط أشر . وفى التنزيل : « وتنتحون من الجبال بيوتا فرهين » . فن قرأه كذلك ، فهو من هذا : شرهين بطرين . ومن قرأه : « فارهين » ، فهو من فره بالضم . قال ابن برى عند هذا الموضع : قال ابن وداع العوقى : لا أستكين إذا ما أزمته أزمته ولن ترانى بخير فاره اللبب  
قال الفراه : معنى فارهين : حاذقين . اهـ . وأنا « اللبب » فى رواية أبى عبيدة ، فلعلها الرواية الصحيحة . ومعناه : البال . يقال : إنه لرخى اللبب . وفى التهذيب : فلان فى بال رضى ، ولبب رضى : أى فى سعة وخصب وأمن .

﴿ واختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى ذلك ، فكان بعض أهل البصرة يقول : كل من أكل من إنس أو دابة فهو مسحّر ، وذلك لأن له سحرا يقترى ما أكل فيه ، واستشهد على ذلك بقول لبيد :  
 فَإِنْ تَسَأَلِينَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسْحَرِّ  
 وقال بعض نحوِّي الكوفيين نحو هذا ، غير أنه قال : أخذ من قولك : انتفخ سحرك : أي أنك تأكل الطعام والشراب ، فتسحّر به وتعلّل . وقال : معنى قول لبيد : « من هذا الأنام المسحّر » : من هذا الأنام المعلّل الخدوع . قال : ويروى أن السحّر من ذلك ، لأنه كالخدعة .  
 ﴿ والصواب من القول في ذلك عندى : القول الذى ذكرته عن ابن عباس ، أن معناه : إنما أنت من المخلوقين الذين يُعلّلون بالطعام والشراب مثلنا ، ولست ربا ولا ملكا فظيعةك ، ونعلم أنك صادق فيما تقول ، والمسحّر : المفعّل من السحرة ، وهو الذى له سحرة .

#### القول في تأويل قوله تعالى

مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ (١٥٤) قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (١٥٥) وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥٦)

﴿ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ثمود لنبينا صالح ( ما أنت ) يا صالح ( إلا بشرٌ مثلنا ) من بنى آدم ، تأكل مانأكل ، وتشرب ما تشرب ، ولست برب ولا ملك ، فعلام تبعك ، فإن كنت صادقا في قبلك ، وأن الله أرسلك إلينا ( فأْتِ بَيِّنَاتٍ ) يعنى : بدلالة وحجة على أنك محق فيما تقول ، إن كنت ممن صدقنا في دعواه أن الله أرسله إلينا .

وقد حدثني أحمد بن عمرو البصرى ، قال : ثنا عمرو بن عاصم الكلابي ، قال : ثنا داود بن أبي الفرات ، قال : ثنا علياء بن أحر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن صالحا النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الله إلى قومه ، فآمنوا به واتبعوه ، فأت صالح ، فرجعوا عن الإسلام ، فأتاهم صالح ، فقال لهم : أنا صالح ، قالوا : إن كنت صادقا فأتنا بآية ، فأتاهم بالناقة ، فكذبوه وعقروها ، فعذبهم الله .

(١) سبق الاستشهاد ببيت لبيد هذا في (١٥ : ٩٦) وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ( مصورة الجامعة الورقة ١٧٤ ) قال : وكل من أكل إنس أو دابة فهو مسحّر ، وذلك أن له سحرا يقترى فيه ما أكل ، قال لبيد ( وأنشد البيت ) . وفى ( اللسان : سحر ) : سجره بالطعام والشراب يسجره سحرا وسجره : غذاه وعلله . وقيل : خدعه . والسحر : الغذاء . قال امرؤ القيس :

أَرَأَنَا مُوَضِّعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ وَنُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ

موضعين : مسرعين . ولأمر غيب : يريد الموت ، وأنه قد غيب عنا وقته ، ونحن نلهى عنه بالطعام والشراب . والسحر : الخديعة . وقول لبيد : « فإن تسألينا . . . البيت » . يكون على وجهين . وقوله تعالى : « إنما أنت من المسحرين » ؛ يكون من التغذية ومن الخديعة . وقال الفراء : « إنما أنت من المسحرين » : قالوا لنبي الله : لست بملك ، إنما أنت بشر مثلنا . قال : والمسحر : الخوف ؛ كأنه والله أعلم أخذ من قولك : انتفخ سحرك ، أي أنك تأكل الطعام والشراب ، فتعلل به . وقيل « من المسحرين » أي ممن سحر مرة بعد مرة .



وقوله ( قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ) يقول تعالى ذكره : قال صالح ثمود لما سألوه آية يعلمون بها صدقه ، فاتاهم بناقة أخرجها من صخرة أو هضبة : هذه ناقة يا قوم ، لها شرب ولكم مثله شرب يوم آخر معلوم ، ما لكم من الشرب ليس لكم في يوم وردها أن تشربوا من شربها شيئاً ، ولا لها أن تشرب في يومكم مما لكم شيئاً ، ويعنى بالشرب : الحظ والنصيب من الماء ، يقول : لها حظ من الماء ، ولكم مثله ، والشرب والشرب مصادر كلها بالضم والفتح والكسر .

وقد حكي عن العرب سماعاً : آخرها أقلها شرباً وشربياً .

وقوله ( وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ ) يقول : لاتمسوها بما يؤذيها من عقْر و قتل ونحو ذلك .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ ) لا تعقروها . وقوله ( فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ) يقول : فيحل بكم من الله عذاب يوم عظيم عذابه .

القول في تأويل قوله تعالى

فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ، وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ  
مُؤْمِنِينَ (١٥٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٥٩)

يقول تعالى ذكره ، فخالقت ثمود أمر نبيها صالح صلى الله عليه وسلم ، فعقروا الناقة التي قال لهم صالح : لاتمسوها بسوء ، فأصبحوا ناديمين على عقْرها ، فلم ينفعهم ندمهم ، وأخذهم عذاب الله الذي كان صالح توعدهم به ، فأهلكهم ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ) يقول : إن في إهلاك ثمود بما فعلت من عقْرها ناقة الله وخلافها أمر نبي الله صالح لعبرة لمن اعتبر به يا محمد من قومك ( وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ) يقول : ولن يؤمن أكثرهم في سابق علم الله ( وَإِنَّ رَبَّكَ ) يا محمد ( لَهُوَ الْعَزِيزُ ) في انتقامه من أعدائه ( الرَّحِيمُ ) بمن آمن به من خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى

كَذَّبَتْ قَوْمٌ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ  
رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ، إِنْ أَجْرِيَ  
إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤)

يقول تعالى ذكره : كذبت قوم لوط من أرسله الله إليهم من الرسل ، حين قال لهم أخوهم لوط : ألا تتقون الله أيها القوم ( إني لكم رسول ) من ربكم ( آمين ) على وحيه ، وتبليغ رسالته . ( فاتقوا الله ) في أنفسكم ، أن يحلّ بكم عقابه على تكذيبكم رسوله ( وأطيعون فيما دعوتكم إليه ، أهدكم سبيل الرشاد ) وما أسألكم عليه من أجرٍ ) يقول : وما أسألكم على نصيحتي لكم ودعابتكم إلى ربي ، جزاء ولا ثوابا ( إن أجرى إلا على رب العالمين ) يقول : ماجزائي على دعابتكم إلى الله ، وعلى نصحي لكم ، وتبليغ رسالات الله إليكم ، إلا على رب العالمين .

## القول في تأويل قوله تعالى

أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ ، بَلْ

أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦)

يقول في معنى بقوله ( أتأتون الذكوران من العالمين ) : أتتكم حيون الذكوران من بني آدم في أديبارهم ، وقوله ( وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم ) يقول : وتدعون الذي خلق لكم ربكم من أزواجكم من فروعهم ، فأحلّه لكم . وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ( وتذرون ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم ) .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم ) قال : تركتم أقبال النساء ، إلى أديبار الرجال ، وأديبار النساء .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه .  
وقوله ( بل أنتم قوم تجاوزون ما أباح لكم ربكم ، وأحلّه لكم من الفروج ، إلى ما حرّم عليكم منها ) .  
كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( بل أنتم قوم عادون ) قال : قوم معتدون .

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : لَيْنَ لَمْ تَنْتَه يَلُوطُ لَتَسْكُنَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) قَالَ إِن لِّعَمَلِكُمْ مِنْ

الْقَائِنِ (١٦٨)



يقول تعالى ذكره: قال قوم لوط ( لَسِنَّ لَمْ تَنْتَهَ يَا لُوطُ ) عن نهيينا عن إتيان الذُّكْرَانِ ( لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ) من بين أظهرنا وبلدنا ( قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ) يقول : لهم لوط إني لعملكم الذي تعملونه ، من إتيان الذكران في أدبارهم ، من القالين ، يعنى من المُبْغِضِينَ ، المنكرين فعله .

القول في تأويل قوله تعالى

رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩) فَتَجَنَّبَهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١)

يقول تعالى ذكره : فاستغاث لوط حين توعدته قومه بالإخراج من بلدهم ، إن هو لم ينته عن نهيهم عن ركوب الفاحشة ، فقال ( رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي ) من عقوبتك إياهم على ما يعملون من إتيان الذكران ( فَتَجَنَّبَهُ وَأَهْلَهُ ) من عقوبتنا التي عاقبنا بها قوم لوط أجمعين ( إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ) يعنى فى الباقيين ، لطول مرور السنين عليها ، فصارت هيرمة ، فإنها أهليكت من بين أهل لوط ، لأنها كانت تدل قومها على الأضياف . وقد قيل : إنما قيل من الغابرين : لأنها لم تهلك مع قومها فى قريتهم ، وأنها إنما أصابها الحجر بعد ما خرجت عن قريتهم مع لوط وابنتيه ، فكانت من الغابرين بعد قومها ، ثم أهلكتها الله بما أمطر على بقايا قوم لوط من الحجارة ، وقد بيننا ذلك فيما مضى ، بشواهد المغنية عن إعادتها .

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ، وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٧٥)

يقول تعالى ذكره : ثم أهلكتنا الآخرين من قوم لوط بالتدمير ، ( وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ) ، وذلك إرسال الله عليهم حجارة من سجيل ، من السماء ( فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ) يقول : فبئس ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم نبيهم فكذبوه ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ) يقول تعالى ذكره : إن فى إهلاكنا قوم لوط الهلاك الذى وصفنا ، بتكذيبهم رسولنا ، لعبرة وموعظة لقومك يا محمد ، يتعظون بها فى تكذيبهم إياك ، وردهم عليك ما جئتهم به من عند ربك من الحق ( وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ) فى سابق علم الله ( وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ) بمن آمن به .

القول في تأويل قوله تعالى

كَذَّبَ أَصْحَابُ الْمِرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ؟ (١٧٧) إِنْ لَكُمْ رِسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٧٩)

يقول تعالى ذكره ( كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ) والأَيْكَةُ : الشجر الملتف ، وهي واحدة الأَيْكِ ، وكل شجر ملتف فهو عند العرب أَيْكَةٌ ؛ ومنه قول نابغة بنى ذبيان :

تَجَلُّوْا بِقَادِمَتِي حَمَامَةَ أَيْكَةٍ بَرَدًا أَسِيفَ لِيثَاتِهِ بِالْإِثْمِدِ

وأصحاب الأَيْكَةِ : هم أهل مدين فيما ذُكر .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ) يقول : أصحاب الغِيضَةِ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ) قال : الأَيْكَةُ : مجمع الشجر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : قال ابن عباس ، قوله ( كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ) قال : أهل مدين ، والأَيْكَةُ : الملتف من الشجر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ) قال : الأَيْكَةُ : الشجر ، بعث الله شعيبا إلى قومه من أهل مدين ، وإلى أهل البادية ، قال : وهم أصحاب ليكة وليكة ، والأَيْكَةُ : واحد .

وقوله ( إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ) يقول تعالى ذكره : قال لهم شعيب : ألا تتقون عقاب الله على معصيتكم ربكم ( إِنِّي لَكُمْ ) من الله ( رَسُولٌ أَمِينٌ ) على وحيه . ( فَاتَّقُوا ) عقاب ( الله ) على خلافكم أمره . ( وَأَطِيعُوا ) ( وَاتَّقُوا ) ترشدوا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) \* أَوْفُوا الْكَيْلَ

وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١)

يقول : ( وَمَا أَسْأَلُكُمْ ) على نصحي لكم من جزاء وثواب ، ما جزائي وثوابي على ذلك ( إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَوْفُوا الْكَيْلَ ) يقول : أوفوا الناس حقوقهم من الكيل ( وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ) يقول : ولا تكونوا ممن نقصهم حقوقهم .

(١) البيت للتأنيف الذي يأتي زياد بن معاوية ( مختار الشعر الجاهل بشرح مصطفي السقا طبعه الحلبي ص ١٨٥ ) قال شارحه : تجلو : تكشف . والقوادم : الريش المقدم في جناح الطائر ، ويكون شديد السواد . شبه سواد شفتيها . بالقوادم ؛ وشبه بياض ثغرها بياض البرد . والثلاث : مغارز الأسنان ، ومن عاداتهم أن يذروا عليها الإمد ، ليبين بياض الأسنان . اهـ . والأريكة : الشجر الكبير الملتف . وقيل : هي الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر . وخص بعضهم به منبت الأثل ومجتمعه . وقال أبو حنيفة الدينوري : قد تكون الأَيْكَةُ : الجماعة من كل الشجر ، حتى من النخل . قال : والأول : أعرف . واجمع أَيْك .



القول في تأويل قوله تعالى

وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ  
مُفْسِدِينَ (١٨٣)

يعنى بقوله (وزنوا بالقسطاس المستقيم) الذي لا ينجس فيه على من وزنتم له (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم في الكيل والوزن (ولا تعتوا في الأرض مفسدين) يقول: ولا تكثروا في الأرض الفساد. وقد بيننا ذلك كله بشواهد ، واختلاف أهل التأويل فيه فيما مضى ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضوع .

القول في تأويل قوله تعالى

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولِينَ (١٨٤) قَالُوا: إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥)  
وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ  
إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧)

يقول تعالى ذكره: (واتقوا) أيها القوم عقاب ربكم (الذي خلقكم) وخلق (الجبلية الأولين) ، يعنى بالجبلية: الخلق الأولين . وفي الجبلية للعرب لغتان : كسر الجيم والباء وتشديد اللام ، وضم الجيم والباء وتشديد اللام ، فإذا نزعنا الهاء من آخرها كان الضم في الجيم والباء أكثر ، كما قال جل ثناؤه ( وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ) وربما سكنوا الباء من الجبل ، كما قال أبو ذؤيب :

منايا يُقَرَّبِينَ الحُتُوفَ لِأَهْلِهَا جِهَارًا وَيَسْتَمْتِعِينَ بِالْأَنْسِ الْجِبِلِّ  
وبنحو ما قلنا في معنى الجبلية قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولِينَ ) يقول : خلق الأولين .

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي (اللسان : جبل) والمنايا : جمع منية ، وهي الموت . والحتوف جمع حتف ، وهو الهلاك . والأنس الناس . والجبل : الأمة من الخلق . وفيه لغات ، فيكون مثلث الجيم ، ساكن النون . ويكون بضم الجيم والباء وتشديد اللام . قال في اللسان : وحى جبل كثير . قال أبو ذؤيب : « منايا . . . البيت » . أي الكثير . يقول : الناس كلهم متعة للموت ، يستمتع بهم . قال ابن بري : ويروى : الجبل ، بضم الجيم . قال : وكذا رواه أبو عبيدة . وقول الله عز وجل : « ولقد أضل منكم جبلا كثيرا » : يقرأ : جبلا ( بضم فسكون ) عن أبي عمرو وجبلا ( بضمين ) عن الكسائي . وجبلا ( بكسر فسكون ) عن الأعرج وعيسى ابن عمر . وجبلا ( بكسرتين فلام مشددة ) عن أهل المدينة . وجبلا ( بضمين مع التشديد ) عن الحسن وابن أبي إسحاق . قال : ويجوز أيضا جبل ( بكسر ففتح ) جمع جبلة ( بكسرة فسكون ) . وهو في جميع هذه الوجوه : خلقا كثيرا . اهـ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله ( وَالجِبِلَّةِ الْأُولِينَ ) قال : الخليقة : حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَالجِبِلَّةِ الْأُولِينَ ) قال : الخلق الأولين ، الجبلية : الخلق .

وقوله ( قَالُوا لِمَ أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ) يقول : قالوا : إنما أنت يا شعيب معلل تعلق بالطعام والشراب ، كما نعلل بهما ، ولست ملكا ( وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ) تأكل وتشرب ( وَإِنْ نَنْظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ) يقول : وما نحسبك فيما نخبرنا ، وتدعونا إليه ، إلا بمن يكذب فيما يقول ، فإن كنت صادقا فيما تقول بأنك رسول الله كما تزعم ( فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ ) يعنى قِطْعًا مِنَ السَّمَاءِ ، وهى جمع كِسْفَةٍ ، جمع كذلك كما تجمع ثمرة : تمرا .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( كِسْفًا ) يقول : قِطْعًا . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول ، فى قوله ( كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ ) : جانباً من السماء .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ ) قال : ناحية من السماء ، عذاب ذلك الكسف .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ

يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩)

يقول تعالى ذكره : قال شعيب لقومه : ( رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ) يقول : بأعمالهم هو بها محيط ، لا يخفى عليه منها شيء ، وهو مجازيكم بها جزاءكم . ( فَكَذَّبُوهُ ) يقول : فكذب به قومه ( فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ ) يعنى بالظُّلَّةِ : سخابة ظللتهم ، فلما تآمروا تحتها ، التهب عليهم نارا وأحرقتهم ، وبذلك جاءت الآثار .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن معاوية ، فى قوله ( فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ ) قال : أصابهم حرّ أفلقتهم فى بيوتهم ، فنشأت لهم سخابة كهيئة الظلة ، فابتدروها ، فلما تآمروا تحتها أخذتهم الرجفة .

(١) كذا فى الأصل . وقياس الجمع الأخير على ما قبله ليس بواضح .



حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، في قوله ( عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ) قال : كانوا يحفرون الأسراب ، ليتبرّدوا فيها ، فإذا دخلوها وجدوها أشدّ حرّاً من الظاهر ، وكانت الظلّة سخابة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا جرير بن حازم أنه سمع قتادة يقول : بُعِثَ شُعَيْبٌ إِلَى أُمَّتَيْنِ : إِلَى قَوْمِهِ أَهْلِ مَدْيَنَ ، وَإِلَى أَصْحَابِ الْاَيْكَةِ . وَكَانَتِ الْاَيْكَةُ : مِنْ شَجَرٍ مُلْتَفٍّ ؛ فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَعَذِّبَهُمْ ، بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَرّاً شَدِيداً ، وَرَفَعَ لَهُمُ الْعَذَابَ كَأَنَّهُ سَخَابَةٌ ؛ فَلَمَّا دَنَتْ مِنْهُمْ خَرَجُوا إِلَيْهَا رَجَاءً بَرْدِهَا ، فَلَمَّا كَانُوا تَحْتَهَا مَطَرَتْ عَلَيْهِمْ نَاراً ، قَالَ : فَذَلِكَ قَوْلُهُ ( فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ )

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد ، قال : ثنا حاتم بن أبي صغيرة ، قال : ثنا يزيد الباهلي ، قال : سألت عبد الله بن عباس ، عن هذه الآية ( فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ لِإِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ) فقال عبد الله بن عباس : بعث الله عليهم ومدة وحرّاً شديداً ، فأخذ بأنفاسهم ، فدخلوا البيوت ، فدخل عليهم أجواف البيوت ، فأخذ بأنفاسهم ، فخرجوا من البيوت هرباً إلى البرية ، فبعث الله عليهم سخابة ، فأظلمت من الشمس ، فوجدوا لها برداً ولذّة ، فنأدى بعضهم بعضاً ، حتى إذا اجتمعوا تحتها ، أرسلها الله عليهم نارا . قال عبد الله بن عباس : فذلك عذاب يوم الظلة ، إنه كان عذاب يوم عظيم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( يَوْمِ الظُّلَّةِ ) قال : إضلال العذاب إياهم . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ) قال : أظلم العذاب قوم شعيب .

قال ابن جريج : لما أنزل الله عليهم أول العذاب ، أخذهم منه حرّ شديد ، فرفع الله لهم عمامة ، فخرج إليها طائفة منهم ليستظلوا بها ، فأصابهم منها رَوْحٌ ، وبرد وريح طيبة ، فصبّ الله عليهم من فوقهم من تلك العمامة عذاباً ، فذلك قوله ( عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر بن راشد ، قال : ثنا رجل من أصحابنا ، عن بعض العلماء قال : كانوا عطّلوا حدّاً ، فوسع الله عليهم في الرزق ، ثم عطّلوا حدّاً ، فوسع الله عليهم في الرزق ، فجعّلوا كلما عطّلوا حدّاً وسع الله عليهم في الرزق ، حتى إذا أراد إهلاكهم ، سلّط الله عليهم حرّاً ، لا يستطيعون أن يتقارّوا ، ولا يتفّعهم ظلّ ولا ماء ، حتى ذهب ذاهب منهم ، فاستظلّ تحت ظلّة ، فوجد رَوْحاً ، فنأدى أصحابه : هلموا إلى الروح ، فذهبوا إليه سراعاً ، حتى إذا اجتمعوا ألهمها الله عليهم نارا ، فذلك عذاب يوم الظلة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تمّيلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر عن ابن عباس ، قال من حدثك من العلماء ما عذاب يوم الظلة ؟ فكذب .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله

(١) هراباً : لعله جمع هارب ، ولم أجده في اللسان .

( فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ) قوم شعيب ، حبس الله عنهم الظل والريح ، فأصابهم حر شديد ، ثم بعث الله لهم سحابة فيها العذاب ، فلما رأوا السحابة انطلقوا يؤمنونها ، زعموا يستظلون ، فاضطربت عليهم نارا فأهلكتهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ، إِنَّهُ كَانَ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ) قال : بعث الله إليهم ظُلَّةً من سحاب ، وبعث إلى الشمس فأحرقت ما على وجه الأرض ، فخرجوا كلهم إلى تلك الظلَّة ، حتى إذا اجتمعوا كلهم ، كشف الله عنهم الظلَّة ، وأحمى عليهم الشمس ، فأحترقوا كما يحترق الجراد فى المِقلَى . وقوله ( إِنَّهُ كَانَ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ) يقول تعالى ذكره : إن عذاب يوم الظلَّة كان عذاب يوم لقوم شعيب عظيم .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً ، وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٩٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٩١)

يقول تعالى ذكره : إن فى تعذيبنا قوم شعيب عذاب يوم الظلَّة ، بتكذيبهم نبىهم شعيبا ، لآية لقومك يا محمد ، وعبرة لمن اعتبر ، إن اعتبروا أن سنتنا فىهم بتكذيبهم إياك ، سنتنا فى أصحاب الأيكة ( وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ) فى سابق علمنا فىهم ( وَإِنَّ رَبَّكَ ) يا محمد ( لَهُوَ الْعَزِيزُ ) فى نعمته ممن انتقم منه من أعدائه ( الرَّحِيمُ ) بمن تاب من خلقه ، وأتاب إلى طاعته .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ ، لَتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥)

يقول تعالى ذكره : وإن هذا القرآن ( لتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) والهاء فى قوله ( وَإِنَّهُ ) كناية الذكر الذى فى قوله ( وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ ) .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله ( لتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) قال : هذا القرآن .

واختلفت القراء فى قراءة قوله ( نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ) فقراءته عامة قراء الحجاز والبصرة ( نَزَلَ ) به مخففة ( الرُّوحُ الْأَمِينُ ) رفعا بمعنى : أن الروح الأمين هو الذى نزل بالقرآن على محمد ، وهو جبريل .  
وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة ( نَزَلَ ) مشددة الزاى ( الرُّوحُ الْأَمِينُ ) نصبا ، بمعنى : أن رب العالمين نزل بالقرآن الروح الأمين ، وهو جبريل عليه السلام .



والصواب من القول في ذلك عندنا: أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قرآء الأمصار، متقاربتا المعنى، فأيتهما قرأ القارئ فصيب، وذلك أن الروح الأمين إذ نزل على محمد بالقرآن، لم ينزل به إلا بأمر الله إياه بالنزول، ولئن يجهل أن ذلك كذلك، ذو إيمان بالله، وأن الله إذا أنزله به نزل، وينحو الذي قلنا في أن المعنى بالروح الأمين في هذا الموضع جبريل قال أهل التأويل:

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) قال: جبريل.

حدثنا الحسين، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قول الله (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) قال: جبريل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج قال: الروح الأمين: جبريل؛ حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله (الرُّوحُ الْأَمِينُ) قال: جبريل.

وقوله (عَلَى قَلْبِكَ) يقول: نزل به الروح الأمين فتلاه عليك يا محمد، حتى وعيته بقلبك، وقوله (لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ) يقول: لتكون من رسل الله الذين كانوا ينذرون من أرسلوا إليه من قومهم، فتندر بهذا التنزيل قومك المكذبين بآيات الله. وقوله (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) يقول: لتندر قومك بلسان عربي مبين، يبين لمن سمعه أنه عربي، وبلسان العرب نزل، والباء من قوله (بِلِسَانٍ) من صلة قوله: (نَزَلَ)، وإنما ذكر تعالى ذكره أنه نزل هذا القرآن بلسان عربي مبين في هذا الموضع، لإعلاما منه مشركي قريش أنه أنزله كذلك، لئلا يقولوا إنه نزل بغير لساننا، فنحن إنما نعرض عنه ولا نسمعه، لأننا لانفهمه، وإنما هذا تقرير لهم، وذلك أنه تعالى ذكره قال (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ) ثم قال: لم يعرضوا عنهم لأنهم لا يفهمون معانيه، بل يفهمونها، لأنه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين، بلسانهم العربي، ولكنهم أعرضوا عنه، تكذيبا به واستكبارا (فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) كما أتى هذه الأمم التي قصصنا نبأها في هذه السورة حين كذبت رسلها، أنباء ما كانوا به يكذبون.

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (٩٦١) أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَوُا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٩٧)  
وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (١٩٨) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (١٩٩) كَذَلِكَ  
سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (٢٠٠) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٢٠١)

يقول تعالى ذكره: وإن هذا القرآن لي زبُرُ الأولين: يعني في كتب الأولين، وخرجَ مخرَجَ العموم، ومعناه الخصوص، وإنما هو: وإن هذا القرآن لي بعض زبُرِ الأولين، يعني: أن ذكره وخبره في بعض ما نزل من الكتب على بعض رسله. وقوله (أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل): يقول تعالى ذكره: أو لم يكن هؤلاء المعرضين عما يأتيك يا محمد من ذكر ربك، دلالة على أنك رسول رب العالمين، أن يعلم حقيقة ذلك وصحته علماء بني إسرائيل. وقيل: عنى بعلماء بني إسرائيل في هذا الموضع: عبد الله بن سلام ومن أشبهه، ممن كان قد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من بني إسرائيل في عصره.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل) قال: كان عبد الله بن سلام من علماء بني إسرائيل، وكان من خيارهم، فأمن بكتاب محمد صلى الله عليه وسلم، فقال لهم الله: أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل وخيارهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله (علماء بني إسرائيل) قال: عبد الله بن سلام وغيره من علمائهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج (أو لم يكن لهم آية): قال محمد: (أن يعلمه) قال: يعرفه (علماء بني إسرائيل).

قال ابن جريج، قال مجاهد: علماء بني إسرائيل: عبد الله بن سلام، وغيره من علمائهم. حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله (أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل) قال: أو لم يكن للنبي آية: علامة، أن علماء بني إسرائيل كانوا يعلمون أنهم كانوا يجدونه مكتوبا عندهم، وقوله (ولو نزلناه على بعض الأعجميين): يقول تعالى ذكره: ولو نزلنا هذا القرآن على بعض البهائم التي لا تنطق، وإنما قيل على بعض الأعجميين، ولم يقل على بعض الأعجميين، لأن العرب تقول: إذا نعت الرجل بالعمجة، وأنه لا يفصح بالعربية: هذا رجل أعجم، وللمرأة: هذه امرأة عجماء، وللجماعة: هؤلاء قوم عجم وأعجمون، وإذا أريد هذا المعنى وصيف به العربي والأعجمي، لأنه إنما يعني أنه غير فصيح اللسان، وقد يكون كذلك، وهو من العرب، ومن هذا المعنى قول الشاعر:

مِنْ وَأَيْلٍ لَاحِيٍّ يَعْدُ لَهُمْ مِِنْ سُوْقَةٍ عَرَبٍ وَلَا عَجْمٍ<sup>١</sup>

(١) السوقة: الرعية التي توسها الملوك. يستوى فيه الواحد والجمع والمؤنث والمذكر. والمعجم بضم العين: جمع أعجم. قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة ١٧٥): يقال: رجل أعجم: إذا كان في لسان عجمة، ورجل عجمي: أي من العجم. والدواب: عجم، لأنها لا تتكلم. وفي (اللسان: عجم) قال أبو إسحاق: الأعجم: الذي لا يفصح ولا يبين كلامه، وإن =



فأما إذا أريد به نسبة الرجل إلى أصله من العجم ، لا وصفه بأنه غير فصيح اللسان ، فإنه يقال : هذا رجل عَجَمِيّ ، وهذان رجلان عجميان ، وهؤلاء قوم عَجَم ، كما يقال : عربيّ ، وعربيان ، وقوم عرب . وإذا قيل : هذا رجل أعجميّ ، فإنما نسب إلى نفسه ، كما يقال للأحمر : هذا أحمرّ : ضخم ، وكما قال العجاج :  
والدهرُ بالإنسانِ دَوَّارِيٌّ

ومعناه : دَوَّار ، فنسبه إلى فعل نفسه .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن محمد بن أبي موسى ، قال : كنت واقفا إلى جنب عبد الله بن مطيع بعرفة ، فتلا هذه الآية ( وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ) قال : لو نزل على بعيري هذا ، فتكلم به ما آمنوا به ، لقالوا : لولا فصلت آياته ، حتى يفقهه عربّي وعجميّ ، لو فعلنا ذلك .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت داود بن أبي هند ، عن محمد بن أبي موسى ، قال : كان عبد الله بن مطيع واقفا بعرفة ، فقرأ هذه الآية ( وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ) فقرأه عليهم ، قال : فقال : جملي هذا أعجم ، فلو أنزل على هذا ما كانوا به مؤمنين .  
وروى عن قتادة في ذلك ما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ) قال : لو نزله الله أعجميا ، كانوا أخسر الناس به ، لأنهم لا يعرفون بالعجمية .

« كان عربي النسب ، كزياد الأعجم . والأثنى عجماء ، وكذلك الأعجمي . فأما العجمي فالذي من جنس العجم : أفصح أولم يفصح ، والجمع : عجم ( بالتحريك ) كعربي وعرب . ورجل أعجمي وأعجم : إذا كانت في لسانه عجمة ، وإن أفصح بالعجمية . وكلام أعجم وأعجمي : بين العجمة . وفي التنزيل : « لسان الذي يلحدون إليه أعجمي » . وجمعه بالواو والنون ، تقول : أحمرى وأحرون ، وأعجمي وأعجمون ، على حد أشعني وأشعثين ، وأشعري وأشعرين . وعليه قوله عز وجل : « ولو نزلناه على بعض الأعجمين » .  
( ٢ ) هذا بيت من مشطور الرجز للعجاج الراجز المشهور ( اللسان : دور . وأرا جيز العرب لسيد توفيق البكري ١٧٤ ) وهو من أرجوزة له حزينة ، بدأها بقوله :

بَكَيْتُ وَالْمُحْسَرِينَ الْبَكِيَّ  
أَطْرَبَا وَأَنْتَ قِنْسَرِي  
وَأِنَّمَا يَأْتِي الصَّبَا الصَّبِيَّ  
وَالدَّهْرُ بِالْإِنْسَانِ دَوَّارِي  
أَفْتَى الْقُرُونِ وَهُوَ قَعْسَرِي  
وَبالدَّهَاءِ يُخْتَلُّ الْمَدْهِيَّ

يقول : بكيت ومن حزن كان بكائك . والقنسرى : المسن القديم . ودواري دائر ، أي أنه يتصرف بالإنسان ويدوره أطوارا وأحوالا . والقعسرى : الشديد ، يريد الدهر . ومحل الشاهد في قوله « دواري » قال في اللسان : أي دائر به ، على إضافة الشيء إلى نفسه ( أي نسبه إلى نفسه ، لأن دواري منسوب إلى دوار ، فلفظ المنسوب إليه كلفظ المنسوب ) . قال ابن سيده : هذا قول اللغويين . قال الفارسي : هو على لفظ النسب ، وليس ينسب ، ونظيره يجي وكرسی . وفي ( اللسان : عجم ) : وينسب إلى الأعجم الذي في لسانه عجمة ، فيقال : لسان أعجمي ، وكتاب أعجمي ، ولا يقال : رجل أعجمي : فنسب إلى نفسه ، إلا أن يكون أعجم وأعجمي بمعنى ، مثل دوار ودواري ، وجمل قعسر وقعسرى ؛ هذا إذا ورد ورودا لا يمكن رده . اهـ .

وهذا الذي ذكرناه عن قُتادة، قول لاوجه له ، لأنه وجه الكلام أن معناه : ولو أنزلناه أعجميا ، وإنما التنزيل ( وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ) يعني : ولو أنزلنا هذا القرآن العربي على بهيمة من العجم أو بعض ما لايفصح ؛ ولم يقل : ولو أنزلناه أعجميا . فيكون تأويل الكلام مقاله .

وقوله ( فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ ) يقول : فقرأ هذا القرآن على كفار قومك يا محمد ، الذين حتمت عليهم ألا يؤمنوا ذلك الأعجم ما كانوا به مؤمنين : يقول : لم يكونوا ليؤمنوا به ، لما قد جرى لهم في سابق علمي من الشقاء . وهذا تسلية من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن قومه ، لئلا يشتدّ وجده بإدبارهم عنه ، وإعراضهم عن الاستماع لهذا القرآن ، لأنه كان صلى الله عليه وسلم شديدا حرصه على قبولهم منه ، والدخول فيما دعاهم إليه ، حتى عاتبه ربه على شدة حرصه على ذلك منهم ، فقال له ( لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَنْ لَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ) . ثم قال مؤيسه من إيمانهم ، وأنهم هالكون ببعض مشلاته ، كما هلك بعض الأمم ، الذين قصّ عليهم قصصهم في هذه السورة ، ولو أنزلناه على بعض الأعجمين يا محمد لا عليك ، فإنك رجل منهم ، ويقولون لك : ما أنت إلا بشر مثلنا ، وهلا نزل به ملك ، فقرأ ذلك الأعجم عليهم هذا القرآن ، ولم يكن لهم علة يدفعون بها أنه حقّ ، وأنه تنزيل من عندى ، ما كانوا به مصدقين ، فحفّض من حرصك على إيمانهم به ، ثم وكّد تعالى ذكره الخبر عما قد حتم على هؤلاء المشركين ، الذين آيس نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من إيمانهم ، من الشقاء والبلاء ، فقال : كما حتمنا على هؤلاء أنهم لا يؤمنون بهذا القرآن ( وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ) فقرأه عليهم ( كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ ) التكذيب والكفر ، في قلوب المجرمين . ويعنى بقوله : سلكتنا : أدخلنا ، والهاء في قوله ( سَلَكْنَاهُ ) كناية من ذكر قوله ( مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ) ، كأنه قال : كذلك أدخلنا في قلوب المجرمين ترك الإيمان بهذا القرآن .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ ) قال : الكفر ( فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ) ، لا يؤمنون به حتى يرووا العذاب الأليم ) ١ .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا زيد بن أبي الزرقاء ، عن سفيان ، عن حميد ، عن الحسن ، في هذه الآية ( كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ) قال : خلقناه .

قال : ثنا زيد ، عن حماد بن سلمة ، عن حميد ، قال : سألت الحسن في بيت أبي خليفة ، عن قوله ( كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ) قال : الشرك سلكه في قلوبهم ، وقوله ( لا يؤمنون به حتى يرووا العذاب الأليم ) يقول : فعلنا ذلك بهم لئلا يصدقوا بهذا القرآن ، حتى يرووا العذاب الأليم في عاجل

(١) سقط تفسير ابن زيد لما أراد من الآية ، ولعله الكفر ، أو الشرك ، أو نحوه أو مثله .



الدنيا ، كما رأت ذلك الأمم الذين قصّ الله قصصهم في هذه السورة ، ورفع قوله ( لا يُؤْمِنُونَ ) لأن العرب من شأنها إذا وضعت في موضع مثل هذا الموضع « لا » ربما جازمت مابعدھا ، وربما رفعت ففتقول : ربطت الفرس لا تنفلت ، وأحكمت العقد لا ينحلّ جزماً ورفعاً . وإنما تفعل ذلك ، لأن تأويل ذلك : إن لم أحكم العقد انحلّ ، فجزمه على التأويل ، ورفعه بأن الجازم غير ظاهر . ومن الشاهد على الجزم في ذلك قول الشاعر :

لَوْ كُنْتُ إِذْ جِئْتَنَا حَاوِلْتَ رُؤْيَتَنَا      أَوْ جِئْتَنَا مَاشِيًا لَا يَعْرِفِ الْفَرَسُ

وقول الآخر :

لَطَالَمَا حَلًّا مَمَاهَا لَا تَرِدُ      فَمَخَلَّتْهَا وَالسَّجَالُ تَبْتَرِدُ<sup>٢</sup>

القول في تأويل قول تعالى

فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٢٠٢) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ (٢٠٣) أَفَبِعَذَابِنَا

يَسْتَعْجِلُونَ (٢٠٤)

يقول تعالى ذكره : فيأتي هؤلاء المكذّبين بهذا القرآن ، العذاب الأليم بغتة ، يعنى فجأة ( وهم لا يشعرون ) يقول : لا يعلمون قبل ذلك بمجيئه ، حتى يفجأهم بغتة ( فيقولوا ) حين تأتيهم بغتة ( هل نحن منظرُونَ ) : أى هل نحن مؤخّرون عذابنا ، ومُنْذَرُونَ في آجالنا لتتوب ، وننيب إلى الله من شركنا وكفرنا بالله ، فراجع الإيمان به ، وننيب إلى طاعته . وقوله ( أفبعذابنا يستعجلون ) : يقول تعالى ذكره : أفبعذابنا هؤلاء المشركون يستعجلون ، بقولهم : لن نؤمن لك حتى تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا .

القول في تأويل قول تعالى

أَفْرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ

مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ (٢٠٧)

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٣٠) قال : وقوله : « كذلك سلكناه » : يقول : سلكناه التكذيب في قلوب الخمرين ، كيلا يؤمنوا به ، حتى يروا العذاب الأليم . وإذا كان موقع كفى في مثل هذا « لا » و « إن » جميعاً ، صلح الجزم في « لا » والرفع . والعرب تقول : ربطت الفرس لا تنفلت : جزماً ورفعاً ، وأوثقت العبد لا يفر : جزماً ورفعاً ؛ وإنما جزم ، لأن تأويله : إن لم أربطه فر ، فجزم على التأويل . أنشدني بعض بني عقيل :

وَحَتَّىٰ رَأَيْنَا أَحْسَنَ الْفِعْلِ بَيْنَنَا      مُسَاكِنَةً لَا يَفْرِقُ الشَّرُّ فَارِقُ

ينشد رفعاً وجزماً . وقال آخر : « لو كنت إذ جئتنا . . . البيت » : رفعاً وجزماً ، وقوله « لطلما حلّا تماها . . . الشاهد الآتي بعد » من ذلك .

(٢) البيت في (اللسان : حلّا) . وروايته : قد طلما « . . . الخ . قال : حلّا الإبل والماشية عن الماء تحليتها وتحلته : طردها أو حبسها عن الورد ، ومنعها أن ترده . وكذلك حلّا القوم عن الماء . وقال ابن الأعرابي : قالت قريبة : كان رجل عاشق لمرأة ،

يقول تعالى ذكره : ثم جاءهم العذاب الذي كانوا يوعدون على كفرهم بآياتنا ، وتكذيبهم رسولنا ، ( ما أَعْتَسَىٰ عَنْهُمْ ) : يقول : أى شيء أغنى عنهم التأخير الذي أخرنا في آجالهم ، والمتاع الذي متعناهم به من الحياة ، إذ لم يتوبوا من شركهم ، هل زادهم تمتيعنا إياهم ذلك إلا خبالا ، وهل نفعهم شيئا ، بل ضرهم بازديادهم من الآثام ، واكتسابهم من الإجمام ما لو لم يمتنعوا لم يكتسبوه .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أفرأيت إن متعناهم سنين ) إلى قوله ( ما أَعْتَسَىٰ عَنْهُمْ ما كانوا يمتنعون ) قال : هؤلاء أهل الكفر .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ (٢٠٨) ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٠٩)  
وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١) لَهُمْ عَنِ السَّمْعِ  
لَمَعَزُولُونَ (٢١٢)

يقول تعالى ذكره ( وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ) من هذه القرى ، التي وصفت في هذه السور ( إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ) يقول : إلا بعد إرسالنا إليهم رسلا ، ينذرونهم بأسنا على كفرهم وسخطنا عليهم ( ذِكْرَى ) يقول : إلا لها منذرون ينذرونهم ، تذكرة لهم وتنبها لهم على ما فيه النجاة لهم من عذابنا . ففي الذكرى وجهان من الإعراب : أحدهما نصب على المصدر من الإنذار على ما بيئت ، والآخر : الرفع على الابتداء ، كأنه قيل : ذكرى .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ، ذِكْرَى ) قال : الرسل . قال ابن جريج : وقوله ( ذِكْرَى ) قال الرسل . وقوله ( ما كُنَّا ظَالِمِينَ ) يقول : وما كنا ظالمين ، في تعذيبناهم وإهلاكهم ، لأننا إنما أهلكناهم ، إذ عتوا علينا ، وكفروا نعمتنا ، وعبدوا غيرنا ، بعد الإعذار عليهم والإنذار ، ومتابعة الحجج عليهم بأن ذلك لا ينبغي أن يفعلوه ، فأبوا إلا التمادي في الغي .

وقوله ( وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ) يقول تعالى ذكره : وما تنزلت بهذا القرآن الشياطين على محمد ، ولكنه ينزل به الروح الأمين ( وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ ) يقول : وما ينبغي للشياطين أن ينزلوا به عليه ، ولا يصلح لهم ذلك ( وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ) يقول : وما يستطيعون أن ينزلوا به ، لأنهم لا يصلون إلى استماعه

= فتزوجها ، فجاهها النساء ، فقال بعضهم لبعض • قد طالما حللناها لا ترد • . . البيت . والسجال : جمع سجل وهو الدلو الضخمة المملوءة ماء ( اللسان ) والبيت شاهد كالذي قبله ، على أن « لا ترد » يجوز فيه الرفع والحزم على التأويل الذي ذكره الفراء .

(١) يجوز أن يكون قوله تعالى ( ذكرى ) مرفوعا على الابتداء ، والخبر محذوف ، أى ذكرى لهم . ويجوز أن يكون مرفوعا على أنه خبر عن مبتدأ ، تقديره : « هم » أى المنذرون ، ذكرى لهم .



في المكان الذي هو به من السماء (لَأَنَّهُمْ عَنِ السَّمَاءِ لَمَعَزُوتُونَ) يقول: إن الشياطين عن سماع القرآن من المكان الذي هو به من السماء لمعزولون، فكيف يستطيعون أن ينزلوا به .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ) قال : هذا القرآن . وفي قوله ( لَأَنَّهُمْ عَنِ السَّمَاءِ لَمَعَزُوتُونَ ) قال : عن سماع السماء .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني أبو سفیان ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه ، إلا أنه قال عن سماع القرآن .

والقرآن مجمعة على قراءة ( وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ) بالتاء ورفع النون ، لأنها نون أصلية ، واحدهم شيطان ، كما واحد البساتين بستان . وذكر عن الحسن أنه كان يقرأ ذلك ( وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ) بالواو وذلك لحن ، وينبغي أن يكون ذلك إن كان صحيحا عنه ، أن يكون توهم أن ذلك نظير المسلمين والمؤمنين ، وذلك بعيد من هذا .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَسْكُونَ مِنَ الْمَعَذِّبِينَ (٢١٣) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤)

وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم ( فَلَا تَدْعُ ) يا محمد ( مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ) : أي لاتعبد معه معبودا غيره ( فَتَسْكُونَ مِنَ الْمَعَذِّبِينَ ) فينزل بك من العذاب ما نزل بهؤلاء الذين خالفوا أمرنا، وعبدوا غيرنا . وقوله ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) : يقول جل ثناؤه لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : وأنذر عشيرتك من قومك الأقربين إليك قرابة ، وحذرهم من عذابنا أن ينزل بهم بكفرهم .  
وذكر أن هذه الآية لما نزلت ، بدأ بنبي جده عبد المطلب وولده ، فحذرهم وأنذرهم .

ذكر الرواية بذلك

حدثني أحمد بن المقدم ، قال : ثنا محمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : لما نزلت هذه الآية ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَا صَفِيَّةُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، يَا فَاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ ، يَا بِنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، سَكُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثني أبي ويونس بن بكير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عبسة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : لما نزلت ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) قام النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « يا فاطمة بنت محمد ، ويا صفية ابنة عبد المطالب » ، ثم ذكر نحو حديث ابن المقدام .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا سلامة ، قال : قال عقييل : ثنى الزهرى ، قال : قال سعيد ابن المسيب ، وأبوسلمة بن عبد الرحمن : إن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حين أنزل عليه ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) يا معشر قريش ، اشتروا أنفسكم من الله ، لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا بني عبد مناف ، لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطالب ، لا أغني عنك من الله شيئا ، يا فاطمة بنت رسول الله ، لا أغني عنك من الله شيئا ، سلبني ما شئت ، لا أغني عنك من الله شيئا » .

حدثني محمد بن عبد الملك ، قال : ثنا أبو اليان ، قال : أخبرنا شعيب عن الزهرى ، قال : أخبرني سعيد بن المسيب وأبوسلمة بن عبد الرحمن : أن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حين أنزل عليه ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) قال : « يا معشر قريش ، اشتروا أنفسكم من الله » . ثم ذكر نحو حديث يونس ، عن سلامة ، غير أنه زاد فيه « يا صفية عممة رسول الله ، لا أغني عنك من الله شيئا » ولم يذكر في حديثه فاطمة .

حدثني يونس ، قال : ثنا سلامة بن روح ، قال : قال عقييل : بنى ابن شهاب : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) جمع قريشا ، ثم أتاهم ، فقال لهم : « هل فيكم غريب » ؟ فقالوا لا إلا ابن أخت لنا ، لانراه إلا منا ، قال : إنه منكم ، فوعظهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال لهم في آخر كلامه : لا أعرفن ما ورد على الناس يوم القيامة يسوقون الآخرة ، وجيئتم إلى تسوقون الدنيا » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرني سعيد بن المسيب وأبوسلمة بن عبد الرحمن ، أن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حين أنزل عليه ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) : يا معشر قريش ، اشتروا أنفسكم من الله ، لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا بني عبد المطالب ، لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطالب ، لا أغني عنك من الله شيئا ، يا صفية عممة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا ، يا فاطمة بنت محمد ، سلبني ما شئت ، لا أغني عنك من الله شيئا » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت الحجاج يحدث ، عن عبد الملك بن عمير ، عن موسى بن طلحة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لما أنزل الله ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر قريش ، أنقذوا أنفسكم يا فاطمة بنت محمد ، أنقذي نفسك من النار ، إلا أن لكم رجما سابلها ببلاها » .



حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن زائدة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن موسى بن طلحة ، عن أبي هريرة ، قال : لما نزلت هذه الآية : ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ، فعَمَّ وخصَّ ، فقال : « يا معشر قريش اششروا أنفسكم من الله ، يا معشر بني كعب بن لؤي ، يا معشر بني عبد مناف ، يا معشر بني هاشم ، يا معشر بني عبد المطلب ، يقول لكلهم : أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار ، فإني والله ما أملك لكم من الله شيئا ، ألا إن لكم رحما سابلها بيلاها . »

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : ثنا أبو عثمان ، عن زهير بن عمرو وقبيصة ابن مخارق : أنهما قالا : أنزل الله على نبي الله صلى الله عليه وسلم ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) ، فحدثنا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم « أنه علا صخرة من جبل ، فعلا أعلاها حجرا ، ثم قال : يا آل عبد مناف ، يا صباحاه ، إني نذير ، إن مثلي ومثلكم مثل رجل أتى الجيـش ، فخشيتهم على أهله ، فذهب يربوهم ، فخشيت أن يسبقوه إلى أهله ، فجعل يهتف بهم : يا صباحاه ! أو كما قال . »

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الوهاب ومحمد بن جعفر ، عن عوف ، عن قسامة بن زهير ، قال : « بلغني أنه لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) جاء فوضع أصبعه في أذنه ، ورفع من صوته ، وقال : يا بني عبد مناف واصباحاه ! »

قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عوف ، عن قسامة بن زهير ، قال : أظنه عن الأشعري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثني عبد الله بن أبي زياد ، قال : ثنا أبو زيد الأنصاري سعد بن أوس ، عن عوف ، قال : قال قسامة بن زهير ، حدثني الأشعري ، قال : لما نزلت ، ثم ذكر نحوه ، إلا أنه قال : وضع أصبعه في أذنيه .

حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا ابن عمير ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : « لما نزلت هذه الآية ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا ، ثم نادى يا صباحاه ، فاجتمع الناس إليه ، فبين رجل يجيء ، وبين آخر يبعث رسوله ، فقال : يا بني هاشم ، يا بني عبد المطلب ، يا بني فهر ، يا بني يا بني ، أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلا يسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟ قالوا : نعم ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تبأ لكم سائر اليوم ، مادعوتوني إلا لهذا ؟ فنزلت ( تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ) . »

حدثنا أبو كُرَيْبٍ وأبو السائب ، قالا : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : « صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم الصفا ، فقال : يا صباحاه ! فاجتمعت إليه قريش ، فقالوا له : مالك ؟ فقال : أرايتكم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم

(١) يقال : ربا القوم يربوهم ، وربأ لهم : إذا وقف على مكان عال ، ونظر بعيدا ، يرقب عدوا أو جيشا مغيرا ، أو نحو ذلك .

أَوْ مَمْسَيْكُمْ أَلَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي؟ قالوا: بلى، قال: فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديدٍ). قال أبو لهب: تبياً لك، ألهذا دعوتنا أو جمعنا، فأنزل الله (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) . . . إلى آخر السورة. حدثنا أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا أبو أسامة، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، قال: «لما نزلت هذه الآية: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ورهطك منهم المخلصين، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا، فهتف: يا صباحاه! فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ فقالوا: محمد، فاجتمعوا إليه، فقال: يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد المطلب، يا بني عبد مناف، فاجتمعوا إليه، فقال: أَرَأَيْتُكُمْ إِنْ أَخْبِرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟ قالوا ما جربنا عليك كذبا، قال: فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديدٍ، فقال أبو لهب: تبا لك، ما جمعنا إلا لهذا؟ ثم قام فنزلت هذه السورة (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) وقد تبَّ كذا قرأ الأعمش، إلى آخر السورة.

حدثنا أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا أبو معاوية بن هشام، عن سفيان، عن حبيب، عن سعيد، عن ابن عباس، قال: لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام على الصفا، فقال: يا صباحاه!

قال: ثنا خالد بن عمرو، قال: ثنا سفيان الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، قال: «لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)»، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا، فقال: يا صباحاه! فجعل يُعَدِّدُهُمْ: يا بني فلان، ويا بني فلان، ويا بني عبد مناف». حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن عمرو بن مرة الجملي، قال: «لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قال: أتى جبلا، فجعل يهتف: يا صباحاه، فأتاه من خف من الناس، وأرسل إليه المتأقلون من الناس رؤسلا، فجعلوا يجيئون يتبعون الصوت؛ فلما انتهوا إليه قال: إِنْ مَنِكُمْ مَنْ جَاءَ لِيَنْظُرَ، وَمِنْكُمْ مَنْ أَرْسَلَ لِيَنْظُرَ مِنَ الْهَاتِفِ، فلما اجتمعوا وكثروا قال: أَرَأَيْتُكُمْ لَوْ أَخْبِرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا مُصَبَّحَتُكُمْ مِنْ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبا، فقرأ عليهم هذه الآيات التي أنزلن، وأنذرهم كما أمر، فجعل ينادي: يا قريش، يا بني هاشم، حتى قال: يا بني عبد المطلب، إني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديدٍ).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عمرو، أنه كان يقرأ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ورهطك المخلصين.

قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن عبد الغفار بن القاسم، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، عن عبد الله بن عباس، عن علي بن أبي طالب: «لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لي: يا علي، إن الله أمرني أن أنذِرَ عَشِيرَتِي الْأَقْرَبِينَ، قال: فضقت بذلك ذرعا، وعرفت أني متى ما أنادهم بهذا الأمر آر منهم ما أكره، فصمت حتى جاء جبرائيل، فقال:



يا محمد ، إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعدّ بك ربك . فاصنع لنا صاعا من طعام ، واجعل عليه رجل شاة ، واملا لنا عسّا من لبن ، ثم اجمع لى بنى عبد المطلب ، حتى أكلهم ، وبلغهم ما أمرت به ، ففعلت ما أمرنى به ، ثم دعوتهم له ، وهم يومئذ أربعون رجلا ، يزيدون رجلا أو ينقصونه ، فيهم أعمامه : أبو طالب ، وحزرة ، والعباس ، وأبو لهب ؛ فلما اجتمعوا إليه دعانى بالطعام الذى صنعت لهم ، فجئت به . فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم حذية من اللحم ، فشقها بأسنانه ، ثم ألقاها فى نواحي الصحفة ، قال : خذوا باسم الله ، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة ، وما أرى إلا مواضع أيديهم ، وآيم الله الذى نفس على يديه إن كان الرجل الواحد ليأكل ما قدمت لجميعهم ، ثم قال : استق الناس ، فجيشتهم بذلك العس ، فشربوا حتى رَوُوا منه جميعا ، وآيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله ؛ فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم ، بدّره أبو لهب إلى الكلام ، فقال : لهدّ<sup>٢</sup> ما سحركم به صاحبكم ، فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : الغد يا على ، إن هذا الرجل قد سبقنى إلى ما قد سمعت من القول ، فتفرق القوم قبل أن أكلهم ، فأعد لنا من الطعام مثل الذى صنعت ، ثم أجمعهم لى ، قال : ففعلت ثم جمعهم ، ثم دعانى بالطعام ، فقرّبتهم لهم ، ففعل كما فعل بالأمس ، فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة ، قال : استقيهم ، فجيشهم بذلك العس فشربوا حتى رَوُوا منه جميعا ، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا بنى عبد المطلب ، أتى والله ما أعلم شابا فى العرب جاء قومه بأفضل مما جئتمكم به ، أتى قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرنى الله أن أدعوكم إليه ، فأيتكم يؤازرنى على هذا الأمر ، على أن يكون أخى وكند وكند ؟ قال : فأحجم القوم عنها جميعا ، وقلت : وإنى لأحدتهم سنا ، وأرمصهم عينا ، وأعظمهم بطنا ، وأخشهم ساقا ، أنا يا نبي الله أكون وزيرك ، فأخذ برقبتي ، ثم قال : إن هذا أخى وكندا وكندا ، فاسمعوا له وأطيعوا ، قال : فقام القوم يضحكون ، ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن بن أبي الحسن ، قال : « لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ( وأنذر عشيرتک الأقربين ) قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح ، ثم قال : يا بنى عبد المطلب ، يا بنى عبد مناف ، يا بنى قصى ، قال : ثم فتح قريشا قبيلة قبيلة ، حتى مر على آخرهم ، أتى أدعوكم إلى الله ، وأنذرکم عند أبيه . »  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وأنذر عشيرتک الأقربين ) قال : أمر محمد أن ينذر قومه ، ويبدأ بأهل بيته وفصيلته ، قال : ( وكند بيه قومك وهو الحق ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال :

(١) فى (اللسان : حذا) : أعطيته حذية من لحم ، وحذة وفلذة ، كل هذا إذا قطع طولا . ا . ه . وقيل هى القطعة الصغيرة .  
(٢) فى (اللسان : هد) وفى الحديث أن أبا لهب قال : « لهد ما سحركم صاحبكم » قال : لهد : كلمة يتعجب بها ، يقال : لهد الرجل أى ما أجده . قلت : وهو كقولنا : لهد ما قال فلان ، أى ما أشد .

« لما نزلت ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) قال النبي صلى الله عليه وسلم : يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية بنت عبد المطلب ، اتقوا النار ولو بشق تمرّة » .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) : بدأ بأهل بيته وفصيلته .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : لما نزلت ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) جمع النبي صلى الله عليه وسلم بني هاشم ، فقال : « يا بني هاشم ، ألا لا ألفيتكم تأتونني تحمّلون الدنيا ، ويأتي الناس يحمّلون الآخرة ، ألا إن أوليائي منكم المتقون ، فاتقوا النار ولو بشق تمرّة » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لما نزلت هذه الآية بدأ بأهل بيته وفصيلته ؛ قال : وشق ذلك على المسلمين ، فأنزل الله تعالى ( وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) .

وقوله ( وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ ) يقول : وألن جانبك وكلامك ( لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) . كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال : يقول : لين لهم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧)

الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢٢٠)

يقول تعالى ذكره : فإن عصمتك يا محمد عشيرتك الأقربون ، الذين أمرتك بإنذارهم ، وأبوا إلا الإقامة على عبادة الأوثان ، والإشراك بالرحمن ، فقل لهم ( إني بريء مما تعملون ) من عبادة الأصنام ، ومعصية باري الأنام ( وتوكل على العزيز الرحيم ) في نعمته من أعدائه ( الرحيم ) بمن أناب إليه ، وتاب من معاصيه ، ( الذي يراك حين تقوم ) يقول : ( الذي يراك حين تقوم ) إلى صلاتك .

وكان مجاهد يقول في تأويل ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج عن مجاهد ، قوله ( الذي يراك حين تقوم ) قال : أينما كنت .

( وتقلّبك في السجدين ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ويرى تقلّبك في صلاتك حين تقوم ، ثم تركع ، وحين تسجد .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وتقلّبك في السجدين ) يقول : قيامك وركوعك وسجودك .



حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : سمعت أبي وعليّ بن بزيمه يحدثان عن عكرمة ، في قوله ( بِرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ) قال : قيامه وركوعه وسجوده .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : قال عكرمة ، في قوله : ( وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ) قال : قائما وساجدا وراكعا وجالسا .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : ويرى قلبك في المصلين ، وإبصارك منهم من هو خلفك ، كما تبصر من هو بين يديك منهم .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ( وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ) كان يرى من خلفه ، كما يرى من قدامه .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ) قال : المصلين كان يرى من خلفه في الصلاة .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ) قال : المصلين ، قال : كان يرى في الصلاة من خلفه .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : وتقلبك مع الساجدين : أى تصرفك معهم في الجلوس والقيام والتعود .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس ، قال ( وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ) قال : يراك وأنت مع الساجدين تقلب وتقوم وتقعدهم معهم .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ) قال : في المصلين .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ) : قال : في الساجدين : المصلين .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ويرى تصرفك في الناس .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا ربيعة بن كلثوم ، قال : سألت الحسن عن قوله : ( وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ) قال : في الناس .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : وتصرفك في أحوالك ، كما كانت الأنبياء من قبلك تفعله ، والساجدون في قول قائل هذا القول : الأنبياء .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله ( الَّذِي يَرَاكَ ) . . . الآية ، قال : كما كانت الأنبياء من قبلك .  
 قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بتأويله : قول من قال تأويله : ويرى تقلبك مع الساجدين في صلاتهم معك ، حين تقوم معهم وتركع وتسجد ، لأن ذلك هو الظاهر من معناه . فأما قول من وجهه إلى أن معناه : وتقلبك في الناس ، فإنه قول بعيد من المفهوم بظاهر التلاوة ، وإن كان له وجه ، لأنه وإن كان لا شيء إلا وظله يسجد لله ، فإنه ليس المفهوم من قول القائل : فلان مع الساجدين ، أو في الساجدين ، أنه مع الناس أو فيهم ، بل المفهوم بذلك أنه مع قوم سجد ، السجود المعروف ، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأغلب أولى من توجيهه إلى الأنكر ، وكذلك أيضا في قول من قال : معناه : تتقلب في أبصار الساجدين ، وإن كان له وجه ، فليس ذلك الظاهر من معانيه .

فتأويل الكلام إذا : وتوكل على العزيز الرحيم ، الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك ، ويرى تقلبك في المؤمنين بك فيها ، بين قيام وركوع وسجود وجلوس .  
 وقوله ( إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) يقول تعالى ذكره : إن ربك هو السميع تلاتك يا محمد ، وذكرك في صلاتك ما تلتو وتذكر ، العليم بما تعمل فيها ، ويعمل فيها من يتقلب فيها معك ، مؤتما بك ، يقول : فرتل تيتها القرآن ، وأقم حدودها ، فإنك بمرأى من ربك ومسمع .

## القول في تأويل قوله تعالى

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ (٢٢٣)

يقول تعالى ذكره : هل أنبئكم أيها الناس على من تنزل الشياطين من الناس ؟ تنزل على كل أفَّاكٍ ، يعني كذاب بهتات . أثيم ، يعني : آثم .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( كُلُّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ) قال : كل كذاب من الناس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ( تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ) قال : كذاب من الناس .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( كُلُّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ) قال : هم الكهنة ، تسرق الجن السمع ، ثم يأتون به إلى أوليائهم من الإنس .



حدثني محمد بن حمارة الأسدي ، قال : ثنا عبيد الله بن مرسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن وهب ، قال : كنت عند عبد الله بن الزبير ، فقيل له : إن المختار يزعم أنه يوحى إليه ، فقال : صدق ، ثم تلا ( هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ عَلَى مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ ؟ تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ) .  
وقوله ( يُلْقُونَ السَّمْعَ ) يقول تعالى ذكره : يلقي الشياطين السمع ، وهو ما يسمعون مما استرقوا سمعهم من حين حدث من السماء إلى ( كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ) من أوليائهم من بني آدم .  
وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( يُلْقُونَ السَّمْعَ ) قال : الشياطين ما سمعته ألقته على كل أفَّاك كذاب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جزيج ، عن مجاهد ( يُلْقُونَ السَّمْعَ ) الشياطين ما سمعته ألقته ، على ( كُلِّ أَفَّاكٍ ) قال : يُلْقُونَ السَّمْعَ ، قال : القول .  
وقوله ( وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ) يقول : وأكثر من تنزل عليه الشياطين كاذبون فيما يقولون ويخبرون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، في قوله ( وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ) عن عروة ، عن عائشة قالت : الشياطين تسترق السمع ، فتجىء بكلمة حق ، فيقذفها في أذن وليه ؛ قال : ويزيد فيها أكثر من مئة كذبة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ، وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (١٢٧)

يقول تعالى ذكره : والشعراء يتبعهم الغاوي ، والشعراء يتبعهم أهل الغي ، لأهل الرشاد والهدى .

واختلف أهل التأويل في الذين وصفوا بالغي في هذا الموضع ، فقال بعضهم : رُواة الشعر .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحسن بن يزيد الطحَّان ، قال : ثنا إسحاق بن منصور ، قال : ثنا قيس ، عن يعلى ، عن عكرمة عن ابن عباس ؛ وحدثني أبو كريب ، قال : ثنا طلق بن غنام ، عن قيس ؛ وحدثنا أبو كريب ، قال :

ثنا ابن عطية ، عن قيس ، عن يَعْلَى بن النعمان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ) قال : الرواة .

وقال آخرون : هم الشياطين .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ) الشياطين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ) قال : يتبعهم الشياطين .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن ، قالوا : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن عكرمة ، في قوله ( وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ) قال : عصاة الجن .

وقال آخرون : هم السفهاء ، وقالوا : نزل ذلك في رجلين تهاجيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ) . . . إلى آخر الآية ، قال : كان رجلا ن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحدهما من الأنصار ، والآخر من قوم آخرين ، وأنها تهاجيا ، وكان مع كل واحد منهما

غواة من قومه ، وهم السفهاء ، فقال الله : ( وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ) ؟

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ) : قال : كان رجلا ن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحدهما من الأنصار ، والآخر من قوم آخرين ، تهاجيا ، مع كل واحد منهما غواة من قومه ، وهم السفهاء .

وقال آخرون : هم ضلال الجن والإنس .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ) قال : هم الكفار ، يتبعهم ضلال الجن والإنس .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله ( وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ) قال : الغاؤون المشركون .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال فيه ما قال الله جل ثناؤه : إن شعراء المشركين يتبعهم غواة الناس ، ومردة الشياطين ، وعصاة الجن ، وذلك أن الله عم بقوله ( وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ) قال : الغاؤون المشركون .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال فيه ما قال الله جل ثناؤه : إن شعراء المشركين يتبعهم غواة الناس ، ومردة الشياطين ، وعصاة الجن ، وذلك أن الله عم بقوله ( وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ) قال : الغاؤون المشركون .



الغَاوُونَ) فلم يخص بذلك بعض الغواة دون بعض ، فذلك على جميع أصناف الغواة التي دخلت في عموم الآية ، قوله ( أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ) يقول تعالى ذكره : ألم تر يا محمد أنهم ، يعني الشعراء ، في كل واد يذهبون ، كالهائم على وجهه على غير قصد ، بل جائرا على الحق ، وطريق الرشاد ، وقصد السبيل . وإنما هذا مثل ضربه الله لهم ، في افتنانهم في الوجوه التي يفتنون فيها بغير حق ، فيمدحون بالباطل قوما ، ويهجون آخريين كذلك ، بالكذب والزور .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ) يقول : في كل لغو يخوضون .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ) قال : في كل فن يفتنون .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ ) قال : فن يهيمون ، قال : يقولون .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ) قال : يمدحون قوما بباطل ، ويشتمون قوما بباطل .  
وقوله ( وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ) يقول : وأن أكثر قيلهم باطل وكذب .  
كما حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ) يقول : أكثر قولهم يكذبون ، وعنى بذلك شعراء المشركين .  
كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال عبد الرحمن بن زيد : قال رجل لأبي : يا أبا أسامة ، أريت قول الله جل ثناؤه ( وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ) ؟ فقال له أبي : إنما هذا لشعراء المشركين ، وليس شعراء المؤمنين ، ألا ترى أنه يقول ( إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) . . . الخ . فقال : فرجت عني يا أبا أسامة ، فرج الله عنك .  
وقوله ( إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) وهذا استثناء من قوله ( وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ )  
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) . وذكر أن هذا الاستثناء نزل في شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ثم هو لكل من كان بالصفة التي وصفه الله بها .  
وبالذي قلنا في ذلك جاءت الأخبار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة وعليّ بن مجاهد ، وإبراهيم بن المختار ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد

ابن عبد الله بن قُسيط ، عن أبي الحسن سالم البرّاد ، مولى تميم الداري ، قال : لما نزلت ( والشُعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ) قال : جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يكون ، فقالوا : قد علم الله حين أنزل هذه الآية أننا شعراء ، فنلا النبي صلى الله عليه وسلم : ( إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ، وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار ، قال : نزلت ( والشُعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ) إلى آخر السورة في حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك .

قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة وطاوس ، قالوا : قال ( والشُعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ) ، فنسخ من ذلك واستثنى ، قال ( إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) . . . الآية .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قال : ثم استثنى المؤمنين منهم ، يعني الشعراء ، فقال ( إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، فذكر مثله .

حدثنا الحسن قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ، وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ) قال : هم الأنصار الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قُسيط ، عن أبي حسن البراد ، قال : لما نزلت ( والشُعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ) ثم ذكر نحو حديث ابن حميد عن سلمة .

وقوله ( وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ) اختلف أهل التأويل في حال الذكر الذي وصف الله به هؤلاء المستثنين من الشعراء ، فقال بعضهم : هي حال منقطعهم ومحاورتهم الناس ، قالوا : معنى الكلام : وذكروا الله كثيرا في كلامهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ) في كلامهم .

وقال آخرون : بل ذلك في شعرهم .



## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ) قال : ذكروا الله في شعرهم .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله وصف هؤلاء الذين استثناهم من شعراء المؤمنين بذكر الله كثيرا ، ولم يخص ذكرهم الله على حال دون حال في كتابه ، ولا على لسان رسوله فصفتهم أنهم يذكرون الله كثيرا في كل أحوالهم .

وقوله ( وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ) يقول : وانتصروا ممن هجأهم من شعراء المشركين ظلما ، بشعرهم وهجأهم إياهم ، وإجابتهم عما هجؤهم به .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ) قال : يردون على الكفار الذين كانوا يهجون المؤمنين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَانْتَصَرُوا ) من المشركين ( مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ) .

وقيل : عنى بذلك كله الرهط الذين ذكرت .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا عليّ بن مجاهد وإبراهيم بن المختار ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله ابن قسيط ، عن أبي الحسن سالم البرّاد ، مولى تميم الداريّ ، قال : لما نزلت ( وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ) جاء حسّان بن ثابت وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وهم يبكون ، فقالوا قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء ، فتلا النبيّ صلى الله عليه وسلم ( إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ، وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي حسن البرّاد ، قال : لما نزلت ( وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ) ثم ذكر نحوه .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ) قال : عبد الله بن رواحة وأصحابه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حمّاج ، عن ابن جرّيج ، عن مجاهد ( وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ) قال : عبد الله بن رواحة .

وقوله ( وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ) يقول تعالى ذكروا : وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بشركهم بالله

من أهل مكة ( أَيْ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ) يقول: أَيْ مَرَجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ ، وَأَيْ مَعَادٌ يَعُودُونَ إِلَيْهِ  
بعد مماتهم ، فإنهم يصيرون إلى نارٍ لا يُطْفَأُ سَعِيرُهَا ، وَلَا يَسْكُنُ لَهَا .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، وعلى بن مجاهد ، وإبراهيم بن المختار ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد  
ابن عبد الله بن قسيط ، عن أبي الحسن سالم البراد مولى تميم الداري ( وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيْ  
مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ) يعنى : أهل مكة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا  
أَيْ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ) قال : وسيعلم الذين ظلموا من المشركين ، أَيْ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ .

آخر تفسير سورة الشعراء

## تفسير سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (١) هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) الَّذِينَ يَقِيمُونَ  
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٣)

قال أبو جعفر : وقد بينا القول فيما مضى من كتابنا هذا ، فيما كان من حروف المعجم ، في فواتح السور ،  
فقوله ( طس ) من ذلك . وقد روى عن ابن عباس أن قوله ( طس ) : قَسَمَ أَقْسَمَهُ اللَّهُ ، هُوَ مِنْ أَسَاءِ اللَّهِ :  
حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس :  
فالواجب على هذا القول أن يكون معناه : والسميع اللطيف ، إن هذه الآيات التي أنزلها إليك يا محمد لآيات  
القرآن ، وآيات كتاب مبين : يقول : يبين لمن تدبره ، وفكر فيه بفهم ، أنه من عند الله ، أنزله إليك ،  
لم تنخرصه أنت ولم تتقوله ، ولا أحدٌ سواك من خلق الله ، لأنه لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثله ، ولو  
تظاهر عليه الجن والإنس . وخفض قوله ( وَكِتَابٍ مُبِينٍ ) عطفًا به على القرآن . وقوله ( هُدًى ) من  
صفة القرآن . يقول : هذه آيات القرآن بيان من الله بين به طريق الحق وسبيل السلام ( وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ )  
يقول : وبشارة لمن آمن به ، وصدق بما أنزل فيه بالفوز العظيم في المعاد .

وفي قوله ( هُدًى وَبُشْرَى ) وجهان من العربية : الرفع على الابتداء ، بمعنى : هو هدى وبشرى ؛  
والنصب على القطع من آيات القرآن ، فيكون معناه : تلك آيات القرآن الهدى والبشرى للمؤمنين ، ثم أسقطت  
الألف واللام من الهدى والبشرى ، فصارا نكرة ، وهما صفة للمعرفة ، فنصبا .



وقوله (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) يقول : هو هدى وبشرى لمن آمن بها ، وأقام الصلاة المفروضة بحدودها . وقوله ( وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ) يقول : ويؤدون الزكاة المفروضة . وقيل : معناه : ويظهرون أجسادهم من دنس المعاصي .

وقد بيننا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ( وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ) يقول : وهم مع إقامتهم الصلاة ، وإيتائهم الزكاة الواجبة ، بالمعاد إلى الله بعد الممات يُوقِنُونَ ، فيذلُّون في طاعة الله ، رجاء جزيل ثوابه ، وخوف عظيم عقابه ، وليسوا كالذين يكذبون بالبعث ، ولا يبالون ، أحسنوا أم أساءوا وأطاعوا ، أم عصوا ، لأنهم إن أحسنوا لم يرجوا ثوابا ، وإن أساءوا لم يخافوا عقابا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ ، فَهُمْ يَعْمَهُونَ (٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ ، وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخْسَرُونَ (٥)

يقول تعالى ذكره : إن الذين لا يصدقون بالدار الآخرة ، وقيام الساعة ، وبالمعاد إلى الله بعد الممات والثواب والعقاب ( زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ ) يقول : حببنا إليهم قبيح أعمالهم ، وسهلنا ذلك عليهم ( فَهُمْ يَعْمَهُونَ ) يقول : فهم في ضلال أعمالهم القبيحة التي زينناها لهم ، يترددون حيارى ، يحسبون أنهم يحسنون . وقوله ( أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة ، لهم سوء العذاب في الدنيا ، وهم الذين قُتِلُوا بيدر من مشركى قريش ( وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخْسَرُونَ ) ، يقول : وهم يوم القيامة هم الأوضعون تجارة ، والأوكسوها ، باشرائهم الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم ، وما كانوا مهتدين .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦) إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ ، إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاءَ تِيبِكُمْ مِنْهَا مَخْبِرٌ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧) فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨)

يقول تعالى ذكره : وإنك يا محمد لتتلفظ القرآن ، وتعلمه من لدن حكيم عليم . يقول : من عند حكيم بتدبير خلقه ، عليم بأبناء خلقه ومصالحهم ، والكائن من أمورهم ، والماضي من أخبارهم ، والحادث منها . ( إِذْ قَالَ مُوسَى ) وإذ من صلة عليم . ومعنى الكلام عليم حين قال موسى ( لِأَهْلِهِ ) وهو في مسيره من مدينتين إلى مصر ، وقد آذاهم برؤد ليلهم لما أصلده زنده ( إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ) : أى أبصرت نارا أو أحسستها ،

فامكثوا مكانكم (سَأْتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبِيرٍ) يعني من النار ، والهاء والألف من ذكر النار (أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدينة والبصرة (بِشِهَابٍ قَبَسٍ) بإضافة الشهاب إلى القَبَس ، وترك التنوين ، بمعنى : أو آتِيكُمْ بِشُعْلَةٍ نَارٍ أَقْبَسَهَا مِنْهَا . وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة (بِشِهَابٍ قَبَسٍ) بتنوين الشهاب ، وترك إضافته إلى القَبَس ، يعني : أو آتِيكُمْ بِشِهَابٍ مَقْبَسٍ .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان معروفتان في قراء الأماص ، متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب . وكان بعض نحوي البصرة يقول : إذا جعل القَبَس بدلا من الشَّهَاب ، فالتنوين في الشَّهَاب ، وإن أضاف الشَّهَاب إلى القَبَس ، لم ينون الشَّهَاب . وقال بعض نحوي الكوفة : إذا أضيف الشَّهَاب إلى القَبَس ، فهو بمنزلة قوله (وَلَدَارُ الْآخِرَةِ) مما يضاف إلى نفسه إذا اختلف اسماء ولفظاه ، توهما بالثاني أنه غير الأول قال : ومثله حَبَّةُ الْخَضْرَاءِ ، وليلة الْقَمْرَاءِ ، ويوم الْحَمِيْسِ وما أشبهه . وقال آخر منهم : إن كان الشَّهَاب هو الْقَبَس لم تجز الإضافة ، لأن الْقَبَس نعت ، ولا يضاف الاسم إلى نعته إلا في قليل من الكلام ، وقد جاء (وَلَدَارُ الْآخِرَةِ - وَلَدَارُ الْآخِرَةِ) .

والصواب من القول في ذلك : أن الشَّهَاب إذا أريد به أنه غير القَبَس ، فالقراءة فيه بالإضافة ، لأن معنى الكلام حينئذ ، ما بينا من أنه شُعْلَةٌ قَبَسٍ ، كما قال الشاعر :

فِي كَفِّهِ صَعْدَةٌ مُشَقَّفَةٌ فِيهَا سِنَانٌ كَشَعْلَتِ الْقَبَسِ

وإذا أريد بالشَّهَاب أنه هو القَبَس ، أو أنه نعت له ، بالصواب في الشَّهَاب التنوين ، لأن الصحيح في كلام العرب ترك إضافة الاسم إلى نعته ، وإلى نفسه ، بل الإضافات في كلامها المعروف : إضافة الشيء إلى غير نفسه ، وغير نعته .

وقوله (لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) يقول : كي تصطلوا بها من البرد . وقوله (فَلَمَّا جَاءَهَا) يقول : فلما جاء موسى النار التي آتتها (نُودِي أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا) .

كما حدثنا علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (نُودِي أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ) يقول : قُدُّس .

واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله (مَنْ فِي النَّارِ) فقال بعضهم : عنى جلّ جلاله بذلك نفسه ، وهو الذي كان في النار ، وكانت النار نوره تعالى ذكره ، في قول جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٧٥) قال : « بشهاب قبس ، أي بشعلة نار . ومجاز قبس : ما اقتبست منها ومن الجمر ، قال : « في كفه » . . . البيت » . والصعدة : الثنائة ثبت مستقيمة . والشاهد في البيت : إضافة الشعلة إلى القَبَس أي شعلة مقتبسة من نار ، كما في قول الله عز وجل « بشهاب قبس » في قراءة من قرأه بالإضافة . ويجوز تنوين « شهاب » وجعل قبس صفة له إذا اعتبر الشَّهَاب هو نفس القَبَس ، لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه ، ولا إلى صفته .



في قوله ( فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنَ فِي النَّارِ ) يعني نفسه ؛ قال : كان نور رب العالمين في الشجرة .

حدثني إسماعيل بن الهيثم أبو العالية العبدى ، قال : ثنا أبو قتيبة ، عن ورقاء ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبّير ، في قول الله ( بُورِكَ مَنَ فِي النَّارِ ) قال : ناداه وهو في النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن ، في قوله ( نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنَ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ) قال : هو النور .

قال معمر ، قال قتادة ( بُورِكَ مَنَ فِي النَّارِ ) قال : نور الله بُورك .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرّيج ، قال : قال الحسن البصرى ( بُورِكَ مَنَ فِي النَّارِ ) ١ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بوركت النار .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا الأشيب ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنَ فِي النَّارِ ) بوركت النار ، كذلك قال ابن عباس .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( أَنْ بُورِكَ مَنَ فِي النَّارِ ) قال : بوركت النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرّيج ، قال : قال مجاهد ( بُورِكَ مَنَ فِي النَّارِ ) قال : بوركت النار .

حدثنا محمد بن سنان القرّاز ، قال : ثنا مكّي بن إبراهيم ، قال : ثنا موسى ، عن محمد بن كعب ،

في قوله ( أَنْ بُورِكَ مَنَ فِي النَّارِ ) : نور الرحمن ، والنور هو الله ، وسبحان الله رب العالمين .

وختلف أهل التأويل في معنى النار في هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناه : النور ، كما ذكرت عن ذلك عنه .

وقال آخرون : معناه النار لا النور .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرّيج ، عن سعيد بن جبّير ، أنه

قال : حجاب العزة ، وحجاب الملك ، وحجاب السلطان ، وحجاب النار ، وهى تلك النار التى نودى

منها . قال : وحجاب النور ، وحجاب الغمام ، وحجاب الماء . وإنما قيل : بُورك مَنَ فِي النَّارِ ، ولم

يقال : بُورك في النار ، على لغة الذين يقولون : باركك الله ، والعرب تقول : باركك الله ، وبارك فيك

(١) لعل المؤلف لم يحى بمقول القول ، اكتفاء بنص ما قبله ، لموافقة إياد لفظا معنى . وقد تكرر منه ذلك في مواضع .

وقوله (وَمَنْ حَوَّهْنَا) يقول : ومن حول النار . وقيل : عنى بمن حولها : الملائكة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَمَنْ حَوَّهْنَا) قال : يعنى الملائكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن الحسن ، مثله .  
وقال آخرون : هو موسى والملائكة .

حدثنا محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا مكّي بن إبراهيم ، قال : ثنا موسى ، عن محمد بن كعب (وَمَنْ حَوَّهْنَا) قال : موسى النبي والملائكة ، ثم قال (يا موسى إني أنا الله العزيز الحكيم) .  
وقوله (وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) يقول : وتنزيها لله رب العالمين ، مما يصفه به الظالمون .

القول في تأويل قوله تعالى

يُمُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩) وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ  
وَلِيٌّ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ، يُمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ (١٠) إِلَّا مَنْ ظَلَمَ  
ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بِمَسْئَةٍ سَوءٍ ، فإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (١١)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبله لموسى (إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) في نعمته من أعدائه (الْحَكِيمُ) في تدييره في خلقه ، والهاء التي في قوله (إِنَّهُ) هاء عماد ، وهو اسم لا يظهر في قول بعض أهل العربية . وقال بعض نحوي الكوفة : يقول هي الهاء المجهولة ، ومعناها : إن الأمر والشأن : أنا الله . وقوله (وَأَلْقِ عَصَاكَ ، فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ) في الكلام محذوف ترك ذكره ، استغناء بما ذكر عماد ، حذف وهو فألقاها فصارت حية تهتز (فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ) يقول : كأنها حية عظيمة ، والجنان : جنس من الحيات معروف .

وقال ابن جُرَيْج في ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جُرَيْج (وَأَلْقِ عَصَاكَ ، فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ) قال : حين تحولت حية تسعى ، وهذا الجنس من الحيات عنى الراجز بقوله :

يَرْفَعْنَ بِاللَّيْلِ إِذَا مَا أَسْدَفَا أَعْنَاقَ جِنَانٍ وَهَامًا رُجَفًا  
وَعَنْقًا بَعْدَ الرَّسِيمِ خَيْطَفًا ١

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز للخطي ، وهو حذيفة بن بدر جد جرير بن عطية شاعر تميم . يصف إبله وسيرها في الليل . وأسدف : أظلم . والجنان جنس من الحيات ، إذا مشت رفعت رموسها . والهام : جمع هامة . والرجف : جمع راجفة ، أي مضطربة ، لاهتزازها في مشيها وسرعتها . والعنق : ضرب من السير السريع . والرسيم : سير خفيف . والخيطف : السريع . ويروى : خطفا ، وهذا لقب حذيفة جد جرير : الخطي ، مجيء اللفظة في شعره . وفي (اللسان : خطف) : والخيطف والخطي : سرعة اجتذاب السير ، كأنه =



وقوله ( وَتَلَىٰ مُدْبِرًا ) يقول تعالى ذكره : وتلى موسى هاربا خوفاً، منها ( وَكَمْ يُعَقِّبُ ) يقول: ولم يرجع ، من قولهم : عَقَّبَ فلان : إذا رجَعَ على عقبه إلى حيث بدأ .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( وَكَمْ يُعَقِّبُ ) قال : لم يرجع . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان عن معمر ، عن قتادة ، قال : لم يلتفت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَكَمْ يُعَقِّبُ ) قال : لم يرجع : ( يا موسى ) : قال : لما ألقى العصا صارت حية ، فرعب منها وجزع ، فقال الله ( إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ) قال : فلم يرعو لذلك ، قال : فقال الله له ( أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ، إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ) قال : فلم يقف أيضا على شيء من هذا حتى قال ( سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ) قال : فالتفت فإذا هي عصا كما كانت ، فرجع فأخذها ، ثم قوى بعد ذلك ، حتى صار يرسلها على فرعون ويأخذها . وقوله ( يا موسى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ) يقول تعالى ذكره : فناده ربه : يا موسى لا تخف من هذه الحية ، إني لا يخاف لدى المرسلون : يقول : إني لا يخاف عندى رسلى وأنبيائي ، الذين أختصهم بالنبوة ، إلا من ظلم منهم ، فعمل بغير الذي أُذن له في العمل به . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : قوله ( يا موسى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ) قال : لا يخيف الله الأنبياء إلا بذنب يصيبه أحدهم ، فإن أصابه أخافه حتى يأخذه منه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عبد الله الفزاري ، عن عبد الله بن المبارك ، عن أبي بكر ، عن الحسن ، قال : قوله « يا موسى لَا تَخَفْ ، إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ » قال : إني إنما أخفتك لتملك النفس ، قال : وقال الحسن : كانت الأنبياء تذب فتعاقب .

واختلف أهل العربية في وجه دخول «إلا» في هذا الموضع ، وهو استثناء مع وعد الله الغضبان المستثنى من قوله ( إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ) بقوله ( فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ) . وحكم الاستثناء أن يكون ما بعده بخلاف معنى ما قبله ، وذلك أن يكون ما بعده - إن كان ما قبله منفيا - مثبتا كقوله : ما قام إلا زيد ، فزيد مثبت

= يختلط في سيره عنقه ، أي يمتد به . وجهل خيطف : أي سريع المر . ويقال : عنق خيطف وخطفي ، قال جد جريز . وعنق بعد الرسم خيطفا . وقيل : هو مأخوذ من الخطف ، وهو الخلس . وجهل خيطف : سيره كذلك ، أي سريع المر .

له القيام ، لأنه مستثنى مما قبل إلا ، وما قبل إلا منى عنه القيام ، وأن يكون ما بعده - إن كان ما قبله - مثبتا منفيا كقولهم : قام القوم إلا زيدا ؛ فزيد منى عنه القيام ؛ ومعناه : إن زيدا لم يقم ، والقوم مثبت لهم القيام ، وإلا من ظلم ، ثم بدّل حسنا بعد سوء ، فقد أمنه الله بوعده الغفران والرحمة ، وأدخله في عداد من لا يخاف لديه من المرسلين ، فقال بعض نحوّي البصرة : أدخلت إلا في هذا الموضع ، لأن إلا تدخل في مثل هذا الكلام ، كمثل قول العرب : ما اشتكى إلا خيرا ؛ فلم يجعل قوله : إلا خيرا على الشكوى ، ولكنه علم أنه إذا قال : ما اشتكى شيئا ، أنه يذكر عن نفسه خيرا ، كأنه قال : ما أذكر إلا خيرا .

وقال بعض نحوّي الكوفة : يقول القائل : كيف صير خائفا من ظلم ، ثم بدّل حسنا بعد سوء ، وهو مغفور له ؟ فأقول لك في هذه الآية وجهان : أحدهما أن يقول : إن الرسل معصومة مغفور لها ، آمنة يوم القيامة ، ومن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فهو يخاف ويرجو ، فهذا وجه . والآخر : أن يجعل الاستثناء من الذين تركوا في الكلمة ، لأن المعنى : لا يخاف لدى المرسلون ، إنما الخوف على من سواهم ؛ ثم استثنى فقال (إلا من ظلم ثم بدّل حسنا) يقول : كان مشركا ، فتاب من الشرك ، وعمل حسنا ، فذلك مغفور له ، وليس يخاف . قال : وقد قال بعض النحويين : إن إلا في اللغة بمنزلة الواو ، وإنما معنى هذه الآية : لا يخاف لدى المرسلون ، ولا من ظلم ثم بدّل حسنا . قال : وجعلوا مثله كقول الله (لشكركم لا تكفرون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم) قال : ولم أجد العربية تحمل ما قالوا ، لأنى لا أجزى قام الناس إلا عبد الله وعبد الله قائم ؛ إنما معنى الاستثناء أن يخرج الاسم الذي بعد إلا من معنى الأسماء التي قبل إلا ، وقد أراه جائزا أن يقول : لى عليك ألف سوى ألف آخر ، فإن وضعت إلا في هذا الموضع صلحت ، وكانت إلا في تأويل ما قالوا ، فأما مجردة قد استثنى قليلها من كثيرها فلا ، ولكن مثله مما يكون معنى إلا بمعنى الواو ، وليست بها قوله (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) هو في المعنى ، والذي شاء ربك من الزيادة ، فلا تجعل إلا بمنزلة الواو ، ولكن بمنزلة سوى ؛ فإذا كانت «سوى» في موضع «إلا» صلحت بمعنى الواو ، لأنك تقول : عندي مال كثير سوى هذا : أي وهذا عندي ، كأنك قلت : عندي مال كثير وهذا أيضا عندي ، وهو في سوى أبعد منه في إلا ، لأنك تقول : عندي سوى هذا ، ولا تقول : عندي إلا هذا .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في قوله (إلا من ظلم ثم بدّل) عندي غير ما قاله هؤلاء الذين حكيتنا قولهم من أهل العربية ، بل هو القول الذي قاله الحسن البصري وابن جرير ومن قال قولهما ، وهو أن قوله (إلا من ظلم) استثناء صحيح من قوله (لا يخاف لدى المرسلون إلا من ظلم) منهم فأتى ذنبا ، فإنه خائف لديه من عقوبته ، وقد بين الحسن رحمه الله معنى قيل الله لموسى ذلك ، وهو قوله قال : إني إنما أخفتك لقتلك النفس .

فإن قال قائل : فما وجه قبله إن كان قوله (إلا من ظلم) استثناء صحيحا ، وخارجا من عداد من لا يخاف لديه من المرسلين ، وكيف يكون خائفا من كان قد وعد الغفران والرحمة ؟ قيل : إن قوله (ثم)



بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ ) كلام آخر بعد الأوّل ، وقد تناهى الخبر عن الرسل من ظلم منهم ، ومن لم يظلم عند قوله ( إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ) ثم ابتداء الخبر عن ظلم من الرسل ، وسائر الناس غيرهم . وقيل : فمن ظلم ثم بدّل حسنا بعد سوء فإني له غفور رحيم .

فإن قال قائل : فعلام تعطف إن كان الأمر كما قلت ثم إن لم يكن عطفا على قوله ( ظَلَمَ ) قيل : على متروك استغنى بدلالة قوله ( ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ ) عليه عن إظهاره ، إذ كان قد جرى قبل ذلك من الكلام نظيره ، وهو فمن ظلم من الخلق . وأما الذين ذكرنا قولهم من أهل العربية ، فقد قالوا على مذهب العربية ، غير أنهم أغفلوا معنى الكلمة ، وحملوها على غير وجهها من التأويل . وإنما ينبغي أن يحمل الكلام على وجهه من التأويل ، ويلتمس له على ذلك الوجه للإعراب في الصحة مخرج لاعلى إحالة الكلمة عن معناها ، ووجهها الصحيح من التأويل .

وقوله ( ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ ) يقول تعالى ذكره : فمن أتى ظلما من خلق الله ، وركب ماثمًا ، ثم بدل حسنا ، يقول : ثم تاب من ظلمه ذلك ، وكوبه المأثم ، ( فَإِنِّي غَفُورٌ ) يقول : فإني ساتر على ذنبه وظلمه ذلك ، بعفوى عنه ، وترك عقوبته عليه ، رحيم به أن أعاقبه بعد تبديله الحسن بصدده . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ) ، ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ ) ثم تاب من بعد إساءته ( فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ) .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ يَيْضًا مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتِ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ (١٢)

يقول تعالى ذكره مغبرا عن قبله لنبيه موسى ( وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ) ذكر أنه تعالى ذكره أمره أن يدخل كفه في جيبه ، وإنما أمره بإدخاله في جيبه ، لأن الذي كان عليه يومئذ مِدْرَعَةٌ من صوف . قال بعضهم : لم يكن لها كُمٌّ . وقال بعضهم : كان كُمُّهَا إلى بعض يده .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ) قال : الكف فقط في جيبك ، قال : كانت مِدْرَعَةٌ إلى بعض يده ، ولو كان لها كُمٌّ أمره أن يدخل يده في كفه .

قال : ثنى حجاج ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن عمرو بن ميمون ، قال : قال ابن مسعود : إن موسى أتى فرعون حين أتاه في زُرٍّ ما نقه ، يعني جبة صوف .

وقوله ( تَخْرُجُ بَيْضَاءَ ) يقول : تخرج اليد بيضاء بغير لون موسى من غير سوءٍ ( يقول : من غير بَرَصٍ في تسع آيات ، يقول تعالى ذكره : أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ، فهي آية في تسع آيات ، مُرْسَلٌ أنتَ بهنَّ إلى فرعون ، وترك ذكر مرسل للدلالة قوله ( إلى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ) على أن ذلك معناه ، كما قال الشاعر :

رَأَيْتُنِي بِجَبَلَيْهَا فَصَدَّتْ مَخَافَةً  
وَفِي الْحَبْلِ رَوْعَاءُ الْفُؤَادِ فَرُوقًا<sup>١</sup>

ومعنى الكلام : رأيتني مقبلا بجبليها ، فترك ذكر مقبل ، استغناء بمعرفة السامعين ، معناه في ذلك إذ قال : رأيتني بجبليها ، ونظائر ذلك في كلام العرب كثيرة .

والآيات التسع : هنَّ الآيات التي بيناهنَّ فيما مضى .

وقد حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( تِسْعَ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ) قال : هي التي ذكر الله في القرآن : العصا ، واليد ، والجراد ، والقُمَّل ، والضفادع ، والطوفان ، والدم ، والحجر ، والطمس الذي أصاب آل فرعون في أموالهم .

وقوله ( لَئِنَّمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ) يقول : إن فرعون وقومه من القبط كانوا قوما فاسقين ، يعني كافرين بالله ، وقد بينا معنى الفسق فيما مضى .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا: هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا بِهَا ، وَأَسْتَيْقَنَتْهَا  
أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ، فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤)

يقول تعالى ذكره : فلما جاءت فرعون وقومه آياتنا ، يعني أدلتنا وحججنا ، على حقيقة ما دعاهم إليه موسى وصحته ، وهي الآيات التسع التي ذكرناها قبل . وقوله ( مُبْصِرَةً ) يقول : يبصر بها من نظر إليها ورآها حقيقة ، ما دلت عليه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا

(١) سبق الكلام مفصلا على هذا الشاهد في الجزء (٤ : ٤٩) وهو لحيد بن ثور الهلالي . وانظره في (اللسان : حبل وفرق) . وفي الأساس (روع) . وفي معاني القرآن للفراء (الورقة ٢٣٢) قال الفراء : أراد رأيتني أقبلت بجبليها : بجبل الناقة ، فأبصر فعلا ، كأنه قال : رأيتني مقبلا .



مُبْصِرَةً) قال : بينة ، قالوا : هذا سحر مبین ، يقول : قال : فرعون وقومه : هذا الذي جاءنا به موسى سحر مبین ، يقول : يبين للناظرين له أنه سحر .

وقوله (وَجَحَدُوا بِهَا) يقول : وكذبوا بالآيات التسع أن تكون من عند الله .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج (وَجَحَدُوا بِهَا) : قال : الجحود : التكذيب بها . وقوله (وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ) يقول : وأيقنتها قلوبهم ، وعلموا يقينا أنها من عند الله ، فعاندوا بعد تبينهم الحق ، ومعرفتهم به .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس (وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ) قال : يقينهم في قلوبهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله (وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) قال : استيقنوا أن الآيات من الله حق ، فلم جحدوا بها ؟ قال : ظلما وعلوا . وقوله (ظُلْمًا وَعُلُوًّا) يعني بالظلم : الاعتداء ، والعلو : الكبر ، كأنه قيل : اعتداء وتكبرا . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، في قوله (ظُلْمًا وَعُلُوًّا) قال : تعظما واستكبارا ، ومعنى ذلك : وجحدوا بالآيات التسع ظلما وعلوا ، واستيقنتها أنفسهم أنها من عند الله ، فعاندوا الحق بعد وضوحه لهم ، فهو من المؤخر الذي معناه التقديم . وقوله (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) .

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : فانظر يا محمد بعين قلبك : كيف كان عاقبة تكذيب هؤلاء الذين جحدوا آياتنا حين جاءتهم مبصرة ، وماذا حل بهم من إفسادهم في الأرض ومعصيتهم فيها ربهم ، وأعقبهم ما فعلوا ، فإن ذلك أخرجهم من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، إلى هلاك في العاجل بالفرق ، وفي الآجل إلى عذاب دائم ، لا يفترون عنهم ، وهم فيه مبلسون . يقول : وكذلك يا محمد سنتي في الذين كذبوا بما جنتهم به من الآيات ، على حقيقة ماتدعوهم إليه من الحق من قومك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ، وَقَالَا : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ

الْمُؤْمِنِينَ (١٥)

يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا داود وسليمان علما ، وذلك علم كلام الطير والدواب ، وغير ذلك مما خصهم الله بعلمه (وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) يقول جل

ثناؤه : وقال داود وسليمان : الحمد لله الذي فضلنا بما خصنا به من العلم الذي آتانا دون سائر خلقه من بني آدم في زماننا هذا ، على كثير من عباده المؤمنين به في دهرنا هذا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ، وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ ، وَأَوْتَيْنَا مِّنْ كُلِّ شَيْءٍ ،  
إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦)

يقول تعالى ذكره ( وورث سليمان ) أباه ( داود ) العلم الذي كان آتاه الله في حياته ، والمثل الذي كان خصه به على سائر قومه ، فجعله له بعد أبيه داود دون سائر ولد أبيه ( وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير ) يعني فهمنا كلامها ، وجعل ذلك من الطير كمنطق الرجل من بني آدم ، إذ فهمه عنها .

وقد حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب : ( وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير ) قال : بلغنا أن سليمان كان عسكره مئة فرسخ : خمسة وعشرون منها للإنس ، وخمسة وعشرون للجن ، وخمسة وعشرون للوحش ، وخمسة وعشرون للطير ، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب ، فيها ثلاث مئة صريخة ، وسبع مئة سرية ، فأمر الريح العاصف فرفعته ، وأمر الرشاء فسبىه ، فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض ، إني قد أردت أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت الريح فأخبرته . وقوله ( وأوتينا من كل شيء ) يقول : وأعطينا ووهب لنا من كل شيء من الخيرات ( إن هذا لهو الفضل المبين ) يقول : إن هذا الذي أوتينا من الخيرات ، هو الفضل على جميع أهل دهرنا ( المبين ) ، يقول : الذي يبين لمن تأمله وتدبره أنه فضل أعطيناه على من سوانا من الناس .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ ، فَهَمْ يُوزَعُونَ (١٧)

يقول تعالى ذكره : وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير في مسير لهم فهم يؤزعون . واختلف أهل التأويل في معنى قوله ( فهم يؤزعون ) فقال بعضهم : معنى ذلك : فهم يحبس أوتهم على آخرهم حتى يجتمعوا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قال : جعل على كل صنف من يراد أولها على آخرها ، لئلا يتقدموا في المسير ، كما تصنع الملوك .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ ، فَهُمْ يُوزَعُونَ ) قال : يُرَدُّ أَوْلَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ .  
وقال آخرون : معنى ذلك : فهم يساقون .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ) قال : يوزعون : يساقون .  
وقال آخرون : بل معناه : فهم يتقدمون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، قال : قال الحسن ( يُوزَعُونَ ) يتقدمون .  
قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب : قول من قال : معناه : يُرَدُّ أَوْلَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ ، وذلك أن الوازع في كلام العرب : هو الكاف ، يقال منه : وزع فلان فلانا عن الظلم : إذا كفه عنه ، كما قال الشاعر :  
أَلَمْ يَزَعْ هَسْوَى إِذْ لَمْ يُوَاتِ؟ بَلَى وَسَلَوْتُ عَنْ طَلَبِ الْفِتَاةِ  
وقال آخر :

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصَّبَا وَقُلْتُ أَلَمَّا أَضْعُ وَالشَّيْبُ وَازِعٌ  
وإنما قيل للذين يدفعون الناس عن الولاة والأمراء وزعة : لكفهم إياهم عنه .

القول في تأويل قوله تعالى

حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ ، قَالَتْ نَمْلَةٌ : يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ  
لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨)

يعنى تعالى ذكره بقوله ( حتى إذا أتوا على وادى النمل ) حتى إذا أتى سليمان وجنوده على وادى النمل ( قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم ، لا يحطمنكم سليمان وجنوده ) يقول : لا يكسرنكم ويقتلنكم سليمان وجنوده ( وهم لا يشعرون ) يقول : وهم لا يعلمون أنهم يحطمونكم .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ويحيى ، قالوا : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن رجل يقال له الحكم ، عن عوف ، في قوله ( قالت نملة يا أيها النمل ) قال : كان نمل سليمان بن داود مثل الذباب .

(١) الوزع : كف النفس عن هواها . وزعه وبه يزع ( بفتح الزاى وكسرهما ) وزعا : كفه . ويؤات : يوافق . قال في اللسان :  
واتاه على الأمر : طأوعه . والمؤاتاة : حسن المطاوعة . وآتيته على ذلك الأمر مؤاتاة : إذا وافقته وطأوعته . والعامية تقول : وآتية .  
ولانقل وآتيته إلا في لغة أهل اليمن . ومثله آسيت ، وآكلت ، وآمرت . وإنما جعلوها واوا على تخفيف الهزمة .

(٢) البيت للنايعة الديقاني من قصيدة يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر ( مختار الشعر الجاهلي : بشرح مصطفي السقا ، طبعة الحلبي ١٥٦ وما بعدها ) قال : مصا : أفاق . والوازع : الكاف الزاجر عن اللهو . والصبا : الصبوة ، والميل إلى التشبه بأعمال الصبيان من الطيش واللهو .

## القول في تأويل قوله تعالى

فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ  
وَالِدِيَّ ، وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ، وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩)

يقول تعالى ذكره : فتبسم سليمان ضاحكا من قول النملة التي قالت ما قالت ، وقال ( رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ) يعني بقوله ( أَوْزِعْنِي ) ألهمني .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله ( قال رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتِكَ ) يقول : اجعلني .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله ( رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ) قال في كلام العرب ، تقول : أوزع فلان بفلان ، يقول : حرض عليه . وقال ابن زيد ( أَوْزِعْنِي ) ألهمني وحرصني على أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي .  
وقوله ( وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ) يقول : وأوزعني أن أعمل بطاعتك وماترضاه ( وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ) يقول : وأدخلني برحمتك مع عبادك الصالحين ، الذين اخترتهم لرسالتك ، وانتخبهم لوحيك ، يقول : أدخلني من الجنة مداخلهم .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ) قال : مع عبادك الصالحين الأنبياء والمؤمنين .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَأَرَى الْهَدْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ؟ (٢٠) لَأَعَذَّبَنَّ عَذَابًا شَدِيدًا  
أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١)

يقول تعالى ذكره ( وَتَفَقَّدَ ) سليمان ( الطَّيْرَ ) فقال ما لي لأرأى الهدد أم كان من الغائبين ؟ وكان سبب تفقده الطير وسؤاله عن الهدد خاصة من بين الطير ، ما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت عمران ، عن أبي مجاز ، قال : جلس ابن عباس إلى عبد الله بن سلام ، فسأله عن الهدد : لم تفقده سليمان من بين الطير ؟ فقال عبد الله بن سلام : إن سليمان نزل منزلة في مسير له ، فلم يدر ما بعد الماء ، فقيل له : من يعلم بعد الماء ؟ قالوا : الهدد ، فذاك حين تفقده .



حدثنا محمد ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا عمران بن حدير ، عن أبي جهم ، عن ابن عباس وعبد الله ابن سلام بنحوه .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : كان سليمان بن داود يوضع له ست مئة كرسي ، ثم يجيء أشراف الإنس فيجلسون مما يليه ، ثم تجيء أشراف الجن ، فيجلسون مما يلي الإنس ، قال : ثم يدعو الطير فنظفهم ، ثم يدعو الريح فتحملهم ، قال : فيسر في الغداة الواحدة مسيرة شهر ، قال : فيينا هو في مسيره إذ احتاج إلى الماء ، وهو في فلاة من الأرض ، قال : فدعا الهدهد ، فجاءه فنقر الأرض ، فيصيب موضع الماء ، قال : ثم تجيء الشياطين ، فيسلخونه كما يسلخ الإهاب ، قال : ثم يستخرجون الماء ، فقال له نافع بن الأزرق قف يا وقاف ، رأيت قولك الهدهد يجيء فينقر الأرض ، فيصيب الماء كيف يبصر هذا ، ولا يبصر الفخ يجيء حتى يقع في عنقه ، قال : فقال له ابن عباس : ويحك إن القدر إذا جاء حال دون البصر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : كان سليمان بن داود إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير ، وقام له الجن والإنس حتى يجلس على سريره ، حتى إذا كان ذات غداة في بعض زمانه ، غدا إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه ، فتفقد الطير . وكان فيما يزعمون يأتيه نوباً ، من كل صنف من الطير طائر ، فنظر فرأى من أصناف الطير كلها قد حضره إلا الهدهد ، فقال : مالي لأرى الهدهد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أول ما فقد سليمان الهدهد نزل بواد ، فسأل الإنس عن مائه ، فقالوا : ما نعلم له ماء ، فإن يكن أحد من جنودك يعلم له ماء فالجن ، فدعا الجن فسألهم ، فقالوا : ما نعلم له ماء ، وإن يكن أحد من جنودك يعلم له ماء فالطير ، فدعا الطير فسألهم ، فقالوا : ما نعلم له ماء ، وإن يكن أحد من جنودك يعلمه فالهدهد ، فلم يجده ، قال : فذاك أول ما فقد الهدهد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ ، فَقَالَ مَالِي لِأَرَى الْهُدْهُدَ ؟ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ) قال : تفقد الهدهد من أجل أنه كان يدل على الماء إذا ركب ، وإن سليمان ركب ذات يوم فقال : أين الهدهد ليدلنا على الماء فلم يجده ، فن أجل ذلك تفقده ، فقال ابن عباس : إن الهدهد كان ينفعه الحذر ما لم يبلغه الأجل ، فلما بلغ الأجل لم ينفعه الحذر ، وحال القدر دون البصر ، فقد اختلف عبد الله بن سلام والقائلون بقوله ، ووهب بن منبه ، فقال عبد الله : كان سبب تفقده الهدهد ، وسؤاله عنه ، ليستخبره عن بُعد الماء في الوادي الذي نزل به في مسيره وقال وهب بن منبه : كان تفقده إياه وسؤاله عنه لإخلاله بالنوبة التي كان ينوبها ، والله أعلم بأي ذلك كان ، إذ لم يأتنا بأي ذلك كان تنزيل ، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح .

فالصواب من القول في ذلك : أن يقال : إن الله أخبر عن سليمان أنه تفقد الطير : إما للنوبة التي كانت عليها وأخلت بها ، وإما لحاجة كانت إليها عن بُعد الماء .

وقوله (فقال ما لي لا أرى الهدى أم كان من الغائبين؟) يعني بقوله (ما لي لا أرى الهدى) :  
أخطأه بصرى ، فلا أراه وقد حضر أم هو غائب فيما غاب من سائر أجناس الخلق فلم يحضر ؟  
وينحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ( ما لي  
لا أرى الهدى أم كان من الغائبين؟ ) أخطأه بصرى فى الطير ، أم غاب فلم يحضر ؟  
وقوله ( لا عذبته عذابا شديدا ) يقول : فلما أخبر سليمان عن الهدى أنه لم يحضر ، وأنه غائب  
غير شاهد ، أقسم ( لا عذبته عذابا شديدا ) ، وكان تعذيبه الطير فيما ذكر عنه إذا عذبها : أن  
ينتف ريشها .

وينحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الحماني ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن  
عباس ، فى قوله ( لا عذبته عذابا شديدا ) قال : نتف ريشه .  
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن شريك ، عن عطاء ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ،  
فى ( لا عذبته عذابا شديدا ) : عذابه : نتفه وتشميسه .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( لا عذبته عذابا شديدا ) قال : نتف ريشه وتشميسه .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لا عذبته عذابا شديدا ) قال : نتف ريشه كله .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله :  
( لا عذبته عذابا شديدا ) قال : نتف ريش الهدى كله ، فلا يعفو سنة .  
قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : نتف ريشه .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله  
( لا عذبته عذابا شديدا ) يقول : نتف ريشه .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، عن يزيد بن رومان : أنه حدث أن عذابه  
الذى كان يُعذب به الطير ، نتف جناحه .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : قيل لبعض أهل العلم هذا الذبح ،  
فما العذاب الشديد؟ قال : نتف ريشه بتركة بضعة تنزو .



حدثنا سعيد بن الربيع الرازي ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن بشار ، عن ابن عباس ، في قوله (لَا تُدْرِكُهُ الْيَدَانِ) قال : نتفه .

حدثني سعيد بن الربيع ، قال : ثنا سفيان ، عن حسين بن أبي شداد ، قال : نتفه وتشميسه ، أو لأذبحته ، يقول : أو لأقتلنه .

كما حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (أَوْ لَا تُدْرِكُهُ) يقول : أو لأقتلنه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن حصين ، عن عبد الله بن شداد : (لَا تُدْرِكُهُ الْيَدَانِ) . . . الآية ، قال : فتلقاه الطير ، فأخبره ، فقال : ألم يستن : وقوله (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) يقول : أو ليأتيني بحجة تبين لسامعها صحتها وحقيقتها . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا علي بن الحسين الأزدي ، قال : ثنا المعافى بن عمران ، عن سفيان ، عن عمار الدهني ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كل سلطان في القرآن فهو حجة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) يقول : بيينة أعذره بها ، وهو مثل قوله (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ) يقول : بغير بيينة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن رجل ، عن عكرمة ، قال : كل شيء في القرآن سلطان ، فهو حجة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عبد الله ، بن يزيد ، عن قبات بن رزين ، أنه سمع عكرمة يقول : سمعت ابن عباس يقول : كل سلطان في القرآن فهو حجة ، كان للهدد سلطان .

حدثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) قال بعذر بين :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) : أي بحجة أعذر له في غيبته .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) يقول بيينة ، وهو قول الله (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ) بغير بيينة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) قال : بعذر أعذر فيه .

(١) قبات بوزن سحاب ، ابن رزين اللخمي (ويقال : التجيبي) . وقبات : اسم عربي .

## القول في تأويل قوله تعالى

فَمَكَتَ غَيْرَ بَعِيدٍ، فَقَالَ أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ (٢٢)

يعنى تعالى ذكره بقوله ( فَمَكَتَ غَيْرَ بَعِيدٍ ) فكث سليمان غير طويل ، من حين سأل عن الهدهد ، حتى جاء الهدهد .

واختلف القراء في قراءة قوله ( فَمَكَتَ ) فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار سوى عاصم ( فَمَكَتَ ) بضم الكاف ، وقرأه عاصم بفتحها ، وكلتا القراءتين عندنا صواب ، لأنهما لغتان مشهورتان ، وإن كان الضم فيها أعجب إلى ، لأنها أشهر اللغتين وأفصحهما .

وقوله ( فَقَالَ أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ) يقول : فقال الهدهد حين سأله سليمان عن تخلفه وغيبته : أحطت بعلم ما لم تحط به أنت يا سليمان .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ) قال : ما لم تعلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ( فَمَكَتَ غَيْرَ بَعِيدٍ ) ثم جاء الهدهد ، فقال له سليمان : ما خلقتك عن نوبتك ؟ قال : أحطت بما لم تحط به .

وقوله ( وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ) يقول : وجئتك من سبأ بخبر يقين .

وهو ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ( وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ) : أى أدركت ملئكم لم يبلغه ملئكم .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( مِنْ سَبَإٍ ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة ( مِنْ سَبَإٍ ) بالإجراء ، المعنى أنه رجل اسمه سبأ . وقرأه بعض قراء أهل مكة والبصرة ( مِنْ سَبَإٍ ) بترك الإجراء ، على أنه اسم قبيلة ، أو لامرأة .

والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب ، فالإجراء في سبأ ، وغير الإجراء : صواب ، لأن سبأ إن كان رجلاً كما جاء به الأثر ، فإنه إذا أريد به اسم الرجل أُجْرِي ، وإن أريد به اسم القبيلة لم يُجْر ، كما قال الشاعر في إجرائه :

الْوَارِدُونَ وَتَسِيمٌ فِي ذَرَا سَبِيلٍ قَدَّ عَصَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيسِ ١

يروى : ذرا ، وذرى ، وقد حدثت عن القراء عن الرؤاسي أنه سأل أبا عمرو بن العلاء كيف لم يجر سبأ ، قال : لست أدري ما هو ، فكأن أبا عمرو ترك إجرائه ، إذ لم يدر ما هو ، كما تفعل العرب بالأسماء المجهولة

(١) استشهد المؤلف بهذا البيت مرة قبل هذه في ( الجزء ١٤ : ١١٧ ) وهو من شواهد القراء في معاني القرآن ( الورقة ١٧٢ ) . ثم استشهد المؤلف به هنا مرة ثانية ، على أن كلمة « سبأ » إن كان اسم قبيلة من اليمن ، فهو ممنوع من الصرف ، للعلمية والتأنيث ، وإن لوحظ فيه أصله ، وهو اسم أبي القبيلة ، فهو مذكور مجرى .



التي لانعرفها من ترك الإجراء، حكى عن بعضهم هذا أبو معرور قد جاء ، فترك إجراءه ، إذ لم يعرفه في أسماهم . وإن كان سباً جبلاً ، أُجْرِي ، لأنه يُراد به الجبل بعينه ، وإن لم يجر فلأنه يجعل اسماً للجبل وما حوله من البقعة .

### القول في تأويل قوله تعالى

إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤)

يقول تعالى ، مخبراً عن قيل المدهد لسليان ، مخبراً بعذره في مغيبه عنه : (إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ) : يعني تملك سباً ، وإنما صار هذا الخبر للمدهد عذراً وحجة عند سليان ، درأ به عنه ما كان أُوعِد به ، لأن سليان كان لا يرى أن في الأرض أحداً له مملكة معه ، وكان مع ذلك صلى الله عليه وسلم رجلاً حُبِّب إليه الجهاد والغزو ، فلما دله المدهد على مُلْك بموضع من الأرض هو لغيره ، وقوم كفره يعبدون غير الله ، له في جهادهم وغزؤهم الأجر الجزيل ، والثواب العظيم في الآجل ، وضمّ مملكة لغيره إلى ملكه ، حَقَّت للمدهد المعذرة ، وصحّت له الحجة في مغيبه عن سليان .

وقوله ( وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ) يقول : وأوتيت من كل شيء يؤتاه المملك في عاجل الدنيا ، مما يكون عندهم من العتاد والآلة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي عبيدة الباجي ، عن الحسن ، قوله ( وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ) يعني : من كل أمر الدنيا .  
وقوله ( وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ) يقول : ولها كرسي عظيم . وعنى بالعظيم في هذا الموضع : العظيم في قدره ، وعظم خطره ، لاعظمه في الكبر والسعة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرير ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ) قال : سرير كريم ، قال : حسن الصنعة . وعرشها : سرير من ذهب ، قوائمه من جوهر ولؤلؤ .

قال : ثنى حجاج ، عن أبي عبيدة الباجي ، عن الحسن ، قوله ( وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ) يعني : سرير

عظيم .

وقوله ( وَجَدْتُمْهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) يقول : وجدت هذه المرأة ملكة سبأ ، وقومها من سبأ ، يسجدون للشمس ، فيعبدها من دون الله . وقوله ( وَزَيْنَ كَهْمُ الشَّيْطَانِ أَعْمَالُهُمْ ) يقول : وحسن لهم إبليس عبادتهم الشمس ، وتجودهم لها من دون الله ، وحسب ذلك إليهم ( فَصَدَّاهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ) يقول : فنعهم بزينة ذلك لهم ، أن يتبعوا الطريق المستقيم ، وهو دين الله الذي بعث به أنبياءه ، ومعناه : فصداهم عن سبيل الحق ( فَهَمُّ لَّا يَهْتَدُونَ ) يقول : فهم لما قد زين لهم الشيطان ما زين ، من السجود للشمس من دون الله والكفر به ، لا يهتدون لسبيل الحق ، ولا يسلكونه ، ولكنهم في ضلالهم الذي هم فيه يترددون .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦)

اختلفت القراء ، في قراءة قوله ( أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ) فقرأ بعض المكين وبعض المدنيين والكوفيين ( أَلَا ) بالتخفيف ، بمعنى : ألا ياهؤلاء اسجدوا ، فأضمروا « هؤلاء » اكتفاء بدلالة « يا » عليها . وذكر بعضهم سماعا من العرب : ألا يا أرحنا ، ألا يا تصدق علينا ، واستشهد أيضا ببيت الأخطل :

ألا يا اسلمى يا هند هند بنى بدر وإن كان حيانا عيدا آخر الدهر  
فعلی هذه القراءة « اسجدوا » في هذا الموضع جزم ، ولا موضع لقوله « أَلَا » في الإعراب . وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة والبصرة ( أَلَّا يَسْجُدُوا ) بتشديد الأ ، بمعنى : وزين لهم الشيطان أعمالهم ، لئلا يسجدوا لله ، « أَلَا » في موضع نصب ، لما ذكرت من معناه أنه لئلا ، ويسجدوا في موضع نصب بأن .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار ، قد قرأ بكل واحد منهما علماء من القراء ، مع صحة معنيهما .

واختلف أهل العربية في وجه دخول « يا » في قراءة من قرأه على وجه الأمر ، فقال بعض نحوى البصرة : من قرأ ذلك كذلك ، فكأنه جعله أمرا ، كأنه قال لهم : اسجدوا ، وزاد « يا » بينهما التي تكون للتثنية ، ثم أذهب ألف الوصل التي في اسجدوا ، وأذهبت الألف التي في « يا » لأنها ساكنة لقيت السين ، فصار

(١) البيت : نسبة في (السان : عدا) إلى الأخطل التغلبي الشاعر الأموي . قال : وقد جاء في الشعر « العدى » بمعنى الأعداء . وقال ابن الأعرابي في قول الأخطل : « ألا يا سلمى » . . . البيت : العدى : التباعد . وقوم عدى : إذا كانوا ، متباعدين لا أرحام بينهم ولا حلف . وقوم عدى : إذا كانوا حربا . وقد روى البيت بالكسر والضم ، مثل سوى وسوى . الأصمى : يقال : هؤلاء قوم عدى ، مقصور ، يكون للأعداء وللغرباء . ولا يقال : قوم عدى ولا يقال : قوم عدى ( بضم العين ) إلا أن تدخل الهاء ، فتقول : عداة ، في وزن قضاة . قال أبو زيد : طالت عداؤهم ، أى تباعدتهم وتفرقتهم . وشاهد المؤلف في هذا البيت : أن حرف النداء يا ، داخل على منادى مخنوف . تقديره ألا ياهذه سلمى . وهو نظير قول الله عز وجل : « ألا يا اسجدوا » تقديره : ألا ياهؤلاء اسجدوا . فأضمر هؤلاء ، اكتفاء بدلالة « يا » عليها .



ألا يسجدوا . وقال بعض نحوى الكوفة : هذه « يا » التى تدخل للنداء ، يكتبى بها من الاسم ، ويكتفى بالاسم منها ، فتقول : يا أقبل ، وزيد أقبل ، وما سقط من السواكن فعلى هذا .  
ويعنى بقوله ( يُخْرِجُ الْحَبَّاءَ ) يخرج الخبوء فى السموات والأرض ، من غيث فى السماء ، ونبات فى الأرض ، ونحو ذلك .

وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وإن اختلفت عبارتهم عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن ابن جرير ، قراءة عن مجاهد ( يُخْرِجُ الْحَبَّاءَ فِي السَّمَوَاتِ ) قال : الغيث .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي جريح ، عن مجاهد ، قوله ( يُخْرِجُ الْحَبَّاءَ ) قال : الغيث .  
حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) قال : خبء السماء والأرض : ما جعل الله فيها من الأرزاق ، والمطر من السماء ، والنبات من الأرض ، كانتا رتقا لا تمطر هذه ، ولا تنبت هذه ، ففتق السماء ، وأنزل منها المطر ، وأخرج النبات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن حكيم ابن جابر ، فى قوله ( أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) ويعلم كل خفية فى السموات والأرض .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أسامة بن زيد ، عن معاذ بن عبد الله ، قال : رأيت ابن عباس على بغلة يسأل تبعا ابن امرأة كعب : هل سألت كعبا عن البذر تنبت الأرض العام لم يصب العام الآخر ، قال : سمعت كعبا يقول : البذر ينزل من السماء ، ويخرج من الأرض ، قال : صدقت .

قال أبو جعفر : إنما هو تبيع ، ولكن هكذا قال محمد . وقيل : يخرج الخبء فى السموات والأرض ، لأن العرب تضع «مين» مكان «فى» ، و«فى» مكان «مين» فى الاستخراج (وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) يقول : ويعلم السر من أمور خلقه ، هؤلاء الذين زين لهم الشيطان أعمالهم والعلانية منها ، وذلك على قراءة من قرأ أَلَّا بالتشديد . وأما على قراءة من قرأ بالتخفيف فإن معناه : ويعلم ما يسره خلقه الذين أمرهم بالسجود بقوله : أَلَا يَا هَؤُلَاءِ اسْجُدُوا . وقد ذكر أن ذلك فى قراءة أبي ( أَلَّا تَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَمَا تُعْلِنُونَ ) .

وقوله ( اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ) يقول تعالى ذكره : الله الذى لا تصلح العبادة إلا له ، لا إله إلا هو ، لامعبود سواه تصلح له العبادة ، فأخلصوا له العبادة ، وأفردوه بالطاعة ، ولا تشركوا

به شيئا ( رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ) يعني بذلك : مالك العرش العظيم الذي كل عرش ، وإن عظم فدونه ، لا يشبهه عرش ملكة سبأ ولا غيره .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ يُحِطْ بِهِ ) إلى قوله ( لا إله إلا هو رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ) هذا كله كلام المهدد .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق بنحوه .

### القول في تأويل قوله تعالى

\* قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٧) أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا ، فَأَلْقَاهُ

إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ ، فَأَنْظَرُ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره ( قال ) سليمان للمهدد ( سَنَنْظُرُ ) فيما اعتذرت به من العذر ، واحتججت به من الحجة لغيبتك عنا ، وفيما جئتنا به من الخبر ( أَصَدَقْتَ ) في ذلك كله ( أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ) فيه ( أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ ) ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ ، فأنظر ماذا يرجعون .

فاختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : معناه : اذهب بكتابي هذا ، فألقه إليهم ، فانظر ماذا يرجعون ، ثم تولى عنهم منصرفا إلى ، فقال : هو من المؤخر الذي معناه التقديم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد : فأجابه سليمان ، يعني أجاب المهدد كما فرغ ( قال سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ) وانظر ماذا يرجعون ، ثم تولى عنهم منصرفا إلى ، وقال : وكانت لها كوة مستقبلة الشمس ، ساعة تطلع الشمس تطلع فيها فتسجد لها ، فجاء المهدد حتى وقع فيها فسداها ، واستبطأت الشمس ، فقامت تنظر ، فرمى بالصحيفة إليها من تحت جناحه ، وطار حتى قامت تنظر الشمس .

قال أبو جعفر : فهذا القول من قول ابن زيد يدل على أن المهدد تولى إلى سليمان راجعا ، بعد إلقائه الكتاب ، وأن نظره إلى المرأة ما الذي ترجع وتفعل ؟ كان قبل إلقائه كتاب سليمان إليها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ، ثم تولى عنهم ، فكن قريبا منهم ، وانظر ماذا يرجعون ؛ قالوا : وفعل المهدد ، وسمع مراجعة المرأة أهل مملكتها ، وقولها لهم : ( إِنِّي أُلْقِي إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ ، إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ، وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ) وما بعد ذلك من مراجعة بعضهم بعضا .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قوله ( فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ) ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ : أي كن قريبا ( فأنظر ماذا يرجعون ) . وهذا القول أشبه



بتأويل الآية ، لأن مراجعة المرأة قومها ، كانت بعد أن ألقى إليها الكتاب ، ولم يكن الهدهد لينصرف وقد أمر بأن ينظر إلى مراجعة القوم بينهم ما يتراجعونه ، قبل أن يفعل ما أمره به سليمان .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْ كِتَابٍ كَرِيمٍ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ، وَإِنَّهُ بِسْمِ  
اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلَمُوْا عَلَيَّ وَأَتُونِي مَسْلُمِينَ (٣١)

يقول تعالى ذكره : فذهب الهدهد بكتاب سليمان إليها ، فألقاه إليها ؛ فلما قرأته قالت لقومها ( يا أيُّها الملأ ، إني أُلقي إليّ كتابٌ كريمٌ ) .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : كتب ، يعني سليمان بن داود مع الهدهد : بسم الله الرحمن الرحيم ، من سليمان بن داود ، إلى بلقيس بنت ذى شرح وقومها . أما بعد ، فلا تعلمو عليّ ، وأتوني مسلمين » قال : فأخذ الهدهد الكتاب برجله ، فانطلق به حتى أتاها ، وكانت لها كوة في بيتها إذا طلعت الشمس نظرت إليها ، فسجدت لها ، فألقى الهدهد الكوة فسداً بجناحيه ، حتى ارتفعت الشمس ولم تعلم ، ثم ألقى الكتاب من الكوة ، فوقع عليها في مكانها الذي هي فيه ، فأخذته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغني أنها امرأة يقال لها « بلقيس » ، أحسبه قال : ابنة شراحيل ، أحد أبويها من الجن ، مؤخر أحد قدميها كحافر الدابة ، وكانت في بيت مملكة ، وكان أولو مشورتها ثلاث مئة واثني عشر ، كل رجل منهم على عشرة آلاف ، وكانت بأرض يقال لها مسأرب ، من صنعاء على ثلاثة أيام ؛ فلما جاء الهدهد بخبرها إلى سليمان بن داود ، كتب الكتاب وبعث به مع الهدهد ، فجاء الهدهد وقد غلقت الأبواب ، وكانت تغلّق أبوابها ، وتضع مفاتيحها تحت رأسها ، فجاء الهدهد ، فدخل من كوة ، فألقى الصحيفة عليها ، فقرأتها ، فإذا فيها : ( إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ، وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : أَنْ لَا تَعْلَمُوْا عَلَيَّ ، وَأَتُونِي مَسْلُمِينَ ) .  
وكذلك كانت تكتب الأنبياء لاتظنب ، إنما تكتب جملاً .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حمّاد ، عن ابن جرير ، قال : لم يزد سليمان على ما قص الله في كتابه :  
إنه ، وإنه .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِيهِ إِلَى يَمِينِهِمْ ) فضى الهدهد بالكتاب ، حتى إذا حاذى الملكة وهي على عرشها ، ألقى إليها الكتاب .

وقوله ( قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ) والملا: أشرف قومها ، يقول تعالى ذكره : قالت ملكة سبأ لأشرف قومها ( يا أيُّها الملا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ) .  
واختلف أهل العلم في سبب وصفها الكتاب بالكريم ، فقال بعضهم : وصفته بذلك لأنه كان محتوما .  
وقال آخرون : وصفته بذلك لأنه كان من ملك ، فوصفته بالكرم لكرم صاحبه . ومن قال ذلك ابن زيد .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ) قال : هو كتاب سليمان حيث كتب إليها .

وقوله ( إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ) كُسِرَتْ إن الأولى والثانية على الرد على إني من قوله ( إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ) . ومعنى الكلام : قالت : يا أيها الملا ، إني ألقى إلى كتاب ، وإنه من سليمان .

وقوله ( أَنْ لَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ) يقول : ألقى إلى كتاب كريم : ألا تعلموا علي .  
ففي أن وجهان من العربية : إن جعلت بدلا من الكتاب ، كانت رفعا بما رفع به الكتاب ، بدلا منه ؛ وإن جعل معنى الكلام : إني ألقى إلى كتاب كريم : أن لا تعلموا علي كانت نصبا ، بتعلق الكتاب بها .  
وعنى بقوله ( أَنْ لَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ ) : أن لا تكبروا ولا تتعاضموا عما دعوتكم إليه .  
كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أَلَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ ) : أن لا تمتنعوا من الذي دعوتكم إليه إن امتنعتم جاهدتمكم ، فقلت لابن زيد ( أَنْ لَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ ) أن لا تكبروا علي ، قال : نعم ؛ قال : وقال ابن زيد ( أَنْ لَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ ، وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ) ذلك في كتاب سليمان إليها . وقوله ( وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ) يقول : وأقبلوا إلى مديعني لله بالوحدانية والطاعة .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ، مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا :  
نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْسِ شَدِيدٍ ، وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ ، فَأَنْظِرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣)  
يقول تعالى ذكره : قالت ملكة سبأ لأشرف قومها ( يا أيُّها الملا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ) تقول : أشيروا علي في أمري الذي قد حضرني ، من أمر صاحب هذا الكتاب الذي ألقى إلي ، فجعلت المشورة فتيا .  
وقوله ( مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ) : تقول : ما كنت قاضية أمرا في ذلك حتى تشهدون ، فأشاوركم فيه .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : دعت قومها تشاورهم ( أيُّها الملا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ، مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ) يقول في الكلام : ما كنت لأقطع أمرا دونك ، ولا كنت لأقضي أمرا ، فلذلك قالت ( مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا ) بمعنى : قاضية .



وقوله (قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأَوْلُوا بِأَسِّ شَدِيدٍ) يقول تعالى ذكره: قال الملأ من قوم ملكة سبأ، إذ شاورتهم في أمرها وأمر سليمان: نحن ذوو القوَّة على القتال، والبأس الشديد في الحرب، والأمر أيها الملكة إليك في القتال وفي تركه، فانظري من الرأي ما ترين، فهرينا نأتمر لأمرك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد (قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأَوْلُوا بِأَسِّ شَدِيدٍ) عرضوا لها القتال، يقاتلون لها، والأمر إليك بعد هذا، فانظري ماذا تأمرين). حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد، قال: كان مع ملكة سبأ اثنا عشر ألف قبول، مع كل قبول مئة ألف.

حدثنا عمرو بن علي، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: كان مع بلقيس مئة ألف قبيل، مع كل قبيل مئة ألف. قال: ثنا وكيع، قال: ثنا الأعمش، قال: سمعت مجاهدا يقول: كانت تحت يد ملكة سبأ اثنا عشر ألف قبول، والقبول بلسانهم: الملك تحت يد كل ملك مئة ألف مقاتل.

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره: قالت صاحبة سبأ للملأ من قومها، إذ عرضوا عليها أنفسهم لقتال سليمان، إن أمرتهم بذلك (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً) عَنُوه. وغلبت (أَفْسَدُوهَا) يقول: خربوها (وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً) وذلك باستعبادهم الأحرار، واسترقاقهم إياهم، وتناهي الخبر منها عن الملوك في هذا الموضع، فقال الله (وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) يقول تعالى ذكره: وكما قالت صاحبة سبأ تفعل الملوك، إذا دخلوا قرية عَنُوه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو بكر، في قوله (وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً) قال أبو بكر: هذا عَنُوه.

حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا أبو بكر، قال: ثنا الأعمش، عن مسلم، عن ابن عباس، في قوله (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا) قال: إذا دخلوها عَنُوه خربوها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس (قَالَتْ

(١) القيل، بفتح فسكون: الملك الصغير في اليمن، وجمعه أقبال وقبول. وأما القبول، ولعله بفتح القاف، للملك الواحد، فلم أجده بالمعجم، ولعله لفظ عام عند اليمن.

إِنَّ الْمَلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ) قال ابن عباس: يقول الله (وكذلك يَفْعَلُونَ) .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ، فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ؟ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ :  
 أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ؟ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦)  
 أَزْجِعُ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَتْهُمْ بِمُجْنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا ، وَلِنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧)

ذكر أنها قالت : إني مرسله إلى سليمان ، لتختبره بذلك وتعرفه به ، أملك هو ، أم نبي ؟ وقالت : إن يكن نبيا لم يقبل الهدية ، ولم يرضه منا ، إلا أن يتبعه على دينه ، وإن يكن ملكا قبل الهدية وانصرف .

## ذكر الرواية عن قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قالت :  
 ( وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ، فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ؟ ) قال : وبعثت إليه بوصائف  
 ووصفاء ، وألبستهم لباسا واحدا ، حتى لا يعرف ذكر من أنثى ، فقالت : إن زيل بينهم حتى يعرف الذكر  
 من الأنثى ، ثم ردت الهدية ، فإنه نبي ، وينبغي لنا أن نترك ملكنا ، ونتبع دينه ، ونلحق به .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
 قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله ( وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ) قال :  
 بجوار لباسهم لباس الغلمان ، وغلمان لباسهم لباس الجوارى .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قولها ( وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ  
 إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ) قال : ميثي غلام وميثي جارية . قال ابن جريج ، قال مجاهد : قوله ( بِهَدِيَّةٍ )  
 قال : جوار ألبستن لباس الغلمان ، وغلمان ألبستهم لباس الجوارى .  
 قال ابن جريج ، قال : قالت : فإن خلص الجوارى من الغلمان ، وردت الهدية ، فإنه نبي ، وينبغي لنا  
 أن نتبعه .

قال ابن جريج ، قال مجاهد : فخلص سليمان بعضهم من بعض ، ولم يقبل هديتها .  
 قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا سفيان ، عن معمر ، عن ثابت البناني ، قال : أهدت له صفائح الذهب ،  
 في أوعية الديباج ؛ فلما بلغ ذلك سليمان ، أمر الجن فوهوا له الآجر بالذهب ، ثم أمر به فألقى في الطرق ؛  
 فلما جاءوا فأروه ملتي ، ما يُلْتَفَتُ إليه ، صغر في أعينهم ما جاءوا به .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّ الْمَلُوكَ إِذَا دَخَلُوا



قَرِيَّةً أَفْسَدُوهَا) . . . الآية ، وقالت : إن هذا الرجل إن كان إنما همته الدنيا فسزويه ، وإن كان إنما يريد الدين ، فلن يقبل غيره (وَأَتَى مُرْسِلَةً إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ، فَنَظَرَهُ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) ؟ حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : كانت بلقيس امرأة لبيبة أديبة في بيت ملك ، لم تملك إلا لبقايا من مضى من أهلها ، إنه قد سيست وساست حتى أحكمها ذلك ، وكان دينها ودين قومها فيما ذكر : الزندقية ؛ فلما قرأت الكتاب سمعت كتابا ليس من كتب الملوك التي كانت قبلها ، فبعثت إلى المقآولة من أهل اليمن ، فقالت لهم ( يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَتَى أَلْقَيْتَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ ، إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ، وَإِنَّهُ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : أَلَا تَعْلَمُونَ عَلِيَّ ، وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ) إلى قوله (بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) ثم قالت : إنه قد جاءني كتاب لم يأتي مثله من ملك من الملوك قبله ، فإن يكن الرجل نبيا مرسلًا ، فلا طاقة لنا به ولا قوة ، وإن يكن الرجل ملكًا يكثر ، فليس بأعز منا ، ولا أعد ، فهيأت هدايا مما يهدى للملوك ، مما يفتنون به ، فقالت : إن يكن ملكا فيقبل الهدية ، ويرغب في المال ، وإن يكن نبيا فليس له في الدنيا حاجة ، وليس إياها يريد ، إنما يريد أن ندخل معه في دينه ، وتبعه على أمره ، أو كما قالت .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَأَتَى مُرْسِلَةً إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ) بعثت بوصائف ووصفاء ، لباسهم لباس واحد ، فقالت : إن زيل بينهم ، حتى يعرف الذكر من الأنثى ، ثم رد الهدية ، فهو نبي ، وينبغي لنا أن تبعه ، وندخل في دينه ، فزيل سليمان بين الغلمان والحواري ، ورد الهدية فقال (أُتِمِدْ وَنَسِ بِمَالٍ ؟ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ) . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان في الهدايا التي بعثت بها وصائف ووصفاء يختلفون في ثيابهم ، ليميز الغلمان من الحواري ، قال : فدعا بماء ، فجعل الحواري يتوضأ من المرفق إلى أسفل ، وجعل الغلمان يتوضئون من المرفق إلى فوق . قال : وكان أبي يحدثنا هذا الحديث . حدثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، قال : ثنا إسماعيل ، عن أبي صالح (وَأَتَى مُرْسِلَةً إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ) قال : أرسلت بلبينة من ذهب ، وقالت : إن كان يريد الدنيا علمته ، وإن كان يريد الآخرة علمته .

وقوله (فَنَظَرَهُ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) تقول : فأنظر بأى شيء من خبره وفعله في هديتي التي أرسلها إليه ترجع رسلتي ؟ أقبول وانصراف عنا ، أم برد الهدية والثبات على مطالبتنا بإتباعه على دينه ؟ وأسقطت الألف من « ما » في قوله (بِمِ) ، وأصله : بما ، لأن العرب إذا كانت « ما » بمعنى : أى ؟ ثم وصلوها بحرف خافض ، أسقطوا ألفها ، تفريقا بين الاستفهام وغيره ، كما قال جل ثناؤه (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ) ؟ وقالوا : فيم كنتم ؟ وربما أثبتوا فيها الألف ، كما قال الشاعر :

عَلَمًا قَامَ يَشْتُمُنِي لِشِمِّ كَخِيزِيرٍ تَمَرَّخَ فِي تَرَابِ

(١) البيت لحسان بن ثابت ، وهو من شواهد كتاب « المغني لابن هشام » ما « وفي قافيته روايتان أخريان : ( في دمان ، في رماد) . ل ابن هشام : ويجب حذف ألف « ما » الاستفهامية إذا جرت ، وإبقاء الفتحة دليلًا عليها ، نحو : فيم ، وإلام ؟ وعلام ؟ وبم ؟ =

وقالت (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ) ، وإنما أرسلت إلى سليمان وحده ، على النحو الذى بينا فى قوله (عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ) ، وقوله (فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّوُنِي بِمَالٍ) .  
 إن قال قائل : وكيف قيل (فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ) فجعل الخبر فى مجيء سليمان عن واحد ، وقد قال قبل ذلك (فَنَظَرَةٌ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) فإن كان الرسول كان واحدا ، فكيف قيل (بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) ؟ وإن كانوا جماعة فكيف قيل (فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ) ؟ قيل : هذا نظير ما قد بينا قبل ، من إظهار العرب الخبر فى أمر كان من واحد ، على وجه الخبر عن جماعة ، إذا لم يقصد قصد الخبر عن شخص واحد بعينه ، يُشار إليه بعينه ، فسُمى فى الخبر . وقد قيل : إن الرسول الذى وجهته ملكة سبأ إلى سليمان ، كان أمرا واحدا ، فلذلك قال (فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ) يُراد به : فلما جاء الرسول سليمان ، واستدل قائلو ذلك على صحة ما قالوا من ذلك ، بقول سليمان للرسول : ارجع إليهم ، وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله ، فلما جاءوا سليمان على الجمع ، وذلك للفظ قوله (بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) ؟ فصلح الجمع للفظ والتوحيد للمعنى .  
 وقوله (قال أَتُمِدُّوُنِي بِمَالٍ) ؟ يقول : قال سليمان لما جاء الرسول من قبيل المرأة بهداياها : أتمدونى بمال ؟ واختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأه بعض قراء أهل المدينة (أَتُمِدُّوُنِي) بنونين ، وإثبات الياء . وقرأه بعض الكوفيين مثل ذلك ، غير أنه حذف الياء من آخر ذلك ، وكسر النون الأخيرة . وقرأه بعض قراء البصرة بنونين ، وإثبات الياء فى الوصل ، وحذفها فى الوقف . وقرأه بعض قراء الكوفة بتشديد النون ، وإثبات الياء . وكل هذه القراءات متقاربات ، وجميعها صواب ، لأنها معروفة فى لغات العرب ، مشهورة فى منطقتها .  
 وقوله (فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرًا مِّمَّا آتَاكُمْ) يقول : فما آتانى الله من المال والدينا ، أكثر مما أعطاكم منها وأفضل . (بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ) يقول : ما أفرح بهديتكم التى أهديتم لى ، بل أنتم تفرحون بالهدية التى تُهدى إليكم ، لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا ، ومكاثرة بها ، وليست الدنيا وأمواها من حاجتى . لأن الله تعالى ذكره قد مكنتى منها ، وملكنى فيها ما لم يملكك أحدا . (ارْجِعْ إِلَيْهِمْ) وهذا قول سليمان لرسول المرأة (ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَانْسَأْ تَيْبَتَهُمْ بِمِجْنُودٍ لِاقِبِيلَ لَهِمْ) : لا طاقة لهم بها ، ولا قدرة لهم على دفعهم عما أرادوا منهم .  
 وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : لما أتت الهدايا سليمان ، فيها الوصائف والوصفاء ، والخيل العراب ، وأصناف من أصناف الدنيا ، قال للرسول = وعلة حذف الألف : الفرق بين الاستفهام والخبر ، فلهذا حذف فى نحو : «فيم أنت من ذكرها ؟ فنظرة بم يرجع المرسلون ؟ لم تقولون ما لا تفعلون ؟» وأما قراءة عكرمة وعيسى : عما يتساءلون ؟ فنادر . وأما قول حسان : «على ما قام . . . البيت ، فضرورة . والدمان كالرماد : وزنا ومعنى . وروى : فى رماد ؟ فلذلك رجحته على تفسير ابن السجري له بالسرجين . ومثله قول الآخر :  
 إنا قتلنا بقتلنا سراتكم أهل اللواء ففيما يكثر القيل  
 وهذا يتضمن معنى قول المؤلف فى هذا الشاهد .



الذين جاءوا به (أُتْمِدُ وَنَسِي بِمَالٍ ؟ فَفَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ ) لأنه لاجابة لي بهديتكم ، وليس رأيي فيه كرايكم ، فارجعوا اليها بما جئتم به من عندها ، ( فَلَسْنَا تَبِينَهُمْ بِجُنُودٍ لَاقِبِلَ لَكُمْ بِهَا ) .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح في قوله ( فَلَسْنَا تَبِينَهُمْ بِجُنُودٍ لَاقِبِلَ لَكُمْ بِهَا ) قال : لاطاقة لهم بها .

وقوله ( وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ) يقول : ولنخرجن من أرسلكم من أرضهم أذلة وهم صاغرون ، إن لم يأتوني مسلمين .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه : ( وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ) ، أو لتأنيب مسلمة هي وقومها .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عَفْرِتٌ مَنْ  
الْجَنُّ أَنَا أَمْ آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ، وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ  
عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ، فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ، قَالَ  
هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ، لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ، وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ  
كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠)

اختلف أهل العلم في الحين الذي قال فيه سليمان ( يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِي ) فقال بعضهم : قال ذلك حين أتاه الهدهد بنياً صاحبة سبأ ، وقال له ( جِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ) وأخبره أن لها عرشاً عظيماً ، فقال له سليمان صلى الله عليه وسلم ( سَتَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ) . فكان اختياره صدقه من كذبه بأن قال لهؤلاء : أيكم يأتيني بعرش هذه المرأة ، قبل أن يأتوني مسلمين ؟ وقالوا : إنما كتب سليمان الكتاب مع الهدهد إلى المرأة ، بعد ما صحَّ عنده صدق الهدهد ، بمعنى العالم بعرشها إليه ، على ما وصفه به الهدهد . قالوا : ولولا ذلك كان محالاً أن يكتب معه كتاباً إلى من لا يدري : هل هو في الدنيا أم لا ؟ قالوا : وأخرى أنه لو كان كتب مع الهدهد كتاباً إلى المرأة ، قبل مجيء العالم بعرشها إليه ، وقبل علمه صدق الهدهد بذلك ، لم يكن لقوله له ( سَتَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ) معنى ، لأنه لا يلبس بخبره الثاني ، من إبلاغه إياها الكتاب ، أو ترك إبلاغه إياها ذلك ، إلا نحو الذي علم بخبره الأول ، حين قال له ( جِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ) قالوا : وإن لم يكن في الكتاب معهم امتحان صدقه من كذبه ، وكان

محالاً أن يقول نبي الله قولاً لا معنى له ، وقد قال ( سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ) علم أن الذي امتحن به صدق الهدهد من كذبه ، هو مصير عرش المرأة إليه ، على ما أخبره به الهدهد ، الشاهد على صدقه ، ثم كان الكتاب معه بعد ذلك إليها .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : إن سليمان أوتي ملكاً ، وكان لا يعلم أن أحداً أوتي ملكاً غيره ؛ فلما فقد الهدهد سأله : من أين جئت ؟ ووعده وعيدا شديداً بالقتل والعذاب ، قال ( جِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ) قال له سليمان : ما هذا النبأ ؟ قال الهدهد : ( إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً ) بسبأ ( تَمْلِكُهُمْ ) ، وأوتيت من كل شيء ، ولها عرش عظيم ) فلما أخبر الهدهد سليمان أنه وجد سلطانا ، أنكر أن يكون لأحد في الأرض سلطان غيره ، فقال لمن عنده من الجن والإنس ( يا أيها الملأ ، أيكمم ) يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ؟ قال عفريت من الجن أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك ، وإني عليه لقوي أمين ) . قال سليمان : أريد أعجل من ذلك ( قال الذي عنده علم من الكتاب ) وهو رجل من الإنس عنده علم من الكتاب فيه اسم الله الأكبر ، الذي إذا دعي به أجاب : ( أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك ) فدعا بالاسم ، وهو عنده قائم ، فاحتمل العرش احتمالا ، حتى وضع بين يدي سليمان ، والله صنع ذلك ؛ فلما أتى سليمان بالعرش وهم مشركون ، يسجدون للشمس والقمر ، أخبره الهدهد بذلك ، فكتب معه كتابا ثم بعثه إليهم ، حتى إذا جاء الهدهد الملكة أتى إليها الكتاب ( قالت يا أيها الملأ إني ألقى إلى كتاب كريم ) . . . إلى ( وأتوني مسلمين ) فقالت : لقومها ما قالت ( وإني مرسلت إليهم بهديئة ، فناظرة بما يرجع المرسلون ) قال : وبعثت إليه بوصائف ووصفاء ، وألبستهم لباسا واحدا ، حتى لا يعرف ذكر من أتى ، فقالت : إن زيل بينهم ، حتى يعرف الذكر من الأنثى ، ثم رد الهدية ، فإنه نبي ، وينبغي لنا أن نترك ملكنا ونتبع دينه ونلحق به ، فرد سليمان الهدية ، وزيل بينهم ، فقال : هؤلاء غلمان ، وهؤلاء جوار . وقال ( أتمدونني بمال ؟ فما آتاني الله خبير مما آتاكم ، بل أنتم بهديتكم تفرحون ) . . . إلى آخر الآية .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ) . . . الآية ؛ قال : وأنكر سليمان أن يكون لأحد على الأرض سلطان غيره ، قال لمن حوله من الجن والإنس ( أيكمم ) يأتيني بعرشها . . . الآية ؟ وقال آخرون : بل إنما اختبر صدق الهدهد سليمان بالكتاب ، وإنما سأل من عنده إحضاره عرش المرأة ، بعد ما خرجت رسلها من عنده ، وبعد أن أقبلت المرأة إليه .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : لما رجعت إليها الرسل بما قال سليمان ، قالت : قد والله عرفت ما هذا بملك ، وما لنا به طاقة ، وما نصنع



بمكائثرته شيئاً ، وبعثت : إني قادمة عليك بملوك قومي ، حتى أنظر ما أمرك ، وما تدعو إليه من دينك ، ثم أمرت بسرير ملكها ، الذي كانت تجلس عليه ، وكان من ذهب ، مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ ، فجعل في سبعة أبيات بعضها في بعض ، ثم أقفلت عليه الأبواب ، وكانت إنما يخدمها النساء ، معها ست مئة امرأة يخدمنها ؛ ثم قالت لمن خلقت على سلطانها ، احتفظ بما قبيلك ، وبسرير ملكي ، فلا يخلص إليه أحد من عباد الله ، ولا يرينه أحد حتى آتيك ؛ ثم شخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف ، قيل معها من ملوك اليمن ، تحت يد كل قيل منهم ألوف كثيرة ، فجعل سليمان يبعث الجن ، فيأتونه بمسيرها ومنهاها كل يوم وليلة ، حتى إذا دنت جمع من عنده من الجن والإنس ، ممن تحت يده ، فقال ( يا أيُّها الملأُ ، أيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ) .

وتأويل الكلام : قال سليمان لأشراف من حضره من جنده ، من الجن والإنس : ( يا أيُّها الملأُ ، أيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ؟ ) يعني سريرها .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله ( أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ) قال : سرير في أريكة ه حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : عرشها سرير في أريكة . قال ابن جريج : سرير من ذهب ، قوائمه من جوهر ولؤلؤ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ( أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ) : بسريرها .

وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ؟ ) قال : مجلسها .

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله خص سليمان مسألة الملأ من جنده لإحضار عرش هذه المرأة من بين إملاكها قبل إسلامها ، فقال بعضهم : إنما فعل ذلك لأنه أعجبه حين وصف له الهدهد صفته ، وخشى أن تسلم ، فيحرم عليه مالها ، فأراد أن يأخذ سريرها ذلك قبل أن يحرم عليه أخذه بإسلامها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : أخبر سليمان الهدهد أنها قد خرجت لتأنيه ، وأخبر بعرضها فأعجبه ، كان من ذهب وقوائمه من جوهر مكلَّل باللؤلؤ ، فعرف أنهم إن جاءوه مسلمين ، لم تحل لهم أموالهم ، فقال للجن ( أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ) ؟

وقال آخرون : بل فعل ذلك سليمان ، ليعاتبها به ، ويختبر به عقلها ، هل تثبته إذا رآته ، أم تنكره ؟

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أعلم الله سليمان أنها ستأنيه ، فقال :

( أَيْكُمْ يَا تَيْبِي بَعْرُشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ) حتى يعاتبها ، وكانت الملوك يتعابون بالعلم .  
واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ) فقال بعضهم : معناه : قبل أن  
يأتوني مستسلمين طوعا .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ) يقول : طائعين .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : قبل أن يأتوني مسلمين الإسلام الذي هو دين الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ( أَيْكُمْ يَا تَيْبِي بَعْرُشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ) بحُرْمَةِ الإسلام ، فيمنعهم وأموالهم ، يعنى الإسلام بمنعهم .  
قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب ، في السبب الذي من أجله خصّ سليمان بسؤاله الملائكة من جنده  
بإحضاره عرش هذه المرأة ، دون سائر ملكها عندنا ، ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته ، ويعرفها بذلك قدرة  
الله وعظيم شأنه : أنها خلقت في بيت في جوف آيات ، بعضها في جوف بعض ، مغلقة مغلقة عليها ، فأخرجه  
الله من ذلك كله ، بغير فتح أغلاق وأقفال ، حتى أوصله إلى وليه من خلقه ، وسلمه إليه ، فكان لها  
في ذلك أعظم حجة ، على حقيقة ما دعاها إليه سليمان ، وعلى صدق سليمان فيما أعلمها من نبوته .  
فأما الذي هو أولى التأويلين في قوله ( قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ) بتأويله ، فقول ابن عباس ، الذي  
ذكرناه قبل ، من أن معناه طائعين ، لأن المرأة لم تأت سليمان إذ أتته مسلمة ، وإنما أسلمت بعد منقدها عليه ،  
وبعد محاورة جرت بينهما ومساءلة .

وقوله ( قَالَ عِيفْرِيَّتُ مِنَ الْجِنِّ ) يقول تعالى ذكره : قال رئيس من الجنّ مارد قوى . وللعرب  
فيه لغتان : عِيفْرِيَّتُ ، وعِيفْرِيَّةُ ؛ فن قال : عِيفْرِيَّةُ ، جمعه : عِيفْرِيٌّ ؛ ومن قال : عِيفْرِيَّتُ ، جمعه : عِيفْرِيَّتُ ؛  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال مجاهد ( قَالَ عِيفْرِيَّتُ مِنَ الْجِنِّ ) قال : مارد من الجنّ ( أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة وغيره ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن بعض أصحابه ( قَالَ عِيفْرِيَّتُ )

قال : داهية .

قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني وهب بن سليمان ، عن شعيب الجبتيّ ، قال :

العفريت الذي ذكره الله اسمه : كوزن .



حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، قال : عفريت اسمه كوزن .  
وقوله ( أنا آتيتك به قبيل أن تقوم من مقامك ) يقول : أنا آتيتك بعرشها قبل أن تقوم من  
مقعدك هذا . وكان فيما ذكر قاعدا للقضاء بين الناس ، فقال : أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مجلسك هذا ،  
الذي جلست فيه للحكم بين الناس . وذكر أنه كان يقعد إلى انتصاف النهار .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة وغيره ، مثله . قال : وكان يقضى ،  
قال : قبل أن تقوم من مجلسك الذي تقضى فيه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ( أنا  
آتيتك به قبيل أن تقوم من مقامك ) يعني مجلسه .  
وقوله ( ولاتي عليته لقيوي أمين ) على ما فيه من الجواهر ، ولا أخون فيه .  
وقد قيل : أمين على فرج المرأة .

## ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله ( ولاتي  
عليته لقيوي أمين ) يقول : قوی علی حمله ، أمين على فرج هذه .  
قوله ( قال الذي عنده علم من الكتاب ) يقول جل ثناؤه : قال الذي عنده علم من كتاب الله ،  
وكان رجلا فيما ذكر من بني آدم ، فقال بعضهم : اسمه بليخا .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عثمة ، قال : ثنا شعبة ، عن بشر ، عن قتادة ، في قوله ( قال  
الذي عنده علم من الكتاب ) قال : كان اسمه بليخا .  
حدثنا يحيى بن داود الواسطي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، في قوله ( الذي  
عنده علم من الكتاب ) رجل من الإنس .  
حدثنا ابن عرفة ، قال : ثنا مروان بن معاوية الفزاري ، عن العلاء بن عبد الكريم ، عن مجاهد ، في قول  
الله ( قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به ) قال : أنا أنظر في كتاب ربي ، ثم آتيتك  
به ( قبيل أن يرتد إليك طرفك ) قال : فتكلم ذلك العالم بكلام دخل العرش تحت الأرض ، حتى  
خرج إليهم .

حدثنا ابن عرفة ، قال : ثنى حماد بن محمد ، عن عثمان بن مطر ، عن الزهري ، قال : دعا الذي عنده علم من الكتاب : يا إلهنا وإله كل شيء إلهنا واحدا ، لا إله إلا أنت ، انتنى بعرشها ، قال : فثقل بين يديه .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ( قال الذي عنده علم من الكتاب ) قال : رجل من بني آدم ، أحسبه قال : من بني إسرائيل ، كان يعلم اسم الله الذي إذا دُعِيَ به أجاب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( الذي عنده علم من الكتاب ) قال : الاسم الذي إذا دُعِيَ به أجاب ، وهو : يا ذا الجلال والإكرام .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : قال سليمان لمن حوله ( أَيُكُفُّمُ يَا تَيْبِي بَعْرُشِهَا قَبْلَ أَنْ يَا تُبُوِي مُسْلِمِينَ ) فقال عفريت : ( أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ) قال سليمان : أريد أعجل من ذلك ، فقال رجل من الإنس عنده علم من الكتاب ، يعني اسم الله الذي إذا دُعِيَ به أجاب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( قال عفريت من الجن أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ، وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِي أَمِينٌ ) لآتِيكَ بغيره ، أقول : غيره : أمثله لك . قال : وخرج يومئذ رجل عابد في جزيرة من البحر ، فلما سمع العفريت ( قال أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ) قال : ثم دعا باسم من أسماء الله ، فإذا هو يُحْمَلُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وقرأ ( فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ، قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ) ... حتى بلغ ( إِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال رجل من الإنس . قال : وقال مجاهد : الذي عنده علم من الكتاب : علم اسم الله . وقال آخرون : الذي عنده علم من الكتاب ، كان آصف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال عفريت لسليمان ( أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ، وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِي أَمِينٌ ) . فزعموا أن سليمان بن داود قال : أبتغي أعجل من هذا ، فقال آصف بن برخيا ، وكان صديقا يعلم الاسم الأعظم ، الذي إذا دعى الله به أجاب ، وإذا سئل به أعطى : ( أنا ) يا نبي الله ( آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ) .  
وقوله ( أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك : فقال بعضهم : معناه : أنا آتِيكَ به قبل أن يصل إليك من كان منك على مد البصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى إبراهيم ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن سعيد بن



جُبَيْرٍ (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قال : من قبل أن يرجع إليك أقصى من ترى ، فذلك قوله (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، قال : قال غير قتادة (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قبل أن يأتيك الشخص من مدّ البصر .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : من قبل أن يبلغ طرفك مداه وغايته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) تمدّ عينك ، فلا ينتهي طرفك إلى مداه ، حتى أمثله بين يديك ، قال : ذلك أريد . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثام ، عن إسماعيل ، عن سعيد بن جبّير ، قال : أنخبرت أنه قال : ارفع طرفك من حيث يجيء ، فلم يرجع إليه طرفه حتى وضع العرش بين يديه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء ، عن مجاهد ، في قوله (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قال : مدّ بصره .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قال : إذا مدّ البصر حتى يردّ الطرف خاسئاً .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قال : إذا مدّ البصر حتى يحسّر الطرف .

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : قبل أن يرجع إليك طرفك من أقصى أثره ، وذلك أن معنى قوله (يَرْتَدَّ إِلَيْكَ) يرجع إليك البصر ، إذا فتحت العين غير راجع ، بل إنما يمتدّ ماضياً إلى أن يتناهى ما امتدّ نوره . فإذا كان ذلك كذلك ، وكان الله إنما أخبرنا عن قائل ذلك (أنا آتيتك به قبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ) لم يكن لنا أن نقول : (أنا آتيتك به قبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ) راجعاً (إلَيْكَ طَرْفُكَ) من عند منناه .

وقوله (فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ) يقول : فلما رأى سليمان عرش ملكة سبأ مستقرّاً عنده : وفي الكلام متروك استغنى بدلالة ما ظهر عما ترك ، وهو : فدعا الله ، فأُتِيَ به ؛ فلما رآه سليمان مستقرّاً عنده . وذكر أن العالم دعا الله ، فغار العرش في المكان الذي كان به ، ثم نبع من تحت الأرض بين يدي سليمان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : ذكروا أن آصف بن برخيا توفّأ ، ثم رجع ركعتين ، ثم قال : يا نبيّ الله ، امدد عينك حتى ينتهي طرفك ،

فدّ سليمان عينه ينظر إليه نحو اليمن ، ودعا آصف ، فانخرق بالعرش مكانه الذي هو فيه ، ثم نبع بين يدي سليمان ، فلما رآه سليمان مستقراً عنده ( قال هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ) . . . الآية .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : نبع عرشها من تحت الأرض .

وقوله ( قال هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ) يقول : هذا البصر والتمكن والملك والسلطان الذي أنا فيه ، حتى أُحمِل إلى عرش هذه في قدر ارتداد الطرف ، من مأرب إلى الشام ، من فضل ربي الذي أفضّله عليّ ، وعطائه الذي جاد به عليّ ، ليلوني ، يقول : ليختبرني ويمتحنني ، أشكر ذلك من فعله عليّ ، أم أكفر نعمته عليّ ، بترك الشكر له .

وقد قيل : إن معناه : أشكر على عرش هذه المرأة ، إذ أتيت به ، أم أكفر إذ رأيت من هو دوني في الدنيا أعلم مني .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرير ، قال : أخبرني عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، في قوله ( فلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرُ ) على السرير إذ أتيت به ( أم أكفر ) إذ رأيت من هو دوني في الدنيا أعلم مني ؟

وقوله ( وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ) يقول : ومن شكر نعمة الله عليه ، وفضله عليه ، فإنما يشكر طلب نفع نفسه ، لأنه ليس ينفع بذلك غير نفسه ، لأنه لا حاجة لله إلى أحد من خلقه ، وإنما دعاهم إلى شكره ، تعريضا منه لهم للنفع ، لا لاجتلاب منه بشكرهم إياه نفعاً إلى نفسه ، ولا دفع ضرر عنها ، ( وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ) يقول : ومن كفر نعمه وإحسانه إليه ، وفضله عليه ، لنفسه ظلم ، وحظها بحس ، والله غني عن شكره ، لا حاجة به إليه ، لا يضره كفر من كفر به من خلقه . كريم ، ومن كرمه إفضاله على من يكفر نعمه ، ويجعلها وصلة يتوصل بها إلى معاصيه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ أَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١)

يقول تعالى ذكره : قال سليمان لما أتى عرش بلقيس صاحبة سبأ ، وقدمت هي عليه لخدمته : غيروا هذه المرأة سريرها :

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله ( نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا ) قال : غيروا .



حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : فلما أتته ( قال نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا ) قال : وتنكير العرش ، أنه زيد فيه ونقص .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا ) قال : غيره .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا ) قال : مجلسها الذي تجلس فيه .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول ، في قوله ( نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا ) : أمرهم أن يزدوا فيه ، وينقصوا منه .

وقوله ( نَنْظُرُ أَهْتَدِي ) يقول : ننظر أتعلقت فتثبتت عرشها أنه هو الذي لها ( أم تكون من الذين ) يقول : من الذين لا يعقلون ، فلا تثبت عرشها .

وقيل : إن سليمان إنما نكر لها عرشها ، وأمر بالصرح يعمل لها ، من أجل أن الشياطين كانوا أخبروه أنه لا عقل لها ، وأن رجلها كحافر حمار ، فأراد أن يعرف صحة ما قيل له من ذلك .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ( أَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ( نَنْظُرُ أَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ) قال : زيد في عرشها ونقص منه ، لينظر إلى عقلها ، فوجدت ثابتة العقل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( نَنْظُرُ أَهْتَدِي ) أتعرفه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثني ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( نَنْظُرُ أَهْتَدِي ) قال : تعرفه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه : ( أَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ) : أي أتعلقت ، أم تكون من الذين لا يعقلون ؟ ففعل ذلك لينظر أتعرفه ، أم لاتعرفه ؟

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهْكَذَا عَرْشُكَ؟ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ . وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَوْ كُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢)

يقول تعالى ذكره : لما جاءت صاحبة سبأ سليمان ، أخرج لها عرشها ، فقال لها : أهكذا عرشك ؟ قالت وشبهته به : كأنه هو .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : لما انتهت إلى سليمان وكلمته أخرج لها عرشها ، ثم قال ( أهكذا عرشك ؟ قالت كأنه هو ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ؛ فلما جاءت قيل ( أهكذا عرشك ؟ قالت كأنه هو ) قال : شبهته ، وكانت قد تركته خلفها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان أبي يحدثنا هذا الحديث كله ، يعني حديث سليمان ، وهذه المرأة ؛ فلما جاءت ( قيل أهكذا عرشك ؟ قالت كأنه هو ) شككت .

وقوله ( وأوتينا العلم من قبلها ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل سليمان : وقال سليمان وأوتينا العلم من قبل هذه المرأة بالله ، وبقدرته على ما يشاء ، وكنا مسلمين لله من قبلها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وأوتينا العلم من قبلها ) قال : سليمان يقوله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣)

يقول تعالى ذكره : ومنع هذه المرأة صاحبة سبأ ما كانت تعبد من دون الله ، وذلك عبادتها الشمس ، أن تعبد الله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وصدَّها ما كانت تعبد من دون الله ) قال : كفرها بقضاء الله غير الوثن ! أن تهتدى للحق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وصدَّها ما كانت

(١) لعل العبارة سقط منها كلمة ، وهي « صدَّها » . كما تدل الرواية الآتية بعد .



تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) قال : كفرها بقضاء الله ، صدّها أن تهتدى للحق . ولو قيل : معنى ذلك : وصدّها سليمان ما كانت تعبد من دون الله ، بمعنى : منعها وحال بينها وبينه ، كان وجها حسنا . ولو قيل أيضا : وصدّها الله ذلك ، بتوفيقها للإسلام ، كان أيضا وجها صحيحا .

وقوله ( إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ) يقول : إن هذه المرأة كانت كافرة من قوم كافرين . وكسرت الألف من قوله «إنها» على الابتداء . ومن تأول قوله ( وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) التأويل الذي تأولنا ، كانت «ما» من قوله ( ما كَانَتْ تَعْبُدُ ) في موضع رفع بالصدّ ، لأن المعنى فيه لم يصدّها عن عبادة الله جهلها ، وأنها لاتعقل ، إنما صدّها عن عبادة الله عبادتها الشمس والقمر ، وكان ذلك من دين قومها وآبائها ، فاتبعت فيه آثارهم . ومن تأوله على الوجهين الآخرين ، كانت «ما» في موضع نصب .

### القول في تأويل قوله تعالى

قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ، قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ

مِّنْ قَوَارِيرَ ، قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤)

﴿٤٤﴾ ذكر أن سليمان لما أقبلت صاحبة سبأ تريده ، أمر الشياطين فبنوا له صرّحا ، وهو كهيئة السطح من قوارير ، وأجرى من تحته الماء ليختبر عقلها بذلك ، وفهمها ، على نحو الذي كانت تفعل هي من توجيهها إليه الوصائف والوصفاء ، ليميز بين الذكور منهم والإناث ، معاتبه بذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : أمر سليمان بالصرّح ، وقد عملته له الشياطين من زجاج ، كأنه الماء بياضا ، ثم أرسل الماء تحته ، ثم وضع له فيه سريره ، فجلس عليه ، وعكفت عليه الطير والجن والإنس ، ثم قال : ادخلي الصرح ، ليربها ملكا هو أعز من ملكها ، وسلطانا هو أعظم من سلطانها . ( فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً ، وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ) لانتشك أنه ماء تخوضه ، قيل لها : ادخلي ، إنه صرح ممرد من قوارير ؛ فلما وقفت على سليمان ، دعاها إلى عبادة الله ، وعابها في عبادتها الشمس دون الله ، فقالت بقول الزنادقة ، فوقع سليمان ساجدا إعظاما لما قالت ، وسجد معه الناس ، وسقط في يديها حين رأت سليمان صنع ما صنع ؛ فلما رفع سليمان رأسه قال : وَيَحْكُ مَاذَا قُلْتَ ؟ قال : وَأُنْسِيَتْ مَا قُلْتَ ، فقالت ( رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) وأسلمت ، فحسّن إسلامها .

وقيل : إن سليمان إنما أمر ببناء الصرّح على ما وصفه الله ، لأن الجن خافت من سليمان أن يترجها ، فأرادوا أن يزهوه فيها ، فقالوا : إن رجلها رجل حمار ، وإن أمها كانت من الجن ، فأراد سليمان أن يعلم حقيقة ما أخبرته الجن من ذلك .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : قالت الجن لسليان تزهد في بلقيس : إن رجلها رجل حمار ، وإن أمها كانت من الجن ، فأمر سليان بالصرح ، فعميل ، فسجن فيه دواب البحر : الحيتان ، والضفادع ، فلما بصرت بالصرح قالت : ما وجد ابن داود عذابا يقتلني به إلا الغرق ؟ ( فَحَسِبْتَهُ لُجَّةً ، وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا ) قال : فإذا أحسن الناس ساقا وقدماء ، قال : فضن سليان بساقها عن موسى ، قال : فاتخذت النورة بذلك السبب .

وجائز عندي أن يكون سليان أمر باتخاذ الصرح للأمرين : الذي قاله وهب ، والذي قاله محمد بن كعب القرظي ، ليختبر عقلا ، وينظر إلى ساقها وقدمها ، ليعرف صحة ما قيل له فيها .

وكان مجاهد يقول فيما ذكر عنه في معنى الصرح : ما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( الصَّرْحُ ) قال : بركة من ماء ، ضرب عليها سليان قوارير ألبسها . قال : وكانت بلقيس هلباء شعراء ، قدمها كحافر الحمار ، وكانت أمها جنية .

حدثني أحمد بن الوليد الرملي ، قال : ثنا هشام بن عمار ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن النضر بن أنس ، عن بشير بن نهيك ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( كَانَ أَحَدُ أَبَوَيْ صَاحِبَتِهِ سَبَأً جِنِّيًّا ) .

قال : ثنا صفوان بن صالح ، قال : ثنا الوليد ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن بشير بن نهيك ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر النضر بن أنس . وقوله ( فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً ) يقول : فلما رأت المرأة الصرح حسبته لياضه واضطراب دواب الماء تحته : لجة بحر ، كشفت عن ساقها ، لتخوضه إلى سليان . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ( قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً ) قال : وكان من قوارير ، وكان الماء من خلفه ، فحسبته لجة . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( حَسِبَتْهُ لُجَّةً ) قال : بحرا .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا ابن سوار ، قال : ثنا روح بن القاسم ، عن عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، في قوله ( وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا ) فإذا هما شعراوان ، فقال : ألا شيء يُدْهَبُ هذا ؟ قالوا : موسى ، قال : لا ، موسى له أثر ، فأمر بالنورة ، فصنعت .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، عن عمران بن سليان ، عن عكرمة وأبي صالح قالا : لما



تزوج سليمان بلقيس قالت له : لم تسمى حديدة قط ، قال سليمان للشياطين : انظروا ما يذهب الشعر ؟ قالوا : النورة ، فكان أول من صنع النورة .  
وقوله ( إِنَّهُ صَرَحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنَ قَوَارِيرَ ) يقول جل ثناؤه : قال سليمان لها : إن هذا ليس ببحر ، إنه صرح ممرّد من قوارير ، يقول : إنما هو بناء مبنّى مشيّد من قوارير .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، ( مُّمَرَّدٌ ) قال : مُشَيّد .  
وقوله ( قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ ) ... الآية ، يقول تعالى ذكره  
قالت المرأة صاحبة سبأ : ربّ إني ظلمت نفسي في عبادتي الشمس ، وسجودى لما دونك ( وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ ) تقول : وانقدت مع سليمان ، مذعنة لله بالتوحيد ، مفردة له بالألوهة والربوبية ، دون كل من سواه .  
وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في ( حَسْبَيْتَهُ بُحَّةً ) قال : إنه صرح ممرّد من قوارير ، فعرفت أنها قد غلبت ( قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ ) لله رب العالمين .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ، فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥)  
قَالَ : يَقُومُ لِيَمَّ تَسْتَمَجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ، لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ ، لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٦)  
يقول تعالى ذكره : ( وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ ) وحده لاشريك له ، ولا تجعلوا معه إلها غيره ( فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ) يقول : فلما أتاهم صالح داعيا لهم إلى الله ، صار قومه من ثمود فيما دعاهم إليه فريقين يختصمون ، فريق مصدّق صالحا مؤمن به ، وفريق مكذّب به ، كافر بما جاء به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ) قال : مؤمن وكافر ، قولهم صالح مرسل ، وقولهم صالح ليس بمرسل . ويعنى بقوله ( يَخْتَصِمُونَ ) يختلفون .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ) قال : مؤمن ، وكافر .

وقوله ( قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ؟ ) يقول تعالى ذكره : قال صالح لقومه : يا قوم لأي شيء تستعجلون بعذاب الله قبل الرحمة .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ) قال : السيئة : العذاب . قبل الحسنه : قبل الرحمة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ ) قال بالعذاب . قبل الحسنه ، قال : العافية .

وقوله ( لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ) يقول : هلا تتوبون إلى الله من كفركم ، فيغفر لكم ربكم عظيم جرؤمكم ، يصفح لكم عن عقوبته إياكم على ما قد أتيتم من عظيم الخطيئة .  
وقوله ( لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ) يقول : ليرحمكم ربكم ، باستغفاركم إياه من كفركم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

تَالْوَأ : أَطَّيْرُنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ ، قَالَ : طَاطِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : قالت ثمود لرسولها صالح : اطَّيْرُنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ : أى تشاء منا بك وبمن معك من أتباعنا ، وزجرنا الطير ، بأنا سيصينا بك وبهم المكاره والمصائب ، فأجابهم صالح ، فقال لهم : طائرکم عند الله ، أى ما زجرتم من الطير لما يصيدكم من المكاره ، عند الله علمه ، لا يُدْرَى أى ذلك كائن ؛ أما تظنون من المصائب أو المكاره ، أم ما لا ترجونه من العافية والرجاء والخاب .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( قَالَ طَاطِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ) يقول : مصائبكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله ( طَاطِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ) علمكم عند الله .

وقوله ( بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ) يقول : بل أنتم قوم تُختَبَرُونَ ، يختبركم ربكم إذ أرسلني إليكم ، أطيعونه ، فعملون بما أمركم به ، فيجزيكم الجزيل من ثوابه ، أم تعصونه ؟ فعملون بخلافه ، فيحلّ بكم عقابه ؟

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُوا : تَقَاسَمُوا

بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ، ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ ، وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٤٩)



يقول تعالى ذكره : وكان في مدينة صالح ، وهي حِجْرُ ثمود ، تسعة أنفس يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، وكان إفسادهم في الأرض : كفرهم بالله ، ومعصيتهم إياه ، وإنما خصَّ الله جلَّ ثناؤه هؤلاء التسعة الرهط بالخبر عنهم ، أنهم كانوا يفسدون في الأرض ، ولا يصلحون ، وإن كان أهل الكفر كلهم في الأرض مفسدين ، لأن هؤلاء التسعة هم الذين سَعَوْا فيما بلغنا في عَقْرِ الناقة ، وتعاونوا عليه ، وتحالفوا على قتل صالح من بين قوم ثمود . وقد ذكرنا قصصهم وأخبارهم فيما مضى من كتابنا هذا .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (تِسْعَةُ رَهْطٍ) قال : من قوم صالح .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وكان في المدينة تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ) هم الذين عقروا الناقة ، وقالوا حين عقروها : نبيت صالحا وأهله فنقتلهم ، ثم نقول لأولياء صالح : ما شهدنا من هذا شيئا ، وما لنا به علم ، فدمرهم الله أجمعين .

وقوله (قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ) يقول تعالى ذكره : قال هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في أرض حِجْرِ ثمود ، ولا يصلحون ، تقاسموا بالله : تحالفوا بالله أيها القوم ، ليحليف بعضكم لبعض : لنبيت صالحا وأهله ، فلنقتلنه ، ثم لنقولن لوليه : ما شهدنا مهلك أهله .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ) قال : تحالفوا على إهلاكه ، فلم يصلوا إليه ، حتى هلكوا وقومهم أجمعون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، بنحوه .  
ويتوجه قوله (تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ) إلى وجهين : أحدهما النصب على وجه الخبر ، كأنه قيل : قالوا متقاسمين وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله (وَلَا يُصْلِحُونَ . تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ) وليس فيها قالوا ، فذلك من قراءته يدل على وجه النصب في تقاسموا ، على ما وصفت . والوجه الآخر : الجزم كأنهم قال بعضهم لبعض : أقسموا بالله ، فعلى هذا الوجه الثاني تصلح قراءة (لَنُبَيِّتَنَّهُ) بالياء والنون ، لأن القائل لهم تقاسموا ، وإن كان هو الأمر ، فهو فيمن أقسم ، كما يقال في الكلام : انهضوا بنا تمض إلى فلان ، وانهضوا تمضى إليه . وعلى الوجه الأول الذي هو وجه النصب ، القراءة فيه بالنون أفصح ، لأن معناه : قالوا متقاسمين لنبيتته ، وقد

تجوز الياء على هذا الوجه ، كما يقال في الكلام : قالوا لنكر من أبك ، وليك من أبك ، وبالنون قرأ ذلك قرأ المدينة ، وعامة قرأ البصرة ، وبعض الكوفيين . وأما الأغلب على قرأ أهل الكوفة ، فقراءته بالياء ، وضم التاء جميعا . وأما بعض المكيين ، فقراءه بالياء .

وأعجب القراءات في ذلك إلى النون ، لأن ذلك أفصح الكلام على الوجهين اللذين بينت من النصب والجزم ، وإن كان كل ذلك صحيحا غير فاسد لما وصفت ، وأكرهها إلى القراءة بها الياء ، لقلّة قارئ ذلك كذلك . وقوله ( لَسُبَيْتَنَّهُ ) قال : لبيبتن صالحا ، ثم يفتكوا به .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : التسعة الذين عقروا الناقة : هلم فلنقتل صالحا ، فإن كان صادقا ، يعني فيما وعدهم من العذاب بعد الثلاث ، عجلناه قبله ، وإن كان كاذبا ، نكون قد أحقناه بناقته ، فأتوه ليلا ليبيتوه في أهله ، فدمغتهم الملائكة بالحجارة ، فلما أبطنوا على أصحابهم ، أتوا منزل صالح ، فوجدوهم مشدوخين ، قد رضحوا بالحجارة . وقوله ( وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ) نقول لوليه : وإنا لصادقون ، أنا ما شهدنا مهلك أهله .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١)

يقول تعالى ذكره : وغدر هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض بصالح ، بمصيرهم إليه ليلا ليقتلوه وأهله ، وصالح لا يشعر بذلك ( وَمَكَرْنَا مَكْرًا ) يقول : فأخذناهم بعقوبتنا إياهم ، وتعجيلنا العذاب لهم ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) بمكرنا .

وقد بيننا فيما مضى معنى : مكر الله بمن مكر به ، وما وجه ذلك ، وأنه أخذ من أخذ منه على غيرة ، أو استدراجهم من استدراج على كفره به ، ومعصيته إياه ، ثم إحلاله العقوبة به على غيرة وغفلة . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن شير بن عطية ، عن رجل ، عن علي ، قال : المكر غدر ، والغدر كفر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا ) قال : احتالوا الأمرهم ، واحتال الله لهم ، مكرّوا بصالح مكرّا ، ومكرنا بهم مكرّا ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) بمكرنا ، وشعرونا بمكرهم . قالوا : زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث ، فنحن نفرغ منه وأهله قبل ذلك ، وكان له مسجد في الحجر في شعب يصبلي فيه ، فخرجوا إلى كهف ، وقالوا : إذا جاء يصبلي قتلناه ،



ثم رجعنا إذا فرغنا منه إلى أهله ، ففرغنا منهم ، وقرأ قول الله تبارك وتعالى ( قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ، ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ ، وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ) فبعث الله صخرة من الهضب حياهم ، فخشوا أن تشدحهم ، فبادروا الغار ، فطبقت الصخرة عليهم فم ذلك الغار ، فلا يدرى قومهم أين هم ؟ ولا يدرون ما فعل بقومهم ؟ فعذب الله تبارك وتعالى هؤلاء هاهنا ، وهؤلاء هنا ، وأنجى الله صالحا ومن معه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ( وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا ) قال : فسلط الله عليهم صخرة فقتلهم .

وقوله ( فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْرِهِمْ ) يقول تعالى ذكره : فانظر يا محمد بعين قلبك إلى عاقبة غدر ثمود بنبيهم صالح ، كيف كانت ؟ وما الذي أورتها اعتداؤهم وطغيانهم وتكذيبهم ؟ فإن ذلك سنتنا فيمن كذب رسلنا ، وطغى علينا من سائر الخلق ، فحذر قومك من قریش ، أن ينالهم بتكذيبهم إياك ، ما نال ثمود بتكذيبهم صالحا من المثلث .

وقوله ( إِنَّا دَمَرْنَاَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ) يقول : إنا دمرنا التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض من قوم صالح وقومهم من ثمود أجمعين ، فلم نبق منهم أحدا .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( إِنَّا ) فقرأ بكسرهما عامة قراء الحجاز والبصرة على الابتداء ، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ( أَنَا دَمَرْنَاَهُمْ ) بفتح الألف . وإذا فُتحت كان في ( أَنَا ) وجهان من الإعراب : أحدهما الرفع على ردها على العاقبة على الإتيان لها ، والآخر النصب على الرد على موضع كيف ، لأنها في موضع نصب إن شئت ، وإن شئت على تكرير كان عليها على وجه ، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم ؟ كان عاقبة مكرهم تدميرنا إياهم .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندى : أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فأبتهما قرأ القارى فصيبي .

القول في تأويل قوله تعالى

فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأُنْحِيتْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣)

بأي معنى تعالى ذكره بقوله ( فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ ) فتلك مساكنهم خاوية خالية منهم ، ليس فيها منهم أحد ، قد أهلكهم الله فأبادهم ( بما ظلموا ) : يقول تعالى ذكره : بظلمهم أنفسهم ، بشركهم بالله ، وتكذيبهم رسوله ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ) يقول تعالى ذكره : إن في فعلنا بتمود ما قصصنا عليك يا محمد من القصة ، لعظة لمن يعلم فعلنا بهم ما فعلنا ، من قومك الذين يكذبونك فيما جئتهم به من عند

ربك وعبرة . ( وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا ) يقول : وأنجينا من نعمتنا وعذابنا الذي أحلناه بشمود رسولنا صالحا والمؤمنين به ( وَكَانُوا يَتَّقُونَ ) يقول : وكانوا يتقون بإيمانهم ، وبتصديقهم صالحا ، الذي حلّ بقومهم من ثمود ما حلّ بهم من عذاب الله ، فكذلك ننجيك يا محمد وأتباعك ، عند إحلالنا عقوبتنا بمشركي قومك من بين أظهرهم .

وذكر أن صالحا لما أحلّ الله بقومه ما أحلّ ، خرج هو والمؤمنون به إلى الشام ، فنزل رملة فلسطين :

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ

شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) \*

يقول تعالى ذكره : وأرسلنا لوطا إلى قومه ، إذ قال لهم : يا قوم ( أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ) أنها فاحشة ، لعلمكم بأنه لم يسبقكم إلى ما تفعلون من ذلك أحد . وقوله ( أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً ) منكم بذلك من دون فروج النساء ، التي أباحها الله لكم بالنكاح . وقوله ( بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ) يقول : ما ذلك منكم إلا أنكم قوم سفهاء جهلة بعظيم حق الله عليكم ، فخالفتم لذلك أمره ، وعصيتم رسوله .



التي تسمى بغيره والله اعلم بالصواب...  
 ...  
 ...

ثم الجزء التاسع عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري ،

...  
 ...  
 ...

ويليه الجزء العشرون

أوله القول في تأويل قوله تعالى (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ) . . . الخ

...  
 ...  
 ...

ثم الجزء الحادي عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري ،

...  
 ...  
 ...

...  
 ...  
 ...

# جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عن

## نَافِلَاتِ الْقُرْآنِ

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج  
الناس من الظلمات إلى النور بإذن  
ربهم إلى صراط العزيز الحميد »  
قرآن كريم  
« ما أعلم على آدم الأرض أعلم  
من ابن جرير » .  
محمد بن إصحاق بن خزيمة

تأليف:

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري  
المتوفى ٣١٠ هـ

الجزء العشرون

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر





فهارس الجزء العشرين

من

جامع البيان ، عن تاويل آى القرآن

لابى جعفر : محمد بن جرير الطبرى

الفهرس الاول : للآيات المفسرة .

الفهرس الثانى : للبوضوعات .

الفهرس الثالث : للقوافى .



## ١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٥٦	فما كان جواب قومه . . .	١	٧٩	فتوكل على الله . . .	١٤
٥٧	فأنجيناه وأهله . . .	١	٨٠	إنك لاتسمع الموتى . . .	١٢
٥٨	وأمطرنا عليهم مطرا . . .	١	٨١	وما أنت بهادى العمى . . .	١٢
٥٩	قل الحمد لله وسلام على عباده . . .	٢	٨٢	وإذا وقع القول عليهم . . .	١٢
٦٠	أمّن خلق السموات والأرض . . .	٢	٨٣	ويوم نحشّش من كلّ أمة فوجا . . .	١٧
٦١	أمّن جعل الأرض قرارا . . .	٣	٨٤	حتى إذا جاء وقال أكذبتهم . . .	١٧
٦٢	أمّن يجيب المضطرّ إذا دعاه	٤	٨٥	ووقع القول عليهم . . .	١٧
٦٣	أمّن يهديكم في ظلمات البرّ	٤	٨٦	ألم يروا أنا جعلنا الليل . . .	١٧
٦٤	أمّن يبدأ الخلق ثمّ يعيده .	٥	٨٧	ويوم يُسْفَخ في الصور . . .	١٨
٦٥	قل لا يعلم من في السموات . . .	٥	٨٨	وترى الجبال تحسبها جامدة . . .	٢١
٦٦	بل ادّارك علمهم في الآخرة . . .	٥	٨٩	من جاء بالحسنة .	٢٢
٦٧	وقال الذين كفروا أنذا كنا ترابا . . .	٨	٩٠	ومن جاء بالسيئة . . .	٢٢
٦٨	لقد وعدنا هذا . . .	٨	٩١	إنما أمّرت أن أعبد . . .	٢٤
٦٩	قل سيروا في الأرض . . .	٩	٩٢	وأن أتلو القرآن . . .	٢٥
٧٠	ولا تحزن عليهم . . .	٩	٩٣	وقل الحمد لله . . .	٢٥
٧١	ويقولون متى هذا الوعد . . . ؟	٩	<u>تفسير سورة القصص</u>		
٧٢	قل عسى أن يكون ردّيف لكم . . .	٩	١	طسم .	٢٦
٧٣	وإن ربك لذو فضل على الناس . . .	١٠	٢	تلك آيات الكتاب المبين .	٢٦
٧٤	وإن ربك ليعلم ما تُكِنّ صدورهم . . .	١٠	٣	نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون . . .	٢٦
٧٥	وما من غائبة في السماء والأرض . . .	١١	٤	إن فرعون علا في الأرض . . .	٢٧
٧٦	إن هذا القرآن يقصّ . . .	١١	٥	ونريد أن نمنّ على الذين . . .	٢٨
٧٧	وإنه لهدى ورحمة . . .	١٢	٦	ونمكن لهم في الأرض . . .	٢٨
٧٨	إن ربك يقضى بينهم بحكمه . . .	١٢			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٧	وأوحينا إلى أم موسى . . .	٢٩	٣٤	وأخى هارون هو أفصح منى . . .	٧٤
٨	فالتقطه آل فرعون . . .	٣١	٣٥	قال سنشدّ عضدك بأخيك . . .	٧٥
٩	وقالت امرأة فرعون . . .	٣٣	٣٦	فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات . . .	٧٦
١٠	وأصبح فرؤاد أم موسى . . .	٣٥	٣٧	وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى . . .	٧٦
١١	وقالت لأخته قصيه . . .	٣٨	٣٨	وقال فرعون يا أيها الملأ . . .	٧٧
١٢	وحرّمنا عليه المراضع . . .	٤٠	٣٩	واستكبر هو وجنوده فى الأرض . . .	٧٨
١٣	فرددناه إلى أمه . . .	٤١	٤٠	فأخذناه وجنوده فنبذناهم . . .	٧٨
١٤	ولما بلغ أشده واستوى . . .	٤٢	٤١	وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار . . .	٧٩
١٥	ودخل المدينة على حين غفلة . . .	٤٣	٤٢	وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة . . .	٧٩
١٦	قال : ربّ إني ظلمت نفسى . . .	٤٦	٤٣	ولقد آتينا موسى الكتاب . . .	٧٩
١٧	قال ربّ بما أنعمت علىّ . . .	٤٦	٤٤	وما كنت بجانب الغربيّ . . .	٨٠
١٨	فأصبح فى المدينة خائفا يترقب . . .	٤٧	٤٥	ولكننا أنشأنا قرونا . . .	٨٠
١٩	فلما أراد أن يبطش . . .	٤٩	٤٦	وما كنت بجانب الطور . . .	٨١
٢٠	وجاء رجل من أقصى المدينة . . .	٥٠	٤٧	ولولا أن تصيبهم مصيبة . . .	٨٢
٢١	فخرج منها خائفا يترقب . . .	٥٢	٤٨	فلما جاءهم الحقّ من عندنا . . .	٨٣
٢٢	ولما توجه تلقاء مدين . . .	٥٢	٤٩	قل فأتوا بكتاب من عند الله . . .	٨٦
٢٣	ولما ورد ماء مدين . . .	٥٤	٥٠	فان لم يستجيبيوا لك . . .	٨٦
٢٤	فستى لهما . . .	٥٨	٥١	ولقد فضلنا لهم القول . . .	٨٧
٢٥	فجاءته إحداهما تمثلى . . .	٦٠	٥٢	الذين آتيناهم الكتاب . . .	٨٧
٢٦	قالت إحداهما يا أبت استأجره . . .	٦٢	٥٣	وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به . . .	٨٩
٢٧	قال إني أريد . . .	٦٥	٥٤	أولئك يؤتون أجرهم مرتين . . .	٩٠
٢٨	قال ذلك بينى وبينك . . .	٦٥	٥٥	وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه . . .	٩٠
٢٩	فلما قضى موسى الأجل . . .	٦٧	٥٦	إنك لا تهدى من أحببت . . .	٩١
٣٠	فلما أتاها نودى . . .	٧٠	٥٧	وقالوا إن تتبع الهدى معك . . .	٩٣
٣١	وألق عصاك . . .	٧١	٥٨	وكم أهلكتنا من قرية . . .	٩٥
٣٢	أسلك يدك . . .	٧٢	٥٩	وما كان ربك مهلك القرى . . .	٩٥
٣٣	قال ربّ إني قتلت . . .	٧٤	٦٠	وما أوتيتم من شيء . . .	٩٦



الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	<u>تفسير سورة العنكبوت</u>				
١	الم . . .	١٢٧	٦١	أفمن وعدناه وعدا حسنا . . .	٩٦
٢	أحسب الناس أن يُمسكوا .	١٢٧	٦٢	ويوم يناديهم . . .	٩٧
٣	ولقد فتنا الذين من قبلهم . . .	١٢٨	٦٣	قال الذين حَقَّ عليهم القول . . .	٩٧
٤	أم حسب الذين يعملون السيئات . . .	١٣٠	٦٤	وقيل ادعوا شركاءكم . . .	٩٨
٥	من كان يرجو لقاء الله . . .	١٣٠	٦٥	ويوم يناديهم . . .	٩٨
٦	ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه . . .	١٣٠	٦٦	فَعَمِيَّتْ عليهم الأنبياء . . .	٩٨
٧	والذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٣٠	٦٧	فَأَمَّا من تاب وآمن . . .	٩٩
٨	ووصينا الإنسان بوالديه حسنا . . .	١٣١	٦٨	وربك يخلق ما يشاء . . .	٩٩
٩	والذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٣٢	٦٩	وربك يعلم ما تُكننّ صدورهم . . .	١٠٢
١٠	ومن الناس من يقول آمنا بالله . . .	١٣٢	٧٠	وهو الله لا إله إلا هو . . .	١٠٢
١١	وليس يعلمنّ الله الذين آمنوا . . .	١٣٣	٧١	قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل . . .	١٠٢
١٢	وقال الذين كفروا للذين آمنوا . . .	١٣٣	٧٢	قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار . . .	١٠٣
١٣	وليس يحتملنّ ألقابهم وألقابا . . .	١٣٥	٧٣	ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار . . .	١٠٣
١٤	ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه . . .	١٣٥	٧٤	ويوم يناديهم فيقول أين شركائي . . .	١٠٤
١٥	فأنجيناه وأصحاب السفينة . . .	١٣٦	٧٥	ونزعنا من كل أمة شهيدا . . .	١٠٤
١٦	وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله . . .	١٣٦	٧٦	إن قارون كان من قوم موسى . . .	١٠٥
١٧	إنما تعبدون من دون الله آوثانا . . .	١٣٧	٧٧	وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة . . .	١١١
١٨	وإن تكذبوا فقد كذب أم . . .	١٣٨	٧٨	قال : إنما أوتيته على علم عندي . . .	١١٣
١٩	أو لم يروا كيف يبدأ الله الخلق . . .	١٣٨	٧٩	فخرج على قومه . . .	١١٤
٢٠	قل سيروا في الأرض . . .	١٣٨	٨٠	وقال الذين أوتوا العلم . . .	١١٦
٢١	يعذب من يشاء ويرحم من يشاء . . .	١٣٩	٨١	فخسفنا به وبداره الأرض . . .	١١٦
٢٢	وما أنتم بمعجزين في الأرض . . .	١٣٩	٨٢	وأصبح الذين آمنوا مكانه . . .	١٢٠
٢٣	والذين كفروا بآيات الله ولقائه . . .	١٤٠	٨٣	تلك الدار الآخرة . . .	١٢٢
٢٤	فما كان جواب قومه . . .	١٤١	٨٤	من جاء بالحسنة فله خير منها . . .	١٢٣
٢٥	وقال إنما اتخذتم من دون الله . . .	١٤١	٨٥	إن الذي فرض عليك القرآن . . .	١٢٣
٢٦	فأسمن له لوط وقال إني مهاجر . . .	١٤٢	٨٦	وما كنت ترجوا أن يُلَنتي . . .	١٢٦
			٨٧	ولا يصدنك عن آيات الله . . .	١٢٧
			٨٨	ولا تدع مع الله إلها آخر . . .	١٢٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٧	ووهبنا له إسحاق ويعقوب . . .	١٤٣	٣٧	فكذبوه فأخذتهم الرجفة . . .	١٤٩
٢٨	ولوطا إذ قال لقومه . . .	١٤٤	٣٨	وعادا وثمود وقد تبين لكم . . .	١٤٩
٢٩	إنكم لتأتون الرجال . . .	١٤٤	٣٩	وقارون وفرعون وهامان . . .	١٥٠
٣٠	قال رب انصرفني على القوم المفسدين . ١٤٧	١٤٧	٤٠	فكلا أخذنا بذنبه . . .	١٥٠
٣١	ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى . . .	١٤٧	٤١	مثل الذين اتخذوا من دون الله . . .	١٥٢
٣٢	قال إن فيها لوطا . . .	١٤٧	٤٢	إن الله يعلم ما يدعون من دونه . . .	١٥٣
٣٣	ولما جاءت رسلنا لوطا . . .	١٤٨	٤٣	وتلك الأمثال نضربها للناس . . .	١٥٣
٣٤	إنا منزلون على أهل هذه القرية . . .	١٤٨	٤٤	خلق الله السموات والأرض . . .	١٥٤
٣٥	ولقد تركنا منها آية . . .	١٤٨	٤٥	أتل ما أوحى إليك من الكتاب . . .	١٥٤
٣٦	ولى مدین أخاهم شعيبا .	١٤٩			



## ٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٣٥	١
الخلاف في معنى فراغ فؤاد أم موسى .	تأويل قوله تعالى « فما كان جواب قومه » .
٤٢	ومعنى التطهر .
الخلاف في مقدار سبب الاستواء .	٣
٤٣	بيان أن المشركين يعدلون عن الحق إلى الجور
تأويل قوله تعالى « ودخل المدينة » والسبب	مع علمهم بذلك ، تقليدا لمن مضى .
في دخولها ، والسبب الذي من أجله قتل	٥
القبطي .	من زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم الفيرية على
٤٩	الله .
السبب الذي دعا الإسرائيلي أن يظهر أن	٧
موسى قتل الفرعوني .	الصواب في قوله « بل ادّارك علمهم في
٥١	الآخرة » .
المراد بالرجل الذي جاء موسى فأخبره	١١
بإجماعهم على قتله ، وأمره بالخروج من البلد .	بيان أن أم الكتاب أثبت ربنا فيه كل ما هو
٥٣	كائن من ابتداء الخلق إلى يوم القيامة .
ذهاب موسى إلى مدّين وما لتي من المتاعب .	١٤
٥٥	الدابة وخروجها ، وما ورد فيها من الآثار .
دخول موسى مدّين ، وما جرى له مع المرأتين	١٨
اللتين ستّيتي لهما .	النفخ في الصور ، وكم عدده ؟
٦٥	٢١
خبر زواج موسى ، والاتفاق الذي كان بينه	ستير الجبال عند قيام الساعة .
وبين أبي امرأته .	٢٤
٧١	المراد بالبلدة التي حرّمها الله : « مكة » ، ومعنى
الشجرة التي رأى موسى فيها النار ، ومن أيّ	تحرّمها .
الأنواع كانت .	٢٦
٧٧	تفسير سورة القصص
فرعون أوّل من طبخ الآجر ، وصفة صرّحه .	٢٧
٨١	تأويل قوله « إن فرعون علا في الأرض » ،
تأويل قوله « وما كنت بجانب الطور » ،	وما كان يصنعه فرعون ببني إسرائيل .
وأن المنادى أمة محمد عليه الصلاة والسلام .	٢٩
٨٧	الوحى الذي أوحى إلى أم موسى ليس بوحي
تأويل قوله « ولقد وصلنا لهم القول » .	نُبوّة .
٨٨	٢٩
وما قال الله في مؤمنى أهل الكتاب .	أخذ فرعون لموسى ، وتعيين اللاقط له .
٩٢	٣٣
خبر وفاة أبي طالب ، وما قاله له رسول الله	تأويل قوله « وقالت امرأة فرعون » ، وما قاله
صلى الله عليه وسلم .	فرعون لامرأته عند ذلك .

الصفحة	الصفحة
١٢٧	٩٦
تفسير سورة العنكبوت	تأويل قوله « أفمن وعدناه وعدا حسنا . . . »
١٢٨	الآية ، والخلاف فيمن نزلت فيه .
ما ذكر في سبب نزول قوله تعالى « أحسب الناس أن يتركوا » .	٩٩
١٣٥	تأويل قوله « وربك يخلق ما يشاء » ، وأن معناها لا يدل على نفي الاختيار عن الخلق .
عمر نوح حين أرسل إلى قومه ، وكم لبث فيهم حتى جاءهم الطوفان .	١٠٤
١٤٢	نداء الله للمشركين ، ونزعه من كل أمة شهيدا ، وهو الرسول .
هجرة إبراهيم ولوط من كوثى إلى الشام .	١٠٥
١٤٤	خبر قارون وما أوتيته من الغنى .
ما كان يفعله قوم لوط من السيئات بمن يمر عليهم .	١١٦
١٥٤	ما فعله قارون بموسى حتى طلب من الله أن ينحسف الأرض به ، واستغاث به فلم يبعثه .
تأويل قوله « اتل ما أوحى إليك » . . .	١٢٢
الآية . والصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر .	تأويل قوله « تلك الدار الآخرة » ، وأن العلو هو الكبر ، والحكم بغير العدل هو الفساد .



٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	ل	١١٠	تَجْهَرَةٌ	٦٦	لا يترآها
		١٠٩	الْحُمْرُ	١٤٠	سَوَاءٌ
٨٧	يُوصَلُ	١١٩	وَحَجَرٌ		
١١٠	مَوَاصِلُهُ	١١٩	بِضْبِيرٍ		
١١٠	كَاهِلُهُ	١٢٠	بِنُكْرٍ		ب
١٢٧	وَالْعَمَلُ	١٢٠	ضُرٌّ	٨	حَبِيبٌ
١٥٤	مَثَلًا	٧٠	دَعِيرٌ		
١٥١	شَمَلًا	٥٣	الْقَادِرُ		ت
١٥١	جُفَلًا	١٥١	مَنْشُورٌ	١٠٩	عَجِيزٌ
١٠٩	أَجْدَا لَهَا		ط		ج
٥٢	شِمَالِكَ	٣١	فُرَاطًا	٢١	تَهْمَلِجٌ
٧٨	نِعَالِكَا		ع		ح
	م	٦٦	تَابِعٌ	٧٧	الصُّرُوحَا
		٥٥	نَزْعَا		
١٢١	أَقْدِيمٌ		ف		د
	ن	١٠١	مُكَلَّفٌ	٥٥	تَنْدُودٌ
		١٠١	وَمُسَلِّفٌ	٨١	مَوَاعِدَا
١٣٤	دَاعِيَانِ	١٠٠	مَعْرُوفٌ	٣٩	جَاهِدَا
٧٥	مَكْنُونَا	١٣٦	جَارِفٌ		ر
١٣١	تَشْكُونَا		ق	٦٩	قَمْرٌ
١٣١	يُوصِينَا			٥٢	يُؤْتَمِرُ
١٣١	جَافُونَا	١٠٨	أَطِيقٌ		

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ ، إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ (٥٦)

يقول تعالى ذكره : فلم يكن لقوم لوط جواب له ، إذ نهاهم عما أمره الله بنهيم عنه من إتيان الرجال ، إلا قبيل بعضهم لبعض (أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ ، إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ) عما نفعله نحن من إتيان الذكور في أديارهم .

كما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : سمعت الحسن بن عمارة يذكر عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله (أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ) قال : من إتيان الرجال والنساء في أديارهن . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (لَإِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ) قال : من أديار الرجال وأديار النساء ، استهزاء بهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : يتطهرون من أديار الرجال والنساء ، استهزاء بهم يقولون ذلك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة أنه تلا (لَإِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ) قال : عابوهم بغير عيب : أي إنهم يتطهرون من الأعمال السوء .

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَنذَرْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِنَ الْغَافِرِينَ (٥٧) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ، فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ (٥٨)

يقول تعالى ذكره : فأذينا لوطا وأهله سوى امرأته من عذابنا ، حين أحللناه بهم ، ثم (قَدَرْنَا) يقول



فإن امرأته قدرناها : جعلناها بتقديرنا ( مِنَ الْغَابِرِينَ ) من الباقين ( وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ) وهو إمطار الله عليهم من السماء حجارة من سجيل ( فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ) يقول : فساء ذلك المطرُ مطرُ القوم الذين أنذرهم الله عقابه ، على معصيتهم إياه ، وخوفهم بأسه ، بإرسال الرسول إليهم بذلك .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ، ءَآلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا يُشْرِكُونَ؟ (٥٩)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم ( قُلْ ) يا محمد ( الْحَمْدُ لِلَّهِ ) على نعمه علينا ، وتوفيقه إيانا لما وفقنا من الهداية ( وَسَلَامٌ ) يقول : وأسنة منه من عقابه الذى عاقب به قوم لوط ، وقوم صالح ، على الذين اصطفاهم ، يقول : الذين اجتباهم لنبية محمد صلى الله عليه وسلم ، فجعلهم أصحابه ووزراءه على الدين الذى بعثه بالدعاء إليه ، دون المشركين به ، الجاحدين نبوة نبيه .  
وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا طلق ، يعنى ابن غنام ، عن ابن ظهير ، عن السدى ، عن أبى مالك ، عن ابن عباس ( وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ) قال : أصحاب محمد اصطفاهم الله لنبية .  
حدثنا على بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : قلت لعبد الله بن المبارك : أرأيت قول الله ( قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ) من هؤلاء ، فحدثني عن سفيان الثورى ، قال : هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله ( ءَآلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا يُشْرِكُونَ ) يقول تعالى ذكره : قل يا محمد هؤلاء الذين زيننا لهم أعمالهم من قومك ، فهم يعتمهون : آله الذى أنعم على أوليائه هذه النعم التى قصها عليكم فى هذه السورة ، وأهلك أعداءه بالذى أهلكهم به من صنوف العذاب التى ذكرها لكم فيها خير ، أما تشركون من أوثانكم التى لاتنفعكم ولا تضركم ، ولا تدفع عن أنفسها ولا عن أوليائها سوءا ، ولا تجلب إليها ولا إليهم نفعا ؛ يقول : إن هذا الأمر لايشكل على من له عقل ، فكيف تستجيزون أن تشركوا عبادة من لانفع عنده لكم ، ولا دفع ضرر عنكم فى عبادة من بيده النفع والضرر ، وله كل شىء . ثم ابتداء تعالى ذكره تعديد نعمه عليهم ، وأيديه عندهم ، وتعريفهم بقله شكرهم إياه ، على ما أولاهم من ذلك ، فقال ( أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ) .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ، مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ، ءَأَلَّهُ مَعَ اللَّهِ؟ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠)

يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش : أعبادة ماتعبدون من أوثانكم التى لاتنفع ولا تضر ،

أم عبادة من خلق السموات والأرض ؟ ( وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ) يعنى مطرا ، وقد يجوز أن يكون مريدا به العيون التي فجرها في الأرض ، لأن كل ذلك من خلقه ( فَأَنْبَتْنَا بِهِ ) يعنى بالماء الذي أنزل من السماء ( حَدَائِقَ ) وهي جمع حديقة ، والحديقة : البستان عليه حائط محوط ، وإن لم يكن عليه حائط لم يكن حديقة . وقوله ( ذَاتَ بَهْجَةٍ ) يقول : ذات منظر حسن . وقيل ذات بالتوحيد . وقد قيل حدائق ، كما قال ( وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ) ، وقد بينت ذلك فيما مضى .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال ، ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ) قال : البهجة : الفُقَّاح مما يأكل الناس والأنعام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ) قال : من كل شيء تأكله الناس والأنعام .

وقوله ( مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ) يقول تعالى ذكره : أنبتنا بالماء الذي أنزلناه من السماء لكم هذه الحدائق ، إذ لم يكن لكم ، لولا أنه أنزل عليكم الماء من السماء ، طاقة أن تنبتوا شجر هذه الحدائق ، ولم تكونوا قادرين على ذهاب ذلك ، لأنه لا يصلح ذلك إلا بالماء . وقوله ( أءَلِهَ مَعَ اللَّهِ ) يقول تعالى ذكره : أعبود مع الله أيها الجهلة خلق ذلك ، وأنزل من السماء الماء ، فأنت به لكم الحدائق ، فقوله : أءله مردود على تأويل : أعب الله إله . ( بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ ) يقول جل ثناؤه : بل هؤلاء المشركون قوم ضلَّال ، يعدلون عن الحق ، ويجورون عليه ، على عمد منهم لذلك ، مع علمهم بأنهم على خطأ وضلال ، ولم يعدلوا عن جهل منهم ، بأن من لا يقدر على نفع ولا ضرر ، خير ممن خلق السموات والأرض ، وفعل هذه الأفعال ، ولكنهم عدلوا على علم منهم ومعرفة ، اقتفاء منهم سنة من مضى قبلهم من آباؤهم .

القول في تأويل قوله تعالى

أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا ، وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا ، وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ ، وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ، أءَلِهَ مَعَ اللَّهِ ؟ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١)

يقول تعالى ذكره : أعبادة ما تشركون أيها الناس بربكم خير وهو لا يضر ولا ينفع ، أم الذي جعل الأرض لكم قرارا تستقرون عليها لا تميد بكم ، ( وَجَعَلَ لَكُمْ ) ( خِلَالَهَا أَنْهَارًا ) : يقول : بينها أنهارا ( وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ ) وهي ثوابت الجبال ، ( وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ) بين العذب والملح ، أن يفسد أحدهما صاحبه ( أءَلِهَ مَعَ اللَّهِ ) سواه فعل هذه الأشياء ، فأشركتموه في عبادتكم إياه ؟ وقوله ( بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ) يقول تعالى ذكره : بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قدر عظمة الله ، وما عليهم من الضر



في إشراكهم في عبادة الله غيره ، وما لهم من النفع في إفرادهم الله بالألوهة ، وإخلاصهم له العبادة ، وبراءتهم من كل معبود سواه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ؟ أَلَيْسَ لَهُ مَعَ اللَّهِ؟  
قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢)

يقول تعالى ذكره : أم ما تشركون بالله خير ، أم الذي يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء النازل به عنه ؟

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَيَكْشِفُ السُّوءَ ) قال : الضر .

وقوله ( وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ) يقول : ويستخلف بعد أمرائكم في الأرض منكم خلفاء أحياء يخلفونهم . وقوله ( أَلَيْسَ لَهُ مَعَ اللَّهِ ) يقول : أليس له مع الله سواه يفعل هذه الأشياء بكم ، وينعم عليكم هذه النعم ؟ وقوله ( قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ) يقول : تذكروا قليلا من عظمة الله وأياديه عنكم ، تذكروا وتعتبرون حجج الله عليكم يسيرا ، فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته .

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ نُشْرًا<sup>(١)</sup> بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ، أَلَيْسَ  
مَعَ اللَّهِ؟ تَعَلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣)

يقول تعالى ذكره : أم ما تشركون بالله خير ، أم الذي يهديكم في ظلمات البر والبحر إذا ضللتكم فيهما الطريق ، فأظلمت عليكم السبل فيهما ؟

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ) والظلمات في البر : ضلاله الطريق ، والبحر : ضلاله طريقه وموجه ، وما يكون فيه . قوله ( وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ نُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ) يقول : والذي يرسل الرياح نشرا لموتان الأرض . ( بين يدي رحمة ) : يعنى : قدام الغيث الذي يحيي موات الأرض . وقوله ( أَلَيْسَ لَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ) يقول تعالى ذكره : أليس مع الله سوى الله يفعل بكم شيئا من ذلك فتعبده من دونه ، أو تشركوه في عبادتكم إياه ؟ تعالى الله : يقول : لله العلو والرفعة عن شرككم الذي تشركون به ، وعبادتكم معه ما تعبدهون .

(١) ( في اللسان : نشر ) . وقوله تعالى : وهو الذي يرسل الرياح يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمة ( نشرنا بضم النون والشين ) . وقرئ نشرا ونشرا . بضم النون وفتحها وسكون الشين . والقراءة المشهورة بشرا ، بضم وسكون .

## القول في تأويل قول تعالى

أَمَّن يَبْدُوا أَلْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُهِ؟ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَلِيمٍ؟ قُلْ: هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦٤)

يقول تعالى ذكره: أم ما تشركون أيها القوم خير، أم الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، فينشئه من غير أصل، وابتدعه ثم يفنيه إذا شاء، ثم يعيده إذا أراد كهيئته قبل أن يفنيه، والذي يرزقكم من السماء والأرض، فينزل من هذه الغيث، وينبت من هذه النبات لأقواتكم، وأقوات أنعامكم، أله مع الله سوى الله يفعل ذلك؟ وإن زعموا أن إلها غير الله يفعل ذلك أو شيئا منه، فقل لهم يا محمد: (هاتوا برهانكم): أي حجتكم على أن شيئا سوى الله يفعل ذلك (إن كنتم صادقين) في دعواكم. ومن التي في «أمن» وما مبتدأ في قوله: أما يشركون، والآيات بعدها إلى قوله (وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) بمعنى الذي، لا بمعنى الاستفهام؛ وذلك أن الاستفهام لا يدخل على الاستفهام.

## القول في تأويل قول تعالى

قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥)  
بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ، بَلِ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلِ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ (٦٦)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لسائلك من المشركين عن الساعة متى هي قائمة، لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الذي قد استأثر الله بعلمه، وحجّب عنه خلقه غيره، والساعة من ذلك (وَمَا يَشْعُرُونَ) يقول: وما يدري من في السموات والأرض من خلقه، متى هم مبعوثون من قبورهم لقيام الساعة؟

وقد حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن مسروق، قال: قالت عائشة: من زعم أنه يُخبر الناس بما يكون في غد، فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول (لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ).

واختلف أهل العربية في وجه رفع الله، فقال بعض البصريين: هو كما تقول إلا قليل منهم. وفي حرف ابن مسعود: قليلا بدلا من الأول، لأنك نفيت عنه، وجعلته للآخر. وقال بعض الكوفيين: إن شئت أن تتوهم في من المجهول، فتكون معطوفة على: قل لا يعلم أحد الغيب إلا الله. قال: ويجوز أن تكون «من» معرفة، ونزل ما بعد «إلا» عليه، فيكون عطفا، ولا يكون بدلا، لأن الأول مني، والثاني مثبت، فيكون في النسق كما تقول: قام زيد إلا عمرو، فيكون الثاني عطفا على الأول، والتأويل جحد، ولا يكون



أن يكون الخبر جمدا ، أو الجمحد خبرا ، قال : وكذلك ما فعلوه إلا قليل ، وقليل من نصب ، فعلى الاستثناء في عبادتكم إياه ، ومن رفع فعلى العطف ، ولا يكون بدلا .

وقوله ( بَلِّ ادَّارَكَ عَلِيمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء أهل المدينة سوى أبي جعفر وعامة قراء أهل الكوفة ( بَلِّ ادَّارَكَ ) بكسر اللام من بل وتشديد الدال من ادَّارَكَ ، بمعنى : بل تدارك علمهم . أى تابع علمهم بالآخرة ، هل هي كائنة أم لا ؟ ، ثم أدغمت التاء في الدال كما قيل : اثناقلتم إلى الأرض ، وقد بينا ذلك فيما مضى بما فيه الكفاية من إعادته .

وقراءته عامة قراء أهل مكة ( بَلِّ ادَّارَكَ عَلِيمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ) . بسكون الدال وفتح الألف ، بمعنى هل أدرك علمهم علم الآخرة . وكان أبو عمرو بن العلاء ينكر فيها ذكرا عنه قراءة من قرأ ( بَلِّ ادَّارَكَ ) ويقول : إن بل إيجاب ، والاستفهام في هذا الموضع إنكار . ومعنى الكلام : إذا قرئ كذلك ( بَلِّ ادَّارَكَ ) لم يكن ذلك لم يدرك علمهم في الآخرة ، وبلاستفهام قرأ ذلك ابن محيصن على الوجه الذي ذكرت أن أبا عمرو أنكره . وبنحو الذي ذكرت عن المكئين ، أنهم قرءوه ، ذُكر عن مجاهد ، أنه قرأه ، غير أنه كان يقرأ في موضع بل : أم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : ثنا عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، أنه قرأ ( أم ادَّارَكَ عَلِيمُهُمْ ) وكان ابن عباس فيما ذكر عنه يقرأ بإثبات ياء في بل ، ثم يبتدئ ادَّارَكَ ؟ بفتح ألفها ، على وجه الاستفهام ، وتشديد الدال .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي حمزة ، عن ابن عباس في هذه الآية ( بَلِّ ادَّارَكَ عَلِيمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ) : أى لم يدرك .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي حمزة ، قال : سمعت ابن عباس يقرأ ( بَلِّ ادَّارَكَ عَلِيمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ) إنما هو استفهام أنه لم يدرك . وكان ابن عباس وجه ذلك إلى أن مخرجه مخرج الاستهزاء بالمكذَّبين بالبعث .

والصواب من القراءات عندنا في ذلك ، القراءتان اللتان ذكرت إحداهما عن قراء أهل مكة والبصرة ، وهي ( بَلِّ ادَّارَكَ عَلِيمُهُمْ ) بسكون لام بل وفتح ألف أدرك وتخفيف دالها ، والأخرى منهما عن قراءة الكوفة ، وهي ( بَلِّ ادَّارَكَ ) بكسر اللام وتشديد الدال من ادَّارَكَ ، لأنهما القراءتان المعروفتان في قراء الأمصار ، فبأيهما قرأ القارئ فصيَّب عندنا ، فأما القراءة التي ذكرت عن ابن عباس ، فإنها وإن كانت صحيحة المعنى والإعراب ، فخلافا لما عليه مصاحف المسلمين ، وذلك أن في بلى زيادة ياء في قراءته ليست في المصاحف ، وهي مع ذلك قراءة لانعلمها قرأ بها أحد من قراء الأمصار . وأما القراءة التي ذكرت عن ابن محيصن ، فإن الذي قال فيها أبو عمرو قول صحيح ، لأن العرب تحقق بيل ما بعدها لاتنفيه والاستفهام في هذا الموضع إنكار لإثبات ، وذلك أن الله قد أخبر عن المشركين أنهم من الساعة في شك ، فقال ( بَلِّ ادَّارَكَ عَلِيمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ) ، بَلِّ ادَّارَكَ عَلِيمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ، بَلِّ ادَّارَكَ عَلِيمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : بل أدرك علمهم في الآخرة ، فأيقنوها إذ عاينوها ، حين لم ينفعهم يقينهم بها ، إذ كانوا بها في الدنيا مكذّبين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ( بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ ) قال : بصرهم في الآخرة حين لم ينفعهم العلم والبصر . وقال آخرون : بل معناه : بل غاب علمهم في الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ) يقول : غاب علمهم . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ) قال : يقول : ضلّ علمهم في الآخرة ، فليس لهم فيها علم ، هم منها عمّون . وقال آخرون : معنى ذلك : لم يبلغ لهم فيها علم .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنى أبي ، عن جدّي ، قال : ثنا الحسين ، عن قتادة ، في قوله ( بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ) قال : كان يقرؤها ( بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ) قال : لم يبلغ لهم فيها علم ، ولا يصل إليها منهم رغبة . وقال آخرون : معنى ذلك : بل أدرك ، أم أدرك ؟ .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ ) قال : أم أدرك . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عثمان ، عن مجاهد ( بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ ) قال : أم أدرك علمهم ؟ من أين يدرك علمهم ؟ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه . قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ، على قراءة من قرأ ( بَلْ أَدْرَكَ ) القول الذي ذكرناه عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، وهو أن معناه : إذا قرئ كذلك ( وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ) بل أدرك علمهم نفس وقت ذلك في الآخرة ، حين يبعثون ، فلا ينفعهم علمهم به حينئذ ، فأما في الدنيا فإنهم منها في شك ، بل هم منها عمّون .

وإنما قلت : هذا القول أولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ، على القراءة التي ذكرت ، لأن ذلك أظهر معانيه . وإذا كان ذلك معناه ، كان في الكلام محذوف قد استغنى بدلالة ما ظهر منه عنه . وذلك أن معنى



الكلام : وما يشعرون أيان يُبْعَثُونَ ، بل يشعرون ذلك في الآخرة ، فالكلام إذا كان ذلك معناه ، وما يشعرون أيان يبعثون ، بل أدرك علمهم بذلك في الآخرة ، بل هم في الدنيا في شك منها . وأما على قراءة من قرأه ( بَلِّ ادَّارَكَ ) بكسر اللام وتشديد الدال ، فالقول الذي ذكرنا عن مجاهد ، وهو أن يكون معنى بل : أم ، والعرب تضع أم موضع بل ، وموضع بل أم ، إذا كان في أول الكلام استنهام ، كما قال الشاعر :

فَدَ اللَّهُ مَا أَذْرِي أَسْلَمْتِي تَغَوَّلْتُ    أَمِ النَّوْمُ أَمْ كُلُّ إِلَى حَبِيبٍ

يعنى بذلك بل كل إلى حبيب ، فيكون تأويل الكلام : وما يشعرون أيان يُبْعَثُونَ ، بل تدارك علمهم في الآخرة : يعنى تتابع علمهم في الآخرة : أى بعلم الآخرة : أى لم يتتابع بذلك ولم يعلموه ، بل غاب علمهم عنه ، وضل فلم يبلغوه ولم يدركوه .

وقوله ( بَلِّ هُمْ فِي شَكِّ مَنِهَا ) يقول : بل هؤلاء المشركون الذين يسألونك عن الساعة في شك من قيامها لا يوقنون بها ولا يصدقون بأنهم مبعوثون من بعد الموت ، بل هم منها عمون ، يقول : بل هم من العلم بقيامها عمون .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُ نَا أَنِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٦٧) لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ

وَآبَاءُ نَا مِن قَبْلُ ، إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٦٨)

يقول تعالى ذكره : قال الذين كفروا بالله أننا لمخرجون من قبورنا أحياء ، كهيئتنا من بعد مماتنا ، بعد أن كنا فيها ترابا قد بليتنا ( لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ ) يقول : لقد وعدنا هذا من قبل محمد ، واعدون وعدوا ذلك آباءنا ، فلم نر لذلك حقيقة ، ولم تتبين له صحة ( إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ

(١) تغولت : ترامت لى فى النوم فى صور مختلفة . والشاهد فى البيت : أن أم الأولى متصلة ، لأنها معادلة للهمة ، يقول : لا أدرى أهو طيف سلمى عرض لى وترامى ، أم هو النوم يخلط على صور الأشياء ، وهى أسغاث الأحلام . وأما (أم) الثانية فإنها للإضراب ، بمعنى (بل) . يقول : بل كل ذلك حبيب لى نفسى . يريد ما يترامى له من طيف الخيال . وما يراه فى النوم من الأحلام . والبيت من شواهد الفراء فى معنى القرآن ( الورقة ٢٣٦ من مصورة الجامعة ) . وفى (اللسان : درك) : فأما من قرأ : « بل أدارك » ، فإن الفراء قال : معناه لغة : تدارك ، أى تتابع علمهم فى الآخرة ؛ يريد بعلم الآخرة : تكون أولا تكون ؛ ولذلك قال : « بل هم فى شك منها ، بل هم منها عمون » قال : وهى فى قراءة أبى : « أم تدارك » ؛ والعرب تجعل (بل) مكان (أم) ، و (أم) مكان (بل) ، إذا كان فى أول الكلام استنهام ، مثل قول الشاعر : « فوالله ما أدرى . . . البيت » . معنى (أم) : (بل) . وقال أبو معاذ النحوى : ومن قرأ : « بل أدرك » ، ومن قرأ : « بل أدرك » فعناهما واحد . يقول : هم علماء فى الآخرة . كقول الله تعالى : « أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا » ونحو ذلك . قال السدى فى تفسيره : اجتمع علمهم فى الآخرة ، ومعناها عنده : أى علموا فى الآخرة أن الذى كانوا يوعدون به حق . وقال الأزهري : والقول فى تفسير أدرك وإدارك . ومعنى الآية ما قال السدى وذهب إليه أبو معاذ وأبو سعيد . والذى قاله الفراء فى معنى تدارك أى تتابع علمهم فى الآخرة ، أنها تكون أولا تكون : ليس بالين ، إنما المعنى : أنه تتابع علمهم فى الآخرة وتوطأ حين حقت القيامة ، ونحسروا ، وبان لهم صدق ما وعدوا ، حين لا ينضمهم ذلك العلم . اهـ .

الأوليين) يقول : قالوا : ما هذا الوعد إلا ما سطر الأولون من الأكاذيب في كتبهم ، فأثبتوه فيها ، وتحدّثوا به ، من غير أن يكون له صحة .

## القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ : سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ؟ (٦٩) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (٧٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء المكذبين ماجئتهم به من الأنبياء من عند ربك : سيروا في الأرض ، فانظروا إلى ديار من كان قبلكم من المكذبين رسل الله ، ومساكنهم كيف هي ، ألم يخربها الله ، ويهلك أهلها ، بتكذيبهم رسلهم ، وردّهم عليهم نصائحهم ، فخلت منهم الديار ، وتعفّت منهم الرسوم والآثار ، فإن ذلك كان عاقبة إجرامهم ، وذلك سنّة ربكم في كل من سلك سبيلهم ، في تكذيب رسل ربهم ، والله فاعل ذلك بكم إن أنتم لم تبادروا الإنابة من كفركم ، وتكذيبكم رسول ربكم . وقوله ( وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولا تحزن على إديار هؤلاء المشركين عنك ، وتكذيبهم لك ، ( وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ) يقول : ولا يضق صدرك من مكرهم بك ، فإن الله ناصرك عليهم ، ومهلكهم قتلا بالسيف .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٧١) قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ (٧٢)

يقول تعالى ذكره : ويقول مشركو قومك يا محمد ، المكذبوك فيما أتيتهم به من عند ربك ( متى ) يكون ( هذا الوعد ) الذي تعدّناه من العذاب ، الذي هو بنا فيما تقول حال ( إن كنتم صادقين ) فيما تعدوننا به . ( قل عسى أن يكون ردّف لكم بعض الذي ) يقول جلّ جلاله : قل لهم يا محمد : عسى أن يكون اقتراب لكم ودنا ( بعض الذي تستعجلون ) من عذاب الله . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( قل عسى أن يكون ردّف لكم ) يقول : اقتراب لكم . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ،



قوله ( قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ) يقول : اقرب لكم بعض الذي تستعجلون .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ ) قال : رَدِفَ : أعجل لكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ) قال : آزِفَ . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( رَدِفَ لَكُمْ ) اقرب لكم .

واختلف أهل العربية في وجه دخول اللام في قوله ( رَدِفَ لَكُمْ ) وكلام العرب المعروف : ردفه أمر ، وأردفه كما يقال : تبعه وأتبعه ، فقال بعض نحويي البصرة : أدخل اللام في ذلك ، فأضاف بها الفعل كما يقال ( للَرْوِيَا تَعْتَبِرُونَ - وَلِرَبِّهِمْ يُرْهَبُونَ ) . وقال بعض نحويي الكوفة : أدخل اللام في ذلك للمعنى ، لأن معناه : دنالهم ، كما قال الشاعر :

فَقُلْتُ لَهَا الْحَاجَاتُ يَطْرَحُنَ بِالْفَتَىٰ ١ .

فأدخل الباء في يطرحن ، وإنما يقال طرحته ، لأن معنى الطرح : الرمي ، فأدخل الباء للمعنى ، إذ كان معنى ذلك يرمين بالفتى . وهذا القول الثاني هو أولاهما عندي بالصواب ، وقد مضى البيان عن نظائره في غير موضع من الكتاب ، بما أغنى عن تكراره في هذا الموضع .

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ( تَسْتَعْجِلُونَ ) قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ) قال : من العذاب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٧٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٤)

(١) هذا صدر بيت من شواهد الفراء في (معاني القرآن ص ٢٣٦ من مصورة جامعة القاهرة) وعجزه : • وهم تغناني معنى ركائبه . وهو في (اللسان : عن) وفي روايته : « تغناه » في موضع تغنا في . قال : وعاني الشيء : قاساه . يقال : عاناه وتغناه ، وتغنى هو . وقال : « فقلت . . . الخ . والبيت شاهد على أن الباء في بالفتى زائدة . مثلها في قوله تعالى : « ردف لكم » .

يقول تعالى ذكره : وإن ربك يا محمد لدو فضل على الناس ، بركة معاجلتهم بالعقوبة ، على معصيتهم إياه ، وكفرهم به ، وذو إحسان إليهم ، في ذلك وفي غيره من نعمه عندهم ، ولكن أكثرهم لا يشكرونه على ذلك من إحسانه وفضله عليهم ، فيخلصوا له العبادة ، ولكنهم يشركون معه في العبادة ، ما يضرهم ولا ينفعهم ، ومن لافضل له عندهم ولا إحسان . وقوله ( إِنَّ رَبَّكَ لَسِعَلِمُ مَا تَكْنِنُ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ) يقول : وإن ربك ليعلم ضمائر صدور خلقه ، ومكنون أنفسهم ، وخفي أسرارهم ، وعلانية أمورهم الظاهرة ، لا يخفى عليه شيء من ذلك ، وهو محصيا عليهم حتى يجازي جميعهم بالإحسان إحسانا ، وبالإساءة جزاءها . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( وَإِنَّ رَبَّكَ لَسِعَلِمُ مَا تَكْنِنُ صُدُورُهُمْ ) قال : السر .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٧٥) إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْضَىٰ عَلَيَّ  
بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦)

يقول تعالى ذكره : وما من مكتوم سر ، وخفي أمر ، يغيب عن أبصار الناظرين في السماء والأرض ، إلا في كتاب ، وهو أم الكتاب الذي أثبت ربنا فيه كل ما هو كائن ، من لدن ابتداء خلق خلقه ، إلى يوم القيامة . ويعنى بقوله ( مُبِينٌ ) أنه يبين لمن نظر إليه ، وقرأ ما فيه ، مما أثبت فيه ربنا جل ثناؤه . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ) يقول : ما من شيء في السماء والأرض ، سر ولا علانية ، إلا يعلمه .

وقوله ( إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْضَىٰ عَلَيَّ ) يقول : إن هذا القرآن الذي أنزلته إليك يا محمد ، يقضى على بني إسرائيل الحق في أكثر الأشياء التي اختلفوا فيها ، وذلك كالذي اختلفوا فيه من أمر عيسى ، فقالت اليهود فيه ما قالت ، وقالت النصارى فيه ما قالت ، وتبرأ لاختلافهم فيه هؤلاء من هؤلاء ، وهؤلاء من هؤلاء ، وغير ذلك من الأمور التي اختلفوا فيها ، فقال جل ثناؤه لهم : إن هذا القرآن يقضى عليكم الحق فيما اختلفتم فيه ، فاتبعوه ، وأقروا لما فيه ، فإنه يقضى عليكم بالحق ، ويهديكم إلى سبيل الرشاد .



## القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٧٨)

يقول تعالى ذكره : إن هذا القرآن هدى ، يقول : لبيان من الله ، بتبين به الحق فيما اختلف فيه خلقه من أمور دينهم ( وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ) يقول : ورحمة لمن صدق به وعمل بما فيه ( إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ ) يقول : إن ربك يقضى بين المختلفين من بنى إسرائيل بحكمه فيهم ، فينتقم من المبطل منهم ، ويجازى المحسن منهم المحق بجزائه ( وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ) يقول : وربك العزيز في انتقامه من المبطل منهم ومن غيرهم ، لا يقدر أحد على منعه من الانتقام منه إذا انتقم ، العليم بالمحق المحسن من هؤلاء المختلفين من بنى إسرائيل فيما اختلفوا فيه ، ومن غيرهم ، من المبطل الضال عن الهدى .

## القول في تأويل قوله تعالى

فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (٧٩) إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمُوتَى، وَلَا تَسْمَعُ الْأَصْمَ الدُّعَاءَ

إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٨٠)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : ففوض إلى الله يا محمد أمورك ، وثق به فيها ، فإنه كافيك ( إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ) لمن تأمله ، وفكر ما فيه بعقل ، وتدبره بفهم ، أنه الحق ، دون ما عليه اليهود والنصارى المختلفون من بنى إسرائيل ، ودون ما عليه أهل الأوثان ، المكذبوك فيما أتيتهم به من الحق ، يقول : فلا يحزنك تكذيب من كذبك ، وخلاف من خالفك ، وامض لأمر ربك الذى بعثك به . وقوله ( إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمُوتَى ) يقول : إنك يا محمد لا تقدر أن تفهم الحق من طبع الله على قلبه فأماته ، لأن الله قد ختم عليه ألا يفهمه ( وَلَا تَسْمَعُ الْأَصْمَ الدُّعَاءَ ) يقول : ولا تقدر أن تسمع ذلك من أصم الله عن سماعه سمعه ( إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ) يقول : إذا هم أدبروا معرضين عنه ، لا يسمعون له لغلبة دين الكفر على قلوبهم ، ولا يصغون للحق ، ولا يتدبرونه ، ولا ينصتون لقاتله ، ولكنهم يعرضون عنه ، وينكرون القول به ، والاستماع له .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ، إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٨١)\*

وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا

لَا يُوقِنُونَ (٨٢)

اختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ( وما أنت يهادى )

بالباء والألف ، وإضافته إلى العمى بمعنى : لست يا محمد بهادي من عمى عن الحق ( عَنْ ضَلَالَتِهِ ) وقرآته عامة قرآء الكوفة ( وَمَا أَنْتَ تَهْدِي الْعُمَى ) بالتاء ، ونصب العمى ، بمعنى : ولست تهديهم ( عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ) ، ولكن الله يهديهم إن شاء .

والقول في ذلك عندي : أنهما قرآءتان متقاربتا المعنى ، مشهورتان في قرآء الأمصار ، فبأيهما قرأ القارى فصيب . وتأويل الكلام ما وصفت : وما أنت يا محمد بهادي من أعماه الله عن الهدى والرشاد ، فجعل على بصره غشاوة أن يتبين سبيل الرشاد عن ضلالته التي هو فيها ، إلى طريق الرشاد وسبيل الرشاد . وقوله ( إن تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ) يقول : ما تقدر أن تفهم الحق وتوعيه أحد ، إلا سمع من يصدق بآياتنا ، يعنى بأدلته وحججه وآى تنزيهه ( فَهَمُّ مُسْلِمُونَ ) . فان أولئك يسمعون منك ماتقول ويتدبرونه ، ويفكرون فيه ، ويعملون به ، فهم الذين يسمعون .

ذكر من قال مثل الذى قلنا في قوله تعالى : ( وَقَعَ )<sup>١</sup>

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ) قال : حق عليهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ) يقول : إذا وجب القول عليهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ) قال : حق العذاب . قال ابن جريج : القول : العذاب .

ذكر من قال قولنا في معنى القول

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ) والقول : الغضب .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عسبة ، عن هشام ، عن حفصة ، قالت : سألت أبا العالية ، عن قوله ( وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ) فقال : أوحى الله إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن . قالت : فكأنما كان على وجهى غطاء فكُشف .

وقال جماعة من أهل العلم : خروج هذه الدابة التي ذكرها حين لا يأمر الناس بمعروف ولا يهون عن منكر . ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعي ، عن سفیان ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية العوفى ،

(١) سقط كلام المؤلف في تأويل الآية رقم ٨٢ ويدل عليه إيراد كلام أهل التأويل فيه .



عن ابن عمر في قوله ( وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ ) قال : هو حين لا يأمرؤن بمعروف ، ولا ينهون عن منكر .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا محمد بن الحسن أبو الحسن ، قال : ثنا عمرو بن قيس الملائي ، عن عطية ، عن ابن عمر ، في قوله ( وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ ) قال : ذاك إذا ترك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية ، عن ابن عمر ، في قوله ( أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تَكَلَّمُ لَهُمْ ) قال : حين لا يأمرؤن بالمعروف ، ولا ينهون عن المنكر .

حدثني محمد بن عمرو المقدسي ، قال : ثنا أشعث بن عبدالله السجستاني ، قال : ثنا شعبة ، عن عطية ، في قوله ( وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تَكَلَّمُ لَهُمْ ) قال : إذا لم يعرفوا معروفا ، ولم ينكروا منكرا .  
وذُكر أن الأرض التي تخرج منها الدابة مكة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعي ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن ابن عمر ، قال : تخرج الدابة من صدع في الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام ، وما خرج ثلثها .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن الفرات القرآزي ، عن عامر ابن وائلة أبي الطفيل ، عن حذيفة بن أسيد الغفاري ، قال : إن الدابة حين تخرج يراها بعض الناس فيقولون : والله لقد رأينا الدابة ، حتى يبلغ ذلك الإمام ، فيطلب فلا يقدر على شيء ، قال : ثم تخرج فيراها الناس ، فيقولون : والله لقد رأيناها ، فيبلغ ذلك الإمام ، فيطلب فلا يرى شيئا ، فيقول : أما إني إذا حدث الذي يذكرها قال : حتى يعد فيها القتل ، قال : فتخرج ، فإذا رآها الناس دخلوا المسجد يصلون ، فتجئ إليهم فتقول : الآن تصلون ، فتخطم الكافر ، وتمسح على جبين المسلم غيرة ، قال : فيعيش الناس زمانا ، يقول هذا يا مؤمن ، وهذا يا كافر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عثمان بن مطر ، عن واصل مولى أبي عيينة ، عن أبي الطفيل عن حذيفة ، وأبي سفيان ، ثنا عن معمر ، عن قيس بن سعد ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفة بن أسيد ، في قوله ( أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تَكَلَّمُ لَهُمْ ) قال : للدابة ثلاث خسرجات : خسرجة في بعض البوادي ثم تكمن ، وخسرجة في بعض القرى ، حين يهريق فيها الأمراء الدماء ، ثم تكمن ، فيبينا الناس عند أشرف المساجد وأعظمها وأفضلها ، إذ ارتفعت بهم الأرض ، فانطلق الناس هرابا ، وتبقى طائفة من المؤمنين ، ويقولون : إنه لا ينجينا من الله شيء ، فتخرج عليهم الدابة تجلو وجوههم مثل الكوكب الدرّي ، ثم تنطلق فلا يدركها طالب ، ولا يفوتها هارب ، وتأتي الرجل يصلّي ، فتقول : والله ما كنت من أهل الصلاة

فيلتفت إليها فتخطمها ، قال : تجلو وجه المؤمن ، وتخطم الكافر ، قلنا : فما للناس يومئذ ؟ قال : جيران في الرباع ، وشركاء في الأموال ، وأصحاب في الأسفار .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن الوليد بن جميع ، عن عبد الملك بن المغيرة ، عن عبد الرحمن بن البيهقي ، عن ابن عمر : بييت الناس يسرون إلى جمع ، وتبيت دابة الأرض تسايهم ، فيصبحون وقد خطمهم من رأسها وذنبها ، فما من مؤمن إلا مسحته ، ولا من كافر ولا منافق إلا تخبطه .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا الخيري ، عن حيان بن عمير ، عن حسان بن حمصة ، قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : لو شئت لانتعلت بنعل هاتين ، فلم أمس الأرض قاعدا ، حتى أف على الأحجار التي تخرج الدابة من بينها ، ولكأني بها قد خرجت في عقب ركيب من الحاج ، قال فما حجبنا قط إلا خفت تخرج بعقبنا .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأملي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن قيس بن سعد ، عن عطاء ، قال : رأيت عبد الله بن عمرو ، وكان منزله قريبا من الصفا ، رفع قدمه وهو قائم ، وقال : لو شئت لم أضعها حتى أضعها على المكان الذي تخرج منه الدابة .

حدثنا عصام بن رواد بن الجراح ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا سفيان بن سعيد الثوري ، قال : ثنا منصور ابن المعتمر ، عن ربيعة بن حراش ، قال : سمعت حذيفة بن اليمان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : وذكر الدابة ، فقال حذيفة : قلت يا رسول الله ، من أين تخرج ؟ قال : من أعظم المساجد حرمة على الله ، بيئنا عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون ، إذ تضطرب الأرض تحتهم ، تحرك القنديل ، وينشق الصفا مما يلي المسعى ، وتخرج الدابة من الصفا أول ما يبندو رأسها مسلمة ذات وبر وریش ، لم يدركها طالب ، ولئن يفوتها هارب ، تسم الناس : مؤمن وكافر ، أما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري ، وتكتب بين عينيه مؤمن ، وأما الكافر فتترك بين عينيه نكتة سوداء كافر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو الحسين ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن أوس بن خالد ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تخرج الدابة معها خاتم سليمان وعصا موسى ، فتجلبو وجه المؤمنين بالعصا ، وتختيم أنف الكافر بالخاتم ، حتى إن أهل البيت ليجتمعون ، فيقول هَذَا يا مؤمن ، ويقول هَذَا يا كافر » .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : هي دابة ذات زغب وریش ، ولها أربع قوائم ، تخرج من بعض أودية تهامة ، قال : قال عبد الله بن عمر : إنها تنكت في وجه الكافر نكتة سوداء ، فتفشو في وجهه ، فيسود وجهه ، وتنكت في وجه المؤمن نكتة بيضاء ، فتفشو في وجهه ، حتى



يبيض وجهه ، فيجلس أهل البيت على المائدة ، فيعرفون المؤمن من الكافر ، ويتبايعون في الأسواق ، فيعرفون المؤمن من الكافر .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : ثنا ابن لهيعة ويحيى بن أيوب ، قال : ثنا ابن الهاد ، عن عمر بن الحكم ، أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول : تخرج الدابة من شعيب ، فيمس رأسها السحاب ، ورجلاها في الأرض ماخرجتا ، فتمر بالإنسان يصلي ، فتقول : ما الصلاة من حاجتك ، فتخطمه . حدثنا صالح بن مسمار ، قال : ثنا ابن أبي فديك ، قال : ثنا يزيد بن عياض ، عن محمد بن إسحاق ، أنه بلغه عن عبد الله بن عمرو ، قال : تخرج دابة الأرض ومعها خاتم سليمان وعصا موسى ، فأما الكافر فتختم بين عينيه بخاتم سليمان ، وأما المؤمن فتمسح وجهه بعصا موسى فيبيض .

واختلفت القراءة في قراءة قوله ( تَكَلَّمَهُمْ ) فقرأ ذلك عامة قرآء الأمصار ( تَكَلَّمَهُمْ ) بضم التاء وتشديد اللام ، بمعنى تخبرهم وتحديثهم ، وقرأه أبو زرعة بن عمرو ( تَكَلَّمَهُمْ ) بفتح التاء وتخفيف اللام بمعنى : تَسَمَّيَهُمْ .

والقراءة التي لأستجيز غيرها في ذلك ، ما عليه قرآء الأمصار .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( أَخْرَجْنَا لَهُمْ لَّهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تَكَلَّمَهُمْ ) قال : تحدثهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تَكَلَّمَهُمْ ) وهي في بعض القراءة تحدثهم ، تقول لهم : إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، في قوله ( تَكَلَّمَهُمْ ) قال : كلامها : تنبئهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون .

وقوله ( أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ) اختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرآء الحجاز والبصرة والشام ( إِنَّ النَّاسَ ) بكسر الألف من « إن » على وجه الابتداء بالخبر عن الناس أنهم كانوا ( بآيات الله لا يوقنون ) وهي وإن كسرت في قراءة هؤلاء ، فإن الكلام لها متناول ، وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفة وبعض أهل البصرة ( أَنَّ النَّاسَ كَانُوا ) بفتح أن ، بمعنى : تكلمهم بأن الناس ، فيكون حينئذ نصبا ، بوقوع الكلام عليها .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قرآءتان متقاربتا المعنى ، مستفيضتان في قرآء الأمصار ، فبآيتهما قرأ القارى فصيحا .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا، فَهُمْ يُوزَعُونَ (٨٣) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ،  
قَالَ : أَكذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا ، أَمَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٤)

يقول تعالى ذكره : ويوم نجمع من كل قرن وملة فوجا ، يعنى جماعة منهم ، وزمرة ( مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا ) يقول : ممن يكذب بأدلتنا وحججنا ، فهو يحبس أولهم على آخرهم ، ليجتمع جميعهم ، ثم يساقون إلى النار .  
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا ، فَهُمْ يُوزَعُونَ ) يعنى : الشيعة  
عند الحشر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ) قال : زمرة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( نَحْشُرُ  
مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ) قال : زمرة زمرة ( فَهُمْ يُوزَعُونَ ) .

حدثني على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله ( مِمَّنْ  
يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ) قال : يقول : فهم يدفعون .

حدثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله  
( فَهُمْ يُوزَعُونَ ) قال : يحبس أولهم على آخرهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَهُمْ يُوزَعُونَ ) قال : وزعة ترد  
أولاهم على آخرهم .

وقد بينت معنى قوله ( يُوزَعُونَ ) فيما مضى قبل بشواهد ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .  
وقوله ( حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ ) قال : أَكذَّبْتُمْ بِآيَاتِي ( يقول تعالى ذكره : حتى إذا جاء من كل أمة فوج  
ممن يكذب بآياتنا ، فاجتمعوا ، قال الله : ( أَكذَّبْتُمْ بِآيَاتِي ) : أى بحججى وأدلتى ، ( وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا )  
يقول ولم تعرفوها حق معرفتها ؟ ( أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) من تكذيب أو تصديق ؟

## القول في تأويل قوله تعالى

وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فِيهِمْ لَا يُطِيقُونَ (٨٥) أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِسَكْنُونَا  
فِيهِ ، وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٨٦)



يقول تعالى ذكره : ووجِبَ السُّخْطُ والغضب من الله على المكذِبين بآياته ، بما ظلموا ، يعنى بتكذيبهم بآيات الله ، يوم يُحشرون فهم لا ينطقون ، يقول : فهم لا ينطقون بحجة يدفعون بها عن أنفسهم عظيم ما حلّ بهم ، ووقع عليهم من القول . وقوله ( أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ ) يقول تعالى ذكره : ألم ير هؤلاء المكذِبون بآياتنا تصرفنا الليل والنهار ، ومخالفتنا بينهما بتصويرنا هذا سَكَنًا لهم يسكنون فيه ويهدؤون ، راحة أبدانهم من تعب التصرف والتقلب نهاراً ، وهذا مضيقنا يصرون فيه الأشياء ويعانونها ، فيقبلون فيه لمعايشهم ، فيتفكروا في ذلك ، ويتدبروا ، ويعلموا أن مُصَرَّفَ ذلك كذلك ، هو الإله الذى لا يُعجزه شئ ، ولا يتعذر عليه إماتة الأحياء ، وإحياء الأموات بعد الممات ، كما لم يتعذر عليه الذهاب بالنهار ، والنجى بالليل ، والنجى بالنهار ، والذهاب بالليل ، مع اختلاف أحوالهما ( إن في ذلك لآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ) يقول تعالى ذكره : إن في تصويرنا الليل سَكَنًا ، والنهار مبصراً ، لدلالة لقوم يؤمنون بالله ، على قدرته على ما آمنوا به من البعث بعد الموت ، وحجة لهم على توحيد الله .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ قَفَرٍ مِّنَ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ، وَكُلُّ أَتَوُّهُ

دُخْرِينَ (٨٧)

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى ( وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ) وقد ذكرنا اختلافهم فيما مضى ، وبيننا الصواب من القول في ذلك عندنا بشواهد ، غير أنا نذكر في هذا الموضوع بعض ما لم يذكر هناك من الأخبار ، فقال بعضهم : هو قَرْنٌ يُنْفَخُ فيه .

ذكر بعض من لم يذكر فيما مضى قبل من الخبر عن ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ) قال : كهيئة البوق . حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : الصُّور : البوق ، قال : هو البوق ، صاحبه آخذ به ، يقبض قبضتين بكفيه على طرف القرن ، بين طرفه وبين فيه قدر قبضة أو نحوها ، قد برك على ركية إحدى رجليه ، فأشار ، فدَبَرَكَ على ركية يساره مُقْعَبًا على قدمها ، عقبها تحت فخذها وأليته ، وأطراف أصابعها في التراب .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، قال : الصُّور كهيئة القرن ، قد رفع إحدى ركبتيه إلى السماء ، وخفض الأخرى ، لم يلق جفون عينه على مُعْمَضٍ منذ خلق الله السموات ، مستعداً مستجداً ، قد وضع الصُّور على فيه ، ينتظر متى يؤمر أن ينفخ فيه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد الحارثي ، عن إسماعيل بن رافع المدني ، عن يزيد بن زياد « قال أبو جعفر : والصواب : يزيد بن أبي زياد » عن محمد بن كعب القرظي ، عن رجل من الأنصار

عن أبي هريرة: أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا رسول الله، ما الصور؟ قال: قرن»، قال: وكيف هو؟ قال: قرن عظيم ينفتح فيه ثلاث نفخات: الأولى: نفخة الفرع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة القيام لله رب العالمين، يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى، فيقول: انفتح نفخة الفرع، فينفتح نفخة الفرع، فيفرغ أهل السموات وأهل الأرض، إلا من شاء الله، ويأمره الله فيمدها بها وبطولها، فلا يفتت، وهي التي يقول الله (ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق) فيسير الله الجبال، فتكون سرابا، وترج الأرض بأهلها رجاً، وهي التي يقول الله (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة، قلوب يومئذ واجفة) فتكون الأرض كالسفينه الموثقة في البحر، تضر بها الأمواج، تكفأ بأهلها، أو كالقنديل المعلق بالوتر، ترجفه الأرياح، فتهدئ الناس على ظهرها، فتدهل المراضع، وتضع الحوامل، وتشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة، حتى تأتي الأقطار، فتتلقاها الملائكة، فتضرب وجوهها، وترجع، ويؤتى الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضاً، وهو الذي يقول الله (يوم التناد، يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم، ومن يضل الله فآله من هادي). فبينما هم على ذلك إذ تصدعت الأرض من قطر إلى قطر، فرأوا أمراً عظيماً، فأخذهم من الكرب ما الله أعلم به، ثم نظروا إلى السماء، فإذا هي كالمهل، ثم خسف شمسها وقمرها، وانتثرت نجومها، ثم كسحت عنهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك، فقال أبو هريرة: يا رسول الله، فمن استثنى الله حين يقول (ففرغ من السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله)؟ قال: أولئك الشهداء، وإلماً يصل الفرع إلى الأحياء، أولئك أحياء عند ربهم يرزقون، وقاهم الله فرغ ذلك اليوم وآمنهم، وهو عذاب الله بعبثه على شرار خلقه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا إسماعيل بن رافع، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تبارك وتعالى لما فرغ من السموات والأرض، خلق الصور، فأعطاه ملكاً، فهو واضع على فيه، شاخص ببصره إلى العرش، ينتظر متى يؤمر، قال: قلت: يا رسول الله، وما الصور؟ قال: قرن، قلت: فكيف هو؟ قال: عظيم، والذي نفسي بيده، إن عظم دائرة فيه، لكعروض السموات والأرض، يأمره فينفتح نفخة الفرع، فيفرغ أهل السموات والأرض إلا من شاء الله»، ثم ذكر باقي الحديث نحو حديث أبي كريب عن المحاربي، غير أنه قال في حديثه «كالسفينه المرفأة في البحر». وقال آخرون: بل معنى ذلك: ونفخ في صور الخلق.



ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ) : أى فى الخلق ، قوله ( فَفَنَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ) يقول : فنزع من فى السموات من الملائكة ومن فى الأرض من الجن والإنس والشياطين ، من هول ما يعاينون ذلك اليوم .

فإن قال قائل : وكيف قيل : فنزع ، فجعل فنزع وهى فعل مردودة على ينفخ ، وهى ينفعل ؟ قيل : العرب تفعل ذلك فى المواضع التى تصلح فيها إذا ، لأن إذا يصلح معها فعل ويفعل ، كقولك : أزورك إذا زرتنى ، وأزورك إذا تزورنى ، فإذا وضع مكان إذا يوم ، أجرى مجرى إذا . فإن قيل : فأين جواب قوله ( وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَنَزَعَ ) ؟ قيل : جائز أن يكون مضمرا مع الواو ، كأنه قيل : ( وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَسْتَنقِطُونَ ) وذلك يوم ينفخ فى الصور . وجائز أن يكون متروكا ، اكتفى بدلالة الكلام عليه منه ، كما قيل ( وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ) . . . فترك جوابه . . .

وقوله ( إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ) قيل : إن الذين استثناهم الله فى هذا الموضع من أن ينالهم الفزع يومئذ : الشهداء ، وذلك أنهم أحياء عند ربهم يرزقون ، وإن كانوا فى عداد الموتى عند أهل الدنيا ، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرناه فى الخبر الماضى .

وحدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام عن حدثه ، عن أبى هريرة ، أنه قرأ هذه الآية ( فَفَنَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ) قال : هم الشهداء . وقوله ( وَكُلُّ آتَوْهُ دَاخِرِينَ ) يقول : وكل آتوه صاغرين . وبمثل الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله ( وَكُلُّ آتَوْهُ دَاخِرِينَ ) يقول : صاغرين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَكُلُّ آتَوْهُ دَاخِرِينَ ) قال : صاغرين . حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَكُلُّ آتَوْهُ دَاخِرِينَ ) قال : الداخر : الصاغر الراغم ، قال : لأن المرء الذى يفزع إذا فزع إنما همته المهرب من الأمر الذى فزع منه ، قال : فلما نُفِخَ فى الصور فزعوا ، فلم يكن لهم من الله منسجى .

واختلفت القراء فى قراءة قوله ( وَكُلُّ آتَوْهُ دَاخِرِينَ ) فقراءته عامة قراءة الأمصار ( وَكُلُّ آتَوْهُ ) بمد الألف من أتوه ، على مثال فاعلوه ، سوى ابن مسعود ، فإنه قرأه ( وَكُلُّ آتَوْهُ ) على مثال فاعلوه ، واتبعه على القراءة به المتأخرون : الأعمش وحزة ، واعتل الذين قرءوا ذلك على مثال فاعلوه ، بإجماع القراء على قوله ( وَكُلُّهُمْ آتَيْهِ ) قالوا : فكذلك قوله : آتَوْهُ فى الجمع . وأما الذين قرءوا على قراءة عبد الله ، فإنهم ردوه على قوله ( فَفَنَزَعَ ) كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى : ( وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَنَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ) وآتوه كلهم داخرين ، كما يقال فى الكلام : رأى وفرّ وعاد وهو صاغر .

(١) آتوه : جمع آتى يوزن فاعل . وأصله آتوه نقلت الضمة من الياء لاستثقالها إلى التاء ، ثم حذفت الياء ، لسكونها وسكون الواو بعدها فصار آتوه على وزن فاعوه . ووزنها قبل حذف الياء فاعلوه ، وهو الذى أراد المؤلف .

والصواب من القول في ذلك عندى أنهما قراءتان مستفيضتان في قرآنة الأمصار ، ومتقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارى فصيب .

### القول في تأويل قوله تعالى

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمْرٌ مَرٌّ السَّحَابِ، صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ، إِنَّهُ خَبِيرٌ  
بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨)

يقول تعالى ذكره : وترى الجبال يا محمد ، تحسبها قائمة وهي تمر .

كالذى حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ) يقول : قائمة ، وإنما قيل : وهي تمرّ مرّ السحاب لأنها تجمع ثم تسير ، فيحسب رايتها لكثرتها أنها واقفة ، وهي تسير سيرا حثيثا ، كما قال الجعديّ :

بَارِعَنَ مِثْلَ الطَّوْدِ تَحْسِبُ أَتَمُّهُمْ وَقُوفٌ لِحَاجِ الرِّكَابِ هَمَّالِجٌ  
قوله ( صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ) ، وأوثق خلقه .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

### ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ) يقول : أحكم كلّ شيء .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ) يقول : أحسن كلّ شيء خلقه وأوثقه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ) قال : أوثق كلّ شيء وسوى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( أَتَقَنَ ) : أوثق . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ) ، يقول تعالى ذكره : إن الله ذو علم وخبرة بما يفعل عباده : من خير وشر ، وطاعة له ومعصية ، وهو مجازى جميعهم على جميع ذلك ، على الخير الخير ، وعلى الشرّ الشرّ نظيره .

(١) الأرعن : يريد به الجيش العظيم ، شبه بالجبل الضخم ذى الرعان ، وهى : الفضول ، كرعان الجبال . والرعن : الأنف العظيم من الجبل ، تراه متقدما . وقيل الأرعن : هو المضطرب لكثرتة . والطود : الجبل العظيم . والحاج : جمع حاجة ، وهملج : تمشى الحملجة ، والهملجة سير حسن فى سرعة . والبيت شاهد على أن الشئ الضخم تراه وهو يتحرك ، فتحسبه ساكنا ، مع أنه مسرع فى سيره جدا ، وذلك كبير الجيش ، وكسير السفينة فى البحر ، يحسبها الناظر إليها وهى مجدة فى سيرها ، كأنها واقفة . وذلك هو شأن الجبال عند القيامة : تراها كأنها جامدة ، وهى تسير مسرعة كالسحاب .



## القول في تأويل قوله تعالى

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا، وَهُمْ مِّنْ فَرْعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (٨٩) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ؛ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ؟ (٩٠)

يقول تعالى ذكره: من جاء الله بتوحيده والإيمان به، وقول لا إله إلا الله مؤقنا به قلبه؛ فله من هذه الحسنة عند الله خير يوم القيامة، وذلك الخير أن يثيبه الله منها الجنة، ويؤمنه من فرع الصيحة الكبرى، وهي النفخ في الصور (ومَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) يقول: ومن جاء بالشرك به يوم يلقاه، وجحود وحدانيته، (فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ) في نار جهنم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن خلف العسقلاني، قال: ثنا الفضل بن دكين، قال: ثنا يحيى بن أيوب البجلي، قال: سمعت أبا زرعة، قال: قال أبو هريرة، قال يحيى: أحسبه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَرْعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ)»، قال: وهى لا إله إلا الله (ومَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ) قال: وهى الشرك.»

حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: ثنا أبو يحيى الحماني، عن النضر بن عري، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَرْعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ): قال: من جاء بلا إله إلا الله. (ومَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ)، قال: بالشرك.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) يقول: من جاء بلا إله إلا الله (ومَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) وهو الشرك. حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عبيد، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (ومَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) قال: بالشرك.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ) قال: كلمة الإخلاص. (ومَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) قال: الشرك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد بنحوه، قال ابن جريج: وسمعت عطاء يقول فيها الشرك، يعنى في قوله (ومَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن أبي المحجل، عن أبي معشر، عن إبراهيم، قال: كان يخلف ما يستثنى، أن (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ): قال: لا إله إلا الله، (ومَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ): قال: الشرك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عبد الملك، عن عطاء مثله.

حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُتِبَتْ رُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ) قال : الشرك .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، قال : ثنا سعيد بن سعيد ، عن علي بن الحسين ، وكان رجلا غزاء ، قال : بيذا هر في بعض خآواته ، حتى رَفَعَ صوته : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ؛ قال : فردّ عليه رجل : ما تقول يا عبد الله ؟ قال : أقول ما سمع ، قال : أما إنها الكلمة التي قال الله ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ، وَمَنْ جَاءَ مِنَ الْفَرَعِ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ) قال : الإخلاص . ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ) قال : الشرك .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ) يعني : الشرك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ) : يقول : الشرك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُتِبَتْ رُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ) قال : السيئة : الشرك ، الكفر .

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال : ثنا حفص بن عمر العدديّ ، قال : ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، قوله ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ) قال : شهادة أن لا إله إلا الله ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ) قال : السيئة : الشرك . قال الحكم ، قال عكرمة : كل شيء في القرآن السيئة فهو الشرك .  
وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ( فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ) فنها وصل إليه الخير ، يعني ابن عباس بذلك من الحسنه وصل إلى الذي جاء بها الخير .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا روح بن عبادة ، قال : ثنا حسين الشهيد ، عن الحسن ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ) قال : له منها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن ، قال : من جاء بلا إله إلا الله ، فله خير منها خيرا ٧ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ) يقول : له منها حظ . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ) قال : له منها خير ، فأما أن يكون خيرا من الإيمان فلا ، ولكن منها خير : يصيب منها خيرا . حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا الحكم ، عن عكرمة ،

(١) يريد أن (من) ليست للتفضيل ، ولذلك قدمها على خير ، وإمامي للتعليل أو نحوه .



توله (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) قال: ليس شيء خيرا من لاإله إلا الله، ولكن له منها خير. وكان ابن زيد يقول في ذلك ماحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) قال: أعطاه الله بالواحدة عشرة، فهذا خير منها. واختلقت القراء في قراءة قوله (وَهُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) فقرأ ذلك بعض قراء البصرة (وَهُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) بإضافة فرع إلى اليوم. وقرأ ذلك جماعة قراء أهل الكوفة (مِنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ) بتنوين فرع.

والصواب من القول في ذلك عندي: أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيهما قرأ القارئ فصيب، غير أن الإضافة أعجب إلى، لأنه فرع معلوم. وإذا كان ذلك كذلك، كان معرفة، على أن ذلك في سياق قوله (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَمَنْعَرَجَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) فإذا كان ذلك كذلك، فمعلوم أنه عني بقوله (وَهُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) من الفرع الذي قد جرى ذكره قبله. وإذا كان ذلك كذلك، كان لاشك أنه معرفة، وأن الإضافة إذا كان معرفة، به أولى من ترك الإضافة؛ وأخرى: أن ذلك إذا أضيف فهو أبين أنه خبر عن أمانه من كل أهوال ذلك اليوم، منه إذا لم يُضف ذلك، وذلك أنه إذا لم يضاف كان الأغلب عليه أنه جعل الأمان من فرع بعض أهواله. وقوله (هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره: يقال لهم: هل تجزون أيها المشركون إلا ما كنتم تعملون، إذ كتبكم الله لوجوهكم في النار، وإلا جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا بما يسخط ربكم، وتترك «يقال لهم»: اكتفاء بدلالة الكلام عليه.

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا محمد (قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ) وهي مكة، الذي حرّمها على خلقه أن يسفكوا فيها دما حراما، أو يظلموا فيها أحدا، أو يصاد صيدها، أو يختل خلاها، دون الأوثان التي تعبدونها أيها المشركون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا) يعني: مكة. وقوله (وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ) يقول: ولرب هذه البلدة الأشياء كلها ملكا، فإياه أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ، لامن لا يملك شيئا. وإنما قال جل ثناؤه (رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا) فخصها بالذكر دون سائر

البُلدان ، وهو ربّ البلاد كلها ، لأنه أراد تعريف المشركين من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين هم أهل مكة بذلك ، نعمته عليهم ، وإحسانه إليهم ، وأن الذي ينبغي لهم أن يعبدوه هو الذي حرم بلدهم ، فنع الناس منهم ، وهم في سائر البلاد يأكل بعضهم بعضا ، ويقتل بعضهم بعضا ، لا من لم تجر له عليهم نعمة ، ولا يقدر لهم على نفع ولا ضرر . وقوله ( وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ) يقول : وأمرني ربّي أن أسلم وجهي له حنيفا ، فأكون من المسلمين الذين دانوا بدين خليله إبراهيم ، وجدكم أيها المشركون ، لا من خالف دين جدّه المحقّ ، ودان دين إبليس عدو الله .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ ، فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ

الْمُنذِرِينَ (٩٢)

يقول تعالى ذكره : قل إنما أمرت أن أعبد ربّ هذه البلدة ، وأن أكون من المسلمين ، ( وأن أتلو القرآن ، فَمَنْ أَهْتَدَى ) يقول : فمن تبعني وآمن بي وبما جئت به ، فسلك طريق الرشاد ( فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ) يقول : وإنما يسلك سبيل الصواب ، باتباعه إياي ، وإيمانه بي ، وبما جئت به لنفسه ، لأنه بإيمانه بي ، وبما جئت به ، يأمن نعمته في الدنيا ، وعذابه في الآخرة . وقوله ( وَمَنْ ضَلَّ ) يقول : ومن جار عن قصد السبيل ، بتكذبه بي ، وبما جئت به من عند الله ( فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ) يقول تعالى ذكره : فقل يا محمد لمن ضلّ عن قصد السبيل ، وكذبك ، ولم يصدق بما جئت به من عندي ، إنما أنا ممن ينذر قومه عذاب الله وسخطه ، على معصيتهم إياه ، وقد أنذرتكم ذلك معشر كفار قريش ، فإن قبلتم وانتهيت عما يكرهه الله منكم من الشرك به ، فحفظوا أنفسكم تصيبون ، وإن رددتم وكذبتم ، فعلى أنفسكم جنيتم ، وقد بلغتكم ما أمرت بإبلاغه إياكم ، ونصحت لكم .

## القول في تأويل قوله

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ أَيَّتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ، وَمَا رَبُّكَ بِفَعْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٣)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء القائلين لك من مشركي قومك ( متى هدأ الوعد إن كنتم صادقين ) ؟ الحمد لله على نعمته علينا ، بتوفيقه إيانا للحقّ الذي أنتم عنه تعمون ، سيريكم ربكم آيات عذابه وسخطه ، فتعرفون بها حقيقة نصحي كان لكم ، ويتبين صدق مادعوتكم إليه من الرشاد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،



قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( سَيَّرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ) قال : في أنفسكم ، رنى السماء والأرض والرزق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( سَيَّرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ) : قال : في أنفسكم والسماء والأرض والرزق .

وقوله ( وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ) يقول تعالى ذكره : وما ربك يا محمد بغافل عما يعمل هؤلاء المشركون ، ولكن لهم أجل هم بالغوه ، فإذا بلغوه ، فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون . يقول تعالى ذكره لنبى صلى الله عليه وسلم : فلا يحزُرنك تكذيبهم إياك ، فإنى من وراء إهلاكهم ، وإنى لهم بالمِرصاد ، فأيقن لنفسك بالنصر ، ولعدوك بالذل والخزى .

آخر تفسير سورة النمل .

ولله الحمد والمنة ، وبه الثقة والعزيمة .

### تفسير سورة القصص

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى وتهدت أسماءه

طسّم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣)

بيّن قال أبو جعفر : قد بيّنا قبل فيما مضى تأويل قول الله عزّ وجلّ ( طسّم ) ، وذكرنا اختلاف أهل التأويل فى تأويله . وأما قوله ( تلك آيات الكتاب المبين ) فإنه يعنى هذه آيات الكتاب الذى أنزلته إليك يا محمد ، المبين أنه من عند الله ، وأنك لم تتقوّله ولم تتخرّصه .

وكان قتادة فيما ذكر عنه يقول فى ذلك ما حدثنى بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( طسّم . تلك آيات الكتاب المبين ) يعنى : مبينٌ والله بركّته ورشدّه وهُداه .

وقوله ( تَتْلُوا عَلَيْكَ ) يقول : نقرأ عليك ونقصّ فى هذا القرآن من خبر موسى وفرعون بالحقّ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ) يقول فى هذا القرآن نبؤهم . وقوله ( لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ) يقول : لقوم يصدّقون بهذا الكتاب ، ليعلموا أن ما نلتو عليك من نبؤهم فيه نبؤهم ، وتطمئن نفوسهم بأن سنننا فيمن خالفك وعادك من المشركين ، سنننا فيمن عادى موسى ، ومن آمن به من بنى إسرائيل ، من فرعون وقومه ، أن نهلكهم كما أهلكناهم ، وننجيهم منهم كما أنجيناهم منهم .

## القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ، وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ، يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ ، يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ ، وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤)

يقول تعالى ذكره: إن فرعون تجبر في أرض مصر وتكبر، وعلا أهلها وقهرهم، حتى أفرؤا له بالعبودية. كما حدثنا محمد بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السدي (إن فرعونَ علا في الأرض) يقول: تجبر في الأرض.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (إن فرعونَ علا في الأرض): أي بغى في الأرض.

وقوله (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) يعني بالشيعة: الفِرَق، يقول: وجعل أهلها فرقا متفرقين. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا): أي فرقا يذبح طائفة منهم، ويستحي طائفة، ويعذب طائفة، ويستعبد طائفة، قال الله عز وجل (يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ ، وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ).

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: كان من شأن فرعون أنه رأى رؤيا في منامه، أن نارا أقبلت من بيت المقدس، حتى اشتملت على بيوت مصر، فأحرقت القبط، وتركت بني إسرائيل، وأحرقت بيوت مصر، فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة، فسألهم عن رؤياه، فقالوا له: يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه، يعنون بيت المقدس، رجل يكون على وجهه هلاك مصر، فأمر بنو إسرائيل ألا يولد لهم غلام إلا ذبحوه، ولا تولد لهم جارية إلا تترك، وقال للقبط: انظروا مملوكيكم الذين يعملون خارجا، فأدخلوهم، واجعلوا بني إسرائيل يلكون تلك الأعمال القذرة، فجعل بني إسرائيل في أعمال غلمانهم، وأدخلوا غلمانهم، فذلك حين يقول: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) يعني بني إسرائيل، حين جعلهم في الأعمال القذرة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) قال: فرق بينهم. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) قال: فیرقا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) قال: الشيعة: الفِرَق.

وقوله (يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ) ذكر أن استضعافه إياها كان استعباده.

لعله: الحزاة، بضم الهاء، جمع الحازي، وهو المتكهن. قال في (اللسان: حزا) التحزى: التكهن؛ حزي حزيا وتحزى تكهن. ولم نجد في مادة (حوز) معنى التكهن. فلعل ما في الأصل خطأ الناسخ. ويؤيد ما قلناه أنه سيحجى في صفحة ٢٩ سطر ٤ صحيحا كما قلناه.



ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة : يستعبد طائفة منهم ، ويذبح طائفة ، ويقتل طائفة ، ويستحي طائفة .

وقوله ( إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ) يقول : إنه كان ممن يفسد في الأرض بقتله من لا يستحق منه القتل ، واستعباده من ليس له استعباده وتجبره في الأرض على أهلها ، وتكبره على عبادة ربه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ ، وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ، وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥)  
وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ، وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦)

قوله ( وَنُرِيدُ ) عطف على قوله ( يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ) ومعنى الكلام : أن فرعون علا في الأرض ، وجعل أهلها من بني إسرائيل فرقا يستضعف طائفة منهم ، ونحن نريد أن نمن على الذين استضعفهم فرعون في الأرض من بني إسرائيل ، ونجعلهم أئمة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ ) قال : بنو إسرائيل .  
قوله ( وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ) أى ولاة وملوكا .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ) أى ولاة الأمر .  
وقوله ( وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ) يقول : ونجعلهم وراث آل فرعون ، يرثون الأرض من بعد مهلكهم .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ) : أى يرثون الأرض بعد فرعون وقومه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ( وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ) يقول : يرثون الأرض بعد فرعون .

وقوله ( وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ) يقول : ونوطي لهم في أرض الشام ومصر ( وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ

وهامان وَجَسُودَهُمَا ) كانوا قد أخبروا أن هلاكهم على يد رجل من بني إسرائيل ، فكانوا من ذلك على وجل منهم ، ولذلك كان فرعون يذبح أبناءهم ، ويستحي نساءهم ، فأرى الله فرعون وهامان وجنودهما من بني إسرائيل ، على يد موسى بن عمران نبيه ، ما كانوا يحذرونه منهم من هلاكهم ، وخراب منازلهم ودورهم . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَتَمَكَّنَ لَهُمُ فِي الْأَرْضِ وَتُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجَسُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ) شيئا ما حذر القوم قال : وذكر لنا أن حازيا حزا لعدو الله فرعون ، فقال : يولد في هذا العام غلام من بني إسرائيل ، يسلبك ملكك ، فتتبع أبناءهم ذلك العام ، يقتل أبناءهم ، ويستحي نساءهم ، حذرا لما قال له الحازي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : كان لفرعون رجل ينظر له ويخبره ، يعني أنه كاهن ، فقال له : إنه يولد في هذا العام ، غلام يذهب بملككم ، فكان فرعون يذبح أبناءهم ، ويستحي نساءهم حذرا ، فذلك قوله ( وَتُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجَسُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ) .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( وَتُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ) فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين ( وَتُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ) بمعنى : ونرى نحن بالنون ، عطفًا بذلك على قوله ( وَتَمَكَّنَ لَهُمُ ) وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ( وَتُرِيَ فِرْعَوْنَ ) على أن الفعل لفرعون ، بمعنى : ويعاين فرعون ، بالياء من يرى ، ورفع فرعون وهامان والجنود .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان معروفتان في قراء الأمصار ، متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب ، لأنه معلوم أن فرعون لم يكن ليرى من موسى ما رأى ، إلا بأن يريه الله عز وجل منه ، ولم يكن ليريه الله تعالى ذكره ذلك منه إلا رآه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنِ ارْضِعِيهِ ، فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ، وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ، إِنَّا رَآدُوهُ إِلَيْكَ ، وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧)

يقول تعالى ذكره ( وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ) حين ولدت موسى ( أَنْ ارْضِعِيهِ ) .

وكان قتادة يقول في معنى ذلك : وأوحينا إلى أم موسى : قد فطنا في قلبها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ) وحيًا جاءها من الله ، فقدف في قلبها ، وليس بوحي نبوة أن أرضعي موسى ( فَلِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ) وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله ( وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ

أُمِّ مُوسَىٰ ) قال : قدف في نفسها .



حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : أمر فرعون أن يذبح من ولد من بنى إسرائيل سنة ، ويتركوا سنة ، فلما كان في السنة التي يذبحون فيها حملت بموسى ؛ فلما أرادت وضعه ، حزنت من شأنه ، فأوحى الله إليها ( أن أرضعيه ) ، فلذا خفنت عليه فألقيه في اليم .  
 واختلف أهل التأويل في الحال التي أمرت أم موسى أن تلقى موسى في اليم ، فقال بعضهم : أمرت أن تلقيه في اليم بعد ميلاده بأربعة أشهر ، وذلك حال طلبه من الرضاع أكثر مما يطلب الصبي ، بعد حال سقوطه من بطن أمه .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( أن أرضعيه ) فلماذا خفنت عليه ) قال : إذا بلغ أربعة أشهر وصاح وابتغى من الرضاع أكثر من ذلك ( فألقيه ) حينئذ ( في اليم ) فذلك قوله ( فلماذا خفنت عليه ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، قال : لم يقل لها : إذا ولدته فألقيه في اليم ، إنما قال لها ( أن أرضعيه ) ، فلماذا خفنت عليه فألقيه في اليم ) بذلك أمرت ، قال : جعلته في بستان ، فكانت تأتيه كل يوم فترضعه ، وتأتيه كل ليلة فترضعه ، فيكفيه ذلك . وقال آخرون : بل أمرت أن تلقيه في اليم ، بعد ولادها إياه ، وبعد رضاعها .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : لما وضعت أرضعته ، ثم دعت له نجارا ، فجعل له تابوتا ، وجعل مفتاح التابوت من داخل ، وجعلته فيه ، وألقته في اليم .  
 وأولى قول قيل في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره أمر أم موسى أن ترضعه ، فإذا خافت عليه من عدو الله فرعون وجنده أن تلقيه في اليم . وجائز أن تكون خافتهم عليه بعد أشهر من ولادها إياه . وأى ذلك كان ، فقد فعلت ما أوحى الله إليها فيه ، ولا خبر قامت به حجة ، ولا فطرة في العقل لبيان أى ذلك كان من أى ، فأولى الأقوال في ذلك بالصحة : أن يقال كما قال جل ثناؤه . واليم الذي أمرت أن تلقيه فيه هو النيل .

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( فألقيه في اليم ) قال : هو البحر ، وهو النيل . وقد بينا ذلك بشواهد ، وذكر الرواية فيه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .  
 وقوله ( ولا تخافي ولا تحزني ) يقول : لا تخافي على ولدك من فرعون وجنده أن يقتلوه ، ولا تحزني لفراقه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ) قال : لا تخافي عليه البحر ، ولا تحزني لفراقه ( إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ ) .  
وقوله ( إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ) يقول : إنا رادوا ولتدك إليك للرضاع ، لتكوني أنت ترضعيه وباعثوه رسولا إلى من تخافينه عليه أن يقتله ، وفعل الله ذلك بها وبه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ ) وباعثوه رسولا إلى هذه الطاغية ، وجاعلو هلاكه ونجاة بني إسرائيل مما هم فيه من البلاء على يديه .

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَلْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا؛ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمْسَانَ وَجَنُودَهُمَا كَانُوا

خَطِيئِينَ (٨)

يقول تعالى ذكره : فالتقطه آل فرعون فأصابوه وأخذوه ، وأصله من التقطة ، وهو ما وجد ضالا ، فأخذ ، والعرب تقول : لما وردت عليه فجأة من غير طلب له ولا إرادة ، أصبته التقاطا ، ولقيت فلانا التقاطا ؛ ومنه قول الراجز :

وَمَنْهَلٍ وَرَدَّتْهُ التَّقِاطَا لَمْ أَلْقَ إِذْ وَرَدَّتْهُ فُرَاطَا

يعنى : فجأة .

واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( آلُ فِرْعَوْنَ ) في هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى بذلك : جواري امرأة فرعون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أقبل الموج بالتأبوت يرفعه

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز ، لنقادة الأسدى ، أوردهما في ( اللسان : لقط ) وأورد معهما بيتا ثالثا ، وهو :  
« إلا الحمام الورق والغطاطا » قال : ولقيته التقاطا : إذا لقيته من غير أن ترجوه أو تحسبه ؛ قال نقادة الأسدى : « ومنهل وردته . . . »  
الأيات الثلاثة . وقال سيبويه : التقاطا : أى فجأة ، وهو من المصادر التى وقعت أحوالا ، نحو جاء ، ركضا . ووردت الماء والشئ التقاطا : إذا هجمت عليه بئته ، ولم تحسبه . وحكى ابن الأعرابي : لقيته لقاطا : مواجهة . وفي حديث عمر أن رجلا من تميم التقط شبكة ، فطلب أن يجعلها له . الشبكة : الآبار القريبة الماء . والتقاطه : عثوره عليها من غير طلب . اه . وقال في ( فرط ) : وفرط التقط : متقدما لها إلى الوادى والماء . وأنشد البيت ونسبه إلى نقادة الأسدى . ( وفي غطط ) : والغطاط القطلا ، بفتح العين . وقيل : ضرب من القطا ، واحده : غطاطة . وقيل القطا : ضربان ؛ فالقصار الأرجل ، الصغر الأعناق ، السود القوام . الصهب الخواقي . هى الكدرية والجنونية ( يضم أولهما ) والطوال الأرجل ، البيض البطون ، الغبر الظهور ، الواسعة العيون ؛ هى الغطاط . وقيل : الغطاط : ضرب من الطير ، ليس من القطا ، هن غير البطون والظهور والأبدان ، سود الأجنحة . وقيل : سود بطون الأجنحة ، طول الأرجل والأعناق ، لطاف . اه . وانظر أقوالا أخرى في ( اللسان : غطط ) . والبيت الأول في ( معجم ما استعجم للبكرى طبعة القاهرة ، بترتيب مصطفى السقا ص ٧٧٩ ) . وفي الكتاب لسبويه ( ١ : ١٨٦ ) .



مرة ويخفضه أخرى ، حتى أدخله بين أشجار ، عند بيت فرعون ، فخرج جوارى آسية امرأة فرعون يغسلن ، فوجدن التابوت ، فأدخلنه إلى آسية ، وظنن أن فيه مالا ؛ فلما نظرت إليه آسية ، وقعت عليها رحمته ، فأحبت به ، فلما أخبرت به فرعون ، أراد أن يذبحه ، فلم تزل آسية تكلمه ، حتى تركه لها ، قال : إني أخاف أن يكون هذا من بني إسرائيل ، وأن يكون هذا الذي على يديه هلاكنا ، فذلك قول الله ( فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ) .  
وقال آخرون : بل عني به ابنة فرعون .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : كانت بنت فرعون برصاء ، فجاءت إلى النيل ، فإذا التابوت في النيل تخفقه الأمواج ، فأخذته بنت فرعون ، فلما فتحت التابوت ، فإذا هي بصبي ، فلما اطلمت في وجهه برأت من البرص ، فجاءت به إلى أمها ، فقالت : إن هذا الصبي مبارك ، لما نظرت إليه برئت ، فقال فرعون : هذا من صبيان بني إسرائيل ، هلم حتى أقتله ، فقالت : قرّة عين لي ولك ، لا تقتلوه .  
وقال آخرون : عني به أعوان فرعون .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أصبح فرعون في مجلس له ، كان يجلسه على شفير النيل كل غداة ؛ فبينما هو جالس ، إذ مر النيل بالتابوت يقذف به ، وآسية بنت مزاحم امرأته جالسة إلى جنبه ، فقالت : إن هذا لشيء في البحر ، فأتوني به ، فخرج إليه أعوانه ، حتى جاءوا به ، ففتح التابوت فإذا فيه صبي في مهده ، فألقى الله عليه محبته ، وعطف عليه نفسه ، قالت امرأته آسية : ( لا تَقْتُلُوهُ ، عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ) .

ولا قول في ذلك عندنا أولى بالصراب ، مما قال الله عز وجل ( فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ ) ، وقد بينا معنى الآل فيما مضى ، بما فيه الكفاية من إعادته هاهنا .

وقوله ( لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ) فيقول القائل : ليكون موسى آل فرعون عدواً وحزناً التقطوه ، فيقال ( فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ) قيل : إنهم حين التقطوه لم يلتقطوه لذلك ، بل لما تقدم ذكره . ولكنه إن شاء الله كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق ، في قوله ( فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ) قال : ليكون لهم في عاقبة أمره عدواً وحزناً لما أراد الله به ، وليس لذلك أخذوه ، ولكن امرأة فرعون قالت ( قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ ) فكان قول الله ( لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ) لما هو كائن في عاقبة أمره لهم ، وهو كقول القائل لآخر إذا قرّعه لفعل كان فعله ، وهو يُحْسِبُ محسناً في فعله ، فأداه فعله ذلك إلى مساءة ، مندماً له على فعله : فعلت هذا لضرّ نفسك ، ولتضرّ به نفسك فعلت . وقد كان الفاعل في حال فعله ذلك عند نفسه ، يفعل راجياً نفعه ، غير

أن العاقبة جاءت بخلاف ما كان يرجو . فكذلك قوله ( فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ) إنما هو : فالتقطه آل فرعون ظنا منهم أنهم محسنون إلى أنفسهم ، ليكون قرّة عين لهم ، فكانت عاقبة التقاطهم إياه منه هلاكهم على يديه .  
وقوله ( عَدُوًّا وَحَزَنًا ) يقول : يكون لهم عدوًّا في دينهم ، وحزنًا على ما ينالهم منه من المكروه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ) عدوًّا لهم في دينهم ، وحزنًا لما يأتيهم .  
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة ( وَحَزَنًا ) بفتح الحاء والزاي . وقرأته عامة قراء الكوفة ( وَحَزَنًا ) بضم الحاء وتسكين الزاي ، والحزن ، بفتح الحاء وتسكين الزاي : كالعندم والعدم ونحوه . والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، وهما على اختلاف اللفظ فيهما ، بمنزلة العدم ، والعدم ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب .  
وقوله ( إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ) يقول تعالى ذكره : إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا بربهم آثمين ، فلذلك كان لهم موسى عدوًّا وحزنًا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ ، لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ،

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩)

يقول تعالى ذكره ( وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ) له هذا ( قُرَّةُ عَيْنِي لِي وَلَكَ ) يا فرعون ، فقرّة عين مرفوعة بمضمر هو هذا ، أو هو . وقوله ( لَا تَقْتُلُوهُ ) : مسألة من امرأة فرعون أن لا يقتله ، وذكر أن المرأة لما قالت هذا القول لفرعون ، قال فرعون : أمّا لك فنعيم ، وأمّا لي فلا ، فكان كذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : قالت امرأة فرعون ( قُرَّةُ عَيْنِي لِي وَلَكَ ، لَا تَقْتُلُوهُ ، عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ) . قال فرعون : قرّة عين لك ، أمّا لي فلا . قال محمد بن قيس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ قَالَ فِرْعَوْنُ : قُرَّةُ عَيْنِي لِي وَلَكَ ، لَكَانَ لَهُمَا جَمِيعًا » .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : اتخذ فرعون ولدا ، ودعى على أنه ابن فرعون ، فلما تحرك الغلام ، أرته أمه آسية صبيبا ، فيبها هي ترقصه وتلعب به ، إذ ناولته فرعون ،



وقالت : خذه قرّة عين لي ولك ، قال فرعون : هو قرّة عين لك ، لا لي . قال عبد الله بن عباس : لو أنه قال : وهو لي قرّة عين ، إذن لآمن به ، ولكنه أبي .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قالت امرأة فرعون ( قرّة عيني لي ولك ) تعني بذلك موسى .

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم بن أبي أيوب ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما أتت بموسى امرأة فرعون قالت : ( قرّة عيني لي ولك ) قال فرعون : يكون لك ، فأما لي فلا حاجة لي فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ لَوْ أَقْرَفِرْعَوْنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ قُرَّةُ عَيْنٍ كَمَا أَقْرَرْتُ ، كَهَدَاهُ اللَّهُ بِهِ كَمَا هَدَىٰ بِهِ امْرَأَتَهُ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُ ذَلِكَ » .

وقوله ( لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ) ذكر أن امرأة فرعون قالت هذا القول حين هم بقتله . قال بعضهم : حين أتى به يوم التقطه من اليم . وقال بعضهم : يوم نتف من لحيته ، أو ضربه بعضا كانت في يده .

ذكر من قال : قالت ذلك يوم نتف لحيته

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما أتى فرعون به صبيا ، أخذه إليه ، فأخذ موسى بلحيته فنتفها ، قال فرعون : علىّ بالذباحين ، هو هذا ، قالت آسية ( لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ) إنما هو صبي لا يعقل ، وإنما صنع هذا من صباه .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ) قال : أُلْقِيَتْ عليه رحمتها حين أبصرته .  
وقوله ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وهم لا يشعرون هلاكهم على يده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) قال : وهم لا يشعرون أن هلكهم على يديه ، وفي زمانه .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ( أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) قال : إن هلاكهم على يديه .  
حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) قال : آل فرعون أنه لهم عدو .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وهم لا يشعرون بما هو كائن من أمرهم وأمره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قالت امرأة فرعون آسية ( لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) يقول الله : وهم لا يشعرون أى بما هو كائن بما أراد الله به .

وقال آخرون : بل معنى قوله ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) بنو إسرائيل لا يشعرون أننا التقطناه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ( لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) قال : يقول : لا تدرى بنو إسرائيل أننا التقطناه .

والصواب من القول في ذلك : قول من قال : معنى ذلك : وفرعون وآله لا يشعرون بما هو كائن من هلاكهم على يديه .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات به ، لأنه عقيب قوله ( وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَك ، لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ) وإذا كان ذلك عقيبها ، فهو بأن يكون بيانا عن القول الذى هو عقبه أحق من أن يكون بيانا عن غيره .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِيغًا ، إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠)

اختلف أهل التأويل في المعنى الذى عسى الله أنه أصبح منه فؤاد أم موسى فارغا ، فقال بعضهم : الذى عسى جل ثناؤه أنه أصبح منه فؤاد أم موسى فارغا ، كل شىء سوى ذكر ابنها موسى .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن العلاء ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا الأعمش ، عن مجاهد ، وحسان أبي الأشرس عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله ( وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِيغًا ) قال : فرغ من كل شىء إلا من ذكر موسى .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن حسان ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، ( وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِيغًا ) قال : فارغا من كل شىء إلا من ذكر موسى .



حدثنا محمد بن حمارة ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن رجل ، عن ابن عباس ( وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ) قال : فارغا من كل شيء إلا من هم موسى .  
حدثنا علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي عن ابن عباس ، قوله ( وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ) قال : يقول : لاتذكر إلا موسى .

حدثنا محمد بن حمارة ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ( وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ) قال : من كل شيء غير ذكر موسى .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ) قال : فرغ من كل شيء إلا من ذكر موسى .

حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملي ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة ، عن ابن شوذب ، عن مطر ، في قوله ( وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ) قال : فارغا من كل شيء إلا من هم موسى .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ) : أي لاغيا من كل شيء ، إلا من ذكر موسى .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ) قال : فرغ من كل شيء غير ذكر موسى .  
وقال آخرون : بل عني أن فؤادها أصبح فارغا من الوحي الذي كان الله أوحاه إليها ، إذ أمرها أن تلقيه في اليم ، فقال ( وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ، إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ ، وَجَاعِلُوهُ مِّنَ الْمُرْسَلِينَ ) قال : فحزنت ونسيت عهد الله إليها ، فقال الله عز وجل ( وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ) من وحيها الذي أوحيناه إليها .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ) قال : فارغا من الوحي الذي أوحى الله إليها ، حين أمرها أن تلقيه في البحر ، ولا تخاف ولا تحزن ، قال : فجاءها الشيطان ، فقال : يا أم موسى ، كرهت أن يقتل فرعون موسى ، فيكون لك أجره وثوابه ، وتوليت قتله ، فألقيته في البحر وغرقته ، فقال الله ( وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ) من الوحي الذي أوحاه إليها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، قال : ثني الحسن ، قال : أصبح فارغا من العهد الذي عهدنا إليها ، والوعد الذي وعدناها أن نرد عليها ابنها ، فنسيت ذلك كله ، حتى كادت أن تبدي به ، لولا أن ربطنا على قلبها .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : قد كانت أم موسى ترفع له حين قذفته في البحر ، هل تسمع له بذكر ، حتى أتاه الخبر بأن فرعون أصاب الغداة صبيا في النيل في التابوت ، فعرفت الصفة ، ورأت أنه وقع في يدي عدوه الذي فرت به منه ، وأصبح فؤادها فارغا من عهد الله إليها فيه ،

قد أنساها عظيم البلاء ما كان من العهد عندها من الله فيه . وقال بعض أهل المعرفة بكلام العرب : معنى ذلك : وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من الحزن ، لعلمها بأنه لم يغرق . قال : وهو من قولهم : دم فرغ : أى لا قود ولا دية ، وهذا قول لامعنى له ، لخلافه قول جميع أهل التأويل .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي : قول من قال : معناه : وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من كل شيء ، إلا من هم موسى .

وإنما قلنا : ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب ، لدلالة قوله ( إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها ) ولو كان عتني بذلك : فراغ قلبها من الوحى ، لم يعقب بقوله ( إن كادت لتبدي به ) ، لأنها إن كانت قاربت أن تبدي الوحى ، فلم تكد أن تبديه إلا لكثرة ذكرها إياه ، وولوعها به ، ومحال أن تكون به ولعة لإلاوهي ذاكرة . وإذا كان ذلك كذلك ، بطل القول بأنها كانت فارغة القلب مما أوحى إليها ، وأخرى أن الله تعالى ذكره أخبر عنها أنها أصبحت فارغة القلب ، ولم يخصص فراغ قلبها من شيء دون شيء ، فذلك على العموم إلا ما قامت حجته أن قلبها لم يفرغ منه . وقد ذكر عن فضالة بن عبيد ، أنه كان يقرؤه ( وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ) من الفرع .

وقوله ( إن كادت لتبدي به ) اختلف أهل التأويل في المعنى الذى عادت عليه الهاء في قوله ( به ) فقال بعضهم : هى من ذكر موسى ، وعليه عادت .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا الأعمش ، عن مجاهد وحسان بن الأشرس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( إن كادت لتبدي به ) أن تقول : يا ابنه .

قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن حسان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( إن كادت لتبدي به ) : أن تقول : يا ابنه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن حسان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( إن كادت لتبدي به ) : أن تقول : يا بنياه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إن كادت لتبدي به ) : أى لتبدي به أنه ابنها ، من شدة وجدها .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : لما جاءت أمه أخذ منها ، يعنى الرضاع ، فكادت أن تقول : هو ابني ، فعصمها الله ، فذلك قول الله ( إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها ) .

وقال آخرون ( بما أوحيناه إلسها ) : أى تظفر .

والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين ذكرنا قولهم أنهم قالوا : إن كادت لتقول : يا بنياه لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك ، وأنه عقيب قوله ( وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ) فلأن يكون لو لم (١) في (السان فرغ) : يقال : ذهب دمه فرغا وفرغا ( بفتح الفاء وكسرها مع سكون الراء ) أى باطلا هدرا ، لم يطلب به .



يكن ممن ذكرنا في ذلك إجماع على ذلك، من ذكر موسى، لقربه منه، أشبهه من أن يكون من ذكر الوحي .  
وقال بعضهم: بل معنى ذلك: إن كادت لتبدي بموسى فتقول: هو ابني، قال وذلك أن صدرها ضاق  
فذنسب إلى فرعون، وقيل ابن فرعون. وعنى بقوله ( لَتُبَدِّي بِهِ ) لَتُظْهِرَهُ وَتُخْبِرَ بِهِ .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول، في قوله  
( إن كادت لتبدي به ) لتشعير به .  
حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( إن كادت لتبدي به )  
قال: لتعلن بأمره، لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين .  
وقوله ( لولا أن ربطنا على قلبها ) يقول: لولا أن عصمتها من ذلك بثبوتناها وتوفيقناها  
للسكوت عنه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال الله ( لولا أن ربطنا على  
قلبها ) : أي بالإيمان ( ليتكون من المؤمنين ) .  
حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: كادت تقول: هو ابني،  
فعصمها الله، فذلك قول الله ( إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها ) :  
وقوله ( ليتكون من المؤمنين ) يقول تعالى ذكره: عصمتها من إظهار ذلك وقيله بلسانها، وثبتناها  
للعهد الذي عهدنا إليها ( ليتكون من المؤمنين ) بوعد الله، الموقنين به .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَتْ لِأَخْتِهِ قُصِيهِ، فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١)

يقول تعالى ذكره: وقالت أم موسى لأخت موسى حين ألقته في اليم ( قُصِيهِ ) يقول: قُصِيَ أثر  
موسى، اتبعي أثره، تقول: قصصت آثار القوم: إذا اتبعت آثارهم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن،  
قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ( لِأَخْتِهِ قُصِيهِ ) قال: اتبعي أثره كيف يصنع به .  
حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ( قُصِيهِ ) أي  
قُصِيَ أثره .

حدثنا ابن حميد ، ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَقَالَتْ لِأُخْتَيْهِ قُصَيْهِ ) قال : اتبعني أثره .  
حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَقَالَتْ لِأُخْتَيْهِ قُصَيْهِ ) أي  
انظري ماذا يفعلون به .  
حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَقَالَتْ لِأُخْتَيْهِ قُصَيْهِ ) يعني :  
قصي أثره .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبع بن زيد ، قال : ثنا القاسم بن  
أبي أيوب ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( وَقَالَتْ لِأُخْتَيْهِ قُصَيْهِ ) أي قصي أثره واطلبه  
هل تسمعون له ذكرا ؟ أحيى ابني أو قد أكلته دواب البحر وحيثانه ؟ ونسيت الذي كان الله وعدها .  
وقوله ( فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ ) يقول تعالى ذكره : فقصت أخت موسى أثره ، فبصرت به عن  
جُنُبٍ : يقول : فبصرت بموسى عن بُعد ، لم تدن منه ولم تقرب ، لئلا يُعَلِّمَ أنها منه بسبيل ، يقال منه :  
بَصُرْتُ بِهِ وَأَبْصَرْتَهُ ، لغتان مشهورتان ، وأبصرت عن جُنُبٍ ، وعن جنابة ، كما قال الشاعر :  
أَتَيْتُ حُرَيْثًا زَائِرًا عَنْ جَنَابَةٍ فَكَانَ حُرَيْثٌ عَنْ عَطَائِي جَاهِدًا  
يعني بقوله : عن جنابة : عن بُعد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( عَنْ جُنُبٍ ) قال : بُعد .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( عَنْ جُنُبٍ )  
قال : عن بُعد . قال ابن جريج ( عَنْ جُنُبٍ ) قال : هي على الحد في الأرض ، وموسى يجرى به النيل ،  
وهما متحاذيان ، كذلك تنظر إليه نظرة ، وإلى الناس نظرة ، وقد جعل في تابوت مُقْبِرٌ ظهره وبطنه ،  
وأقفلته عليه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي سفيان ، عن معمر ، عن قتادة :  
( فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ ) يقول : بصرت به وهي مُحَازِيَةٌ لم تأته .  
حدثني العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبع بن زيد ، قال : ثنا القاسم بن  
أبي أيوب ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ ) ، والجُنُبُ : أن  
يسمو بصر الإنسان إلى الشيء البعيد ، وهو إلى جنبه لا يشعر به .

(١) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة ( ديوانه طبعه القاهرة ص ٦٥ ) قصيدة يمنح بها هودة بن علي الخنق ، ويذم الحارث بن ويلة  
ابن مجالد الرقاشي ، وقد صغرا اسمه تحقيرا له وذما . وعن جنابة عن بعد وغربة . ورجل جنب أيضا : بمعنى غريب . والجاحد : الذي  
ينكر ما يعلم . جحده حقه ، وبجقه . قاله في اللسان . والشاهد . في البيت « عن جنابة » ومعناه عن بعد .



وقوله ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) يقول : وقوم فرعون لا يشعرون بأخت موسى أنها أخته .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) قال : آل فرعون .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ  
لَا يَشْعُرُونَ ) أنها أخته ، قال : جعلت تنظر إليه كأنها لا تريده .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) أنها أخته .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) أي لا يعرفون أنها منه بسبيل .

القول في تأويل قوله تعالى

\* وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ، فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ  
لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ؟ (١٢)

يقول تعالى ذكره : ومنعنا موسى المراضع أن يرتضع منهن من قبل أمه . ذكر أن أختا لموسى ، هي  
التي قالت لآل فرعون ( هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ) .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أرادوا له المرضعات ، فلم  
يأخذ من أحد من النساء ، وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون في الرضاع ، فأبى أن يأخذ ، فذلك  
قوله ( وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ ) أخته ( هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ  
لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ) فلما جاءت أمه أخذ منها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ )  
قال : لا يقبل ثدي امرأة حتى يرجع إلى أمه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن حسان ، عن سعيد  
ابن جبير ، عن ابن عباس ( وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ) قال : كان لا يؤتى بمرضع فيقبلها .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَحَرَمْنَا  
عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ) قال : لا يرضع ثدي امرأة حتى يرجع إلى أمه .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ )  
قال : جعل لا يؤتى بامرأة إلا لم يأخذ ثديها ، قال : فقالت أخته ( هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ  
لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : اجمعوا المراضع ، حين ألقى الله محبتهم عليه ،  
فلا يؤتى بامرأة فيقبل ثديها فسيبرمضهم ! ذلك ، فيوتى بمرضع بعد مرضع ، فلا يقبل شيئا منهن ، فقالت لهم أخته  
حين رأت من وجدهم به ، وحرصهم عليه ( هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ ) ، ويعني  
بقوله ( يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ ) : يضمونه لكم . وقوله ( وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ) ذكر أنها أخذت ، فقيل :  
قد عرفته ، فقالت : إنما عنيت أنهم للملك ناصحون .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما قالت أخته ( هَلْ  
أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ) أخذوها ، وقالوا : إنك قد عرفت  
هذا الغلام ، فدُلينا على أهله ، فقالت : ما أعرفه ، ولكني إنما قلت : هم للملك ناصحون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى  
أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ) قال : فعَلِمَوهَا حين قالت : وهم له ناصحون ، قالوا  
قد عرفته ، قالت : إنما أردت هم للملك ناصحون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ) أي لمنزلته عندكم ، وحرصكم  
على مسرة الملك ، قالوا : هاتى .

القول في تأويل قوله تعالى

فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَتَعَلَّمَ ۖ أَن وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ

لَا يَعْلَمُونَ (١٣)

يقول تعالى ذكره : فرددنا موسى إلى أمه بعد أن التقطه آل فرعون ، لتقر عينها بابنها ، إذ رجع إليها  
سليما من قتل فرعون ، ولا تحزن على فراقه إياها ، وتعلم أن وعد الله الذي وعدها إذ قال لها ( فإِذَا خِفتِ  
عليه فألقيه في اليم ، ولا تخافي ولا تحزني ) . . . الآية ، حق .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ ) فقرأ حتى بلغ  
( لَا يَعْلَمُونَ ) ، ووعدنا أنه رادّه إليها ، وجاعله من المرسلين ، ففعل الله ذلك بها .  
وقوله ( وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ) يقول تعالى ذكره : ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن  
وعد الله حق ، لا يصدقون بأن ذلك كذلك .

(١) في (اللسان : رمضى) : والرمض : حرقة الغيظ . وقد أرمضني هذا الأمر ، فرمضت . ويقال : أرمضني : أوجعني .



## القول في تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤)

يقول تعالى ذكره : ولما بلغ موسى أشدّه ، يعني حان شدة بدنه وقواه ، وانتهى ذلك منه . وقد بينا معنى الأشدّ فيما مضى بشواهد ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله ( واستوى ) يقول : تنهى شبابه ، وتمّ خلّقه واستحكم ، وقد اختلف في مبلغ عدد سني الاستواء ، فقال بعضهم : يكون ذلك في أربعين سنة .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله : ( واستوى ) قال : أربعين سنة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( ولما بلغ أشدّه ) قال : ثلاثا وثلاثين سنة . قوله ( واستوى ) قال : بلغ أربعين سنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ( ولما بلغ أشدّه ) قال : بضعا وثلاثين سنة .

قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( ولما بلغ أشدّه ) قال : ثلاثا وثلاثين سنة . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ( أشدّه واستوى ) قال : أربعين سنة ، وأشدّه : ثلاثا وثلاثين سنة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( ولما بلغ أشدّه واستوى ) قال : كان أبي يقول : الأشدّ : الجلد ، والاستواء : أربعون سنة . وقال بعضهم : يكون ذلك في ثلاثين سنة .

وقوله ( آتيناه حكمة وعِلما ) يعني بالحكم : الفهم بالدين والمعرفة . كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( آتيناه حكمة وعِلما ) قال : الفقه والعقل والعمل قبل النبوة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( آتيناه حكمة وعِلما ) قال : الفقه والعمل قبل النبوة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ) آتاه الله حكما وعلمًا :  
ففيها في دينه ودين آبائه ، وعلمًا بما في دينه وشرائعه وحدوده .  
وقوله ( وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ) يقول تعالى ذكره : وكما جزينا موسى على طاعته إيانا وإحسانه ،  
بصبره على أمرنا ، كذلك نجزي كل من أحسن من رسلنا وعبادنا ، فصبر على أمرنا وأطاعنا ، وانتهى عما  
نهيناه عنه :

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ، فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ، هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ، وَهَذَا  
مِنْ عَدُوِّهِ ، فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ، فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ ، فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ، قَالَ  
هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ (١٥)

يقول تعالى ذكره ( وَدَخَلَ ) موسى ( الْمَدِينَةَ ) مدينة منف من مصر ( عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ  
أَهْلِهَا ) وذلك عند القائلة نصف النهار .

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله دخل موسى هذه المدينة في هذا الوقت ، فقال بعضهم :  
دخلها متبعا أثر فرعون ، لأن فرعون ركب وموسى غير شاهد ؛ فلما حضر علم بركوبه ، فركب واتبع أثره ،  
وأدركه المتقيل في هذه المدينة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : كان موسى حين كبر  
يركب مراكب فرعون ، ويلبس مثل ما يلبس ، وكان إنما يُدعى موسى بن فرعون ، ثم إن فرعون ركب  
مركبا وليس عنده موسى ؛ فلما جاء موسى قيل له : إن فرعون قد ركب ، فركب في أثره ، فأدركه المتقيل  
بأرض يقال لها منسف ، فدخلها نصف النهار ، وقد تغلقت أسواقها ، وليس في طرقها أحد ، وهي التي يقول  
الله ( وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ) .

وقال آخرون : بل دخلها مستخفيا من فرعون وقومه ، لأنه كان قد خالفهم في دينهم ، وعاب ما كانوا  
عليه .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما بلغ موسى أشده واستوى ، آتاه الله  
حكما وعلمًا ، فكانت له من بني إسرائيل شيعة يسمعون منه ويطيعونه ، ويحتمعون إليه ، فلما استأد رأيه ،  
وعرف ما هو عليه من الحق ، رأى فراق فرعون وقومه على ما هم عليه حقا في دينه ، فتكلم وعادى وأنكر ،

(١) استدرأه : من السداد ! أي أحكم عقله ، وقويت تجاربه .



حتى ذكر ذلك منه ، وحتى أخافوه وخافهم ، حتى كان لا يدخل قرية فرعون إلا خائفا مستخفيا ، فدخلها يوما على حين غفلة من أهلها .

وقال آخرون : بل كان فرعون قد أمر بإخراجه من مدينته ، حين علاه بالعصا ، فلم يدخلها إلا بعد أن كبر وبلغ أشده . قالوا : ومعنى الكلام : ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها لذكر موسى : أى من بعد نسيانهم خبره وأمره .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( على حين غفلة من أهلها ) قال : ليس غفلة من ساعة ، ولكن غفلة من ذكر موسى وأمره . وقال فرعون لامرأته : أخرجيه عنى حين ضرب رأسه بالعصا ، هذا الذى قُتِلَ فيه بنو إسرائيل . فقالت : هو صغير ، وهو كذا ، هات جبرا ، فأتى بجمر ، فأخذ جرة ، فطرحها فى فيه ، فصارت عقدة فى لسانه ، فكانت تلك العقدة التى قال الله ( وأحليل عقدة من لسانى يفتقهُوا قولى ) قال : أخرجيه عنى ، فأخرج ، فلم يدخل عليهم حتى كبر ، فدخل على حين غفلة من ذكره .

وأولى الأقوال بالصحة بذلك أن يقال كما قال الله جل ثناؤه : ولما بلغ أشده واستوى ، دخل المدينة على حين غفلة من أهلها .

واختلفوا فى الوقت الذى عسى بقوله ( على حين غفلة من أهلها ) فقال بعضهم : ذلك نصف النهار .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن محمد بن المنكدر ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس ، قوله ( ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها ) قال : نصف النهار . قال ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس ، قال : يقولون فى القائلة ، قال : وبين المغرب والعشاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها ) قال : دخلها بعد ما بلغ أشده عند القائلة : نصف النهار .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : دخل نصف النهار .

وقوله ( فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته ) يقول : هذا من أهل دين موسى من بنى إسرائيل ( وهذا من عدوه ) من القبط من قوم فرعون . ( فاستغاثه الذى من شيعته ) : يقول : فاستغاثه الذى هو من أهل دين موسى ، على الذى من عدوه من القبط ( فوكزه موسى ، فقضى عليه ) يقول : فلكره ولززه فى صدره بجمع كفه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا حفص ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، قال : أساء موسى من حيث أساء ، وهو شديد الغضب شديد القوة ، فرّ برجل من القبط ، قد تسخر رجلا من المسلمين ، قال : فلما رأى موسى استغاث به ، قال : ياموسى ، فقال موسى : خلّ سبيله ، فقال : قد هممت أن أحمله عليك ، فوكزه موسى ، فقضى عليه ؛ قال : حتى إذا كان الغد نصف النهار ، خرج ينظر الخبر ، قال : فإذا ذاك الرجل قد أخذه آخر في مثل حدّه ؛ قال : فقال : ياموسى ، قال : فاشتدّ غضب موسى ، قال : فأهوى ، قال : فخاف أن يكون إياه يريد ، قال : فقال ( أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس ؟ ) قال : فقال الرجل : ألا أراك يا موسى أنت الذى قتلت ؟

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن عليّ ، قال : ثنا الأعمش ، عن سعيد بن جبير ( فوجد فيها رجلين يقتتلان ) قال : رجل من بني إسرائيل ، يقاتل جبارا لفرعون ، فاستغاثه ، فوكزه موسى ، فقضى عليه ؛ فلما كان من الغد ، استصرخ به فوجده يقاتل آخر ، فأغاثه ، فقال : ( أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس ) ، ففرغوا أنه موسى ، فخرج منها خائفا يترقب ، قال عثمان : أو نحو هذا .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فوجد فيها رجلين يقتتلان ، هذا من شيعته ، وهذا من عدوه ) أما الذى من شيعته فن بنى إسرائيل ، وأما الذى من عدوه فقبلى من آل فرعون .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( فوجد فيها رجلين يقتتلان ، هذا من شيعته وهذا من عدوه ) يقول : من القبط ( فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه ) .

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم ابن أبي أيوب ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « لما بلغ موسى أشده ، وكان من الرجال ، لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سُخرة ، حتى امتنعوا كل الامتناع ، فبينما هو يمشى ذات يوم في ناحية المدينة ، إذا هو برجلين يقتتلان : أحدهما من بني إسرائيل ، والآخر من آل فرعون ، فاستغاثه الإسرائيليّ على الفرعونى ، فغضب موسى ، واشتدّ غضبه ، لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل ، وحفظه لهم ، ولا يعلم الناس إلا أنما ذلك من قبيل الرضاعة من أم موسى ، إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على علم ما لم يطلع عليه غيره ، فوكزه موسى الفرعونى فقتله ، ولم يرها أحد إلا الله والإسرائيلى ، فقال موسى حين قتل الرجل ( هذا من عمل الشيطان ) . . . الآية » :  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( فوجد فيها رجلين يقتتلان ، هذا من شيعته ) مسلم ، وهذا من أهل دين فرعون كافرا ( فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من



عَدُوَّهُ ) وكان موسى قد أوتى بسطة في الخلق ، وشدة في البطش ، فغضب بعدوَّهما فنازعه ، فوكره موسى وكرة قتله منها وهو لا يريد قتله ، فقال ( هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ) قال : من قومه من بني إسرائيل ، وكان فرعون من فارس من إصطخر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .  
قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن أصحابه ( هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ) (إسرائيل) ( وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ) قِبْطِي ( فَاسْتَعَاثَهُ اللَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ) .  
وبنحو الذي قلنا أيضا ، قالوا في معنى قوله ( فَوَكَرَهُ مُوسَى ) .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَوَكَرَهُ مُوسَى ) قال : يُجمع كفه .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَوَكَرَهُ مُوسَى ) نبي الله ، ولم يتعمد قتله .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قتله وهو لا يريد قتله .  
وقوله ( فَفَقَضَى عَلَيْهِ ) يقول : ففرغ من قتله . وقد بينت فيما مضى أن معنى القضاء : الفراغ ، بما أغنى عن إعادته هاهنا .

ذكر أنه قتله ثم دفنه في الرمل

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن أصحابه ( فَوَكَرَهُ مُوسَى فَفَقَضَى عَلَيْهِ ) ثم دفنه في الرمل .  
وقوله ( قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ) يقول تعالى ذكره : قال موسى حين قتل القاتل : هذا القتل من تسبب الشيطان لي ، بأن هيج غضبي ، حتى ضربت هذا ، فهلك من ضربتي ، ( إِنَّهُ عَدُوٌّ ) يقول : إن الشيطان عدو لابن آدم ( مُضِلٌّ ) له عن سبيل الرشاد ، بتزيينه له القبيح من الأعمال ، وتحسينه ذلك له ( مُبِينٌ ) يعني أنه بين عداوته لهم قديما ، وإضلاله إياهم .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ، فَغَفَرَ لَهُ ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦) قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أُنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِمُنْجَرِمٍ (١٧)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن ندم موسى على ما كان من قتله النفس التي قتلها ، وتوبته إليه منه ، ومسلته غفرانه من ذلك ( رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ) بقتل النفس التي لم تأمرني بقتلها ، فاعف عن ذنبي ذلك ، واسره عليّ ، ولا تؤاخذني به ، فتعاقبني عليه .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ) قال : بقتلي ، من أجل أنه لا ينبغي لنبي أن يقتل حتى يؤمر ، ولم يؤمر .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : عرف المخرج ، فقال ( ظَلَمْتُ نَفْسِي ، فَاغْفِرْ لِي ، فَغَفَرَ لَهُ ) .

وقوله ( فَغَفَرَ لَهُ ) يقول تعالى ذكره : فعفا الله لموسى عن ذنبه ، ولم يعاقبه به ( إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ) يقول : إن الله هو الساتر على المنيبين إليه من ذنوبهم ؛ على ذنوبهم ، المتفضل عليهم بالعمو عنها ، الرحيم للناس أن يعاقبهم على ذنوبهم ، بعد ما تابوا منها . وقوله ( قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ) يقول تعالى ذكره : قال موسى ربّ بلعامك عليّ ، بعفوك عن قتل هذه النفس ( فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ) يعني المشركين ، كأنه أقسم بذلك ، وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ( فَلَا تَجْعَلْنِي ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ) كأنه على هذه القراءة دعا ربه ، فقال : اللهم لن أكون ظهيرا ، ولم يستثن عليه السلام حين قال ( فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ) فابتلى .

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ) يقول : فلن أعين بعدها ظلما على فجيرة ، قال : وقلما قالها رجل إلا ابتلى ، قال : فابتلى كما تسمعون .

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ، فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ، قَالَ لَهُ مُوسَى :

إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُّبِينٌ (١٨)

يقول تعالى ذكره : فأصبح موسى في مدينة فرعون خائفا متراقبا ، أي ينتظر ما الذي يتحدث به الناس ، مما هم صانعون في أمره وأمر قتيله .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبع بن زيد ، قال : ثنا القاسم بن



أبي أيوب ، قال : ثنا سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ( فأصبح في المدينة خائفا يترقب ) قال : خائفا من قتله النفس ، يترقب أن يؤخذ .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فأصبح في المدينة خائفا يترقب ) قال : خائفا أن يؤخذ .

وقوله ( فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه ) يقول تعالى ذكره : فرأى موسى لما دخل المدينة على خوف مترقبا الأخبار عن أمره وأمر القتل ، فإذا الإسرائيلي الذي استنصره بالأمس على الفرعوني ، يقاتله فرعوني آخر ، فرآه الإسرائيلي ، فاستصرخه على الفرعوني : يقول : فاستغاثه أيضا على الفرعوني ، وأصله من الصراخ ، كما يقال : قال بنو فلان : يا صباحاه ! قال له موسى ( إنك لـغوي مبين ) يقول جل ثناؤه : قال موسى للإسرائيلي الذي استصرخه ، وقد صادف موسى نادما على ما سلف منه من قتله بالأمس القتل ، وهو يستصرخه اليوم على آخر : إنك أيها المستصرخ لغوي : يقول : إنك لذو غواية ، مبين : يقول : قد تبينت غوايتك ، بقتالك أمس رجلا ، واليوم آخر .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا سعيد ابن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : أتي فرعون ، فقيل له : إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون ، فخذ لنا بحقتنا ، ولا ترخص لهم في ذلك . قال : ابغوني قاتله أو من يشهد عليه ، لا يستقيم أن نقضى بغير بينة ولا ثبت<sup>٢</sup> ، فاطلبوا ذلك ، فبيناهم يطوفون لا يجدون شيئا ، إذ مر موسى من الغد ، فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونيا ، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني ، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس ، وكره الذي رأى ، فغضب موسى ، فمدّ يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني ، فقال للإسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم ( إنك لـغوي مبين ) ، فنظر الإسرائيلي إلى موسى بعد ما قال هذا ، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس إذ قتل فيه الفرعوني ، فخاف أن يكون بعد ما قال له ( إنك لـغوي مبين ) إياه أراد ، ولم يكن أراد ، إنما أراد الفرعوني ، فخاف الإسرائيلي ، فحاجه ، فقال ( يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس ؟ إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض ) وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقته ، فتاركا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه ) قال : الاستنصار والاستصراخ واحد .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه ) يقول : يستغيثه .

(٢) في (اللسان : ثبت) الثبت : بالتحريك : الحجة والبينة .

(١) ابغوني قاتله : هاتولى قاتله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قَتَلَ موسى القتل ، خرج فلحق بمنزله من مصر ، وتحدث الناس بشأنه ، وقيل : قتل موسى رجلا ، حتى انتهى ذلك إلى فرعون ، فأصبح موسى غاديا الغد ، وإذا صاحبه بالأمس معانق رجلا آخر من عدوه ، فقال له موسى ( إِنَّكَ لَتَعَوِي مُبِينٌ ) أمس رجلا ، واليوم آخر ؟

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا حفص ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبيرة والشيباني ، عن عكرمة ، قال : الذي استنصره : هو الذي استصرخه .

### القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا ، قَالَ : يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ، إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ ، وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (١٩)

يقول تعالى ذكره : فلما أن أراد موسى أن يبطش بالفرعون الذي هو عدو له وللإسرائيلي ، قال الإسرائيلي لموسى وظن أنه إياه يريد : ( أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ) ؟

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ( فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا ) قال : خافه الذي من شيعته حين قال له موسى ( إِنَّكَ لَتَعَوِي مُبِينٌ ) .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال موسى للإسرائيلي ( إِنَّكَ لَتَعَوِي مُبِينٌ ) ثم أقبل لينصره ، فلما نظر إلى موسى قد أقبل نحوه ، ليطش بالرجل الذي يقاتل الإسرائيلي ، قال الإسرائيلي ، وفرق من موسى أن يبطش به ، من أجل أنه أغلظ له الكلام : يا موسى ( أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ، إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ ، وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ) . فتركه موسى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن أصحابه ، قال : ندم بعد أن قتل القتل ، فقال ( هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ) قال : ثم استنصره بعد ذلك الإسرائيلي على قبطنى آخر ، فقال له موسى ( إِنَّكَ لَتَعَوِي مُبِينٌ ) فلما أراد أن يبطش بالقبطني ، ظن الإسرائيلي أنه إياه يريد ، ف ( قال : يا موسى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ) ؟

قال : وقال ابن جرير ، أو ابن أبي نجيح « الطبري يشك » وهو في الكتاب ابن أبي نجيح : إن موسى لما أصبح ، أصبح نادما تائبا ، يود أن لم يبطش بواحد منهما ، وقد قال للإسرائيلي ( إِنَّكَ لَتَعَوِي مُبِينٌ ) ، فعلم الإسرائيلي أن موسى غير ناصره ؛ فلما أراد الإسرائيلي أن يبطش بالقبطني نهاه موسى ، ففرق الإسرائيلي من موسى ، ف ( قال : أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ) ؟ فسعى بها القبطني .



وقوله ( إن تُريدُ إلاَّ أنْ تُكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ ) يقول تعالى ذكره مخبراً عن قِبل الإسرائيلى لموسى : ( إن تريد) ما تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض . وكان من فعل الجبابة : قتل النفوس ظلماً ، بغير حق . وقيل : إنما قال ذلك لموسى الإسرائيلى ، لأنه كان عندهم من قتل نفسين : من الجبابة .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا هشيم بن بشير ، عن إسماعيل بن سالم ، عن الشعبي قال : من قتل رجلين فهو جبار ؛ قال : ثم قرأ ( أتريدُ أنْ تُقتلنِي كَمَا قَتَلْتَنَفْسًا بِالأَمْسِ ، إنْ تُريدُ إلاَّ أنْ تُكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ ، وَمَا تُريدُ أنْ تُكُونَ مِنَ المُصْلِحِينَ ) .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إنْ تُريدُ إلاَّ أنْ تُكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ ) إن الجبابة هكذا ، تقتل النفس بغير النفس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، ( إنْ تُريدُ إلاَّ أنْ تُكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ ) قال : تلك سيرة الجبابة أن تقتل النفس بغير النفس . وقوله ( وَمَا تُريدُ أنْ تُكُونَ مِنَ المُصْلِحِينَ ) يقول : ما تريد أن تكون ممن يعمل في الأرض بما فيه صلاح أهلها ، من طاعة الله . وذكر عن ابن إسحاق أنه قال في ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَمَا تُريدُ أنْ تُكُونَ مِنَ المُصْلِحِينَ ) أى ما هكذا يكون الإصلاح .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا المَدِينَةِ يَسْعَى ، قَالَ : يَا مُوسَى إِنَّ المَلَآئِكَةَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ، فَأَخْرِجْ  
إِنِّي لَكَ مِنَ النّٰصِحِينَ (٢٠)

ذكر أن قول الإسرائيلى سمعه سامع فأفشاه ، وأعلم به أهل القتل ، فحينئذ طلب فرعون موسى ، وأمر بقتله ؛ فلما أمر بقتله ، جاء موسى مخبر ، وخبره بما قد أمر به فرعون في أمره ، وأشار عليه بالخروج من مصر ، بلد فرعون وقومه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

#### ذكر من قال ذلك

حدثنى العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبع بن زيد ، قال : ثنا القاسم بن أبى أيوب ، قال : ثنى سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : انطلق الفرعونى الذى كان يقاتل الإسرائيلى إلى قومه ، فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلى من الخبر حين يقول ( أتريدُ أنْ تُقتلنِي كَمَا قَتَلْتَنَفْسًا بِالأَمْسِ ) ؟ فأرسل فرعون الذبّاحين لقتل موسى ، فأخذوا الطرق الأعظم ، وهم لا يخافون أن يفوتهم ، وكان رجل من شيعة موسى فى أقصى المدينة ، فاختصر طريقاً قريباً ، حتى سبقهم إلى موسى ، فأخبره الخبر .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : أعلمهم القبطى الذى هو عدو

لهما ، فَأَتَمَّرَ الْمَلَأَ لِيَقْتُلُوهُ ، فجاء رجل من أقصى المدينة ، وقرأ ( إن ) . . . إلى آخر الآية ، قال : كنا نحدث أنه مؤمن آل فرعون .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : ذهب القبطي ، يعني الذي كان يقاتل الإسرائيلي ، فأفثنى عليه أن موسى هو الذي قتل الرجل ، فطلبه فرعون وقال : خذوه ، فإنه صاحبنا ، وقال للذين يطلبونه : اطلبوه في بُنَيَاتِ الطَّرِيقِ ، فإن موسى غلام لا يهتدى الطريق ، وأخذ موسى في بُنَيَاتِ الطَّرِيقِ ، وقد جاءه الرجل فأخبره ( إِنَّ الْمَلَأَ يَا تَمْرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن أصحابه ، قالوا : لما سمع القبطي قول الإسرائيلي لموسى ( أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلُنِي كَمَا قَتَلْتَنِي نَفْسًا بِالْأَمْسِ ) سعى بها إلى أهل المقتول ، فقال : إن موسى هو قتل صاحبكم ، ولو لم يسمعه من الإسرائيلي لم يعلمه أحد ؛ فلما علم موسى أنهم قد علموا خرج هاربا ، فطلبه القوم فسبقهم ، قال : وقال ابن أبي نجيح : سعى القبطي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، قال قال الإسرائيلي لموسى : ( أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلُنِي كَمَا قَتَلْتَنِي نَفْسًا بِالْأَمْسِ ) ؟ وقبطي قريب منهما يسمع ، فأفثنى عليهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سمع ذلك عدو ، فأفثنى عليهما .

وقوله ( وَجَاءَ رَجُلٌ ) ذُكِرَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ آلَ فِرْعَوْنَ ، وَكَانَ اسْمُهُ فِيمَا قِيلَ : سَمْعَانُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ كَانَ اسْمُهُ سَمْعُونُ .

#### ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، أخبرني وهب بن سليمان ، عن شعيب الجبتي ، قال : اسمه سمعون ، الذي قال لموسى ( إِنَّ الْمَلَأَ يَا تَمْرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أصبح الملاء من قوم فرعون قد أجمعوا لقتل موسى فيما بلغهم عنه ، فجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ، يقال له سمعان ، فقال ( يَا مُوسَى ، إِنَّ الْمَلَأَ يَا تَمْرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ ، فَأَخْرَجَ لِي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال ( وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ) إلى موسى ( قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَا تَمْرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ ، فَأَخْرَجَ لِي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ) .

وقوله ( مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ) يقول : من آخر مدينة فرعون ( يَسْعَى ) يقول : يعجل .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ) قال : يعجل ليس بالشد .

وقوله ( قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَا تَمْرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ ) يقول جل ثناؤه : قال الرجل الذي

(١) بنيات الطريق : تصغير نبات الطريق ، وهي الطرق الصغار ، تتشعب من الطرق الكبار .



جاءه من أقصى المدينة يسعى لموسى : ياموسى إن أشرف قوم فرعون ورؤساءهم يتآمرون بقتلك ، ويتشاورون ويرتثون فيك ؛ ومنه قول الشاعر :

ما تأتمر فينا فأمرك في يمينك أو شيالك<sup>١</sup>

يعنى : ما ترتبى وهم به ؛ ومنه قول النمر بن تولب :

أرى الناس قد أهدتوا شيمته<sup>٢</sup> وفي كلِّ حادثة يؤتمر<sup>٣</sup>  
أى يتشاور ويترأى فيها .

وقوله ( فَاخْرُجْ لِيْ أَتَى لَكَ مِنَ النَّاصِحِيْنَ ) يقول : فاخرج من هذه المدينة ، إني لك في إشارتي عليك بالخروج منها من الناصحين .

### القول في تأويل قوله تعالى

فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ، قَالَ : رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ

قَالَ : عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : فخرج موسى من مدينة فرعون ، خائفا من قتله النفس أن يقتل به ، ( يترقب ) : يقول : ينتظر الطلب أن يدركه فيأخذه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : سعيد ، عن قتادة ( فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ) خائفا من قتله النفس ، يترقب الطلب ( قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو سفیان ، عن معمر ، عن قتادة ( فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ) قال : خائفا من قتل النفس ، يترقب أن يأخذه الطلَب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذُكر لي أنه خرج على وجهه ، خائفا يترقب ، ما يدري أى وجه يسلك ، وهو يقول ( رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ) قال : يترقب الطلب مخافة .

(١) في (اللسان : أمر) : وفي التنزيل : « إن الملأ يأمرون بك ليقتلوك » قال أبو عبيدة أى يتشاورون عليك ليقتلوك . وجعل منه المؤلف قول الشاعر « ما تأتمر فينا » . يريد أن ماتشاور فيه أهل الرأي في أمرنا ، فهو أمرنا فذ لا معترض عليه . لكن تفسير المؤلف البيت بقوله « يعنى ما ترتبى ، وهم به » يجعل المعنى ليس من الاتّار ، بمعنى المشاورة ، ولكن من الاتّار بمعنى الاستعداد بالرأى ، دون مشورة أحد غير نفسه قال الأزهرى : ائتمر فلان رأيه : إذا شاور عقله في الصواب الذى يأتيه ، وقد يصيب الذى يأتمر رأيه مرة ، ويخطئ أخرى .

(٢) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ( الورقة ١٧٨ : ١ ) . والشيمة : الخلق . يريد : أحدثوا أخلاقا لم تعرف من قبل . يشير الشاعر إلى ما حدث من إثارة الشكوك والجدل في مسائل السياسة كاخلافة أو العقائد كالقول في القدر أو نحو ذلك . فهذه هى الأخلاق التى أحدثها الناس في الصدر الأول من حياة المسلمين ، بعد حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والنمر بن تولب شاعر مخضرم . والشاهد في قوله « يؤتمر » أى يحدث التشاور وتداول الآراء والجدل . ولعل الشاعر رأى مقدمات الخلاف ، وأمارات الفرقة تلوح من خلال الحوادث ، فأندر بها .

وقوله ( قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) يقول تعالى ذكره : قال موسى وهو شاخص عن مدينة فرعون خائفا : ربِّ نجني من هؤلاء القوم الكافرين ، الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بك .  
وقوله ( وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ ) يقول تعالى ذكره : ولما جعل موسى وجهه نحو مدين ، ماضيا إليها ، شاخصا عن مدينة فرعون ، وخارجا عن سلطانه ، ( قَالَ : عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ) وعسى بقوله « تلقاء » نحو مدين ؛ ويقال : فعل ذلك من تلقاء نفسه ، يعني به : من قبيل نفسه ، ويقال : داره تلقاء دار فلان : إذا كانت محاذيتها ، ولم يصرف اسم مدين ، لأنها اسم بلدة معروفة ، كذلك تفعل العرب بأسماء البلاد المعروفة ؛ ومنه قول الشاعر :

رُهْبَانُ مَدْيَنَ لَوْ رَأَوْكَ تَنَزَّلُوا      والعُصْمُ مِّنْ شَعَفِ الْعُقُولِ الْقَادِرِ

وقوله ( عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ) يقول : عسى ربِّي أن يبين لي قصد السبيل إلى مدين ، وإنما قال ذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها .  
وذكر أن الله قيض له إذ قال ( رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) ملكا سدد له الطريق ، وعرفه إياه .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما أخذ موسى في بُسِّيَاتِ الطريق ، جاءه ملك على فرس بيده عتزة ؛ فلما رآه موسى سجد له من الفراق ، قال : لا تسجد لي ، ولكن اتبعني ، فاتبعه ، فهداه نحو مدين ، وقال موسى وهو متوجه نحو مدين ( عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ) فانطلق به ، حتى انتهى به إلى مدين .

حدثنا العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا سعيد ابن جببير ، عن ابن عباس ، قال : خرج موسى متوجها نحو مدين ، وليس له علم بالطريق ، إلا حسن ظنه بربه ، فإنه قال ( عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذُكِرَ لي أنه خرج وهو يقول : ( رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) فهياً الله الطريق إلى مدين ، فخرج من مصر بلا زاد ولا حذاء ، ولا ظهر ولا درهم ولا رغي ، خائفا يترقب ، حتى وقع إلى أمة من الناس يسقون بمدين .

حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث المرورزي ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن الأعمش ، عن المنهال ابن عمرو ، عن سعيد بن جببير ، قال : خرج موسى من مصر إلى مدين ، وبينها وبينها مسيرة ثمان ، قال : وكان يُقال نحو من الكوفة إلى البصرة ، ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر ، وخرج حافيا ، فما وصل إليها ، حتى وقع خف قدمه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثام ، قال : ثنا الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد ، عن ابن عباس ،

(١) البيت لجرير ، وقد تقدم الاستشهاد به على أن الرهبان جمع راهب في (٧ : ٣) من هذا التفسير . واستشهد به هنا على أن مدين ممنوعة من الصرف ، لأنها علم على بلدة ، ففيها العلمية والتأنيث . (٢) الظهر : الدابة التي يركب عليها ، من حمل ونحوه .



قال : لما خرج موسى من مصر إلى مدين ، وبينه وبينها ثمان ليال ، كان يقال : نحو من البصرة إلى الكوفة ثم ذكر نحوه ، ومدين كان بها يومئذ قوم شعيب عليه السلام .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلِقَاءَ مَدْيَنَ ) ومدين : ماء كان عليه قوم شعيب ( قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ) .  
وأما قوله ( سَوَاءَ السَّبِيلِ ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، نحو قولنا فيه .  
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( سَوَاءَ السَّبِيلِ ) قال : الطريق إلى مدين .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ( قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ) قال : قصد السبيل .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عباد بن راشد ، عن الحسن ( عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ) قال : الطريق المستقيم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ، وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ،  
قَالَ : مَا خَطْبُكُمَا ؟ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرَّاغَاءُ ، وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ( ٢٣ )  
يقول تعالى ذكره : ولما ورد موسى ماء مدين ( وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ ) يعني جماعة ( مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ) نَعْمَهُمْ ومواشيهم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ) يقول : كثرة من الناس يسقون .  
حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ ) قال : أناسا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وقع إلى أمة من الناس يسقون بمدين أهل نَعْمَ وشاء .

حدثنا علي بن موسى وابن بشار ، قالوا : ثنا أبو داود ، قال : أخبرنا عمران القطان ، قال : ثنا أبو حنيفة عن ابن عباس ، في قوله ( وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ) قال علي بن موسى قال : مثل ماء جربكم هذا ، يعني المحدثه . وقال ابن بشار : مثل محدثكم هذه ، يعني جرابكم هذا .

وقوله ( وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ) يقول : ووجد من دون أمة الناس الذين هم على الماء ، امرأتين تذودان ، يعني بقوله ( تَذُودَانِ ) تحبسان غنمهما ؛ يقال منه : ذاد فلان غنمه وماشيته : إذا أراد شيء من ذلك يشدّ ويذهب ، فردّه ومنعه يذودها ذوداً . وقال بعض أهل العربية من الكوفيين : لا يجوز أن يقال : ذدت الرجل بمعنى : حبسته ، إنما يقال ذلك للغنم والإبل . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إني لبيعتم حوضي أذود الناس عنه بعضا » فقد جعل الذود صلى الله عليه وسلم في الناس ؛ ومن الذود قول سويد بن كراع :

أبيت على باب القواني كما تمّا  
أذودُ بها سرباً من الوحش نزعاً  
وقول الآخر :

وقد سلبت عنصاك بنو تميم  
فما تدري بأى عصا تذودُ  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( تَذُودَانِ ) يقول : تحبسان .

حدثني العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبع ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنى سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ( وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ) يعني بذلك أنهما حابستان . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جبّير ، في قوله ( امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ) قال : حابستين .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ) يقول : تحبسان غنمهما .

واختلف أهل التأويل في الذي كانت عنه تذود هاتان المرأتان ، فقال بعضهم : كانتا تذودان غنمهما عن الماء ، حتى يصدّر عنه مواشي الناس ، ثم تسقيان ماشيتهما لضعفهما .

(١) البيت لسويد بن كراع المكي ، وكان هجابني عبد الله بن دارم ، فاستعدوا عليه سعيد بن عبّان ، فأراد ضربه ، فقال سويد قصيدة أوطأ : ( تقول ابنة العوف ليلي ألا ترى إلى ابن كراع لا يزال مفزعا ) ؟ والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن . قال عند قوله تعالى : « ووجد من دونهم امرأتين تذودان » : مجازه : تمنعان وتردان وتضريان : قال سويد بن كراع « أبيت على باب القواني » . . . البيت وقد أورد صاحب الأغاني أبيات سويد بن كراع التي منها بيت الشاهد في الجزء ( ١٢ : ٣٤٤ ) طبعة دار الكتب . وفيه « أصادي » في موضع « أذود » قال محققه : صاداه : داراه وسأراه . ولا شاهد فيه حينئذ .

(٢) البيت من شواهد أبي عبيدة في ( مجاز القرآن الورقة ١٧٨ ب ) قال : تذودان مجازه : تمنعان وتردان وتضريان .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن أبي مالك قوله : ( امْرَأَتَيْنِ تَدُودَانِ ) قال : تحبسان غنمهما عن الناس ، حتى يفرغوا وتخلو لهما البئر .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ ) يعني دون القوم ، تدودان غنمهما عن الماء ، وهو ماء مدين .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : تدودان الناس عن غنمهما .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ، وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَدُودَانِ ) قال : أى حابستين شاءهما ، تدودان الناس عن شائهما .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن أصحابه ( تَدُودَانِ ) قال : تدودان الناس عن غنمهما .  
وأولى التأويلين في ذلك بالصواب قول من قال معناه : تحبسان غنمهما عن الناس ، حتى يفرغوا من سقى مواشيهم . وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب : لدلالة قوله ( مَا خَطَبُكُمَا ؟ ) قالتا لانسقي حتى يصدّر الرعاء ) على أن ذلك كذلك ، وذلك أنهما إنما شكيا أنهما لاتسقيان حتى يصدّر الرعاء ، إذ سألهما موسى عن ذؤوديهما ، ولو كانتا تدودان عن غنمهما الناس ، كان لاشك أنهما كانتا تخبران عن سبب ذؤودهما عنها الناس ، لاعتن سبب تأخر سقيهما إلى أن يصدّر الرعاء .  
وقوله ( قَالَ مَا خَطَبُكُمَا ؟ ) يقول تعالى ذكره : قال موسى للمراأتين ما شأنكما وأمركما تدودان ماشيتكما عن الناس ؟ هلا تسقونها مع مواشي الناس ؟ والعرب ، تقول للرجل : ما خطبك : بمعنى ما أمرك وحالك ، كما قال الراجز :

يَا عَجَبًا مَا خَطْبُهُ وَخَطْبِي ١

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا العباس ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصعب ، قال : أخبرنا القاسم ، قال : ثنا سعيد بن جببير ، عن ابن عباس ، قال : قال لهما ( مَا خَطَبُكُمَا ) معزلتين لاتسقيان مع الناس .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وجد لهما رحمة ، ودخلته فيهما خشية ، لما رأى من ضعفهما ، وغآبة الناس على الماء دونهما ، فقال لهما : ما خطبكما : أى ما شأنكما ؟

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في معاني القرآن ( الورقة ١٨٧ - ١ ) قال في تفسير قوله تعالى : « ما خطبكما » : أى ما أمركما وشأنكما ؟ قال : يا عجباً ما خطبه وخطبي . والبيت : من مشطور الرجز لرؤبة بن المعجاج ( ديوانه ص ١٦ ) من أرجوزة يمدح بها بلال بن أبي بردة ، وهو عامر بن عبد الله بن قيس ، مطلعها : « اتعتبني والهوى ذو عتب »

وقوله ( قَالَتَا لَانَسْقِي حَتَّى يُصَدِّرَ الرَّعَاءُ ) يقول جل ثناؤه : قالت المرأتان لموسى : لانسقي ماشيتنا حتى يُصَدِّرَ الرعاء مواشيهم ، لأننا لانطبق أن نسقي ، وإنما نسقي مواشينا ما أفضلت مواشي الرعاء في الحوض ، والرعاء : جمع راع ، والراعى : جمعه رعاء ورعاة ورعيان .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبع ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما قال موسى للمرأتين ( ماخطببكمما ؟ قَالَتَا لَانَسْقِي حَتَّى يُصَدِّرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ) : أى لانستطيع أن نسقي حتى يسقى الناس ، ثم نتبع فضلاتهم .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( حتى يُصَدِّرَ الرَّعَاءُ ) قال : تنتظران تسقيان من فضول ما فى الحياض حياض الرعاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( قَالَتَا لَانَسْقِي حَتَّى يُصَدِّرَ الرَّعَاءُ ) امرأتان ، لانستطيع أن نزاحم الرجال ( وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ) لايقدر أن يمسه ذلك من نفسه ، ولا يسقى ماشيته ، فنحن ننتظر الناس ، حتى إذا فرغوا أسقينا ثم انصرفنا .

واختلفت القراء فى قراءة قوله ( حَتَّى يُصَدِّرَ الرَّعَاءُ ) فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز - سوى أبى جعفر القارى - وعامة قراء العراق - سوى أبى عمرو ( يُصَدِّرَ الرَّعَاءُ ) بضم الياء ، وقرأ ذلك أبو جعفر وأبو عمرو ، بفتح الياء من يَصَدِّرُ الرعاء عن الحوض . وأما الآخرون فلأنهم ضموا الياء ، بمعنى : أصدر الرعاء مواشيهم . وهما عندى قراءتان متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فبأيهما قرأ القارى فصيب .  
وقوله ( وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ) يقولان : لا يستطيع من الكبر والضعف أن يسقى ماشيته .

وقوله ( فَسَقَى لهُمَا ) ذكر أنه عليه السلام فتح لهما عن رأس بئر ، كان عليها حجبر لا يطبق رفعة إلا جماعة من الناس ، ثم استسقى ، فسقى لهما ماشيتهما منه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد ، قال : فتح لهما عن بئر حجر أعلى فيها ، فسقى لهما منها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، بنحوه ، وزاد فيه : قال ابن جريج : حجرا كان لا يطبقه إلا عشرة رهط .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن شريح ، قال : انتهى إلى حجر لا يرفعه إلا عشرة رجال ، فرفعه وحده .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : رحهما موسى حين ( قَالَتَا لَانَسْقِي حَتَّى يُصَدِّرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ) فأتى إلى البئر ، فاقتلع صخرة على البئر كان النفر من



أهل مَدْيَنَ يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهَا ، حَتَّى يَرْفَعُوهَا ، فَسَقَى لَهَا مُوسَى دَلْوًا ، فَأَرَوَاتَا غَنَمَهُمَا ، فَرَجَعَتَا سَرِيعًا ، وَكَانَتَا ، إِنَّمَا تَسْقِيَانِ مِنْ فُضُولِ الْحِيَاضِ .

حدثني العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمغ ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا سعيد بن جببير ، عن ابن عباس ( فَسَقَى لَهَا ) ، فجعل يغرف في الدلو ماء كثيرا ، حتى كانت أول الرعاء رياء ، فانصرفتا إلى أبيهما بغنمهما .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : تصدق عليهما نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فسقى لهما ، فلم يلبث أن أروى غنمهما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أخذ دلوهما موسى ، ثم تقدم إلى السقاء بفضل قوته ، فزاحم القوم على الماء ، حتى أخرهم عنه ، ثم سقى لهما .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَسَقَى لَهُمَا ، ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ، فَقَالَ : رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤)

\*\*\* يقول تعالى ذكره : فسقى موسى للمرأتين ماشيتهما ، ثم تولى إلى ظل شجرة ، ذكّر أنها سمرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( ثُمَّ تَوَلَّى ) موسى إلى ظل شجرة سمرة ، فقال ( رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) .

حدثني العباس ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمغ ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا سعيد بن جببير ، عن ابن عباس ، قال : انصرف موسى إلى شجرة ، فاستظل بظلها ، فقال : رَبِّ ( إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) .

حدثني الحسين بن عمرو العنقزي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله ، قال : حثت على جمل لي ليلتين ، حتى صبحت مدين ، فسألت عن الشجرة التي أوى إليها موسى ، فإذا شجرة خضراء ترف ، فأهوى إليها جملي ، وكان جائعا ، فأخذها جملي ، فعالجها ساعة ، ثم لفظها ، فدعوت الله لموسى عليه السلام ، ثم انصرفت ، وقوله ، فقال ( رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) محتاج ، وذكر أن نبي الله موسى عليه السلام قال : هذا القول ، وهو يجهد شديد ، وعرض ذلك للمرأتين تعريضا لهما ، لعلهما أن تطعماهما بما به من شدة الجوع . وقيل : إن الخبير الذي قال نبي الله : ( إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) ، إنما عني به : شبعة من طعام .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، قال : لما هرب موسى

من فرعون أصابه جوع شديد، حتى كانت تُررى أمعاؤه من ظاهر الصفاق ؛ فلما سقى للمراتين ، وأوى إلى الظل ، قال ( رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبة ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ) قال : ورد الماء وإنه ليرأى خضرة البقل في بطنه من الهزال ، فقال رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ قال : شَبَعَةُ .

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عنبة ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ) قال : ورد الماء ، وإن خضرة البقل لتُرى في بطنه من الهزال .

حدثني نصر بن عبد الرحمن ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عنبة ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبیر ( إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) قال : شَبَعَةُ يومئذ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان عن منصور ، عن إبراهيم ، في قوله ، فقال ( رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) قال : قال هذا وما معه درهم ولادينار .

قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ( إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) قال : ما سأل إلا الطعام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، عن سفيان الثوري ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله فقال ( رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) قال : ما سأل ربه إلا الطعام .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( قَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) قال : قال ابن عباس : لقد قال موسى : ولو شاء إنسان أن ينظر إلى خضرة أمعائه من شدة الجوع ، وما يسأل الله إلا أكلة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال ( رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) قال : كان نبي الله يجهد .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن عطاء بن السائب في قوله ( إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) قال : بلغني أن موسى قالها وأسمع المرأة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) قال : طعام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) قال : طعام .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) قال : الطعام يستطعم ، لم يكن معه طعام ، وإنما سأل الطعام .



## القول في تأويل قول تعالى

فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ، قَالَتْ : إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ،  
فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ : لَا تَخَفْ ، نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥)

يقول تعالى ذكره : فجاءت موسى إحدى المرأتين اللتين سقى لهما ، تمشي على استحياء من موسى ، قد سترت وجهها بثوبها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو السائب والفضل بن الصباح ، قالا : ثنا ابن فضيل ، عن ضرار بن عبد الله بن أبي الهذيل ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، في قوله ( فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ) قال : مستورة بكم درعها ، أو بكم قميصها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن حماد بن عمرو الأسدي ، عن أبي سينان ، عن ابن أبي الهذيل عن عمر رضي الله عنه ، قال : واضحة يدها على وجهها مستورة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن نَوْفٍ ( فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ) قال : قد سترت وجهها بيديها .

قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن نَوْفٍ بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن نَوْفٍ ( فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ) قال : قائلة بيديها على وجهها ، ووضع أبي يده على وجهه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون : ( فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ) قال : ليست بسلفع من النساء : خراجة ولاجة ، واضحة ثوبها على وجهها ، تقول : ( إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ( فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ) قال : لم تكن سلفعا من النساء : خراجة ولاجة ، قائلة بيدها على وجهها ( إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا قُرَّةُ بن خالد ، قال : سمعت

الحسن يقول ، في قوله ( فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ) قال : بعيدة من البتداء .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ) قال :

أنته تمشي على استحياء منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ )  
 قال : واضعة يدها على جبينها .  
 وقوله ( قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ) يقول تعالى ذكره : قالت المرأة  
 التي جاءت موسى تمشي على استحياء : إن أبي يدعوك ليجزيك : تقول : يثيبك أجر ما سقيت لنا .  
 وقوله ( فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ ) يقول : فضى موسى معها إلى أبيها ، فلما جاء أباه  
 وقصَّ عليه قصصه مع فرعون وقومه من القبط ، قال له أبوها ( لَا تَخَفْ ) فقد ( نَجَّوْتِ مِنَ الْقَوْمِ  
 الظَّالِمِينَ ) يعنى : من فرعون وقومه ، لأنه لا سلطان له بأرضنا التي أنت بها .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : ثنا الأصمغ ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا سعيد بن جبيرة ،  
 عن ابن عباس ، قال : استنكر أبو الجاريتين سرعة صدورهما بغنمهما حنظلًا بيطانا ، فقال : إن لكما اليوم لشأنا .  
 قال أبو جعفر : أحسبه قال : فأخبرته الخبر ؛ فلما أتاه موسى كلمه ، قال ( لَا تَخَفْ نَجَّوْتِ مِنَ  
 الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ، ولسنا في مملكته .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما رجعت الجاريتان إلى أبيهما  
 سريعاً سألهما ، فأخبرته خبر موسى ، فأرسل إليه إحداهما ، فأنته تمشي على استحياء ، وهو يستحي منه  
 ( قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ) فقام معها وقال لها : امضي ، فشت بين  
 يديه ، فضربتها الريح ، فنظر إلى عجيزتها ، فقال لها موسى : امشي خلني ، ودليني على الطريق إن أخطأت .  
 فلما جاء الشيخ وقصَّ عليه القصص قال ( لَا تَخَفْ نَجَّوْتِ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ،  
 قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ) قال : قال مطرف : أما والله لو كان عند نبي  
 الله شيء ، ما تتبع مذقيهما ، ولكن إنما حمله على ذلك الجهل . ( فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ  
 قَالَ : لَا تَخَفْ نَجَّوْتِ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : رجعتا إلى أبيهما في ساعة كانتا لا ترجعان  
 فيها ، فأنكر شأنهما ، فسألهما ، فأخبرته الخبر ، فقال لإحداهما : عجلى علي به ، فأنته على استحياء ، فجاءته ،  
 فقالت : ( إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ) فقام معها ، كما ذكر لي ، فقال لها : امشي  
 خلني ، وانعتي لي الطريق ، وأنا أمشي أمامك ، فلما لانظر إلى أدبار النساء ؛ فلما جاءه أخبره الخبر ،  
 وما أخرجه من بلاده ؛ ( فَلَمَّا قَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ، نَجَّوْتِ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) .  
 وقد أخبرت أباهما بقوله : إننا لانظر إلى أدبار النساء .

(١) مذقيهما : مثنى مذق ، وهو اللبن يخلط بالماء ، ويشرب . يريد أن موسى عليه السلام ، لم يكن معه مال ولا زاد .



## القول في تأويل قوله تعالى

قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا بَتِ اسْتَأْجِرْهُ ، إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦)

يقول تعالى ذكره : قالت إحدى المرأتين اللتين سقى لهما موسى ، لأبيها حين أتاه موسى ، وكان اسم إحداهما صَفُورًا ، واسم الأخرى لَيْبًا ، وقيل : شرفًا كذلك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : أخبرني وهب بن سليمان الرمادي ، عن شعيب الجبَّيْتِي ، قال : اسم الجاريتين لَيْبًا ، و صَفُورًا ، وامرأة موسى صفُورا ابنة يثرون كاهن مدين ، والكاهن : حبر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : إحداهما صَفُورًا ابنة يثرون ، وأختها شرفا ، ويقال : ليا ، وهما اللتان كانتا تذودان . وأما أبوهما ففي اسمه اختلاف ، فقال بعضهم : كان اسمه يثرون .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، قال : كان الذي استأجر موسى ابن أخى شعيب يثرون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، قال : الذي استأجر موسى يَثْرُونَ ابن أخى شُعَيْب عليه السلام . وقال آخرون : بل اسمه : يَثْرَى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا العلاء بن عبد الجبار ، عن حماد بن سلمة ، عن أبي حمزة ، عن ابن عباس قال : الذي استأجر موسى : يَثْرَى صاحب مَدْيَن .

حدثني أبو العالية العبدى : إسماعيل بن الهيثم ، قال : ثنا أبو قتيبة ، عن حماد بن سلمة ، عن أبي حمزة ، عن ابن عباس ، قال : الذي استأجر موسى : يَثْرَى صاحب مدين .

حدثني أبو العالية العبدى : إسماعيل بن الهيثم ، قال : ثنا أبو قتيبة ، عن حماد بن سلمة ، عن أبي حمزة ، عن ابن عباس ، قال : اسم أبي المرأة : يَثْرَى .

وقال آخرون : بل اسمه شعيب ، وقالوا : هو شعيب النبي عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا قرّة بن خالد ، قال : سمعت الحسن يقول : يقولون شعيب صاحب موسى ، ولكنه سيد أهل الماء يومئذ .

قال أبو جعفر : وهذا مما لا يُلْكَرُكُ علمه إلا بخبر ، ولا خير بذلك تجب حجته ، فلا قول في ذلك أولى

(١) يثرون ويثرى : كذا في الأصل . وفي العرائس (قصص الأنبياء ، لأبي إسحاق : أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابورى المعروف بالثعلبى المتوفى سنة ٢٧٤ هـ ص ١٧٤ : « يثرون » .) ولعله تحريف من الناسخ .

بالصواب، مما قاله الله جل ثناؤه ( وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَتِ إِحْدَاهُمَا يَا أَبْتِ اسْتَأْجِرْهُ ) تعنى بقولها: استأجره، ليرعى عليك ماشيتك ( إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ) تقول: إن خير من تستأجره للرعى، القوي على حفظ ماشيتك، والقيام عليها في إصلاحها وصلاحها، الأمين الذي لا تخاف خيانتَه، فيما تأمنه عليه. وقيل: إنها لما قالت ذلك لأبيها، استنكر أبوها ذلك من وصفها إياه، فقال لها: وما علمك بذلك، فقالت: أما قوته فما رأيت من علاجه ما عالج عند السقي على البئر، وأما الأمانة فما رأيت من غصص البصر عني.

وبنحو ذلك جاءت الأخبار عن أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يزيد، قال: أخبرنا الأصبع بن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: ( قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبْتِ اسْتَأْجِرْهُ ) إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ) قال: فأحفظته العسيرة أن قال: وما يدريك ما قوته وأمانته؟ قالت: أما قوته، فما رأيت منه حين سقى لنا، لم أر رجلاً قط أقوى في ذلك السقي منه. وأما أمانته، فإنه نظر حين أقبلت إليه، وشخصت له، فلما علم أني امرأة، صوب رأسه فلم يرفعه، ولم ينظر إلي حتى بلغته رسالتك، ثم قال: امشي خلقي، وانعني لى الطريق، ولم يفعل ذلك إلا وهو أمين، فسرتي عن أبيها، وصدقها وظن به الذي قالت.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله لموسى ( إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ) بقول: أمين فيما ولي، أمين على ما استودع.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ( قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبْتِ اسْتَأْجِرْهُ )، إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ) قال: إن موسى لما سقى لهما، ورأت قوته، وحرك حجراً على الركبية، لم يستطعه ثلاثون رجلاً، فأزاله عن الركبية، وانطلق مع البخارية حين دعته، فقال لها: امشي خلقي وأنا أمامك، كراهية أن يرى شيئاً من خلفها مما حرم الله أن ينظر إليه، وكان يوماً فيه ربح.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن عبد الرحمن بن أبي نُعْمٍ، في قوله ( يَا أَبْتِ اسْتَأْجِرْهُ ) إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ) قال لها أبوها: ما رأيت من أمانته؟ قالت: لما دعوته مشيت بين يديه، فجعلت الريح تضرب ثيابي، فتتلقق بجسدي، فقال: كوني خلقي، فإذا بلغت الطريق فاذهبي، قالت: ورأيت يملأ الحوض بسجل واحد.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ( الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ) قال: غصص طرفه عنهما، قال محمد بن عمرو في حديثه: «حين» أو «حتى» سقى لهما، فصدرتا. وقال الحارث في حديثه: «حتى» سقى بغير شك.



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : فتح عن بئر حجباً على فيها ، فسقى لهما بها ، والأمين : أنه غضّ بصره عنهما حين سقى لهما فصدرنا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر وهاني بن سعيد ، عن الحجاج ، عن القاسم ، عن مجاهد ( إن خبيراً من استأجرت القوي الأمين ) قال : رفع حجراً لا يرفعه إلا فيثام من الناس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، قال عمرو بن ميمون ، في قوله ( القوي الأمين ) قال : كان يوم ربيع ، فقال : لآتمشي أمامي ، فيصفك الريح لي ، ولكن أمشي خلفي ، ودليني على الطريق ؛ قال : فقال لها : كيف عرفت قوته ؟ قالت : كان الحجر لا يطيقه إلا عشرة ، فرفعه وحده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن الحكم ، عن شريح في قوله ( القوي الأمين ) قال : أما قوته : فانتهى إلى حجر لا يرفعه إلا عشرة ، فرفعه وحده . وأما أمانته : فلإنها مشت أمامه فوصفها الريح ، فقال لها : أمشي خلفي ، وصني لي الطريق .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن عمرو ، عن زائدة ، عن الأعمش ، قال : سألت تميم بن إبراهيم : بم عرفت أمانته ؟ قال : في طرفة ، بغض طرفة عنها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إن خبيراً من استأجرت القوي الأمين ) قال : القوي في الصنعة ، الأمين فيما ولي . قال : وذكر لنا أن الذي رأته من قوته : أنه لم تلبث ماشيتها حتى أرواها ؛ وأن الأمانة التي رأته منه : أنها حين جاءت تدعوه ، قال لها : كوني ورائي ، وكره أن يستدبرها ، فذلك ما رأته من قوته وأمانته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله ( يا أبت استأجره إن خبيراً من استأجرت القوي الأمين ) قال : بلغنا أن قوته كانت سرعة ما أروى غنمهما . وبلغنا أنه ملأ الحوض بدلو واحداً . وأما أمانته فإنه أمرها أن تمشي خلفه .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( قالت إحداهما : يا أبت استأجره إن خبيراً من استأجرت القوي الأمين ) وهي الجارية التي دعت ، قال الشيخ : هذه القوة قد رأيت حين اقتلع الصخرة ، رأيت أمانته ، ما يدريك ماهي ؟ قالت : مشيت قدامه ، فلم يجب أن يخونني في نفسي ، فأمرني أن أمشي خلفه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( قالت إحداهما : يا أبت استأجره إن خبيراً من استأجرت القوي الأمين ) فقال لها : وما علمك بقوته وأمانته ، فقالت : أما قوته فإنه كشف الصخرة التي على بئر آل فلان ، وكان لا يكشفها دون سبعة نفر . وأما أمانته فإني لما جئت أدعوه ، قال : كوني خلف ظهري ، وأشيري لي إلى منزلك ، فعرفت أن ذلك منه أمانة .

حدثنا ابن حديد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( قالت يا أبت استأجره إن خبيراً

(١) الداو الذي يستق به من البئر ونحوها : يذكر ويؤنث (عن السان) .

مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ) لما رأته من قوته، وقوله لها ما قال: أَنْ امشِي خلني، لئلا يرى منها شيئاً مما يكره، فزاده ذلك فيه رغبة.

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ، فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَلَيْكَ، سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره (قال) أبو المرأتين اللتين سقى لهما موسى لموسى: (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ) يعني بقوله (على أن تأجرني) : على أن تثبتني من تزويجها، رعى ماشيتي ثمانى حجاج، من قول الناس: آجرك الله فهو يأجرك، بمعنى: أثابك الله؛ والعرب تقول: آجرت الأجير أجره، بمعنى: أعطيته ذلك، كما يقال: أخذته فأنا آخذه. وحكى بعض أهل العربية من أهل البصرة أن لغة العرب: آجرت غلامى فهو مأجور، وآجرته فهو مؤجر، يريد: أفعلته. قال: وقال بعضهم: آجره فهو مؤاجر، أراد فاعلته؛ وكأن أباهما عندي جعل صداق ابنته التي زوجهما موسى، رعى موسى عليه ماشيته ثمانى حجاج، والحجاج: السنون.

وقوله (فإن أتملت عشرًا فمن عندك) يقول: فإن أتملت الثمانى الحجاج التي شرطتها عليك، بإنكاحي إياك إحدى ابنتي، فجعلتها عشر حجاج، فإحسان من عندك، وليس مما اشترطته عليك، بسبب تزويجك ابنتي. (وما أريد أن أسألك عليك) باشرط الثمانى الحجاج عشرًا عليك (ستجدني إن شاء الله من الصالحين) في الوفاء بما قلت لك.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (ستجدني إن شاء الله من الصالحين) أى في حسن الصحبة، والوفاء بما قلت.

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: ذَلِكَ يَنْبِيءُ وَيُنَبِّئُكَ، أَيَّمَا الْأَجْلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ، وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨)

يقول تعالى ذكره: قال موسى لأبي المرأتين (ذلك ببيتى وبيتك) أى هذا الذى قلت من أنك تزوجني إحدى ابنتيك على أن آجرك ثمانى حجاج، وأجب بيني وبينك، على كل واحد منا الوفاء لصاحبه بما أوجب له على نفسه. وقوله (أَيَّمَا الْأَجْلِينَ قَضَيْتُ) يقول: أى الأجلين من الثمانى الحجاج والعشر الحجاج قضيت، يقول: فرغت منها، فوفيتكها رعى غنمك وماشيتك (فلا عدوان على) يقول: فليس لك أن تعتدي على، فتطالبني بأكثر منه، و«ما» في قوله (أَيَّمَا الْأَجْلِينَ) صلة يوصل بها «أى» على الدوام، وزعم أهل العربية أن هذا أكثر في كلام العرب من أى، وأنشد قول الشاعر:

(١) يظهر أن في عبارة الأصل سقطا، يعلم من عبارة الفراء في شرح البيت الآتي. وقوله «على الدوام» أى أن (ما) الزائدة تلحق بلفظ أى دائما، وقوله وزعم أهل العربية الخ: يريد أن أهل العربية قالوا إن ما إما أن تلحق بلفظ أى، أو تجيء بعد ما أنضيف إليه «أى» وهذا أكثر في كلام العرب كما يعلم من الشاهدين الآتين بعد.



وَأَيْهُمَا مَا أَتَّبَعَنِّي فَلَمَّ إِنِّي حَرِيصٌ عَلَى أَثَرِ الذِّدَى أَنَا تَابِعٌ  
وقال عباس بن مرداس :

فَأَيُّ مَا وَأَيْتُكَ كَانَ شَرًّا فَقَيْدَ إِلَى الْمَقَامَةِ لَا يَرَاهَا

وقوله ( وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ) كان ابن إسحاق يرى هذا القول من أبي المرأتين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال موسى ( ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ) قال : نعم . ( وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ) فزوجته ، وأقام معه يكفبه ، ويعمل له في رعاية غنمه ، وما يحتاج إليه منه ، وزوجة موسى صفورا أو أختها : شرفا أو لبيبا . حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قال ابن عباس : البخارية التي دعته هي التي تزوج .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد ، قال له ( إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ) . . . إلى آخر الآية ، قال : وأيهما تريد أن تنكحني ؟ قال : التي دعتك ، قال : لا . ألا وهي بريئة مما دخل نفسك عليها ، فقال : هي عندك كذلك ، فزوجته . وبنحو الذي قلنا في قوله ( أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ ) إما ثمانيا ، وإما عشرة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن لهيعة ، عن عمارة بن غزيرة ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، وسأله رجل قال ( أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ) قال : فقال القاسم : ما أبالي أي ذلك كان ، إنما هو موعد وقضاء .

وقوله ( وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ) يقول : والله على ما أوجب كل واحد منا لصاحبه على نفسه بهذا القول ، شهيد وحفيظ .

كالذي حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ) قال : شهيد على قول موسى وختمته . وذكر أن موسى وصاحبه لما تعاقدوا بينهما

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (ص ٢٤١) على أن (ما) قد تزداد بعد المضاف إلى «أي» أداة الجزاء . قال : قوله «أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ» فجعل ما وهي صلة من صلوات الجزاء مع أي . وهي في قراءة عبد الله : «أَيُّ الْأَجَلَيْنِ مَا قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ» . وهذا أكثر في كلام العرب من الأول . ويوضح من هذا أن عبارة المؤلف قاصرة أو فيها جزء ساقط قبل قوله : «وزعم أهل العربية» . . . الخ .  
(٢) البيت لعباس بن مرداس . وقد تقدم الاستشهاد به في مواضع والشاهد هنا في زيادة «ما» بعد ما أضيف إليه . أي والمقامة : المجلس . وقيد إلى المقامة : دعاه عليه بأن يعنى ، فلا يصل إلى مجلس قومه إلا إذا قيد .

هذا العقد ، أمر إحدى ابنتيه أن تعطى موسى عصاً من العصى التي تكون مع الرعاة ، فأعطته إياه ، فذكر بعضهم أنها العصا التي جعلها الله له آية . وقال بعضهم تلك عصا أعطاه إياها جبريل عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أمر يعني أبا المرأتين إحدى ابنتيه أن تأتيه ، يعني أن تأتي موسى بعصاً ، فأنته بعصاً ، وكانت تلك العصا عصاً استودعها إياه منكسك في صورة رجل ، فدفعها إليه ، فدخلت الجارية ، فأخذت العصا ، فأنته بها ؛ فلما رآها الشيخ قال : لا ، أنته بغيرها ، فألقها تريد أن تأخذ غيرها ، فلا يقع في يدها إلا هي ، وجعل يردّها ، وكل ذلك لا يخرج في يدها غيرها ؛ فلما رأى ذلك عمد إليها ، فأخرجها معه ، فرعى بها ، ثم إن الشيخ ندم وقال : كانت وديعة ، فخرج يتلقى موسى ، فلما لقيه قال : أعطني العصا ، فقال موسى : هي عصاى ، فأبى أن يعطيه ، فاختصما ، فرضيا أن يجعل بينهما أول رجل يلقاهما ، فأتاهما ملك يمشى ، فقال : ضعوا في الأرض ، فمن حملها فهي له ، فعالجها الشيخ فلم يطقها ، وأخذ موسى بيده فرفعها ، فتركها له الشيخ ، فرعى له عشر سنين . قال عبد الله ابن عباس : كان موسى أحقّ بالوفاء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : قال يعني أبا الجارية لما زوجها موسى لآوسى : أدخل ذلك البيت فخذ عصا ، فتوكأ عليها ، فدخل ، فلما وقف على باب البيت ، طارت إليه تلك العصا ، فأخذها ، فقال : اردّها وخذ أخرى مكانها ، قال : فردّها ، ثم ذهب ليأخذ أخرى ، فطارت إليه كما هي ، فقال : لا أردّها ، فعل ذلك ثلاثا ، فقال : اردّها ، فقال : لا أجد غيرها اليوم ، فالتفت إلى ابنته ، فقال لابنته : إن زوجك لنبى .

ذكر من قال التي كانت آيةً عصاً أعطاه موسى جبرائيل عليه السلام :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر ، قال : سألت عكرمة قال : أما عصا موسى ، فإنها خرج بها آدم من الجنة ، ثم قبضها بعد ذلك جبرائيل عليه السلام ، فلقى موسى بها ليلا ، فدفعها إليه .

القول في تأويل قوله تعالى

\* فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ، قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ، لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : فلما ولى موسى صاحبه الأجل الذى فارقه عليه ، عند إنكاحه إياه ابنته ، وذكر أن الذى وفّاه من الأجلين ، أتمهما وأكملهما ، وذلك العشر الحجيج ، على أن بعض أهل العلم قد روى عنه أنه قال : زاد مع العشر عشرًا أخرى .



ذكر من قال : الذى قضى من ذلك هو الحجج العشر

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : سألت ابن عباس : أى الأجلين قضى موسى ؟ قال : خيرهما وأوفاهما .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، سئل : أى الأجلين قضى موسى ؟ قال : أتمهما وأخيرهما .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن أخيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قضى موسى آخر الأجلين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عبيدة ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، سئل ابن عباس : أى الأجلين قضى موسى ؟ قال : أتمهما وأوفاهما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال يهودى بالكوفة وأنا أتجهز للحج : إني أراك رجلا تنتبع العلم ، أخبرني أى الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لأعلم ، وأنا الآن قادم على حنبل العرب ، يعنى ابن عباس ، فسأله عن ذلك ؛ فلما قدمت مكة ، سألت ابن عباس عن ذلك ، وأخبرته بقول اليهودى ، فقال ابن عباس : قضى أكثرهما وأطيبهما ، إن النبى إذا وعد لم يخلف ، قال سعيد : فقدمت العراق ، فلقيت اليهودى ، فأخبرته ، فقال : صدق ، وما أنزل على موسى هذا ، والله العالم .

قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا الأصبع بن زيد ، عن القاسم بن أبى أيوب ، عن سعيد بن جبير ، قال : سألت رجل من أهل النصرانية : أى الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لأعلم ، وأنا يومئذ لأعلم ، فلقيت ابن عباس ، فذكرت له الذى سألتني عنه النصراني ، فقال : أما كنت تعلم أن ثمانيا واجب عليه ، لم يكن نبى الله نقص منها شيئا ، وتعلم أن الله كان قاضيا عن موسى عِدته التى وعده ، فإنه قضى عشرين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ ) قال : حدث ابن عباس ، قال : رعى عليه نبى الله أكثرها وأطيبها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى معشر ، عن محمد بن كعب القرظى ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أى الأجلين قضى موسى ؟ فقال : أوفاهما وأتمهما » .

حدثنا أحمد بن محمد الطوسى ، قال : ثنا الحميدى أبو بكر عبد الله بن الزبير ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا إبراهيم بن يحيى بن أبى يعقوب ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سألت جبرائيل : أى الأجلين قضى موسى ؟ قال : أتمهما وأكملهما » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حمجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد : إن النبى

(١) فى الخلاصة للخزرجى : عبد الله بن الزبير بن عبد الله ( أبو عبيد الله ) الأسدى الحميدى المكى أحد الأئمة .

صلى الله عليه وسلم سأل جبرائيل « أئى الأَجَاسِينِ قَضَى مُوسَى ؟ قال سَوَّفَ أَسْأَلُ إِسْرَافِيلَ ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ : سَوَّفَ أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : أَبْرَهُمَا وَأَوْفَاهُمَا »

ذكر من قال : قضى العَشْرَ الحَجَجِ وزاد على العَشْرَ عَشْرًا أُخْرَى

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ ) قال : عشر سنين ، ثم مكث بعد ذلك عَشْرًا أُخْرَى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، قضى الأجل عشر سنين ، ثم مكث بعد ذلك عَشْرًا أُخْرَى .

حدثني المثنى ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنا أبي ، عن قتادة ، قال : ثنا أنس ، قال : لما دعا نبي الله موسى صاحبه إلى الأجل الذى كان بينهما ، قال له صاحبه : كل شاة ولدت على غير لونها ، فلك ولدها ، فعمد ، فرفع خيالا على الماء ، فلما رأته الخيال ، فزعت ، فجالت جولة ، فولدت كلهن بُلُقَاء ، إلا شاة واحدة ، فذهب بأولادهن ذلك العام .

وقوله ( وَسَارَ بِأَهْلِهِ أَنْسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ) يقول تعالى ذكره : فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله شاخصا بهم إلى منزله من مصر ، أنس من جانب الطور ، يعنى بقوله : أنس : أبصر وأحسن ، كما قال العجاج :

أَنْسَ خَيْرٌ بَانَ فَضَاءً فَانْكَدَرَ دَأَانِي جَنَاحِيهِ مِينَ الطُّورِ فَمَرَا

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى قبل ، غير أنا نذكر هاهنا بعض ما لم نذكر قبل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أَنْسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ) قَالَ لِأَهْلِهِ : امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ) : أى أحسست نارا .

وقد بينا معنى الطور فيما مضى بشواهد ، وما فيه من الرواية عن أهل التأويل .

وقوله ( لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ) يقول : قال موسى لأهله : تمهلوا وانتظروا . إِنِّي أَبْصَرْتُ نَارًا ( لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا ) يعنى من النار ( بِجَبْرِ أَوْ جَدْوَةٍ مِينَ النَّارِ ) يقول : أو آتاكم بقطعة غليظة من الحطب فيها النار ، وهى مثل الجذمة من أصل الشجرة ؛ ومنه قول ابن مقبل :

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز للعجاج الراجز (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ١٧ - ورقم البيت الأول هو ٧٦ ورقم الثانى هو ٧٤ . وفى رواية الأول : « أبصر » فى موضع « أنس » وهما بمعنى . والحربان بالكسر : جمع حرب كسب ، وهو ذكر الحبارى ، وقيل هو الحبارى كلها . ومن جموعه أيضا : أخراب ، وأخراب ، وانكدر : أسرع وانقض . والضمير فى الفعلين للبازي المذكور فى البيت قبله ، وقد شبه الممدوح عمر بن عبيد الله بالبازي ينقض على أعدائه ، كما ينقض البازي على الحبارى ، فيصيدها . وانظر شرح البيت الثانى مطولا فى الجزء ( ٩ : ٢٤٣ ) . وهذه الأرجوزة يمدح بها العجاج عمر بن عبيد الله بن معمر ، وقد ولاء ابن الزبير العراق ، لمحاربة عبيد الله بن بشر بن الماجوز من الخوارج ، فمهد فى حربهم إلى أخيه عثمان بن عبيد الله بن معمر ، فقتل . ( انظر البلاذرى مخطوط بدار الكتب المصرية ) .



بَاتَتْ حَوَاطِبٌ لَيْلَى يَلْتَمِسْنَ لَهَا مَجْزَلَ الْجِدَا غَيْرَ حَوَارٍ وَلَا دَعِيرًا  
وفي الجذوة لغات للعرب ثلاث : جذوة بكسر الجيم ، وبها قرأت قرآء الحجاز والبصرة وبعض أهل  
الكوفة ، وهي أشهر اللغات الثلاث فيها . وجذوة بفتح الجيم ، وبها قرأ أيضا بعض قرآء الكوفة . وهذه اللغات  
الثلاث وإن كن مشهورات في كلام العرب ، فالقراءة بأشهرها أعجب إلى ، وإن لم أنكر قراءة من قرأ بغير  
الأشهر منها .

وبنحو الذي قلنا في معنى الجذوة قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( أَوْجَذْوَةٌ  
مِنَ النَّارِ ) يقول شهاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أَوْجَذْوَةٌ ) والجذوة : أصل شجرة  
فيها نار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله ( لَيْلَى آتَسَتْ  
نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِحَبِيرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ ) قال : أصل الشجرة في طرفها النار ، فذلك قوله  
( أَوْجَذْوَةٌ ) قال : السعف فيه النار . قال معمر ، وقال قتادة ( أَوْجَذْوَةٌ ) : أو شُعلة من النار .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( أَوْجَذْوَةٌ مِنَ النَّارِ ) قال : أصل شجرة .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( أَوْجَذْوَةٌ  
مِنَ النَّارِ ) قال : أصل شجرة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أَوْجَذْوَةٌ مِنَ النَّارِ )  
قال : الجذوة : العود من الحطب الذي فيه النار ، ذلك الجذوة .  
وقوله ( لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ) يقول : لعلكم تسخنون بها من البرد ، وكان في شتاء .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا آتَتْهَا نُودِي مِنَ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوَسِي إِلَى  
أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠)

(١) البيت تميم بن أبي بن مقبل (اللسان : جذنا) قال : يقال لأصل الشجرة جذية وجذاة (الأول بكسر الجيم ، والثانية بفتحها) .  
الأصمعي : جذم كل شيء وجذيه : أصله . والجذاء : أصول الشجر العظام العادية . التي بل أعلاها . وبق أسفلها ، قال تميم بن مقبل  
« باتت حواطب ليل » . . . البيت . هـ . والحواطب : جمع حاطبة ، وهي الأمة تجمع الحطب . وقال أبو عبيدة في مجازي القرآن :  
« جذوة من النار » : أي قطعة غليظة من الحطب ، ليس فيها لب ، وهي مثل الجذمة ، من أصل الشجرة : قال ابن مقبل . « باتت  
حواطب ليل » . . . البيت . هـ . والخوار : الضعيف . والدعر : العود يدخن كثيرا ولا يتقد ، وهو الرديء الدخان . وقيل :  
الدعر من الحطب : البالي .

(٢) سقط من قلم الناسخ اللغة الثالثة ، وهي : جذوة (بضم الجيم) وبها قرئ أيضا .

يقول تعالى ذكره : فلما أتى موسى النار التي آنس من جانب الطور ، نُودى من شاطئ الوادي الأيمن .  
يعنى بالشاطئ : الشط ، وهو جانب الوادي وعدوته ، والشاطئ : يجمع شواطئ وشطآن ، والشط : الشطوط ،  
والأيمن : نعت من الشاطئ ، عن يمين موسى .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ ) قال ابن عمرو  
في حديثه عند الطور . وقال الحارث في حديثه من شاطئ الوادي الأيمن عند الطور ، عن يمين موسى .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَلَمَّا آتَاهَا  
نُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ ) قال : شيق الوادي عن يمين موسى ، عند الطور .  
وقوله ( فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ ) من صلة الشاطئ .  
وتأويل الكلام : فلما آتاها نادى الله موسى من شاطئ الوادي الأيمن ، في البقعة المباركة منه ، من الشجرة :  
( أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ) .  
وقيل : إن معنى قوله ( مِنْ الشَّجَرَةِ ) : عند الشجرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَلَمَّا آتَاهَا نُودِي مِنْ شَاطِئِ  
الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ) قال : نُودِي من عند الشجرة : ( أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا  
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ )  
وقيل : إن الشجرة التي نادى موسى منها ربه : شجرة عوسج . وقال بعضهم : بل كانت شجرة العليق .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فِي الْبُقْعَةِ  
الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ) قال : الشجرة : عوسج . قال معمر ، عن قتادة عصا موسى من العوسج :  
والشجرة من العوسج .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض من لايتهم ، عن بعض أهل العلم ( إِنِّي  
آتَسْتُ نَارًا ) قال : خرج نحوها ، فإذا هي شجرة من العليق ، وبعض أهل الكتاب يقول : هي عوسجة .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله  
قال : رأيت الشجرة التي نودى منها موسى عليه السلام ، شجرة سمراء خضراء ترف .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَلْقِ عَصَاكَ ، فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ، يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا



تَخَفَ ، إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ (٣١) أَسْلُوكَ يَدِكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ، وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ، فَذَانِكَ بُرْهَانٌ مِّنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره: نُودِيَ موسى: (أَنْ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ) فألقاها موسى ، فصارت حية تسعى (فَلَمَّا رَأَاهَا) موسى (تَهَيَّأْتُ) يقول: تتحرك وتضطرب (كَأَنَّهَا جَانٌّ) والجنان: واحد الجنان ، وهي نوع معروف من أنواع الحيات ، وهي منها عظام . ومعنى الكلام: كأنها جانٌّ من الحيات (وَلَّىٰ مُدْبِرًا) يقول: ولي موسى هاربا منها .

كما حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَّىٰ مُدْبِرًا فَارًا مِنْهَا) ، (وَلَمْ يُعَقِّبْ) يقول: ولم يرجع على عقبه .

وقد ذكرنا الرواية في ذلك ، وما قاله أهل التأويل فيما مضى ، فكرهنا إعادته ، غير أننا نذكر في ذلك بعض ما لم نذكره هنالك .

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَمْ يُعَقِّبْ) يقول: ولم يعقب: أي لم يلتفت من الفرق .

حدثنا موسى ، قال: ثنا عمرو ، قال: ثنا أسباط ، عن السدي (وَلَمْ يُعَقِّبْ) يقول: لم ينتظر . وقوله (يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ) يقول تعالى ذكره: فنودي موسى: يا موسى أقبل إلى ولا تخف من الذي تهرب منه (إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ) من أن يضررك ، إنما هو عصاك . وقوله (أَسْلُوكَ يَدِكَ فِي جَيْبِكَ) يقول: أدخل يدك ، وفيه لغتان: سلكته ، وأسلكته في جيبك ، يقول: في جيب قميصك .

كما حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة (أَسْلُوكَ يَدِكَ فِي جَيْبِكَ) : أي في جيب قميصك .

وقد بينا فيما مضى السبب الذي من أجله أمر أن يدخل يده في الجيب ، دون الكم .

وقوله (تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) يقول: تخرج بيضاء من غير برّص .

كما حدثنا بشر ، قال: ثنا ابن الفضل ، قال: ثنا قرّة بن خالد ، عن الحسن ، في قوله (أَسْلُوكَ يَدِكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) قال: فخرجت كأنها المصباح ، فأيقن موسى أنه لقي به . وقوله (وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ) يقول: واضمم إليك يدك .

كما حدثنا القاسم ، قال: ثنا الحسين ، قال: ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال: قال ابن عباس (وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ) قال: يدك .

حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد (وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ) قال:

وجناحاه : الذراع ، والعضد : هو الجناح ، والكفّ : اليد ، اضمم يدك إلى جناحك ، تخرج بيضاء من غير سوء .  
وقوله ( مِـنَ الرَّهْبِ ) يقول : من الخوف والفرق الذي قد نالك من معاينتك ما عاينت من هول الحية .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( مِـنَ الرَّهْبِ ) قال : الفرق .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِـنَ  
الرَّهْبِ ) : أي من الرُّعْبِ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( مِـنَ الرَّهْبِ ) قال : مما  
دخله من الفرق من الحية والخوف ، وقال : ذلك الرهب ، وقرأ قول الله ( يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ) قال :  
خوفا وطمعا .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل الحجاز والبصرة ( مِـنَ الرَّهْبِ ) بفتح الراء  
والهاء . وقرأته عامة قراء الكوفة ( مِـنَ الرَّهْبِ ) بضم الراء ، وتسكين الهاء ، والقول في ذلك : أنهما قراءتان  
متفقتا المعنى مشهورتان في قراء الأمصار ، فبأيتهما قرأ القارى فصيب .

وقوله ( فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِـنَ رَبِّكَ ) يقول تعالى ذكره : فهذان اللذان أريتكهما ياموسى من  
تحول العصا حية ، ويدك وهى سمراء ، بيضاء تلمع من غير برص ، برهانان : يقول : آيتان وحجتان .  
وأصل البرهان : البيان ، يقال للرجل : يقول القول إذا سئل الحجّة عليه : هات برهانك على ما تقول : أى  
هات تبيان ذلك ومصدقه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِـنَ رَبِّكَ )  
العصا واليد : آيتان .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول  
الله ( فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِـنَ رَبِّكَ ) تبيانان من ربك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِـنَ رَبِّكَ ) هذان برهانان .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِـنَ  
رَبِّكَ ) ، فقرأ ( هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ) على ذلك آية نعرفها ، وقال : برهانان : آيتان من الله .  
واختلفت القراء في قراءة قوله ( فَذَانِكَ ) ، فقرأته عامة قراء الأمصار ، سوى ابن كثير وأبي عمرو



( فَذَانِكَ ) بتخفيف النون ، لأنها نون الاثنين ، وقرأه ابن كثير وأبو عمرو ( فَذَانِكَ ) بتشديد النون . واختلف أهل العربية في وجه تشديدها ، فقال بعض نحويي البصرة : ثقل النون من ثقلها للتوكيد ، كما أدخلوا اللام في ذلك . وقال بعض نحويي الكوفة : شددت فرقا بينها وبين النون التي تسقط للإضافة ، لأن هاتان وهذان لاتنصاف . وقال آخر منهم : هو من لغة من قال : هذا آقال ذلك ، فزاد على الألف ألفا ، كذا زاد على النون نونا ليفصل بينهما وبين الأسماء المتمكنة ، وقال في ذانك إنما كانت ذلك فيمن قال : هذان يا هذا ، فكروهوا تثنية الإضافة فأعقبوها باللام ، لأن الإضافة تعقب باللام . وكان أبو عمرو يقول : التشديد في النون في ( ذَانِكَ ) من لغة قريش ( إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِكِهِ ) يقول : إلى فرعون وأشراف قومه ، حجة عليهم ، ودلالة على حقيقة نبوتك يا موسى ( لَأَسْمُهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ) يقول : إن فرعون وملاؤه كانوا قوما كافرين .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا ، فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (٣٣) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ، فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : قال موسى : رب إني قتل من قوم فرعون نفسا ، فأخاف إن أتيتهم فلم أبن عن نفسي بحجة أن يقتلون ، لأن في لساني عقدة ، ولا أبين معها ما أريد من الكلام ، وأخي هارون هو أفصح مني لسانا ، يقول : أحسن بيانا عما يريد أن يبينه ( فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا ) يقول : عوناً يصدقني : أي يبين لهم عنى ما أخاطبهم به .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ، فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ) : أي يبين لهم عنى ما أكلمهم به ، فإنه يفهم ما لا يفهمون . وقيل : إنما سأل موسى ربه يؤيده بأخيه ، لأن الاثنين إذا اجتمعا على الخبر ، كانت النفس إلى تصديقهما ، أسكن منها إلى تصديق خبر الواحد .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ) لأن الاثنين أخرى أن يصدقاً من واحد . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ) قال عوناً .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( رِدَاءٌ يُصَدِّقُنِي ) : أى عوناً .  
وقال آخرون : معنى ذلك : كما يصدقني .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( رِدَاءٌ يُصَدِّقُنِي )  
يقول : كى يصدقني .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ( فَأَرْسِلُهُ مَعِيَ رِدَاءٌ يُصَدِّقُنِي )  
يقول : كما يصدقني .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس :  
( رِدَاءٌ يُصَدِّقُنِي ) يقول : كما يصدقني . والردء في كلام العرب : هو العون ، يقال منه : قد أردأت  
فلاناً على أمره : أى أكفيته وأعنته .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( يُصَدِّقُنِي ) فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة ( رِدَاءٌ يُصَدِّقُنِي )  
يجزم يصدقني . وقرأ عاصم وحزرة ( يُصَدِّقُنِي ) برفعه ، فن رفعه جعله صلة للردء ، بمعنى : فأرسله معي  
ردءاً من صفته يصدقني ؛ ومن جزمه جعله جواباً لقوله فأرسله ، فإنك إذا أرسلته صدقتني ، على وجه الخبر .  
والرفع في ذلك أحب القراءتين إلىّ ، لأنه مسألة من موسى ربه أن يرسل أخاه عوناً له بهذه الصفة .  
وقوله ( إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَدِّبُونِ ) يقول : إني أخاف أن لا يصدقون على قولي لهم إني أرسلت إليكم .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا، أٰنٰمًا  
وَمَنْ أَتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : قال الله لموسى ( سَنَشُدُّ عَضُدَكَ ) : أى تقويك وتعينك بأخيك ، تقول العرب  
إذا أعزّ رجل رجلاً ، وأعانه ومنعه ممن أراد به ظلم ، قد شدّ فلان على عضد فلان ، وهو من عاضده على  
أمره : إذا أعانه ، ومنه قول ابن مقبل :

عاضدتها بعشودٍ غيرٍ مُعتلثٍ كأنه وقفٌ عاجٍ ، باتٍ مكنوناً

(١) البيت لقيم بن أبي بن مقبل ، قاله المؤلف ، نقلاً عن مجاز القرآن لأبي عبيدة ، قال : شنشد عضدك بأخيك : أى ستقويك به  
وتعينك به . يقال إذا أعزّ رجل رجلاً ومنعه : قد شدّ فلان على عضد فلان . وهو من عاضدته على أمره ، أى عاونته عليه وآزرته :  
قال ابن مقبل : « عاضدته . . . بات مكنوناً » . يعنى قوساً ، أى عاضدها بهم . اهـ . انظر المصورة ( رقم ٢٦٠٥٩ بجامعة  
القاهرة ) : والعود : السدر أو الطلحة ، ولعل سهم بن مقبل كان من شجر السدر أو الطلح . والمعتلث : إما من اعتلث الزند  
إذا لم يور ، فهو حينئذ يكسر اللام ؛ وإما من اعتلث الرجل زندا : أخذه من شجر لا يدرى أبوري أم يصلد . وقال أبو حنيفة :  
اعتلث زنده ، إذا اعترض الشجر اعتراضاً ، فاتخذها بما وجد ، والفين لغة ، عنه أيضاً . وهو حينئذ يفتح اللام . والوقف من العاج : =



يعني بذلك : قوسا عاضدها بسهم . وفي العَضُد لغات أربع : أجودها : العَضُد ، ثم العَضُدُ ، ثم العَضُدُ ، والعَضُدُ . يجمع جميع ذلك على أعضاء .

وقوله ( وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَانًا ) يقول : ونجعل لكما حجة .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( لَكُمْ سُلْطَانًا ) حجة .

حدثنا القاسم ، قال : قال : ثنا الحسين ، قال ثني حجاج عن ابن جريح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَانًا )

والسلطان : الحجة .

وقوله ( فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ) يقول تعالى ذكره : فلا يصل إليكما فرعون وقومه بسوء . وقوله

( بآيَاتِنَا ) يقول تعالى ذكره : فلا يصل إليكما فرعون ( بآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ) فالباء

في قوله بآياتنا من صلة غالبون . ومعنى الكلام : أنتم ومن اتبعكما الغالبون فرعون وملأه بآياتنا : أي بحجنتنا

وسلطاننا الذي نجعله لكما .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ ، قَالُوا : مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَىٰ ، وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا

فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : فلما جاء موسى فرعون وملأه بأدلتنا وحججنا بينات أنها حجج شاهدة بحقيقة

ما جاء به موسى من عنده ، قالوا لموسى : ما هذا الذي جئتنا به إلا سحر افتريته من قبلك وتخرصته كذبا وباطلا

وما سمعنا بهذا الذي تدعوننا إليه من عبادة من تدعوننا إلى عبادته في أسلافنا وآبائنا الأولين الذين مضوا قبلنا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ ، وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ، إِنَّهُ

لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٣٧)

يقول تعالى ذكره : وقال موسى مجيبا لفرعون : ربي أعلم بالحق منا يا فرعون من المبطل ، ومن الذي

جاء بالرشاد إلى سبيل الصواب ، والبيان عن واضح الحججة من عنده ، ومن الذي له العقبى المحمودة في الدار

الآخرة منا . وهذه معارضة من نبي الله موسى عليه السلام لفرعون ، وجميل مخاطبة ، إذ ترك أن يقول له ،

بل الذي غر قومه ، وأهلك جنوده ، وأضل أتباعه ، أنت لا أنا ، ولكنه قال ( رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ

= كهيئة السوار ، يريد ما في السهم من خطوط سود شمة له كالتى تكون في الوقف من العاج ، وقوله « بات مكنونا » هذه رواية

أبي عبيدة ، ولعل ما في الأصل تحريف من الناسخ . ومعناه : أن السهم قد أعد وهيس ووضع في الكنانة ، وهى جعبة السهام ، وبق فيها

إلى أن ركب في القوس .

مِنْ عِنْدِهِ ، وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ . ثم بالغ في ذمّ عدوّ الله بأجل من الخطاب ، فقال ( إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ) يقول : إنه لا ينجح ولا يدرك طلبهم الكافرون بالله تعالى ، بمعنى بذلك فرعون أنه لا يفلح ولا ينجح ، لكفره به .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمُنُ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أطَّلِعُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨)

يقول تعالى ذكره : وقال فرعون لأشراف قومه وساداتهم : ( يا أيُّها الملأُ ما علِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ) فتعبده ، وتصدّقوا قول موسى فيما جاءكم به من أن لكم وله ربا غيري ، ومعبودا سواي ، ( فأوقدْ لي ياهامانُ على الطينِ ) يقول : فاعمل لي آجرا . وذكر أنه أوّل من طبخ الآجر وبنى به .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فأوقدْ لي ياهامانُ على الطينِ ) قال : على المدر يكون لبينا مطبوخا .

قال ابن جريج : أوّل من أمر بصنعة الآجر وبنى به فرعون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فأوقدْ لي ياهامانُ على الطينِ ) قال : فكان أوّل من طبخ الآجر يبنى به الصرح .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله ( فأوقدْ لي ياهامانُ على الطينِ ) قال : المطبوخ الذي يوقد عليه هو من طين يبنون به البنيان .

وقوله ( فاجعلْ لي صرحا ) يقول : ابن لي بالآجر بناء ، وكل بناء مسطح : فهو صرح كالقصر ؛ ومنه قول الشاعر :

يَهِنُ نَعَامٌ بَنَاهَا الرَّجَا لُحْسَبُ أَعْلَامَهِنَّ الصَّرُوحَا

يعني بالصرح : جمع صرح .

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، يصف طرف المغازة ( اللسان : نعم ) . قال : النعامة : كل بناء أو ظلة أو علم يهتدى به من أعلام المغاوير . وقيل : كل بناء على الجبل كالظلة والعلم . والجمع : نعامة . قال أبو ذؤيب يصف طرق المغازة : « يهين نعامة . . . البيت » قال : . وروى الجوهري مجزء « ثلثي النفاض فيه السريحا » قال : والنفاض : الهزلي من الإبل : أه . وفي ( اللسان : نقص ) : النفيضة نحو الطليعة ، وهم الجماعة يمشون في الأرض متجسسين ، لينظروا : هل فيها عدو وخوف ؟ والجمع النفاض . هذا تفسير الأصمعي . وهكذا رواه أبو عمرو بالغناء إلا أنه قال في تفسيره إنها الهزلي من الإبل . قال ابن جري : النعامة : خشبات يستظل تحتها . والرجال : الرجالة . والسريح : سيور تشد بها النعال ، يريد أن نعال النفاض تقطعت . والصرح : جمع صرح ، وهو كما في ( اللسان : صرح ) بيت واحد يبنى منفردا ضخما ، طويلا في السماء . قال أبو ذؤيب :

عَلَى طُرُقٍ كَنُحُورِ الطُّبَا عِ تَحْسَبُ أَرَامَهِنَّ الصَّرُوحَا

وقال الزجاج في قوله تعالى : « قيل لها ادخل الصرح » قال : الصرح في اللغة القصر ، والصحن . يقال : هذه صرحة الدار وقارعها : =



وقوله (لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى) يقول : أنظر إلى معبود موسى ، الذي يعبد ، ويدعو إلى عبادته (وَإِنِّي لَأَتَّضُّهُ) فيما يقول من أن له معبودا يعبد في السماء ، وأنه هو الذي يؤيده وينصره ، وهو الذي أرسله إلينا من الكاذبين ، فذكر لنا أن هامان بنى له الصرح ، فارتقى فوقه .  
فكان من قصته وقصة ارتقائه ، ما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قال فرعون لقومه (يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري ، فأوقد لي يا هامان على الطين ، فاجعل لي صرحا) لعل أذهب في السماء ، فأنظر إلى إله موسى ؛ فلما بسى له الصرح ، ارتقى فوقه ، فأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء ، فردت إليه وهي متلخطة دما ، فقال : قد قتلت إله موسى ، تعالى الله عما يقولون .

### القول في تأويل قوله تعالى

وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَظَنُّوا أَنَّهُمُ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ، فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠)

يقول تعالى ذكره : واستكبر فرعون وجنوده في أرض مصر عن تصديق موسى ، واتباعه على ما دعاهم إليه من توحيد الله ، والإقرار بالعبودية له (بغير الحق) يعني تعديا وعتوا على ربهم (وَظَنُّوا أَنَّهُمُ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ) يقول : وحسبوا أنهم بعد مماتهم لا يعثون ، ولا ثواب ، ولا عقاب ، فركبوا أهواءهم ، ولم يعلموا أن الله لهم بالمرصاد ، وأنه لهم مجاز على أعمالهم الخبيثة .

وقوله (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ) يقول تعالى ذكره : فجمعنا فرعون وجنوده من القبط (فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ) يقول : فألقيناهم جميعهم في البحر ، فغرقناهم فيه ، كما قال أبو الأسود الدؤلي :

نَظَرْتُ إِلَى عُنُوتِهِ فَنَبَذْتُهُ كَنَبَذِكَ نَعْلًا أَحْلَقْتَ مِنْ نِعَالِكَا

وذكر أن ذلك بحر من وراء مصر ، كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : (فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ) قال : كان اليم بحرا يقال له إساف ، من وراء مصر ، غرقهم الله فيه .

وقوله (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) يقول تعالى ذكره : فانظر يا محمد بعين قلبك : كيف كان أمر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم ، فكفروا بربهم وردوا على رسوله نصيحته ، ألم نهلكهم فنورث ديارهم وأموالهم أولياءنا ، ونحوهم ما كان لهم من جنات وعميون وكنوز ، ومقام كريم ، بعد أن كانوا

من أي ساحتها وعرضها . وقال بعض المفسرين : الصرح : بلاط اتخذ لها من قوارير . والصرح : الأرض الملسة . والصرح : متن من الأرض مستو . اه . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن : الصرح : البناء والقصر . ولم يزد ، وروى البيت كرواية صاحب اللسان . (١) البيت لأبي الأسود الدؤلي ، كما قاله المؤلف وهو منقول عن مجاز القرآن لأبي عبيدة (الورقة ١٨٠ ب) قال : « فأخذناه وجنوده » أي فجمعناه وجنوده . « فنبدناهم في اليم » أي فألقيناهم في البحر ، وأهلكناهم وغرقناهم . قال أبو الأسود الدؤلي : « نظرت إلى عنوانه . . . . البيت . اه . وفي « اللسان : نبذ » النبذ : طرحت الشيء من يدك ، أمامك أو وراءك ، ونبذت الشيء : إذا رميته وأبعدته .

مستضعفين ، تقتل أبناؤهم ، وتُستحيا نساؤهم ، فلنا كذلك بك وبمن آمن بك وصدقك فاعلون محولوك وإياهم ديار من كذبك ، ورد عليك ما أتيتهم به من الحق وأموالهم ، ومهلكوهم قتلا بالسيف ، سنة الله في الذين خلتوا من قبل .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النُّارِ ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤١) وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (٤٢)

يقول تعالى ذكره : وجعلنا فرعون وقومه أمة يأتهم أهل العتوة على الله ، والكفر به ، يدعون الناس إلى أعمال أهل النار ( وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ) يقول جل ثناؤه : ويوم القيامة لا ينصرهم الله إذا عدت بهم ناصر ، وقد كانوا في الدنيا يتناصرون ، فاضمحت تلك النصر يومئذ .

وقوله ( وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ) يقول تعالى ذكره : وألزمنا فرعون وقومه في هذه الدنيا خزيا وغضبا منا عليهم ، فحتمنا لهم فيها بالهلاك واليوار والثناء السيئ ، ونحن متبعوهم لعنة أخرى يوم القيامة ، فحزروهم بها الخزي الدائم ، ومهينوهم المهوان اللازم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ) قال : لعنوا في الدنيا والآخرة ، قال : هو كقوله ( وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدْعُونَ إِلَى النُّارِ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ) لعنة أخرى ، ثم استقبل فقال ( هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ) وقوله ( هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ) يقول تعالى ذكره : هم من القوم الذين قبحهم الله ، فأهلكهم بكفرهم بربه ، وتكذيبهم رسوله موسى عليه السلام ، فجعلهم عبرة للمعتبرين ، وعظة للمتعتبين .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٣)

يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا موسى التوراة من بعد ما أهلكنا الأمم التي كانت قبله ، كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين ( بَصَائِرَ لِلنَّاسِ ) يقول : ضياء لبني إسرائيل فيما بهم إليه الحاجة من



أمر دينهم ( وَهَدَى ) يقول : وبيانا لهم ورحمة لمن عمل به منهم ( لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ) يقول : ليتذكروا نِعَمَ الله بذلك عليهم ، فيشكروه عليها ولا يكفروا .  
وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد وعبد الوهاب ، قالوا : ثنا عوف ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدرى ، قال : ما أهلك الله قوما بعذاب من السماء ولا من الأرض ، بعد ما أنزلت التوراة على وجه الأرض غير القرية التى مسحوا قرده ، ألم تر أن الله يقول ( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ ، وَهَدَى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٤٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما كنت يا محمد بجانب غربى الجبل ( إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ ) يقول : إذ فرضنا إلى موسى الأمر ، فيما ألزمناه وقومه ، وعهدنا إليه من عهد ( وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ) يقول : وما كنت لذلك من الشاهدين .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا كُنْتَ ) يا محمد ( بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ) يقول : بجانب غربى الجبل ( إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ ) .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : غربى الجبل .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا الضحاك بن مخلد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن على بن مدرك ، عن أبي زرعة بن عمرو ، قال : إنكم أمة محمد صلى الله عليه وسلم قد أجبتم قبل أن تسألوا ، وقرأ ( وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ، وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ

ءَايَاتِنَا ، وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٤٥)

يقول تعالى ذكره بقوله ( وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا ) ولكننا خلقنا أما فأحدثناها من بعد ذلك ( فَتَطَاوَلَ )

عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ) . وقوله ( وَمَا كُنْتُمْ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ) يقول : وما كنت مقبياً في أهل مدين ، يقال : تويت بالمكان أتوى به ثواء ، قال أعشى ثعلبة :

أَتَوَى وَقَصَّرَ لَيْسَلَهُ لِيُزَوِّدَا فَهَضَى وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِدَا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَا كُنْتُمْ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ) قال : التأوي : المقيم ( تَتَلَوُ عَلَيْهِمُ آيَاتِنَا ) يقول : تقرأ عليهم كتابنا ( وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسَلِينَ ) : يقول : لم تشهد شيئاً من ذلك يا محمد ، ولكننا كنا نحن نفعل ذلك ، ونرسل الرسل .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا، وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ، لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ

مِّن ، قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : وما كنت يا محمد بجانب الجبل إذ نادينا موسى بأن ( سَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ) ... الآية .

كما حدثنا عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن علي بن مدرك ، عن أبي زرعة ، في قول الله ( وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ) قال : نادى : يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني ، وأجبتكم قبل أن تدعوني .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ) قال : نودوا : يا أمة محمد ، أعطيتكم قبل أن تسألوني ، واستجبت لكم قبل أن تدعوني .

حدثني ابن وكيع ، قال : ثنا حرملة بن قيس النخعي ، قال : سمعت هذا الحديث من أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، عن أبي هريرة ( وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ) قال : نودوا : يا أمة محمد ، أعطيتكم قبل أن تسألوني ، واستجبت لكم قبل أن تدعوني .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر عن سليمان ، وسفيان عن سليمان ، وحجاج عن حمزة الزيات ، عن الأعمش ، عن علي بن مدرك ، عن أبي زرعة بن عمرو ، عن أبي هريرة ، في قوله ( وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ) قال : نودوا : يا أمة محمد ، أعطيتكم قبل أن تسألوني ، واستجبت

(١) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة ( اللسان : ثوى . والديوان طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٢٢٧ ) . وهو من قصيدة قالها لكسرى حين أراد منهم رهائن ، لما أغار الحارث بن وعلة على بعض السواد . وفي البيت : ليلة . . . فضت . في موضع ليله . . . ومضى . وفي رواية مجاز القرآن لأبي عبيدة : فضى ، ورواية الديوان أحسن ، لقوله بعده : « ومضى لحاجته » . قال شارح الديوان : ثوى وأتوى : بمعنى واحد ، أى أقام . وقصر : توافى . وأخلف فلاناً وجد مواعده خلفاً ( بكسر الخاء ) أى مختلفاً . يقول : عدل عن سفره ، فأقام ، وتخلف ليلة ليزود من قتيلة ، فضت الليلة ، وأخلفته قتيلة الموعد .



لكم قبل أن تدعوني ، قال : وهو قوله حين قال موسى ( وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَفِي  
الْآخِرَةِ ) . . . الآية .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج مثل ذلك .  
وقوله ( وَلَكِنَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ) يقول تعالى ذكره : لم تشهد شيئا من ذلك يا محمد ، فتعلمه ، ولكننا  
عرفناك ، وأنزلنا إليك ، فاقصصنا ذلك كله عليك في كتابنا ، وابتعثناك بما أنزلنا إليك من ذلك ، رسولا إلى  
من ابتعثناك إليه من الخلق ، رحمة منا لك ولهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَكِنَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ) ماقصصنا  
عليك . ( لِيُنذِرَ قَوْمًا ) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَلَكِنَّ رَحْمَةً  
مِّن رَّبِّكَ ) قال : كان رحمة من ربك النبوة .

وقوله ( لِيُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ) : يقول تعالى ذكره : ولكن أرسلناك بهذا  
الكتاب وهذا الدين ، لتنذر قوما لم يأتهم من قبلك نذير ، وهم العرب الذين بعث إليهم رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، بعثه الله إليهم رحمة ، لينذرهم بأسه على عبادتهم الأصنام ، وإشراكهم به الأوثان والأنداد .

وقوله ( لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ) يقول : ليتذكروا خطأ ما هم عليه مقيمون ، من كفرهم بربهم ، فنبهوا  
إلى الإقرار لله بالوحدانية ، وإفراده بالعبادة ، دون كل ما سواه من الآلهة .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( وَلَكِنَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ) قال :  
الذي أنزلنا عليك من القرآن ( لِيُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ لَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ،  
فَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : ولولا أن يقول هؤلاء الذين أرسلتك يا محمد إليهم ، لو حل بهم بأسنا ، أو أتاهم  
عذابنا ، من قبل أن نرسلك إليهم ، على كفرهم بربهم ، واكتسابهم الآثام ، واجترامهم المعاصي : ربنا هلا  
أرسلت إلينا رسولا من قبل أن يحل بنا سخطك ، وينزل بنا عذابك ، فتبع أدلتك ، وآى كتابك الذى تنزله على  
رسولك ، ونكون من المؤمنين بألوهيتك ، المصدقين رسولك فيما أمرتنا ونهيتنا ، لعاجلناهم العقوبة على  
شركهم ، من قبل ما أرسلناك إليهم ، ولكننا بعثناك إليهم نذيرا بأسنا على كفرهم ، لئلا يكون للناس على الله حجة

بعد الرسل . والمصيبة في هذا الموضع : العذاب والنقمة . ويعنى بقوله ( بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ ) بما اكتسبوا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا ، قَالُوا : لَوْلَا أُوْتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ؟ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ، قَالُوا : سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ، وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ (٤٨)

يقول تعالى ذكره : فلما جاء هؤلاء الذين لم يأتهم من قبلك يا محمد نذير ، فبعثناك إليهم نذيرا ( الحق من عندنا ) ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، بالرسالة من الله إليهم ، قالوا : تمردا على الله ، وتماديا في الغي : هَلَا أُوْتِيَ هذا الذي أرسل إلينا ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، مثل ما أُوْتِيَ موسى بن عمران من الكتاب ، يقول الله تبارك وتعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لقومك من قريش ، القائلين لك ( لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ) : أو لم يكفر الذين علموا هذه الحجة من اليهود ، بما أُوْتِيَ موسى من قبلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : يهود تأمر قريشا أن تسأل محمدا مثل ما أُوْتِيَ موسى ، يقول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : قل لقريش يقولوا لهم : أو لم يكفروا بما أُوْتِيَ موسى من قبل ؟ حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ) قال : اليهود تأمر قريشا ، ثم ذكر نحوه ( قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ) . واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرآء المدينة والبصرة : ( قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ) بمعنى : أو لم يكفروا بما أُوْتِيَ موسى من قبل ، وقالوا له ولمحمد صلى الله عليه وسلم في قول بعض المفسرين ، وفي قول بعضهم الموسى وهارون عليهما السلام ، وفي قول بعضهم : لعيسى ومحمد : ساحران تعاونا . وقرأ عامة قرآء الكوفة ( قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ) بمعنى : وقالوا للتوراة والفرقان ، في قول بعض أهل التأويل ، وفي قول بعضهم : للإنجيل والفرقان .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، على قدر اختلاف القراء في قراءته .

ذكر من قال عني بالساحرين اللذين تظاهرا : محمد وموسى صلى الله عليهما

حدثنا سليمان بن محمد بن معدى كرب الرعي ، قال : ثنا بقة بن الوليد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي حمزة ، قال : سمعت مسلم بن يسار ، يحدث عن ابن عباس ، في قول الله ( سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ) قال : موسى ومحمد . حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي حمزة ، قال : سمعت مسلم بن يسار ، قال : سألت ابن عباس ، عن هذه الآية ( سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ) قال : موسى ومحمد :



حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن أبي حمزة ، عن مسلم بن يسار : أن ابن عباس ، قرأ ( ساحِرَانِ ) قال : موسى ومحمد ، عليهما السلام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن كيسان أبي حمزة ، عن مسلم بن يسار ، عن ابن عباس ، مثله .

ومن قال : موسى وهارون ، عليهما السلام

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( ساحِرَانِ تَظَاهَرَا ) قال : يهودُ لموسى وهارون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ( قالوا ساحِرَانِ تَظَاهَرَا ) قول يهودَ لموسى وهارون ، عليهما السلام .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن سعيد بن جبّير وأبي رزّين : أن أحدهما قرأ ( ساحِرَانِ تَظَاهَرَا ) ، والآخر : ( سِحْرَانِ ) ، قال الذي قرأ ( سِحْرَانِ ) قال : التوراة والإنجيل . وقال الذي قرأ ( ساحِرَانِ ) قال : موسى وهارون .  
وقال آخرون : عَسَوَا بالساحرين : عيسى ومحمدا ، صلى الله عليهما وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن ، قوله ( ساحِرَانِ تَظَاهَرَا ) قال : عيسى ومحمد ، أو قال موسى ، صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال : عَسَوَا بذلك التوراة والفرقان ، ووجه تأويله إلى قراءة من قرأ ( سِحْرَانِ تَظَاهَرَا )  
حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ) يقول : التوراة والقرآن .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( قالوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ) يعنى : التوراة والفرقان .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( قالوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ) قال : كتاب موسى ، وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال : عنوا به التوراة والإنجيل

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد ، قال : كنت إلى جنب ابن عباس وهو يتعوذ بين الركن والمقام ، فقلت : كيف تقرأ ، سِحْرَانِ ، أو ساحران ؟ فلم يردّ علىّ شيئا ، فقال

عكرمة : ساحران ، وظننت أنه لو كره ذلك أنكروه على ، قال حميد : فلقيت عكرمة بعد ذلك ، فذكرت ذلك له ، وقلت : كيف كان يقرؤها ؟ قال : كان يقرأ ( سحران تظاهراً ) أي : التوراة والإنجيل .

ذكر من قال : عنوا به الفرقان والإنجيل

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد ، عن الضحاك ، أنه قرأ ( سحران تظاهراً ) : يعنون الإنجيل والفرقان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهِرًا ) قالت ذلك أعداء الله اليهود ، للإنجيل والفرقان ، فن قال ( ساحران ) فيقول : محمد ، وعيسى ابن مريم .  
قال أبو جعفر : وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب ، قراءة من قرأه ( قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهِرًا ) : بمعنى : كتاب موسى ، وهو التوراة ، وكتاب عيسى ، وهو الإنجيل .

وإنما قلنا : ذلك أولى القراءتين بالصواب ، لأن الكلام من قبله جرى بذكر الكتاب ، وهو قوله : ( وَقَالُوا لَوْلَا أُوْتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى ) والذي يليه من بعده ذكر الكتاب ، وهو قوله ( فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَنبِئَهُ ) فالذي بينهما بأن يكون من ذكره أولى وأشبه بأن يكون من ذكر غيره . وإذ كان ذلك هو الأوتى بالقراءة ، فعلوم أن معنى الكلام : قل يا محمد : أو لم يكفر هؤلاء اليهود بما أوتي موسى من قبل ، وقالوا لما أوتي موسى من الكتاب ، وما أوتيته أنت ، سحران تعاوننا . وقوله ( وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ) يقول تعالى ذكره : وقالت اليهود : إنا بكل كتاب في الأرض : من توراة ، وإنجيل ، وزبور ، وفرقان : كافرون .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل ، وخالفه فيه مخالفون .

ذكر من قال مثل الذي قلنا في ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو غاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ) قالوا : نكفر أيضاً بما أوتي محمد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ) قال : يهود أيضاً : نكفر بما أوتي محمد أيضاً .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وقالوا إنا بكل الكتابين : الفرقان والإنجيل ، كافرون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد ، عن الضحاك ( وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ) يقول : بالإنجيل والقرآن .



حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ) : يعنون الإنجيل والفرقان .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ) قال : هم أهل الكتاب ، يقول : بالكتابين : التوراة والفرقان .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ) الذي جاء به موسى ، والذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ : فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للقائلين للتوراة والإنجيل : هما سحران تظاهرا : اتوا بكتاب من عند الله ، هو أهدى منهما لطريق الحق ، ولسبيل الرشاد ( أَتَّبِعُهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ) في زعمكم أن هذين الكتابين سحران ، وأن الحق في غيرهما .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : فقال الله تعالى ( قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا ) . . . الآية .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فقال الله ( ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا ) من هذين الكتابين ؛ الذي بعث به موسى ، والذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ، وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بغير هُدًى  
مِّنَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : فإن لم يجيبك هؤلاء القائلون للتوراة والإنجيل : سحران تظاهرا ، الزاعمون أن الحق في غيرهما ، من اليهود يا محمد ، إلى أن أتوك بكتاب من عند الله ، هو أهدى منهما ، فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ، وأن الذي ينطقون به ، ويقولون في الكتابين ، قول كذب وباطل ، لاحقيقة له ، ولعل قائلنا أن يقول : أو لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أن ما قال القائلون من اليهود وغيرهم في التوراة والإنجيل من الإفك والزور ، المسموهما سحرين : باطل من القول ، إلا بأن لا يجيبوه إلى إتيانهم بكتاب هو أهدى منهما ؟ قيل : هذا كلام

خرج مخرج الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمراد به المقول لهم : أو لم يكفروا بما أرتى موسى من قبل ، من كفار قريش . وذلك أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لمشركي قريش : أو لم يكفر هؤلاء الذين أمروكم أن تقولوا : هلا أوتى محمد مثل ما أوتى موسى ، بالذى أوتى موسى من قبل هذا القرآن ، ويقولوا للذى أنزل عليه وعلى عيسى ( سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ) ، فقولوا لهم : إن كنتم صادقين أن ما أوتى موسى وعيسى سحر ، فأتوني بكتاب من عند الله ، هو أهدى من كتابيهما ، فإن هم لم يحييوكم إلى ذلك فاعلموا أنهم كذّابة ، وأنهم إنما يتبعون في تكذيبهم محمداً ، وما جاءهم به من عند الله أهواء أنفسهم ، ويتركون الحق وهم يعلمون ، يقول تعالى ذكره : ومن أضلّ عن طريق الرشاد ، وسبيل السّداد ، ممن اتبع هوى نفسه بغير بيان من عند الله ، وعهد من الله ، ويترك عهد الله الذى عهدته إلى خلقه فى وحيه وتنزيله . ( إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ) يقول تعالى ذكره : إن الله لا يوفق لإصابة الحقّ وسبيل الرشاد ، القوم الذين خالفوا أمر الله ، وتركوا طاعته ، وكذبوا رسوله ، وبدّلوا عهدته ، واتبعوا أهواء أنفسهم ، إيثاراً منهم لطاعة الشيطان على طاعة ربهم .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ

بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢)﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون ، ولقد وصلنا لهم القول بأخبار الماضين ، والنبا عما أحللتنا بهم من بأسنا ، إذ كذبوا رسلنا ، وعما نحن فاعلون بمن اقتنى آثارهم ، واحتذى فى الكفر بالله ، وتكذيب رسوله مثالهم ، ليتذكروا فيعتبروا ويتعظوا ، وأصله من وصل الحبال بعضها ببعض ، ومنه قول الشاعر :

فَقُلْ لِبَيْتِي مَرَوَّانَ مَا بَالَ ذِمَّةٍ وَحَبْلٍ ضَعِيفٍ مَا يَزَالُ يُوَصَّلُ

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظهم ببيانهم عن تأويله ، فقال بعضهم : معناه بيئنا . وقال بعضهم : معناه : فصلنا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد ، قوله ( وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ ) قال : فصلنا لهم القول .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ ) قال :

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة ، الورقة ١٨١ ب) قال : « ولقد وصلنا لهم القول » أى أتمناه . ( فى اللسان : وصل ) : وفى التنزيل العزيز « ولقد وصلنا لهم القول » : أى وصلنا ذكر الأنبياء وأقاصيص من ماضى : بعضها ببعض . والذمة : العهد . والحبل : العهد . وقوله « ما يزال يوصل » أى قدرث وبلى ، ويجدد ما بلى منه ، حتى كثر فيه الترفيع .



وصل الله لهم القول في هذا القرآن، يخبرهم كيف صنع بمن مضى، وكيف هو صانع؟ (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ).  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا محمد بن عيسى أبو جعفر ، عن سفيان بن عيينة : وصلنا : بيئنا .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ )  
 الخبر ، خبر الدنيا بخبر الآخرة ، حتى كأنهم عاينوا الآخرة ، وشهدوها في الدنيا ، بما نريهم من الآيات في الدنيا  
 وأشباهاها . وقرأ ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَدَابَ الْآخِرَةِ ) وقال : إنا سرف ننجزم ما وعدناهم  
 في الآخرة ، كما أنجزنا للأندياء ما وعدناهم ، نقضى بينهم وبين قومهم .  
 واختلف أهل التأويل ، فيمن عنى بالهاء والميم من قوله ( وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ) فقال بعضهم : عنى  
 بهما قريشا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
 قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ ) قال : قريش .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَلَقَدْ وَصَّلْنَا  
 لَهُمُ الْقَوْلَ ) قال : لقريش .  
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
 قوله ( وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ) قال : يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم .  
 وقال آخرون : عني بهما اليهود .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني بشر بن آدم ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، قال : ثنا عمرو بن دينار ،  
 عن يحيى بن جعدة ، عن رفاعة القرظي ، قال : نزلت هذه الآية في عشرة أنا أحدهم ( وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ  
 الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ) .  
 حدثنا ابن سنان ، قال : ثنا حيان ، قال : ثنا حماد ، عن عمرو ، عن يحيى بن جعدة ، عن عطية  
 القرظي قال : نزلت هذه الآية ( وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ) حتى بلغ ( إِنَّا كُنَّا ،  
 مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ) في عشرة أنا أحدهم ، فكان ابن عباس أراد بقوله يعنى محمدا ، لعلمهم يتذكرون  
 عهد الله في محمد إليهم ، فيقرؤن بنبوته ويصدقونه .  
 وقوله ( الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ) يعنى بذلك تعالى ذكره قوما  
 من أهل الكتاب آمنوا برسوله وصدقوه ، فقال الذين آتيناهم الكتاب من قبل هذا القرآن ، هم بهذا القرآن  
 يؤمنون ، فيقرؤن أنه حق من عند الله ، ويكذب جهلة الأميين ، الذين لم يأتهم من الله كتاب .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله تعالى ( الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ) قال : يعني من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ ) . . . إلى قوله ( لَانْتَبَغَى الْجَاهِلِينَ ) في مسلمة أهل الكتاب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ ) . . . إلى قوله ( الْجَاهِلِينَ ) قال : هم مُسْلِمَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ . قال ابن جريج : أخبرني عمرو بن دينار : أن يحيى بن جعدة أخبره ، عن علي بن رفاعه ، قال : خرج عشرة رهط من أهل الكتاب ، منهم أبو رفاعه ، يعني أباه ، إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمنوا ، فأوذوا ، فنزلت ( الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ ) قبل القرآن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ) قال : كنا نحدث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق ، يأخذون بها ، وينتهون إليها ، حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، فأمنوا به ، وصدقوا به ، فأعطاهم الله أجرهم مرتين ، بصبرهم على الكتاب الأول ، واتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، وصبرهم على ذلك ، وذكر أن منهم سلمان ، وعبد الله بن سلام .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ) . . . إلى قوله ( مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ) : ناس من أهل الكتاب آمنوا بالتوراة والإنجيل ، ثم أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم ، فأمنوا به ، فسأناهم الله أجرهم مرتين بما صبروا : بإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ، واتباعهم إياه حين بعث ، فذلك قوله ( إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ) .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ، قَالُوا : ءَأَمْنَا بِهِ ، إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا ، إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣)

يقول تعالى ذكره : وإذا يُتْلَىٰ هذا القرآن على الذين آتيناهم الكتاب من قبل نزول هذا القرآن ( قَالُوا آمْنَا بِهِ ) يقولون : صدقنا به ( إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا ) يعني من عند ربنا نزل ، إنا كنا من قبل نزول هذا القرآن مسلمين ، وذلك أنهم كانوا مؤمنين بما جاء به الأنبياء قبل مجيء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعالِمهم من الكتب ، وفي كتبهم صفة محمد ونعمته ، فكانوا به وبمبعثه وبكتابه مصدقين قبل نزول القرآن ، فلذلك قالوا ( إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ) .



## القول في تأويل قوله تعالى

أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا، وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٥٤)

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفت صفتهم ، يُؤْتَوْنَ ثواب عملهم مرتين بما صبروا .  
واختلف أهل التأويل في معنى الصبر الذي وعد الله ما وعد عليه ، فقال بعضهم : وعدهم ما وعد جل ثناؤه ، بصبرهم على الكتاب الأول ، واتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، وصبرهم على ذلك . وذلك قول قتادة ، وقد ذكرناه قبل .

وقال آخرون : بل وعدهم بصبرهم بإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ، واتباعهم إياه حين بعث . وذلك قول الضحاك بن مزاحم ، وقد ذكرناه أيضا قبل ، ومن وافق قتادة على قوله عبد الرحمن ابن زيد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ) على دين عيسى ، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم أسلموا ، فكان لهم أجرهم مرتين : بما صبروا أول مرة ، ودخلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الإسلام .

وقال قوم في ذلك بما حدثنا به ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : إن قوما كانوا مشركين أسلموا ، فكان قومهم يؤذونهم ، فنزلت ( أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ) وقوله ( وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ) يقول : ويدفعون بحسنات أفعالهم التي يفعلونها سيئاتهم ( وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ) من الأموال ( يُنْفِقُونَ ) في طاعة الله ، إما في جهاد في سبيل الله ، وإما في صدقة على محتاج ، أو في صلة رحيم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِذَا يَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا ، إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ) قال الله ( أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ) وأحسن الله عليهم الثناء كما تسمعون ، فقال ( وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ) .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ، وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلِكُمْ ، سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ ، لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥)

يقول تعالى ذكره : وإذا سمع هؤلاء القوم الذين آتيناهم الكتاب : اللغو ، وهو الباطل من القول . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ )

وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَانْتَبَغَى الْجَاهِلِينَ ) لايجارون أهل الجهل والباطل في باطلهم ، أتاهم من أمر الله ماوقدهم عن ذلك .

وقال آخرون: عُنِيَ باللغو في هذا الموضع : ما كان أهل الكتاب أحقوه في كتاب الله ، مما ليس هو منه .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا ) . . . إلى آخر الآية ، قال : هذه لأهل الكتاب ، إذا سمعوا اللغو الذي كتب القوم بأيديهم مع كتاب الله ، وقالوا : هو من عند الله ، إذا سمعه الذين أسلموا ، ومرّوا به يتلونه ، أعرضوا عنه ، وكانهم لم يسمعوا ذلك قبل أن يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، لأنهم كانوا مسلمين على دين عيسى ، ألا ترى أنهم يقولون : ( إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ) .

وقال آخرون في ذلك بما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن منصور ، عن مجاهد ( وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ) قال : نزلت في قوم كانوا مشركين فأسلموا ، فكان قومهم يؤذونهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جويرية ، عن منصور ، عن مجاهد ، قوله ( وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ، وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ) قال : كان ناس من أهل الكتاب أسلموا ، فكان المشركون يؤذونهم ، فكانوا يصفحون عنهم ، يقولون ( سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَانْتَبَغَى الْجَاهِلِينَ ) .

وقوله ( أَعْرَضُوا عَنْهُ ) يقول : لم يصغوا إليه ولم يستمعوه ( وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ) وهذا يدل على أن اللغو الذي ذكره الله في هذا الموضع ، إنما هو مقاله مجاهد ، من أنه سماع القوم من يؤذيه بالقول ما يكرهون منه في أنفسهم ، وأنهم أجابوهم بالجميل من القول ( لَنَا أَعْمَالُنَا ) قد رضينا بها لأنفسنا ، ( وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ) قد رضيتم بها لأنفسكم . وقوله ( سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ) يقول : أَمَنَةٌ لكم منا أن نُسَابِكُمْ ، أو تسمعوا منا ما لا تحبون ( لَانْتَبَغَى الْجَاهِلِينَ ) يقول : لا نريد محاورة أهل الجهل ومسابتهم .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ( إِنَّكَ ) يا محمد ( لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ) هدايته ، ( وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ) أن يهديه من خلقه ، بتوفيقه للإيمان به وبرسوله . ولو قيل : معناه : إنك لا تهدي من أحببته ، لقربته منك ، ولكن الله يهدي من يشاء ، كان مذهبا ( وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ) : يقول جل ثناؤه : والله أعلم من سبق له في علمه أنه يهتدي للرشاد ، ذلك الذي يهديه الله فيسده ويوفقه . وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل امتناع أبي طالب عمه من إجابته ، إذ دعا إلى الإيمان بالله ، إلى ما دعاه إليه من ذلك .



## ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كريب والحسين بن عليّ الصُّدَائِيّ ، قالوا : ثنا الوليد بن القاسم ، عن يزيد بن كيسان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنه عند الموت : « قُلْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . قال : لولا أن تعبّرني قريش ، لأقررت عينك ، فأنزل الله ( إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ) . . . الآية .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن يزيد بن كيسان ، قال : ثنا أبو حازم الأشجعيّ ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنه : « قُلْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ » ، ثم ذكر مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن يزيد بن كيسان سمع أبا حازم الأشجعيّ ، يذكر عن أبي هريرة قال : لما حضرت وفاة أبي طالب ، أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا عَمَّاهُ قُلْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ » فذكر مثله ، إلا أنه قال : لولا أن تعبّرني قريش ، يقولون : ما حمله عليه إلا جزع الموت . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن يزيد بن كيسان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحو حديث أبي كريب الصُّدَائِيّ .

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنا عمي عبد الله بن وهب ، قال : ثنا يونس ، عن الزهريّ قال : ثنا سعيد بن المسيب ، عن أبيه ، قال : « لما حضرت أبا طالب الوفاة ، جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عَمِّ قُلْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، كَلِمَةَ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ ، فقال أبو جهل وعبد الله ابن أبي أمية : يا أبا طالب : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ، ويعيد له تلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب ، وأبي أن يقول لا إله إلا الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما والله لا ستغفرون لك ما لم أنه عنك ، فأنزل الله ( ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى ) ، وأنزل الله في أبي طالب ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ( إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ، وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي ) . . . الآية .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهريّ ، عن سعيد بن المسيب عن أبيه ، بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن أبي سعيد بن رافع ، قال : قلت لابن عمر : ( إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ) : نزلت في أبي طالب ؟ قال : نعم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله ( إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ) قال : قول

محمد لأبي طالب : قل كلمة الإخلاص ، أجادل عنك بها يوم القيامة ، قال محمد بن عمرو في حديثه : قال :  
يا بن أخي ، ملة الأشياخ ، أو سنة الأشياخ . وقال الحارث في حديثه : قال يا بن أخي ، ملة الأشياخ .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جبري ، عن مجاهد ( إِنَّكَ لَا تَهْدِي  
مَنْ أَحْبَبْتَ ) قال : قال محمد لأبي طالب « أَشْهَدُ بِكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ أَجَادِلُ عَنْكَ بِهَا يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ ، قال : أي ابن أخي ، ملة الأشياخ ، فأُنزِلَ اللهُ ( إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ) قال : نزلت هذه  
الآية في أبي طالب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ) :  
ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ نَزَلَتْ فِي أَبِي تَالِبٍ قَالَ الْأَصْمِ عِنْدَ مَوْتِهِ يَقُولُ لِإِلَهِهِ إِلَّا اللهُ ، لَكَيْمَّا تَحُلَّ لَهَا بِهَا الشَّفَاعَةُ ، فَأَبَى عَلَيْهِ .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن عامر ، لما حضر أبا طالب الموت ، قال له النبي  
صلى الله عليه وسلم : « يَا عَمَّاهُ ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا بَن  
أَخِي ، إِنْهُ لَوْلَا أَنْ يَكُونَ عَلَيْكَ عَارٌ ، لَمْ أَبَالَ أَنْ أَفْعَلَ ، فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ مَرَارًا ، فَلَمَّا مَاتَ اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ  
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالُوا : مَا تَنْفَعُ قَرَابَةَ أَبِي تَالِبٍ مِنْكَ ، فَقَالَ : بَتَّى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ السَّاعَةَ  
لَسَبِي ضَحْضُحًا مِنَ النَّارِ ، عَلَيْهِ نَعْلَانِ مِنَ نَارٍ ، تَغْيَلِي مِنْهُمَا أُمَّ رَأْسِهِ ، وَمَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ  
مِنْ إِنْسَانٍ هُوَ أَهْوَنُ عَذَابًا مِنْهُ ، وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ ( إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ) ،  
وَلَكِنَّ اللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ) :

وقوله ( وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ) يقول : وهو أعلم بمن قضي له الهدى .

كالذي حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا  
الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ) قال :  
بمن قُدِّرَ له الهدى والضلالة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جبري ، عن مجاهد ، مثله .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا إِن نَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ تَخَطَّفَ مِنْ أَرْضِنَا ، أَوَلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُحْبِبُوا  
إِلَيْهِ عَمَرَتْ كُلُّ شَيْءٍ ، رَزَقًا مِّن لَّدُنَّا ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧)

يقول تعالى ذكره : وقالت كفار قريش : إن نتبع الحق الذي جئتنا به معك ، ونتبرأ من الأنداد  
والآلهة ، يتخطفنا الناس من أرضنا ، بإجماع جميعهم على خلافنا وحرابتنا . يقول الله لئيبه : فقل : ( أَوَلَمْ نُمْكِنْ  
لَهُمْ حَرَمًا ) يقول : أو لم نوطئ لهم بلدا حرمتنا على الناس سفك الدماء فيه ، ومنعناهم من أن يقتلوا  
سكانه فيه بسوء ، وامننا على أهله من أن يصيبهم بها غارة ، أو قتل ، أو سبياء .

(١) الذي في الدر عن قتادة قال : اتمس منه عند موته أن يقول الخ .



وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، أن الحارث بن نوفل ، الذي قال (إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطُ مِنْ أَرْضِنَا) وزعموا أنهم قالوا : قد علمنا أنك رسول الله ، ولكننا نخاف أن نتخطف من أرضنا ، أو لم نتمكن لهم ( الآية . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطُ مِنْ أَرْضِنَا) قال : هم أناس من قريش قالوا لمحمد : إن تتبعك يتخطفنا الناس ، فقال الله ( أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِيبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ) . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ) : قال : كان يغير بعضهم على بعض .

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ( أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطُ مِنْ أَرْضِنَا ) قال الله ( أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِيبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ) يقول : أو لم يكونوا آمنين في حرمهم لا يغزون فيه ولا يخافون ، يجي إليه ثمرات كل شيء . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ( أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا ) قال : كان أهل الحرم آمنين يذهبون حيث شاءوا ، إذا خرج أحدهم فقال : إني من أهل الحرم لم يتعرض له ، وكان غيرهم من الناس إذا خرج أحدهم قتل . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا ) قال : أمناكم به ، قال : هي مكة ، وهم قريش . وقوله ( يُجِيبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ) يقول يجمع إليه ، وهو من قولهم : جبيت الماء في الخوض : إذا جمعته فيه ، وإنما أريد بذلك : يحمل إليه ثمرات كل بلد .

كما حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن شريك ، عن عثمان بن أبي زرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في ( يُجِيبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ) قال : ثمرات الأرض .

وقوله ( رِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا ) يقول : ورزقاً رزقناهم من لدنا ، يعني : من عندنا ( وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ) يقول تعالى ذكره : ولكن أكثر هؤلاء المشركين القائلين لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ( إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطُ مِنْ أَرْضِنَا ) لا يعلمون أنا نحن الذين مكنا لهم حرماً آمناً ، ورزقناهم فيه ، وجعلنا الثمرات من كل أرض نجبي إليهم ، فهم يجهلهم بمن فعل ذلك بهم يكفرون ، لا يشكرون من أنعم عليهم بذلك .

## القول في تأويل قول تعالى

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرْتُمْ مَعِيشَتَهَا، فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا، وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (٥٨)

يقول تعالى ذكره : وكم أهلكتنا من قرية أبطرتها معيشتها ، فبطرت ، وأشبرت ، وطعنت ، فكفرت ريبها . وقيل : بطرت معيشتها ، فجعل الفعل للقرية ، وهو في الأصل للمعيشة ، كما يقال : أسففتك رأيك فسففته ، وأبطرك مالك فبطرته ، والمعيشة منصوبة على التفسير . وقد بدنا نظائر ذلك في غير موضع من كتابنا هذا .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرْتُمْ مَعِيشَتَهَا ) قال : البطر : أشتر أهل الغفلة وأهل الباطل والركوب لمعاصي الله ، وقال : ذلك البطر في النعمة ( فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ) يقول : فتلك دور القوم الذين أهلكتناهم بكفرهم وبربهم ومنازلهم ، لم تسكن من بعدهم إلا قليلا ، يقول : خربت من بعدهم ، فلم يعمر منها إلا أقلها ، وأكثرها خراب ، ولفظ الكلام وإن كان خارجا على أن مساكنهم قد سكنت قليلا ، فإن معناه : فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا منها ، كما يقال : قضيت حقتك إلا قليلا منه .  
وقوله ( وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ) يقول : ولم يكن لنا خربنا من مساكنهم منهم وارث ، وعادت كما كانت قبل سكتناهم فيها ، لا مالك لها إلا الله ، الذي له ميراث السموات والأرض .

## القول في تأويل قول تعالى

وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا، وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (٥٩)

يقول تعالى ذكره ( وَمَا كَانَ رَبُّكَ ) يا محمد ( مُهْلِكَ الْقُرَى ) التي حوالى مكة في زمانك وعصرك . ( حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا ) يقول : حتى يبعث في مكة رسولا ، وهي أم القرى ، يتلو عليهم آيات كتابنا ، والرسول : محمد صلى الله عليه وسلم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا ) وأم القرى مكة ، وبعث الله إليهم رسولا : محمدا صلى الله عليه وسلم .



وقوله ( وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ) يقول: ولم نكن لنهلك قرية وهي بالله مؤمنة ، إنما نهلكها بظلمها أنفسها ، بكفرها بالله ، وإنما أهلكتنا أهل مكة بكفرهم بربهم ، وظلم أنفسهم .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ) قال الله : لم يهلك قرية بإيمان ، ولكنه يهلك القرى بظلم ، إذا ظلم أهلها ، ولو كانت قرية آمنت لم يهلكوا مع من هلك ، ولكنهم كذبوا وظلموا ، فبذلك أهلكتها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟ (٦٠)

يقول تعالى ذكره : وما أُعطيتم أيها الناس من شيء من الأموال والأولاد ، وإنما هو متاع تتمتعون به في هذه الحياة الدنيا ، وهو من زينتها التي يستترين به فيها ، لا يغني عنكم عند الله شيئا ، ولا ينفعكم شيء منه في معادكم ، وما عند الله لأهل طاعته وولايته ، خير مما أُوتيتموه أنتم في هذه الدنيا من متاعها وزينتها وأبقى ، يقول : وأبقى لأهله ، لأنه دائم لانفاد له .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، في قوله ( وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ) قال : خير ثوابا ، وأبقى عندنا ( أَفَلَا تَعْقِلُونَ ) يقول تعالى ذكره : أفلا عقول لكم أيها القوم تتدبرون بها ، فتعرفون بها الخير من الشر ، وتختارون لأنفسكم خير المنزلتين على شرهما ، وتؤثرون الدائم الذي لانفاد له من النعيم ، ألعلى القاني الذي لابقاء له .

القول في تأويل قوله تعالى

أَفَمَن وَعَدَّنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ

الْمُحْضَرِينَ (٦١)

يقول تعالى ذكره : أفمن وعدناه من خلقنا على طاعته إيانا الجنة ، فأمن بما وعدناه وصدق وأطاعنا ، فاستحق بطاعته إيانا ، أن ننجز له ما وعدناه ، فهو لاقٍ ما وعد ، وصائر إليه ، كمن ممتعناه في الحياة الدنيا متاعها ، فتمتع به ، ونسى العمل بما وعدنا أهل الطاعة ، وترك طلبه ، وآثر لذة عاجلة على آجلة ، ثم هو

يوم القيامة إذا ورد على الله من المحضرين ، يعنى من المشهدين عذاب الله ، وأليم عقابه .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَلَمْ نَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ عِدًّا وَوَعَدْنَا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ ) قال : هو المؤمن سمع كتاب الله فصدق به وآمن بما وعد الله فيه ( كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) هو هذا الكافر ، ليس والله كالمؤمن ( ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ) : أى فى عذاب الله .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال ابن عمرو فى حديثه : قوله ( مِنَ الْمُحْضَرِينَ ) قال : أحضروها . وقال الحارث فى حديثه ( ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ) أهل النار ، أحضروها . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ) قال : أهل النار ، أحضروها .  
واختلف أهل التأويل فىمن نزلت فيه هذه الآية ، فقال بعضهم : نزلت فى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفى أبي جهل بن هشام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المنثى ، قال : ثنا أبو النعمان الحكيم بن عبد الله العجلي ، قال : ثنا شعبة ، عن أبان بن تغلب عن مجاهد ( أَلَمْ نَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ عِدًّا وَوَعَدْنَا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ ، كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ) قال : نزلت فى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفى أبي جهل بن هشام .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( أَلَمْ نَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ عِدًّا وَوَعَدْنَا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ ) قال : النبي صلى الله عليه وسلم .  
وقال آخرون : نزلت فى حمزة وعلى رضى الله عنهما ، وأبي جهل لعنه الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المنثى ، قال : ثنا بَدَلُ بْنُ الْمُحَسَّبِ التَّغْلَبِيُّ ، قال : ثنا شعبة ، عن أبان بن تغلب ، عن مجاهد ( أَلَمْ نَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ عِدًّا وَوَعَدْنَا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ) قال : نزلت فى حمزة وعلى بن أبي طالب ، وأبي جهل .  
قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة عن أبان بن تغلب ، عن مجاهد ، قال : نزلت فى حمزة وأبي جهل

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٦٢) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ

(١) فى الخلاصة للخزرجى : بدل بن المخبر ، بضم الميم وفتح المهملة والموحدة ، اليربوعى ، أبو المنير ( كقطيع ) البصرى . قال أبو حاتم : صدوق . توفى فى حدود سنة خمس عشرة ومئتين .



رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ، تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ ، مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٣)

يقول تعالى ذكره : ويوم ينادى رب العزة الذين أشركوا به الأوثان والأوثان في الدنيا ، فيقول لهم : ( أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ) أنهم لي في الدنيا شركاء ؟ ( قال الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ) يقول : قال الذين وجب عليهم غضب الله ولعنته ، وهم الشياطين الذين كانوا يُغْوُونَ بني آدم : ( رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا ، أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ) .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا ، أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ) قال : هم الشياطين .  
وقوله ( تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ ) يقول : تبرأنا من ولايتهم ونصرتهم إليك ( ما كانوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ) :  
يقول : لم يكونوا يعبدوننا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ، فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (٦٤)

يقول تعالى ذكره : وقيل للمشركين بالله الآلهة والأنداد في الدنيا ( ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ) الذين كنتم تدعون من دون الله ( فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ) يقول : فلم يجيبوهم . ( وَرَأَوُا الْعَذَابَ ) :  
يقول : وعانوا العذاب ( لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ) يقول : فودوا حين رأوا العذاب لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين للحق .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ؟ (٦٥) فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ ، فَهُمْ

لَا يَتَسَاءَلُونَ (٦٦)

يقول تعالى ذكره : ويوم ينادى الله هؤلاء المشركين ، فيقول لهم ( مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ) فيما أرسلناهم به إليكم ، من دعائكم إلى توحيدنا ، والبراءة من الأوثان والأصنام ( فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ ) :  
يقول : فخفيت عليهم الأخبار ، من قولهم : قد عمى عنى خبر القوم : إذا خفى . وإنما عسى بذلك أنهم عميت عليهم الحجة ، فلم يدروا ما يحتجون ، لأن الله تعالى قد كان أبلغ إليهم في المعذرة ، وتابع عليهم الحجة ، فلم تكن لهم حجة يحتجون بها ، ولا خبر يُخبرون به ، مما تكون لهم به نجاة ومخلص .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ ) قال : الحجج ، يعني الحجة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ( فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ ) قال : الحجج .

قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، في قوله ( وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ) قال : بلا إله إلا الله ، التوحيد .  
وقوله ( فَهُمُ اللَّيْتَسَاءُ لُونَ ) بالأنساب والقرابة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَهُمُ اللَّيْتَسَاءُ لُونَ ) قال : لا يتساءلون بالأنساب ، ولا يتأتون بالقرابات ، إنهم كانوا في الدنيا إذا التقوا تساءلوا وتماتوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ( فَهُمُ اللَّيْتَسَاءُ لُونَ ) قال : بالأنساب . وقيل معنى ذلك : فعَمِيَّتْ عليهم الحجج يومئذ ، فسكتوا ، فهم لا يتساءلون في حال سكوتهم .

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ، فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ (٦٧)

يقول تعالى ذكره ( فَأَمَّا مَنْ تَابَ ) من المشركين ، فأتاب وراجع الحق ، وأخلص لله الألوهة ، وأفرد له العبادة ، فلم يشرك في عبادته شيئا ( وَأَمَنَ ) يقول : وصدق بنبية محمد صلى الله عليه وسلم . ( وَعَمِلَ صَالِحًا ) يقول : وعمل بما أمره الله بعمله في كتابه ، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، ( فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ) . يقول : فهو من المُفْلِحِينَ المُدْرِكِينَ طَلِبَتِهِمْ عند الله ، الخالدين في جنته ، وعسى من الله واجب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨)

يقول تعالى ذكره ( وَرَبُّكَ ) يا محمد ( يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ) أن يخلقه ، ( وَيَخْتَارُ ) لولايته الخيرة من خلقه ، ومن سبقت له منه السعادة . وإنما قال جل ثناؤه ( وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ) والمعنى : ما وصفت ، لأن المشركين كانوا فيما ذُكِرَ عنهم يختارون أموالهم ، فيجعلونها لأنفسهم ، فقال الله لنبية محمد



صلى الله عليه وسلم : وربك يا محمد يخلق ما يشاء أن يخلقه ، ويختار للهداية والإيمان والعمل الصالح من خلقه ، ما هو في سابق علمه أنه خيرَهم ، نظير ما كان من هؤلاء المشركين لآلهم خيار أموالهم ، فكذلك اختياري لنفسي ، واجتباي لولائي ، واصطفائي لخدمتي وطاعتي ، خيار مملكتي وخلقى .  
وينحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ) قال : كانوا يجعلون خبير أموالهم لآلهم فى الجاهلية . فإذا كان معنى ذلك كذلك ، فلا شك أن « ما » من قوله ( وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ) : فى موضع نصب ، بوقوع يختار عليها ، وأنها بمعنى الذى .

فإن قال قائل : فإن كان الأمر كما وصفت ، من أن « ما » اسم منصوب بوقوع قوله ( يَخْتَارُ ) عليها ، فأين خبر كان ؟ فقد علمت أن ذلك إذا كان كما قلت ، أن فى كان ذكراً من ما ، ولا بد لكان إذا كان كذلك من تمام ، وأين التمام ؟ قيل : إن العرب تجعل لحروف الصفات إذا جاءت الأخبار بعدها أحياناً ، أخباراً ، كفعلاً بالأسماء إذا جاءت بعدها أخبارها ، ذكر الفراء أن القاسم بن معن أنشده قول عنترة :  
أَمِينٌ سُهَيْبَةٌ دَمْعُ الْعَيْنِ تَذْرِيفٌ      لَوْ كَانَ ذَا مَيْنِكَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَعْرُوفٌ  
فرجع معروفا بحرف الصفة ، وهو لاشك خبر لذا ، وذُكر أن المفضل أنشده ذلك :  
• لَوْ أَنَّ ذَا مَيْنِكَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَعْرُوفٌ •

ومنه أيضاً قول عمر بن أبى ربيعة :

(١) البيت من شعر عنترة بن عمرو بن شداد العبسى (يختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطفي السقا ، طبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده ص ٣٩٤) والرواية فيه رواية المفضل ، التى أشار إليها المؤلف :

أَمِينٌ سُهَيْبَةٌ دَمْعُ الْعَيْنِ تَذْرِيفٌ      لَوْ كَانَ ذَا مَيْنِكَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَعْرُوفٌ

قال شارحه : سبية ، وقيل سبية : امرأة أبيه . روى صاحب الأغاني بسنده عن علي بن سليمان الأخفش الأصغر : قال : أخبرنا أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى ، عن محمد بن حبيب ، قال أبو سعيد : وذكر ذلك أبو عمرو الشيباني ، قال : كان عنترة قبل أن يدعيه أبوه ، حرشت عليه امرأة أبيه . وقالت إنه . . . عن نفسى ، فغضب من ذلك شداد ( شداد : أبوه فى بعض الروايات ) غضباً شديداً . وضربه ضرباً مبرحاً ، وضربه بالسيف ، فوقعت عليه امرأة أبيه ، وكفته عنه ؛ فلما رأت ما به من الجراح بكّت . وقوله « مذروف » : من ذرفت عينه تذرّف ذريقاً ، وذرفانا ؛ وهو قطر يكاد يتصل . وقوله « لو أن ذا منك قبيل اليوم معروف » : أى قد أنكرت هذا الخنو والإشفاق منك ؛ لأنه لو كان معروفاً قبل ذلك لم ينكره . اهـ . وعلى هذه الرواية لاشاهد فى البيت . أما على رواية المؤلف ، وهى التى نقلها الفراء عن القاسم بن معن القاضى ، فإنه جعل قوله « لو كان ذا منك قبل اليوم معروف » برفع معروف على أنه خبر بحد الصفة . أى الجار والمجرور « منك » ، التى هى خبر عن ذا ، قال : لأن العرب تجعل لحروف الصفات إذا جاءت الأخبار بعدها ، أخباراً ، كفعلاً بالأسماء إذا جاءت بعدها أخبارها . . . ثم أنشد البيت وقال : « فرجع معروفاً بحرف الصفة وهو لاشك خبر لذا » . اهـ . قلت : وكان مراده أن حرف الصفة موضوع موضع ضمير مبتدأ ، ومعروف : خبره ، وكأنه قال : لو كان ذا هو معروف ، أو نحو ذلك . وفى هذا التعبير من التسف ما فيه . ولو قال إن « معروف » خبر عن مبتدأ محذوف تقديره : هو منك معروف ، والجملة خبر كان ، لكان أوضح تعبيراً . ولم أجده البيت ولا توجيه إعرابه فى معانى القرآن للفراء .

قُلْتُ أَجِيبِي عَاشِقًا بِحُبِّكُمْ مُكَلَّفُ  
فِيهَا ثَلَاثٌ كَالدُّمَى وَكَاعِيبٌ وَمُسْلِفٌ

فكَلَّفُ من نعت عاشق ، وقد رفعه بحرف الصفة ، وهو الباء ، في أشباه لما ذكرنا بكثير من الشواهد ، فكذلك قوله ( وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَكُمْ الْخَيْرَةَ ) رُفِعَت الْخَيْرَةَ بالصفة ، وهى لهم ، وإن كانت خبرا لما ، لما جاءت بعد الصفة ، ووقعت الصفة موقع الخبر ، فصار كقول القائل : كان عمرو أبوه قائم ، لاشك أن قائما لو كان مكان الأب ، وكان الأب هو المتأخر بعده ، كان منصوبا ، فكذلك وجه رفع الْخَيْرَةَ ، وهو خبر لما .

فإن قال قائل : فهل يجوز أن تكون « ما » في هذا الموضع جَحْدًا ، ويكون معنى الكلام : وربك يخلق ما يشاء أن يخلق ، ويختار ما يشاء أن يختاره ، فيكون قوله ( وَيَخْتَارُ ) نهاية الخبر عن الخلق والاختيار ، ثم يكون الكلام بعد ذلك مبتدأ بمعنى : لم تكن لهم الخيرة : أى لم يكن للخلق الْخَيْرَةَ ، وإنما الْخَيْرَةَ لله وحده ؟ قيل : هذا قول لا ينجى فساده على ذى حجا ، من وجوه ، أو لم يكن بخلافه لأهل التأويل قول ، فكيف والتأويل عن ذكرنا بخلافه ، فأما أحد وجوه فساده ، فهو أن قوله ( ما كان لَكُمْ الْخَيْرَةَ ) لو كان كما ظنه من ظنه ، من أن « ما » بمعنى الجحد ، على نحو التأويل الذى ذكرت ، كان إنما جحد تعالى ذكره ، أن تكون لهم الْخَيْرَةَ فيما مضى قبل نزول هذه الآية ، فأما فيما يستقبلونه فلهم الْخَيْرَةَ ، لأن قول القائل : ما كان لك هذا ، لاشك إنما هو خبر عن أنه لم يكن له ذلك فيما مضى . وقد يجوز أن يكون له فيما يستقبل ، وذلك من الكلام لاشك خَلَّفُ ، لأن ما لم يكن للخلق من ذلك قديما ، فليس ذلك لهم أبدا . وبعد ، لو أريد ذلك المعنى ، لكان الكلام : فليس . وقيل : وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ليس لهم الخيرة ، ليكون نفيًا عن أن يكون ذلك لهم فيما قبل وفيما بعد .

والثانى : أن كتاب الله أبين البيان ، وأوضح الكلام ، ومحال أن يوجد فيه شيء غير مفهوم المعنى ، وغير جائز فى الكلام أن يقال ابتداء : ما كان لفلان الْخَيْرَةَ ، ولما يتقدم قبل ذلك كلام يقتضى ذلك ، فكذلك قوله « وَيَخْتَارُ ، ما كان لَكُمْ الْخَيْرَةَ » ولم يتقدم قبله من الله تعالى ذكره خبر عن أحد ، أنه ادعى أنه كان له الْخَيْرَةَ ، فيقال له : ما كان لك الْخَيْرَةَ ، وإنما جرى قبله الخبر عما هو صائر إليه أمر من تاب من شركه ، وآمن وعمل صالحا ، وأتبع ذلك جل ثناؤه الخبر عن سبب إيمان من آمن وعمل صالحا منهم ، وأن ذلك إنما هو لاختياره إياه للإيمان ، وللسابق من علمه فيه اهتدى . ويزيد ما قلنا من ذلك إبانة قوله ( وَرَبُّكَ يَعْلَمُ )

(١) البيتان لعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي شاعر الغزل زمن بنى أمية ، كما قال المؤلف . ومكلف : من الكلف بالشيء ، وهو الحب والولوع بالشيء ، كلف بالشيء كلفا وكلفة ، فهو كلف ومكلف : لهج به . وثلاث : أى جوار أو نساء . والدمى : جمع دمية ، وهى التمثال من العاج أو الرخام أو نحوهما . والكاعب : الفتاة التى تكعب عليها ويرز . والمسلف : قال فى ( اللسان : سلف ) : المسلف من النساء : النصف . وقيل : هى التى بلغت خمسا وأربعين ونحوها ، وهو وصف خص به الإناث ، قال عمر بن أبي ربيعة « فيها ثلاث . . . الخ البيت » . ومحل الشاهد فى البيت : أن قوله مكلف بالرفع ، على أنه خبر ، لأنه وقع بعد حرف الجر الذى وضع موضع المبتدأ ، كأنه قال : أجيبى عاشقا هو مكلف . وهو فى معنى الشاهد الذى قبله من قول عنتر « لو كان ذا منك قبل اليوم معرف » . اه .



ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ) فأخبر أنه يعلم من عباده السرائر والظواهر ، ويصطفى لنفسه ويختار لطاعته من قد علم منه السريرة الصالحة ، والعلانية الرضية .

والثالث : أن معنى الحَيِّرَةِ في هذا الموضع : إنما هو الحَيِّرَةُ ، وهو الشيء الذي يختار ، من البهائم والأنعام والرجال والنساء ، يقال منه : أُعْطِيَ الحَيِّرَةَ والحَيِّرَةَ ، مثل الطَّيِّرَةِ والطَّيِّرَةَ ، وليس بالاختيار ، وإذا كانت الحَيِّرَةُ ما وصفنا ، فمعلوم أن من أجود الكلام أن يقال : وربك يخلق ما يشاء ، ويختار ما يشاء ، لم يكن لهم خَسِيرٌ بهيمة أو خير طعام ، أو خير رجل أو امرأة .

فإن قال فهل يجوز أن تكون بمعنى المصدر ؟ قيل : لا ، وذلك أنها إذا كانت مصدرا كان معنى الكلام : وربك يخلق ما يشاء ويختار كون الحَيِّرَةَ لهم . وإذا كان ذلك معناه ، وجب أن لا تكون الشرار لهم ، من البهائم والأنعام ، وإذا لم يكن لهم شرار ذلك ، وجب ألا يكون لها مالك ، وذلك ما لا يخفى خطؤه ، لأن لخيارها ولشرارها أربابا ، يملكونها بتمليك الله إياهم ذلك ، وفي كون ذلك كذلك فساد توجيه ذلك إلى معنى المصدر :

وقوله سبحانه وتعالى (عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول تعالى ذكره ، تنزيها لله وتبرئة له ، وعلوا عما أضاف إليه المشركون من الشرك ، وما تخرصوه من الكذب والباطل عليه . وتأويل الكلام : سبحانه الله وتعالى عن شركهم . وقد كان بعض أهل العربية يوجهه إلى أنه بمعنى : وتعالى عن الذي يشركون به .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٦٩) وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ ، وَلَهُ الْحُكْمُ ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧٠)

يقول تعالى ذكره : وربك يا محمد يعلم ما تخفي صدور خلقه ، وهو من أكننت الشيء في صدرى : إذا أضممته فيه ، وكننت الشيء : إذا صُنِّتَه . وما يعلنون : يقول : وما يبدونه بألسنتهم وجوارحهم . وإنما يعنى بذلك أن اختياره من يختار منهم للإيمان به ، على علم منه بسرائر أمورهم وبوادبها ، وأنه يختار للخير أهله ، فيوفقهم له . ويولئى الشر أهله ، ويخليبهم وإياه . وقوله ( وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ) يقول تعالى ذكره : وربك يا محمد المعبود ، الذى لا تصلح العبادة إلا له ، ولا معبود تجوز عبادته غيره ( لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى ) يعنى في الدنيا والآخرة ( وَلَهُ الْحُكْمُ ) يقول : وله القضاء بين خلقه ( وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ) يقول : وإليه تردون من بعد مماتكم ، فيقضى بينكم بالحق .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ ؟ أَمْ فَلَا تَسْمَعُونَ ؟ (٧١)

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله: أيها القوم، أرايتم إن جعل الله عليكم الليل دائماً، لانهار إلى يوم القيامة يعقبه. والعرب تقول لكل ما كان متصلاً لا ينقطع، من رخاء أو بلاء أو نعمة: هو سرمد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: (سرمداً): دائماً لا ينقطع.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله. حدثني علي، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: (إن جعل الله عليكم الليل سرمداً) يقول: دائماً.

وقوله (من إله غير الله يا أيكم بضياء؟) يقول: من معبود غير المعبود الذي له عبادة كل شيء يا أيكم بضياء النهار؟ فتستضيئون به (أفلا تسمعون) يقول: أفلا ترعون ذلك سمعكم، وتفكرون فيه فتعظون، وتعلمون أن ربكم هو الذي يأتي بالليل، ويذهب بالنهار إذا شاء، وإذا شاء أتى بالنهار، وذهب بالليل، فينعم باختلافهما كذلك عليكم.

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ؟ أَفَلَا تُبْصِرُونَ؟ (٧٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل) يا محمد لمشركي قومك (أرايتم) أيها القوم (إن جعل الله عليكم النهار سرمداً) دائماً لاليل معه أبداً (إلى يوم القيامة، من إله غير الله؟) من معبود غير المعبود الذي له عبادة كل شيء (يا أيكم بليلاً تسكنون فيه؟) فتستقرون ومهدون فيه. (أفلا تبصرون؟) يقول: أفلا ترون بأبصاركم اختلاف الليل والنهار عليكم، رحمة من الله لكم، وحجة منه عليكم، فتعلموا بذلك أن العبادة لاتصلح إلا لمن أنعم عليكم بذلك، دون غيره، ولن له القدرة التي خالف بها بين ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى

وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣)

يقول تعالى ذكره: (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه، ولتبتغوا من فضله، ولعلكم تشكرون) (ومن رحمته) بكم أيها الناس (جعل لكم الليل والنهار)، فخالف بينهما،



فجعل هذا الليل ظلاما (لَيْتَسْكُنُوا فِيهِ) وتهدءوا وتستقروا ، لراحة أبدانكم فيه من تعب التصرف الذي تنصرفون نهارا لمعايشكم ، وفي الهاء التي في قوله (لَيْتَسْكُنُوا فِيهِ) وجهان : أحدهما : أن تكون من ذكر الليل خاصة ، ويضمّر للنهار مع الابتغاء هاء أخرى . والثاني : أن تكون من ذكر الليل والنهار ، فيكون وجه توحيدها وهي لهما ، وجه توحيد العرب في قولهم : إقبالك وإدبارك يؤذيني ، لأن الإقبال والإدبار فعل ، والفعل يُوحّد كثيره وقليله ، وجعل هذا النهار ضياء تبصرون فيه ، فتصرفون بأبصاركم فيه لمعايشكم ، وابتغاء رزقه الذي قسمه بينكم ، بفضلته الذي تفضل عليكم .

وقوله (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) يقول تعالى ذكره : ولتشكروه على إنعامه عليكم بذلك ، فعل ذلك بكم لتفردوه بالشكر ، وتخلصوا له الحمد ، لأنه لم يشركه في إنعامه عليكم بذلك شريك ، فلذلك ينبغي ألا يكون له شريك في الحمد عليه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ : أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ؟ (٧٤) وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ

شَهِيدًا ، فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ، فَعَلِمُوا أَنَّهُمْ أَنَّهُ لَقَدْ لَعَنَّاهُمْ ، وَصَلَّاهُمْ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٧٥)

يعني تعالى ذكره : ويوم ينادي ربك يا محمد هؤلاء المشركين ، فيقول لهم : ( أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ) أيها القوم في الدنيا أنهم شركائي ؟

وقوله ( وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ) وأحضرنا من كل جماعة شهيدا ، وهو نبيها الذي يشهد عليها بما أجبته أمته ، فيما أتاهم به عن الله من الرسالة . وقيل : ونزعنا من قوله : نزع فلان بحجة كذا ، بمعنى : أحضرها وأخرجها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ) وشهيدها : نبيها ، يشهد عليها أنه قد بلغ رسالة ربه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ) قال : رسولا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

وقوله ( فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ) : يقول : فقلنا لأمة كل نبي منهم ، التي ردت نصيحتته ، وكذبت بما جاءها به من عند ربهم ، إذ شهد نبيها عليها ، بإبلاغه إياها رسالة الله ( هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ) : يقول : فقال لهم : هاتوا حجتكم على إشراركم بالله ما كنتم تشركون ، مع إعدار الله إليكم ، بالرسول وإقامته عليكم بالحجج .

(١) في الأصل : للرسول ، باللام .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فقللنا هاتوا برهانكم ) أي بينتكم .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فقللنا هاتوا برهانكم ) قال : حججتكم  
لما كنتم تعبدون وتقولون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فقللنا هاتوا  
برهانكم ) قال : حججتكم بما كنتم تعبدون .

وقوله ( فعلموا أن الحق لله ) يقول : فعلوا حينئذ أن الحجة البالغة لله عليهم ، وأن الحق لله ،  
والصدق خبره ، فأيقنوا بعذاب من الله لهم دائم ( وضل عنهم ما كانوا يفتترون ) يقول : واضمحلت ،  
فذهب الذي كانوا يشركون بالله في الدنيا ، وما كانوا يتخرون ، ويكذبون على ربهم ، فلم ينفعهم هنالك ،  
بل ضرهم ، وأصلاهم نار جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى

\* إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ، وَأَتَيْنَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ

بِالْعَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ، إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦)

يقول تعالى ذكره ( إن قارون ) وهو قارون بن يصر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب ( كان من قوم موسى )  
موسى ) يقول : كان من عشيرة موسى بن عمران النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن عمه لأبيه وأمه . وذلك أن  
قارون هو قارون بن يصر بن قاهث ، وموسى : هو موسى بن عمران بن قاهث ، كذا نسبه ابن جريج .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( إن قارون كان من قوم موسى )  
قال : ابن عمه : ابن أخى أبيه ، فإن قارون بن يصر ، هكذا قال القاسم ، وإنما هو يصر بن  
قاهث ، وموسى بن عومر بن قاهث ، وعومر بالعربية : عمران .

وأما ابن إسحاق فإن ابن حميد حدثنا ، قال : ثنا سلمة عنه ، أن يصر بن قاهث تزوج « سميت » بنت  
بتاويت بن بركتان بن يقشان بن إبراهيم ، فولدت له عمران بن يصر ، وقارون بن يصر ، فنكح عمران « بنت »  
بنت شمویل بن بركتان بن يقشان بن بركتان ، فولدت له هارون بن عمران ، وموسى بن عمران ، صلى الله عليه وآله ،  
فوسى على ما ذكر ابن إسحاق ابن أخى قارون ، وقارون هو عمه ، أخو أبيه لأبيه ولأمه . وأكثر أهل العلم  
في ذلك على ما قاله ابن جريج .

(١) في كتاب العرائس (قصص الأنبياء للعلبي المفسر) : سميت بنت يتادم بن بركيا بن يشعان بن إبراهيم . وفي صفحة ٢١٣ طبعة الحلبي :  
عن ابن إسحاق : تزوج يصر بن قاهث « سميت بنت ماريب بن بركيا بن يقشان بن إبراهيم » وفي أسماء العبرانيين اختلاف كثير بين العلماء .



ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن إبراهيم ، في قوله ( إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ) : قال : كان ابن عم موسى .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ) كنا نحدث أنه كان ابن عمه أخى أبيه ، وكان يسمى المنور من حسن صوته بالتوراة ، ولكن عدو الله نافق ، كما نافق السامري ، فأهلكه البغي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن سماك ، عن إبراهيم ( إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ) قال كان ابن عمه فبغى عليه .

قال : ثنا يحيى القطان ، عن سفيان ، عن سماك ، عن إبراهيم ، قال : كان قارون ابن عم موسى .

قال : ثنا أبو معاوية ، عن ابن أبي خالد ، عن إبراهيم ( إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ) قال : كان ابن عمه .

حدثني بشر بن هلال الصواف ، قال : ثنا جعفر بن سليمان الضُّبَيْعِيُّ ، عن مالك بن دينار ، قال : بلغني أن موسى بن عمران كان ابن عم قارون .

وقوله ( فَبَغَى عَلَيْهِمْ ) يقول : فتجاوز حدّه في الكبر والتجسُّب عليهم .

وكان بعضهم يقول : كان بغيه عليهم زيادة شبر أخذها في طول ثيابه .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن سعيد الكندي وأبو السائب وابن وكيع ، قالوا : ثنا حفص بن غياث ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ( إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ) قال : زاد عليهم في الثياب شبرا . وقال آخرون : كان بغيه عليهم بكثرة ماله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : إنما بغى عليهم بكثرة ماله .  
وقوله ( وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ) يقول تعالى ذكره :  
وآتينا قارون من كنوز الأموال ما إن مَفَاتِحَهُ ، وهي جمع مِفْتَاح ، وهو الذي يفتح به الأبواب .  
وقال بعضهم : عنى بالمفاتيح في هذا الموضع : الخزائن لِتَشْقِيلِ الْعَصْبَةِ .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ما قلنا في معنى مفاتيح

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن خيشمة ، قال : كانت مفاتيح قارون تحمل على ستين بغلا ، كل مفاتيح منها باب كنز معلوم ، مثل الأصبع من جلود .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن خيشمة ، قال : كانت مفاتيح كنوز قارون من

جلود كل مفتاح ، مثل الأصبع ، كل مفتاح على خزانة على حدة ، فإذا ركب حملت المفاتيح على ستين بغلا أغر محجل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن خيشمة ، في قوله ( ما إن مفاتيحه لتسوء بالعصبة أولى القوة ) قال : نجد مكتوبا في الإنجيل : مفاتيح قارون وقتر ستين بغلا غرا محجلة ، ما يزيد كل مفتاح منها على أصبع ، لكل مفتاح منها كنز .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن حميد ، عن مجاهد ، قال : كانت المفاتيح من جلود الإبل . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وآتيتناه من الكسوز ما إن مفاتيحه لتسوء بالعصبة ) قال : مفاتيح من جلود كفاتح العيدان . وقال قوم : عني بالمفاتيح في هذا الموضع : خزائنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح ، في قوله ( ما إن مفاتيحه لتسوء بالعصبة ) قال : كانت خزائنه تحمل على أربعين بغلا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي حجير ، عن الضحاك ( ما إن مفاتيحه ) قال : أوعيته . وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ( لتسوء بالعصبة ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، في قوله ( لتسوء بالعصبة ) قال : لتثقل بالعصبة .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( لتسوء بالعصبة ) يقول : تثقل . وأما العصبة فلإنها الجماعة .

واختلف أهل التأويل في مبلغ عددها الذي أريد في هذا الموضع . فأما مبلغ عدد العصبة ، في كلام العرب فقد ذكرناه فيما مضى باختلاف المختلفين فيه ، والرواية في ذلك ، والشواهد على الصحيح من قولهم في ذلك ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، فقال بعضهم : كانت مفاتيحه تنوء بعصبة ، مبلغ عددها أربعون رجلا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح ، قوله ( لتسوء بالعصبة ) قال : أربعون رجلا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لتسوء بالعصبة ) قال : ذكر لنا أن العصبة ما بين العشرة إلى الأربعين .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : ( لتسوء بالعصبة أولى القوة ) يزعمون أن العصبة : أربعون رجلا ، ينقلون مفاتيحه من كثرة عددها .



حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد بن عمير ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ) قال : أربعون رجلا . وقال آخرون : ستون ، وقال : كانت مفاتيحه تحمل على ستين بغلا . حدثنا كذلك ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن خيثمة . وقال آخرون : كانت تحمل على ما بين ثلاثة إلى عشرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ( لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ) قال : العُصْبَةُ : ثلاثة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ( لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ) قال : العُصْبَةُ : ما بين الثلاثة إلى العشرة . وقال آخرون : كانت تحمل ما بين عشرة إلى خمسة عشر .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( ما إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ) قال : العُصْبَةُ : ما بين العشرة إلى الخمسة عشر .

حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ) قال : العُصْبَةُ : خمسة عشر رجلا . وقوله ( أُولَى الْقُوَّةِ ) يعني : أولى الشدة .

وقال مجاهد في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أُولَى الْقُوَّةِ ) قال : خمسة عشر .

فإن قال قائل : وكيف قيل ( وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ) وكيف تنوء المفاتيح بالعُصْبَةُ ، وإنما العُصْبَةُ هي التي تنوء بها ؟ قيل : اختلف في ذلك أهل العلم بكلام العرب ، فقال بعض أهل البصرة : مجاز ذلك : ما إن العُصْبَةَ ذوى القوة لتنوء بمفاتيح نعمه . قال : ويقال في الكلام : إنها لتنوء بها عجيزتها ، وإنما هو تنوء بعجيزتها ، كما ينوء البعير بحمّله ، قال : والعرب قد تفعل مثل هذا ، قال الشاعر :

فَدَيْتُ بِنَفْسِي وَمَالِي وَمَا آلُوكَ إِلَّا مَا أُطِيقُ  
والمعنى : فدیت بنفسی وبمالي وقال آخر :

(١) البيت : من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ، ( الورقة ١٨٢ ب ) عند تفسير قوله تعالى : « ما إن مفاتيحه لتنوء » قال : أي مفاتيح خزائنه . ومجازه : ما إن العُصْبَةَ ذوى القوة لتنوء بمفاتيح نعمه . يقال في الكلام : إنها لتنوء بها عجيزتها ، وإنما هي تنوء بعجيزتها ، كما ينوء البعير بحمّله . والعرب قد تفعل مثل هذا ، قال : « فدیت بنفسه نفسى . . . البيت » . والمعنى : فدیت بنفسی ومالی =

وَتَرَكِبُ خَيْلًا لَاهُوَادَةَ بَيْنَهَا وَتَشَقَّى الرَّمَاحُ بِالضِّيَاطِرَةِ الْحُمْرِ ١  
 وإنما تشقى الضياطرة بالرماح . قال : والخيل هاهنا : الرجال .  
 وقال آخر منهم ( ما إن مَفَاتِحَهُ ) قال : وهذا موضع لا يكاد يبتدأ فيه « إن » ، وقد قال : إن الموت  
 الذي تفرون منه فإنه ملائكم . وقوله ( لَتَسْنُوهُ بِالْعُصْبَةِ ) إنما العصبه تنوء بها ؛ وفي الشعر :  
 تَسْنُوهُ بِهَا فَتَشْقِلُهَا عَجِيزُهَا ٢

وليست العجيرة تنوء بها ، ولكنها هي تنوء بالعجيزة ؛ وقال الأعشى :  
 مَا كُنْتُ فِي الْحَرْبِ الْعَوَانَ مُعَمَّرًا إِذْ شَبَّ حَرًّا وَقُوْدِهَا أَجْدَا لَهَا ٣  
 وكان بعض أهل العربية من الكوفيين ينكر هذا الذي قاله هذا القائل ، وابتداء إن بعد ما ، ويقول ذلك  
 جائز مع ما ومن ، وهو مع ما ومن أجود منه مع الذي ، لأن الذي لا يعمل في صلته ، ولا تعمل صلته فيه ،  
 فلذلك جاز ، وصارت الجملة عائدا ما ، إذ كانت لا تعمل في « ما » ، ولا تعمل « ما » فيها ؛ قال : وحسن  
 مع « ما » و « من » ، لأنهما يكونان بتأويل النكرة إن شئت . والمعرفة إن شئت ، فتقول : ضربت رجلا  
 ليقوم من ، وضربت رجلا إنه لمحسن ، فتكون « من » و « ما » تأويل هذا ، ومع الذي أقيح ، لأنه لا يكون  
 بتأويل النكرة .

وقال آخر منهم في قوله ( لَتَسْنُوهُ بِالْعُصْبَةِ ) : تنوءها بالعصبه : أن تشقلهم ، وقال المعنى : إن مفاتيحه  
 لتسنيء العصبه : تميلهن من ثقلها ، فإذا أدخلت الباء قلت تنوء بهم ، كما قال ( آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ  
 قِطْرًا ) قال والمعنى : آتوني بقطر أفرغ عليه ؛ فإذا حذفت الباء ، زدت على الفعل ألفا في أوله ، ومثله ( فأجاءها

نفسه . وقوله « وما آلوك . . الخ » هذا التفات من الغيبة إلى الخطاب . ومعناه : ما أستطيع . والعرب تقول : أتاني فلان في حاجة  
 فا استعلمت رده . وأتاني في حاجة فألوت فيها : أي اجتهدت . ( اللسان : ألا يالو ) .  
 قلت : وجعل المؤلف البيت في القلب نظير الآية « ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبه » أي ما إن العصبه أولى القوة تنوء وتعجز عن حمله ،  
 كما قال أبو عبيدة .

( ١ ) البيت لخداش بن زهير ( اللسان : ضطر ) . والضياطرة : جمع ضيطر ، كالضيطرى والجمع : ضياطر وضياطرة . وهم العظام من  
 الرجال ؛ وفي كلام علي عليه السلام : من يعذرفي مع هؤلاء الضياطرة ، وهم الضخام الذين لا غناء عندهم . قال في اللسان : وقول خداش  
 ابن زهير : « وتركب خيلا . . البيت » : قال ابن سيده : يجوز أن يكون عن أن الرماح تشق بهم ، أي لأنهم لا يحسنون حملها ، ولا  
 الطعن بها . ( قلت : وعلى هذا التوجيه ، لا شاهد في البيت ) . ويجوز أن يكون على القلب ، أي تشق الضياطرة الحمر بالرماح ، يعني  
 أنهم يقتلون بها . والموادة : المصالحه والموادعة . قلت : وعلى التوجيه الثاني من كلام ابن سيده ، يصح الاستشهاد بالبيت ، لما فيه من  
 القلب . قال أبو عبيدة : وإنما يشق الضياطرة بالرماح . اه . قلت وهو شاذ كالذي قبله .

( ٢ ) لم أقف على هذا الشعر .  
 ( ٣ ) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة ( ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٣١ ) وهو من قصيدة يمدح بها قيس  
 ابن معد يكرب . والحرب العوان : التي قوتل فيها مرة ثانية بعد الأولى ، كأنهم جعلوا الأولى بكرا . والمغمر : الذي لم يجرب الأمور .  
 وشب النار : أوقدها . والأجدال : جمع جدل ( بكسر الجيم ، وسكون الدال ) وهو ما عظم من أصول الشجر المقطع ، يجعل حطبها ووقودا  
 للنار . والبيت خطاب للممدوح يقول له الشاعر : أقسم بمن جعل الشهور علامة ومواقيت للناس ( في البيت الذي قبل البيت ) أنك لم تكن  
 في الحرب الشديدة جاهلا بإدارتها على الأعداء ، حين أوقد حرها الأجدال والحطب . وقد جعل الشاعر الحر هو الذي أوقد الأجدال . وفي هذا  
 قلب للمعنى ، والأصل : إذا شبت الأجدال حر الحرب . وعلى هذا القلب استشهد به المؤلف ، وهو كالشاهدين قبله .



المخاض ) معناه : فجاء بها المخاض ؛ وقال : قد قال رجل من أهل العربية : ما إن العصبه تشنوء بمفاتها ، فحول الفعل إلى المفاتيح ، كما قال الشاعر :

إن سراجا لكريم مَفْحَرُهُ      تحلّى به العين إذا ما تجهره<sup>١</sup>

وهو الذى يحلّى بالعين ، قال : فإن كان سمع أثرا بهذا ، فهو وجه ، وإلا فإن الرجل جهل المعنى ، قال : وأنشدنى بعض العرب :

حتى إذا ما التأممت مواصله<sup>٢</sup>      وناء في شيق الشمال كاهله<sup>٣</sup>

يعنى : الرامى لما أخذ القوس ، ونزع مال عليها . قال : ونرى أن قول العرب : ما ساءك ، وناءك من ذلك ، ومعناه : ما ساءك وأناك من ذلك ، إلا أنه أتى الألف لأنه متبع لساءك ، كما قالت العرب : أكلت طعاما فهتأى ومرأى ، ومعناه : إذا أفردت وأمرأى فحذفت منه الألف لما أتبع ما ليس فيه ألف .

وهذا القول الآخر فى تأويل قوله ( لَتَشْنُوءُ بِالْعَصْبَةِ ) : أولى بالصواب من الأقوال الأخرى ، لمعنيين : أحدهما : أنه تأويل موافق لظاهر التنزيل . والثانى : أن الآثار التى ذكرنا عن أهل التأويل : بنحو هذا المعنى جاءت ، وأن قول من قال : معنى ذلك : ما إن العصبه لتنوء بمفاتها ، إنما هو توجيه منهم إلى أن معناه : ما إن العصبه لتنهض بمفاتها ؛ وإذا وجه إلى ذلك لم يكن فيه من الدلالة على أنه أريد به الخبر عن كثرة كنوزه ، على نحو ما فيه ، إذا وجه إلى أن معناه : إن مفاتها تثقل العصبه وتميلها ، لأنه قد تنهض العصبه بالقليل من المفاتيح وبالكثير ؛ وإنما قصد جل ثناؤه الخبر عن كثرة ذلك ، وإذا أريد به الخبر عن كثرته ، كان لاشك أن الذى قاله من ذكرنا قوله ، من أن معناه : لتنوء العصبه بمفاتها ، قول لامعنى له ، هذا مع خلافه تأويل السلف فى ذلك .

(١) البيتان من شواهد الفراء فى معانى القرآن ( مصورة الجامعة الورقة ٢٤٢ ) وقد تقدم الاستشهاد به فى ( ٢ : ٨١ ) من هذا التفسير ، على مثل ما استشهد به هنا ، مع آيات أخر . وقلنا فى تفسيره هناك : جهرت فلانا العين تجهره : نظرت إليه فوأته عظيما ، فحل هو فيها . هذا هو أصل المعنى ، ولكن الشاعر قلب المعنى . فجعل العين تحل بالمرئى إذا رأته ، فهو كالشاهدين اللذين قبله . وقال الفراء فى معانى القرآن ( مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩ ) فى التعليق على قول الله تعالى : ﴿ ما إن مفاتها لتنوء بالعصبه أولى القوة ﴾ : ونومها بالعصبه أن تثقلهم . والعصبه هاهنا : أربعمون رجلا . ومفاتها : خزانته . والمعنى : ما إن مفاتها لتنوء بالعصبه ، أى تميلهم من ثقلها ؛ فإذا دخلت الباء قلت : تنوء بهم ، كما قال : « آتوني أفرغ عليه قطرا » والمعنى : اتونى بقطر أفرغ عليه . فإذا حذفت الباء رددت فى الفعل ألفا فى أوله . ومثله : فأجابه المخاض . معناه : فجاه بها المخاض . وقد قال رجل من أهل العربية : إن المعنى : ما إن العصبه لتنوء بمفاتها ، فحول الفعل إلى المفاتيح ، كما قال الشاعر : « إن سراجا . . . البيت » . وهو الذى يحلّى بالعين . فإن كان سمع بهذا أرا ، فهو وجه ، وإلا فإن الرجل جهل المعنى . اهـ .

(٢) البيتان : ما أنشدنى بعض العرب الفراء ( انظر معانى القرآن له ص ٢٤٢ ، واللسان : ناء ) قال الفراء بعد الذى نقلناه من قوله فى الشاهد السابق : ولقد أنشدنى بعض العرب : « حتى إذا ما التأممت مواصله وناء فى شق الشمال كاهله » .  
يعنى الرامى لما أخذ القوس ونزع ، مال على شقه ، فذلك نوءه عليها . ونرى أن قول العرب « ما ساءك وناءك » : من ذلك ، ومعناه : ساءك وأناك ، إلا أنه أتى الألف ، لأنه متبع لساءك ، كما قالت العرب : أكلت طعاما ، فهتأى ومرأى . ومعناه إذا أفردت : وأمرأى ، فحذفت منه الألف ، لما أن أتبع مالا ألف فيه .

وقوله ( إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ) يقول : إذ قال قومه : لا تبغ ولا تبسطر فرحا ، إن الله لا يحب من خلقه الأشرين البطريين .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ) يقول : المرحين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله ( لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ) قال : المتبذخين الأشرين البطريين ، الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن جابر ، قال : سمعت مجاهدا يقول في هذه الآية ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ) قال : الأشرين البطريين البندخين .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام ، عن مجاهد ، في قوله ( لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ) قال : يعني به البغي .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ) قال : المتبذخين الأشرين ، الذين لا يشكرون الله فيما أعطاهم .  
حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : المتبذخين .

حدثنا محمد بن عبد الله المخزومي ، قال : ثني شيبابة ، قال : ثني ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ) قال : الأشرين البطريين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، إذ قال له قومه ( لَا تَفْرَحْ ) : أي لانمرح ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ) : أي إن الله لا يحب المرحين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ) قال : الأشرين البطريين ، الذين لا يشكرون الله فيما أعطاهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام ، عن مجاهد ، في قوله ( إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ) قال : هو فترح البغي .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأُتْبِعَ فِيمَا أَتَىكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)



يقول تعالى ذكره، مخبرا عن قبيل قوم قارون له : لا تبغ يا قارون على قومك ، بكثرة مالك ، والتمس فيما آتاك الله من الأموال خيرات الآخرة ، بالعمل فيها بطاعة الله في الدنيا . وقوله ( وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ) يقول : ولا تترك نصيبك وحظك من الدنيا ، أن تأخذ فيها بنصيبك من الآخرة ، فتعمل فيه بما ينجيك غدا من عقاب الله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ) يقول : لا تترك أن تعمل لله في الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن ابن عباس ( وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ) قال : أن تعمل فيها لآخرتك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا قرة بن خالد ، عن عون بن عبد الله ( وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ) قال : إن قوما يضعونها على غير موضعها ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، تعمل فيها بطاعة الله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ) قال : العمل بطاعته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن ابن جرير ، عن مجاهد ، قال : تعمل في دنياك لآخرتك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ) قال : العمل فيها بطاعة الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرير ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عيسى الجُرَشِيِّ ، عن مجاهد ( وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ) قال : أن تعمل في دنياك لآخرتك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن مجاهد ، قال : العمل بطاعة الله : نصيبه من الدنيا ، الذي يثاب عليه في الآخرة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ) قال : لا تنس أن تقدم من دنياك لآخرتك ، فلمّا تجد في آخرتك ما قدمت في الدنيا ، فيما رزقك الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا تترك أن تطلب فيها حظك من الرزق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَا تَنْتَسِ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ) : قال الحسن : ما أحلَّ الله لك منها ، فإن لك فيه غِنًى وكفاية .  
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن حميد المعمرى ، عن معمر ، عن قتادة : ( وَلَا تَنْتَسِ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ) قال : طلب الحلال .  
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص ، عن أشعث ، عن الحسن ( وَلَا تَنْتَسِ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ) : قال : قدَّم الفضل ، وأمسك ما يبلغك .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : الحلال فيها .  
 وقوله ( وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ) يقول : وأحسن في الدنيا إنفاق مالك الذي آتاكه الله ، في وجهه وسبيله ، كما أحسن الله إليك ، فوسع عليك منه ، وبسط لك فيها .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ) قال : أحسن فيما رزقك الله ( وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ) يقول : ولا تلتمس ما حرم الله عليك من البغى على قومك ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ) يقول : إن الله لا يحبُّ بغاة البغى والمعاصي .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ، أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ، وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨)

يقول تعالى ذكره : قال قارون لقومه الذين وعظوه : إنما أُوتيتُ هذه الكنوز على فضل علم عندي ، علمه الله مني ، فرضى بذلك عني ، وفضلني بهذا المال عليكم ، لعلمه بفضلي عليكم .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ( قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ) قال : على خبر عندي .  
 قال : حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ) قال : لولا رضا الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا ، وقرأ ( أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ) . . . الآية .  
 وقد قيل : إن معنى قوله ( عِنْدِي ) بمعنى : أرى ، كأنه قال : إنما أُوتيته لفضل علمي فيما أرى .



وقوله ( أَوْ لَمْ يَعْلَمَ أَنْ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ) يقول جل ثناؤه : أو لم يعلم قارون حين زعم أنه أوتي الكنوز لفضل علم عنده ، علمته أنا منه ، فاستحق بذلك أن يؤتى ما أوتي من الكنوز ، أن الله قد أهلك من قبله من الأمم من هو أشد منه بطشا ، وأكثر جمعا للأموال ؛ ولو كان الله يؤتى الأموال من يؤتیه لفضل فيه ، وخير عنده ، ولرضاه عنه ، لم يكن يهلك من أهلك من أرباب الأموال ، الذين كانوا أكثر منه مالا ، لأن من كان الله عنه راضيا ، فمحال أن يهلكه الله ، وهو عنه راض ، وإنما يهلك من كان عليه ساخطا .

وقوله ( وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ) قيل : إن معنى ذلك أنهم يدخلون النار بغير حساب . ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا سفيان ، عن عمر ، عن قتادة ( وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ) قال : يدخلون النار بغير حساب . وقيل : معنى ذلك : أن الملائكة لاتسأل عنهم ، لأنهم يعرفونهم بسيماهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ) كقوله ( يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ ) زُرْقَا سُودُ الْوَجُوهِ ، وَالْمَلَائِكَةُ لِاتْسَالِ عَنْهُمْ ، قَدْ عَرَفَهُمْ . وقيل : معنى ذلك : ولا يسئل عن ذنوب هؤلاء الذين أهلكهم الله من الأمم الميضية المحرمون : فيم أهلكوا ؟

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ( وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ) قال : عن ذنوب الذين مضوا فيم أهلكوا ، فالهاء والميم في قوله ( عَنْ ذُنُوبِهِمْ ) على هذا التأويل : لمن الذي في قوله ( أَوْ لَمْ يَعْلَمَ أَنْ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً ) وعلى التأويل الأول الذي قاله مجاهد وقتادة للمجرمين ، وهي بأن تكون من ذكر المجرمين أولى ، لأن الله تعالى ذكره غير سائل عن ذنوب مذنب غير من أذنب ، لا مؤمن ولا كافر . فإذا كان ذلك كذلك ، فمعلوم أنه لا معنى لخصوص المجرمين ، لو كانت الهاء والميم اللتان في قوله ( عَنْ ذُنُوبِهِمْ ) لمن الذي في قوله ( مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً ) من دون المؤمنين ، يعني لأنه غير مسئول عن ذلك مؤمن ولا كافر ، إلا الذين ركبوه واكتسبوه .

القول في تأويل قوله تعالى

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ، قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا : يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ !

إِنَّهُ لَدُوْحَضٌ عَظِيمٌ (٧٩)

يقول تعالى ذكره : فخرج قارون على قومه في زينته ، وهي فيما ذكر ثياب الأرجوان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا طلحة بن عمرو ، عن أبي الزبير ، عن جابر ( فخرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ) قال : في القيرمز .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ( فخرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ) قال : في ثياب حمر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ( فخرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ) قال : على براذين بيض ، عليها سروج الأرجوان ، عليهم المعصفرات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فخرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ) قال : عليه ثوبان معصفران .

وقال ابن جريج : على بغلة شهباء عليها الأرجوان ، وثلاث مئة جارية على البغال الشهب ، عليهن ثياب حمر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثني أبي ويحيى بن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن ( فخرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ) قال : في ثياب حمر وصفر .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، أنه سمع إبراهيم النخعي ، قال في هذه الآية ( فخرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ) قال : في ثياب حمر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن إبراهيم النخعي ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن إبراهيم مثله .

حدثنا محمد بن عمرو بن عليّ المقدمي ، قال : ثنا إسماعيل بن حكيم ، قال : دخلنا على مالك بن دينار عشية ، وإذا هو في ذكر قارون ، قال : وإذا رجل من جيرانه عليه ثياب معصفرة ، قال : فقال مالك :

( فخرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ) قال : في ثياب مثل ثياب هذا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فخرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ) : ذكر لنا أنهم خرجوا على أربعة آلاف دابة ، عليهم وعلى دوابهم الأرجوان .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فخرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ) قال : خرج في سبعين ألفا ، عليهم المعصفرات ، فيما كان أبي يذكر لنا ( قال الذين يريدون

الحياة الدنيا : يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون ! ) يقول تعالى ذكره : قال الذين يريدون زينة الحياة الدنيا من قوم قارون : يا ليتنا أعطينا مثل ما أعطى قارون من زينتها ! ( إنه لندو حظ عظيم ) يقول :

إن قارون لندو نصيب من الدنيا .



القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ : وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ، وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا  
الصَّابِرُونَ (٨٠)

يقول تعالى ذكره : وقال الذين أوتوا العلم بالله ، حين رأوا قارون خارجا عليهم في زينته ، للذين قالوا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون : ويُلِّقُكُمْ اتقوا الله وأطيعوه ، فتواب الله وجزاؤه لمن آمن به وبرسله ، وعمل بما جاءت به رسله من صالحات الأعمال في الآخرة ، خير مما أوتي قارون من زينته وماله لقارون . وقوله ( وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ) يقول : ولا يلتقها : أى ولا يوفَّق لقبل هذه الكلمة ، وهى قوله ( تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ) والهاء والألف : كناية عن الكلمة . وقال ( إِلَّا الصَّابِرُونَ ) يعنى بذلك : الذين صَبَرُوا عن طلب زينة الحياة الدنيا ، وآثَرُوا ما عند الله من جزيل ثوابه على صالحات الأعمال ، على لذات الدنيا وشهواتها ، فجدَّوا في طاعة الله ، ورفضوا الحياة الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى

فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ، فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَمَا كَانَ مِنْ  
الْمُنْتَصِرِينَ (٨١)

يقول تعالى ذكره : فخسفنا بقارون وأهل داره . وقيل : وبداره ، لأنه ذُكِرَ أن موسى إذ أمر الأرض أن تأخذه أمرها بأخذه ، وأخذ من كان معه من جلسائه في داره ، وكانوا جماعة جلوسا معه ، وهم على مثل الذى هو عليه من النفاق والمؤازرة على أذى موسى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت الزكاة أتى قارون موسى ، فصالحه على كل ألف دينار دينارا ، وكل ألف شىء شيئا ، أو قال : وكل ألف شاة شاة ، « الطبرى يشك » ، قال : ثم أتى بيته فحسبته ، فوجده كثيرا ، فجمع بنى إسرائيل ، فقال : يا بنى إسرائيل إن موسى قد أمركم بكل شىء فأطعموه ، وهو الآن يريد أن يأخذ من أموالكم ، فقالوا : أنت كبيرنا ، وأنت سيدنا ، فرنا بما شئت ، فقال : أمركم أن تجيئوا بفلاتة البغى ، فتجعلوا لها جُعُلا ، فتقدفه بنفسها ، فدعواها ، فجعل لها جُعُلا على أن تقدفه بنفسها ، ثم أتى موسى ، فقال لموسى : إن بنى إسرائيل قد اجتمعوا ، لتأمرهم ولنهبهم ، فخرج إليهم وهم في براح من الأرض ، فقال : يا بنى إسرائيل من سرق قطعنا يده ، ومن اقترى جسدنا ، ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مئة ، ومن زنى وله امرأة جلدناه حتى يموت ، أو رجمناه حتى يموت « الطبرى يشك » ، فقال له

قارون : وإن كنت أنت ؟ قال : وإن كنت أنا ، قال : فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلاتة . قال : ادعوا ، فإن قالت ، فهو كما قالت ؛ فلما جاءت قال لها موسى : يا فلاتة ، قالت : يا لبئيك ، قال : أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء ؟ قالت : لا ، وكذبوا ، ولكن جعلوا لي جُعلًا على أن أقذفك بنفسي ، فوثب ، فسجد وهو بينهم ، فأوحى الله إليه : مُرِ الْأَرْضَ بِمَا شِئْتَ ، قال : يا أرض خذيهم ، فأخذتهم إلى أقدامهم ثم قال : يا أرض خذيهم ، فأخذتهم إلى ركبهم ، ثم قال : يا أرض خذيهم ، فأخذتهم إلى حقيبتهم<sup>١</sup> ، ثم قال : يا أرض خذيهم ، فأخذتهم إلى أعناقهم ؛ قال : فاجعلوا يقولون : يا موسى يا موسى ، ويتضرعون إليه ، قال : يا أرض خذيهم ، فانطبقت عليهم ، فأوحى الله إليه : يا موسى ، يقول لك عبادي : يا موسى ، يا موسى ، فلا ترجمهم ؟ أما لو إياي دَعَوَا ، لوجدوني قريبًا مجيبًا ؛ قال : فذلك قول الله ( فَخَرَجَ عَلَيَّ قَوْمِي فِي زِينَتِهِ ) وكانت زينته أنه خرج على دواب شقتر عليها سُروج حُمُر ، عليهم ثياب مُصَبَّغَةٌ بِالْبَهْرَمَانِ<sup>٢</sup> ( قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا : يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ ) . . . إلى قوله ( إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ) يا محمد ( تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ) . حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن رجل ، عن ابن عباس قال : لما أمر الله موسى بالزكاة ، قال : رَمَوهُ بِالزَّنَا ، فجزع من ذلك ، فأرسلوا إلى امرأة كانت قد أعطوها حكمها ، على أن ترميه بنفسها ؛ فلما جاءت عظم عليها ، وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل ، وأنزل التوراة على موسى إلا صدقت . قالت : إذ قد استحلقتني ، فإني أشهد أنك برئ ، وأنت رسول الله ، فخرت ساجدا بيكي ، فأوحى الله تبارك وتعالى : ما يبكيك ؟ قد سلطناك على الأرض ، فرها بما شئت ، فقال : خذيهم ، فأخذتهم إلى ماشاء الله ، فقالوا : يا موسى يا موسى ، فقال : خذيهم ، فأخذتهم إلى ماشاء الله ، فقالوا يا موسى يا موسى ، فحسبهم . قال : وأصاب بني إسرائيل بعد ذلك شدة وجوع شديد ، فأتوا موسى ، فقالوا : ادع لنا ربك ؛ قال : فدعاهم ، فأوحى الله إليه : يا موسى ، أتكلمني في قوم قد أظلم ما بيني وبينهم خطاياهم ، وقد دعوك فلم تجبهم ، أما إياي لو دَعَوَا لأجبتهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ( فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ) قال : قيل للأرض خذيهم ، فأخذتهم إلى أعقابهم ؛ ثم قيل لها : خذيهم ، فأخذتهم إلى ركبهم ؛ ثم قيل لها : خذيهم ، فأخذتهم إلى أحقابهم ؛ ثم قيل لها : خذيهم ، فأخذتهم إلى أعناقهم ؛ ثم قيل لها : خذيهم ، فحسبهم ، فذلك قوله ( فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ) . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا علي بن هاشم بن البريد ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، في قوله ( إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ) قال : كان ابن عمه ، وكان موسى يقضي في ناحية بني إسرائيل ، وقارون في ناحية ، قال : فدعا بنغيته كانت في بني إسرائيل ، فجعل لها جُعلًا على أن ترمي موسى بنفسها ، فتركته إذا كان يوم تجتمع فيه بنو إسرائيل إلى موسى ، أتاه قارون

(١) الحقو : مقعد الإزار . جمه : أحق ، وأحقاه ، وحقى ( بشد الياء ) وحقاه ( اللسان : حقا ) .

(٢) البهرمان ، بفتح الياء والراء : العصفر أو ضرب منه ( اللسان : بهرم ) .



فقال : يا موسى ما حدث من سرق ؟ قال : أن تنقطع يده ، قال : وإن كنت أنت ؟ قال : نعم ؛ قال : فما حدث من زنى ؟ قال : أن يُرجم ، قال : وإن كنت أنت ؟ قال : نعم ؛ قال : فإنك قد فعلت ، قال : ويملك بمن ؟ قال : بفلاتة ، فدعاها موسى ، فقال : أنشدك بالذي أنزل التوراة ، أصدق قارون ؟ قالت : اللهم إذ تشدني ، فاني أشهد أنك بريء ، وأنت رسول الله ، وأن عدو الله قارون جعل لي جعلا على أن أرميك بنفسي ؛ قال : فوثب موسى ، فخرت ساجدا لله ، فأوحى الله إليه : أن ارفع رأسك ، فقد أمرت الأرض أن تطيعك ، فقال موسى : يا أرض خذهم ، فأخذتهم حتى بلغوا الحقو ، قال : يا موسى ؛ قال : خذهم ، فأخذتهم حتى بلغوا الصدور ، قال : يا موسى ، قال : خذهم ، قال : فذهبوا . قال فأوحى الله إليه يا موسى : استغاث بك فلم تغته ، أما لو استغاث بي لأجبتته ولأغثته .

حدثنا بشر بن هلال الصواف ، قال : ثنا جعفر بن سليمان الضبعي ، قال : ثنا علي بن زيد بن جدعان ، قال : خرج عبد الله بن الحارث من الدار ، ودخل المقصورة ؛ فلما خرج منها ، جلس وتساند عليها ، وجلسنا إليه ، فذكر سليمان بن داود ( وقال يا أيها الملأ أيكمم يا تبيني بعرضها قبيل أن يأتوني مسلمين ) . . . إلى قوله ( إن ربي غني كريم ) ثم سكت عن ذكر سليمان ، فقال ( إن قارون كان من قوم موسى فيبغى عليهم ) وكان قد أوتي من الكنوز ما ذكر الله في كتابه ( ما إن مفاتيحه لتنوء بالعصبة أولي القوة ) ، ( قال إنما أوتيته على علم عندى ) قال : وعادى موسى ، وكان مؤذيا له ، وكان موسى يصفح عنه ويعفو للقرابة ، حتى بنى دارا ، وجعل باب داره من ذهب ، وضرب على جدرانها صفائح الذهب ، وكان الملأ من بني إسرائيل يعغدون عليه ويروحون ، فيطعمهم الطعام ، ويحدثونه ويضحكونه ، فلم تدعه شيقوته والبلاء ، حتى أرسل إلى امرأة من بني إسرائيل مشهورة بالحنثا ، مشهورة بالسب ، فأرسل إليها فجاءته ، فقال لها : هل لك أن أمولك وأعطيك ، وأخلطك في نسائي ، على أن تأتيني والملأ من بني إسرائيل عندي ، فتقولى : يا قارون : ألا تنهى عنى موسى ، قالت : بلى ، فلما جلس قارون ، وجاء الملأ من بني إسرائيل ، أرسل إليها ، فجاءت فقامت بين يديه ، فقلب الله قلبها ، وأحدث لها توبة ، فقالت في نفسها : لأن أحدث اليوم توبة ، أفضل من أن أؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكذب عدو الله له . فقالت : إن قارون قال لي : هل لك أن أمولك وأعطيك ، وأخلطك بنسائي ، على أن تأتيني والملأ من بني إسرائيل عندي ، فتقولى : يا قارون ألا تنهى عنى موسى ، فلم أجد توبة أفضل من أن لا أؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكذب عدو الله ؛ فلما تكلمت بهذا الكلام ، سقط في يدي قارون ، ونكس رأسه ، وسكت الملأ ، وعرف أنه قد وقع في هلكة ، وشاع كلامها في الناس ، حتى بلغ موسى ؛ فلما بلغ موسى اشتد غضبه ، فتوضأ من الماء ، وصلّى وبكى ، وقال : يا رب عدوك لي مؤذ ، أراد فضيحتي وشيئي ، يا رب سلطني عليه ، فأوحى الله إليه أن مسر الأرض بما شئت تطعك ، فجاء موسى إلى قارون ، فلما دخل عليه ، عرف الشر في وجه موسى له ، فقال : يا موسى ارحمني ؛ قال : يا أرض خذهم ، قال : فاضطربت داره ، وساخت بقارون وأصحابه إلى الكعبين ، وجعل يقول : يا موسى ، فأخذهم إلى ركبهم ، وهو يتضرع

إلى موسى : يا موسى ارحمني ؛ قال : يا أرض خذنيهم ، قال : فاضطربت داره وساخت ، وخسف بقارون وأصحابه إلى سُرْرِهِمْ ، وهو يتضرع إلى موسى : يا موسى ارحمني ؛ قال : يا أرض خذنيهم ؛ فخسف به وبداره وأصحابه . قال : وقيل لموسى صلى الله عليه وسلم : يا موسى ما أفضلك . أما وعزتي لو إياي نادى لأجبهه حدثني بشر بن هلال ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران الجَوْنِيّ ، قال : بلغني أنه قيل لموسى : لا تُعْبِدُ الأَرْضَ لأحد بعدك أبدا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، وعبد الحميد الحماني ، عن سفيان ، عن الأغر بن الصباح ، عن خليفة بن حصين ، قال عبد الحميد ، عن أبي نصر ، عن ابن عباس ، ولم يذكر ابن مهدي أبا نصر ( فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَّارِهِ الأَرْضَ ) قال : الأرض السابعة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : بلغنا أنه يخسف به كل يوم مئة قامة ، ولا يبلغ أسفل الأرض إلى يوم القيامة ، فهو يتجلى فيها إلى يوم القيامة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حبان ، عن جعفر بن سليمان ، قال : سمعت مالك بن دينار ، قال : بلغني أن قارون يُخسَفُ به كل يوم مئة قامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَّارِهِ الأَرْضَ ) ذكر لنا أنه يُخسَفُ به كل يوم قامة ، وأنه يتجلجل فيها ، لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة .

وقوله ( فَفَآ كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) يقول : فلم يكن له جند يرجع إليهم ، ولا فئة ينصرونه لما نزل به من سخطه ، بل تبرءوا منه ( وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ) يقول : ولا كان هو ممن ينتصر من الله إذا أحلَّ به نعمته ، فيمتنع لقوته منها .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَفَآ كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ ) أي جند ينصرونه ، وما عنده منعة يمتنع بها من الله .

وقد بيننا معنى الفئة فيما مضى ، وأنها الجماعة من الناس ، وأصلها الجماعة التي ينيء إليها الرجل عند الحاجة إليهم ، للعون على العدو ، ثم تستعمل ذلك العرب في كل جماعة كانت عوناً للرجل ، وظهراً له ؛ ومنه قول خفاف :

فَلَمْ أَرْ مِثْلَهُمْ حَيًّا لِقَاحًا      وَجَدَّكَ بَيْنَ نَاصِحَةٍ وَحَجْرٍ  
أَشَدَّ عَلَى صُرُوفِ الدَّهْرِ آدَا      وَأَكْبَرَ مِنْهُمْ فِئَةً بِصَبْرٍ

(١) البيتان من شعر خفاف بن ثدي ، وهما من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ( ١٨٣ ب ) قال عند قوله تعالى : « فا كان له من فئة » أي من أعوان وظهر ، قال : خفاف : فلم أر مثلهم حيا لقاحا . . . . . البيتين . وفي « ( اللسان : لقاح ) : وحى لقاح : لم يدينوا للملوك ، ولم يملكوا ، ولم يصحبهم في الجاهلية سباء . وقال ثعلب : الحى اللقاح : مشتق من لقاح الناقة ، لأن الناقة إذا لقت =



## القول في تأويل قوله تعالى

وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَانُّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ، لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ، وَيُكَانُّهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢)

يقول تعالى ذكره : وأصبح الذين تمنّوا مكانه بالأمس يقولون ، ويقولون : ويُكَانُّ الله . . . .  
بالأمس ، يعنى قبل أن ينزل به منازل من بسط الله وعقابه ، يقولون : ويُكَانُّ الله . . . .

اختلف في معنى ( وَيُكَانُّ اللَّهُ ) فأما قتادة ، فإنه روى عنه في ذلك قولان :

أحدهما : ما حدثنا به ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن خالد بن عثمة ، قال : ثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، قال في قوله ( وَيُكَانُّهُ ) قال : ألم تر أنه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَيُكَانُّهُ ) : أَوْ لَا تَرَى أَنَّهُ .

وحدثني إسماعيل بن المتوكل الأشجعي ، قال : ثنا محمد بن كثير ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة : ( وَيُكَانُّهُ ) قال : ألم تر أنه .

والقول الآخر : ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَيُكَانُّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ ) قال : أو لم يعلم أن الله ( وَيُكَانُّهُ ) : أَوْ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ .  
وتأول هذا التأويل الذى ذكرناه عن قتادة في ذلك أيضا بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة ، واستشهد لصحة تأويله ذلك كذلك ، بقول الشاعر :

سَأَلْتَانِي الطَّلَاقَ أَنْ رَأَيْتَانِي قَلَّ مَالِي ، قَدَّ جِثْمًا بِنُكْرٍ  
وَيُكَانُّ مَنْ يَكُنُّ لَهُ نَشَبٌ يُخَسِّبُ وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَعِشُ عَيْشَ ضُرٍّ

= لم تطاوع الفحل . وناضحة بالضاد : لعله تحريف ناضحة ، وهى كما في معجم البلدان : ماء لمعاوية بن حزن بنجد . وحجر ( بفتح فسكون ) : قصة إمامة . والآد والأيد : القوة . والفتة : الجماعة من الناس ، وهو من الكلمات الثنائية الوضع .  
(١) البيتان لزيد بن عمرو بن نفيل (خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ٣ : ٩٥ - ٩٧) وقبلهما بيت ثالث وهو :

تِلْكَ عِرْسَايَ تَنْطِقَانِ عَلَى عَمْدٍ إِلَى الْيَوْمِ قَوْلَ زُورٍ وَهَيْتَرٍ

والشاعر ينكر حال زوجته معه ، بعد أن كبر وانفق . وفي البيت الثانى : « أن رأيتانى قليلا . . . الخ » والعرس : الزوجة . والهير : بفتح الهاء : مصدر هتره هتره هترا من باب نصر : إذا مزق عرضه . وبكسر الهاء : الكذب ، والداهية ، والأمر العجب ، والسقط من الكلام ، والخطأ فيه . وبالضم : ذهاب العقل من كبر ، أو مرض ، أو حزن . والنكر : الأمر القبيح المنكر . والنشب : المسال الأصيل ، من الناطق والصامت . والشاهد في قوله « ويكانُّ » فقد اختلف فيها البصريون والكوفيون : أهى كلمة واحدة أم كلمتان ؟ فقال سيبويه : سألت الخليل عن قوله تعالى : « ويكانُّ الكافرون » وعن قوله « ويكانُّ الله » فزعم أنها : « وى » مفصولة من « كان » . والمعنى على أن القوم انتبهوا ، فتكلموا على قدر علمهم ، أو نهوا ، فقيل لهم : أما يشبه أن يكون هذا عندكم هكذا ؟ وقال الفراء في معانى القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٤٣) : « ويكانُّ » . . . في كلام العرب : تقرير ، كقول الرجل : أما ترى إلى صنع الله ؟ وأنشدنى : « ويكانُّ من يكن . . . البيت » . وأخبرنى شيخ من أهل البصرة قال : سمعت أعرابية تقول لزوجها : أين ابنتك ، ويك ؟ فقال : ويكانُّ وراء البيت ، معناه أما ترى وراء البيت . . . إلى آخر ما نقله عنه المؤلف . قلت : والذى قاله الخليل وسيبويه من حيث اللفظ أقرب إلى الصواب ، لأن الكلمة مركبة من ثلاثة أشياء : وى ، والكاف ، وأن . والذى قاله الفراء من جهة المعنى : حسن واضح .

وقال بعض نحوِّي الكوفة: «ويكأن» في كلام العرب: تقرير، كقول الرجل: أما ترى إلى صنع الله وإحسانه، وذكر أنه أخبره من سمع أعرابية تقول لزوجها: أين ابننا، فقال: ويكأنه وراء البيت، معناه: أما ترى وراء البيت؟ قال: وقد يندهب بها بعض النحويين إلى أنها كلمتان، يريد: ويكأن أنه، كأنه أراد ويكأن، فحذف اللام، فتجعل «آن» مفتوحة بفعل مضمر، كأنه قال: ويكأن أعلم أنه وراء البيت، فأضمر «اعلم». قال: ولم نجد العرب تُعمِل الظن مضمرًا، ولا العلم وأشباهه في «آن»، وذلك أنه يبطل إذا كان بين الكلمتين، أو في آخر الكلمة، فلما أضمر جرى مجرى المتأخر؛ ألا ترى أنه لا يجوز في الابتداء أن يقول: يا هذا، أنك قائم، ويا هذا آن قمت، يريد: علمت، أو أعلم، أو ظننت، أو أظن. وأما حذف اللام من قولك: ويكأن حتى تصير: ويكأن، فقد تقوله العرب، لكثرتها في الكلام، قال عنبرة: وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سَقْمَهَا قَوْلُ الْفَوَارِسِ وَيَكْأَنَ عَسْتَرَأَقْدِمًا

قال: وقال آخرون: إن معنى قوله (ويكأن) «وي» منفصلة من «كأن»، كقولك للرجل: وي! أما ترى ما بين يديك؟ فقال: «وي» ثم استأنف، كأن الله يبسط الرزق، وهي تعجب، و«كأن» في معنى الظن والعلم، فهذا وجه يستقيم. قال: ولم تكتبها العرب منفصلة، ولو كانت على هذا لكتبوها منفصلة، وقد يجوز أن تكون كسُتر بها الكلام، فوصلت بما ليست منه.

وقال آخرون: إن «وي» تنبيه، و«كأن» حرف آخر غيره، بمعنى: لعل الأمر كذا، وأظن الأمر كذا، لأن «كأن» بمنزلة «أظن» وأحسب وأعلم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة: القول الذي ذكرنا عن قتادة، من أن معناه: ألم تر، ألم تعلم، للشاهد الذي ذكرنا فيه من قول الشاعر، والرواية عن العرب: وأن «ويكأن» في خط المصحف حرف واحد. ومثي وجه ذلك إلى غير التأويل الذي ذكرنا عن قتادة، فإنه يصير حرفين، وذلك أنه إن وجه إلى قول من تأوله بمعنى: ويكأن أعلم أن الله، وجب أن يفصل «ويكأن» من «آن»، وذلك خلاف خط جميع المصاحف، مع فساده في العربية، لما ذكرنا. وإن وجهه إلى قول من يقول: «وي» بمعنى التنبيه، ثم استأنف الكلام بكأن، وجب أن يفضّل «وي» من «كأن»، وذلك أيضا خلاف خطوط المصاحف كلها. ٢

فإذا كان ذلك حرفا واحدا، فالصواب من التأويل: ما قاله قتادة، وإذا كان ذلك هو الصواب، فتأويل الكلام: وأصبح الذين تمنوا مكان قارون وموضعه من الدنيا بالأمس، يقولون لَمَّا عاينوا ما أحلّ الله به من

(١) البيت لعنبرة بن عمرو بن شداد العبسي، من معلقته (مختار الشعر الجاهل بشرح مصطلق السقا ص ٣٧٩) قال شارحه: يريد أن تعويل أصحابه عليه، والتجاءم إليه. شق نفسه، ونق غمه. اه. ووي: كلمة يقولها المتعجب من شيء، وهي بدائية ثنائية الوضع. لأنها من أسماء الأصوات، ثم صارت اسم فعل، وقد تدخلها كاف الخطاب، وقد يزيدون عليها لاما، فتصير وييل أو الخاء، فتصير وييع، وتعمل الأولى في الإنذار بالشر، والثانية في الإشعار بالرحمة، فيقال وييك، ويويحك، ويويك، ويويك: مثل ويك. وروايته البيت هنا كروايته في معاني القرآن الفراء (ص ٢٤٣) فقد نقله في كلامه الذي نقله المؤلف، وذكر فيه هذا الشاهد. وفي مختار الشعر: قيل الفوارس: في موضع: قول الفوارس: ومعها بمعنى.

(٢) قلت: العجب من المؤلف، على إمامته وعلو كعبه في العلم، كيف يجعل رسم المصحف دليلا على المعنى، مع أن المصاحف مختلفة رسمها اختلافا بينا وليس لاختلاف المعاني أي دخل في ذلك الرسم، وإنما وجد إلى أسباب أخرى.



نقمته ، ألم تر يا هذا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ، فيوسع عليه ، لالفضل منزلته عنده ، ولا لكرامته عليه ، كما كان بسط من ذلك لقارون ، لالفضله ولا لكرامته عليه ( وَيَقْدِرُ ) يقول : ويضيق على من يشاء من خلقه ذلك ، ويقتر عليه ، لا لخوانه ، ولا لسخطه عمله .

وقوله ( لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ) يقول : لولا أن تفضل علينا ، فصرف عنا ما كنا نتمناه بالأمس . ( لَحَسَفَ بَيْنَا ) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار سوى شيبة ( لَحَسَفَ بَيْنَا ) بضم الخاء ، وكسر السين ، وذكر عن شيبة والحسن ( لَحَسَفَ بَيْنَا ) بفتح الخاء والسين ، بمعنى : لحسف الله بنا .

وقوله ( وَيَنْكَأَهُ لَأَيُّسَاحُ الْكَافِرُونَ ) يقول : ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون ، فتسجح طلباتهم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣)

يقول تعالى ذكره : تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبرا عن الحق في الأرض وتجبرا عنه ولا فسادا : يقول : ولا ظلم الناس بغير حق ، وعملا بمعاصي الله فيها . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن زياد بن أبي زياد ، قال : سمعت عكرمة يقول ( لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ) قال : العلو : التكبر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مسلم البطين ( تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ) قال : العلو : التكبر في الحق ، والفساد : الأخذ بغير الحق .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مسلم البطين ( لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ ) قال : التكبر في الأرض بغير الحق ( وَلَا فَسَادًا ) أخذ المال بغير حق . قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبيرة ( لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ ) قال : البغي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ ) قال : تعظما وتجبرا ، ( وَلَا فَسَادًا ) : عملا بالمعاصي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أشعث السمان ، عن أبي سلمان الأعرج ، عن علي رضي الله عنه قال : إن الرجل ليعجبه من شرك نعله أن يكون أجود من شرك صاحبه ، فيدخل في قوله ( تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ) .

وقوله (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) يقول تعالى ذكره : والجنة للمتقين ، وهم الذين اتقوا معاصي الله ، وأدّوا فرائضه .

وبنحو الذي قلنا في معنى العاقبة ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) أي الجنة للمتقين .

القول في تأويل قوله تعالى

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ، فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ، فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٤)

يقول تعالى ذكره : من جاء الله يوم القيامة بإخلاص التوحيد ، فله خير ، وذلك الخير هو الجنة والنعم الدائم ، ومن جاء بالسيئة ، وهي الشرك بالله .

كما حدثنا بشر ، قال ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) : أي له منها حظ خير ، والحسنة : الإخلاص ، والسيئة : الشرك .

وقد بينا ذلك باختلاف المختلفين ، ودلنا على الصواب من القول فيه .

وقوله (فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ) يقول : فلا يثاب الذين عملوا السيئات على أعمالهم السيئة (إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : إلا جزاء ما كانوا يعملون .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ أَلَّا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨٥)

يقول تعالى ذكره : إن الذي أنزل عليك يا محمد القرآن .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) قال : الذي أعطاك القرآن .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) قال : الذي أعطاكه .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (لَرَأَدُكَ إِلَى مَعَادٍ) فقال بعضهم : معناه : لَمُصِيرُكَ إِلَى الْجَنَّةِ .



## ذكر من قال ذلك

حدثني إسماعيل بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : ثنا عتاب بن بشر ، عن خَصِيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : إلى معدنك من الجنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جببير عن ابن عباس ، قال : إلى الجنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إبراهيم بن حبان ، سمعت أبا جعفر ، عن ابن عباس ، عن أبي سعيد الخدري ( لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : معاده آخرته الجنة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك ، في ( إِنَّ النَّدَى فَرَّصَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : إلى الجنة ليسألك عن القرآن .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي صالح ، قال : الجنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدي ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي صالح ( لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : إلى الجنة .

حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك ، قال : يردك إلى الجنة ، ثم يسألك عن القرآن .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد ، قالا : إلى الجنة حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميمة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة وعطاء ومجاهد وأبي قزعة والحسن ، قالوا : يوم القيامة .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : يحيى بك يوم القيامة .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن والزهرى ، قالا : معاده يوم القيامة . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله ( لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : يحيى بك يوم القيامة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هودبة ، قال : ثنا عون ، عن الحسن ، في قوله ( لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : معادك من الآخرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله ( لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : كان الحسن يقول : إني والله ، إن له لمعادا يبعثه الله يوم القيامة ، ويدخله الجنة .

وقال آخرون : معنى ذلك : لرادك إلى الموت .

## ذكر من قال ذلك

حدثني إسحاق بن وهب الواسطي ، قال : ثنا محمد بن عبد الله الزبيرى ، قال : ثنا سفيان بن سعيد الثوري ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ( لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : الموت .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن السدي ، عن رجل ، عن ابن عباس ، قال : إلى الموت .

قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، عن سعيد ( لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : إلى الموت .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدي عن سمع ابن عباس ، قال إلى الموت .  
حدثنا أبو كُرَيْب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبّير ، قال : إلى الموت .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جبّير في قوله ( لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : الموت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا أبو مُمَيْلَةَ ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عدي بن ثابت ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : إلى الموت ، أو إلى مكة .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : لَرَادُكَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي خَرَجْتَ مِنْهُ ، وَهُوَ مَكَّةُ .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، عن سفيان العصفري ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : إلى مكة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : يقول : لَرَادُكَ إِلَى مَكَّةَ ، كَمَا أَخْرَجَكَ مِنْهَا .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : أخبرنا يونس بن أبي إسحاق ، عن مجاهد ، قال : مولده بمكة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي عن يونس ابن أبي إسحاق ، قال : سمعت مجاهدا يقول : ( لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : إلى مولدك بمكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا يونس بن عمرو ، وهو ابن أبي إسحاق ، عن مجاهد ، في قوله ( إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : إلى مولدك بمكة .

حدثني الحسين بن عليّ الصدائي ، قال : ثنا أبي ، عن الفضيل بن مرزوق ، عن مجاهد أبي الحجاج ، في قوله ( إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : إلى مولده بمكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن أبيه ، عن مجاهد قال : إلى مولدك بمكة .



وَالصُّرَابِ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي: قَوْلٌ مِنْ قَالَ: لِرَادِّكَ إِلَى عَادَتِكَ مِنَ الْمَوْتِ، أَوْ إِلَى عَادَتِكَ حَيْثُ وُلِدْتَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَعَادَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْمَفْعَلُ مِنَ الْعَادَةِ، لَيْسَ مِنَ الْعَوْدِ، إِلَّا أَنْ يُوَجَّهَ مُوَجَّهَ تَأْوِيلِ قَوْلِهِ (لِرَادِّكَ) لِمَصِيرِكَ، فَيَتَوَجَّهُ حَيْثُذُ قَوْلِهِ (إِلَى مَعَادٍ) إِلَى مَعْنَى الْعَوْدِ، وَيَكُونُ تَأْوِيلُهُ: إِنْ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِمُصَيِّرِكَ إِلَى أَنْ تَعُودَ إِلَى مَكَّةَ مَفْتُوحَةً لَكَ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَهَذِهِ الْوُجُوهُ الَّتِي وَصَفْتَ فِي ذَلِكَ قَدْ فَهَمْنَاهَا، فَمَا وَجَّهَ تَأْوِيلَ مِنْ تَأْوِيلِهِ بِمَعْنَى: لِرَادِّكَ إِلَى الْجَنَّةِ؟ قِيلَ: يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ وَجَّهَ تَأْوِيلِهِ ذَلِكَ كَذَلِكَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ الْآخِرِ، وَهُوَ لِمَصِيرِكَ إِلَى أَنْ تَعُودَ إِلَى الْجَنَّةِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَوْ كَانَ أُخْرِجَ مِنَ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: نَحْنُ نَعِيدُكَ إِلَيْهَا؟ قِيلَ: لِذَلِكَ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ إِنْ كَانَ أَبُوهُ آدَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا أُخْرِجَ مِنْهَا، فَكَأَنَّ وَلَدَهُ بِإِخْرَاجِ اللَّهِ إِيَّاهُ مِنْهَا، قَدْ أُخْرِجُوا مِنْهَا، فَخَلَّهَا فَكَأَنَّمَا يُرَدُّ إِلَيْهَا بَعْدَ الْخُرُوجِ. وَالثَّانِي أَنْ يُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَهَا لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ، كَمَا رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَرَأَيْتُ فِيهَا قَصْرًا، فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا؟ فَتَقَالُوا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ»، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي رُوِيَتْ عَنْهُ بِذَلِكَ، ثُمَّ رُدَّ إِلَى الْأَرْضِ، فَيُقَالُ لَهُ: إِنْ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِرَادِّكَ لِمَصِيرِكَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي خَرَجْتَ مِنْهُ مِنَ الْجَنَّةِ، إِلَى أَنْ تَعُودَ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَوْلٌ مِنْ قَالَ ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ (قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى الَّذِي مِنْ سَلَكِهِ نَجَا، وَمَنْ هُوَ فِي جُورٍ عَنِ الْقَصْدِ السَّبِيلِ مِنَّا وَمِنْكُمْ. وَقَوْلُهُ (مُبِينٍ) يَعْنِي أَنَّهُ يُبَيِّنُ لِلْمُفَكِّرِ الْفَهْمَ إِذَا تَأَمَّلَهُ وَتَدَبَّرَهُ، أَنَّهُ ضَلَالٌ وَجُورٌ عَنِ الْهُدَى.

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ، فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا  
لِّلْكَافِرِينَ (٨٦)

يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: وَمَا كُنْتَ تَرْجُو يَا مُحَمَّدُ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ، فَتَعْلَمَ الْأَنْبَاءُ وَالْأَخْبَارُ عَنِ الْمَاضِينَ قَبْلَكَ، وَالْحَادِثَةِ بَعْدَكَ، مِمَّا لَمْ يَكُنْ بَعْدُ، مِمَّا لَمْ تَشْهَدْهُ وَلَا تَشْهَدُ، ثُمَّ تَتَلَوُ ذَلِكَ عَلَى قَوْمِكَ مِنْ قَرِيشَ، إِلَّا أَنْ رَبَّكَ رَحِمَكَ، فَأَنْزَلَهُ عَلَيْكَ، فَقَوْلُهُ (إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ) اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ.

وَقَوْلُهُ (فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ) يَقُولُ: فَاحْتَدِ رَبُّكَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ مِنْ رَحْمَتِهِ إِيَّاكَ، بِأَنْزَالِهِ عَلَيْكَ هَذَا الْكِتَابَ، وَلَا تَكُونَنَّ عَوْنًا لِمَنْ كَفَرَ بِرَبِّكَ عَلَى كُفْرِهِ بِهِ. وَقِيلَ: إِنْ ذَلِكَ مِنَ الْمُؤَخَّرِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّقْدِيمُ. وَإِنْ مَعْنَى اللَّامِ: إِنْ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ، فَأَنْزَلَهُ عَلَيْكَ، وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْكَ، فَتَكُونَنَّ نَبِيًّا قَبْلَ ذَلِكَ، لِرَادِّكَ إِلَى مَعَادٍ.

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ، وَأَدْعُ إِلَيَّ رَبِّكَ، وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

المُشْرِكِينَ (٨٧)

يقول تعالى ذكره: ولا يصرفنك عن تبليغ آيات الله وحججه، بعد أن أنزلها إليك ربك يا محمد، هؤلاء المشركون، بقولهم (لولا أوتى مثل ما أوتى موسى). وادع إلى ربك وبلغ رسالته إلى من أرسلك إليه بها. (ولا تكونن من المشركين) يقول: ولا تترك الدعاء إلى ربك، وتبليغ المشركين رسالته، فتكون ممن فعل فعل المشركين بمعصيته ربه، وخلافه أمره.

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِلَّا إِلَهُهُ، كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ

تُرْجَعُونَ (٨٨)

يقول تعالى ذكره: ولا تعبد يا محمد مع معبودك الذي له عبادة كل شيء معبودا آخر سواه. وقوله (لا إله إلا هو) يقول: لا معبود تصلح له العبادة إلا الله، الذي كل شيء هالك إلا وجهه. واختلف في معنى قوله (إلا وجهه) فقال بعضهم: معناه: كل شيء هالك إلا هو. وقال آخرون: معنى ذلك: إلا ما أريد به وجهه، واستشهدوا لتأويلهم ذلك كذلك بقول الشاعر:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبُّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ<sup>١</sup>

وقوله (له الحكم) يقول: له الحكم بين خلقه، دون غيره، ليس لأحد غيره معه فيهم حكم (وإليه ترجعون) يقول: وإليه تردون من بعد مماتكم، فيقضى بينكم بالعدل، فيحازي مؤمنكم جزاءهم، وكفاركم ما وعدهم.

آخر تفسير سورة القصص

## تفسير سورة العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ يَأْتِ الْبَيْتَ الْحَرَامَ لِيُبَيِّنَ لَهُ مِثْلَ مَا وَقَعَ لَكَ وَهُوَ الَّذِي يُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١)

(١) البيت: من الأبيات الخمسين التي استشهد بها سيبويه ولا يعرف قائلها. وهو شاهد عند النحاة على أن أصله «أستغفر الله من ذنب» ثم أسقط الجار، فاتصل المجرور بالفعل، فنصب مفعولا به. واشتهد به المؤلف هنا تبعا للقراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة، الورقة ٢٤٤) قال: كل شيء هالك إلا وجهه: إلا هو. وقال الشاعر: «أستغفر الله... البيت» أي أوجه على.



ﷺ قال أبو جعفر : وقد بينا معنى قول الله تعالى ذكره ( الم ) وذكرنا أقوال أهل التأويل في تأويله ، والذي هو أولى بالصواب من أقوالهم عندنا ، بشواهد فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع .  
وأما قوله ( أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُسْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ) فإن معناه : أظن الذين خرجوا يا محمد من أصحابك من أذى المشركين إياهم ، أن تركتهم بغير اختبار ، ولا ابتلاء امتحان ، بأن قالوا : آمنا بك يا محمد ، فصدقناك فيما جئتنا به من عند الله ، ككلامنا لنتخبرهم ، ليتبين الصادق منهم من الكاذب ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ) قال : يُبْتَلَوْنَ في أنفسهم وأموالهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ) : أى لا يُبْتَلَوْنَ .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد ، في قوله ( وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ) قال : لا يُبْتَلَوْنَ .

فإن الأولى منصوبة بحسب ، والثانية منصوبة في قول بعض أهل العربية ، بتعلق يتركوا بها ، وأن معنى الكلام على قوله ( أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُسْرَكُوا ) لأن يقولوا آمنا ؛ فلما حذف اللام الخافضة من لأن ، نصبت على ما ذكرت . وأما على قول غيره فهي في موضع خفض باضمار الخافض ، ولا تكاد العرب تقول تركت فلانا أن يذهب ، فتدخل أن في الكلام ، وإنما تقول تركته يذهب ، وإنما أدخلت أن هاهنا لاكتفاء الكلام بقوله ( أَنْ يُسْرَكُوا ) إذ كان معناه : أحسب الناس أن يتركوا وهم لا يفتنون ، من أجل أن يقولوا آمنا ، فكان قوله ( أَنْ يُسْرَكُوا ) مكثفية بوقوعها على الناس ، دون أخبارهم . وإن جعلت « أن » في قوله ( أَنْ يَقُولُوا ) منصوبة بنية تكرير أحسب ، كان جائزا ، فيكون معنى الكلام : أحسب الناس أن يتركوا : أحسبوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ، وَلْيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ (٣)

ﷺ يقول تعالى ذكره : ولقد اخترنا الذين من قبلهم من الأمم ، ممن أرسلنا إليهم رسلنا ، فقالوا مثل ما قالته أمتك يا محمد بأعدائهم ، وتمكيننا إياهم من أذاهم ، كوسى إذ أرسلناه إلى بني إسرائيل ، فابتليناهم بفرعون وملئهم ، وكعيسى إذ أرسلناه إلى بني إسرائيل ، فابتلينا من اتبعه بمن تولى عنه ، فكذلك ابتلينا أتباعك

بمخالفك من أعدائك ( فَلَئِمَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ) منهم في قبيلهم آمناء ( وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ) منهم في قبيلهم ذلك ، والله عالم بذلك منهم قبل الاختيار ، وفي حال الاختيار ، وبعد الاختيار ، ولكن معنى ذلك : وَلَيُظْهِرَنَّ اللهُ صِدْقَ الصَّادِقِ مِنْهُمْ فِي قَبِيلِهِ آمِنًا بِاللَّهِ ، من كَذِبِ الْكَاذِبِ مِنْهُمْ ، بابتلائه إياه بعدوه ، ليعلم صدقته من كذبه أولياؤه ، على نحو ما قد بيناه فيما مضى قبل .

وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من المسلمين عدّ بهم المشركون ، فُتِنَ بعضهم ، وصَبَرَ بعضهم على أذاهم ، حتى أتاهم الله بفرج من عنده .

#### ذكر الرواية بذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول : نزلت ، يعني هذه الآية : ( الْم . أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُسْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا ) ... إلى قوله ( وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ) في عمّار بن ياسر ، إذ كان يُعَدِّبُ في الله .

وقال آخرون : بل نزل ذلك من أجل قوم كانوا قد أظهروا الإسلام بمكة ، وتخلّفوا عن الهجرة ، والفتنة التي فُتِنَ بها هؤلاء القوم على مقالة هؤلاء ، هي الهجرة التي امتسحوا بها .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن مطر ، عن الشعبي ، قال : إنهما نزلت ، يعني ( الْم . أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُسْرَكُوا ) . . . الآيتين في أناس كانوا بمكة أقرّوا بالإسلام ، فكتب إليهم أصحاب محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم من المدينة : إنه لا يقبل منكم إقرارا بالإسلام حتى تهاجروا ، فخرجوا عامدين إلى المدينة ، فاتبعهم المشركون ، فردّوهم ، فنزلت فيهم هذه الآية ، فكتبوا إليهم : إنه قد نزلت فيكم آية كذا وكذا ، فقالوا : نخرج ، فإن اتبّعنا أحد قاتلناه ، قال : فخرجوا ، فاتبعهم المشركون ، فقاتلوه ثم ، فهم من قتل ، ومنهم من نجا ، فأنزل الله فيهم : ( ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا ، إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَلَقَدْ فَتَنَّا ) قال : ابتلينا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد ( وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ) قال : ابتلينا الذين من قبلهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ) أي ابتلينا .



القول في تأويل قوله تعالى

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا؟ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٤)

يقول تعالى ذكره : أم حسب الذين يشركون بالله فيعبدون معه غيره ، وهم المعنيون بقوله ( الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا ) يقول : أن يُعْجِزونا فيفوتونا بأنفسهم ، فلا نقدر عليهم ، فننتقم منهم ، لشركهم بالله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ) أي الشرك ، أن يسبقونا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَنْ يَسْبِقُونَا ) : أن يُعْجِزونا .  
وقوله ( سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ) يقول تعالى ذكره : ساء حكمهم الذي يحكمون بأن هؤلاء الذين يعملون السيئات يسبقوننا بأنفسهم .

القول في تأويل قوله تعالى

مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥) وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا

يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦)

يقول تعالى ذكره : من كان يرجو الله يوم لِقَائِهِ ، ويطمع في ثوابه ، فإن أجل الله الذي أجله لبعث خلقه للجزاء والعقاب ، لآتٍ قريبا ، وهو السميع ، يقول : والله الذي يرجو هذا الراجي بلقائه ثوابه ، السميع لقوله : آمنا بالله ، العليم بصدق قلبه ، إنه قد آمن من كذبه فيه . وقوله ( وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ) يقول : ومن يجاهد عدوه من المشركين ، فإنما يجاهد لنفسه ، لأنه يفعل ذلك ابتغاء الثواب من الله على جهاده ، والهرب من العقاب ، فليس بالله إلى فعله ذلك حاجة ، وذلك أن الله غني عن جميع خلقه ، له الملك والخلق والأمر .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا

يَعْمَلُونَ (٧)

يقول تعالى ذكره : والذين آمنوا بالله ورسوله ، فضح إيمانهم عند ابتلاء الله إياهم ، وفتنته لهم ، ولم يرتدوا عن أديانهم بأذى المشركين إياهم ( وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ) التي

سلفت منهم شرهمم (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) يقول: ولنثيبهم على صالحات أعمالهم في إسلامهم، أحسن ما كانوا يعملون في حال شرهمم، مع تكفيرنا سيئات أعمالهم.

### القول في تأويل قوله تعالى

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا، وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا،  
إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَنْبِئِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)

يقول تعالى ذكره (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ) فيما أنزلنا إلى رسولنا (بِوَالِدَيْهِ) أن يفعل بهما (حُسْنًا). واختلف أهل العربية في وجه نصب الحسن؛ فقال بعض نحوِّي البصرة: نُصِبَ ذَلِكَ عَلَى نِيَّةِ تَكْرِيرِ وَصَيْنَا. وكان معنى الكلام عنده: ووصينا الإنسان بوالديه، ووصيناها حُسْنًا. وقال: قد يقول الرجل وصيته خيرا: أي بخير.

وقال بعض نحوِّي الكوفة: معنى ذلك: ووصينا الإنسان أن يفعل حُسْنًا، ولكن العرب تسقط من الكلام بعضه، إذا كان فيما بقي الدلالة على ما سقط، وتعمل ما بقي فيما كان يعمل فيه المحذوف، فنصب قوله (حُسْنًا) وإن كان المعنى ما وصفت وصينا، لأنه قد ناب عن الساقط، وأُتِشِدَ فِي ذَلِكَ:

عَجِبْتُ مِنْ دَهْمَاءَ إِذْ تَشْكُونَا وَمِنْ أَبِي دَهْمَاءَ إِذْ يُوصِينَا  
خَيْرًا بِهَا كَأَنَّهَا جَافُونَا

وقال: معنى قوله: يُوصِينَا خَيْرًا: أن نفعل بها خيرا، فاكنتي بيوصينا منه، وقال ذلك نحو قوله (فَطَقِّقْ مَسْحًا) أي يمسح مسحًا.

وقوله (وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، فَلَا تُطِعْهُمَا) يقول: ووصينا الإنسان، فقلنا له: إن جاهدك والداك لتشرك بي ما ليس لك به علم أنه ليس لي شريك، فلا تطعهما فتشرك بي ما ليس لك به علم، ابتغاء مرضاهما، ولكن خالفهما في ذلك (إلى مرجعكم): يقول تعالى ذكره: إلى معادكم ومصيركم يوم القيامة (فَأَنْبِئِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول: فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، من صالح الأعمال وسيئاتها، ثم أجازيكم عليها: المحسن بالإحسان، والمسيء بما هو أهله. وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب سعد بن أبي وقاص.

### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا) ... إلى قوله (فَأَنْبِئِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) قال: نزلت في سعد بن أبي وقاص لما هاجر، قالت أمه، والله لا يظليلني بيت حتى يرجع، فأنزل الله في ذلك أن يُحْسِنَ إِلَيْهِمَا، ولا يطيعهما في الشرك.

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور السريع، وهي من شواهد الفراء في معاني القرآن (ص ١٧٨) قال: والعرب تقول: أوصبك به خيرا، وأمرك به خيرا، وكان معناه: أمرك أن تفعل به، ثم تحذف أن، فتوصل الخير بالوصية، وبالأمر، قال الشاعر: عجبت... الأبيات.



القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ (٩)

يقول تعالى ذكره ( وَالَّذِينَ آمَنُوا ) بالله ورسوله ( وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) من الأعمال ، وذلك أن يُؤَدُّوا فرائض الله ، ويحتبوا محارمه ( لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ) في مدخل الصالحين ، وذلك الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ

نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ، أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ؟ (١٠)

يقول تعالى ذكره : ومن الناس من يقول : أقررنا بالله فوحدناه ، فإذا آذاه المشركون في إقراره بالله ، جعل فتنة الناس إياه في الدنيا ، كعذاب الله في الآخرة ، فارتدت عن إيمانه بالله ، راجعا على الكفر به ( وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ ) يا محمد أهل الإيمان به ( لَيَقُولَنَّ ) هؤلاء المرتدون عن إيمانهم ، الجاعلون فتنة الناس كعذاب الله : ( إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ) أيها المؤمنون ( مَعَكُمْ ) ننصركم على أعدائكم كذبا وإفكا ، يقول الله ( أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ ) أيها القوم من كل أحد ( بِمَا فِي صُدُورِ ) جميع خلقه ، القائلين آمنا بالله ، فإذا أُوذِيَ في الله ارتدت عن دين الله وغيرهم ؟ فكيف يخادع من كان لا يخفى عليه خافية ، ولا يستتر عنه سر ولا علانية .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ ، فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ) قال : فتنته أن يرتد عن دين الله إذا أُوذِيَ في الله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ) . . . إلى قوله ( وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ) قال : أناس يؤمنون بألسنتهم ، فإذا أصابهم بلاء من الله ، أو مصيبة في أنفسهم ، افتنوا ، فجعلوا ذلك في الدنيا ، كعذاب الله في الآخرة . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : قوله : ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ ) . . . الآية ، نزلت في ناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون ، فإذا أودوا ، وأصابهم بلاء من المشركين ، رجعوا إلى الكفر ، مخافة من يؤذيهم ، وجعلوا أذى الناس في الدنيا كعذاب الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، في قول الله ( فإِذَا أُذِي فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ) قال : هو المنافق : إذا أذى في الله رجع عن الدين وكفر ، وجعل فتنة الناس كعذاب الله .

وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل الإيمان كانوا بمكة ، فخرجوا مهاجرين ، فأدركوا وأخذوا فأعطوا المشركين لما نالهم أذاهم ، ما أرادوا منهم .

ذكر الخبر بذلك

حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : ثنا محمد بن شريك ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان قوم من أهل مكة أسلموا ، وكانوا يستخفون بإسلامهم ، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم ، فأصيب بعضهم قبل بعض ، فقال المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكروهوا ، فاستغفروا لهم ، فنزلت ( إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ؟ ) . . . إلى آخر الآية ، قال : فكتب إلى من بقى بمكة من المسلمين بهذه الآية ، أن لا عذر لهم ، فخرجوا ، فلحقهم المشركون ، فأعطوهم الفتنة ، فنزلت فيهم هذه الآية ( وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ ، فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ ، جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ) . . . إلى آخر الآية ، فكتب المسلمون إليهم بذلك ، فخرجوا وأيسوا من كل خير ، ثم نزلت فيهم ( ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ، ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا ، إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ) فكتبوا إليهم بذلك : إن الله قد جعل لكم مخرجاً ، فخرجوا ، فأدركهم المشركون ، فقاتلوه ، حتى نجا من نجا ، وقتل من قتل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ ، فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ ) . . . إلى قوله ( وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ) قال : هذه الآيات أنزلت في القوم الذين ردهم المشركون إلى مكة ، وهذه الآيات العشر مدنية إلى هاهنا ، وسائرهما مكية .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ، وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ (١١)

يقول تعالى ذكره : وليعلمن الله أولياء الله ، وحزبه أهل الإيمان بالله منكم أيها القوم ، وليعلمن المنافقين منكم ، حتى يميزوا كل فريق منكم من الفريق الآخر ، باظهار الله ذلك منكم ، بالخن والابتلاء والاختبار وبمسارعة المسارع منكم إلى الهجرة من دار الشرك ، إلى دار الإسلام ، وتناقل المتناقل منكم عنها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ ، وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ

مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ (١٢)



يقول تعالى ذكره : وقال الذين كفروا بالله من قريش ، للذين آمنوا بالله منهم (اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا) يقول : قالوا كونوا على مثل ما نحن عليه من التكذيب بالبعث بعد الممات ، وجحود الثواب والعقاب على الأعمال ، (وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ) يقول : قالوا فإنكم إن اتبعتم سبيلنا في ذلك ، فبُعِثْتُمْ من بعد الممات ، وجُوزِيْتُمْ على الأعمال ، فإننا نتحمل آثام خطاياكم حينئذ .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ) قال : قول كفار قريش بمكة لمن آمن منهم ، يقول : قالوا : لا نُبْعَثُ نحن ولا أنتم ، فاتبعونا ، إن كان عليكم شيء فهو علينا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) هم القادة من الكفار ، قالوا لمن آمن من الأتباع : اتركوا دين محمد ، واتبعوا ديننا ، وهذا أعمى قوله (اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا ، وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ) وإن كان خرج مخرج الأمر ، فإن فيه تأويل الجزاء ، ومعناه : ما قلت : إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم ، كما قال الشاعر :  
فَقُلْتُ ادْعِي وَأَدْعُ فَإِنْ أُنْدَى لِيصَوْتُ أَنْ يُنَادِيَ دَاعِيَانِ  
يريد : ادعي ولأدع ، ومعناه : إن دعوت دعوت .

وقوله (وَمَا هُمْ بِجَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ ، إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) وهذا تكذيب من الله للمشركين القائلين للذين آمنوا (اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ) يقول جل ثناؤه : وكذبوا في قيلهم ذلك لهم ، ما هم بجاملين من آثام خطاياهم من شيء ، إنهم لكاذبون فيما قالوا لهم ووعدهم ، من حمل خطاياهم إن هم اتبعوهم .

(١) البيت لدثار بن شيبان النخري (اللسان : ندى) قال : وفلان أندى صوتا من فلان : أى أبعد مذهباً ، وأرفع صوتاً . وأنشد الأصمعي لدثار بن شيبان النخري :

تقول غليلتي لما اشتكىنا سدرتنا بنسو القرم الهجان  
فقلت ادعي وادع فإن أندى لصوت أن ينادي داعيان

وفي فرائد القلائد ، وهي شرح الشواهد الصغير للعبى في باب إعراب القمل : قاله الأعشى أو الخطيئة ، فيما زعم ابن يعيش ، أو ربيعة ، جشم فيما زعم الزمخشري أودثار بن شيبان النخري ، فيما زعم ابن بري . والشاهد في «أدعو» حيث نصب الواو فيه بتقدير «أن» بعد واو الجمع ، أى وأن أدعو . ويروى : وادع «على الأمر ، بحذف اللام ، إذ أصله : ولأدع . اه . وهذا التوجيه الثاني هو توجيه الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ٢٤٤) قال : وقوله «اتبعوا سبيلنا ولنحمل» : هو أمر فيه تأويل جزاء ، كما أن قوله «ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم» نهى فيه تأويل الجزاء ، وهو كثير في كلام العرب . قال الشاعر : «فقلت ادعي وادع» . . . البيت . أراد ادعي ولأدع ، فإن أندى ، فكأنه قال : إن دعوت دعوت . اه . وقد نقله المؤلف بحذافير .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ، وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣)

يقول تعالى ذكره : وليحملن هؤلاء المشركون بالله القائلون للذين آمنوا به اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم : أوزار أنفسهم وآثامها ، وأوزار من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزارهم ، وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يكذبونهم في الدنيا ، بوعدهم إياهم الأباطيل ، وقيلهم لهم : اتبعوا سبيلنا ، ولنحمل خطاياكم فيفترون الكذب بذلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ ) أي أوزارهم . ( وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ) يقول : أوزار من أضلوا .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ ) ، وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ) . وقرأ قوله ( لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمِمَّنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ . أَلِإِسَاءِ مَا يَزُرُونَ ) قال : فهذا قوله ( وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ) .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ، فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ

ظَالِمُونَ (١٤)

وهذا وعيد من الله تعالى ذكره هؤلاء المشركين من قريش ، القائلين للذين آمنوا : اتبعوا سبيلنا ، ولنحمل خطاياكم ، يقول لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : لا يجزئناك يا محمد ما تلقى من هؤلاء المشركين أنت وأصحابك من الأذى ، فلانى وإن أملت لهم ، فأطلت إملاءهم ، فإن مصير أمرهم إلى البوار ، ومصير أمرى وأمر أصحابك إلى العلو والظفر بهم ، والنجاة مما يحل بهم من العقاب ، كفعلنا ذلك بنوح ، إذ أرسلناه إلى قومه ، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ، يدعوهم إلى التوحيد ، وفراق الآلهة والأوثان ، فلم يزدهم ذلك من دعائه إياهم إلى الله ، من الإقبال إليه ، وقبول ما أتاهم به من النصيحة من عند الله ، إلا فیرارا .

وذكر أنه أرسل إلى قومه وهو ابن ثلاث مئة وخمسين سنة .

كما حدثنا نصر بن علي الجهضمي ، قال : ثنا نوح بن قيس ، قال : ثنا عون بن أبي شداد ، قال : إن الله أرسل نوحا إلى قومه وهو ابن خمسين وثلاث مئة سنة ، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ، ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاث مئة سنة ، فأخذهم الطوفان ، يقول تعالى ذكره : فأهلكهم الماء الكثير ، وكل ماء كثير فاش طام فهو عند العرب طوفان ، سيلا كان أو غيره ، وكذلك الموت إذا كان فاشيا كثيرا ، فهو أيضا عندهم طوفان ؛ ومنه قول الراجز :



أَفَنَاهُمْ طُوفَانُ مَوْتٍ جَارِفٍ ۝

وبنحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ ) قال : هو الماء الذي أرسل عليهم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : الطوفان : الغرق .

وقوله ( وَهُمْ ظَالِمُونَ ) يقول : وهم ظالمون أنفسهم بكفرهم .

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ ، وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (١٥)

يقول تعالى ذكره : فأنجينا نوحا وأصحاب سفينته ، وهم الذين حملهم في سفينته ، من ولده وأزواجهم . وقد بينا ذلك فيما مضى قبل ، وذكرنا الروايات فيه ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع . ( وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ) يقول : وجعلنا السفينة التي أنجيناها وأصحابها فيها ، عبرة وعظة للعالمين ، وحجة عليهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ ) . . . الآية . قال : أبقاها الله آية للناس بأعلى الجودي . ولو قيل : معنى ( وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ) : وجعلنا عقوبتنا إياهم آية للعالمين ، وجعل الماء والألف في قوله ( وَجَعَلْنَاهَا ) كناية عن العقوبة أو السخط ، ونحو ذلك ، إذ كان قد تقدم ذلك في قوله ( فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ) كان وجهها من التأويل .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦)

يقول تعالى ذكره لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر أيضا يا محمد إبراهيم خليل الرحمن ، إذ قال لقومه : اعبدوا الله أيها القوم ، دون غيره من الأوثان والأصنام ، فإنه لا إله لكم غيره ، واتقوه : يقول :

(١) هذا بيت من مشطور الرجز ، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ( الورقة ١٨٤ - ١ ) قال : الطوفان : مجازه كل ماء طام فاش ، من سيل كان أو من غيره وهو كذلك من الموت إذا كان جارفا فاشيا كثيرا . قال : « أفناهم طوفان . . . البيت » . ونقله المؤلف بحروفه . وفي (اللسان : طوف) : والطوفان الماء الذي ينشئ كل مكان . وقيل المطر الغالب ، الذي يفرق من كثرتة . وقيل : الطوفان : الموت العظيم . وقيل : الطوفان من كل شيء : ما كان كثيرا محيطا مطيفا بالجماعة كلها ، كالغرق الذي يشتمل على المدن الكبيرة ؛ والقتل الذريع ، والموت الجارف ، يقال له طوفان . وبذلك كله نسر قوله تعالى : « فأخذهم الطوفان وهم ظالمون » .

وانتقوا سنطه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ( ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) ما هو خير لكم مما هو شر لكم .

## القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا، إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا، فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ، وَاعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ، إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل خليله إبراهيم لقومه: إنما تعبدون أيها القوم من دون الله أوثانا، يعني: مشلأ. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا) أصناما .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) فقال بعضهم: معناه: وتصنعون كذبا .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) يقول: تصنعون كذبا . وقال آخرون: وتقولون كذبا .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) يقول: وتقولون إفكا .

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) يقول: تقولون كذبا . وقال آخرون: بل معنى ذلك: وتنحيتون إفكا .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، قوله (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) قال: تنحيتون: تصورون إفكا . حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا): أي تصنعون أصناما . حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا): الأوثان التي ينحيتونها بأيديهم .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: معناه: وتصنعون كذبا . وقد بيننا معنى الخلق فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع . فتأويل الكلام إذن: إنما تعبدون من دون الله أوثانا، وتصنعون كذبا وباطلا . وإنما في قوله<sup>١</sup>: (إفكا) مردود على إنما، كقول القائل: إنما تفعلون كذا، وإنما تفعلون كذا .

(١) لعل مراده: وإنما المقدرة في قوله إفكا: مردود . . الخ، والمقصود منه واضح .



وقرأ جميع إقراء الأمصار (وتخلقون إفكاً) بتخفيف الخاء من قوله (وتخلقون) وضم اللام ، من الخلق . وذكر عن أبي عبد الرحمن السلمى أنه قرأ (وتخلقون إفكاً) بفتح الخاء ، وتشديد اللام ، من التخليق .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : ما عليه قرء الأمصار ، لإجماع الحجة من القرء عليه .

وقوله ( إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً ) يقول جل ثناؤه : إن أوثانكم التي تعبدونها ، لا تغدر أن ترزقكم شيئاً ، فابتغوا عند الله الرزق ، يقول : فالتمسوا عند الله الرزق ، لا من عند أوثانكم ، تدرکوا ما تبتغون من ذلك ( وأعبدوه ) : يقول : وذليوا له ، ( وأشكروا لله ) على رزقه إياكم ، ونعمه التي أنعمها عليكم ، يقال : شكرته ، وشكرت له أفصح من شكرته . وقوله ( إلیه ترجعون ) يقول : إلى الله تردون من بعد مماتكم ، فيسألکم عما أنتم عليه من عبادتكم غيره ، وأنتم عباده وخلقها ، وفي نعمه تتقلبون ، ورزقه تأكلون .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ، وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٨)

يقول تعالى ذكره : وإن تكذبوا أيها الناس رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم ، فيما دعاكم إليه من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم ، والبراءة من الأوثان ، فقد كذبت جماعات من قبلكم رسالتها ، فيما دعتم إليه الرسل من الحق ، فحل بها من الله سخطه ، ونزل بها منه عاجل عقوبته ، فسيهلكم سبيلها فيما هو نازل بكم بتكذيبكم إياه ( وما على الرسول إلا البلاغ المبين ) يقول : وما على محمد إلا أن يبلغكم عن الله رسالته ، ويؤدتي إليكم ما أمره بأدائه إليكم ربه . ويعني بالبلاغ المبين : الذي يبين لمن سمعه ما يراد به ، ويفهم به ما يعني به .

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِي اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)

يقول تعالى ذكره : أولم يروا كيف يبدي الله الخلق ثم يعيده ، إن ذلك على الله يسير . ثم رجلا مجتمعاً ، ثم كهلاً ؟ يقال منه : أبدأ وأعاد ، وبدأ وعاد ، لغتان بمعنى واحد . وقوله ( ثم يعيده ) يقول : ثم هو يعيده ، من بعد فنائه وبلاه ، كما بدأه أول مرة خلقاً جديداً ، لا يتعذر عليه ذلك ( إن ذلك على الله يسير ) سهل كما كان يسيرا عليه إيدأوه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله ( أَوْ لَمْ يَبْرُوا كَيْفَ يُبَدِّئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ) : بالبعث بعد الموت .  
 وقوله ( قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ) يقول تعالى ذكره لحمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للمنكرين للبعث بعد الممات ، الجاحدين الثواب والعقاب : سيروا في الأرض ، فانظروا كيف بدأ الله الأشياء ، وكيف أنشأها وأحدثها ، وكما أوجدتها وأحدثها ابتداء ، فلم يتعدّر عليه إحداثها مبدئاً ، فكذلك لا يتعدّر عليه إنشاؤها معيها . ( ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ) يقول : ثم الله يبدي تلك البداية الآخرة بعد الفناء .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ) خلق السموات والأرض ( ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ) : أى البعث بعد الموت .  
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ) قال : هى الحياة بعد الموت ، وهو النشور .  
 وقوله ( إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) يقول تعالى ذكره : إن الله على إنشاء جميع خلقه بعد إفنائه ، كهيئته قبل فنائه ، وعلى غير ذلك مما يشاء فعله قادر ، لا يعجزه شيء أراد .

## القول في تأويل قوله تعالى

يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : ثم الله ينشئ النشأة الآخرة خلقه من بعد فنائهم ، فيعذب من يشاء منهم على ما أسلف من جرمه في أيام حياته ، ويرحم من يشاء منهم ممن تاب وآمن وعمل صالحاً ( وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ) يقول : وإليه ترجعون وتردون .

وأما قوله ( وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ) فإن ابن زيد قال في ذلك ما حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ) : قال : لا يعجزه أهل الأرضين في الأرضين ، ولا أهل السموات في السموات ، إن عصوه ، وقرأ ( مثقال ذرّة في السموات ولا في الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ) .

وقال في ذلك بعض أهل العربية من أهل البصرة : ( وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا مَنْ فِي السَّمَاءِ ) معجزين قال : وهو من غامض العربية ، للضمير الذي لم يظهر في الثاني . قال : ومثله قول حسان ابن ثابت :



أَمَّنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحْهُ وَيَنْصُرْهُ سَوَاءٌ ۚ

أراد: ومن ينصره ويمدحه، فأضمر «من». قال: وقد يقع في وهم السامع أن النصر والمدح لمن هذه الظاهرة؛ ومثله في الكلام: أكرم من أتاك وأتى أباك، وأكرم من أتاك ولم يأت زيدا. تريد: ومن لم يأت زيدا فيكفي باختلاف الأفعال من إعادة من، كأنه قال: أامن يهجو، ومن يمدحه، ومن ينصره. ومنه قول الله عز وجل (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) وهذا القول أصح عندى في المعنى، من القول الآخر، ولو قال قائل: معناه: ولا أنتم بمعجزين في الأرض، ولا أنتم لو كنتم في السماء بمعجزين، كان مذهبا. وقوله (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) يقول: وما كان لكم أيها الناس من دون الله من ولي يلى أموركم، ولا نصير ينصركم من الله، إن أراد بكم سوءا، ولا يمنعكم منه إن أحل بكم عقوبته.

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَيَّاتٍ لِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣)

يقول تعالى ذكره: والذين كفروا حُجِّجَ اللهُ، وأنكروا أدلته، وجحدوا لقاءه والورود عليه، يوم تقوم الساعة (أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي) يقول تعالى ذكره: أولئك يئسوا من رحمتي في الآخرة، لما عابونا ما أعد لهم من العذاب، وأولئك لهم عذاب مٌوجِع.

فإن قال قائل: وكيف اعترض بهذه الآيات من قوله (وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم) . . . إلى قوله (إن في ذلك لآيات لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) وترك ضمير قوله (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ) وهو من قصة إبراهيم.

وقوله (إن الذين تعبدون من دون الله) . . . إلى قوله (فابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ، وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ، إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) قيل: فعل ذلك كذلك، لأن الخبر عن أمر نوح وإبراهيم وقومهما، وسائر من ذكر الله من الرسل والأمم في هذه السورة وغيرها، إنما هو تذكير من الله تعالى ذكره به الذين يبتدئ بذكرهم قبل الاعتراض بالخبر، وتحذير منه لهم أن يحل بهم ما حل بهم، فكأنه قيل في هذا الموضع: فاعبدوه واشكروا له إليه ترجعون، فكذبتم أنتم معشر قريش رسولكم محمدا، كما كذب أولئك إبراهيم، ثم جعل مكان: فكذبتم: وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم، إذ كان ذلك يدل على الخبر عن تكذيبهم رسولهم، ثم عاد إلى الخبر عن إبراهيم وقومه، وتتميم قصته وقصتهم بقوله (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ).

(١) البيت لحسان بن ثابت وقد تقدم الاستشهاد به، وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٤٤ من مصورة الجامعة) قال: وقوله «وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء» يقول القائل: وكيف وصفهم أنهم لا يعجزون في الأرض ولا في السماء، وليسوا من أهل السماء؟ فالمعنى، والله أعلم، ما أنتم بمعجزين في الأرض، ولا من في السماء بمعجز. وهو من غامض العربية، للضمير الذي لم يظهر في الثاني. ومثله قول حسان: «فن يهجو . . . البيت». أراد: ومن ينصره ويمدحه، فأضمر «من»، وقد يقع في وهم السامع أن المدح والنصر لمن هذه الظاهرة. ومثله في الكلام: أكرم من أتاك. وأتى أباك، وأكرم من أتاك ولم يأت زيدا؛ تريد: ومن لم يأت زيدا. اهـ.

## القول في تأويل قوله تعالى

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ، فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : فلم يكن جواب قوم إبراهيم له إذ قال لهم : اعبدوا الله واتقوه ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، إلا أن قال بعضهم لبعض : اقتلوه أو حرقوه بالنار ، ففعلوا ، فأرادوا إحراقه بالنار ، فأضرموا له النار ، فألقوه فيها ، فأنجاه الله منها ، ولم يسلطها عليه ، بل جعلها عليه برّداً وسلاماً .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله فما كان جواب قوم إبراهيم (إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ، فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ) قال : قال كعب : ما حقت منه إلا وثاقه (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول تعالى ذكره : إن في إنجائنا لإبراهيم من النار ، وقد آلتى فيها وهي تَسَعَّرُ ، وتصيرناها عليه برداً وسلاماً ، لأدلة وحججا لقوم يصدقون بالأدلة والحجج ، إذا عاينوا ورأوا .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ

بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ، وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ ، وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّصِيرِينَ (٢٥)

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل إبراهيم لقومه (وَقَالَ) إبراهيم لقومه : يا قوم (إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا) .

واختلفت القراء في قراءة قوله (مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ) فقرأته عامة قراء المدينة والشام وبعض الكوفيين (مَّوَدَّةً) بنصب مودة بغير إضافة بينكم ، بنصبها . وقرأ ذلك بعض الكوفيين (مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ) بنصب المودة وإضافتها إلى قوله (بَيْنِكُمْ) ، وخفض بينكم . وكان هؤلاء الذين قرءوا قوله (مَّوَدَّةً) نصباً وجهوا معنى الكلام : إلى إنما اتخذتم أيها القوم أوثاناً مودة بينكم ، فجعلوا إنما حرفاً واحداً ، وأوقعوا قوله (اتَّخَذْتُمْ) على الأوثان ، فنصبوها بمعنى : اتخذتموها مودة بينكم في الحياة الدنيا ، تتحابون على عبادتها ، وتتوادون على خدمتها ، فتتواصلون عليها . وقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والبصرة (مَّوَدَّةً بَيْنِكُمْ) برفع المودة ، وإضافتها إلى البين ، وخفض البين . وكان الذين قرءوا ذلك كذلك ، جعلوا «إِنَّمَا» حرفين ، بتأويل : إن الذين اتخذتم من دون الله أوثاناً ، إنما هو مودتكم للدنيا ، فرفعوا مودة على خبر إن . وقد يجوز أن يكونوا على قراءتهم ذلك رفعاً بقوله «إِنَّمَا» أن تكون حرفاً واحداً ، ويكون الخبر متناهيًا عند قوله (إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا) ثم ابتدئ الخبر فيقال : ما مودتكم تلك الأوثان بنافعتكم ،



إنما مودة بينكم في حياتكم الدنيا ، ثم هي منقطعة ، وإذا أريد هذا المعنى كانت المودة مرفوعة بالصفة ، بقوله ( فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) وقد يجوز أن يكونوا أرادوا برفع المودة ، رفعها على ضمير هي .  
وهذه القراءات الثلاث متقاربات المعاني ، لأن الذين اتخذوا الأوثان آلهة يعبدونها ، اتخذوها مودة بينهم ، وكانت لهم في الحياة الدنيا مودة ، ثم هي عنهم منقطعة ، فبأي ذلك قرأ القارئ فصيب ، لتقارب معاني ذلك ، وشهرة القراءة بكل واحدة منهن في قراءة الأمصار .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ، وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا ) قال : صارت كل خلة في الدنيا عداوة على أهلها يوم القيامة ، إلا خلة المتقين .  
وقوله ( ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ، وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا ) يقول تعالى ذكره : ثم يوم القيامة أيها المتوادون على عبادة الأوثان والأصنام ، والمتواصلون على خدماتها عند ورودكم على ربكم ، ومعاينتكم ما أعد الله لكم على التواصل ، والتواد في الدنيا من أليم العذاب ، يكفر بعضكم ببعض : يقول : يتبرأ بعضكم من بعض ، ويلعن بعضكم بعضا .  
وقوله ( وَمَا وَاكُمُ النَّارُ ) يقول جل ثناؤه : ومصير جميعكم أيها العابدون الأوثان وما تعبدون النار . ( وَمَا لَكُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ) يقول : وما لكم أيها القوم المتخذو الآلهة ، من دون الله مودة بينكم ، من أنصار ينصرونكم من الله ، حين يصليكم نار جهنم ، فينقذونكم من عذابه .

القول في تأويل قوله تعالى

\* فَتَأْمَنَ لَهُ لُوطٌ ، وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ، إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦)

يقول تعالى ذكره : فصدق إبراهيم خليل الله لوط ( وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ) يقول : وقال إبراهيم : إني مهاجر دار قومي ، إلى ربّي : إلى الشام .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فَتَأْمَنَ لَهُ لُوطٌ ) قال : صدق لوط ( وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ) قال : هو إبراهيم .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَتَأْمَنَ لَهُ لُوطٌ ) : أي فصدق لوط ( وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ) قال : هاجر جميعا من كوثي ، وهي من سواد الكوفة إلى الشام . قال : وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إِنَّمَا سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ ، يَنْحَازُ

أَهْلُ الْأَرْضِ إِلَى مُهَاجِرِ إِبْرَاهِيمَ ، وَيَسْتَقَى فِي الْأَرْضِ شِرَارُ أَهْلِهَا ، حَتَّى تَلْفِظَهُمْ وَتَقْدَرَهُمْ وَتَحْشُرَهُمُ النَّارَ مَعَ الْقِرَدَةِ وَالْحَنَازِيرِ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ ) قال : صدقه لوط ، صدق إبراهيم قال : أرأيت المؤمنين ، أليس آمنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به ؟ قال : فالإيمان : التصديق . وفي قوله ( إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ) قال : كانت هجرته إلى الشام . وقال ابن زيد في حديث الذئب الذي كلم الرجل ، فأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَأَمَنْتُ لَهُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَلَيْسَ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ مَعَهُ » يعني أمنت له : صدقته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ ) وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ) قال : إلى حرّان ، ثم أمر بعد بالشام الذي هاجر إبراهيم ، وهو أول من هاجر : يقول : ( فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ إِنِّي مُهَاجِرٌ ) . . . الآية .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : في قوله ( فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ) إبراهيم القائل : إني مهاجر إلى ربّي . وقوله ( إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) يقول : إن ربّي هو العزيز الذي لا يذلّ من نصره ، ولكنه يمنعه من أراد به سوء ، وإليه هجرته ، الحكيم في تدبيره خلقه ، وتصريفه إياهم فيما صرفهم فيه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ، وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره : ورزقناه من لدنا إسحاق ولدا ، ويعقوب من بعده ولدًا وولدًا .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ( وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ) قال : هما ولدا إبراهيم .

وقوله ( وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ) بمعنى الجمع ، يراد به الكتب ، ولكنه خرج مُخْرَجَ قَوْلِهِمْ : كثر الدرهم والدينار عند فلان .

وقوله ( وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ) يقول تعالى ذكره : وأعطيناه ثواب بلائه في الدنيا ( وَإِنَّهُ ) مع ذلك ( فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ) فله هناك أيضا جزاء الصالحين ، غير متمص حظه بما أعطى في الدنيا من الأجر على بلائه في الله ، عما له عنده في الآخرة .

وقيل : إن الأجر الذي ذكره الله عز وجل ، أنه آتاه إبراهيم في الدنيا : هو الثناء الحسن ، والولد الصالح .



ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وآتَيْنَاهُ أُجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ) قال : الثناء .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث قال : أرسل مجاهد رجلا يقال له قاسم إلى عكرمة ، يسأله عن قوله ( وآتَيْنَاهُ أُجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ) قال : قال أجره في الدنيا أن كل ملة تتولاه ، وهو عند الله من الصالحين ، قال : فرجع إلى مجاهد فقال : أصاب .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن مندل ، عن ذكره ، عن ابن عباس ( وآتَيْنَاهُ أُجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ) قال : الولد الصالح والثناء .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( وآتَيْنَاهُ أُجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ) يقول : الذكر الحسن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وآتَيْنَاهُ أُجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ) قال : عافية وعملا صالحا ، وثناء حسنا ، فليست بلاق أحدا من الملل إلا يرى إبراهيم ويتولاه ( وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ طَآءَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ : إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره لئيبه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر لوطا إذ قال لقومه : إنكم لتأتون الذُّكْرَانَ ( ما سَبَقَكُمْ بِهَا ) يعني بالفاحشة التي كانوا يأتونها ، وهي إتيان الذُّكْرَانَ ( مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ) : وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن خالد بن خدّاش ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : ثنا إسماعيل بن عُلَيْبَةَ ، عن ابن أبي نجيح ، عن عمرو بن دينار ، في قوله ( إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ) قال : ما نترأّ ذكّر على ذكّر ، حتى كان قوم لوط .

القول في تأويل قوله تعالى

أَءَنتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ ، وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ، فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا : أَتِنَّا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبل لوط لقومه ( أَتِنَّا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ) أيها القوم ( لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ ) في أدبارهم

( وَتَقَطَّعُونَ السَّبِيلَ ) يقول : وتقطعون المسافرين عليكم بفعلكم الخبيث ، وذلك أنهم فيما ذُكر عنهم كانوا يفعلون ذلك بمن مرّ عليهم من المسافرين ، ومن ورد بلادهم من الغرباء .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَتَقَطَّعُونَ السَّبِيلَ ) قال : السبيل : الطريق . المسافر إذا مرّ بهم ، وهو ابن السبيل قَطَّعُوا به ، وعملوا به ذلك العمل الخبيث . وقوله ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ ) اختلف أهل التأويل في المنكر الذي عناه الله ، الذي كان هؤلاء القوم يأتونه في ناديهم ، فقال بعضهم : كان ذلك أنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الرحمن بن الأسود ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، قال : ثنا رَوْحُ بن عَطِيفَةَ الثَّقَفِيُّ ، عن عمرو بن مصعب ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، في قوله ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ ) قال الضراط .

وقال آخرون : بل كان ذلك أنهم كانوا يحذفون من مرّ بهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْبٍ وابن وكيع قالا : ثنا أبو أسامة ، عن حاتم بن أبي صغيرة ، عن سماك بن حرب ، عن أبي صالح ، عن أمّ هانئ ، قالت : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ ) قال : « كانوا يحذفون أهل الطريق ، ويستخرون منهم » ، فهو المنكر الذي كانوا يأتون . حدثنا الربيع ، قال : ثنا أسد ، قال : ثنا أبو أسامة ، بإسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله . حدثنا أحمد بن عبدة الضبي ، قال : ثنا سليم بن أخضر ، قال : ثنا أبو يونس القشيري ، عن سماك بن حرب ، عن أبي صالح مولى أمّ هانئ ، أن أمّ هانئ سألت عن هذه الآية ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ ) فقالت : سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : كانوا يحذفون أهل الطريق ، وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عمر بن أبي زائدة ، قال : سمعت عكرمة يقول في قوله ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ ) قال : كانوا يؤذون أهل الطريق ، يحذفون من مرّ بهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن عمر بن أبي زائدة ، قال : سمعت عكرمة قال : الحذف .

حدثنا موسى ، قال : أخبرنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ )

قال : كان كل من مرّ بهم حذفوه ، فهو المنكر .

حدثنا الربيع ، قال : ثنا أسد ، قال : ثنا سعيد بن زيد ، قال : ثنا حاتم بن أبي صغيرة ، قال : ثنا

سماك بن حرب ، عن باذام ، عن أبي صالح مولى أمّ هانئ ، عن أمّ هانئ ، قالت : « سألت رسول الله صلى



الله عليه وسلم عن هذه الآية ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ ) قال « كانوا يجلسون بالطريق ،  
فَيَحْدِقُونَ أَبْنَاءَ السَّبِيلِ ، وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ » .  
وقال بعضهم : بل كان ذلك إتيانهم الفاحشة في مجالسهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كان يأتي بعضهم بعضا في  
مجالسهم ، يعني قوله ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ ) .

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا ثابت بن محمد اللبتي ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور  
ابن المعتز ، عن مجاهد ، في قوله ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ ) قال : كان يجامع بعضهم بعضا  
في المجالس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ  
الْمُنْكَرَ ) قال : كان يأتي بعضهم بعضا في المجالس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كانوا يجامعون  
الرجال في مجالسهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ ) قال : المجالس ،  
والمُنْكَرُ : إتيانهم الرجال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ )  
قال : كانوا يأتون الفاحشة في ناديهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ  
الْمُنْكَرَ ) قال : ناديهم : المجالس ، والمُنْكَرُ : عملهم الخبيث الذي كانوا يعملونه ، كانوا يعترضون بالراكب  
فيأخذونه ويركبونه . وقرأ ( أْتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ) ، وقرأ ( مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ  
مِنَ الْعَالَمِينَ ) .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَتَأْتُونَ  
فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ ) يقول : في مجالسكم .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : معناه : وتحذفون في مجالسكم المارة بكم ، وتسخرتون  
منهم ، لما ذكرنا من الرواية بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله ( قَمَّآ كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ) :  
يقول تعالى ذكره : فلم يكن جواب قوم لوط إذ نهاهم عما يكرهه الله من إتيان الفواحش التي حرمها الله ،  
إلا قبيلهم : ائتنا بعذاب الله الذي تعدنا ، إن كنت من الصادقين فيما تقول ، والمنجزين لما تعد .

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا: إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنْ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١)

يقول تعالى ذكره ( ولما جاءت رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى ) من الله بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، ( قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ) يقول : قالت رسل الله لإبراهيم : إنا مهلكو أهل هذه القرية ، قرية سدّوم ، وهي قرية قوم لوط ( إِنْ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ) يقول : إن أهلها كانوا ظالمى أنفسهم بمعصيتهم الله ، وتكذيبهم رسوله صلى الله عليه وسلم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى ) . . . إلى قوله ( نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ) قال : فجادل إبراهيم الملائكة في قوم لوط أن يتركوا ، قال : فقال أرايم إن كان فيها عشرة آيات من المسلمين أتركونهم ؟ فقالت الملائكة : ليس فيها عشرة آيات ، ولا خمسة ، ولا أربعة ، ولا ثلاثة ، ولا اثنان ، قال : فحزّن على لوط وأهل بيته ، فقال ( إِنْ فِيهَا لُوطًا ، قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ، لَنَنْجِيَنَّه وَأَهْلَهُ ، إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ) فذلك قوله ( يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ، إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ) . فقالت الملائكة : ( يَا إِبْرَاهِيمُ اعْرِضْ عَنْ هَذَا ، إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ) فبعث الله إليهم جبرائيل صلى الله عليه وسلم ، فانقسف المدينة وما فيها بأحد جناحيه ، فجعل عاليها سافلها ، وتتبعهم بالحجارة بكل أرض .

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : إِنْ فِيهَا لُوطًا ، قَالُوا : نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ، لَنَنْجِيَنَّه وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم للرسول من الملائكة ، إذ قالوا له ( إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنْ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ) فلم يستثنوا منهم أحدا ، إذ وصفوهم بالظلم : إن فيها لوطا ، وليس من الظالمين ، بل هو من رسل الله ، وأهل الإيمان به ، والطاعة له ، فقالت الرسل له : ( نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ) من الظالمين الكافرين بالله منك ، وإن لوطا ليس منهم ، بل هو كما قلت من أولياء الله ، لننجينه وأهله من الهلاك الذي هو نازل بأهل قريته ( إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ) الذين أبقتهم الدهور والأيام ، وتناولت أعمارهم وحياتهم ، وأنها هالكة من بين أهل لوط مع قومها .



## القول في تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ ، وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ، وَقَالُوا : لَا تَحْفَ وَلَا تَحْزَنْ ، إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره ( وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا ) من الملائكة ( سِيءَ بِهِمْ ) يقول : ساءته الملائكة بمجيئهم إليه ، وذلك أنهم تَصَيَّفُوهُ ، فساووه بذلك ، فقوله ( سِيءَ بِهِمْ ) : فَعِيلَ بِهِمْ مِنْ سَاءَ بِذَلِكَ .

وذكر عن قتادة أنه كان يقول : ساء ظنه بقومه ، وضاق بضيفه ذَرْعًا .

حدثنا بذلك الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا مَعْمَرُ عَنْهُ ( وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ) يقول : وضاق ذرعه بضيفهم ، لما علم من حُبِّبِ فَعِلَ قومه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ) قال : بالضيفة ، مخافة عليهم مما يعلم من شرِّ قومه .

وقوله ( وَقَالُوا لَا تَحْفَ وَلَا تَحْزَنْ ) يقول تعالى ذكره : قالت الرسل للوط : لا تخف علينا أن يصل إلينا قومك ، ولا تحزن مما أخبرناك من أنا مهلكوهم ، وذلك أن الرسل قالت له ( يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ، لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ، فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ، إِنَّا مَنجُوكَ ) من العذاب الذي هو نازل بقومك ( وَأَهْلَكَ ) يقول : ومنجو أهلك معك ( إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ ) فإنها هالكة فيمن يهلك من قومها ، كانت من الباقيين الذين طالت أعمارهم .

## القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل الرسل للوط ( إِنَّا مُنْزِلُونَ ) بالوط ( عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ) سَدُومَ ( رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ ) يعني عذاباً .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا ) : أى عذاباً .

وقد بيننا معنى الرجز وما فيه من أقوال أهل التأويل ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وقوله ( بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ) يقول : بما كانوا يأتون من معصية الله ، ويركبون من الفاحشة .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ تَرَكْنَا مَنَافِئَهُمْ لِقَوْمٍ يَمْقِلُونَ (٣٥)

يقول تعالى ذكره: ولقد أبقينا من فعلتنا التي فعلنا بهم آية ، يقول : عبرة بينة، وعظة واعظة، لقوم يعقلون عن الله حُجَجَه، ويتفكرون في مواعظه، وتلك الآية البينة هي عندي: عَشُوا آثَارَهُمْ، ودروس معالمهم. وذكر عن قتادة في ذلك ما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة ( وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ) قال : هي الحجارة التي أمطرت عليهم .  
حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث، قال : ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ( مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً ) قال : عبرة .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يٰ قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ، وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ

مُفْسِدِينَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : وأرسلت إلى مَدْيَنَ أخاهم شعيبا ، فقال لهم : يا قوم اعبدوا الله وحده، وذئبوا له بالطاعة ، واخضعوا له بالعبادة ( وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ ) يقول : وارجوا بعبادتكم إياي جزاء اليوم الآخر ، وذلك يوم القيامة ( وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ) يقول : ولا تكثروا في الأرض معصية الله ، ولا تقيموا عليها ، ولكن توبوا إلى الله منها وأنيبوا .  
وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب يتأول قوله ( وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ ) بمعنى : واخشوا اليوم الآخر . وكان غيره من أهل العلم بالعربية ينكر ذلك ويقول : لم نجد الرجاء بمعنى الخوف في كلام العرب إلا إذا قارنه بالتحديد .

## القول في تأويل قوله تعالى

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ ، فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جاثِمِينَ (٣٧)

يقول تعالى ذكره : فكذب أهل مَدْيَنَ شعيبا ، فيما أتاهم به عن الله من الرسالة ، فأخذتهم رَجْفَةً العذاب ، فأصبحوا في دارهم جاثمين جثوما ، بعضهم على بعض مَوْتَى .  
كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة ( فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جاثِمِينَ ) :  
أى ميتين .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلِهِمْ ، فَصَدَّهُمْ عَنِ

السَّبِيلِ ، وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨)

يقول تعالى ذكره : واذكروا أيها القوم عادا وثمود ، وقد تبين لكم من مساكنهم خرابها وخلأؤها



منهم بوقائعنا بهم ، وحلول سَطَوْتَنَا بِجَمِيعِهِمْ ( وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ) يقول : وحسَّن لهم الشيطان كفرهم بالله ، وتكذَّبهم رسله ( فَصَدَّ هُمْ عَنِ السَّبِيلِ ) يقول : فردَّهم بتزيينه لهم ما زَيَّن لهم من الكفر ، عن سبيل الله ، التي هي الإيمان به ورسله ، وما جاءوهم به من عند ربهم ( وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ) يقول : وكانوا مستبصرين في ضلالهم ، مُعْجَبِينَ بها ، يحسبون أنهم على هدى وصواب ، وهم على الضلال . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فَصَدَّ هُمْ عَنِ السَّبِيلِ ، وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ) يقول : كانوا مستبصرين في دينهم .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ) في الضلالة .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ) في ضلالهم مُعْجَبِينَ بها .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول ، في قوله ( وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ) يقول : في دينهم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَقُرُونٌ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ ، وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ، فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩)

يقول تعالى ذكره : واذكر يا محمد قارون وفرعون وهامان ، ولقد جاء جميعهم موسى بالبينات ، يعني بالواضحات من الآيات ، فاستكبروا في الأرض عن التصديق بالبينات من الآيات ، وعن اتباع موسى صلوات الله عليه ( وما كانوا سابقين ) : يقول تعالى ذكره : وما كانوا سابقينا بأنفسهم ، فيفوتونا ، بل كنا مقتدرين عليهم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ، فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ، وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ ، وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ ، وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠)

يقول تعالى ذكره : فأخذنا جميع هذه الأمم التي ذكرناها لك يا محمد بعدابنا ( فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ) وهم قوم لُوط ، الذين أمطر الله عليهم حجارة من سجيل منضُود ، والعرب تسمى الريح العاصف التي فيها الحصى الصغار أو الثلج أو البرد والجليد حاصبا ؛ ومنه قول الأخطل :

وَأَقْدَمَ عَلِمْتُ إِذَا الْعِشَارُ تَرَوَّحَتْ      هَدَجَ الرَّثَالِ تَكْبِهُنَّ شَيْلًا  
تَرْمِي الْعِضَاءَ بِحَاصِبٍ مِّنْ تَلْجِجِهَا      حَتَّى يَبْدِيَتْ عَلَى الْعِضَاءِ جُفَالًا<sup>١</sup>  
وقال الفرزدق :

مُسْتَقْبِلِينَ شِمَالَ الشَّامِ تَضْرِبُنَا      بِحَاصِبِ كَنْدِيفِ الْقُطْنِ مَنَشُورِ<sup>٢</sup>  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : قال ابن عباس :  
( فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ) قوم لوط .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا )  
وهم قوم لوط ( وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ) .  
اختلف أهل التأويل في الذين عُنُوا بذلك ، فقال بعضهم : هم ثمود قوم صالح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : قال ابن عباس  
( وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ) : ثمود .  
وقال آخرون : بل هم قوم شعيب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ )  
قوم شعيب .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله قد أخبر عن ثمود وقوم شعيب من أهل مدين أنه  
أهلكهم بالصيحة في كتابه ، في غير هذا الموضع ، ثم قال جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم : فن الأمم التي  
أهلكناهم ، مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا ، ومنهم مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ، فلم يَنْحُصْ الخبر بذلك عن بعض مَنْ  
أخذته الصيحة من الأمم دون بعض ، وكلا الأمتين أعنى ثمود ومدين قد أخذتهم الصيحة .  
وقوله ( وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ ) : يعنى بذلك قارون .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : قال ابن عباس :

(١) البيت للأعطل ، وقد سبق الاستشهاد بهما في غير هذا الموضع من التفسير انظره في (١٥ : ١٢٤) .  
(٢) البيت للفرزدق ، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة رقم ١٨٥) قال : « أرسلنا عليه حاصبا » :  
أي ريجا عاصفا فيها حصى ، ويكون في كلام العرب الحاصب من الجليد ونحوه أيضا . وقال الفرزدق : « مستقبلين شمال الشام » . . .  
البيت . ٨١ .



(وَمِنْهُمْ مَنٌ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ) : قارون (وَمِنْهُمْ مَنٌ أَعْرَقْنَا) يعني : قوم نوح وفرعون وقومه .  
واختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : عني بذلك قوم نوح عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس :  
(وَمِنْهُمْ مَنٌ أَعْرَقْنَا) : قوم نوح .  
وقال آخرون : بل هم قوم فرعون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمِنْهُمْ مَنٌ أَعْرَقْنَا) قوم فرعون .  
والصواب من القول في ذلك ، أن يقال : عني به قوم نوح وفرعون وقومه ، لأن الله لم يخص بذلك  
إحدى الأمتين دون الأخرى ، وقد كان أهلكهما قبل نزول هذا الخبر عنهما ، فهما معنيتان به .  
وقوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) يقول تعالى ذكره : ولم  
يكن الله ليهلك هؤلاء الأمم الذين أهلكهم بذنوب غيرهم ، فيظلمهم بإهلاكه إياهم بغير استحقاق ، بل إنما  
أهلكهم بذنوبهم ، وكفرهم بربهم ، وجحودهم نعمه عليهم ، مع تنابح إحسانه عليهم ، وكثرة أياديه عندهم ،  
ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ، بتصرفهم في نعم ربهم ، وتقلبهم في آلائه ، وعبادتهم غيره ، ومعصيتهم من  
أنعم عليهم .

القول في تأويل قوله تعالى

مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ، وَإِنْ أَوْهَنَ  
الْبَيْوتُ لَبِيتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١)

يقول تعالى ذكره : مثل الذين اتخذوا الآلة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها ونفعها عند  
حاجتهم إليها في ضعف احتياهم ، وقبح رواياتهم ، وسوء اختيارهم لأنفسهم ، كمثال العنكبوت في ضعفها ،  
وقلة احتياها لنفسها ، اتخذت بيتا لنفسها ، كما يكنيتها ، فلم يغن عنها شيئا عند حاجتها إليه ، فكذلك هؤلاء  
المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم أمر الله ، وحل بهم سخطه ، أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله ، شيئا ،  
ولم يدفعوا عنهم ما أجل الله بهم من سخطه بعبادتهم إياهم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا) . . . إلى آخر  
الآية ، قال : ذلك مثل ضربه الله لمن عبد غيره ، أن مثله كمثال بيت العنكبوت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ ) قال : هذا مثل ضربه الله للمشرك ، مَثَلُ إله الذي يدعو من دون الله ، كمثل بيت العنكبوت ، واهن ضعيف لا ينفعه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ) قال : هذا مثل ضربه الله ، لا يغني أولياؤهم عنهم شيئاً ، كما لا يغني العنكبوت بيئها هذا .

وقوله ( وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ ) يقول : وإن أضعف البيوت ( لَبَيَّتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ) يقول تعالى ذكره : لو كان هؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، يعلمون أن أولياءهم الذين اتخذوهم من دون الله ، في قلة غنائهم عنهم ، كغنائ بيت العنكبوت عنها ، ولكنهم يجهلون ذلك ، فيحسبون أنهم ينفعونهم ، ويقربونهم إلى الله زلفى .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤٢) وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ، وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٣)

اختلف القراء في قراءة قوله ( إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ ) فقرأته عامة قراء الأمصار ( تَدْعُونَ ) بالتاء ، بمعنى الخطاب لمشركي قريش . ( إِنَّ اللَّهَ ) أيها الناس ( يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ) . وقرأ ذلك أبو عمرو ( إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ ) بالياء بمعنى الخبر عن الأمم ، إن الله يعلم ما يدعو هؤلاء الذين أهلكتهم من الأمم من دونه من شيء .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : قراءة من قرأ بالتاء ، لأن ذلك لو كان خبراً عن الأمم الذين ذكرهم الله أنه أهلكتهم ، لكان الكلام : إن الله يعلم ما كانوا يدعون ، لأن القوم في حال نزول هذا الخبر على نبي الله ، لم يكونوا موجودين ، إذ كانوا قد هلكوا فبادوا ، وإنما يقال : إن الله يعلم ما تدعون إذا أريد به الخبر عن موجودين ، لاعن قد هلك .

فتأويل الكلام إذ كان الأمر كما وصفنا : إن الله يعلم أيها القوم ، حال ما تعبدون من دونه من شيء ، وأن ذلك لا ينفعكم ولا يضركم ، إن أراد الله بكم سوءاً ، ولا يغني عنكم شيئاً ؛ وإن مثله في قلة غنايته عنكم ، مَثَلُ بيت العنكبوت في غنايته عنها .

وقوله ( وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) يقول : والله العزيز في انتقامه من كفر به ، وأشرك في عبادته معه غيره ، فاتقوا أيها المشركون به عقابه ، بالإيمان به قبل نزوله بكم ، كما نزل بالأمم الذين قص الله قصصهم في هذه السورة عليكم ، فإنه إن نزل بكم عقابه ، لم تغن عنكم أولياؤكم الذين اتخذتموهم من دونه أولياء ، كما لم يغن



عَسَيْتُمْ مِّنْ قَبْلِكُمْ أُولِيَّاءُ لَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ مِنْ دُونِهِ، الْحَكِيمِ فِي تَدْبِيرِهِ خَلَقَهُ ١ ، فَهَلِكُ مِنْ اسْتَوْجِبَ الْهَلَاكَ ، فِي الْحَالِ الَّتِي هَلَاكَ صَلاَحُ ، وَالْمُؤَخَّرُ مِنْ أُخَّرَ هَلَاكَ مِنْ كَفْرَةِ خَلَقَهُ بِهِ إِلَى الْحَيْنِ الَّذِي فِي هَلَاكَ الصَّلاَحِ .  
 وَقَوْلُهُ ( وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : وَهَذِهِ الْأَمْثَالُ ، وَهِيَ الْأَشْبَاهُ وَالنِّظَائِرُ ( نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ) : يَقُولُ : نَمَثَّلُهَا وَنَشَبِّهُهَا ، وَنَحْتَجُّ بِهَا لِلنَّاسِ ، كَمَا قَالَ الْأَعْمَشِيُّ :  
 هَلْ تَذْكُرُ الْعَهْدَ مِنْ تَنْمِصَ إِذْ تَضْرِبُ لِي قَاعِدًا بِهَا مَثَلًا ٢  
 ( وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : وَمَا يَعْقِلُ أَنَّهُ صَيَّبَ بِهَذِهِ الْأَمْثَالِ الَّتِي نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ مِنْهُمْ الصَّوَابُ وَالْحَقُّ ، فِيمَا ضُرِبَتْ لَهُ مَثَلًا ، إِلَّا الْعَالِمُونَ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ .

القول في تأويل قوله تعالى

خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٤١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : خلق الله يا محمد السموات والأرض وحده ، منفردا بخلقها ، لا يشركه في خلقها شريك ( إن في ذلك لآية ) : يقول : إن في خلقه ذلك ، لحجة لمن صدق بالحجج إذا عاينها ، والآيات إذا رآها .

القول في تأويل قوله تعالى

أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ، وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ، إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ( أتل ما أوحى إليك من الكتاب ) : يعني اقرأ ( ما أوحى إليك من الكتاب ) يعني ما أنزل إليك من هذا القرآن ( وأقم الصلاة ) يعني : وأد الصلاة التي فرضها الله عليك بحدودها . ( إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ) : اختلف أهل التأويل في معنى الصلاة التي ذكرت في هذا الموضع ، فقال بعضهم : عني بها القرآن الذي يقرأ في موضع الصلاة ، أو في الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أبي الوفاء ، عن أبيه ، عن ابن عمر ( إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ) قال : القرآن الذي يقرأ في المساجد .

(١) العبارة من أول قوله « كما لم يكن عنهم . . . إلى هنا : عمرة الفهم . فلتأمل .

(٢) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة ( ديوانه طبع القاهرة شرح الدكتور محمد حسين ص ٢٣٧ ) وفيه « في » في موضع « من » و « في » أوجه . وتنص ، بفتح أوله وثانيه ، بعده ميم مشددة مضمومة . وصاد مهملة : موضع . هكذا ذكره أبو حاتم ، وأنشد للأعشى :  
 هل تعرف الدر في تنص إذ      تضرب لي قاعدا بها مثلا

وتنص في ديار حير ، لأنه منح بها ذا فائش الحميري ، وزعم أنه قال له : مالك لا تمدحني ، وضرب له مثلا . ( انظر معجم ما استعجم للبكري . ترتيب مصطفي السقا ص ٣٢٢ ) . والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ( ١١٨٥ ) وروايته : هل تذكر العهد في تنص . والمؤلف اشتمد به عند قوله تعالى : وتلك الأمثال نضربها للناس . قال أبو عبيدة : مجازه : هذه الأشباه والنظائر نحتج بها .

وقال آخرون : بل عُنِيَ بها الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ) يقول : في الصلاة منتهى ومُزْدَجَرٌّ عن معاصي الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن العلاء بن المسيب ، عن ذكره ، عن ابن عباس ، في قول الله ( إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ) من لم تنه صلته عن الفحشاء والمنكر ، لم يزد بصلته من الله إلا بُعدا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا خالد ، قال : قال العلاء بن المسيب ، عن سمرة بن عطية ، قال : قيل لابن مسعود ، إن فلانا كثير الصلاة ، قال : فإنها لا تنفع إلا من أطاعها ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن ابن مسعود ، قال : من لم تأمره صلته بالمعروف ، وتنهه عن المنكر ، لم يزد بها من الله إلا بُعدا .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عليّ بن هاشم بن البريد ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « لا صلاة لمن لم يطيع الصلاة ، وطاعة الصلاة : أن تنهى عن الفحشاء والمنكر » قال : قال سفيان . ( قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرُك ) قال : فقال سفيان : إني والله تأمره ونهاه .

قال عليّ : وحدثنا إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ تَنْهَهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، لَمْ يَزِدْ بِهَا مِنْ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا » .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : الصلاة إذا لم تنه عن الفحشاء والمنكر ، قال : من لم تنه صلته عن الفحشاء والمنكر ، لم يزد من الله إلا بُعدا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة والحسن ، قال : من لم تنه صلته عن الفحشاء والمنكر ، فإنه لا يزداد من الله بذلك إلا بُعدا .

والصواب من القول في ذلك أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، كما قال ابن عباس وابن مسعود .

فإن قال قائل : وكيف تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر ، إن لم يكن معنينا بها ما يتلصق فيها ؟ قيل : تنهى من كان فيها ، فتحول بينه وبين إتيان الفواحش ، لأن شغله بها ، يقطع عن الشغل بالمنكر ، ولذلك قال ابن مسعود : من لم يطيع صلته ، لم يزد من الله إلا بُعدا ، وذلك أن طاعته لها : إقامته إياها بحدودها ، وفي طاعته لها مُزْدَجَرٌّ عن الفحشاء والمنكر .

حدثنا أبو حميد الحمصي ، قال : ثنا يحيى بن سعيد العطار ، قال : ثنا أرطاة ، عن ابن عون ، في قول الله : ( إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ) قال : إذا كنت في صلاة ، فأنت في معروف ، وقد حجرتك عن الفحشاء والمنكر ، والفحشاء : هو الزنا . والمنكر : معاصي الله . ومن أتى فاحشة أو عصي الله في صلته بما يفسد صلته ، فلا شك أنه لا صلاة له .



وقوله (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن ربيعة ، قال : قال لي ابن عباس : هل تدري ما قوله (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) قال : قلت : نعم ، قال : فما هو ؟ قال : قلت : التسييح والتحميد والتكبير في الصلاة ، وقراءة القرآن ونحو ذلك ، قال : لقد قلت قولاً عجيباً ، وما هو كذلك ، ولكنه إنما يقول : ذكر الله إياكم عندما أمر به أو نهى عنه ، إذا ذكرتموه ، أكبر من ذكركم إياه . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن ابن ربيعة ، عن ابن عباس قال : ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن عبد الله بن ربيعة ، قال : سألت ابن عباس ، عن قول الله (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) فقلت : ذكره بالتسييح والتكبير والقرآن : حسن ، وذكره عند المحارم فيحتجز عنها ، فقال : لقد قلت قولاً عجيباً ، وما هو كما قلت ، ولكن ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن ربيعة ، عن ابن عباس (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) قال : ذكر الله للعبد : أفضل من ذكره إياه .

حدثنا محمد بن المنثري وابن وكيع ، قال ابن المنثري ، ثنا عبد الأعلى ، وقال ابن وكيع : ثنا عبد الأعلى : قال : ثنا داود ، عن محمد بن أبي موسى ، قال : كنت قاعداً عند ابن عباس ، فجاءه رجل ، فسأل ابن عباس عن ذكر الله أكبر ، فقال ابن عباس : الصلاة والصوم ، قال : ذاك ذكر الله ، قال رجل : إني تركت رجلاً في رحلي يقول غير هذا ، قال (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) قال : ذكر الله العباد : أكبر من ذكر العباد إياه ، فقال ابن عباس : صدق والله صاحبك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القسبي ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، قال : جاء رجل إلى ابن عباس ، فقال : حدثني عن قول الله (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) قال : ذكر الله لكم : أكبر من ذكركم له . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن داود ، عن عكرمة (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) قال : ذكر الله للعبد : أفضل من ذكره إياه .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا ابن فضيل ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) قال : هو قوله (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) وذكر الله إياكم : أكبر من ذكركم إياه . حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) لعباده إذا ذكروه : (أكبر) من ذكركم إياه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الخارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَدِكُمْ اللهُ أَكْبَرُ ) قال : ذكر الله عبده : أكبر من ذكر العبد ربه ، في الصلاة أو غيرها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، عن داود بن أبي هند ، عن محمد بن أبي موسى ، عن ابن عباس ، قال : ذكر الله إياكم إذا ذكرتموه : أكبر من ذكركم إياه .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميمة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عامر ، عن أبي قرة ، عن سلمان ، مثله .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا عبد الحميد بن جعفر ، عن صالح بن أبي عريب ، عن كثير بن مرة الحضرمي ، قال : سمعت أبا الدرداء ، يقول : « ألا أخبركم بخير أعمالكم ، وأحبها إلى مليكم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير من أن تغزوا عدوكم ، فتضربوا أعناقهم ، وخير من إعطاء الدنانير والدرهم ؟ قالوا : ما هو ؟ قال : ذكركم ربكم ، وذكر الله أكبر » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا سفيان ، عن جابر ، عن عامر ، عن أبي قرة ، عن سلمان ( وَلَدِكُمْ اللهُ أَكْبَرُ ) قال : قال ذكر الله إياكم : أكبر من ذكركم إياه .

قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، قال : سألت أبا قرة ، عن قوله ( وَلَدِكُمْ اللهُ أَكْبَرُ ) قال : ذكر الله إياكم : أكبر من ذكركم إياه .

قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة قالا : ذكر الله إياكم : أكبر من ذكركم إياه .  
قال : ثنا ابن فضيل ، عن مطرف ، عن عطية ، عن ابن عباس ، قال : هو كقولهم ( اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ) فذكر الله إياكم : أكبر من ذكركم إياه .

قال : ثنا حسن بن علي ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن شقيق ، عن عبد الله ( وَلَدِكُمْ اللهُ أَكْبَرُ ) قال : ذكر الله العبد أكبر من ذكر العبد لربه .

قال : ثنا أبو يزيد الرازي ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن شعبة ، قال : ذكر الله لكم : أكبر من ذكركم له .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولذكركم الله أفضل من كل شيء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عمر بن أبي زائدة ، عن العيزار بن حرث ، عن رجل ، عن سلمان ، أنه سئل : أي العمل أفضل ؟ قال : أما قرأ القرآن ( وَلَدِكُمْ اللهُ أَكْبَرُ ) : لاشيء أفضل من ذكر الله .

حدثنا ابن حميد أحمد بن المغيرة الحمصي ، قال : ثنا علي بن عياش ، قال : ثنا الليث ، قال : ثنا معاوية ، عن ربيعة بن يزيد ، عن إسماعيل بن عبيد الله ، عن أم الدرداء ، أنها قالت ( وَلَدِكُمْ اللهُ أَكْبَرُ ) فإن صليت فهو من ذكر الله ، وإن صمت فهو من ذكر الله ، وكل خير عمله فهو من ذكر الله ، وكل شر تجتنبه فهو من ذكر الله ، وأفضل ذلك : تسبيح الله .



حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ) قال : لأشياء أكبر من ذكر الله ، قال : أكبر الأشياء كلها ، وقرأ ( أقيم الصلاة لذكركم ) قال : لذكر الله : وإنه لم يصفه عند القتال إلا أنه أكبر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن أبي إسحاق ، قال : قال رجل لسلمان : أى العمل أفضل ؟ قال : ذكر الله .

وقال آخرون : هو محتمل للوجهين جميعا ، يعنون القول الأول الذى ذكرناه ، والثانى .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله ( وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ) قال : لها وجهان : ذكر الله أكبر مما سواه ، وذكر الله إياكم : أكبر من ذكركم إياه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، قال : ثنا خالد الخذاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى ( وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ) قال : لها وجهان : ذكر الله إياكم : أكبر من ذكركم إياه ، وذكر الله عند ما حرّم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لذكر الله العبد فى الصلاة : أكبر من الصلاة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبید الله ، عن إسرائيل ، عن السدى ، عن أبي مالك ، فى قوله ( وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ) قال : ذكر الله العبد فى الصلاة ، أكبر من الصلاة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وللصلاة التى أتيت أنت بها ، وذكرك الله فيها ، أكبر مما نهيتك الصلاة ، من الفحشاء والمنكر .

حدثني أحمد بن المغيرة الحمصي ، قال : ثنا يحيى بن سعيد العطار ، قال : ثنا أروطة ، عن ابن عون ، فى قول الله ( إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ ) والذى أنت فيه من ذكر الله أكبر .

قال أبو جعفر : وأشبه هذه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر التنزيل قول من قال : ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه .

وقوله ( وَاللَّهُ يُعَلِّمُ مَا تَصْنَعُونَ ) يقول : والله يعلم ما تصنعون أيها الناس فى صلاتكم ، من إقامة حدودها ، وترك ذلك ، وغيره من أموركم ، وهو مجازيكم على ذلك ، يقول : فاتقوا أن تضيعوا شيئاً من حدودها ، والله أعلم .

تم الجزء العشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرى

ويليه الجزء الحادى والعشرون

أوله : القول فى تأويل قوله تعالى ( وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ )

# جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عن

## نَافِلَاتِ آيِ الْقُرْآنِ

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج  
الناس من الظلمات إلى النور بإذن  
ربهم إلى صراط العزيز الحميد »  
قرآن كريم  
« ما أعلم على آدم الأرض أعلم  
من ابن جرير » .  
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المنوفى ٣١٠ سنة

الجزء الحادي والعشرون

الطبعة الثانية

١٣٧٢ هـ - ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
قَدْ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْفَصِيحَةِ  
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
قَدْ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْفَصِيحَةِ  
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

قَدْ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْفَصِيحَةِ  
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْفَصِيحَةِ  
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهارس الجزء الحادى والعشرين

من

جامع البيان، عن تأويل آى القرآن

لأبى جعفر : محمد بن جرير الطبرى

الفهرس الأول : للآيات المفسرة .

الفهرس الثانى : للموضوعات .

الفهرس الثالث : للقوافى .



## ١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٦	ولا تجادلوا أهل الكتاب . . .	٤٦	٦٨	ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا . . .	١٤
٤٧	وكذلك أنزلنا إليك الكتاب . . .	٤٧	٦٩	والذين جاهلوا فينا لنهدينهم سبيلنا . . .	١٥
٤٨	وما كنت تتلوا من قبله من كتاب . . .	٤٨		تفسير سورة الروم	
٤٩	بل هو آيات بينات في صدور . . .	٤٩	١	الم . . .	١٥
٥٠	وقالوا لولا أنزل عليه آيات . . .	٥٠	٢	نزلنا القرآن . . .	١٥
٥١	أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب . . .	٥١	٣	في أدنى الأرض . . .	١٥
٥٢	قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا . . .	٥٢	٤	في بضع تسنين لله الأمر . . .	١٥
٥٣	ويستعجلونك بالعذاب . . .	٥٣	٥	بنصر الله ينصر من يشاء . . .	١٥
٥٤	يستعجلونك بالعذاب . . .	٥٤	٦	وعد الله لا يخلف الله وعده . . .	٢٢
٥٥	يوم يغشاهم العذاب من فوقهم . . .	٥٥	٧	يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا . . .	٢٢
٥٦	يا عبادى الذين آمنوا . . .	٥٦	٨	أو لم يتفكروا فى أنفسهم . . .	٢٤
٥٧	كل نفس ذائقة الموت . . .	٥٧	٩	أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا . . .	٢٤
٥٨	والذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	٥٨	١٠	ثم كان عاقبة الذين أساءوا السواى . . .	٢٥
٥٩	الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون . . .	٥٩	١١	الله يبدأ الخلق ثم يعيده . . .	٢٥
٦٠	وكأين من دابة لا تحمل رزقها . . .	٦٠	١٢	ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون . . .	٢٦
٦١	ولئن سألتهم من خلق السموات . . .	٦١	١٣	ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء . . .	٢٦
٦٢	الله ييسر الرزق لمن يشاء من عباده . . .	٦٢	١٤	ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون . . .	٢٦
٦٣	ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء . . .	٦٣	١٥	فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	٢٦
٦٤	وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب . . .	٦٤	١٦	وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا . . .	٢٨
٦٥	فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين . . .	٦٥	١٧	فسبحان الله حين تمسون . . .	٢٨
٦٦	ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا . . .	٦٦	١٨	وله الحمد فى السموات والأرض . . .	٢٨
٦٧	أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا . . .	٦٧	١٩	يخرج الحى من الميت . . .	٣٠
			٢٠	ومن آياته أن خلقكم من تراب . . .	٣٠

الآية رقم	الآية المفسرة	الصفحة	الآية رقم	الآية المفسرة	الصفحة
٢٢١	ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتكنوا عائلاتاً ويؤمنوا به ولينصحنكم	٣١	٢٢١	ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتكنوا عائلاتاً ويؤمنوا به ولينصحنكم	٣١
٢٢٢	ومن آياته خلق السموات والأرض مبسوطة ثم مددها	٣١	٢٢٢	ومن آياته خلق السموات والأرض مبسوطة ثم مددها	٣١
٢٢٣	ومن آياته من أنزل لكم الكتاب المبين	٣٢	٢٢٣	ومن آياته من أنزل لكم الكتاب المبين	٣٢
٢٢٤	ومن آياته يريكم البرق بالخوف والحجارة المنجاة	٣٢	٢٢٤	ومن آياته يريكم البرق بالخوف والحجارة المنجاة	٣٢
٧٢٥	ومن آياته أن تقوم الساعة وهم لا يعلمون	٣٤	٧٢٥	ومن آياته أن تقوم الساعة وهم لا يعلمون	٣٤
٨٢٦	وله من في السموات والأرض من يعبد الله عنه ما لا تعلمون	٣٤	٨٢٦	وله من في السموات والأرض من يعبد الله عنه ما لا تعلمون	٣٤
٨٢٧	وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ثم يبدأ له الخلق	٣٤	٨٢٧	وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ثم يبدأ له الخلق	٣٤
٦٢٨	ضرب لكم مثلا من أنصفكم لذاتكم والنفس	٣٨	٦٢٨	ضرب لكم مثلا من أنصفكم لذاتكم والنفس	٣٨
٦٢٩	هل اتبع الذين ظلموا أهلهم والذين ظلموا	٣٩	٦٢٩	هل اتبع الذين ظلموا أهلهم والذين ظلموا	٣٩
٦٣٠	فأقم وجهك للدين الحنيف الذي فطرنا	٤٧	٦٣٠	فأقم وجهك للدين الحنيف الذي فطرنا	٤٧
٦٣١	منيبين على الله وأنقذوا الصلوات	٤٧	٦٣١	منيبين على الله وأنقذوا الصلوات	٤٧
٧٣٢	من الذين لقوا قولهم وكانوا شيعلة	٤٧	٧٣٢	من الذين لقوا قولهم وكانوا شيعلة	٤٧
٧٣٣	وإذا مست الظلمة فمنها نور	٤٧	٧٣٣	وإذا مست الظلمة فمنها نور	٤٧
٧٣٤	ليكفروا بما لا يفتنون بها	٤٧	٧٣٤	ليكفروا بما لا يفتنون بها	٤٧
٨٣٥	أم أنزلنا عليهم السلطان	٤٤	٨٣٥	أم أنزلنا عليهم السلطان	٤٤
٧٣٦	وإذا أذقنا الناس رحمة	٤٤	٧٣٦	وإذا أذقنا الناس رحمة	٤٤
٧٣٧	أو لم يروا أن الله يبسط الرزق	٤٤	٧٣٧	أو لم يروا أن الله يبسط الرزق	٤٤
٧٣٨	فأت ذا القرنين بجده	٤٩	٧٣٨	فأت ذا القرنين بجده	٤٩
٧٣٩	وما آتيتم من ربا ليزول	٤٩	٧٣٩	وما آتيتم من ربا ليزول	٤٩
٧٤٠	الله الذي خلقكم ثم ردكم	٤٨	٧٤٠	الله الذي خلقكم ثم ردكم	٤٨
٤٨	وظهر الفساد في البر والبحر	٤٨	٤٨	وظهر الفساد في البر والبحر	٤٨
٥٤٢	قل سيروا في الأرض	٥٢	٥٤٢	قل سيروا في الأرض	٥٢
٥٤٣	فأقم وجهك للدين القمي	٥٢	٥٤٣	فأقم وجهك للدين القمي	٥٢
٥٤٤	من كفر فقل بما كفر	٥٢	٥٤٤	من كفر فقل بما كفر	٥٢
٤٥	ليجزى الذين آمنوا بما عملوا	٥٢	٤٥	ليجزى الذين آمنوا بما عملوا	٥٢
٤٦	ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات	٥٢	٤٦	ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات	٥٢
٧٤٧	ولقد أرسلنا نوحا	٥٣	٧٤٧	ولقد أرسلنا نوحا	٥٣
٧٤٨	الله الذي يرسل الرياح مبشرات	٥٣	٧٤٨	الله الذي يرسل الرياح مبشرات	٥٣



الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٥	وإن جاهدك على أن تشرك بي...	٧٠	٧	الذى أحسن كل شىء خلقه...	٩٣
١٦	يا بنى إنها إن تك مثقال حبة...	٧١	٨	ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين...	٩٣
١٧	يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف...	٧٣	٩	ثم سواه ونفخ فيه من روحه...	٩٦
١٨	ولا تصعر خدك للناس...	٧٤	١٠	وقالوا: أءذا ضللتنا فى الأرض...	٩٦
١٩	واقصد فى مشيك...	٧٦	١١	قل: يتوفاكم ملك الموت...	٩٧
٢٠	ألم تروا أن الله سخر لكم...	٧٧	١٢	ولوترى إذ الجرمون ناكسوا رؤسهم...	٩٨
٢١	وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله...	٧٩	١٣	ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها...	٩٨
٢٢	ومن يسلم وجهه إلى الله...	٧٩	١٤	فلذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا...	٩٩
٢٣	ومن كفر فلا يحزنك كفره...	٨٠	١٥	إنما يؤمن بآياتنا الذين...	٩٩
٢٤	نمتعهم قليلا...	٨٠	١٦	تتجافى جسوبهم عن المضاجع...	٩٩
٢٥	ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض...	٨٠	١٧	فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين...	١٠٣
٢٦	لله ما فى السموات والأرض...	٨٠	١٨	أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا...	١٠٧
٢٧	ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام...	٨٠	١٩	أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات...	١٠٧
٢٨	ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة...	٨٢	٢٠	وأما الذين فسقوا فمأواهم النار...	١٠٧
٢٩	ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار...	٨٣	٢١	ولسنذيقهم من العذاب الأدنى...	١٠٨
٣٠	ذلك بأن الله هو الحق...	٨٣	٢٢	ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه...	١١١
٣١	ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر...	٨٤	٢٣	ولقد آتينا موسى الكتاب...	١١٢
٣٢	وإذا غشيهم موج كالتُّلُّل...	٨٤	٢٤	وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا...	١١٢
٣٣	يا أيها الناس اتقوا ربكم...	٨٦	٢٥	إن ربك هو يفصل بينهم...	١١٣
٣٤	إن الله عنده علم الساعة...	٨٧	٢٦	أولم يهد لهم كم أهلكنا...	١١٣
تفسير سورة السجدة					
١	الم...	٨٩	٢٧	أولم يروا أنا نسوق الماء...	١١٤
٢	تنزيل الكتاب لا ريب فيه...	٨٩	٢٨	ويقولون متى هذا الفتح...	١١٥
٣	أم يقولون افتراه...	٨٩	٢٩	قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا...	١١٥
٤	الله الذى خلق السموات والأرض...	٩٠	٣٠	فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون...	١١٥
٥	يدبر الأمر من السماء إلى الأرض...	٩١	تفسير سورة الأحزاب		
٦	ذلك عالم الغيب والشهادة...	٩٣	١	يا أيها النبى اتق الله...	١١٧
			٢	واتبع ما يوحى إليك من ربك...	١١٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣	وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا . . .	١١٧	١٧	قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ . . .	١٣٧
٤	مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جُوفِهِ . . .	١١٧	١٨	قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ . . .	١٣٩
٥	ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ . . .	١٢٠	١٩	أَشْحَةً عَلَيْكُمْ . . . . .	١٣٩
٦	النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ . . .	١٢١	٢٠	يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا . . .	١٤٢
٧	وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ . . .	١٢٥	٢١	لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ . . .	١٤٣
٨	لَيْسَ الْصَادِقِينَ عَنْ صَدَقَتِهِمْ . . .	١٢٦	٢٢	وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ . . .	١٤٣
٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ . . .	١٢٦	٢٣	مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالًا . . .	١٤٤
١٠	إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ . . .	١٢٩	٢٤	لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصَدَقَتِهِمْ . . .	١٤٤
١١	هَنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ . . .	١٢٩	٢٥	وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ . . .	١٤٨
١٢	وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ . . . . .	١٢٩	٢٦	وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ . . .	١٤٩
١٣	وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ . . .	١٣٤	٢٧	وَأُورِثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَأَنْبَارَهُمْ . . .	١٤٩
١٤	وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا . . .	١٣٥	٢٨	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ :	١٥٥
١٥	وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ . . .	١٣٧	٢٩	وَإِنْ كُنْتُمْ تَرُدُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . . .	١٥٥
١٦	قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ . . .	١٣٧	٣٠	يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنِ يَا آتٍ . . .	١٥٨





الصفحة	الصفحة
١٢٣	٨٩
كان المسلمون يتوارثون بالهجرة ، ثم نُسِخ ذلك بالتوارث بالأرحام .	تفسير سورة السجدة
١٢٧	٩١
غزوة الخندق .	تأويل قوله « يدبر الأمر » . . . الآية . ومعنى عروج الأمر وسوق الخلاف فيه .
١٣٥	٩٣
تأويل قوله « وإذا قالت طائفة منهم » : وما كان يفعله المنافقون من الهَرَب من عسكر المسلمين .	معنى إحسان خلق كل شيء .
١٣٩	٩٦
تأويل قوله « قد يعلم الله المعوقين » ، وتثبيط المنافقين الناس عن نصره رسول الله صلى الله عليه وسلم .	تأويل قوله « وقالوا أنذا ضلكننا » . وأن الضلال بمعنى الفناء ، والشاهد عليه .
١٤٣	٩٩
تأويل قوله « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » . . . الآية . وأن ذلك عتاب للمتخلفين .	معنى تجافي الجنوب ، وبماذا يكون ذلك ؟
١٥٠	١٠٣
خبر غزوة بنى قريظة .	ما أعد للمتقين في الجنة من الكرامة .
١٥٦	١٠٨
تأويل قوله « يا أيها النبي قل لأزواجك » . . . الآية ، وتخيير رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواجه :	تأويل قوله « ولنذيقنهم من العذاب الأدنى » وأن بلاء الدنيا من العذاب الأدنى .
	١١٢
	١١٦
	١١٧
	١١٨
	١٢٠
	تفسير سورة الأحزاب
	معنى قوله « ما جعل الله لرجل من قلبين » .
	ما أمر الله به في نسبة من لم تعلم آباءهم .



٣ - فهرس القوافى

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	ل	١٢٥	سَطَرَ		ا
		١٤٥	هَوَّيْرُ		
٢٧	هَطِيلُ	٨٥	وَخَسِرِ	١١٤	النَّوَى
٢٧	مُكْتَهِيلُ	١٣٦	تَمْرًا	١٣٥	لايَرَاها
٢٧	الأَصْلُ	١٣٦	شَرًّا		ب
٣٧	وأَطْوَلُ		س	١٤٥	نَحْبِ
٣٧	أَوَّلُ	٢٦	مُكْرَسَا	٩٥	دَبَّابِ
٣٧	وأَفْضَلُ	٢٦	وَأَبْلَسَا	٦٦	مُلَهَّبَا
٣٧	أَوَّلُ		ط		ح
٩٥	فَعُولُ		قَانِطِ	١٥	رَاحِ
١٥٣	يُخَذَلِ	٤٤	ع	٣٣	أَكْدَحِ
١٥٣	مُقْلَقَلِ		أَخْضَعُ		د
٩٦	ضَلَالَا	٣٦	المُضَاجِيعُ	٩٧	أَحَدُ
	م	١٠٢	ف	٩٧	العَدَدُ
٧١	الِدِّمِ		خَلْفُ	٣٧	بِأَوْحَدِ
٣٣	وَمَيْسِمِ	٥١	ق	١٥٤	المُتَمَدِّدِ
١٤٥	المُتَلَوِّمِ		دَمَشَقُ	٣٣	مُخْلِيدِ
٧٤	فَتَقَوِّمًا	١٠٠	أَرْفَقُ		ر
	ن	١٠٠	ك	٢٧	الحَسْبِ
٨٥	الدِّانِ		هَلَكُوا	٢٧	شَكَرِ
٩٥	حَصِينِ	٦٩			

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى

\* وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : ( وَلَا تُجَادِلُوا ) أيها المؤمنون بالله وبرسوله ، اليهود والنصارى ، وهم ( أَهْلَ الْكِتَابِ ، إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) يقول : إلا بالجميل من القول ، وهو الدعاء إلى الله بآياته ، والتنبيه على حججه .

وقوله ( إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : إلا الذين أبوا أن يقرؤا لكم بإعطاء الجزية ، ونصبوا دون ذلك لكم حرباً ، فإنهم ظلمة ، فأولئك جادلوهم بالسيف ، حتى يسلموا أو يعطوا الجزية .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا يزيد ، عن سفيان ، عن خَصِيف ، عن مجاهد ، في قوله ( وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) ، إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ) قال : من قاتل ولم يعط الجزية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن خَصِيف ، عن مجاهد ، بنحوه ؛ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : من قاتلك ولم يعطك الجزية .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) قال : إن قالوا شراً ، فقولوا خيراً ، ( إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ) ، فانتصروا منهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ) قال : قالوا



مع الله إله ، أو له ولد ، أو له شريك ، أو يد الله معلولة ، أو الله فقير ، أو آذوا محمدا صلى الله عليه وسلم ، قال : هم أهل الكتاب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد ( وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ) قال : أهل الحرب ، مَنْ لَا عَهْدَ لَهُ ، جَادِلُهُ بِالسِّيفِ .

وقال آخرون : معنى ذلك : ( وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ ) الذين قد آمنوا به ، واتبعوا رسوله فيما أخبروكم عنه مما في كتبهم ( إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ) . فأقاموا على كفرهم ، وقالوا : هذه الآية محكمة ، وليست بمنسوخة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) قال : ليست بمنسوخة ، لا ينبغي أن تجادل من آمن منهم ، لعلهم يحسنون شيئا في كتاب الله ، لا تعلمه أنت ، فلا تجادله ، ولا ينبغي أن تجادل إلا الذين ظلموا ، المقيم منهم على دينه . فقال : هو الذي يُجَادَلُ ، ويُقال له بالسيف . قال : وهؤلاء يهود . قال : ولم يكن بدار الهجرة من النصارى أحد ، إنما كانوا يهودا هم الذين كلّموا وحالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغدرت النصير يوم أحد ، وغدرت قريظة يوم الأحزاب .

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية قبل أن يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم بالقتال ، وقالوا : هي منسوخة نسخها قوله ( قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ) .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) ثم نسخ بعد ذلك ، فأمر بقتالهم في سورة براءة ، ولا مجادلة أشد من السيف أن يقاتلوا حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو يقرؤا بالخراج .

وأولى هذه الأقوال بالصواب ، قول من قال : عنى بقوله ( إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ) : إلا الذين امتنعوا من أداء الجزية ، ونصبوا دونها الحرب .

فإن قال قائل : أو غير ظلم من أهل الكتاب ، إلا من لم يؤد الجزية ؟ قيل : إن جميعهم وإن كانوا لأنفسهم بكفرهم بالله ، وتكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ظلّمة ، فإنه لم يعن بقوله ( إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ) ( ظَلَمُوا مِنْهُمْ ) ظلم أنفسهم . وإنما عنى به : إلا الذين ظلموا منهم أهل الإيمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن أولئك جادلوهم بالقتال .

وإنما قلنا : ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب ، لأن الله تعالى ذكره أذن للمؤمنين بجدال ظلّمة أهل

(١) يقال له بالسيف : أى يرفع عليه السيف . قال في (اللسان : قول) : والعرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال ، وتطلقه على غير الكلام واللسان ، فتقول : قال بيده : أى أخذ ، وقال برجله : أى مشى وقال الشاعر : « وقالت له أئمنان سمعا وطاعة » أى أومات . وقال بثوب : أى رفعه . وكل ذلك على المجاز والانتساع . وفي الأصل : و « يقال له السبت » ، تحريف من الناسخ .

الكتاب بغير الذي هو أحسن ، بقوله (إِلَّا الَّذِينَ ظَنَّمُوا مِنْهُمْ) فعلوم إذ كان قد أذن لهم في جدالهم أن الذين لم يؤذّن لهم في جدالهم إلا بالتي هي أحسن ، غير الذين أذن لهم بذلك فيهم ، وأنهم غير المؤمن ، لأن المؤمن منهم غير جائز جداله إلا في غير الحق ، لأنه إذا جاء بغير الحق ، فقد صار في معنى الظلمة ، في الذي خالف فيه الحق . فإذا كان ذلك كذلك ، تبين أن لا معنى لقول من قال : عنى بقوله (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ) أهل الإيمان منهم ، وكذلك لا معنى لقول من قال : نزلت هذه الآية قبل الأمر بالقتال ، وزعم أنها منسوخة ، لأنه لاخير بذلك يقطع العذر ، ولا دلالة على صحته من فطرّة عقل .

وقد بينّا في غير موضع من كتابنا ، أنه لا يجوز أن يحكم على حكم الله في كتابه بأنه منسوخ إلا بحجة يجب التسليم لها ، من خبر أو عقل .

وقوله (وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ) ، وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله ، الذين نهاهم أن يجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ، إذا حدثكم أهل الكتاب أيها القوم عن كتبهم ، وأخبروكم عنها بما يمكن ، ويجوز أن يكونوا فيه صادقين ، وأن يكونوا فيه كاذبين ، ولم تعلموا أمرهم وحالهم في ذلك ، فقولوا لهم (آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ) مما في التوراة والإنجيل (وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ) يقول : ومعبودنا ومعبودكم واحد (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) يقول : ونحن له خاضعون متذلّلون بالطاعة فيما أمرنا ونهانا .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

#### ذكر الرواية بذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : أخبرنا عليّ ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ، فيفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تَكْتَدُّوهُمُ ، وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ ، وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عطاء بن يسار ، قال : كان ناس من اليهود يحدثون ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « لَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تَكْتَدُّوهُمُ ، وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ » .

قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن سليمان ، عن عمارة بن عمير ، عن حرث بن ظهير ، عن عبد الله ، قال : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلّوا ، إما أن تكذبوا بحق ، أو تصدقوا بباطل ، فإنه ليس أحد من أهل الكتاب ، إلا وفي قلبه تالية تدعوه إلى دينه ، كتالية المال .

وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلَّا الَّذِينَ

(١) تالية : اسم فاعل من تلاه يتلوه : إذا تبعه . يريد : داعية تدعوه إلى الامتسالك بدينه . وتالية المال : لعل المراد به : التابعة التي تتبع أماتها من صفار الإبل ونحوها .



ظَلَمْتُمْوا مِنْهُمْ ) قال : قالوا مع الله إله ، أو له ولد ، أو له شريك ، أو يد الله مغلولة ، أو الله فقير ، أو آذوا محمداً . ( وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ ) لمن لم يقل هذا من أهل الكتاب .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ، فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ، وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : كما أنزلنا الكتاب على من قبلك يا محمد من الرسل ( كَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ) هذا ( الْكِتَابَ ، فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ) من قبلك من بنى إسرائيل ( يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ) يقول : ومن هؤلاء الذين هم بين ظهرك اليوم ، من يؤمن به ، كعبد الله بن سلام ، ومن آمن برسوله من بنى إسرائيل .

وقوله ( وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ) يقول تعالى ذكره : وما يجحد بأدلتنا وحججنا إلا الذى يجحد نعمنا عليه ، وينكر توحيدنا وربوبيتنا على علم منه ، عنادا لنا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ) قال : إنما يكون الجحود بعد المعرفة .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ، وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ، إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨)

يقول تعالى ذكره : ( وَمَا كُنْتَ ) يا محمد ( تَتْلُوا ) يعنى تقرأ ( مِنْ قَبْلِهِ ) يعنى من قبل هذا الكتاب الذى أنزلته إليك ( مِنْ كِتَابٍ ، وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ) يقول : ولم تكن تكتب بيمينك ، ولكنك كنت أمياً ( إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ) يقول : ولو كنت من قبل أن يوحى إليك تقرأ الكتاب ، أو تخطه بيمينك ( إِذَا لَارْتَابَ ) يقول : إذن لشك بسبب ذلك فى أمرك ، وما جئتهم به من عند ربك من هذا الكتاب الذى تتلوه عليهم ، ( الْمُبْطِلُونَ ) القائلون إنه سجع وكهانة ، وإنه أساطير الأولين .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ، وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ) : قال : كان نبي الله صلى الله عليه وسلم أمياً لا يقرأ شيئاً ولا يكتب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ، وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ) قال : كان نبي الله لا يقرأ كتاباً قبله ، ولا يخطه بيمينه ؛ قال : كان أمياً ، والأمى : الذى لا يكتب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن إدريس الأودي ، عن الحَكَم ، عن مجاهد ( وما كُنْتُ تَتَلَّوْا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ، وَلَا تَخْطُوهُ بِيَمِينِكُمْ ) قال : كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يخط بيمينه ، ولا يقرأ كتابا ، فنزلت هذه الآية .  
وبنحو الذي قلنا أيضا في قوله ( إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ) قالوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ) إذن لقالوا :  
إنما هذا شيء تعلمه محمد صلى الله عليه وسلم وكتبه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ) قال قریش .

القول في تأويل قوله تعالى

بَلْ هُوَ آيَةٌ يَنْتُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ، وَمَا يَحْجَدُ بِثَأْيِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (٤٩)

يختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( بَلْ هُوَ آيَةٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ) فقال بعضهم : عنى به نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : معنى الكلام : بل وجود أهل الكتاب في كتبهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم لا يكتب ولا يقرأ ، وأنه أمي ، آيات بينات في صدورهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( بَلْ هُوَ آيَةٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ) قال : كان الله تعالى أنزل شأن محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، لأهل العلم ؛ وعلمه لهم ، وجعله لهم آية ، فقال لهم : إن آية نبوته أن يخرج حين يخرج لا يعلم كتابا ، ولا يخطه بيمينه ، وهي الآيات البينات .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وما كُنْتُ تَتَلَّوْا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ) قال : كان نبي الله لا يكتب ولا يقرأ ، وكذلك جعل الله نعتة في التوراة والإنجيل ، أنه نبي أمي لا يقرأ ولا يكتب ، وهي الآية البينة في صدور الذين أوتوا العلم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( بَلْ هُوَ آيَةٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ) من أهل الكتاب ، صدقوا بمحمد ونعته ونبوته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، ( بَلْ هُوَ آيَةٌ بَيِّنَاتٌ ) قال : أنزل الله شأن محمد في التوراة والإنجيل لأهل العلم ، بل هو آية بينة في صدور الذين أوتوا العلم ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم .



وقال آخرون : عنى بذلك القرآن ، وقالوا : معنى الكلام : بل هذا القرآن آيات بيّنات فى صدور الذين أوتوا العلم ، من المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، قال : قال الحسن ، فى قوله : ( بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ) القرآن آيات بيّنات فى صدور الذين أوتوا العلم ، يعنى المؤمنين .

وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : عُنِيَ بذلك : بل العلم بأنك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتابا ، ولا تخطه بيمينك ، آيات بيّنات فى صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب . وإنما قلت ذلك أولى التأويلين بالآية ، لأن قوله ( بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ) بين خبرين من أخبار الله عن رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو بأن يكون خبرا عنه ، أولى من أن يكون خبرا عن الكتاب الذى قد انقضى الخبر عنه قبل .

وقوله ( وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ) يقول تعالى ذكره : ما يجحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأدلته ، ويُنكر العلم الذى يعلم من كتب الله التى أنزلها على أنبيائه ، يبعث محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته ومبعثه إلا الظالمون ، يعنى الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله عز وجل .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا : لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ، قُلْ : إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ، وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٤٠)

يقول تعالى ذكره : وقالت المشركون من قريش : هلا أنزل على محمد آية من ربه ، تكون حجة لله علينا ، كما جعلت الناقة لصالح ، والمائدة آية ليعسى ، قل يا محمد ، إنما الآيات عند الله ، لا يقدر على الإتيان بها غيره ، وإنما أنا نذير مبين ، وإنما أنا نذير لكم ، أنذركم بأس الله وعقابه ، على كفركم برسوله . وما جاءكم به من عند ربكم مبين : يقول : قد أبان لكم إنذاره .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ؟ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرًا لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١)

يقول تعالى ذكره : أولم يكف هؤلاء المشركين يا محمد ، القائلين : لولا أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم آية من ربه ، من الآيات والحجج ( أَنَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ) هذا ( الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ) يقول

يُقرأ عليهم ( إن في ذلك لَرَحْمَةً ) يقول : إن في هذا الكتاب الذي أنزلنا عليهم لرحمة للمؤمنين به وذكرى يتذكرون بما فيه من عبرة وعظة .

وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن قوما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انتسخوا شيئا من بعض كتب أهل الكتاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن يحيى بن جعدة أن ناسا من المسلمين ، أتوا نبي الله صلى الله عليه وسلم بكتب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود ، فلما أن نظر فيها ألقاها ، ثم قال : كفى بها حماقة قوم ، أو ضلالة قوم ، أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم ، إلى ما جاءهم به غير نبيهم إلى قوم غيرهم ، فنزلت ( أو لم ينكفهم ) أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ : كَفَى بِاللَّهِ يَنِّي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٥٢)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للقائلين لك : لولا أنزل عليك آية من ربك ، الجاحدين بآياتنا من قومك ، كفى الله ياهؤلاء بيني وبينكم شاهدا لي وعلى ، لأنه يعلم الحق منا من المبطل ، ويعلم ما في السموات وما في الأرض ، لا يخفى عليه شيء فيهما ، وهو المجازي كل فريق منا بما هو أهله ، الحق على ثباته على الحق ، والمبطل على باطله ، بما هو أهله ( والذين آمنوا بالباطل ) يقول : صدقوا بالشرك ، فأقروا به وكفروا به : يقول : وجحدوا الله ( أولئك هم الخاسرون ) يقول : هم المغيبون في صفتهم .

وبنحو الذي قلنا في قوله ( والذين آمنوا بالباطل ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( والذين آمنوا بالباطل ) : الشرك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْ لَأَجَلَ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ ، وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٣)

يقول تعالى ذكره : ويستعجلك يا محمد هؤلاء القائلون من قومك : لولا أنزل عليه آية من ربه بالعذاب ،



ويقولون: (اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِّنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ)، ولولا أجل سميته لهم ، فلا أهلكهم حتى يستوفوه ويبلغوه ، بلجاءهم العذاب عاجلاً . وقوله ( وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) يقول : وليأتينهم العذاب فجأة ، وهم لا يشعرون بوقت مجيئه قبل مجيئه . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ) قال : قال ناس من جهالة هذه الأمة (اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِّنْ عِنْدِكَ ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ ، أَوْ اثْنًا بِعَذَابِ الْيَمِّ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٤)

يقول تعالى ذكره : يستعجلك يا محمد هؤلاء المشركون بمجيء العذاب ، ونزوله بهم ، والنار بهم محيطة ، لم يبق إلا أن يدخلوها . وقيل : إن ذلك هو البحر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، قال : سمعت عكرمة يقول في هذه الآية : ( وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ) قال : البحر . أخبرنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ، وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٥)

يقول تعالى ذكره ( وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ) يوم يغشى الكافرين العذاب من فوقهم في جهنم ، ومن تحت أرجلهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ) : أي في النار .

وقوله ( وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) يقول جل ثناؤه : ويقول الله لهم : ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ في الدنيا من معاصي الله ، وما يسخطه فيها . وبالياء في ويقول ( ذُوقُوا ) قرأت عامة قراءة الأمصار ، خلا أبي جعفر ، وأبي عمرو ، فإنهما قرآ ذلك بالنون ( وَتَقُولُ ) . والقراءة التي هي القراءة عندنا بالياء ، لإجماع الحجة من القراء عليها .

## القول في تأويل قوله تعالى

يَعْبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ ، فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ (٥٦)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده : يا عبادي الذين وحدوني وآمنوا بي وبرسولي محمد صلى الله عليه وسلم (إنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ) .

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي أريد من الخبر عن سعة الأرض ، فقال بعضهم : أريد بذلك : أنها لم تضق عليكم ، فتقيموا بموضع منها لا يحلّ لكم المقيم فيه ، ولكن إذا عمِلَ بمكان منها بمعاصي الله ، فلم تقدروا على تغييره ، فاهربوا منه .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (إنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ) قال : إذا عمِلَ فيها بالمعاصي ، فاخرج منها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن سعيد ابن جبير ، في قوله (إنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ) قال : إذا عمِلَ فيها بالمعاصي ، فاخرج منها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير ، قال : اهربوا فإن أرضي واسعة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن منصور ، عن عطاء ، قال : إذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا ، فإن أرضي واسعة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن عطاء (إنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ) : قال : مجازية أهل المعاصي .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (إنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ) ، فهاجروا وجاهدوا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( يا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ ، فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ ) فقلت : يريد بهذا من كان بمكة من المؤمنين ، فقال : نعم .

وقال آخرون : معنى ذلك : إن ما أخرج من أرضي لكم من الرزق واسع لكم .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، عن شداد بن سعيد بن مالك أبي طلحة الراسبي ، عن غيَّلان بن جرير المِعْوَلِيّ ، عن مطرف بن عبد الله بن الشَّخِيرِ العامريّ ، في قول الله (إنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ) : قال : إن رزقي لكم واسع .



حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن شدّاد ، عن غيلان بن جرير ، عن مُطَرِّف بن الشَّخْبَرِ ( إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ ) قال : رزق لكم واسع .

وأولى القولين بتأويل الآية : قول من قال : معنى ذلك : إن أرضي واسعة ، فاهربوا ممن منعكم من العمل بطاعتي للدلالة قوله ( فإيَّايَ فاعْبُدُونِ ) على ذلك ، وأن ذلك هو أظهر معنييه ، وذلك أن الأرض إذا وصفها بسعة ، فالغالب من وصفه إياها بذلك ، أنها لاتضيق جميعها على من ضاق عليه منها موضع ، لا أنه وصفها بكثرة الخير والخصب .

وقوله ( فإيَّايَ فاعْبُدُونِ ) يقول : فأخلصوا لى عبادتكم وطاعتكم ، ولا تطيعوا فى معصيتي أحدا من خلقى .

#### القول فى تأويل فرد تعالى

كُلُّ نَفْسٍ ذَاثِقَةٌ الْمَوْتِ ، ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَا ، نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب نبيه : هاجروا من أرض الشرك من مكة ، إلى أرض الإسلام المدينة ، فإن أرضي واسعة ، فاصبروا على عبادتي ، وأخلصوا طاعتي ، فإنكم ميتون ، وصائرون إلى ، لأن كل نفس حية ذاتقة الموت ، ثم إلينا بعد الموت تُرَدُّون ، ثم أخبرهم جل ثناؤه عما أعد للصَّابرين منهم على طاعته ، من كرامته عنده ، فقال : ( وَالَّذِينَ آمَنُوا ) ، يعنى صدقوا الله ورسوله ، فيما جاء به من عند الله ، ( وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) : يقول : وعملوا بما أمرهم الله فأطاعوه فيه ، وانتهوا عما نهاهم عنه ( لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا ) يقول : لنزّلنهم من الجنة علالى .

واختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراءة المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ( لَنُبَوِّئَنَّهُمْ ) بالباء وقراءته عامة قراءة الكوفة بالثاء ( لَنُشَوِّئَنَّهُمْ ) .

والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مشهورتان فى قراءة الأمصار ، قد قرأ بكل واحدة ، منهما علماء من القراء متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارى فصيبي ، وذلك أن قوله ( لَنُبَوِّئَنَّهُمْ ) من بوائه منزلا : أى أنزلته ، وكذلك لشؤبينهم ؛ إنما هو من أثوبته مسكنا إذا أنزلته منزلا ، من الثواء ، وهو المقام . وقوله ( تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) يقول : تجرى من تحت أشجارها الأنهار . ( خالدين فيها ) يقول : ما كئبن فيها إلى غير نهاية ( نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ) يقول : نعم جزاء العاملين بطاعة الله هذه الغرْفُ التى يُشَوِّئُهَا اللهُ فى جنتاته ، تجرى من تحتها الأنهار ، الذين صبروا على أذى المشركين فى الدنيا ، وما كانوا يتلقون منهم ، وعلى العمل بطاعة الله وما يرضيه ، وجهاد أعدائه ( وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ) فى أرزاقهم

وجهاد أعدائهم ، فلا يَسْكُلُونَ عنهم ، ثقة منهم بأن الله مُعَلِّي كَلِمَتِهِ ، ومُوَهِّب كَيْد الكَافِرِينَ ، وأن مَاقَسِمَ لَهُم من الرزق فلن يَفُوتَهُم .

### القول في تأويل قوله تعالى

وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ، اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٠)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به ، وبرسوله من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : هاجروا وجاهدوا في الله أيها المؤمنون أعداءه ، ولا تخافوا عييلة ولا إقتارا ، فكم من دابة ذات حاجة إلى غذاء ومطعم ومشرب لا تحمل رزقها ، يعنى غذاءها لا تحملها ، فترفعه في يومها لغدها ، لعجزها عن ذلك . ( اللَّهُ يُرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ) يوما بيوم . ( وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) لأقوالكم نخشى بفراقنا أوطاننا العييلة ( العليم ) ما في أنفسكم ، وما إليه صائر أمركم ، وأمر عدوكم من إذلال الله إياهم ، ونصرتكم عليهم ، وغير ذلك من أموركم ، لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ) قال : الطير والبهايم لا تحمل الرزق .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت عمران ، عن أبي مجلز ، في هذه الآية ( وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ، اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ) قال : من الدواب ما لا يستطيع أن يدخر لغد ، يوفَّق لرزقه كل يوم حتى يموت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن علي بن الأقرم ( وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ) قال : لا تدخر شيئا لغد .

### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا سَأَلْتَهُم مِّن خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ؟ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ، فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ؟ (٦١)

يقول تعالى ذكره : ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من خلق السموات والأرض فسؤاهن ، وسخَّر الشمس والقمر لعباده ، يجريان دائبين لمصالح خلق الله ، ليقولن الذي خلق ذلك وفعلته الله . ( فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ) يقول جل ثناؤه : فأني يصرفون عن صنع ذلك ، فيعدلون عن إخلاص العبادة له .



كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَأَتَى يُؤْفَكُونَ ) : أى يعدلون .

#### القول فى تأويل قول تعالى

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَيَقْدِرُ لَهُ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢)

يقول تعالى ذكره : الله يوسع من رزقه لمن يشاء من خلقه ، ويضيّق فيقتصر لمن يشاء منهم : يقول : فأرزاقكم وقسمتها بينكم أيها الناس ، بيدى دون كل أحد سواى ، أبسط لمن شئت منها ، وأقتصر على من شئت ، فلا يخلفنكم عن الهجرة وجهاد عدوكم خوف العيلة ( إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ) يقول : إن الله عليم بمصالحكم ، ومن لا يصلح له الا البسط فى الرزق ، ومن لا يصلح له إلا التقدير عليه ، وهو عالم بذلك .

#### القول فى تأويل قول تعالى

وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ، فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا ، لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ، قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٣)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : ولما سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك من نزل من السماء ماء ، وهو المطر الذى ينزله الله من السحاب ( فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ ) يقول : فأحيا بالماء الذى نزل من السماء الأرض ، وإحيائها : إنباتة النبات فيها ( مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا ) من بعد جفد وبها وقحوظها . وقوله ( لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ) يقول : ليقولن الذى فعل ذلك ، الله الذى له عبادة كل شىء . وقوله ( قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ) يقول : وإذا قالوا ذلك ، فقل الحمد لله ( بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ) يقول : بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعقلون ما لهم فيه النفع من أمر دينهم ، وما فيه الضرر ، فهم لجهلهم يحسبون أنهم لعبادتهم الآلهة دون الله ، يتألون بها عند الله زلفة وقربة ، ولا يعلمون أنهم بذلك هالكون ، مستوجبون الخلود فى النار .

#### القول فى تأويل قول تعالى

وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ، لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤)

يقول تعالى ذكره : ( وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ) التى يتمتع منها هؤلاء المشركون ( إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ) يقول : إلا تليل النفوس بما تلتذ به ، ثم هو مستقص عن قريب ، لابقاء له ولا دوام ( وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ) يقول : وإن الدار الآخرة لفيها الحياة الدائمة ، التى لازوال لها ولا انقطاع ولا موت معها . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ) ، لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ( حياة لاموت فيها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( لَهِيَ الْحَيَوَانُ ) قال : لاموت فيها .  
حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ) يقول : باقية .  
وقوله ( لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ) يقول : لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن ذلك كذلك ، لقتصروا عن تكذيبهم بالله ، وإشراكهم غيره في عبادته ، ولكنهم لا يعلمون ذلك .

## القول في تأويل قوله تعالى

فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ، فَلَمَّا نَجَّيَهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥)  
يقول تعالى ذكره : فإذا ركب هؤلاء المشركون السفينة في البحر ، فخافوا الغرق والهلاك فيه ( دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ) يقول : أخلصوا لله - عند الشدة التي نزلت بهم - التوحيد ، وأفردوا له الطاعة ، وأذعنوا له بالعبادة ، ولم يستغيثوا بأنفسهم وأندادهم ، ولكن بالله الذي خلقهم ( فَلَمَّا نَجَّيَهُمْ إِلَى الْبَرِّ ) يقول : فلما خلصهم مما كانوا فيه وسلمهم ، فصاروا إلى البرّ ، إذا هم يجعلون مع الله شريكا في عبادتهم ، ويدعون الآلهة والأوثان معه أربابا .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَلَمَّا نَجَّيَهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ) فالخلق كلهم يقرّون لله أنه ربهم ، ثم يشركون بعد ذلك .

## القول في تأويل قوله تعالى

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٦٦) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مِمَّا آمَنَّا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ؟ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ ، وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ؟ (٦٧)  
يقول تعالى ذكره : فلما نجى الله هؤلاء المشركين مما كانوا فيه في البحر من الخوف والحذر من الغرق إلى البرّ ، إذا هم بعد أن صاروا إلى البرّ ، يشركون بالله الآلهة والأنداد ( لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ) يقول : ليجحدوا نعمة الله التي أنعمها عليهم في أنفسهم وأمواتهم .  
( وَلِيَتَمَتَّعُوا ) اختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قرآء المدينة والبصرة ( وَلِيَتَمَتَّعُوا ) بكسر اللام ، بمعنى : وكى يتمتعوا آتيناهم ذلك . وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفيين ( وَلِيَتَمَتَّعُوا ) بسكون اللام ، على وجه الوعيد والتوبيخ : أى اكفروا ، فإنكم سوف تعلمون ماذا يلقون من عذاب الله بكفرهم به : وأولى القراءتين عندى في ذلك بالصواب ، قراءة من قرأه بسكون اللام على وجه التهديد والوعيد ، وذلك أن الذين قرءوه بكسر اللام زعموا أنهم إنما اختاروا كسرها عطفًا بها على اللام التي في قوله ( لِيَكْفُرُوا ) ، وأن قوله ( لِيَكْفُرُوا ) لما كان معناه : كى يكفروا كان الصواب في قوله ( وَلِيَتَمَتَّعُوا ) أن يكون :



وكى يتمتعوا ، إذ كان عطفًا على قوله : ليكفروا عندهم ، وليس الذى ذهبوا من ذلك بمذهب ، وذلك لأن لام قوله ( لِيَكْفُرُوا ) صلّحت أن تكون بمعنى كى ، لأنها شرط لقوله : إذا هم يشركون بالله ، كى يكفروا بما آتيناهم من النعم ، وليس ذلك كذلك فى قوله ( وَلِيَسْتَمْتَعُوا ) لأن إشراكهم بالله كان كفرًا بنعمته ، وليس إشراكهم به تمتعًا بالدنيا ، وإن كان الإشراك به يسهل لهم سبيل التمتع بها ، فإذا كان ذلك كذلك فتوجيهه إلى معنى الوعيد أولى وأحقّ من توجيهه إلى معنى : وكى يتمتعوا . وبعد ، فقد ذكر أن ذلك فى قراءة أُبَيٍّ ( وَتَمْتَعُوا ) وذلك دليل على صحّة من قرأه بسكون اللام ، بمعنى الوعيد .

وقوله ( أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّأْمُونًا ) يقول تعالى ذكره ، مذكرًا هؤلاء المشركين من قريش ، القائلين : لولا أنزل عليه آية من ربه ، زعمت أنّه عليهم ، التى خصهم بها دون سائر الناس غيرهم ، مع كفرهم بنعمته ، وإشراكهم فى عبادته الآلهة والأنداد ، أو لم ير هؤلاء المشركون من قريش ، ما خصصناهم به من نعمتنا عليهم دون سائر عبادنا ، فيشكرونا على ذلك ، وينزجروا عن كفرهم بنا ، وإشراكهم ما لا ينفعهم ولا يضرهم فى عبادتنا : ( أنا جعلنا ) بلدهم حرمًا ، ( حرمنا ) على الناس أن يدخلوه بغارة أو حرب ( آمننا ) ، يأمن فيه من سكنه فأوى إليه من السبّ والخوف والحرام الذى لا يأمنه غيرهم من الناس ( وَيَسْتَخَطِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْطِهِمْ ) يقول : وتسلّب الناس من حولهم قتلا وسيّء .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله ( أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّأْمُونًا وَيَسْتَخَطِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْطِهِمْ ) قال : كان لهم فى ذلك آية أن الناس يُغزّون وَيَسْتَخَطِفُونَ ، وهم آمنون .

وقوله ( أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ ) يقول : أفبالشرك بالله يقرّون بالوهة الأوثان ، بأن يصدّقوا ، وبنعمة الله التى خصهم بها ، من أن جعل بلدهم حرمًا آمنًا يكفرون ، يعنى بقوله « يكفرون » : يمجّدون : كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ ) : أى بالشرك ( وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ) : أى يمجّدون .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ، أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٦٨)

يقول تعالى ذكره : ومن أظلم أيها الناس ، ممن اختلق على الله كذبًا ، فقالوا إذا فعلوا فاحشة : وجدنا عليها آباءنا ، والله أمرنا بها ، والله لا يأمر بالفحشاء . ( أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ) يقول : أو كذب بما بعث الله به رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم من توحيده ، والبراءة من الآلهة والأنداد ، لما جاءه هذا الحقّ من عند الله ( أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ؟ ) يقول : أليس فى النار مَثْوًى ومسكن لمن كفر بالله ، وجد توحيده ، وكذب رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهذا تقرير ، وليس باستفهام ، إنما هو كقول جرير :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونٍ رَاحٍ  
إنما أخبر أن للكافرين بالله مسكنًا في النار ، ومنزلا يشؤون فيه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)

يقول تعالى ذكره : والذين قاتلوا هؤلاء المفسرين على الله كذبا ، من كفار قريش ، المكذبين بالحق لما جاءهم فينا ، مُبْتَغِينَ بقتالهم علو كلمتنا ، ونصرة ديننا ( لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ) يقول : لنوفققتهم لإصابة الطرق المستقيمة ، وذلك إصابة دين الله ، الذي هو الإسلام . الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم ( وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ) يقول : وإن الله لمع من أحسن من خلقه ، فجاهد فيه أهل الشرك ، مُصَدِّقًا رسوله فيما جاء به من عند الله ، بالعون له ، والنصرة على من جاهد من أعدائه .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ( وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا )

فقلت له : قاتلوا فينا ، قال : نعم .

آخر تفسير سورة العنكبوت

## تفسير سورة الروم

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

الْمَّ (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي آذُنِي الْأَرْضِ ، وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بَضْعِ  
سِنِينَ ، لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ ، يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ،  
وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥)

(١) البيت لجرير بن عطية بن الحظي ، من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان (ديوانه طبعة الصاوي بالقاهرة ص ٩٨) والمطايا : جمع مطية ، وهي الإبل ركب مطاها في الأسفار ، أي ظهرها . والراح : جمع راحة اليد . والبيت شاهد عند المؤلف وعند أبي عبيدة على أن المراد بالاستفهام فيه التقرير ، لاحقيقة الاستفهام . والتقرير : حمل المخاطب على أن يتقرر بالمستول عنه ويعترف به . قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ، الورقة (١١٨٦) عند قوله تعالى : « أليس في جهنم مثوى للكافرين » : مجازه مجاز الإيجاب ، لأن هذه الألف تكون للاستفهام والإيجاب ، فهي هاهنا للإيجاب . وقال جرير : « ألسن . . . البيت » ، فهذا لم يشك ، ولكن أوجب لهم أنهم كذلك ، ولولا ذلك ما أثابوه ، والرجل يعاتب عبده ويقول : أفعلت كذا ؟ وهو لا يشك . ويرى أن عبد الملك لما سمع هذا البيت أجابه بقوله : نعم نحن كذلك .



قال أبو جعفر : قد بيننا فيما مضى قبل ، معنى قوله ( الم ) وذكرنا ما فيه من أقوال أهل التأويل ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله ( غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ) اختلفت القراء في قراءته ، فقرأته عامة قراء الأمصار : ( غَلِبَتِ الرُّومُ ) بضم الغين ، بمعنى : أن فارس غلبت الروم .

وروى عن ابن عمر وأبي سعيد في ذلك : ما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبي ، عن الحسن الجفري ، عن سليط ، قال : سمعت ابن عمر يقرأ ( الم غَلِبَتِ الرُّومُ ) فقليل له : يا أبا عبد الرحمن ، على أى شيء غلبوا ؟ قال : على ريف الشام .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ، الذى لا يجوز غيره ( الم . غَلِبَتِ الرُّومُ ) بضم الغين ، لإجماع الحجة من القراء عليه . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : غَلِبَتِ فارسُ الرومِ ( في أدنى الأرض ) : من أرض الشام إلى أرض فارس ( وَهَمُّ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ ) يقول : والروم من بعد غلبة فارس إياهم . ( سَيَغْلِبُونَ ) فارس ( فِي بِيضِ سِنِينَ . لِلَّهِ الْأَمْرُ ) مِنْ قَبْلِ غَلَبَتِهِمْ فارس ( وَمِنْ بَعْدِ ) غَلَبَتِهِمْ إياها ، يقضى في خلقه ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، ويظهر من شاء منهم على من أحب إظهاره عليه ( وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ) يقول : ويوم يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون بالله ورسوله بنصر الله إياهم على المشركين ، ونصرة الروم على فارس ( يَنْصُرُ ) الله تعالى ذكره ( مَنْ يَشَاءُ ) من خلقه ، على من يشاء ، وهو نصرة المؤمنين على المشركين بيد ( وَهُوَ الْعَزِيزُ ) يقول : والله الشديد انتقامه من أعدائه ، لا يمنع من ذلك مانع ، ولا يحول بينه وبينه حائل ( الرَّحِيمُ ) بمن تاب من خلقه ، وراجع طاعته ، أن يعذبه .

وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المنى ، قال : ثنا محمد بن سعيد ، أو سعيد الثعلبي . الذى يقال له أبو سعد من أهل طرسوس ، قال : ثنا أبو إسحاق الفزاري ، عن سفيان بن سعيد الثوري ، عن حبيب بن أبي عمرة ، عن سعيد بن جببر ، عن ابن عباس ، قال : كان المسلمون يحبون أن تغلب الروم أهل الكتاب ، وكان المشركون يحبون أن يغلب أهل فارس ، لأنهم أهل أوثان ، قال : فذكروا ذلك لأبي بكر ، فذكره أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أما إنهم سيهزمون ، قال : فذكر ذلك أبو بكر للمشركين ، قال : فقالوا : أفنجعل بيننا وبينكم أجلا ، فإن غلبوا كان لك كذا وكذا ، وإن غلبنا كان لنا كذا وكذا ؛ قال : فجعلوا بينهم وبينه أجلا خمس سنين ، قال : فضت فلم يغلبوا ؛ قال : فذكر ذلك أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أفلا جعلته دون العشر ، قال سعيد : والبيض مادون العشر ، قال : فغلب الروم ، ثم غلبت ؛ قال : فذلك قوله ( الم . غَلِبَتِ الرُّومُ ) . في أدنى الأرض ، وَهَمُّ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ

سَيَغْلِبُونَ فِي بِيضِعِ سِنِينَ) قال : البيضِع : ما دون العشر (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ) قال سفيان : فبلغني أنهم غلبوا يوم بدر .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري ، قال : ثنا موسى بن هارون البردي ، قال : ثنا معن بن عيسى ، قال : ثنا عبد الله بن عبد الرحمن ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس ، قال : « لما نزلت (الم . غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ) . . . الآية ، ناحب أبو بكر قريشا ، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : إني قد ناحبهم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : هَلَا احْتَطَّطْتَ ، فَإِنَّ الْبِيضِعَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى التَّسْعِ » . قال الجُمَحِيُّ : المناحية : المراهنة ، وذلك قبل أن يكون تحريم ذلك .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد الله بن أبي عمير ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (الم . غَلِبَتِ الرُّومُ) . . . إلى قوله (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ) قال : قدم مضى ، كان ذلك في أهل فارس والروم ، وكانت فارس قد غلبتهم ، ثم غلبت الروم بعد ذلك ، ولقي النبي صلى الله عليه وسلم مشركي العرب ، يوم التقت الروم وفارس ، فنصر الله النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين ، على مشركي العرب ، ونصر أهل الكتاب على مشركي العجم ، وفرح المؤمنون بنصر الله إياهم ، ونصر أهل الكتاب على العجم . قال عطية : فسألت أبا سعيد الخدري عن ذلك ، فقال : التقينا مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشركي العرب ، والتقت الروم وفارس ، فنصرنا الله على مشركي العرب ، ونصر الله أهل الكتاب على الجوس ، وفرحنا بنصر الله إيانا على المشركين ، وفرحنا بنصر الله أهل الكتاب على الجوس ، فذلك قوله (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ) .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (الم . غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ، وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) غلبتهم فارس ، ثم غلبت الروم .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله : خمس قدميين : الدخان ، واللزام ، والبطشة ، والقمر ، والروم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن ابن مسعود ، قال : قد مضى (الم . غَلِبَتِ الرُّومُ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (الم . غَلِبَتِ الرُّومُ) . . . إلى قوله (أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) قال : ذكر غلبة فارس إياهم ، وإدالة الروم على فارس ، وفرح المؤمنون بنصر الروم أهل الكتاب على فارس من أهل الأوثان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن عكرمة « أن الروم وفارس اقتتلوا في أدنى الأرض ، قالوا : وأدنى الأرض يومئذ أذرعات ، بها التقوا ، فهزمت الروم ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم بمكة ، فشق ذلك عليهم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم



يكره أن يظهر الأميون من الجوس ، على أهل الكتاب من الروم ، ففرح الكفار بمكة وشمتموا ، فلقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : إنكم أهل كتاب ، والنصارى أهل كتاب ، ونحن أميون ، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس ، على إخوانكم من أهل الكتاب ، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهروا عليكم ، فأنزل الله ( ألم . غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ . وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بَضْعِ سِنِينَ . لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ) . . . الآيات ، فخرج أبو بكر الصديق إلى الكفار ، فقال : أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا ؟ فلا تفرحوا ، ولا يُقِرَنَّ اللهُ أعينكم ، فوالله ليظهرن الروم على فارس ، أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم . فقام إليه أنى بن خلف ، فقال : كذبت يا أبا فضيل ، فقال له أبو بكر رضى الله عنه : أنت أكذب يا عدو الله ، فقال : أنا حبيك عشر قلائص منى ، وعشر قلائص منك ، فإن ظهرت الروم على فارس غرمت ، وإن ظهرت فارس على الروم غرمت ، إلى ثلاث سنين ؛ ثم جاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : ما هكذا ذكرت ، إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع ، فزأيدته في الخطر ، ومادته في الأجل . فخرج أبو بكر ، فلقى أبياً ، فقال : لعلك ندمت ، فقال : لا ، فقال : أزايدك في الخطر ، وأمادك في الأجل ، فاجعلها مئة قلووس لمئة قلووس ، إلى تسع سنين ، قال : قد فعلت .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثنا حجاج . عن أبي بكر ، عن عكرمة . قال : كانت في فارس امرأة لاتلد إلا الملوك الأبطال ، فدعاها كسرى ، فقال : إني أريد أن أبعث إلى الروم جيشاً ، وأستعمل عليهم رجلاً من بنيك ، فأشيري على آيهم أستعمل ، فقالت : هذا فلان ، وهو أروغ من ثعلب ، وأحذر من صرد ، وهذا قرخان ، وهو أنفذ من سينان ، وهذا شهربراز ، وهو أحلم من كذا ، فاستعمل أيهم شئت ؛ قال : إني قد استعملت الحلیم ، فاستعمل شهربراز ، فسار إلى الروم بأهل فارس ، وظهر عليهم ، فقتلهم ، وخرّب مدائنهم ، وقطع زيتونهم ؛ قال أبو بكر : فحدثت بهذا الحديث عطاء الخراساني ، فقال : أما رأيت بلاد الشام ؟ قلت : لا . قال : أما إنك لو رأيتها ، لرأيت المدائن التي خرّبت ، والزيتون الذي قطع ، فأتيت الشام بعد ذلك فرأيتها .

قال عطاء الخراساني : ثنا يحيى بن يعنم . أن قيصراً بعث رجلاً يدعى «قطمة» بجيش من الروم ، وبعث كسرى شهربراز ، فالتقيا بأذرعات وبُصْرَى ، وهى أدنى الشام إليكم ، فلقيت فارس الروم ، فغلبهم فارس ، ففرح بذلك كفار قريش ، وكرهه المسلمون ، فأنزل الله ( ألم . غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ) . . . الآيات ، ثم ذكر مثل حديث عكرمة ، وزاد : فلم يزل شهربراز يطوهم ، ويخرّب مدائنهم ، حتى بلغ الخليج ، ثم مات كسرى ، فأنهزم شهربراز وأصحابه ، وأوعبت عليهم الروم عند ذلك ، فأتبعوهم يقتلونهم . قال : وقال عكرمة في حديثه : لما ظهرت فارس على الروم جلس قرخان يشرب ، فقال لأصحابه : لقد رأيت كأنى جالس على سرير كسرى ، فبلغت كسرى ، فكتب إلى شهربراز : إذا أتاك كتابى ، فابعث إلى

برأس فرسخان، فكتب إليه: أيها الملك، إنك لن تجد مثل فرسخان، إن له نكاية وضربا في العدو، فلا تفعل. فكتب إليه: إن في رجال فارس خلقتا منه. فعجل إلى برأسه، فراجعه، فغضب كسرى، فلم يجبه، وبعث بريدا إلى أهل فارس، إلى قد نزع عنكم شهربراز، واستعملت عليكم فرسخان؛ ثم دفع إلى البريد صحيفة صغيرة: إذا ولي فرسخان الملك، وانقاد له أخوه، فأعطه هذه؛ فلما قرأ شهربراز الكتاب، قال: سمعا وطاعة، ونزل عن سريره، وجلس فرسخان، ودفع الصحيفة إليه، قال: ائتوني بشهربراز، فقد مه ليضرب عنقه، قال: لا تعجل حتى أكتب وصيتي، قال: نعم، فدعا بالسفط، فأعطاه ثلاث صحائف، وقال: كل هذا راجعت فيك كسرى، وأنت أردت أن تقتلني بكتاب واحد، فرد الملك، وكتب شهربراز إلى قيصر ملك الروم: إن لي إليك حاجة لا يحملها البريد، ولا تبلغها الصحف، فالتفتي، ولا تلتفتي إلا في خمسين روميا، فإني ألقاك في خمسين فارسيا، فأقبل قيصر في خمسين ألف رومي، وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق، وخاف أن يكون قد مكر به، حتى أتته عيونُه أن ليس معه إلا خمسون رجلا، ثم بسط لهما، والتقى في قبة ديباج ضربت لهما، مع كل واحد منهما سيكّين، فدعيا ترجمانا بينهما، فقال شهربراز: إن الذين خربوا مدائنك أنا وأخي، بكيدنا وشجاعتنا، وإن كسرى حسدنا، فأراد أن أقتل أخي، فأبيت، ثم أمر أخي أن يقتلني، فقد خلعناه جميعا، فنحن نقاتله معك، فقال: قد أصبنا، ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السر بين اثنين، فإذا جاوز اثنين فشا: قال: أجل، فقتلا الترجمان جميعا بسكينهما، فأهلك الله كسرى، وجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحُدَيْبِيَّةِ، ففرح ومن معه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (لم غلبت الروم) قال: غلبتهم فارس على أدنى الشام (وهم من بعد غلبتهم سيغلبون) . . . الآية، قال: لما أنزل الله هؤلاء الآيات صدق المسلمون بهم، وعلموا أن الروم سيظهرون على فارس، فاقتمروهم والمشركون خمس قلائص، خمس قلائص، وأجلوا بينهم خمس سنين، فولى قمار المسلمين أبو بكر رضى الله عنه، وولى قمار المشركين أبي بن خلف، وذلك قبل أن ينهت عن القمار، فحل الأجل، ولم يظهر الروم على فارس، وسأل المشركون قمارهم، فذكر ذلك أصحاب النبي للنبي صلى الله عليه وسلم قال: لم تكونوا أحقأء أن تؤجلوا دون العشر، فإن البضع ما بين الثلاث إلى العشر، وزايد وهم في القمار، ومادوهم في الأجل، ففعلوا ذلك، فأظهر الله الروم على فارس عند رأس البضع سنين من قمارهم الأول، وكان ذلك مرجعه من الحديدية، ففرح المسلمون بصلحهم الذي كان، وبظهور أهل الكتاب على الجوس، وكان ذلك مما شدد الله به الإسلام وهو قوله (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) . . . الآية .

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، في قوله (لم غلبت الروم) . . . إلى قوله (ويومئذ يفرح المؤمنون) قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم أخبر الناس بمكة أن الروم ستغلب، قال: فنزل القرآن بذلك، قال: وكان المسلمون يحبون ظهور الروم على فارس، لأنهم أهل الكتاب .



حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر ، عن عبد الله ، قال : « كانت فارس ظاهرة على الروم ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم ، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس ، لأنهم أهل كتاب ، وهم أقرب إلى دينهم : فلما نزلت ( الم . غَلِبَتِ الرُّومُ ) ... إلى ( فِي بِيضَعِ سِنِينَ ) قالوا : يا أبا بكر : إن صاحبك يقول : إن الروم تظهر على فارس في بضع سنين ، قال : صدق ، قالوا : هل لك أن نقامرك ؟ فبايعوه على أربع قلائص ، إلى سبع سنين ، فضت السبع ، ولم يكن شيء ، وفرح المشركون بذلك ، وشقَّ على المسلمين ، فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما بيضع سنين عندكم ؟ قالوا : دون العشر ، قال : اذهب فزأيدهم وأزدد سنينين » قال : فما مضت السنان ، حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس ، وفرح المسلمون بذلك ، فأنزل الله ( الم . غَلِبَتِ الرُّومُ ) ... إلى قوله ( وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، ومطر عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : مضت الروم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( الم . غَلِبَتِ الرُّومُ ) في أدنى الأرض ( قال : أدنى الأرض : الشام ) وهم من بعد غلبتهم سيغلبون ) قال : كانت فارس قد غلبت الروم ، ثم أدب الروم على فارس ، وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الروم ستغلب فارسا ، فقال المشركون : هذا مما يتخبرص محمد ، فقال أبو بكر : تنأجوني؟ والمناجبة : المجاعة ، قالوا : نعم ، فناحبهم أبو بكر ، فجعل السنين أربعا أو خمسا ، ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن البيضع فيما بين الثلاث إلى التسع ، فارجع إلى القوم ، فزاد في المناجبة ، فرجع إليهم ، قالوا : فناحبهم فزاد ، قال : فغلبت الروم فارسا ، فذلك قول الله ( وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ يُنْصِرُ اللَّهُ يُنْصِرُ مَنْ يَشَاءُ ) يوم أدب الروم على فارس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا معاوية بن عم ، و ، عن أبي إسحاق الفزاري ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي عمرة ، عن سعيد بن جببر ، عن ابن عباس ( الم . غَلِبَتِ الرُّومُ ) قال : غلبت وغلبت ، فأما الذين قرعوا ذلك ( غَلِبَتِ الرُّومُ ) بفتح العين ، فإنهم قالوا : نزلت هذه الآية خبرا من الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن غلبة الروم .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن علي ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن سليمان ، يعني الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، قال : لما كان يوم ظهر الروم على فارس ، فأعجب ذلك المؤمنين ، فنزلت ( الم . غَلِبَتِ الرُّومُ ) على فارس .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا يحيى بن حماد ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن سليمان ، عن عطية ، عن

أبي سعيد ، قال : لما كان يوم بدر ، غلبت الروم على فارس ، ففرح المسلمون بذلك ، فأنزل الله ( الم .  
غَلِبَتِ الرُّومُ ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن عطية ،  
عن أبي سعيد ، قال : لما كان يوم بدر ، ظهرت الروم على فارس ، فأعجب ذلك المؤمنين ، لأنهم أهل  
كتاب ، فأنزل الله ( الم . غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ) قال : كانوا قد غلبوا قبل ذلك ، ثم قرأ حتى  
بلغ ( وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ) .

وقوله ( فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ) قد ذكرت قول بعضهم فيما تقدم قبل ، وأذكر قول من لم يُذكر قوله .  
حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( فِي أَدْنَى  
الْأَرْضِ ) يقول : في طرف الشام . ومعنى قوله أدنى : أقرب ، وهو أفعل من الدنو والقرب . وإنما معناه :  
في أدنى الأرض من فارس ، فترك ذكر فارس استغناءً بدلالة ما ظهر من قوله ( فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ) عليه  
منه . وقوله ( وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ ) يقول : والروم من بعد غلبة فارس إياهم ، سيغلبون فارس .  
وقوله ( مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ ) مصدر من قول القائل : غلبته غلبة ، فحذفت الهاء من الغلبة . وقيل : من  
بعد غلبهم ، ولم يقل : من بعد غلبتهم للإضافة ، كما حذفت من قوله ( وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ) للإضافة . وإنما  
الكلام : وإقامة الصلاة .

وأما قوله ( سَيَغْلِبُونَ ) فإن القراء أجمعين على فتح الياء فيها ، والواجب على قراءة من قرأ ( الم .  
غَلِبَتِ الرُّومُ ) بفتح الغين ، أن يقرأ قوله ( سَيَغْلِبُونَ ) بضم الياء ، فيكون معناه : وهم من بعد غلبهم  
فارس ، سيغلبهم المسلمون ، حتى يصح معنى الكلام ، وإلا لم يكن للكلام كبير معنى إن فتحت الياء ، لأن  
الخبر عما قد كان يصير إلى الخبر عن أنه سيكون ، وذلك إفساد أحد الخبرين بالآخر .

وقوله ( فِي بَضْعِ سِنِينَ ) قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في معنى البضع فيما مضى ، وأتينا على  
الصحيح من أقوالهم ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا خلاد بن أسلم الصقفار ، عن عبد الله بن  
عيسى ، عن عبد الرحمن بن الحارث ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قلت له : ما البضع ؟ قال :  
زعم أهل الكتاب أنه تسع أو سبع .

وأما قوله ( لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ) فإن القاسم حدثنا ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى  
حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ ) دولة فارس على الروم ( وَمِنْ بَعْدُ ) دولة  
الروم على فارس .

وأما قوله ( وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ، يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ) فقد ذكرنا الرواية  
في تأويله قبل ، وبيننا معناه .



## القول فى تأويل قوله تعالى

وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦)

يقول تعالى ذكره : وعد الله جل ثناؤه ، وعد أن الروم ستغلب فارس من بعد غلبه فارس لهم ، ونصب ( وَعَدَّ اللَّهُ ) على المصدر ، من قوله ( وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ) لأن ذلك وعد من الله لهم ، أنهم سيغلبون ، فكأنه قال : وعد الله ذلك المؤمنين وعدا ( لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ ) يقول تعالى ذكره : إن الله بى بوعد للمؤمنين ، أن الروم سيغلبون فارس ، لا يخلفهم وعدّه ذلك ، لأنه ليس فى مواعيده خلف ( وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ) يقول : ولكن أكثر قريش الذين يكذبون بأن الله منجز وعدّه المؤمنين ، من أن الروم تغلب فارس ، لا يعلمون أن ذلك كذلك ، وأنه لا يجوز أن يكون فى وعد الله إخلاف .

## القول فى تأويل قوله تعالى

يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ (٧)

يقول تعالى ذكره : يعلم هؤلاء المكذبون بحقيقة خبر الله ، أن الروم ستغلب فارس . (ظاهرا) من حياتهم الدنيا ، وتدبير معاشهم فيها ، وما يصلحهم ، ( وهم عن ) أمر آخرتهم ، وما لهم فيه النجاة من عقاب الله هنالك ( غافلون ) ، لا يفكرون فيه .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تميمة يحيى بن واضح الأنصارى ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، قال : ثنا يزيد النحوى عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله ( يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) يعنى معاشهم ، متى يَحْضُدُونَ ومتى يَغْرَسُونَ .  
حدثنى أحمد بن الوليد الرملى ، قال : ثنا عمرو بن عثمان بن عمر ، عن عاصم بن على ، قال : ثنا أبو تميمة ، قال : ثنا ابن واقد ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله ( يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) قال : متى يَزْرَعُونَ ، متى يَغْرَسُونَ .  
حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا شريك ، عن عكرمة ، فى قوله ( يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) قال : هو السَّرَاجُ أو نحوه .  
حدثنا أبو هريرة محمد بن محمد بن فراس الضبعى ، قال : ثنا أبو قتبية ، قال : ثنا شعبة ، عن شريك ، عن عكرمة ، فى قوله ( يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) قال : السَّرَاجُونَ .  
حدثنا أحمد بن الوليد الرملى ، قال : ثنا سليمان بن حرب ، قال : ثنا شعبة ، عن شريك ، عن عكرمة ، فى قوله ( يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) قال : الحَرَازُونَ والسَّرَاجُونَ .

حدثنا بشر بن آدم ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : معاشيهم وما يصلحهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم مثله .

حدثني بشر بن آدم ، قال : ثنا الضحاك بن مخلد ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، وعن منصور عن إبراهيم (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : معاشيهم .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يعني الكفار ، يعرفون عمران الدنيا ، وهم في أمر الدين جهال .

حدثني ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : معاشيهم ، وما يصلحهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) من حيرتها وتصرفها وبغيها (وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الحسن ، قال : يعلمون متى زرعتهم ، ومتى حصادهم .

قال : ثنا حفص بن راشد الهلالي ، عن شعبة ، عن شريقي ، عن عكرمة (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : السراج ونحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : صرفها في معيشتها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ، وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (١) .

وقال آخرون في ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القسبي ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : تسرق الشياطين السمع ، فيسمعون الكلمة التي قد نزلت ، ينبغي لها أن تكون في الأرض ، قال : وَيُرْمَوْنَ بِالشَّهْبِ ، فلا ينجو أن يحترق ، أو يصيبه شر منه ؛ قال : فيسقط فلا يعود أبدا ؛ قال : ويرمى بذلك الذي سمع إلى أولياته من الإنس ، قال : فيحملون عليه ألف كذبة ، قال : فما رأيت الناس يقولون : يكون كذا وكذا ، قال : فيجىء الصحيح منه كما يقولون ، الذي سمعوه من السماء ، ويعقبه من الكذب الذي يخوضون فيه .

(١) . كذا في النسخ ، ولم يذكر التفسير ، ولعله سقط من قلم الناسخ ، أو لعله كلمة «نحوه» أو «مثله» ، وكثيرا ما يتركها .



القول فى تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى، وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَفِرُونَ (٨)

يقول تعالى ذكره : أو لم يتفكّر هؤلاء المكذّبون بالبعث يا محمد من قومك ، فى خلق الله إياهم ، وأنه خلقهم ولم يكونوا شيئاً ، ثم صرّفهم أحوالاً وتارات ، حتى صاروا رجالاً ، فيعلموا أن الذى فعل ذلك قادر أن يعيدهم بعد فناءهم خلقاً جديداً ، ثم يجازى المحسن منهم بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، لا يظلم أحداً منهم ، فيعاقبه بجرم غيره ، ولا يحرم أحداً منهم جزاء عمله ، لأنه العدل الذى لا يجرى ، ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالعدل ، وإقامة الحق ، ( وأجل مسمى ) : يقول : وبأجل مؤقت مسمى ، إذا بلغت ذلك الوقت ، أفنى ذلك كله ، وبدل الأرض غير الأرض والسموات ، وبرزوا لله الواحد القهار ، وإن كثيراً من الناس بلىقاء ربهم جاحدون منكرون ، جهلاً منهم بأن معادهم إلى الله بعد فناءهم ، وغفلة منهم عن الآخرة .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ، كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ، وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ، وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ، فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ، وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩)

يقول تعالى ذكره : أو لم يسر هؤلاء المكذّبون بالله ، الغافلون عن الآخرة من قريش ، فى البلاد التى يسكنونها تجراً ، فينظروا إلى آثار الله فىمن كان قبلهم من الأمم المكذّبة ، كيف كان عاقبة أمرها فى تكذيبها رسلها ، فقد كانوا أشدّ منهم قوّة ، وأثاروا الأرض : واستخرجوا الأرض ، وحرثوها وعمروها أكثر مما عمّر هؤلاء ، فأهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم رسلهم ، فلم يقدرُوا على الامتناع ، مع شدّة قواهم ، مما نزل بهم من عقاب الله ، ولا نفعتهم عمارتهم ما عمروا من الأرض ، إذ جاءتهم رسلهم بالبينات من الآيات ، فكذبوهم ، فأحلّ الله بهم بأسه ، فما كان الله ليظلمهم بعقابه إياهم على تكذيبهم رسله ، وجحودهم آياته ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بمعصيتهم ربهم .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله ( وأثاروا الأرض ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله ( أو لم يسيرُوا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، كانوا أشدّ منهنّ قوّة ، وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ) قال : ملكوا الأرض وعمروها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَأَثَارُوا الْأَرْضَ ) قال : حرثوها .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ) . . . إلى قوله ( وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا ) كقوله ( وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ ) ، وقوله ( وَعَمَرُوهَا ) أكثر مما عمّر هؤلاء ، ( وَجَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ) .

## القول في تأويل قوله تعالى

مَّمَّ كَانَ عَقِبَهُ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوْأَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ، وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ (١٠)

يقول تعالى ذكره : ثم كان آخر أمر بمن كفر من هؤلاء الذين أثاروا الأرض وعمروها ، وجاءتهم رسالهم بالبينات ، بالله ، وكذبوا رسله ، فأساءوا بذلك من فعلهم ( السوأي ) : يعنى الخلة التي هي أسوأ من فعلهم ، أما في الدنيا ، فالبوار والمهلك ، وأما في الآخرة فالنار لا يخرجون منها ، ولا هم يستعتبون .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( مَّمَّ كَانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ أساءُوا السُّوْأَى ) : الذين أشركوا السوءى : أي النار .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( مَّمَّ كَانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ أساءُوا السُّوْأَى ) يقول : الذين كفروا جزأؤهم العذاب .

وكان بعض أهل العربية يقول : السوأي في هذا الموضع : مصدر ، مثل البقوى ، وخالفه في ذلك غيره فقال : هي اسم .

وقوله ( أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ) يقول : كانت لهم السوأي ، لأنهم كذبوا في الدنيا بآيات الله ، وكانوا بها يستهزئون : يقول : وكانوا بحجج الله ، وهم أنبيأؤه ورسله ، يسخرون .

## القول في تأويل قوله تعالى

اللَّهُ يَبْدُوْا أَلْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيْدُهُ ، ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١١)

يقول تعالى ذكره : الله تعالى يبدأ بإنشاء جميع الخلق منفردا بإنشائه ، من غير شريك ولا ظهير ، فيحدثه من غير شيء ، بل بقدرته عز وجل ، ثم يعيده خلقا جديدا ، بعد إفنائه وإعدامه ، كما بدأه خلقا سويا ، ولم يك شيئا . ( ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ) يقول : ثم إليه من بعد إعادتهم خلقا جديدا يردون ، فيحشرون لفصل القضاء بينهم ، ( وَلَيَجْزِيَنَّ الَّذِينَ أساءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَلَيَجْزِيَنَّ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ) .



## القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (١٢) وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ ،  
وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (١٣)

يقول تعالى ذكره : ويوم تجيء الساعة التى فيها يفصل الله بين خلقه ، ويُشتر فيها الموتى من قبورهم ، فيحشرهم إلى موقف الحساب ( يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ) يقول : ييأس الذين أشركوا بالله ، واكتسبوا فى الدنيا مساوى الأعمال من كل شر ، ويكتئبون ويتندمون ، كما قال العجاج :  
ياصاح هل تعرف رسماً مكرساً قال ناعم أعرفه وأبلساً  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( يُبْلِسُ ) قال : يكتئب .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ) أى فى النار .  
حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله ( وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ) قال : المُبْلِسُ : الذى قد نزل به الشر ، إذا أبلس الرجل ، فقد نزل به بلاء .  
وقوله ( وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ ) يقول تعالى ذكره : ويوم تقوم الساعة لم يكن هؤلاء المجرمين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم ، من شركائهم الذين كانوا يتبعونهم ، على مادعوهم إليه من الضلالة ، فيشاركونهم فى الكفر بالله ، والمعونة على أذى رُسُلِهِ . ( شفعاء ) يشفعون لهم عند الله ، فيستنقذوهم من عذابه . وكانوا بشركائهم كافرين ) يقول : وكانوا بشركائهم فى الضلالة ، والمعونة فى الدنيا على أولياء الله كافرين ، يجحدون ولايتهم ، ويتبرعون منهم ، كما قال جل ثناؤه ( إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ، ورأوا العذاب ، وتقطعت بهم الأسباب ، وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة ، فنتبرأ منهم كما تبرأؤا منا ) .

## القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ  
يُحْبَرُونَ (١٥)

(١) البيتان من الرجز للعجاج ( ديوانه طبع لبيسج سنة ١٩٠٣ ص ٣١ ) ومعانى القرآن للفراء ( الورقة ٢٤٧ ) ومجاز القرآن لأبي عبيدة ( الورقة ١٨٦ ب ) قال أبو عبيدة فى تفسير قوله تعالى : « ويقوم تقوم الساعة يبلس المجرمون » : أى يتندمون ، ويكأبون وييأسون . قال « يا صاح . . . البيتان . وفى ( اللسان : كرس ) : ورسم مكرس ( اسم مفعول ) ومكرس ( اسم فاعل ) وهو الذى قد عبرت فيه الإبل ويولت ، فركب بعضه بعضاً . وقال فى ( بلس ) : أبلس الرجل : قطع به ، عن ثعلب . وأبلس : سكت ؛ وأبلس من رحمة الله : أى يئس وتدم .

يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء الساعة التي يحشر فيها الخلق إلى الله (يومئذ)، يقول في ذلك اليوم يتفرقون، يعني: يتفرق أهل الإيمان بالله، وأهل الكفر به، فأما أهل الإيمان، فيؤخذ بهم ذات اليمين، إلى الجنة، وأما أهل الكفر فيؤخذ بهم ذات الشمال، إلى النار، فهناك يميز الله الخبيث من الطيب.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) قال: فرقة والله لا اجتماع بعدها (فأما الذين آمنوا) بالله ورسوله (وعملوا الصالحات) يقول: وعملوا بما أمرهم الله به، وانتهوا عما نهاهم عنه (فهم في روضة يجبرون) يقول: فهم في الرياحين والنباتات الملتفة، وبين أنواع الزهر في الجنان يسرون، ويلتذذون بالسماع، وطيب العيش الهنيء، وإنما خصّ جلّ ثناؤه ذكر الروضة في هذا الموضع، لأنه لم يكن عند الطرفين أحسن منظرا، ولا أطيب نشرا من الرياض، ويدل على أن ذلك كذلك، قول أعشى بن ثعلبة:

ماروضة من رياض الحسّن معشبة خضراء جادَ عليّها مسيل هطل  
بضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعيم النبت مكتهل  
يوما بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل<sup>١</sup>

فأعلمهم بذلك تعالى، أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات من المنظر الأنيق، واللذيد من الأرييح، والعيش الهنيء، فيما يجوبون، ويسرون به، ويغبطون عليه. والحسرة عند العرب: السرور والغبطة؛ قال العجاج:

فالحمد لله الذي أعطى الحبر موالى الحق إن المولى شكر<sup>٢</sup>

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: فهم في روضة يكرمون.

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (فهم في روضة يجبرون) قال: يكرمون. وقال آخرون: معناه: ينعمون.

(١) الأبيات الثلاثة لأعشى بن قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٥٧). والرواية فيه: من رياض الحزن. وهو المرتفع من الأرض. وأورد أبو عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٨٧) البيت الأول والثالث. والرواية فيه: من رياض الحزم. وهو بمعنى الحزن أي الغليظ من الأرض. قال أبو عبيدة: «في روضة يجبرون»: مجازه: يفرحون ويسرون. وليس شيء أحسن عند العرب من الرياض المعشبة، ولا أطيب ريحا؛ قال الأعشى: «ماروضة... الخ». اه. قلت: ورواية الحزن أو الحزم أحسن الروايات، ورياض الحزن أطيب من رياض المنخفضات، لأن الريح تهب عليها، فتهب رائحتها، ولأن الأقدام لا تطلوها، ولأن الشمس تضربها من جميع نواحيها، فيزكو زرعها وينضج. والمسيل: المطر. والحطل الغزير، والكوكب: النور. والشرق: الزاهي. والمؤزر الذي حوله نبات آخر، فهو كالإزار له. والمكتهل: الذي قد بلغ وتم. والنشر: تضوع الرائحة. والأصل: جمع أصيل، وهو وقت الغروب، أو قبيله بقليل، حين تصفر الشمس، وتدنو من الغروب.

(٢) البيتان للعجاج (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ١٥) من أرجوزة يمدح بها عمر بن عبيد الله بن معمر، و (مجاز القرآن لأبي عبيدة الورقة ١٨٧ ب) وقد أوردته عطفًا على قول الأعشى الذي قبله. وفي (اللسان: حبر): الحبر يفتح فسكون (والحبر بفتحين) والحبرة (يفتح فسكون) والحبور: كله السرور. قال العجاج: «فالحمد لله... البيت». من قولم حبرني هذا الأمر حبرا، أي سرفي. وقد حرك الباء فيهما، وأصله التسكين. وأحبرني الأمر: سرفي. ويروي الشهر اه.



ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( يُحْسِرُونَ ) قال : يَسْتَعْمُونَ .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله ( فَهَمُّ فِي رَوْضَةٍ يُحْسِرُونَ ) قال : ينعمون .  
وقال آخرون : يَلْتَذُّونَ بِالسَّمْعِ وَالْغِنَاءِ .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن مرسى الحرسي ، قال : ثنا عامر بن يساف ، قال : سألت يحيى بن أبي كثير ، عن قول الله ( فَهَمُّ فِي رَوْضَةٍ يُحْسِرُونَ ) قال : الخبيرة : اللذة والسماع .  
حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابي ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير في قوله ( يُحْسِرُونَ ) قال : السماع في الجنة .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، مثله .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن عامر بن يساف ، عن يحيى بن أبي كثير ، مثله .  
وكل هذه الألفاظ التي ذكرنا عن ذكرناها عنه ، تعود إلى معنى ما قلنا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ، فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (١٦)

يقول تعالى ذكره : وأما الذين جحدوا توحيد الله ، وكذبوا رسله ، وأنكروا البعث بعد الممات ، والنشور للدار الآخرة ، فأولئك في عذاب الله مُحْضَرُونَ ، وقد أحضرهم الله إياها ، فجمعهم فيها ، ليذوقوا العذاب ، الذي كانوا في الدنيا يكذبون .

القول في تأويل قوله تعالى

فَسَبِّحْ لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا

وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨)

يقول تعالى ذكره : فسبحوا الله أيها الناس : أي صلُّوا له حين تمسون ، وذلك صلاة المغرب ، وحين تصبحون ، وذلك صلاة الصبح ( وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) يقول : وله الحمد من جميع خلقه ، دون غيره ، في السموات من سكانها من الملائكة ، والأرض من أهلها ، من جميع أصناف خلقه فيها ،

(١) كذا في الأصل بحذف ضمير الرابط . أي يكذبون به .

( وَعَشِيًّا ) يقول : وَسَبَّحُوهُ أَيضاً عَشِيًّا ، وذلك صلاة العصر ( وَحِينَ تَظْهَرُونَ ) يقول : وَحِينَ تَدْخُلُونَ فِي وَقْتِ الظَّهْرِ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، قال : سألت نافع بن الأزرق ابن عباس : ( هل تجد ) ١ ميقات الصلوات الخمس في كتاب الله ، قال : نعم ( فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ) المغرب ( وَحِينَ تَصْبِحُونَ ) الفجر ( وَعَشِيًّا ) العصر ( وَحِينَ تَظْهَرُونَ ) الظهر ، قال : ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عَوْرَاتٍ لَكُمْ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن . قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، قال : سألت نافع بن الأزرق ابن عباس عن الصلوات الخمس في القرآن ، قال : نعم ، فقرأ ( فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ) قال : صلاة المغرب ( وَحِينَ تَصْبِحُونَ ) قال : صلاة الصبح ( وَعَشِيًّا ) قال : صلاة العصر ( وَحِينَ تَظْهَرُونَ ) صلاة الظهر ، ثم قرأ ( وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ) حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن الحكم بن أبي عياض ، عن ابن عباس ، قال : جمعت هاتان الآيتان مواقيت الصلاة : ( فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ) قال : المغرب والعشاء . ( وَحِينَ تَصْبِحُونَ ) : الفجر . ( وَعَشِيًّا ) : العصر . ( وَحِينَ تَظْهَرُونَ ) : الظهر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن الحكم ، عن أبي عياض ، عن ابن عباس ، بنحوه . حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن ليث ، عن الحكم ، عن أبي عياض ، عن ابن عباس في قوله ( فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تَصْبِحُونَ ) . . . إلى قوله ( وَحِينَ تَظْهَرُونَ ) قال : جمعت الصلوات ( فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ) المغرب والعشاء ( وَحِينَ تَصْبِحُونَ ) صلاة الصبح ( وَعَشِيًّا ) صلاة العصر ( وَحِينَ تَظْهَرُونَ ) صلاة الظهر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان الرازي ، عن أبي سينان ، عن ليث ، عن مجاهد ( فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ) : المغرب والعشاء . ( وَحِينَ تَصْبِحُونَ ) : الفجر . ( وَعَشِيًّا ) : العصر . ( وَحِينَ تَظْهَرُونَ ) : الظهر ، وكل سجدة في القرآن فهي صلاة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ) : لصلاة المغرب ( وَحِينَ تَصْبِحُونَ ) : لصلاة الصبح . ( وَعَشِيًّا ) : لصلاة العصر . ( وَحِينَ تَظْهَرُونَ ) : صلاة الظهر أربع صلوات .

حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله ( فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ

(١) ( هل تجد ) : ساقطة من الأصل ، وأوردها الشوكاني في تفسيره فتح القدير ( ٤ : ١١٤ ) وسقط منه بعدما كلمة « ميقات » التي أوردها المؤلف هنا .



تُمْسُونَ وَحِينَ تَصْبِحُونَ ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ) . قال حين تمسون : صلاة المغرب ، وحين تصبحون : صلاة الصبح ، وعشيا : صلاة العصر ، وحين تظهرون : صلاة الظهر .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ، وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ نُخْرَجُونَ (١٩)

يقول تعالى ذكره : صلُّوا فى هذه الأوقات التى أمركم بالصلاة فيها أيها الناس ، لله الذى يخرج الحي من الميت ، وهو الإنسان الحي من الماء الميت ، ويخرج الماء الميت من الإنسان الحي ( وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ) فينبئنا ، ويخرج زرعها بعد خرابها وجدوبها ( وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ نُخْرَجُونَ ) يقول : كما يحيى الأرض بعد موتها ، فيخرج نباتها وزرعها ، كذلك يحييكم من بعد مماتكم ، فيخرجكم أحياء من قبوركم ، إلى موقف الحساب . وقد بينا فيما مضى قبل تأويل قوله ( يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ) ، وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضوع ، غير أنا نذكر بعض ما لم نذكر من الخبر هنالك إن شاء الله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن ابن عباس ، قوله ( يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ) قال : يخرج من الإنسان ماء ميتا ، فيخلق منه بشرا ، فذلك الميت من الحي ، ويخرج الحي من الميت ، فيعنى بذلك أنه يخلق من الماء بشرا ، فذلك الحي من الميت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قوله ( يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ) المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير وأبو معاوية عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ( يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ) قال : النطيفة ماء الرجل ميتة وهو حي ، ويخرج الرجل منها حيا وهى ميتة .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (٢٠)

يقول تعالى ذكره : ومن حججه على أنه القادر على ما يشاء أيها الناس ، من إنشاء وإفناء ، وإيجاد

(١) قوله « ماء ميتا » بحسب الظاهر للأعين المجردة ؛ فأما بعد اختراع المجهر المكبر ، فقد علم أن ماء الرجل ليس بميت . والله سبحانه يخرج النبات الحى من الأرض الميتة وأمثلة المفسرين القدماء تحتاج إلى تحقيق .

وإعدام ، وأن كل موجود فخلقه خلقه أبيكم من تراب ، يعني بذلك خلق آدم من تراب ، فوصفهم بأنه خلقهم من تراب ، إذ كان ذلك فعله بأبيهم آدم ، كبحو الذي قد بيننا فيما مضى من خطاب العرب من خاطبت بما فعلت بسلفه ، من قولهم : فعلنا بكم وفعلنا .

وقوله ( **ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ** ) يقول : ثم إذا أنتم معشر ذرية من خلقناه من تراب ( بشر ) تنتشرون ) يقول : تنصرفون .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ** )

خلق آدم عليه السلام من تراب ( **ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ** ) يعني : ذريته .

القول في تأويل قوله تعالى

**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ، وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً**

**وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)**

يقول تعالى ذكره : ومن حججه وأدلته على ذلك أيضا خلقه لأبيكم آدم من نفسه زوجة ، ليسكن إليها ، وذلك أنه خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ**

**أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا** ) خلقها لكم من ضلع من أضلاعه .

وقوله ( **وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً** ) يقول : جعل بينكم بالمصاهرة والخُتونة مودة تتوادون

بها ، وتتواصلون من أجلها ، ورحمة رحمتكم بها ، فعطف بعضكم بذلك على بعض ( **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ**

**يَتَفَكَّرُونَ** ) يقول تعالى ذكره : إن في فعله ذلك لعبرا وعظات لقوم يتذكرون في حجج الله وأدلته ،

فيعلمون أنه الإله الذي لا يعجزه شيء إلا أنه ، ولا يتعذر عليه فعل شيء شاء .

القول في تأويل قوله تعالى

**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفُ الْأَسْنَتِكُمْ وَاللُّغَاتِكُمْ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ**

**لِّلْعَالَمِينَ (٢٢)**

يقول تعالى ذكره : ومن حججه وأدلته أيضا ، على أنه لا يعجزه شيء ، وأنه إذا شاء أمات من كان حيا

من خلقه ، ثم إذا شاء أنشده وأعاده ، كما كان قبل إمامته إياه ، خلقه السموات والأرض من غير شيء أحدث

ذلك منه ، بل بقدرته التي لا يمتنع معها عليه شيء إلا أنه أراد ( **وَأَخْتَلَفُ الْأَسْنَتِكُمْ** ) يقول : واختلاف



منطق ألسنتكم ولغاتها) (وَأَلْوَانِكُمْ) يقول : واختلاف ألوان أجسامكم (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ) : يقول : إن في فعله ذلك لعبرا وأدلة لخلقته الذين يعقلون أنه لا يعيبه إعادتهم لهيئتهم التي كانوا بها قبل مماتهم ، من بعد فنأثمهم . وقد بينا معنى العالمين فيما مضى قبل .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَبْغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ  
يَسْمَعُونَ (٢٣)

يقول تعالى ذكره : ومن حججه عليكم أيها القوم ، تقديره الساعات والأوقات ، ومخالفته بين الليل والنهار ، فجعل الليل لكم سكنا تسكنون فيه ، وتنامون فيه ، وجعل النهار مضيئا لتصرفكم في معاشكم والتماسكم فيه من رزق ربكم . (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) يقول تعالى ذكره : إن في فعل الله ذلك كذلك ، لعبرا وذكري ، وأدلة على أن فاعل ذلك لا يعجزه شيء أرادته (لقوم يسمعون) مواعظ الله ، فيتعظون بها ويعتبرون ، فيفهمون حجج الله عليهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ، وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : ومن حججه (يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا) لكم إذا كنتم ستفرا ، أن تمطروا فتتأذوا به (وطمعا) لكم ، إذا كنتم في إقامة أن تمطروا ، فتحيوا وتخصبوا (وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) يقول : وينزل من السماء مطرا ، فيحيي بذلك الماء الأرض الميتة ، فتنبت ويخرج زرعها بعد موتها ، يعني جذوبها ودروسها (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ) يقول : إن في فعله ذلك لعبرا وأدلة (لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) عن الله حججه وأدلته .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا) قال : خوفا للمسافر ، وطمعا للمقيم . واختلف أهل العربية فى وجه سقوط « أن » فى قوله (يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا) فقال بعض نحوى البصرة : لم يذكر هاهنا « أن » ، لأن هذا يدل على المعنى ؛ وقال الشاعر :

ألا أيهدأ الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي<sup>١</sup>  
قال : وقال :

لَوْ قُلْتُ مَا فِي قَوْمِهَا لَمْ تَيْسَمِ بِفَضْلُهَا فِي حَسَبٍ وَمَيْسَمِ<sup>٢</sup>

وقال : يريد : ما في قومها أحد . وقال بعض نحويي الكوفيين : إذا أظهرت « أن » فهي في موضع رفع ، كما قال ( وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَمَنَاكُمْ ) فإذا حذف جعلت من مؤدية عن اسم متروك ، يكون الفعل صلة ، كقول الشاعر :

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا أُمُوتٌ وَأُخْرَى أَبْتَغَى العَيْشَ أَكْدَحُ<sup>٣</sup>

كأنه أراد : فمنها ساعة أموتها ، وساعة أعيشها ، وكذلك : ومن آياته يريكم آية البرق ، وآية لكذا ، وإن شئت أردت : ويريك من آياته البرق ، فلا تضمر « أن » ولا غيره . وقال بعض من أنكر قول البصري : إنما ينبغي أن تحذف « أن » من الموضع الذي يدل على حذفها ، فأما في كل موضع فلا ، فأما مع أحضر<sup>٤</sup> الوغى ، فلما كان زجرتك أن تقوم ، وزجرتك لأن تقوم ، يدل على الاستقبال ، جاز حذف « أن » ، لأن الموضع معروف ، لا يقع في كل الكلام ، فأما قوله : ومن آياته أنك قائم ، وأنت تقوم ، وأن تقوم ، فهذا الموضع لا يحذف ، لأنه لا يدل على شيء واحد .

(١) البيت لطرفة بن العبد البكري من معلقته ( مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطفي السقا ، طبعة الحلبي ص ٣١٧ ) . ورواية البيت عند البصريين « أحضر » بالرفع ، لأنه لما أضمر ( أن ) قبله ذهب عملها ، لأنها لاتعمل عندهم وهي مضمرة ، إلا في المواضع العشرة المخصوصة . وعند الكوفيين « أحضر » بالنصب ، لأنها وإن أضمرت فكأنها موجودة ، لقوة الدلالة عليها ؛ فكأنه قال : أن أحضر . والوغي : الحرب . وأصله أصوات المحاربين فيها . يقول : أيها الإنسان الذي يلومني على شهودي الحرب ، وتحصيل اللذات ، هل تختلف في الدنيا إذا كفتت عن الحرب ؟ وقوله تعالى : « ومن آياته يريكم البرق . . . الخ » إما أن يتعلق « من آياته » بيريكم ، فيكون في موضع نصب ، ومن لا يتدأ الغاية أو « يريكم » على إضمار ( أن ) كما قال طرفة : « ألا أيهدأ » . البيت « برغ أحضر » كرواية البصريين ، والتقدير : أن أحضر ، فلما حذف ( أن ) ارتفع الفعل ، فيكون التقدير : ومن آياته إراءتكم إياكم البرق .

(٢) البيت من الرجز لحكيم بن معية الربيعي التميمي ، وهو راجز إسلامي ، كان في زمن العجاج ، وقد نسب إليه سيبويه في الكتاب ( خزنة الأدب الكبرى للبغدادى ٢ : ٣١١ ) . وأنشده الفراء في معاني القرآن عند قوله تعالى : « من الذين هادوا بقرظون الكلم » على أحد وجهين وذلك من كلام العرب أن يضمروا ( من بفتح الميم ) في مبتدأ الكلام ( بمن بكسر الميم ) ، فيقولون : منا يقول ذلك ، ومنا لا يقوله ؛ وذلك أن ( من بالكسر ) بعض لما هي منه ، فلذلك أدت عن المعنى المتروك ؛ قال الله تعالى : « وما منا إلا له مقام معلوم » وقال « وإن منكم إلا واردها » . ولا يجوز إضمار ( من ) بالفتح في شيء من الصفات ( حروف الجر ) إلا على هذا الذي نبأتك به ، وقد قالها الشاعر في ( في ) ولست أشبهها . قال : لو قلت . . . البيت ، وإنما جاز لك لأنك تجد معنى من ( بالكسر ) من أنه بعض ما أضيفت إليه ألا ترى أنك تقول : فينا الصالحون ، وفينا دون ذلك ، فكأنك قلت : منا . وقال الفراء في قوله تعالى : « ومن آياته يريكم البرق » . فن أضمر ( أن ) فهي في موضع اسم مرفوع ، كما قال : « ومن آياته منامكم » فإذا حذف أن ، جعلت من ( بالكسر ) مؤدية عن اسم متروك يكون الفعل ( في ) صلة له ، كقول الشاعر « وما الدهر إلا تارتان . . . الخ البيت » . كأنه أراد : فنها ساعة أموتها ، وساعة أعيشها . وكذلك ومن آياته آية للبرق ، وآية لكذا . وإن شئت يريكم من آياته البرق ، فلا تضمر أن ولا غيره . اه .

(٣) البيت تميم بن أبي بن مقبل ، وهو شاعر إسلامي ( خزنة الأدب الكبرى للبغدادى ٢ : ٣٠٨ ) وهو شاهد على أن جملة أموت صفة لموصوف مخلوف ، أي تارة أموت فيها أو أموتها ، وتارة أخرى أبغى العيش فيها . هكذا قدره سيبويه . وقال الفراء في ( معاني القرآن ، الورقة ٢٤٧ ) : كأنه أراد : فنها ساعة أموتها ، وساعة أعيشها . وكذلك : ومن آياته آية للبرق ، وآية لكذا . وإن شئت : يريكم من آياته البرق ، فلا تضمر ( أن ) ولا غيره . اه . وأنشد البيت الزجاج في تفسيره ، عند قوله تعالى : « من الذين هادوا بقرظون الكلم » أي قوم بقرظون ، كهذا البيت . والمعنى منهما : تارة أموت فيها . فحذف تارة ، وأقام الجملة التي هي صفة نائبة عنها . . . الخ .



والصواب من القول فى ذلك: أن « مِين » فى قوله ( وَمِنْ آيَاتِهِ ) ، تدلّ على المحذوف ، وذلك أنها تأتى بمعنى التبعض . وإذا كانت كذلك ، كان معلوما أنها تقتضى البعض ، فلذلك تحذف العرب معها الاسم لدالاتها عليه .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٥)

يقول تعالى ذكره : ومن حججه أيها القوم على قدرته على ما يشاء ، قيام السماء والأرض بأمره ، خضوعا له بالطاعة ، بغير عمد ترى ( ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ) يقول : إذا أنتم تخرجون من الأرض ، إذا دعاكم دعوة ، مستجيبين لدعوته إياكم .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ) قائمتا بأمره بغير عمد ( ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ) قال : دعاهم فخرجوا من الأرض .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله ( إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ) يقول : من الأرض .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (٢٦) وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ، وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧)

يقول تعالى ذكره : ولله من فى السموات والأرض من ملك وجن وإنس ، عبيد وملك ( كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ) يقول : كل له مطيعون ، فيقول قائل : وكيف قيل : ( كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ) وقد علم أن أكثر الإنس والجن له عاصون ؟ فنقول : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فنذكر اختلافهم ، ثم نبين الصواب عندنا فى ذلك من القول ، فقال بعضهم : ذلك كلام يخرج منه مخرج العموم ، والمراد به الخصوص ، ومعناه : كل له قانتون فى الحياة والبقاء والموت ، والفناء والبعث والنشور ، لا يمتنع عليه شىء من ذلك ، وإن عصاه بعضهم فى غير ذلك .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله ( وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ) . . . إلى ( كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ ) يقول : مطيعون ، يعنى الحياة والنشور والموت ، وهم عاصون له فيما سوى ذلك من العبادة . وقال آخرون : بل معنى ذلك : كل له قانتون بإقرارهم بأنه ربهم وخالقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ ) : أى مطيع مقرّ بأن الله ربه وخالقه .

وقال آخرون : هو على الخصوص ، والمعنى : وله من فى السموات والأرض ، من ملك وعبد مؤمن لله مطيع دون غيرهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ ) قال : كل له مطيعون ، المطيع : القانت ، قال : وليس شىء إلا وهو مطيع ، إلا ابن آدم ، وكان أحقهم أن يكون أطوعهم لله . وفى قوله ( وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ) قال : هذا فى الصلاة ، لاتتكلّموا فى الصلاة كما يتكلّم أهل الكتاب فى الصلاة ، قال : وأهل الكتاب يمشى بعضهم إلى بعض فى الصلاة ، قال : ويتقابلون فى الصلاة ، فإذا قيل لهم فى ذلك ، قالوا : لكى تذهب الشحاء من قلوبنا ، تسلم قلوب بعضنا لبعض ، فقال الله : وقوموا لله قانتين ، لاتزولوا كما يزولون . قانتين : لاتتكلّموا كما يتكلّمون . قال : فأما ما سوى هذا كله فى القرآن من القنوت ، فهو الطاعة ، إلا هذه الواحدة .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : القول الذى ذكرناه عن ابن عباس ، وهو أن كل من فى السموات والأرض من خلق لله ، مطيع فى تصرفه فيما أراد تعالى ذكره من حياة وموت ، وما أشبه ذلك ، وإن عصاه فيما يكسبه بقوله ، وفيما له السبيل إلى اختياره ، وإيثاره على خلافه .

ولمّا قلت : ذلك أولى بالصواب فى تأويل ذلك ، لأن العصاة من خلقه فيما لهم السبيل إلى اكتسابه كثير عددهم ، وقد أخبر تعالى ذكره عن جميعهم أنهم له قانتون ، فغير جائز أن يخبر عن من هو عاص ، أنه له قانت فيما هو له عاص . وإذا كان ذلك كذلك ، فالذى فيه عاص هو ما وصفت ، والذى هو له قانت ما بيّنت .

وقوله ( وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ) يقول تعالى ذكره : والذى له هذه الصفات تبارك وتعالى ، هو الذى يبدأ الخلق من غير أصل ، فينشئه ويوجده ، بعد أن لم يكن شيئاً ، ثم يفنيه بعد ذلك ، ثم يعيده ، كما بدأه بعد فئائه ، وهو أهون عليه .

اختلف أهل التأويل ، فى معنى قوله ( وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ) فقال بعضهم : معناه : وهو هيّن عليه .



ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن سعيد العطار ، عن سفیان عن ذكره ، عن منذر الثورى ، عن الربيع بن خبيثم ( وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ) قال : ما شئء عليه بعزير .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ) يقول : كل شئء عليه هين . وقال آخرون : معناه : وإعادة الخلق بعد فناهم أهون عليه من ابتداء خلقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله ( وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ) قال : يقول : أيسر عليه .  
حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ) قال : الإعادة أهون عليه من البداءة ، والبداءة عليه هين .

حدثني ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة قرأ هذا الحرف ( وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ) قال : تعجب الكفار من إحياء الله الموتى ، قال : فنزلت هذه الآية ( وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ) إعادة الخلق أهون عليه من إبداء الخلق .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة بنحوه ، إلا أنه قال : إعادة الخلق أهون عليه من ابتدائه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ) يقول : إعادته أهون عليه من بدئه ، وكل على الله هين . وفى بعض القراءة : وكل على الله هين .

وقد يحتمل هذا الكلام وجهين ، غير القولين اللذين ذكرت ، وهو أن يكون معناه : وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون على الخلق : أى إعادة الشئء أهون على الخلق من ابتدائه . والذى ذكرنا عن ابن عباس فى الخبر الذى حدثني به ابن سعد ، قول أيضا له وجه .  
وقد وجه غير واحد من أهل العربية قول ذى الرمة :

أخى قفّراتٍ دبّيتٍ فى عظامه

شفاقاتُ أعجاز الكرى فهو أخضع

إلى أنه بمعنى خاضع ؛ وقول الآخر :

(١) البيت فى ديوان ذى الرمة طبع جامعة كيمردج سنة ١٩١٩ ص ٣٤٨ . قال فى شرحه : شفاقات : بقايا أعجاز الكرى ، أو آخر النوم ، فاستعار له المنهل ، فكأنه قد سكر ، فهو أخضع .

لَعَمْرُكَ إِنَّ الزَّبْرَقَانَ لَبَازِلٌ  
كَرِيمٌ لَهُ عَن كُلِّ ذَمٍّ تَأَخَّرُ  
لِمَعْرُوفِهِ عِنْدَ السَّنِينِ وَأَفْضَلُ  
وَفِي كُلِّ أَسْبَابِ الْمَكَارِمِ أَوَّلُ ١

إلى أنه بمعنى : وفاضل ؛ وقول معن :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ  
عَلَى أَيِّنَا تَعَدُّو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ ٢

إلى أنه بمعنى : وإني لوجيل ؛ وقول الآخر :

تَمَتَّنِي مُرِيءُ الْقَيْسِ مَوْتِي وَإِنْ أُمْتُ  
فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ ٣

إلى أنه بمعنى : لست فيها بواحد ؛ وقول الفرزدق :

إِنَّ اللَّذِي تَمَّتْكَ السَّمَاءُ بَنَى لَنَا  
بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ ٤

إلى أنه بمعنى : عزيزة طويلة ، قالوا ومنه قولهم في الأذان : الله أكبر ، بمعنى : الله كبير ؛ وقالوا : إن قال قائل :

(١) البيتان لم أقف على قائلهما . والزبرقان بن بدر من سادات بني تميم . والسنون جمع سنة ، والمراد بها الجذب والقحط . والشاهد في قول الشاعر « وأفضل » فإنه بمعنى « فاضل » ولا تفضيل فيه ، كما قال المؤلف : على أنه يمكن تخريج البيت على معنى التفضيل ، كما يأتي في الشواهد الأخرى ، أي وهو أفضل من غيره على كل حال .

(٢) البيت لمعن أوس المزني ( ذيل الأمل لأبي على القائل ص ٢١٨ ) . واستشهد به المؤلف على أن قوله : « لأوجل » : أي لوجيل وانظر شرح البيت وإعرابه في خزانة الأدب الكبرى للبغدادي ( ٣ : ٥٠٥ - ٥٠٦ ) .

(٣) البيت لمالك بن القين الخزرجي الأنصاري ، حققه الأستاذ عبد العزيز الميمني في شرح ذيل الأمل ص ( ١٠٤ ) وهو من ثلاثة أبيات كتب بها يزيد بن عبد الملك إلى أخيه هشام ، وقد بلغه أنه يتمنى موته . وقيل كتب بها الوليد إلى أخيه سليمان ( كما في مروج الذهب للمسعودي ) ، ورواية صدر البيت الأول مخالفة لما في ذيل الأمل ص ( ٢١٨ ) والأبيات الثلاثة هي :

تَمَتَّنِي رِجَالٌ أَنْ أُمَمَاتٌ وَإِنْ أُمْتُ  
فَمَا عَيْشٌ مَنْ يَرْجُو رَدَايَ بَضَائِرِي  
فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ  
وَمَا عَيْشٌ مَنْ يَرْجُو رَدَايَ بِمُخَلَّدٍ  
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْغِي خِلَافَ الَّذِي مَضَى  
تَجَهَّزْ لِأُخْرَى مِثْلِهَا فَكَأَنَّ قَدِ

وقوله « خلاف الذي مضى » : يريد : أن يخلف على ميراثه أو يحمله . وقد استشهد المؤلف على أن قوله « بأوحد » معناه : بواحد ، مثل قول الله تعالى : « وهو أهون عليه » : أي هين عليه ، فالصيغة وإن كانت صيغة أفعل التي للتفضيل إلا أنه لا تفضيل هنا ، وإنما هو مجرد الوصف ، بدون تفضيل . وإنما ذكر يزيد هذه الأبيات على سبيل التمثيل بها ، وليست من شعره . قال القائل فرد عليه هشام بيتين ، وهما :

وَمَنْ لَا يَغْمِضُ عَيْنَهُ عَنْ صَدِّيقِهِ  
وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتْ وَهُوَ عَاتِبٌ  
وَمَنْ يَتَكَبَّرُ جَاهِدًا كُلَّ عَشْرَةٍ  
يَجِدُهَا وَلَا يَسْلَمُ لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبٌ

ثم قال : فرد عليه يزيد بقصيدة معن بن أوس التي يقول فيها :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ  
عَلَى أَيِّنَا تَعَدُّو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ

وقد بين البغدادي في خزانة الأدب الكبرى ( ٥٠٠ - ٥٠٢ ) أن هذا الشاهد وما مثله يمكن أن يحمل على التفضيل ، لا على مجرد الوصف . فراجعه شمة .

(٤) البيت للفرزدق ( ديوانه طبعة الصاوي بالقاهرة ص ٧١٤ ) . وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ( الورقة ١٨٧ ب ) قال أبو عبيدة : أي عزيزة طويلة . فإن احتج بحجج فقال : إن الله عز وجل لا يوصف بهذا ، وإنما يوصف الخلق ، فزعم أن « وهو أهون عليه » : على الخلق ؛ فإن الحجمة عليه قول الله عز وجل : « وكان ذلك على الله يسيرا » . وفي آية أخرى : « ولا يتوده حفظهما » أي لا يشقله .



إن الله لا يوصف بهذا ، وإنما يوصف به الخلق ، فزعم أنه وهو أهون على الخلق ، فإن الحججة عليه قول الله : ( وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ) ، وقوله ( وَلَا يَشُودُهُ حِفْظُهُمَا ) : أى لا يثقله حفظهما .  
وقوله ( وَكَانَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ) يقول : والله المثل الأعلى فى السموات والأرض ، وهو أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، ليس كمثل شىء ، فذلك المثل الأعلى ، تعالى ربنا وتقدس .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله ( وَكَانَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ ) يقول : ليس كمثل شىء .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَكَانَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) مثله أنه لا إله إلا هو ، ولا رب غيره .  
وقوله ( وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) يقول تعالى ذكره : وهو العزيز فى انتقامه من أعدائه ، الحكيم فى تدبيره خلقه ، وتصريفهم فيما أراد ، من إحياء وإماتة ، وبعث ونشر ، وما شاء .

القول فى تأويل قوله تعالى

ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ : هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ ، فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ، تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ، كَذَلِكَ تَقْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : مثَّل لكم أيها القوم ربكم مثلاً من أنفسكم : هل لكم مما ملكت أيماكم : يقول : من ممالئكم من شركاء ، فيما رزقناكم من مال ، فأنتم فيه سواء وهم . يقول : فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم ، فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التى تعبدونها لى شركاء فى عبادتكم إياى ، وأنتم وهم عبيدى وممالئى ، وأنا مالك جميعكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ : هَلْ لَّكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ ، فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ) قال : مثل ضربه الله لمن عدل به شيئاً من خلقه ، يقول : أكان أحدكم مشاركاً مملوكه فى فراشه وزوجته ، فكذلك الله لا يرضى أن يُعَدل به أحد من خلقه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ : هَلْ لَّكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ ، فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ )

قال : هل تجد أحدا يجعل عبده هكذا في ماله ؟ فكيف تعد أنت ، وأنت تشهد أنهم عبيدى وخلقى ، وتجعل لهم نصيبا في عبادتى ، كيف يكون هذا ؟ قال : وهذا مثل ضربه الله لهم ، وقرأ ( كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ) .

وختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ) فقال بعضهم : معنى ذلك : تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيديكم ، أن يرثوكم أموالكم من بعد وفاتكم ، كما يرث بعضكم بعضا . ذكر من قال ذلك

حدثت عن حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قال : في الآلهة ، وفيه يقول : تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا . وقال آخرون : بل معنى ذلك : تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيديكم ، أن يقاسموكم أموالكم ، كما يقاسم بعضكم بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت عمران ، قال قال : أبو مجلز : إن مملوكك لا تخاف أن يقاسمك مالك ، وليس له ذلك ، كذلك الله لا شريك له . وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك : القول الثاني ، لأنه أشبههما بما دل عليه ظاهر الكلام ، وذلك أن الله جل ثناؤه وبخ هؤلاء المشركين ، الذين يجعلون له من خلقه آلهة يعبدونها ، وأشركوهم في عبادتهم إياه ، وهم مع ذلك يقرّون بأنها خلقه وهم عبيده ، وغيرهم بفعلهم ذلك ، فقال لهم : هل لكم من عبيدكم شركاء فيما خولناكم من نعمنا ، فهم سواء ، وأنتم في ذلك تخافون أن يقاسموكم ذلك المال الذى هو بينكم وبينهم ، كخيفة بعضكم بعضا أن يقاسمه ما بينه وبينه من المال شركة ، فالخيفة التى ذكرها تعالى ذكره ، بأن تكون خيفة مما يخاف الشريك من مقاسمة شريكه المال الذى يديها إياه ، أشبه من أن تكون خيفة منه بأن يرثه ، لأن ذكر الشركة لا يدل على خيفة الوراثة ، وقد يدل على خيفة الفراق والمقاسمة .

وقوله ( كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ) يقول تعالى ذكره : كما بيننا لكم أيها القوم حججنا في هذه الآيات من هذه السورة على قدرتنا على إنشاء ما نشاء ، وإفناء ما نحب ، وإعادة ما نريد إعادته بعد فنائه ، ودلنا على أنه لا تصلح العبادة إلا للواحد القهار ، الذى بيده ملكوت كل شئ ، كذلك نبين حججنا في كل حق لقوم يعقلون ، فيتدبرونها إذا سمعوها ، ويعتبرون فيتعتظون بها .

القول في تأويل قوله تعالى

بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ؟ وَمَالِهِمْ  
مَنْ نَصِيرِينَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : ما ذلك كذلك ، ولا أشرك هؤلاء المشركون في عبادة الله الآلهة والأوثان ، لأن لهم



شركا فيما رزقهم الله من ملك أيانهم ، فهم وعبيدهم فيه سواء ، يخافون أن يقاسموهم ما هم شركاؤهم فيه ، فرضوا لله من أجل ذلك بما رضوا به لأنفسهم ، فأشركوهم في عبادته ، ولكن الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بالله ، اتبعوا أهواءهم ، جهلا منهم لحق الله عليهم ، فأشركوا الآلهة والأوثان في عبادته ( فَسَنُ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ) يقول : فمن يسدّد للصواب من الطرق ، يعنى بذلك من يوفق للإسلام من أضلّ الله عن الاستقامة والرشاد ؟ ( وَمَا كُنْمْ مِنْ نَاصِرِينَ ) يقول : وما لمن أضلّ الله من ناصرين ينصرونه ، فينقذونه من الضلال الذى يتلبيه به تعالى ذكره .

### القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا، فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)

يقول تعالى ذكره : فسدّد وجهك نحو الوجه الذى وجهك إليه ربك يا محمد لطاعته ، وهى الدين حنيفا ، يقول : مستقيما لدينه وطاعته ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، يقول : صنعة الله التى خلق الناس عليها ، ونصبت فطرة على المصدر من معنى قوله ( فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ) وذلك أن معنى ذلك : فطر الله الناس على ذلك فطرة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

### ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ) قال : الإسلام منذ خلقهم الله من آدم جميعا ، يقرّون بذلك ، وقرأ ( وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ ) قالوا بلى شهودنا ) قال : فهذا قول الله ( كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ، فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ ) بعد .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فِطْرَةَ اللَّهِ ) قال : الإسلام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا يونس بن أبي صالح ، عن يزيد بن أبي مریم ، قال : مرّ عمر بمعاذ بن جبل ، فقال : ما قيوام هذه الأمة ؟ قال معاذ : ثلاث ، وهنّ المنجيات : الإخلاص ، وهو الفطرة ( فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ) . والصلاة ؛ وهى الملة . والطاعة ؛ وهى العصمة ، فقال عمر : صدقت .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسّية ، قال : ثنا أيوب ، عن أبي قلابة أن عمر قال لمعاذ : ما قيوام هذه الأمة ؟ ثم ذكر نحوه .

وقوله ( لا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ ) يقول : لا تغيير لدين الله ، أى لا يصلح ذلك ، ولا ينبغي أن يفعل .  
 ❦ واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم نحو الذى قلنا في ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
 قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ ) قال : لدينه .  
 حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، قال : أرسل مجاهد رجلا يقال له قاسم إلى  
 عكرمة يسأله عن قول الله ( لا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ ) : إنما هو الدين ، وقرأ ( لا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ ) ،  
 ذلك الدين القسيم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن حسين بن واقد ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة :  
 ( فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ) قال : الإسلام .

قال : ثنى أبي ، عن نصر بن عربي ، عن عكرمة ( لا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ ) قال : لدين الله .  
 قال : ثنى أبي ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : لدين الله .  
 قال : ثنا أبي ، عن عبد الجبار بن الورد ، عن القاسم بن أبي بزّة ، قال : قال مجاهد ، فسئل عنها  
 عكرمة ، فسألته ، فقال عكرمة : دين الله تعالى ماله أخزاه الله ، ألم يسمع إلى قوله ( فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي  
 فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ ) : أى لدين الله .  
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن ليث ، عن عكرمة ، قال : لدين الله .  
 قال : ثنا ابن عيينة ، عن حميد الأعرج ، قال : قال سعيد بن جبّير ( لا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ ) قال :  
 لدين الله .

قال : ثنا المخاربي ، عن جووير ، عن الضحاك ( لا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ ) قال : لدين الله .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ )  
 قال : دين الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي عن مسعر وسفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن إبراهيم ، قال ( لا تَبْدِيلَ  
 لَخَلْقِ اللَّهِ ) قال : لدين الله .

قال : ثنا أبي ، عن جعفر الرازي ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : لدين الله .  
 وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا تغيير لخلق الله من البهائم ، بأن يُخصى الفحول منها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن مطرف ، عن رجل ، سأل ابن عباس ، عن خيضاء  
 البهائم ، فكرهه ، وقال ( لا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ ) .



قال : ثنا ابن عيينة ، عن حميد الأعرج ، قال : قال عكرمة : الإحصاء .

قال : ثنا حفص بن غياث ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : الإحصاء .

وقوله ( ذَلِكَ الدِّينُ الْقَسِيمُ ) يقول تعالى ذكره : إن إقامتك وجهك للدين حنيفا غير مغير ولا مبدل هو الدين القيم ، يعنى المستقيم ، الذى لا عِوَجَ فيه عن الاستقامة ، من الحنيفية إلى اليهودية والنصرانية ، وغير ذلك من الضلالات والبدع المحدثه .

وقد وجه بعضهم معنى الدين فى هذا الموضع إلى الحساب .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أبو ليلى ، عن بريدة ( ذَلِكَ الدِّينُ الْقَسِيمُ ) قال : الحساب القيم ( رَلَكِنِ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ) يقول تعالى ذكره : ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الدين الذى أمرتك يا محمد به بقولى ( فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ) : هو الدين الحق ، دون سائر الأديان غيره .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ، كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢) ﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله ( مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ) : تائبين راجعين إلى الله مقبلين .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ) قال : المنيب إلى الله : المطيع لله ، الذى أناب إلى طاعة الله وأمره ، ورجع عن الأمور التى كان عليها قبل ذلك . كان القوم كفارا ، فزغوا ورجعوا إلى الإسلام .

وتأويل الكلام : فأقم وجهك يا محمد للدين حنيفا ، ( منيبين إليه ) : إلى الله ، فالمنيبون حال من الكاف التى فى وجهك .

فإن قال قائل : وكيف يكون حالا منها ، والكاف كناية عن واحد ، والمنيبون صفة لجماعة ؟ قيل : لأن الأمر من الكاف كناية اسمه من الله فى هذا الموضع ، أمر منه له ولأمته ، فكأنه قيل له : فأقم وجهك أنت وأمتك للدين حنيفا لله ، منيبين إليه .

وقوله ( وَاتَّقُوهُ ) يقول جل ثناؤه : وخافوا الله وراقبوه أن تفرطوا فى طاعته ، وتركبوا معصيته . ( وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ) : يقول : ولا تكونوا من أهل الشرك بالله بتضييعكم فرائضه ، وركوبكم معاصيه ، وخلافكم الدين الذى دعاكم إليه .

وقوله ( مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ) يقول : ولا تكونوا من المشركين الذين بدلوا دينهم ، وخالفوه ففارقوا ( وكانوا شيعا ) : يقول : وكانوا أحزابا ، فرقا كاليهود والنصارى .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيَنَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا) : وهم اليهود والنصارى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيَنَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا) . إلى آخر الآية ، قال : هؤلاء يهود ، فلو وجه قوله (مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيَنَهُمْ) إلى أنه خبر مستأنف منقطع عن قوله (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) ، وأن معناه : من الذين فرقوا دِيَنَهُمْ . (وكانوا شيعا) أحزابا (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) كان وجهها يحتمله الكلام . وقوله (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) يقول : كل طائفة وفرقة من هؤلاء الذين فرقوا دينهم الحق ، فأحدثوا البدع التي أحدثوا ، بما لديهم فرحون : يقول : بما هم به متمسكون من المذهب ، فرحون مسرورون ، يحسبون أن الصواب معهم دون غيرهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ

بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : وإذا مس هؤلاء المشركين الذين يجعلون مع الله إلها آخر ، ضر ، فأصابهم شدة وجذب وقحوظ (دَعَوْا رَبَّهُمْ) يقول : أخلصوا لربهم التوحيد ، وأفردوه بالدعاء والتضرع إليه ، واستغاثوا به منيبين إليه ، تائبين إليه من شركهم وكفرهم (ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً) يقول : ثم إذا كشف ربهم تعالى ذكره عنهم ذلك الضر ، وفرج عنهم ، وأصابهم برحاء وخصب وسعة ، إذا فريق منهم : يقول : إذا جماعة منهم بربهم يشركون ، يقول : يعبدون معه الآلهة والأوثان .

القول في تأويل قوله تعالى

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ، فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره متوعدا هؤلاء المشركين الذين أخبر عنهم أنه إذا كشف الضر عنهم كفروا به ، ليكفروا بما أعطيناهم ، يقول : إذا هم بربهم يشركون ، كى يكفروا : أى يجحدوا النعمة التي أنعمتها عليهم ، بكشفي عنهم الضر الذي كانوا فيه ، وإبدال ذلك لهم بالرحاء والخصب والعافية ، وذلك الرحاء والسعة هو الذي آتاهم تعالى ذكره ، الذي قال بما آتيناهم . وقوله (فَتَمْتَعُوا) يقول : فتمتعوا أيها القوم بالذي آتيناكم من الرحاء والسعة في هذه الدنيا (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) إذا وردتم على ربكم ، ماتلقون من عذابه ، وعظيم عقابه ، على كفركم به في الدنيا . وقد قرأ بعضهم (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) بالياء ، بمعنى : ليكفروا بما آتيناهم ، فقد تمتعوا على وجه الخبر ، فسوف يعلمون .



## القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطٰنًا ، فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : أم أنزلنا على هؤلاء الذين يشركون فى عبادتنا الآلهة والأوثان ، كتابا بتصديق ما يقولون ، وبحقيقة ما يفعلون ( فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ) يقول : فذلك الكتاب ينطق بصحة شركهم ، وإنما يعنى جل ثناؤه بذلك : أنه لم ينزل بما يقولون ويفعلون كتابا ، ولا أرسل به رسولا ، وإنما هو شىء افتعلوه واختلقوه ، اتباعا منهم لأهوائهم .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ) يقول : أم أنزلنا عليهم كتابا فهو ينطق بشركهم .

## القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ، وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : وإذا أصاب الناس منا خصب ورحاء ، وعافية فى الأبدان والأموال ، فرحوا بذلك ، وإن تصيبهم منا شدة من جذب وقحط وبلاء فى الأموال والأبدان ( بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ) يقول : بما أسلفوا من سبب الأعمال بينهم وبين الله ، وركبوا من المعاصى ( إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ) يقول : إذا هم يياسون من الفرج ، والقنوط : هو الإياس ؛ ومنه قول حميد الأرقط :

قَدَّ وَجَدُوا الْحَجَّاجَ غَيْرَ قَانِطٍ ۱

وقوله ( إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ) هو جواب الجزاء ، لأن إذا نابت عن الفعل بدلالتها عليه ، فكأنه قيل : وإن تصيبهم سيئة بما قدمت أيديهم وجدتهم يقنطون ، أو تجدهم ، أو رأيهم ، أو تراهم . وقد كان بعض نحوي البصرة يقول : إذا كانت « إذا » جوابا لأنها متعلقة بالكلام الأوّل بمنزلة الفاء .

## القول فى تأويل قوله تعالى

أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣٧)

(١) البيت لحميد الأرقط ( مجاز القرآن لأبي عبيدة ، الورقة ١٨٨ ب ) قال : « إذا هم يقنطون » : أى ييسون ، قال حميد الأرقط « قد وجدوا . . . البيت » . وفى ( اللسان : قنط ) : القنوط : اليأس . وفى التهذيب اليأس من الخير . وقيل : أشد اليأس من الشىء . وقنط يقنط ويقنط ( كضرب ونصر ) وقنط قنطا ( ككتب ) فهو قنط ، وقرئ : ولا تكن من القنطين . وأما قنط يقنط ( بالفتح فهما ) وقنط يقنط ( بالكسر فهما ) فإنما هو على الجمع بين القنطين ، كما قاله الأخفش .

يقول تعالى ذكره : أو لم ير هؤلاء الذين يفرحون عند الرخاء يصيبهم والخصب ، ويأسون من الفرج عند شدة تناهم ، يعيون قلوبهم ، فيعلموا أن الشدة والرخاء بيد الله ، وأن الله يسط الرزق لمن يشاء من عباده ، فيوسعه عليه ، ويقدر على من أراد ، فيضيقه عليه ( إن في ذلك آياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ) يقول : إن في بسطه ذلك على من بسطه عليه ، وقدره على من قدره عليه ، ومخالفته بين من خالف بينه من عباده في الغنى والفقر ، لدلالة ، واضحة لمن صدق حجج الله ، وأقر بها إذا عاينها ورآها .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ،  
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فأعط يا محمد ذا القرابة منك حقه عليك من الصلة والبر ، والمسكين وابن السبيل ، ما فرض الله لهما في ذلك .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن عوف ، عن الحسن ( فَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ) قال : هو أن توفيهم حقهم إن كان عندك يسر ، وإن لم يكن عندك فقل لهم قولاً ميسوراً ، قل لهم الخير .

وقوله ( ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ) يقول تعالى ذكره : إيتاء هؤلاء حقوقهم التي أزمها الله عباده ، خير للذين يريدون الله بإيتائهم ذلك ( وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) يقول : ومن يفعل ذلك مبتغياً وجه الله به ، فأولئك هم المنجحون ، المدركون طلباتهم عند الله ، الفاترون بما ابتغوا والتمسوا بإيتائهم إياهم ما آتوا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِيَرْبُوهَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوهَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ  
تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣٩)

يقول تعالى ذكره : وما أعطيتم أيها الناس بعضكم بعضاً من عطية ، لتزداد في أموال الناس ، برجوع ثوابها إليه ، ممن أعطاه ذلك ، فلا يربو عند الله ، يقول : فلا يزداد ذلك عند الله ، لأن صاحبه لم يعطه من أعطاه مبتغياً به وجهه . ( وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ ) يقول : وما أعطيتم من صدقة تريدون بها وجه الله ، فأولئك ، يعنى الذين يتصدقون بأموالهم ملتصين بذلك وجه الله هم ، المضعفون ، يقول : هم الذين لهم الضعف من الأجر والثواب من قول العرب : أصبح القوم مُسْمِنِينَ مُعْطِشِينَ ، إذا سميت إبلهم وعطشت .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .



## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُؤَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُؤَ عِنْدَ اللَّهِ ) قال : هو ما يعطى الناس بينهم بعضهم بعضا ، يعطى الرجل الرجل العطية ، يريد أن يعطى أكثر منها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور بن صفية ، عن سعيد بن جببير ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُؤَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ) قال : هو الرجل يعطى الرجل العطية ليثابه .

قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور بن صفية ، عن سعيد بن جببير ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور بن صفية ، عن سعيد بن جببير ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُؤَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُؤَ عِنْدَ اللَّهِ ) قال : الرجل يُعْطَى لِيُثَابِ عَلَيْهِ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُؤَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ) قال : الهدايا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : هي الهدايا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُؤَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ) قال : يُعْطَى مَالَهُ يَنْتَغِي أَفْضَلَ مِنْهُ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ابن أبي خالد ، عن إبراهيم ، قال : هو الرجل يُهْدَى إِلَى الرَّجُلِ الْمَهْدِيَةِ ، لِيُثِبَهُ أَفْضَلَ مِنْهَا .

قال : ثنا محمد بن حميد المعمرى ، عن معمر ، عن ابن طائوس ، عن أبيه : هو الرجل يعطى العطية ويهدى الهدية ، لِيُثَابَ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، لَيْسَ فِيهِ أَجْرٌ وَلَا وَزْرٌ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُؤَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُؤَ عِنْدَ اللَّهِ ) قال : ما أعطيت من شيء تريد مثابة الدنيا ، ومجازاة الناس ، ذاك الربا الذى لا يقبله الله ، ولا يجزى به .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُؤَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ) فهو ما يتعاطى الناس بينهم ويتهادون ، يعطى الرجل العطية ليصيب منه أفضل منها ، وهذا للناس عامة .

وأما قوله ( وَلَا تَمْسُنَّ تَسْتَكْبِيرًا ) فهذا للنبي خاصة ، لم يكن له أن يعطى إلا لله ، ولم يكن يعطى ليعطى أكثر منه .

وقال آخرون : إنما عني بهذا الرجل : يعطى ماله الرجل ليعينه بنفسه ، ويخدمه ويعود عليه نفعه ، لالطلب أجر من الله .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ومحمد بن فضيل ، عن زكريا ، عن عامر ، ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ) قال : هو الرجل يلزق بالرجل ، فيخيف له ويخدمه ، ويسافر معه ، فيجعل له ربح بعض ماله ، ليجزيه ، وإنما أعطاه التماس عونه ، ولم يرد وجه الله .  
وقال آخرون : هو إعطاء الرجل ماله ، ليكثر به مال ؟ من أعطاه ذلك ، لا طلب ثواب الله :

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبي حصين ، عن ابن عباس ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ) قال : ألم تر إلى الرجل يقول للرجل : لأموالك ، فيعطيه ، فهذا لا يربو عند الله ، لأنه يعطيه لغير الله ، ليشترى ماله .  
قال : ثنا عمرو بن عبد الحميد الأملي ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، قال : سمعت إبراهيم النخعي يقول في قوله ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ) ، فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ ) قال : كان هذا في الجاهلية يعطى أحدهم ذا القرابة المال يكثر به ماله .  
وقال آخرون : ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، وأما غيره فحلال :

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي رواد ، عن الضحاك ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ ) هذا للنبي صلى الله عليه وسلم ، هذا الربا الحلال .  
وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك لأنه أظهر معانيه .  
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة وبعض أهل مكة : ( لِيَرْبُو ) بفتح الياء من يربو ، بمعنى : وما آتيتم من ربا ليربو ذلك الربا في أموال الناس . وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة ( لِيَسْتَرْبُوا ) بالثاء من تربوا وضمها ، بمعنى : وما آتيتم من ربا لتربوا أنتم في أموال الناس .  
والصواب من القول في ذلك عندنا ، أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار مع تقارب معنيهما ، لأن أرباب المال إذا أربوا ربا المال ، وإذا ربا المال فباربأه أربابه إياه ربأ . فإذا كان ذلك كذلك ، فبأي القراءتين قرأ القارئ فصيح .  
وأما قوله ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ) فآؤلئك هم المضعفون ) فإن أهل التأويل قالوا في تأويله نحو الذي قلنا .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ) ، فآؤلئك هم المضعفون ) قال : هذا الذي يقبله الله ويضعفه لم عشر أمثالها ، وأكثر من ذلك .



حدثت عن عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : قال ابن عباس ، قوله ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لَيْرَبُوبِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّو عِنْدَ اللَّهِ ) قال : هى الهبة ، يهب الشيء ، يريد أن يثاب عليه أفضل منه ، فذلك الذى لا يربو عند الله ، لا يؤجر فيه صاحبه ، ولا إثم عليه ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ ) قال : هى الصدقة ، تريدون وجه الله ( فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ) قال معمر ، قال ابن أبى نجیح ، عن مجاهد ، مثل ذلك .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ، ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مَن شَيْءٌ؟ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠)

يقول تعالى ذكره للمشركين به ، معترفهم قبح فعلهم ، وخبث صنيعهم : الله أيها القوم الذى لاتصلح العبادة إلا له ، ولا ينبغي أن تكون لغيره ، هو الذى خلقكم ولم تكونوا شيئا ، ثم رزقكم وخولكم ، ولم تكونوا تملكون قبل ذلك ، ثم هو يميتكم من بعد أن خلقكم أحياء ، ثم يحييكم من بعد مماتكم لبعث القيامة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ) للبعث بعد الموت .

وقوله ( هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مَن شَيْءٌ ) يقول تعالى ذكره : هل من آلهتكم وأوثانكم التى تجعلونهم لله فى عبادتكم إياه شركاء من يفعل من ذلكم من شىء ، فيخلق أو يرزق ، أو يميت ، أو ينشر ؟ وهذا من الله تقريع لهؤلاء المشركين . وإنما معنى الكلام : أن شركاءهم لاتفعل شيئا من ذلك ، فكيف يعبد من دون الله من لايفعل شيئا من ذلك ؟ ثم برأ نفسه تعالى ذكره عن القرية التى افتراها هؤلاء المشركون عليه ، بزعمهم أن آلهتهم له شركاء ، فقال جل ثناؤه سبحانه : أى تنزيها لله وتبرئة ( وَتَعَالَى ) يقول : وعلوا له ( عَمَّا يُشْرِكُونَ ) يقول : عن شرك هؤلاء المشركين به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مَن شَيْءٌ ) لا والله ( سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ) يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ، لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١)

يقول تعالى ذكره : ظهرت المعاصي في برّ الأرض وبحرها بكسب أيدي الناس ما نهاهم الله عنه .  
واختلف أهل التأويل في المراد من قوله ( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ) فقال بعضهم : عنى بالبرّ :  
الفلوات ، وبالبحر : الأمصار والقُرى التي على المياه والأنهار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عِثَامٌ ، قال : ثنا النضر بن عربيّ ، عن مجاهد ( وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى  
فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ) . . . الآية ، قال : إذا ولي سعى بالتعدّي والظلم ، فيحبس الله القطر ،  
( فَيُهْلِكَ الْخَرْتَ وَالنَّسْلَ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ) قال : ثم قرأ مجاهد ( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ  
وَالْبَحْرِ ) . . . الآية ، قال : ثم قال : أما والله ما هو بحرٌ كم هذا ، ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن النضر بن عربيّ ، عن عكرمة ( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ )  
قال : أمّا إني لأقول بحرٌ كم هذا ، ولكن كل قرية على ماء جار .

قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن عمرو بن فروخ ، عن حبيب بن الزبير ، عن عكرمة ( ظَهَرَ الْفَسَادُ  
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ) قال : إن العرب تسمى الأمصار بحرا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ  
بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ) قال : هذا قبل أن يبعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، امتلأت ضلالة  
وظلما ، فلما بعث الله نبيه ، رجع راجعون من الناس .

قوله ( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ) أما البرّ فأهل العمود ، وأما البحر فأهل القُرى والريف .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ  
وَالْبَحْرِ ) قال : الذنوب ، وقرأ ( لِيُنذِرَ بَقَرَّتْ أَيْدِي النَّاسِ ) .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرّة ، عن الحسن ، في قوله ( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ  
وَالْبَحْرِ ) بما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ) قال : أفسدهم الله بذنوبهم ، في بحر الأرض وبرها ، بأعمالهم الخبيثة .  
وقال آخرون : بل عنى بالبرّ : ظهر الأرض ، الأمصار وغيرها ، وبالبحر البحر المعروف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ) :  
قال : في البرّ : ابن آدم الذي قتل أخاه ، وفي البحر : الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا .  
حدثني يعقوب ، قال : قال أبو بشر : يعني ابن عليّة ، قال : سمعت ابن أبي نجيح ، يقول في قوله  
( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ) بما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ) قال : بقتل ابن آدم ، والذي كان يأخذ  
كل سفينة غصبا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية ( ظَهَرَ الْفَسَادُ  
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ) قال : قلت : هذا البرّ والبحر أي فساد فيه ؟ قال : فقال : إذا قلّ المطر ، قلّ الغوص .



حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ ) قال : قتل ابن آدم أخاه ، والبحر : قال أخذ الملك السفن غصبا .  
 وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن الله تعالى ذكره ، أخبر أن الفساد قد ظهر في البر والبحر عند العرب في الأرض القفار ، والبحر بحران : بحر ملح ، وبحر عذب ، فهما جميعا عندهم بحر ، ولم يخص جل ثناؤه الخبر عن ظهور ذلك في بحر دون بحر ، فذلك على ما وقع عليه اسم بحر ، عذبا كان أو ملحا . وإذا كان ذلك كذلك ، دخل القرى التي على الأنهار والبحار .  
 فتأويل الكلام إذن إذ كان الأمر كما وصفت ، ظهرت معاصي الله في كل مكان ، من بر وبحر ( بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ) : أي بذنوب الناس ، وانتشر الظلم فيهما .  
 وقوله ( وَلِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا ) يقول جل ثناؤه : ليصيبيهم بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوا ، ومعصيتهم التي عصوا ( لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) يقول : كي ينيبوا إلى الحق ، ويرجعوا إلى التوبة ، ويتركوا معاصي الله .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أشعث ، عن الحسن ( لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) قال : يتوبون .  
 قال : ثنا ابن مهدي ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ( لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) يوم بدر ، لعلهم يتوبون .  
 قال : ثنا أبو أسامة ، عن زائدة ، عن منصور عن إبراهيم ( لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) قال : إلى الحق .  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) : لعل راجعا أن يرجع ، لعل تائبا أن يتوب ، لعل مستعيبا أن يستعيب .  
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قررة ، عن الحسن ، ( لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) قال : يرجع من بعدهم .  
 واختلفت القراءة في قراءة قوله ( لِيُذِيقَهُمْ ) فقرأت الأمصار ( لِيُذِيقَهُمْ ) بالياء ، بمعنى : ليذيقهم الله بعض الذي عملوا ، وذكر أن أبا عبد الرحمن السلمي قرأ ذلك بالنون على وجه الخبر من الله عن نفسه بذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ : سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ

مُشْرِكِينَ (٤٢)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك : سيروا في البلاد ، فانظروا إلى مساكن الذين كفروا بالله من قبلكم ، وكذبوا رسلته ، كيف كان آخر أمرهم ، وعاقبة تكذيبهم رسل الله وكفرهم ، ألم نهلكهم بعداب منا ، ونجعلهم عبرة لمن بعدهم ، كان أكثرهم مشركين يقول : فَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِمْ ، لَأَن أَكْثَرَهُمْ كَانُوا مُشْرِكِينَ بِاللَّهِ مِثْلَهُمْ .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ، يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (٤٣)

يقول تعالى ذكره : فوجه وجهك يا محمد نحو الوجه الذي وجهك إليه ربك (للدِّينِ الْقَدِيمِ) لطاعة ربك ، والميلة المستقيمة التي لا اعوجاج فيها عن الحق (مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ) . يقول تعالى ذكره : من قبل مجيء يوم من أيام الله ، لا مرد له لحيثه ، لأن الله قد قضى بمجيئه ، فهو لا محالة جاء (يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ) يقول : يوم يجيء ذلك اليوم يصدع الناس ، يقول : يتفرق الناس فرقتين ، من قولهم : صدعت الغنم صدعتين : إذا فرقتهما فرقتين : فريق في الجنة ، وفريق في السعير . وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ) الإسلام (مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ، يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ) فريق في الجنة ، وفريق في السعير .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ) يقول : يتفرقون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَصَّدَّعُونَ) قال : يتفرقون إلى الجنة ، وإلى النار .

#### القول في تأويل قوله تعالى

مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسِهِمْ يُمَّهَدُونَ (٤٤)

يقول تعالى ذكره : من كفر بالله ، فعليه أوزار كفره ، وآثام جحوده نعيم ربه ، (وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا) : يقول : ومن أطاع الله ، فعمل بما أمره به في الدنيا ، وانتهى عما نهاه عنه فيها (فَلَا نَفْسِهِمْ يُمَّهَدُونَ) يقول : فلا أنفسهم يستعدون ، ويسوون المضجع ، ليسلموا من عقاب ربهم ، وينجوا من عذابه ، كما قال الشاعر :  
أَمْهَدُ لِنَفْسِكَ حَانَ السَّقْمُ وَالتَّلْفُ وَلَا تُضَيِّعَنَّ نَفْسًا مَا كُنَّا خَلْفًا!

(١) البيت لسليمان بن يزيد العدوي (مجاز القرآن لأبي عبيدة ، الورقة ١٨٩ - ١) قال في تفسير قوله تعالى : «فلا أنفسهم يمهدون» : (من بفتح الميم) يقع على الواحد والاثنين والجمع . ومجازها هنا مجاز الجميع . ويمهد : أي يكسب ويعمل ويستعد . قال سليمان بن يزيد =



وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( قِيلَا تَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ) قال : يُسَوُّونَ المضاجع .

حدثنا ابن المثنى والحسين بن يزيد الطحان وابن وكيع وأبو عبد الرحمن العلاءى ، قالوا : ثنا يحيى بن سليم ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( قِيلَا تَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ) قال : فى القبر .

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : ثنا يحيى بن سليم ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( قِيلَا تَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ) قال : للقبر .

حدثنا نصر بن على ، قال : ثنا يحيى بن سليم ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، قال : سمعت مجاهدا يقول : فى قوله ( قِيلَا تَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ) قال : فى القبر .

القول فى تأويل قوله تعالى

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٤٥)

يقول تعالى ذكره : ( يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعونَ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا ) بالله ورسوله ( وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) يقول : وعملوا بما أمرهم الله ( مِنْ فَضْلِهِ ) الذى وعد من أطاعه فى الدنيا أن يجزيه يوم القيامة ( إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ) يقول تعالى ذكره : إنما خصَّ بجزائه من فضله ، الذين آمنوا وعملوا الصالحات دون من كفر بالله ، إنه لا يحب أهل الكفر به . واستأنف الخبر بقوله ( إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ) وفيه المعنى الذى وصفت .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ ، وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ ، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : ومن أدلته على وحدانيته وحججه عليكم على أنه إله كل شىء ( أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ ) بالغيث والرحمة . ( وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ) يقول : ولينزل عليكم من رحمته ، وهى الغيث الذى يحيى به البلاد . ولتجرى السفن فى البحار بها بأمره إياها . ( وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ) يقول : ولتلتمسوا من أرزاقه ومعاشكم التى قسمها بينكم ( وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ) يقول : ولتشكروا ربكم على ذلك ، أرسل هذه الرياح مبشرات .

= العدى : « أمهد لنفسك . . . البيت » وحان : قرب . والتلف : الموت . وفى اللسان : ( مهدي ) : مهدي لنفسه يمهد مهديا ( كفتح ) : كسب وعمل .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( الرِّيحُ مَبَشِّرَاتٌ ) قال : بالمطر . وقالوا في قوله ( وَلَيُبَدِّلَنَّا مِنْ رَحْمَتِهِ ) مثل الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَلَيُبَدِّلَنَّا مِنْ رَحْمَتِهِ ) قال : المطر . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَيُبَدِّلَنَّا مِنْ رَحْمَتِهِ ) : المطر .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ، فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ،  
وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)

يقول تعالى ذكره مسلينا نبيه صلى الله عليه وسلم ، فيما يلقي من قومه من الأذى فيه ، بما لقي من قبله من رسله من قومهم ، ومعلمه سنته فيهم وفي قومهم ، وأنه سالك به ويقومه سنته فيهم ، وفي أممهم ، ولقد أرسلنا يا محمد من قبلك رسلا إلى قومهم الكفرة ، كما أرسلناك إلى قومك العابدي الأوثان من دون الله ( فجاءهم وهم بالبينات ) يعنى : بالواضحات من الحجج على صدقهم ، وأهم لله رسل ، كما جئت أنت قومك بالبينات ، فكذبوهم كما كذبت قومك ، وردوا عليهم ما جاءهم به من عند الله ، كما ردوا عليك ما جئتهم به من عند ربك ( فانتقمنا من الذين أجمعوا الآثام ، واكتسبوا السيئات من قومهم ، ونحن فاعلو ذلك كذلك بمجرى قومك . ) ( وكان حقا علينا نصر المؤمنين ) : يقول ونجينا الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله ، إذ جاءهم بأسنا ، وكذلك نفعل بك وبمن آمن بك من قومك ( وكان حقا علينا نصر المؤمنين ) على الكافرين ، ونحن ناصروك ومن آمن بك على من كفر بك ، ومظفروك بهم .

القول في تأويل قوله تعالى

اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتَنِّي سَحَابًا ، فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ، وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا ، فَتَرَى  
الْوَدَّاقَ يُخْرِجُ مِنْ خِلْمِهِ ، فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨)

يقول تعالى ذكره : الله يرسل الرياح فتثير سحابا ، فيبسطه في السماء كيف يشاء ، ويجعله كسفا ، فتري الودد يخرج من خلمه ، فإذا أصاب به من يساء من عبادهم إذا هم يستبشرون ، ( فيبسطه في السماء كيف يشاء ) : يقول : فينشره الله ، ويجمعه في السماء كيف يشاء : وقال : فيبسطه ، فوحد



الهاء ، وأخرج مخرج كناية المذكر ، والسحاب جمع كما وصفت ، رداً على لفظ السحاب ، لاعلى معناه ، كما يقال : هذا تمر جيد .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله ( فَيَبَسُّطُهُ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَيَبَسُّطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ) ويجمعه . وقوله ( وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا ) : يقول : ويجعل السحاب قطعاً متفرقة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا ) : أى قطعاً .

وقوله ( فَتَرَى الْوَدْقَ ) يعنى : المطر . ( يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ) : يعنى : من بين السحاب .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ) . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن قطن ، عن حبيب ، عن عبيد بن عمير ( يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُشِيرُ سَحَابًا ) قال : الرياح أربع : يبعث الله ريحا ، فتتم الأرض قمماً ، ثم يبعث الله الريح الثانية فتشير سحاباً ، فيجعله فى السماء كِسْفًا ، ثم يبعث الله الريح الثالثة ، فتؤلف بينه فيجعله ركاباً ، ثم يبعث الريح الرابعة فتمطر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد ( فَتَرَى الْوَدْقَ ) قال : القطر .

وقوله ( فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ) يقول : فإذا صرف ذلك الودق إلى أرض من أراد صرفه إلى أرضه من خلقه ، رأيتهم يستبشرون بأنه صرف ذلك إليهم ويفرحون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِّنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (٤٩)

يقول تعالى ذكره : وكان هؤلاء الذين أصابهم الله بهذا الغيث من عباده ، من قبل أن يُسَزَّلَ عليهم هذا الغيث ، من قبل هذا الغيث ( لمبلسين ) : يقول : لمكتئبين حزينين ، باحتباسه عنهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِّنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ) : أى قانطين .

واختلف أهل العربية فى وجه تكرير من قبله ، وقد تقدم قبل ذلك قوله ( مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ ) فقال بعض نحوئى البصرة : رد من قبله على التوكيد نحو قوله ( فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ) وقال غيره : ليس ذلك كذلك ، لأن مع ( مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ ) حرفاً ليس مع

الثانية ، قال : فكأنه قال : من قبل التنزيل ، من قبل المطر ، فقد اختلفتا ، وأما ( كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ) : وكُتِبَ بأجمعين ،

لأن كلا يكون اسماً ويكون توكيداً ، وهو قوله أجمعون . والقول عندى فى قوله ( مِنْ قَبْلِهِ ) على وجه التوكيد .

## القول في تأويل قوله تعالى

فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا؟ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُخِي الْمَوْتَىٰ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠)

اختلفت القراء في قوله ( فانظر إلى آثار رحمة الله ) فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ( إلى أثر رحمة الله ) على التوحيد ، بمعنى : فانظر يا محمد إلى أثر الغيث الذي أصاب الله به من أصاب من عباده ، كيف يحيي ذلك الغيث الأرض من بعد موتها . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ( فانظر إلى آثار رحمة الله ) على الجماع . بمعنى : فانظر إلى آثار الغيث الذي أصاب الله به من أصاب ، كيف يحيي الأرض بعد موتها .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان في قرأة الأمصار ، متقاربتا المعنى ، وذلك أن الله إذا أحيا الأرض بغيث أنزله عليها ، فإن الغيث أحياها بإحياء الله إياها به ، وإذا أحياها الغيث ، فإن الله هو المحيي به ، فبأى القراءتين قرأ القارئ فصيح . فتأويل الكلام إذن : فانظر يا محمد إلى آثار الغيث الذي ينزل الله من السحاب ، كيف يحيي بها الأرض الميتة ، فينبئها ويعشبهها ، من بعد موتها ودثورها ، إن ذلك لمحيي الموتى . يقول جل ذكره : إن الذي يحيي هذه الأرض بعد موتها بهذا الغيث ، لمحيي الموتى من بعد موتهم ، وهو على كل شيء مع قدرته على إحياء الموتى قدير ، لا يعز عليه شيء أراده ، ولا يمتنع عليه فعل شيء شاءه سبحانه .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَلَئِن أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (٥١)

يقول تعالى ذكره : ولئن أرسلنا ريحا مفسدة ما أنبته الغيث الذي أنزلناه من السماء ، فرأى هؤلاء الذين أصابهم الله بذلك الغيث الذي حييت به أرضهم ، وأعشبت ونبتت به زروعهم ، ما أنبته أرضهم بذلك الغيث من الزرع مصفرا ، قد فسد بتلك الريح التي أرسلناها ، فصار من بعد خضرته مصفرا ، لظلوا من بعد استبشارهم وفرحتهم به ، يكفرون بربهم .

## القول في تأويل قوله تعالى

فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الْأُدْعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٥٢) وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعَمَىٰ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ، إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا، فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٥٣)

يقول تعالى ذكره ( فإنك ) يا محمد ( لا تسمع ) لا تسمع الموتى ( ولا تسمع ) لا تسمع الدعاء ( إذا ولوا ) إذا ولوا مدبرين ( ٥٢ ) وما أنت بهادٍ العمى عن ضلالتهم ، وإنما هذا مثل معناه : فإنك لا تقدر أن تفهم هؤلاء المشركين الذين قد حتم الله على أسماعهم ، فسلبهم فهم ما يتلى عليهم من مواضع تنزيله ، كما لا تقدر أن تفهم الموتى الذين قد سلبهم : الله أسماعهم ، بأن تجعل لهم أسماعا .



وقوله ( وَلَا تُسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ ) يقول : وكما لا تقدر أن تسمع الصم الذين قد سلبوا السمع الدعاء ، إذا هم وآلوا عنك مدبرين ، كذلك لا تقدر أن توفق هؤلاء الذين قد سلبهم الله فهم آيات كتابه ، لسماع ذلك وفهمه .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى ) : هذا مثل ضربه الله للكافر ، فكما لا يسمع الميت الدعاء ، كذلك لا يسمع الكافر ( وَلَا تُسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ ) إذا وآلوا مدبرين ) يقول : لو أن أصم وآلى مدبراً ثم ناديته لم يسمع ، كذلك الكافر لا يسمع ولا ينتفع بما يسمع .

وقوله ( وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَن ضَلَالَتِهِمْ ) يقول تعالى ذكره : وما أنت يا محمد بمسدد من أعماه الله عن الاستقامة ، ومحجة الحق ، فلم يوفقه لإصابة الرشد ، فصارفه عن ضلالته التى هو عليها ، وركوبه الخائر من الطرق ، إلى سبيل الرشاد ، يقول : ليس ذلك بيدك ولا إليك ، ولا يقدر على ذلك أحد غيرى ، لأنى القادر على كل شيء . وقيل : بهادى العمى عن ضلالهم ، ولم يقل : من ضلالهم . لأن معنى الكلام ما وصفت ، من أنه : وما أنت بصارفهم عنه ، فحمل على المعنى . ولو قيل : من ضلالهم كان صواباً . وكان معناه : ما أنت بمانعهم من ضلالهم .

وقوله ( إِنْ تُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ) يقول تعالى ذكره لنبيه : ما تسمع السماع الذى ينتفع به سامعه فيعقله ، إلا من يؤمن بآياتنا ، لأن الذى يؤمن بآياتنا إذ سمع كتاب الله تدبره وفهمه وعقله ، وعمل بما فيه ، وانتهى إلى حدود الله ، الذى حدث فيه ، فهو الذى يسمع السماع النافع .  
وقوله ( فَهُمْ مُسْلِمُونَ ) يقول : فهم خاضعون لله بطاعته ، متذللون لمواعظ كتابه .

القول فى تأويل قوله تعالى

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (٥٤)

يقول تعالى ذكره هؤلاء المكذبين بالبعث من مشركى قريش ، محتجا عليهم بأنه القادر على ذلك وعلى ما يشاء . ( اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ) أيها الناس ( مِنْ ضَعْفٍ ) يقول : من نطفة وماء مهين ، فأنشأكم بشراً سوياً ( ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ) يقول : ثم جعل لكم قوة على التصرف ، من بعد خلقه إياكم من ضعف ، ومن بعد ضعفكم ، بالصغر والطفولة ( ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ) يقول : ثم أحدث لكم الضعف بالهرم والكبر عما كنتم عليه أقوىاء فى شبابكم وشيبة .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ) أى من نطفة ( ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا ) المهرم ( وَشَيْبَةً ) الشَّمَط . وقوله ( يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ) يقول تعالى ذكره : يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشباب وشيب ( وَهُوَ الْعَلِيمُ ) بتدبير خلقه ( الْقَدِيرُ ) على ما يشاء ، لا يمتنع عليه شيء أراده ، فكما فعل هذه الأشياء ، فكذلك يميت خلقه ويحييهم إذا شاء . يقول : واعلموا أن الذى فعل هذه الأفعال بقدرته يحيى الموتى إذا شاء .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ، كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥)

يقول تعالى ذكره : ويوم تجيء ساعة البعث ، فيبعث الخلق من قبورهم يقسم المجرمون ، وهم الذين كانوا يكفرون بالله فى الدنيا ، ويكتسبون فيها الآثام ، وإقسامهم : حلفهم بالله . ( ما لبثوا غير ساعة ) : يقول : يقسمون بأنهم لم يلبثوا فى قبورهم غير ساعة واحدة ، يقول الله جل ثناؤه : كذلك فى الدنيا كانوا يُؤْفَكُونَ : يقول : كذبوا فى قبيلهم وقسمهم ما لبثنا غير ساعة ، كما كانوا فى الدنيا يكذبون ويخلفون على الكذب وهم يعلمون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ) أى يكذبون فى الدنيا ، وإنما يعنى بقوله ( يُؤْفَكُونَ ) عن الصدق ، ويصدون عنه إلى الكذب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ ، فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٥٦)

كان قتادة يقول : هذا من المقدم الذى معناه التأخير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ ) قال : هذا من مقادير الكلام . وتأويلها : وقال الذين أوتوا الإيمان والعلم : لقد لبثتم فى كتاب الله .<sup>١</sup> وذكر عن ابن جرير أنه كان يقول : معنى ذلك : وقال الذين أوتوا العلم بكتاب الله ، والإيمان بالله وكتابه .

(١) فى فتح القدير للشوكاني : ( ٤ : ٢٢٤ ) قال الواحدى : والمفسرون حملوا هذا على التقديم والتأخير ، على تقدير : وقال الذين أوتوا العلم فى كتاب الله . وهذا غير ما قدره قتادة فى حديثه الذى رواه المؤلف هنا .



وقوله ( فِي كِتَابِ اللَّهِ ) يقول : فيما كتب الله مما سبق في علمه أنكم تلبثونه ( فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ ) يقول : فهذا يوم يبعث الناس من قبورهم ( وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) يقول : ولكنكم كنتم لا تعلمون في الدنيا أنه يكون ، وأنكم مبعوثون من بعد الموت ، فلذلك كنتم تكذبون .

القول في تأويل قوله تعالى

فِيَوْمٍ مِّثْلًا لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٥٧)

يقول تعالى ذكره : فيوم يبعثون من قبورهم ( لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ ) يعنى المكذبين بالبعث في الدنيا ( معذرتهم ) : وهو قولهم : ما علمنا أنه يكون ، ولا أنا نُبعث ( وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ) يقول : ولا هؤلاء الظلمة يُستترجعون يومئذ عما كانوا يكذبون به في الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ، وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا :  
إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (٥٨)

يقول تعالى ذكره : ولقد مثلنا للناس في هذا القرآن من كل مثل احتجاجا عليهم ، وتنبها لهم على وحدانية الله . وقوله ( وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ ) يقول : ولئن جئت يا محمد هؤلاء القوم بآية : يقول : بدلالة على صدق ما تقول ( لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ) يقول : ليقولن الذين جحدوا رسالتك ، وأنكروا نبوتك ، إن أنتم أيها المصدقون محمدا فيما أتاكم به ( إلا مبطلون ) فيما تجبثوننا به من هذه الأمور .

القول في تأويل قوله تعالى

كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٥٩)

يقول تعالى ذكره : كذلك يحتم الله على قلوب الذين لا يعلمون حقيقة ما تأتيهم به يا محمد من عند الله ، من هذه العير والعظات ، والآيات البيّنات ، فلا يفقهون عن الله حجة ، ولا يفهمون عنه ما يتلو عليهم من آى كتابه ، فهم لذلك في طغيانهم يردّون .

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، وَلَا يَسْتَخِفُّكَ اللَّهُ الَّذِي لَا يُوقِنُونَ (٦٠)

يقول تعالى ذكره : فاصبر يا محمد لما ينالك من أذاهم ، وبلغهم رسالة ربك ، فإن وعد الله الذى وعدك ، من النصر عليهم ، والظفر بهم ، وتمكينك وتمكين أصحابك وتبأعك في الأرض ، حق . ( وَلَا يَسْتَخِفُّكَ اللَّهُ )

الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ) يقول : ولا يستخفنَ حلمك ورأيك ، هؤلاء المشركون بالله ، الذين لا يوقنون بالمعاد ، ولا يصدقون بالبعث بعد الممات ، فيشطوك عن أمر الله ، والنفوذ لما كلّفك من تبليغهم رسالته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سعيد بن جبّير ، عن عليّ بن ربيعة ، أن رجلا من الخوارج ، قرأ خلف عليّ رضي الله عنه ( لَيْنٌ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ ، وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ) فقال عليّ ( فاصبر إن وعد الله حقٌ ، ولا يستخيفنك الذين لا يوقنون ) .

قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن عثمان بن أبي زُرعة ، عن عليّ بن ربيعة ، قال : نادى رجل من الخوارج عليّا رضي الله عنه ، وهو في صلاة الفجر ، فقال ( رَلَقَدَ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ ، وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ) فأجابه عليّ رضي الله عنه وهو في الصلاة ( فاصبر إن وعد الله حقٌ ، ولا يستخيفنك الذين لا يوقنون ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فاصبر إن وعد الله حقٌ ، ولا يستخيفنك الذين لا يوقنون ) قال : قال رجل من الخوارج خلف عليّ في صلاة الغداة ( وَلَقَدَ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ ، وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ) . فأنصت له عليّ رضي الله عنه ، حتى فهم ما قال ، فأجابه وهو في الصلاة : ( فاصبر إن وعد الله حقٌ ، ولا يستخيفنك الذين لا يوقنون ) .

آخر تفسير سورة الروم

## تفسير سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

الْم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ (٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ

الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤)

وقد تقدّم بياننا تأويل قول الله تعالى ذكره ( الم ) . وقوله ( تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ) : يقول جل ثناؤه : هذه آيات الكتاب الحكيم بياناً وتفصيلاً . وقوله ( هُدًى وَرَحْمَةً ) يقول : هذه آيات الكتاب بياناً ورحمة من الله ، رحم به من اتبعه ، وعمل به من خلقه ، وينصب الهدى والرحمة على القطع من آيات الكتاب قرأت قرآء الأمصار غير حمزة ، فإنه قرأ ذلك رفعا ، على وجه الاستئناف ، إذ كان منقطعا عن الآية التي قبلها ، بأنه ابتداء آية ، وأنه مدح . والعرب تفعل ذلك مما كان من نعوت المعارف ، وقع موقع الحال ، إذا كان فيه معنى مدح أو ذم . وكلنا القراءتين : صواب عندي ، وإن كنت إلى النصب أميل ، لكثرة القراء به .



وقوله (لِلْمُحْسِنِينَ) وهم الذين أحسنوا فى العمل بما أنزل الله فى هذا القرآن ، يقول تعالى ذكره : هذا الكتاب الحكيم هدى ورحمة للذين أحسنوا ، فعملوا بما فيه من أمر الله ونهيه (الَّذِينَ يَتَّقُونَ اللَّهَ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) يقول : الذين يقيمون الصلاة المفروضة بحدودها (وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) مَنْ جَعَلَهَا اللَّهُ لَهُ ، المفروضة فى أموالهم . (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) يقول : يفعلون ذلك ، وهم بجزاء الله وثوابه لمن فعل ذلك فى الآخرة يوقنون .

القول فى تأويل قوله تعالى

أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفت صفتهم على بيان من ربهم ونور (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) : يقول : هؤلاء هم المتنجحون المبركون ما رجوا وأملوا من ثواب ربهم يوم القيامة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ،  
أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٦)

يختلف أهل التأويل ، فى تأويل قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) فقال بعضهم : من يشتري الشراء المعروف بالثمن ، ورووا بذلك خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو ما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن خلاد الصفار ، عن عبيد الله بن زحمر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يَحِلُّ بَيْعُ الْمُغَنِّيَّاتِ ، وَلَا شِرَاؤُهُنَّ ، وَلَا التَّجَارَةُ فِيهِنَّ ، وَلَا أُمَّتُهُنَّ ، وَفِيهِنَّ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن خلاد الصفار ، عن عبيد الله بن زحمر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ، إلا أنه قال « أَكُلُّ تَمَنُّهِنَّ حَرَامٌ » وقال أيضا : « وَفِيهِنَّ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ هَذِهِ الْآيَةَ (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) » .

حدثني عبيد بن آدم بن أبي إياس العسقلاني ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا سليمان بن حيان ، عن عمرو ابن قيس الكلبي ، عن أبي المهلب ، عن عبيد الله بن زحمر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة . قال : وثنا إسماعيل بن عياش ، عن مطر بن يزيد ، عن عبيد الله بن زحمر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة الباهلي ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يَحِلُّ تَعْلِيمُ الْمُغَنِّيَّاتِ ، وَلَا بَيْعُهُنَّ وَلَا شِرَاؤُهُنَّ ، وَتَمَنُّهُنَّ حَرَامٌ ، وَقَدْ نَزَلَ تَصَدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ » .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : من يختار هو الحديث ويستحبه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي  
كُفُورَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ) والله لعله أن لا يفتق فيه مالا ، ولكن اشتراؤه :  
استحبابه ، بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق ، وما يضر على ما ينفع .

حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : ثنا أيوب بن سويد ، قال : ثنا ابن شوذب ، عن مطر ،  
في قول الله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي كُفُورَ الْحَدِيثِ ) قال : اشتراؤه : استحبابه .  
وأولى التأويلين عندي بالصواب : تأويل من قال : معناه : الشراء ، الذي هو بالثمن ، وذلك أن ذلك  
هو أظهر معنييه .

فإن قال قائل : وكيف يشتري هو الحديث ؟ قيل : يشتري ذات هو الحديث ، أو ذال هو الحديث ،  
فيكون مشتريا هو الحديث .

وأما الحديث ، فإن أهل التأويل اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : هو الغناء والاستماع له .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يزيد بن يونس ، عن أبي صخر ،  
عن أبي معاوية البجلي ، عن سعيد بن جبيرة ، عن أبي الصهباء البكري ، أنه سمع عبد الله بن مسعود وهو  
يسئل عن هذه الآية ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي كُفُورَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ )  
فقال عبد الله : الغناء ، والذي لا إله إلا هو ، يردّها ثلاث مرّات .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا صفوان بن عيسى ، قال : أخبرنا حميد الخراط ، عن عمار ، عن سعيد  
ابن جبيرة ، عن أبي الصهباء ، أنه سأل ابن مسعود ، عن قول الله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي كُفُورَ  
الْحَدِيثِ ) قال : الغناء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا علي بن عابس ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ( وَمِنَ  
النَّاسِ مَن يَشْتَرِي كُفُورَ الْحَدِيثِ ) قال : الغناء .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا عمران بن عينة ، قال : ثنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ،  
عن ابن عباس ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي كُفُورَ الْحَدِيثِ ) قال : الغناء وأشباهه .

حدثنا ابن وكيع ، والفضل بن الصباح ، قالا : ثنا محمد بن فضيل ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبيرة  
عن ابن عباس ، في قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي كُفُورَ الْحَدِيثِ ) قال : هو الغناء ونحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبيرة  
عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الأماطي ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : ثنا ابن أبي ليلى ، عن الحكمم ،

(١) أبو الصهباء « كما في خلاصة الخزر جي » : هو صهيب الهاشمي ، عن مولاة ابن عباس ، وعلى ، وابن مسعود . ولم يقل في  
نسبته البكري . وهناك صهيب المكي أبو موسى الخدّاء ، ولم يكنه بأبي الصهباء .



عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : هو الغِنَاء والاستماع له ، يعنى قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) .

حدثنا الحسن بن عبد الرحيم ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : ثنا سفيان ، عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن جابر ، فى قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) قال : هو الغِنَاء والاستماع له .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن ابن أبى ليلى ، عن الحكم أو مقسم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : شِراء المغنية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص والمخاربي ، عن ليث ، عن الحكم ، عن ابن عباس ، قال : الغناء . حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ) قال : باطل الحديث : هو الغِنَاء ونحوه .

حدثنا ابن بشار و ابن المثنى ، قالا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن مجاهد ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) قال : الغِنَاء .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر و عبد الرحمن بن مهدي ، عن شعبة ، عن الحكم عن مجاهد ، أنه قال فى هذه الآية ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) قال : الغِنَاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن حبيب عن مجاهد قال : الغِنَاء . قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعي ، عن سفيان ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) قال : هو الغِنَاء ، وكلّ لعب لهو .

حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الأتصاطى ، قال : ثنا على بن حفص الهمداني ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) قال : الغِنَاء والاستماع له ، وكلّ لهو . حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الخارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) قال : المغنى والمغنية بالمال الكثير ، أو استماع إليه ، أو إلى مثله من الباطل .

حدثنى يعقوب و ابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عليه ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) قال : هو الغِنَاء أو الغِنَاء منه ، أو الاستماع له .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن على ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن شعيب بن يسار ، عن عكرمة قال ( لَهْوَ الْحَدِيثِ ) : الغِنَاء .

حدثني عبيد بن إسماعيل الهساري ، قال : ثنا عثمان ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن شعيب بن يسار هكذا قال عكرمة ، عن عبيد مثله .

حدثنا الحسين بن الزبيران النخعي ، قال : ثنا أبو أسامة وعبيد الله ، عن أسامة ، عن عكرمة ، في قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) قال : الغناء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أسامة بن زيد ، عن عكرمة ، قال : الغناء . وقال آخرون : عني باللهو : الطبل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عباس بن محمد ، قال : ثنا حجاج الأعور ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : اللهو : الطبل . وقال آخرون : عني باللهو الحديث : الشرك .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله : ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) يعني الشرك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ) قال : هؤلاء أهل الكفر ، ألا ترى إلى قوله ( وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَتلى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ، كَانَ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ) فليس هكذا أهل الإسلام ، قال : وناس يقولون : هي فيكم ، وليس كذلك ، قال : وهو الحديث الباطل الذي كانوا يُلْعَنُونَ فيه .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : عني به كل ما كان من الحديث ملهيا عن سبيل الله ، مما نهى الله عن استماعه أو رسوله ، لأن الله تعالى عمّ بقوله ( لَهْوَ الْحَدِيثِ ) ولم يخص بعضا دون بعض ، فذلك على عمومته ، حتى يأتي ما يدل على خصوصه ، والغناء والشرك من ذلك .

وقوله ( لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ) يقول : ليصد ذلك الذي يشتري من لهو الحديث عن دين الله وطاعته ، وما يقرب إليه من قراءة قرآن ، وذكر الله . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ) قال : سبيل الله : قراءة القرآن ، وذكر الله إذا ذكره ، وهو رجل من قريش اشترى جارية مغنية .

وقوله ( بِغَيْرِ عِلْمٍ ) يقول : فعل ما فعل من اشتراؤه لهو الحديث ، جهلا منه بما له في العاقبة عند الله من



وزر ذلك وإثمه . وقوله (وَيَتَّخِذَهَا هُزُؤًا) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ، وبعض أهل الكوفة (وَيَتَّخِذُهَا) رفعا ، عطفًا به على قوله (يَشْتَرِي) كأن معناه عندهم : ومن الناس من يشترى هو الحديث ، ويتخذ آيات الله هزوا . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (وَيَتَّخِذُهَا) نصبًا عطفًا على يضلّ ، بمعنى : ليضلّ عن سبيل الله ، وليتخذها هزواً .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان معروفتان في آء الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارى ، فصبب الصواب في قراءته ، والهاء والألف في قوله (وَيَتَّخِذُهَا) من ذكر سبيل الله .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَيَتَّخِذُهَا هُزُؤًا) قال : سبيل الله . وقال آخرون : بل ذلك من ذكر آيات الكتاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : بحسب المرء من الضلالة ، أن يختار حديث الباطل على حديث الحق ، وما يضرّ على ما ينفع . (وَيَتَّخِذُهَا هُزُؤًا) يستهزئ بها ويكذب بها . وهما من أن يكونا من ذكر سبيل الله أشبه عندي لقربيهما منها ، وإن كان القول الآخر غير بعيد من الصواب ، واتخاذه ذلك هزواً هو استهزاؤه به .

وقوله (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفنا أنهم يشترى هو الحديث ليضلوا عن سبيل الله ، لهم يوم القيامة عذاب مُدْلٍ مخزٍ في نار جهنم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَآيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ، كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ، فَبَشَّرَهُ

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٧)

يقول تعالى ذكره : وإذا تُتلى على هذا الذى اشترى هو الحديث للإضلال عن سبيل الله ، آيات كتاب الله ، فقرئت عليه (وَأَيُّ مُسْتَكْبِرًا) يقول : أدبر عنها ، واستكبر استكبارا ، وأعرض عن سماع الحق والإجابة عنه (كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ، كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا) يقول : ثقلا ، فلا يطيق من أجله سماعه .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا) قال : ثقلا . وقوله (فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) : يقول تعالى ذكره : فبشر هذا المعرض عن آيات الله إذا تُليت عليه استكبارا بعذاب له من الله يوم القيامة مُوجِع ، وذلك عذاب النار .

## القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (٨) خُلِدِينَ فِيهَا، وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا،  
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩)

يقول تعالى ذكره: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) بالله فوحدوه، وصدقوا رسوله واتبعوه (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ): يقول: فأطاعوا الله، فعملوا بما أمرهم في كتابه وعلى لسان رسوله، وانتهوا عما نهاهم عنه (لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ) يقول هؤلاء بساتين النعيم (خُلِدِينَ فِيهَا): يقول: ما كثرن فيها إلى غير نهاية (وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا): يقول: وعدهم الله وعدا حقا، لا شك فيه، ولا خُلف له (وَهُوَ الْعَزِيزُ): يقول: وهو الشديد في انتقامه من أهل الشرك به، والصادقين عن سبيله، (الْحَكِيمُ) في تدبير خلقه.

## القول في تأويل قوله تعالى

خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا، وَالَّتِي فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ، وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ، وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠)

يقول تعالى ذكره: ومن حكمته أنه (خَلَقَ السَّمَوَاتِ) السبع (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا)، وقد ذكرت فيما مضى اختلاف أهل التأويل في معنى قوله (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) وبيننا الصواب من القول في ذلك عندنا.

وقد حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا معاذ بن معاذ، عن عمران بن حدير، عن عكرمة، عن ابن عباس: (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال: لعلها بعمد لا ترونها.

وقال: ثنا العلاء بن عبد الجبار، عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن بن مسلم، عن مجاهد، قال: لأنها بعمد لا ترونها.

قال: ثنا يحيى بن آدم، عن شريك، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لعلها بعمد لا ترونها.

حدثنا ابن المنني، قال: ثنا محمد، عن سماك، عن عكرمة في هذا الحرف: (خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال: ترونها بغير عمد، وهي بعمد.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال: قال الحسن وقاتدة: إنها بغير عمد ترونها، ليس لها عمد.

وقال ابن عباس (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال: لها عمد لا ترونها. وقوله (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) يقول: وجعل على ظهر الأرض رواسي،



وهى ثوابت الجبال . ( أن تميد بكم ) ، أن لا تميد بكم ، يقول : أن لا تضطرب بكم ، ولا تتحرك بمنة ولا يسيرة ، ولكن تستقر بكم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وأُنْقِىَ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ ) : أى جبالا ( أن تميد بكم ) أثبتنا بالجبال ، ولولا ذلك ما أقرت عليها خلقنا ، وذلك كما قال الراجز :  
والمهْرُ يَأْتِي أَنْ يَنْزَالَ مُلْهَبًا

بمعنى : لا يزال .

وقوله ( وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ) يقول : وفرق في الأرض من كل أنواع الدواب . وقيل : الدواب اسم لكل ما أكل وشرب ، وهو عندى لكل مادب على الأرض . وقوله ( وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ) : يقول تعالى ذكره : وأنزلنا من السماء مطرا ، فأنبتنا بذلك المطر في الأرض من كل زوج ، يعنى : من كل نوع من النبات كريم ، وهو الحسن النبتة .  
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ) : أى حسن .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

هَذَا خَلَقْتُ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ، بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١١)

يقول تعالى ذكره : هذا الذى عددت عليكم أيها الناس أنى خلقته فى هذه الآية ، خلقت الله الذى له ألوهة كل شىء ، وعبادة كل خلق ، الذى لاتصلح العبادة لغيره ، ولا تنبغى لشىء سواه ، فأرونى أيها المشركون فى عبادتكم إياه . من دونه من الآلهة والأوثان ، أى شىء خلق الذين من دونه ، من آلهتكم وأصنامكم ، حتى استحقت عليكم العبادة فعبدتموها من دونه ، كما استحقت ذلك عليكم خالقكم ، وخالق هذه الأشياء التى عدتها عليكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( هَذَا خَلَقْتُ اللَّهُ ) ما ذكر من خلق السموات والأرض ، وما بث من الدواب ، وما أنبت من كل زوج كريم ، ( فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ) الأصنام الذين تدعون من دونه .

وقوله ( بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ) يقول تعالى ذكره : ما عبد هؤلاء المشركون الأوثان والأصنام من أجل أنها تخلق شيئا ، ولكنهم دعاهم إلى عبادتها ضلالهم ، وذهابهم عن سبيل الحق ، فهم ( فى ضلال ) : يقول : فهم فى جور عن الحق ، وذهاب عن الاستقامة ( مبين ) : يقول : يسين لمن تأمله ، ونظر فيه ، وفكّر بعقل ، أنه ضلال لا هدى .

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن ( الورقة ٢٥١ ) . قال عند تفسير قوله تعالى : « وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم » : لئلا تميد بكم ؛ و ( أن ) فى هذا الموضع تكفى من ( لا ) كما قال الشاعر : « والمهر يأتى أن يزال ملهبا » معناه : يأتى أن لا يزال . اه

## القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ ، وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢)

يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا لقمان الفقه في الدين ، والعقل ، والإصابة في القول .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ) قال : الفقه والعقل والإصابة في القول من غير نبوة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ) أي الفقه في الإسلام ، قال قتادة : ولم يكن نبيا ، ولم يوح إليه .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا يونس ، عن مجاهد ، في قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ) قال : الحكمة : الصواب ، وقال غير أبي بشر : الصواب في غير النبوة .  
حدثنا ابن المثنى ، ثنا محمد بن جعفر . قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، أنه قال : كان لقمان رجلا صالحا ، ولم يكن نبيا .

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي وابن حميد ، قالوا : ثنا حكام ، عن سعيد الزبيدي ، عن مجاهد ، قال : كان لقمان الحكيم عبدا حبشيا ، غليظ الشفتين ، مصفح القدمين ، قاضيا على بني إسرائيل .

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي ، قال : ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش ، عن مجاهد ، قال : كان لقمان عبدا أسود ، عظيم الشفتين ، مشقق القدمين .

حدثني عباس بن محمد ، قال : ثنا خالد بن مخلد ، قال : ثنا سليمان بن بلال ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، سمعت سعيد بن المسيب يقول : كان لقمان الحكيم أسود من السودان مصر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أشعث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان لقمان عبدا حبشيا .

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا أبي . قال : ثنا الأوزاعي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن حرملة ، قال : جاء أسود إلى سعيد بن المسيب يسأل ، فقال له سعيد : لا تخزن من أجل أنك أسود ، فإنه كان من خير الناس ثلاثة من السودان : بلال ، ومهجع مولى عمر بن الخطاب ، ولقمان الحكيم ، كان أسود نوبيا ذا مشافر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي الأشهب ، عن خالد الربيعي ، قال : كان لقمان عبدا حبشيا



نجارا ، فقال له مولاہ : اذبح لنا هذه الشاة ، فذبحها ، قال : أخرج أطيّب مضغتين فيها ، فأخرج اللسان والقلب ، ثم مكث ما شاء الله ، ثم قال : اذبح لنا هذه الشاة ، فذبحها ، فقال : أخرج أخبث مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب ، فقال له مولاہ : أمرتك أن تخرج أطيّب مضغتين فيها فأخرجتهما ، وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما ، فقال له لقمان : إنه ليس من شيء أطيّب منهما إذا طابا ، ولا أخبث منهما إذا خبثا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، قال : كان لقمان عبدا أسود ، غليظ الشفتين ، مصفح القدمين ، فأتاه رجل ، وهو في مجلس أناس يحدثهم ، فقال له : أأنت الذى كنت ترعى معى الغنم فى مكان كذا وكذا ؟ قال : نعم ، قال : فما بلغ بك ما أرى ؟ قال : صدق الحديث ، والسمت عما لا يعينى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ( وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ) قال : القرآن .

قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : الحكمة : الأمانة .  
وقال آخرون : كان نبيا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عكرمة ، قال : كان لقمان نبيا .  
وقوله ( أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ ) : يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا لقمان الحكمة ، أن احمد الله على ما آتاك من فضله ، وجعل قوله ( أَنْ اشْكُرْ ) ترجمة عن الحكمة ، لأن من الحكمة التى كان أوّتها ، كان شكره الله على ما آتاه . وقوله ( وَمَنْ يَشْكُرْ فَلِئِمَّا يَشْكُرْ لِنَفْسِهِ ) يقول : ومن يشكر الله على نعمه عنده فلئما يشكر لنفسه ، لأن الله يُجزل له على شكره إياه الثواب ، وينقذه به من الهلكة ( وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ) يقول : ومن كفر نعمة الله عليه ، إلى نفسه أساء ، لأن الله معاقبه على كفرانه إياه ، والله غنى عن شكره إياه على نعمه ، لا حاجة به إليه ، لأن شكره إياه لا يزيد فى سلطانه ، ولا ينقص كفرانه إياه من ملكه . ويعنى بقوله ( حميدٌ ) محمود على كل حال ، له الحمد على نعمه ، كفر العبد نعمته أو شكره عليها ، وهو مصروف من مفعول إلى فاعيل .

#### القول فى تأويل قول تعالى

وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ، إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣)

يقول تعالى ذكره لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا احمد ( إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ، إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ) يقول : لخطأ من القول عظيم .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ، حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ، وَفِصْلَهُ فِي عَامَتَيْنِ : أَنْ أَشْكُرَ لِي  
وَلِوَالِدَيْكَ ، إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤)

يقول تعالى ذكره : وأمرنا الإنسان ببرّ والديه ( حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ) يقول : ضعفا على ضعف ، وشدة على شدة ؛ ومنه قول زهير :

فَلَنْ يَقُولُوا بِحَبْلٍ وَأَهْنٍ خَلَقَ لَوْ كَانَ قَوْمُكَ فِي أَسْبَابِهِ هَلَكُوا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، غير أنهم اختلفوا في المعنى بذلك ، فقال بعضهم : غنى به الحمل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ) يقول : شدة بعد شدة ، وخلقاً بعد خلق .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ) يقول : ضعفا على ضعف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ) أي جهدا على جهد .

وقال آخرون : بل غنى به : وهن الولد وضعفه على ضعف الأم .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ) قال : وهن الولد على وهن الوالدة وضعفها .

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى ( مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطلق السقا ، طبعة الحلبي ص ٢٥٤ ) . وقبل البيت بيت مرتبط به ارتباط السؤال بالجواب ، قال :

هَلَّا سَأَلْتَ بَنِي الصَّيْدَاءِ كُلَّهُمْ بِأَيِّ حَبْلٍ جَوَارٍ كُنْتَ أُمْتَسِكُ

ومعنى بيت الشاهد : هو حبل شديد محكم ، فن تمسك به نجاة ، وليس بحبل ضعيف من تعلق به هلك . قالوا : وكان الحارث ابن ورقاء الصيدأوى من بني أسد ، أغار على بني عبد الله بن غطفان ، فغم ، واستاق إبل زهير وراعيه يسارا ، فخاطبه زهير بهذه التصديده ، وذكره بأنه كان في عهده وجواره ، وأنه إن لم يرد عليه الإبل والراعي ، فإنه سيقول فيه من قصائد الهجو ما يفضحه في أحياء العرب . وقال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى : « وهنا على وهن » : أي ضعفا إلى ضعفها . واستشهد بالبيت . ٥١ . وفيه : الواهي بمعنى الضعيف .



وقوله ( وَفِيصَالُهُ فِي عَامَتَيْنِ ) يقول : وفِطامه في انقضاء عامين . وقيل : ( وَفِيصَالُهُ فِي عَامَتَيْنِ ) وترك ذكر انقضاء ، اكتفاء بدلالة الكلام عليه ، كما قيل ( وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ) يراد به أهل القرية . وقوله ( أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ) يقول : وعهدنا إليه أن اشكر لي على نعمي عليك ، ولوالديك تربيتكما إياك ، وعلاجهما فيك ما عاجلنا من المشقة ، حتى استحکم قواك . وقوله ( إِلَى الْمَصِيرِ ) يقول : إلى الله مصيرك أيها الإنسان ، وهو سائلك عما كان من شركك له على نعمه عليك ، وعما كان من شركك لوالديك ، وبرك بهما ، على ما لقينا منك من العناء والمشقة في حال طُغُوْلَيْتِكَ وصباك ، وما اصطنعا إليك في برهما بك ، وتحننهما عليك .

وذكر أن هذه الآية نزلت في شأن سعد بن أبي وقاص وأمه .

ذكر الرواية الواردة في ذلك

حدثنا هَنَّادُ بن السريِّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سِماكِ بن حرب ، عن مصعب بن سعد ، قال : حلفت أم سعد أن لا تأكل ولا تشرب ، حتى يتحول سعد عن دينه ، قال : فأبى عليها ، فلم تزل كذلك حتى عُشِبِي عليها ، قال : فأتاها بنوها فسَقَوْهَا ، قال : فلما أفاقت دعت الله عليه ، فنزلت هذه الآية : ( وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ) . . . إلى قوله ( فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ) .

حدثنا ابن المنثي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سِماكِ بن حرب ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه ، قال : قالت أم سعد لسعد : أليس الله قد أمر بالبرِّ ، فوالله لا أطعم طعاما ، ولا أشرب شرابا ، حتى أموت أو تكفر ، قال : فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فإها بعضا ، ثم أوجروها ، فنزلت هذه الآية ( وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ) .

حدثنا ابن المنثي ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن سِماكِ بن حرب ، قال : قال سعد بن مالك : نزلت في ( وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ، وَصَاحِبَيْهِمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ) قال : لما أسلمت ، حلفت أي لا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا ، قال : فناشدتها أول يوم ، فأبت وصبرت ، فلما كان اليوم الثاني ناشدتها ، فأبت ، فلما كان اليوم الثالث ناشدتها فأبت ، فقلت : والله لو كانت لك مِثَّةُ نَفْسٍ ، لخرجت قبل أن أدع ديني هذا ؛ فلما رأت ذلك ، وعرفت أني لست فاعلا ، أكلت .

حدثنا ابن المنثي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت أبا هبيرة يقول : قال : نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص ( وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَيْهِمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا،  
وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنْابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥)

يقول تعالى ذكره : وإن جاهدك أيها الإنسان والداك على أن تشرك بي في عبادتك إياي معي غيري ، مما لا تعلم أنه لي شريك ، ولا شريك له تعالى ذكره علواً كبيراً ، فلا تطعهما فيما أراداك عليه من الشرك بي ، (وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) يقول : وصاحبهما في الدنيا بالطاعة لهما ، فيما لا تسبغ عليك فيه ، فيما بينك وبين ربك ولا إثم . وقوله ( ( وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ) ) يقول : واسلك طريق من تاب من شركه ، ورجع إلى الإسلام ، واتبع محمداً صلى الله عليه وسلم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ) : أي من أقبل إلى .  
وقوله (إِلَى مَرَجِعِكُمْ فَأَنْتَبِئْتُمْ مِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) : فإن إلى مصيركم ومعادكم بعد مماتكم ، فأخبركم بجميع ما كنتم في الدنيا تعملون من خير وشر ، ثم أجازيكم على أعمالكم ، المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء بإساءته .

فإن قال لنا قائل : ما وجه اعتراض هذا الكلام بين الخبر عن وصيتي لقمان ابنه ؟ قيل ذلك أيضا ، وإن كان خبرا من الله تعالى ذكره عن وصيته عباده به ، وأنه إنما أوصى به لقمان ابنه ، فكان معنى الكلام (وَأَذَى قَالَ لِقَمَانَ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعْظُهُ) : يَا بَنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ) ولا تطع في الشرك به والديك ( وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ) فإن الله وصى بهما ، فاستؤنف الكلام على وجه الخبر من الله ، وفيه هذا المعنى ، فذلك وجه اعتراض ذلك بين الخبرين عن وصيته .

## القول في تأويل قوله تعالى

يُبْعَثُ فِيهَا إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ، فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦)

اختلف أهل العربية في معنى الهاء والألف اللتين في قوله (إِنَّهَا) فقال بعض نحوِّي البصرة : ذلك كناية عن المعصية والخطيئة . ومعنى الكلام عنده : يا بني إن المعصية إن تك مثقال حبة من خردل ، أو إن الخطيئة . وقال بعض نحوِّي الكوفة : وهذه الهاء عماد . وقال : أنت تك ، لأنه يراد بها الحبة ، فذهب بالتأنيث إليها ، كما قال الشاعر :

وَتَشْرِقُ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَذَعْتَهُ  
كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ ١

(١) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة يشرح الدكتور محمد حسين ص ١٢٣) وهو من قصيدة يهجو بها عمير ابن عبد الله بن المنذر بن عبدان ، حين جمع بينه وبين جهنم الشاعر ، ليهاجيه . ورقم البيت (٣٤) ومعنى تشرق : تغص ، وصدر القناة : علاها . والقناة : الرمح . اهـ . وفي «فرائد القلائد» شرح مختصر الشواهد «لعيني» قال : والشاهد في شرفت حيث أنت مع أن فاعله مذكر وهو الصدر والقياس شرق ، ولكن لما كان الصدر الذي هو مضاف بهض المضاف إليه أعطى له حكمه . اهـ .



وقال صاحب هذه المقالة : يجوز نصب المثقال ورفعه ؛ قال : فمن رفعه بتركه ، واحتملت النكرة أن لا يكون لها فعل في كان وليس وأخواتها ، ومن نصب جعل في تكن اسما مضمرا مجهولا ، مثل الهاء التي في قوله ( لِمَآ إِن تَكُ ) قال : ومثله قوله ( فَلِمَآ لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ) قال : ولو كان إن يك مثقال حبة كان صوابا ، وبجاز فيه الوجهان . وأما صاحب المقالة الأولى ، فإن نصب مثقال في قوله ، على أنه خبر ، وتمام كان ؛ وقال : رفع بعضهم فجعلها كان التي لا تحتاج إلى خبر .

وأولى القولين بالصواب عندى ، القول الثانى ، لأن الله تعالى ذكره ، لم يبعده عباده أن يوفيهم جزاء سيئاتهم دون جزاء حسناتهم ، فيقال : إن المعصية إن تك مثقال حبة من خردل يأت بها الله ، بل وعد كلا العاملين أن يوفيه جزاء أعمالهما . فإذا كان ذلك كذلك ، كانت الهاء في قوله ( لِمَآ ) بأن تكون عمادا أشبه منها بأن تكون كناية عن الخطيئة والمعصية . وأما النصب في المثقال ، فعلى أن في « تك » مجهولا ، والرفع فيه على أن الخبر مضمّر ، كأنه قيل : إن تك في موضع مثقال حبة ، لأن النكرات تضمّر أخبارها ، ثم يترجم عن المكان الذى فيه مثقال الحبة .

وعنى بقوله ( مِثْقَالِ حَبَّةٍ ) : زينة حبة . فتأويل الكلام إذن : إن الأمر إن تك زينة حبة من خردل من خير أو شر عملته ، فتكن في صخرة ، أو في السموات ، أو في الأرض ، يأت بها الله يوم القيامة ، حتى يوفيك جزاءه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( يَا بُتَى لِمَآ إِن تَكُ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ ) من خير أو شر .  
واختلف أهل التأويل فى معنى قوله ( فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ ) فقال بعضهم : عنى بها الصخرة التى عليها الأرض ، وذلك قول روى عن ابن عباس وغيره ، وقالوا : هى صخرة خضراء .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : الصخرة خضراء على ظهر حوت .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن عبد الله ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « خلق الله الأرض على حوت ، والحوت : هو النون الذى ذكر الله فى القرآن ( ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ) ، والحوت فى الماء ، والماء على ظهر صفاة ، والصفاة على ظهر ملكك ، والملك على صخرة ، والصخرة فى الريح ، وهى الصخرة التى ذكر لثمان ليست فى السماء ، ولا فى الأرض » .

وقال آخرون : عنى بها الجبال ، قالوا : ومعنى الكلام : فتكن في جبل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله ( فَتَكُنْ فِي صَحْرَةٍ ) : أى جبل وقوله ( يَا تِيبَا اللَّهِ ) كان بعضهم يوجه معناه إلى يعلمه الله ، ولا أعرف يأتي به ، بمعنى يعلمه ، إلا أن يكون قائل ذلك أراد أن لقمان ، إنما وصف الله بذلك ، لأن الله يعلم أماكنه ، لا يخفى عليه مكان شيء ، منه ، فيكون وجهها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ويحيى ، قالوا : ثنا أبو سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك ( فَتَكُنْ فِي صَحْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ ، أَوْ فِي الْأَرْضِ يَا تِيبَا اللَّهِ ) قال : يعلمها الله . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدي ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك ، مثله . وقوله ( إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ) يقول : إن الله لطيف باستخراج الحبة من موضعها حيث كانت خبير ، بموضعها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ) : أى لطيف باستخراجها ، خبير بمسقرها .

القول في تأويل قوله تعالى

يٰٓبُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ . وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ، إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن إقبال لقمان لابنه : ( يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ ) بحدودها ( وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ ) : يقول : وأمر الناس بطاعة الله ، واتباع أمره ( وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ) يقول : وانها الناس عن معاصي الله ومواقعة محارمه ( وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ) يقول : واصبر على ما أصابك من الناس في ذات الله ، إذا أنت أمرتهم بالمعروف ، ونهيتهم عن المنكر ، ولا يصدئك عن ذلك ما نالك منهم . ( إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ) : يقول : إن ذلك مما أمر الله به من الأمور عزم ما منه .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ )



المُسْتَكْبِرِ ، وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ) قال : اصبر على ما أصابك من الأذى فى ذلك . ( إِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ) قال : إن ذلك مما عزم الله عليه من الأمور ، يقول : مما أمر الله به من الأمور .

### القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨)

اختلفت القراء فى قراءة قوله ( وَلَا تُصَعِّرْ ) فقرأه بعض قراء الكوفة والمدنيين والكوفيين ( وَلَا تُصَعِّرْ ) على مثال « تُفَعِّلْ » . وقرأ ذلك بعض المكيين وعامة قراء المدينة والكوفة والبصرة ( وَلَا تُصَاعِرْ ) : على مثال « تُفَاعِلْ » .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إنهما قراءتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فبأيهما قرأ القارى فصيبي . وتأويل الكلام : ولا تُعْرِضْ بوجهك عن كلمته ، تكبرا واستحقارا لمن تكلمه ، وأصل الصَّعَّرَ : داء يأخذ الإبل فى أعناقها أو رءوسها ، حتى تَلْتَفِتْ أعناقها عن رءوسها ، فيشبهه به الرجل المتكبر على الناس ، ومنه قول عمرو بن خُصَيْبٍ التَّغَلَّبِيَّ :

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ  
أَقَمْنَا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوْنَا

واختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم نحو الذى قلنا فيه .

### ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ) يقول : ولا تتكبر ، فتحقير عباد الله ، وتُعْرِضُ عنهم بوجهك إذا كلموك .

(١) البيت لعمر بن حفص ( بالنون ) التغلبى ( معجم الشعراء للمرزبانى ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ) وهو فارس جاهل مذكور ، يقول فى قتلهم عمرو بن هند ، على رواية محمد بن داود :

نُعَاطِي الْمُلُوكِ الْحَقِّ مَا قَصَدُوا بِنَا  
وَلَيْسَ عَلَيْنَا قَتْلُهُمْ بِمَحْرَمٍ  
أَنْفَتْ لَهُمْ مِنْ عَقْلِ عَمْرُو بْنِ مَرْثَدٍ  
إِذَا وَرَدُوا مَاءً وَرُمِحَ بْنِ هَرْمِمْ  
وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ  
أَقَمْنَا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوْنَا

قال : يريد : فتقوم أنت . وهذا البيت يروى من قصيدة المتلمس التى أولها :

يُعَسِّرُنِي أُمِّي رِجَالٌ وَلَنْ تَرَى  
أَخَا كَرَمٍ إِلَّا بَأْسُ يَتَكَرَّمَا

وبعد البيت ، وآخره : « أقمنا له من ميله فتقوما » . وغيره يروون هذه الأبيات لجابر بن حنى التغلبى . وقال أبو عبيدة فى تفسير قوله تعالى « وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ » : مجازه : لا تقلب وجهك ، ولا تعرض بوجهك فى ناحية ، من الكبر ؛ ومنه الصعر الذى يأخذ الإبل فى رءوسها ، حتى يلفت أعناقها عن رءوسها . وقال عمرو بن حنى التغلبى : « وكنا . . . فتقوما » . ونسب البيت فى ( اللسان صعر ) للمتلمس جرير بن عبد المسيح . قال : الصعر : ميل فى الوجه . وقيل : الصعر : ميل فى الخد خاصة . وربما كان خلقة فى الإنسان والظلم . وقيل : هو ميل فى العنق ، وانقلاب فى الوجه إلى أحد الشقين . وقد صعر خده وصاعره : أماله من الكبر ، قال المتلمس : وكنا . . . فتقوما » . يقول : إذا أمال متكبر خده أذلناه حتى يتقوم ميله . اهـ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ) يقول : لاتعرض بوجهك عن الناس تكبرا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَا تُصَعِّرْ ) قال : الصدود والإعراض بالوجه عن الناس .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا زيد بن أبي الزرقاء ، عن جعفر بن برقان ، عن يزيد في هذه الآية : ( وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ) قال : إذا كلمك الإنسان لَوَيْتَ وَجْهَكَ ، وأعرضت عنه مُحَقَّرَةً له . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا خالد بن حيان الرقي ، عن جعفر بن ميمون بن مهران ، قال : هو الرجل يكلم الرجل ، فَيَلْوِي وجهه .

حدثنا عبد الرحمن بن الأسود ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، قال : ثنا أبو مكي ، عن عكرمة ، في قوله ( وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ) قال : لاتعرض بوجهك . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول ، في قوله ( وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ) يقول : لاتعرض عن الناس ، يقول : أقبل على الناس بوجهك وحسن خلقك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ) قال : تصعير الخد : التجبر والتكبر على الناس ومحقرتهم . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي مكي ، عن عكرمة ، قال : الإعراض . وقال آخرون : إنما نهاه عن ذلك أن يفعله لمن بينه وبينه صَعَّرَ ، لاعلى وجه التكبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ( وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ) قال : الرجل يكون بينه وبين أخيه الحنة ، فيراه فيعرض عنه . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله ( وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ) قال : هو الرجل بينه وبين أخيه حنة ، فيعرض عنه . وقال آخرون : هو التشديق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثني أبي ، عن جعفر الرازي ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : هو التشديق . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، قال : هو التشديق أو انتشديق « الطبري يشك » .

حدثنا يحيى بن طلحة ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن إبراهيم بمثله .



وقوله ( وَلَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَّحًا ) يقول : ولا تمش في الأرض مختالا .  
كما حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، يقول  
في قوله ( وَلَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَّحًا ) يقول : بالخيلاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا تَصْعَرُ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا  
تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَّحًا ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ) قال : نهاه عن التكبر ، قوله ( إِنَّ  
اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ ) متكبر ذى فخر .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا  
الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( كُلُّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ) قال :  
متكبر . وقوله : فخور : قال : يعدد ما أعطى الله ، وهو لا يشكر الله .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِّنْ صَوْتِكَ ، إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)

يقول : وتواضع في مشيك إذا مشيت ، ولا تستكبر ، ولا تستعجل ، ولكن اتئد .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، غير أن منهم من قال : أمره بالتواضع فى مشيه ، ومنهم  
من قال : أمره بترك السرعة فيه .

ذكر من قال : أمره بالتواضع فى مشيه

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد ( وَأَقْصِدْ  
فِي مَشْيِكَ ) قال : التواضع .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ) قال : نهاه  
عن الخيلاء .

ذكر من قال : نهاه عن السرعة

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن عبد الله بن عقبة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، فى قوله  
( وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ) قال : من السرعة .  
قوله ( وَاعْضُضْ مِّنْ صَوْتِكَ ) يقول : واخفض من صوتك ، فاجعله قصدا إذا تكلمت .  
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَاعْضُضْ مِّنْ صَوْتِكَ ) قال :  
أمره بالاعتصاف فى صوته .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَاعْضُضْ مِّنْ صَوْتِكَ )  
قال : اخفض من صوتك .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( **إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ) فقال بعضهم : معناه : إن أقيح الأصوات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار وابن المنني ، قالا : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة وأبان بن تغلب ، قالا : ثنا أبو معاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك ( **إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ** ) قال : إن أقيح الأصوات ( **لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ) .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( **إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ) أي أقيح الأصوات لصوت الحمير ، أوله زفير ، وآخره شهيق ، أمره بالاعتقاد في صوته .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، قال : سمعت الأعمش يقول : ( **إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ** ) صوت الحمير .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن أشر الأصوات .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن يحيى بن واضح ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة والحكم بن عتيبة ( **إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ** ) قال : أشر الأصوات .  
قال جابر : وقال الحسن بن مسلم : أشد الأصوات .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( **إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ) قال : لو كان رفع الصوت هو خيرا ما جعله للحمير .  
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معناه : إن أقيح أو أشر الأصوات ، وذلك نظير قولهم : إذا رأوا وجهها قبيحا ، أو منظرا شديعا ، ما أنكر وجه فلان ، وما أنكر منظره .  
وأما قوله ( **لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ) فأضيف الصوت وهو واحد إلى الحمير وهي جماعة ، فإن ذلك لوجهين إن شئت ، قلت : الصوت بمعنى الجمع ، كما قيل ( **لَدَهَبَ بِسَمْعِهِمْ** ) وإن شئت قلت : معنى الحمير : معنى الواحد ، لأن الواحد في مثل هذا الموضع يؤدي عما يؤدي عنه الجمع .

القول في تأويل قوله تعالى

**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ ، وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجْدِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٢٠)**

يقول تعالى ذكره ( **أَلَمْ تَرَوْا** ) أيها الناس ( **أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** ) من شمس وقمر ونجم وسحاب ( **وَمَا فِي الْأَرْضِ** ) من دابة وشجر وماء وبحر وفلك وغير ذلك من المنافع ، يجري ذلك كله

(١) لعل فيه سقطا ، والأصل : أي أقيح الأصوات صوت الخ .



لمنافعكم ومصالحكم ، لغذائكم وأقواتكم وأرزاقكم وملاذكم ، تتمتعون ببعض ذلك كله ، وتنتفعون بجميعة ، ( وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض المكيين وعامة الكوفيين ( وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ) على الواحدة ، ووجهها معناها إلى أنه الإسلام ، أو إلى أنها شهادة أن لا إله إلا الله . وقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ( نِعْمَتَهُ ) على الجماع ، ووجهها معنى ذلك ، إلى أنها النعم التي سخرها الله للعباد ، مما في السموات والأرض ، واستشهدوا لصحة قراءتهم ذلك كذلك بقوله ( شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ ) قالوا : فهذا جمع النعم .

والصواب من القول في ذلك عندنا : أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار ، متقاربتا المعنى ، وذلك أن النعمة قد تكون بمعنى الواحدة ، ومعنى الجماع ، وقد يدخل في الجماع الواحدة . وقد قال جل ثناؤه ( وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ) فعلوم أنه لم يُعَنَّ بذلك نعمة واحدة . وقال في موضع آخر : ولم يك من المشركين ، شاكرًا لأنعميه ، فجمعها ، فبأى القراءتين قرأ القارئ ذلك فصيب .

ذكر بعض من قرأ ذلك على التوحيد ، وفسره على ما ذكرنا عن قارئيه أنهم يفسرونه

حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا مستور الهناني ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أنه قرأها ( وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ) ، وفسرها الإسلام .

حدثت عن الفراء ، قال : ثنا شريك بن عبد الله ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه قرأ ( نِعْمَتَهُ ) واحدة . قال : ولو كانت نعمه ، لكانت نعمة دون نعمة ، أو نعمة فوق نعمة « الشك من الفراء » .

حدثني عبد الله بن محمد الزهرى ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا حميد ، قال : قرأ مجاهد ( وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ) قال : لا إله إلا الله .

حدثني العباس بن أبي طالب ، قال : ثنا ابن أبي بكير ، عن شبلى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ) قال : كان يقول : هي لا إله إلا الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد ( وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ) قال : لا إله إلا الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عسيرة ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد ، قال : لا إله إلا الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن عيسى ، عن قيس ، عن ابن عباس ( نِعْمَتَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ) قال : لا إله إلا الله . وقوله ( ظَاهِرَةً ) يقول : ظاهرة على الألسن قولاً ، وعلى الأبدان وجوارح الجسد عملاً . وقوله ( وَبَاطِنَةً ) يقول : وباطنة في القلوب اعتقاداً ومعرفة .

وقوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى ) يقول تعالى ذكره : ومن الناس

من يخاصم في توحيد الله ، وإخلاص الطاعة والعبادة له بغير علم عنده بما يخاصم ( ولا هُدًى ) : يقول : ولا بيان يبين به صحة ما يقول ( ولا كِتَابٍ مُنِيرٍ ) يقول : ولا بتنزيل من الله جاء بما يدعى ، يبين حقيقة دعواه . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ) ليس معه من الله برهان ولا كتاب .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، قَالُوا : بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (٢١)

يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء الذين يجادلون في توحيد الله ، جهلا منهم بعظمة الله ، اتبعوا أيها القوم ما أنزل الله على رسوله ، وصدقوا به ، فإنه يتفرق بين الحق منا والمبطل ، ويفصل بين الضال والمهتدي ، فقالوا : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من الأديان ، فإنهم كانوا أهل حق ، قال الله تعالى ذكره ( أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ ) بتزيينه لهم سوء أعمالهم ، واتباعهم إياه على ضلالهم ، وكفرهم بالله ، وتركهم اتباع ما أنزل الله من كتابه على نبيه ( إلى عَذَابِ السَّعِيرِ ) يعني : عذاب النار التي تتسعر وتلتهب .

## القول في تأويل قوله تعالى

\* وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ، وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : ومن يعبد وجهه متذلا بالعبودة ، مقرا له بالألوهة ( وهو مُحْسِنٌ ) يقول : وهو مطيع لله في أمره ونهيه ( فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ) يقول : فقد تمسك بالطرف الأوثق ، الذي لا يخاف انقطاعه من تمسك به ، وهذا مثل ، وإنما يعني بذلك أنه قد تمسك من رضا الله بإسلامه وجهه إليه وهو محسن ، ما لا يخاف معه عذاب الله يوم القيامة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي السوداء ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ( وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ) ، فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ) قال : لا إله إلا الله .

وقوله ( وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ) يقول : وإلى الله مرجع عاقبة كل أمر : خيره وشره ، وهو المسائل أهله عنه ، ومجازيهم عليه .



## القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنُكَ كُفْرُهُ ، إِيَّانَا مَرْجِعُهُمْ فَتُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٣) مُتَعَمِّمٌ قَلِيلًا ، ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٢٤)

يقول تعالى ذكره: ومن كفر بالله فلا يحزنك كفره، ولا تذهب نفسك عليهم حسرة، فإن مرجعهم ومصيرهم يوم القيامة إلينا، ونحن نخبرهم بأعمالهم الخبيثة التي عملوها في الدنيا، ثم نجزيهم عليها جزاءهم (إن الله عليمٌ بذات الصدور) يقول: إن الله ذو علم بما تكتنه صدورهم من الكفر بالله، وإيثارة الشيطان: وقوله (متعممٌ قليلاً) يقول: تمهلهم في هذه الدنيا مهلاً قليلاً يتمتعون فيها (ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) يقول: ثم نوردهم على كفرهم منهم عذاباً غليظاً، وذلك عذاب النار، نعوذ بالله منها، ومن عمل يقرب منها.

## القول فى تأويل قوله تعالى

وَلِئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ، قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٥) اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٦)

يقول تعالى ذكره: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك (من خلق السموات والأرض؟ ليقولنَّ الله، قل الحمد لله) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد، فإذا قالوا ذلك، فقل لهم: الحمد لله الذى خلق ذلك، لا لمن لا يخلق شيئاً وهم يُخلقون، ثم قال تعالى ذكره (بل أكثرهم لا يعلمون): يقول: بل أكثر هؤلاء المشركون لا يعلمون من الذى له الحمد، وأين موضع الشكر. وقوله (الله ما فى السموات والأرض) يقول تعالى ذكره: لله كل ما فى السموات والأرض من شئ، ملكا كائنا ما كان ذلك الشئ، من وثن وصنم وغير ذلك، مما يُعبد أو لا يُعبد (إن الله هو الغنى الحميد) يقول: إن الله هو الغنى عن عبادة هؤلاء المشركين به الأوثان والأنداد، وغير ذلك منهم ومن جميع خلقه، لأنهم ملكه وله، وبهم الحاجة إليه، الحميد، يعنى المحمود على نعمه التي أنعمها على خلقه.

## القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧)

يقول تعالى ذكره: ولو أن شجر الأرض كلها برئت أقلاماً (والبحر يمدُّه) يقول: والبحر مداد، والهاء فى قوله (يمدُّه) عائدة على البحر. وقوله (من بعده سبعة أبحُر، ما نفدت) يقول: والبحر مداد، والهاء فى قوله (يمدُّه) عائدة على البحر. وقوله (من بعده سبعة أبحُر، ما نفدت)

كَلِمَاتُ اللَّهِ ) وفي هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة الظاهر عليه منه ، وهو يكتب كلام الله بتلك الأقلام ، وبذلك المداد ، لتكسرت تلك الأقلام ، ولنقد ذلك المداد ، ولم تنقد كلمات الله .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسّية ، عن أبي رجاء ، قال : سألت الحسن عن هذه الآية ( وَكَوْنُ أَنْ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ) قال : لو جعل شجر الأرض أقلاما ، وجعل البحر مدادا ، وقال الله : إن من أمرى كذا ، ومن أمرى كذا ، لنفد ماء البحور ، وتكسرت الأقلام .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم ، قال : ثنا عمرو ، في قوله ( وَكَوْنُ أَنْ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ) قال : لو بُرِيَتْ أقلاما والبحر مدادا ، فكتب بتلك الأقلام منه ( ما نفدت كلمات الله ) ولو مدّه سبعة أبحر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَكَوْنُ أَنْ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ) ، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ) قال : قال المشركون : إنما هذا كلام يوشك أن ينقد ، قال : لو كان شجر البر أقلاما ، ومع البحر سبعة أبحر ما كان لنقد عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه .

وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبب مجادلة كانت من اليهود له .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا ابن إسحاق ، قال : ثنى رجل من أهل مكة ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس « أن أحبار يهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة : يا محمد أريت قوله ( وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ) إيانا تريد أم قومك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلاً ، فقالوا : ألسنت تنلو فيما جاءك : أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كل شيء ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما في علم الله قليل ، وعندكم من ذلك ما يكفيناكم ، فأنزل الله عليه فيما سأله عنه من ذلك ( وَكَوْنُ أَنْ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ) والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ) : أي أن التوراة في هذا من علم الله قليل .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، قال : سألت أهل الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح ، فأنزل الله ( وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ) فقالوا : تزعم أنما نوت من العلم إلا قليلا ، وقد أوتينا التوراة ، وهي الحكمة ( وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ) قال : فنزلت ( وَكَوْنُ أَنْ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ) والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات



الله) قال : ما أوتيتم من علم فنجاكم الله به من النار وأدخلكم الجنة، فهو كثير طيب ، وهو في علم الله قليل . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار ، قال : لما نزلت بمكة ( وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ) يعنى اليهود ؛ فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، أتاه أجبار يهود ، فقالوا : يا محمد ألم يباغنا أنك تقول ( وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ) أفتعيننا أم قومك ؟ قال : كَلَّا قَدْ عَنَيْتُ ، قالوا : فإنك تتلو : أنا قد أوتينا التوراة ، وفيها تبيان كل شىء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هِيَ فِي عِلْمِ اللَّهِ قَلِيلٌ ، وَقَدْ آتَاكُمْ اللَّهُ مَا إِنْ عَمِلْتُمْ بِهِ انْتَفَعْتُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ( وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ، وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ ) . . . إلى قوله ( إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ) .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ ) فقراءته عامة قراء المدينة والكوفة والبحر رفعا على الابتداء، وقراءته قراء البصرة نصبا، عطفًا به على « ما » في قوله ( وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ وَبَأَيْتِهَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَصِيبٌ عِنْدِي . وقوله ( إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ) يقول : إن الله ذو عزة في انتقامه ممن أشرك به ، وادعى معه لها غيره ، حكيم في تدبيره خلقه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : ما خلقكم أيها الناس ولا بعثكم على الله إلا كخلق نفس واحدة وبعثها ، وذلك أن الله لا يتعذر عليه شىء أراد ، ولا يمتنع منه شىء شاءه ( إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ) فسواء خلق واحد وبعثه ، وخلق الجميع وبعثهم .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ) يقول : كن فيكون ، للقليل والكثير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( مَا خَلَقْتُمْ وَلَا بَعَثْتُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ) قال : يقول : إنما خلق الله الناس كلهم وبعثهم كخلق نفس واحدة وبعثها ، وإنما صلح أن يقال : إلا كنفس واحدة ، والمعنى : إلا كخلق نفس واحدة ، لأن المحذوف فعل يدل عليه قوله ( مَا خَلَقْتُمْ وَلَا بَعَثْتُمْ ) والعرب تفعل ذلك فى المصادر ، ومنه قول الله ( تَدْوُرُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ) والمعنى : كدوران عين الذى يغشى عليه من الموت ، فلم يذكر الدوران والعين لما وصفت .

وقوله ( إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ) يقول تعالى ذكره : إن الله سميع لما يقول هؤلاء المشركون ويفترونه على ربهم ، من ادعائهم له الشركاء والأنداد ، وغير ذلك من كلامهم وكلام غيرهم ، بصير بما يعملونه وغيرهم من الأعمال ، وهو مجازيهم على ذلك جزاءهم .

## القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ، وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِى إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ، وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٩)

يقول تعالى ذكره ( أَلَمْ تَرَ ) يا محمد بعينك ( أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ) يقول : يزيد من نقصان ساعات الليل في ساعات النهار ( وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ) يقول : يزيد ما نقص من ساعات النهار في ساعات الليل .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ) نقصان الليل في زيادة النهار ( وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ) نقصان النهار في زيادة الليل . وقوله ( وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، كُلًّا يَجْرِى إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ) يقول تعالى ذكره : وسخر الشمس والقمر لمصالح خلقه ومنافعهم ، كل يجرى : يقول : كل ذلك يجرى بأمره إلى وقت معلوم ، وأجل محدود ، إذا بلغه كورت الشمس والقمر . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِى إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ) يقول : لذلك كله وقت ، وحد معلوم ، لا يجاوزه ولا يعدوه . وقوله ( وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ) يقول : وأن الله بأعمالكم أيها الناس من خير أو شر ذوخبرة وعلم ، لا يخفى عليه منها شيء ، وهو مجازيكم على جميع ذلك . وخرج هذا الكلام خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمعنى به المشركون ، وذلك أنه تعالى ذكره ، نبهه بقوله ( أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ، وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ) على موضع حجته من جهيل عظمته ، وأشرك في عبادته معه غيره ، يدل على ذلك قوله ( ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ ) .

## القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٣٠)



يقول تعالى ذكره : هذا الذى أخبرتك يا محمد أن الله فعله من إيلاجه الليل فى النهار ، والنهار فى الليل ، وغير ذلك من عظيم قدرته ، إنما فعله بأنه الله حقا ، دون ما يدعوه هؤلاء المشركون به ، وأنه لا يقدر على فعل ذلك سواه ، ولا تصلح الألوهة إلا لمن فعل ذلك بقدرته .

وقوله ( وأن ما يدعون من دونه الباطل ) يقول تعالى ذكره : وبأن الذى يعبد هؤلاء المشركون من دون الله ، الباطل الذى يضمحل ، فيبطل ويفنى ( وأن الله هو العلى الكبير ) يقول تعالى ذكره : وبأن الله هو العلى ، يقول : ذوالعلو على كل شيء ، وكل ما دونه فله متذلل منقاد ، الكبير الذى كل شيء دونه ، فله متصاغر .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ ، لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تر يا محمد أن السفن تجرى فى البحر نعمة من الله على خلقه ( لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ) يقول : ليرىكم من عبره وحججه عليكم ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ) يقول : إن فى جرى الفلك فى البحر دلالة على أن الله الذى أجزاها هو الحق ، وأن ما يدعون من دونه الباطل ( لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ) يقول : لكل من صبر نفسه عن محارم الله ، وشكره على نعمه فلم يكفره .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان مُطَرِّفٌ يقول : إن من أحبّ عباد الله إليه : الصبار الشكور .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، قال : الصبر نصف الإيمان ، والشكر نصف الإيمان ، واليقين : الإيمان كله ، ألم تر إلى قوله ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ - إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُوقِنِينَ - إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ) .

حدثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن مغيرة ، عن الشعبي ( إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ) قال : الصبر : نصف الإيمان ، واليقين : الإيمان كله .  
إن قال قائل : وكيف خص هذه الدلالة بأنها دلالة للصبار الشكور ، دون سائر الخلق ؟ قيل : لأن الصبر والشكر من أفعال ذوى الحجا والعقول ، فأخبر إن فى ذلك لآيات لكل ذى عقل ، لأن الآيات جعلها الله عبرا لذوى العقول والتمييز .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ، فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ ، فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَحْتَدُّ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : وإذا غشي هؤلاء الذين يدعون من دون الله الآلهة والأوثان في البحر ، إذا ركبوا في الفلك ، موج كالظلل ، وهي جمع ظلّة ، شبه بها الموج في شدة سواد كثرة الماء ؛ قال نابغة بنى جعدة في صفة بحر :

يماشين أخضر ذو ظلال على حافاته فلق الدنان

وشبه الموج وهو واحد بالظل ، وهي جمع ، لأن الموج يأتي شيء منه بعد شيء ، ويركب بعضه بعضا كهيئة الظل ، وقوله ( دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ) يقول تعالى ذكره : وإذا غشي هؤلاء موج كالظلل ، فخافوا الغرق ، فزعوا إلى الله بالدعاء مخلصين له الطاعة ، لا يشركون به هنالك شيئا ، ولا يدعون معه أحدا سواه ، ولا يستغيثون غيره . قوله ( فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ ) مما كانوا يخافونه في البحر من الغرق والهلاك ، إلى البرّ ( فَيَنْهَهُمُ الْمُقْتَصِدُ ) يقول : فمنهم مقتصد في قوله ، وإقراره بربه ، وهو مع ذلك مضمر الكفر به . وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى وحدثني الخارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فَيَنْهَهُمُ الْمُقْتَصِدُ ) قال : المقتصد في القول وهو كافر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَيَنْهَهُمُ الْمُقْتَصِدُ ) قال : المقتصد : الذي على صلاح من الأمر .

وقوله ( وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ) يقول تعالى ذكره : وما يكفر بأدلتنا وحججنا إلا كل غدار بعده ، والختر عند العرب : أقبح الغدر ؛ ومنه قول عمرو بن معدى كرب :  
وإِنَّكَ لَوَ رَأَيْتَ أَبَا عَمْسِيرٍ مَلَأَتْ يَدَيْكَ مِنْ غَدْرٍ وَخَسْرٍ  
وقوله ( كَفُورٍ ) يعني : جحودا للنعم ، غير شاكر ما أسدى إليه من نعمة .  
وينحو الذي قلنا في معنى الختار ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد ( كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ) قال : كل غدار .

(١) البيت في ( مجاز القرآن لأبي عبيدة الورقة ١٩١ ب ) قال عند تفسير قوله تعالى : « وإذا غشيهم موج كالظلل » : واحدها : ظلّة . ومجازه : من شدة سواد كثرة الماء ومعظمه . قال نابغة الجعدي وهو يصف البحر : « يماشين . . . فلق الدنان » . يريد : أن البحر يمتد مدهن في سبيلهم . وظلال البحر : أمواجه ، لأنها ترفع فنظال السفينة ومن فيها . والدنان بالهملة : جمع دن بالفتح : هو راقود البحر الكبير .

(٢) البيت في ( مجاز القرآن لأبي عبيدة ، الورقة ١٩١ ب ) عند تفسير قوله تعالى : « كل ختار كفور » قال : الختر : الكبر والغدر ، قال عمرو بن معدى كرب : « وإنك لو رأيت . . . البيت » . وفي ( اللسان : ختر ) : الختر : شبيه بالقدر والحديمة . وقيل : هو الحديمة بعينها . وقيل : هو أسوأ الغدر وأقبحه . ختر يختر ، فهو ختر ، وختار : للمبالغة . والفعل من باب ضرب ونصر .



حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( كُلُّ خَتَّارٍ ) قال : غدار .  
حدثني يعقوب وابن وكيع ، قالوا : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله ( وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ) قال : غدار .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ( وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ) الختار : الغدار ، كل غدار بذمته ، كفور بربه .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ( وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ) قال : كل جحد كفور .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ) قال : الختار : الغدار ، كما تقول : غدرتني .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن مسعر ، قال : سمعت قتادة قال : الذي يغدر بعهده .  
قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : الغدار .  
ثنا : أبي قال ، عن الأعمش ، عن شمر بن عطية الكاهلي ، عن علي رضي الله عنه قال : المكر غدر ، والغدر كفر .

## القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : أيها المشركون من قريش ، اتقوا الله ، وخافوا أن يحل بكم سخطه في يوم لا يغني والد عن ولده ، ولا مولود هو موعن عن والده شيئا ، لأن الأمر بصير هنالك بيد من لا يغالب ، ولا تنفع عنده الشفاعة والوسائل ، إلا وسيلة من صالح الأعمال التي أسلفها في الدنيا . وقوله ( إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ) يقول : اعلموا أن مجيء هذا اليوم حق ، وذلك أن الله قد وعدا عباده ولا خلف لوعده ( فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ) يقول : فلا تخدعنكم زينة الحياة الدنيا ولذاتها ، فتميلوا إليها ، وتدعوا الاستعداد لما فيه خلاصكم من عقاب الله ذلك اليوم . وقوله ( وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ) يقول : ولا يخدعنكم بالله خادع . والغرور بفتح الغين : هو ما غر الإنسان من شيء ، كائنا ما كان ، شيطانا كان أو إنسانا ، أو دنيا ؛ وأما الغرور بضم الغين : فهو مصدر من قول القائل : غررته غرورا .  
وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ( وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ) قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( الغرور ) قال : الشيطان .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ( وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ) : ذاكم الشيطان .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد المرزوي ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( الغرور ) قال : الشيطان .

وكان بعضهم يتأول الغرور بما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن ابن لهيعة ، عن عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جببر ، قوله ( وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ) قال : أن تعمل بالمعصية ، وتتمنى المغفرة .

## القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : ( يا أيها الناس اتقوا ربكم ، واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ) هو آيتكم ، علم إتيانه إياكم عند ربكم ، لا يعلم أحد متى هو جائيكم ، لا يأتكم إلا بغثة ، فاتقوه أن يتفجأكم بغثة ، وأنتم على ضلالتكم لم تنبوا منها ، فتصيروا من عذاب الله وعقابه إلى ما لا قبيل لكم به ؛ وابتدأ تعالى ذكره الخبر عن علمه بمجيء الساعة . والمعنى : ما ذكرت لدلالة الكلام على المراد منه ، فقال ( إن الله عنده علم الساعة ) التي تقوم فيها القيامة ، لا يعلم ذلك أحد غيره ( وينزل الغيث ) من السماء ، لا يقدر على ذلك أحد غيره ( ويعلم ما في الأرحام ) : أرحام الإنان ( وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ) يقول : وما تعلم نفس حتى ماذا تعمل في غد ، ( وما تدرى نفس بأي أرض تموت ) يقول : وما تعلم نفس حتى بأي أرض تكون منيبتها ( إن الله عليم خبير ) يقول : إن الذي يعلم ذلك كله ، هو الله دون كل أحد سواه ، إنه ذو علم بكل شيء ، لا يخفى عليه شيء ، خبير بما هو كائن ، وما قد كان .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ( إن الله عنده علم الساعة ) : قال : « جاء رجل ( قال أبو جعفر ) : أحسبه أنا قال : إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن امرأتى حبلى ، فأخبرني



ماذا تلد؟ وبلادنا محلّ جدّ بته، فأخبرنى متى ينزل الغيث؟ وقد علمتُ متى ولدت، فأخبرنى متى أموت؟  
فأنزل الله ( إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنزِلُ الْغَيْثَ ) . . . إلى آخر السورة ، قال : فكان  
مجاهد يقول : هنّ مفاتيح الغيب التي قال الله ( وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ) . . .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ) . . .  
الآية ، أشياء من الغيب ، استأثر الله بهنّ ، فلم يُطَّلِعْ عليهنّ ملكاً مقرباً ، ولا نبياً مرسلًا ( إنَّ اللهَ عِنْدَهُ  
عِلْمُ السَّاعَةِ ) فلا يدري أحد من الناس متى تقوم الساعة؟ في أى سنة؟ أو فى أى شهر؟ أو ليل؟  
أو نهار؟ ( وَيُنزِلُ الْغَيْثَ ) فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث، ليلاً أو نهاراً ينزل؟ ( وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ) :  
فلا يعلم أحد ما في الأرحام ، أذكر أو أنثى ، أحمر أو أسود ، أو ما هو؟ ( وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا  
تَكْسِبُ غَدًا ) خير أم شرّ ولا تدري يا ابن آدم متى تموت؟ لعلك الميت غدا ، لعلك المصاب غدا؟  
( وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ) ليس أحد من الناس يدري أين مَضَّجَعُهُ من الأرض؟ في بحر  
أو برّ أو سهل أو جبل؟ تعالى وتبارك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، قال : قالت عائشة : من قال : إن  
أحدًا يعلم الغيب إلا الله فقد كذب ، وأعظم الفرية على الله ، قال الله ( لا يعلم من في السموات والأرض  
الغيب إلا الله ) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن يونس بن عبيد ، عن عمرو بن شعيب « أن رجلاً قال :  
يا رسول الله ، هل من العلم علم لم تؤتّه؟ قال : لَقَدْ أُوتِيَتْ عِلْمًا كَثِيرًا ، وَعِلْمًا حَسَنًا ، أَوْ كَمَا قَالَ  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ ( إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ  
السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ ) . . . إلى ( إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ) لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى . »  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمر  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسَةٌ ، ثُمَّ قَرَأَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ ( إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ  
عِلْمُ السَّاعَةِ ) . . . إلى آخرها . »

حدثني عليّ بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، أنه سمع ابن عمر  
يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ  
عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنزِلُ الْغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ) . . . الآية . ثم قال : لَا يَعْلَمُ  
مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَتَى يَنْزِلُ الْغَيْثُ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَتَى قِيَامُ  
السَّاعَةِ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا فِي الْأَرْحَامِ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ »  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، قال : قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ ، لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ

السَّاعَةِ ، وَيُنزَلُ الْغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَازَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن مسعر ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن سلمة ، عن ابن مسعود قال : « كلُّ شيء أوْتِيَه نبيكم صلى الله عليه وسلم ، إلا علم الغيب الخمس : ( إنَّ الله عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنزَلُ الْغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَازَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ) » ؟

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن ابن أبي خالد ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : من حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت ( وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَازَا تَكْسِبُ غَدًا ) .

قال : ثنا جرير وابن علية ، عن أبي خباب ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خمس لا يعلمهن إلا الله : ( إنَّ الله عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنزَلُ الْغَيْثَ ) ... الآية » .

حدثني أبو شريحيل ، قال : ثنا أبو النيمان ، قال : ثنا إسماعيل ، عن جعفر ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن سالم ، عن ابن مسعود ، قال : كلُّ شيء قد أوْتِي نبيكم ، غير مفاتيح الغيب الخمس ، ثم قرأ هذه الآية ( إنَّ الله عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ) . . . إلى آخرها . وقيل : بأى أرض تموت ؟ وفيه لغة أخرى : ( بأية أرض ) فن قال : ( بأى أرض ) اجترأ بتأنيث الأرض من أن يظهر في أى تأنيث آخر ، ومن قال ( بأية أرض ) فأنث : أى قال : قد تجزى بأى مما أضيف إليه ، فلا بد من التأنيث ، كقول القائل ، مررت بامرأة ، فيقال له : بأية ، ومررت برجل ، فيقال له بأى ؛ ويقال : أى امرأة جاءتك وجاءك ، وأية امرأة جاءتك .

آخر تفسير سورة لقمان

### تفسير سورة السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

الْم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَارَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) أَمْ يَقُولُونَ اقْتَرَنَهُ بَلْ هُوَ آخِزٌ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أْتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣)

قال أبو جعفر : قد مضى البيان عن تأويل قوله ( آلم ) بما فيه الكفاية .

وقوله ( تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَارَيْبَ فِيهِ ) يقول تعالى ذكره : تنزيل الكتاب الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، لاشك فيه ( مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) : يقول : من رب الثقلين : الجن ، والإنس .



كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (الْمَ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَارِيبَ فِيهِ) لاشك فيه. وإنما معنى الكلام: أن هذا القرآن الذي أنزل على محمد لاشك فيه أنه من عند الله، وليس بشعر ولا سجع كاهن، ولا هو مما تخترصه محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما كذب جل ثناؤه بذلك قول الذين (قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا، فَهِيَ تَمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) وقول الذين قالوا (إِنْ هَذَا إِلَّا فِكْ أِفْتَرَاهُ، وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ).

وقوله (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) يقول تعالى ذكره: يقول المشركون بالله: اختلق هذا الكتاب محمد من قبل نفسه، وتكذبه، و«أم» هذه تقرير، وقد بينا في غير موضع من كتابنا، أن العرب إذا اعترضت بالاستفهام في أضعاف كلام قد تقدم بعضه، أنه يستفهم بأم. وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك: ويقولون. وقال: أم بمعنى الواو، بمعنى بل في مثل هذا الموضع، ثم أكد بهم تعالى ذكره، فقال: ما هو كما تزعمون وتقولون، من أن محمدا افتراه، بل هو الحق والصدق من عند ربك يا محمد، أنزله إليك، لتنذر قوما بأس الله وسطوته، أن يحل بهم على كفرهم به (مَا أَنَاهُم مِّنْ نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ) يقول: لم يأت هؤلاء القوم الذين أرسلك ربك يا محمد إليهم، وهم قومه من قريش، نذير ينذرهم بأس الله على كفرهم قبلك. وقوله (لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) يقول: ليتبينوا سبيل الحق، فيعرفوه ويؤمنوا به. وبمثل الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَنَاهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) قال: كانوا أمة أمية، لم يأتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم.

القول في تأويل قوله تعالى

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ، مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ، أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ؟ (٤)

يقول تعالى ذكره: المعبود الذي لانصلح العبادة إلا له أيها الناس (الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) من خلق (فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) ثم استوى على عرشه في اليوم السابع، بعد خلقه السموات والأرض وما بينهما.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) في اليوم السابع، يقول: ما لكم أيها الناس إله إلا من فعل هذا الفعل، وخلق هذا الخلق العجيب في ستة أيام.

وقوله (مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ) يقول: ما لكم أيها الناس دونه ولي يلي أمركم، وينصركم منه إن أراد بكم ضرا، ولا شفيع يشفع لكم عنده إن هو عاقبكم على معصيتكم إياه، يقول: فيأياه

فاتخذوا وليا ، وبطاعته فاستعينوا على أموركم ، فإنه يمنعكم إذا أراد منعكم ممن أرادكم بسوء ، ولا يقدر أحد على دفعه عما أراد بكم هو ، لأنه لا يقهره قاهر ، ولا يغلبه غالب ( أفلا تَتَذَكَّرُونَ ) : يقول تعالى ذكره : أفلا تعتبرون وتتفكرون أيها الناس ، فتعلموا أنه ليس لكم دونه ولي ولا شفيع ، فتفردوا له الألوهة ، وتخلصوا له العبادة ، وتخلعوا ما دونه من الأنداد والآلهة .

#### القول في تأويل قوله تعالى

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ

مِمَّا تَعُدُّونَ (٦)

يقول تعالى ذكره : الله هو الذي يدبر الأمر من أمر خلقه ، من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إليه . واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ) فقال بعضهم : معناه : أن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض ، ويصعد من الأرض إلى السماء في يوم واحد ، وقدر ذلك ألف سنة مما تعدون من أيام الدنيا ، لأن ما بين الأرض إلى السماء خمس مئة عام ، وما بين السماء إلى الأرض مثل ذلك ، فذلك ألف سنة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو بن معروف ، عن ليث ، عن مجاهد ( في يومٍ كان مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ ) يعني بذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض ، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد ، وذلك مقدار ألف سنة ، لأن ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمس مئة عام . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ ) من أيامكم ( كان مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ) يقول : مقدار مسيره في ذلك اليوم ألف سنة مما تعدون من أيامكم من أيام الدنيا ، خمس مئة سنة نزوله ، وخمس مئة صعوده فذلك ألف سنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك ( ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كان مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ) قال : تعرج الملائكة إلى السماء ، ثم تنزل في يوم من أيامكم هذه ، وهو مسيرة ألف سنة .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن سيبك ، عن عكرمة ( أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ) قال : من أيام الدنيا . حدثنا هناد بن السري ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبي الخارث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله ( يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ ) من أيامكم هذه ، مسيرة ما بين السماء إلى الأرض خمس مئة عام .



وذكر عن عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : تنحدر الأمور وتضعّد من السماء إلى الأرض في يوم واحد ، مقداره ألف سنة ، خمس مئة حتى ينزل ، وخمس مئة حتى يعرج .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إليه في يوم من الأيام الستة ، التي خلق الله فيهنّ الخلق ، كان مقدار ذلك اليوم ألف سنة مما تعدّون من أيامكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن سماك ، عن ابن عباس ( ألف سنّةٍ ممّا تعدّون ) قال : ذلك مقدار المسير . قوله ( كألف سنة مما تعدّون ) ، قال : خلق السموات والأرض في ستة أيام ، وكلّ يوم من هذه كألف سنة مما تعدّون أنتم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( في يومٍ كان مقداره ألف سنّةٍ ممّا تعدّون ) قال : الستة الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله ( في يومٍ كان مقداره ألف سنّةٍ ممّا تعدّون ) : يعنى هذا اليوم من الأيام الستة التي خلق الله فيهنّ السموات والأرض وما بينهما .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يدبر الأمر من السماء إلى الأرض بالملائكة ، ثم تعرج إليه الملائكة ، في يوم كان مقداره ألف سنة من أيام الدنيا :

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله ( ثمّ يعرجُ إليه في يومٍ كان مقداره ألف سنّةٍ ) قال : هذا في الدنيا ، تعرج الملائكة إليه في يوم كان مقداره ألف سنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة ( في يومٍ كان مقداره ألف سنّةٍ ) قال : ما بين السماء والأرض مسيرة ألف سنة مما تعدّون من أيام الآخرة .  
حدثنا ابن المنثري ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة أنه قال في هذه الآية ( يعرجُ إليه في يومٍ كان مقداره ألف سنّةٍ ممّا تعدّون ) قال : ما بين السماء والأرض مسيرة ألف سنة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يدبر الأمر من السماء إلى الأرض في يوم كان مقدار ذلك التدبير ألف سنة مما تعدّون من أيام الدنيا ، ثم يعرج إليه ذلك التدبير الذي دبره .

ذكر من قال ذلك

ذكر عن حجاج ، عن ابن جرير ، عن مجاهد ، أنه قال : يقضى أمر كل شيء ألف سنة إلى الملائكة ،

(١) الذي في الدر المنثور : من أيام الدنيا ؛ وهو واضح اهـ .

ثم كذلك حتى تَمْضَى ألف سنة ، ثم يقضى أمر كل شيء ألفاً ، ثم كذلك أبداً ، قال : يوم كان مقداره ، قال : اليوم أن يقال لما يقضى إلى الملائكة ألف سنة ، كن فيكون ، ولكن سماه يوماً ، سماه كما بيننا كل ذلك عن مجاهد ، قال : وقوله ( ( إِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ) ) قال : هو هو سواء . وقال آخرون : بل معنى ذلك : يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إلى الله في يوم كان مقداره ألف سنة ، مقدار العروج ألف سنة مما تعدون .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( ( ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ) ) قال بعض أهل العلم : مقدار ما بين الأرض حين يُعْرَجُ إليه ، إلى أن يبلغ عروجه ، ألف سنة ، هذا مقدار ذلك المعراج في ذلك اليوم حين يعرج فيه . وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال : معناه : يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إليه في يوم كان مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه ، ونزوله إلى الأرض ، ألف سنة مما تعدون من أيامكم ، خمس مئة في النزول ، وخمس مئة في الصعود ، لأن ذلك أظهر معانيه ، وأشبهها بظاهر التنزيل .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨)

يقول تعالى ذكره : هذا الذي يفعل ما وصفت لكم في هذه الآيات ( هو عالم الغيب ) يعني عالم ما يغيب عن أبصاركم أيها الناس ، فلا تبصرونه ، مما تكنه الصدور ، وتخفيه النفوس ، وما لم يكن بعد مما هو كائن . ( والشهادة ) : يعني ما شاهدته الأبصار فأبصرته وعاينته وما هو موجود ( العزيز ) يقول : الشديد في انتقامه ممن كفر به ، وأشرك معه غيره ، وكذب رسله ( الرحيم ) بمن تاب من ضلالتهم ، ورجع إلى الإيمان به وبرسوله ، والعمل بطاعته ، أن يعذبه بعد التوبة .

وقوله ( الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض قراء مكة والمدينة والبصرة ( أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ) بسكون اللام . وقرأه بعض المدنيين وعامة الكوفيين : ( أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ) . بفتح اللام .

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إنها قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، وصحیحتا المعنى ، وذلك أن الله أحكم خلقه ، وأحكم كل شيء خلقه ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب . واختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : أتقن كل شيء وأحكمه .

ذكر من قال ذلك

حدثني العباس بن أبي طالب ، قال : ثنا الحسين بن إبراهيم إشكاب<sup>١</sup> ، قال : ثنا شريك ، عن خصيف

(١) في التاج (شكيب) : إشكاب ؛ لقب الحسين بن إبراهيم بن الحسن بن زعلان العامري ، شيخ أبي بكر بن أبي الدنيا .



عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله ( الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ) قال : أما إن است القرد ليست بحسنة ، ولكن أحكم خلقها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو النضر ، قال : ثنا أبو سعيد المؤدب ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرؤها ( الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ) قال : أما إن است القرد ليست بحسنة ، ولكنه أحكمها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ) قال أتقن كل شىء خلقه . حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَتَقَّنَ كُلَّ شَيْءٍ ) : أحصى كل شىء .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : الذى حسن خلق كل شىء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ) حسن على نحو ما خلق .

وذكر عن الحجاج ، عن ابن جريج ، عن الأعرج ، عن مجاهد قال : هو مثل أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ؛ قال : فلم يجعل خلق البهائم فى خلق الناس ، ولا خلق الناس فى خلق البهائم ، ولكن خلق كل شىء فقدّره تقديرا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أعلم كل شىء خلقه ، كأنهم وجهوا تأويل الكلام إلى أنه أظم خلقه ما يحتاجون إليه ، وأن قوله ( أَحْسَنَ ) إنما هو من قول القائل فلان يحسن كذا إذا كان يعلمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد ( أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ) قال : أعطى كل شىء خلقه ، قال : الإنسان إلى الإنسان ، والفرس للفرس ، والحمار للحمار . وعلى هذا القول ، الخلق والكل منصوبان بوقوع أحسن عليهما .

وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب على قراءة من قرأه ( الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ) : بفتح اللام قول من قال : معناه أحكم وأتقن ، لأنه لا معنى لذلك إذ قرئ كذلك إلا أحد وجهين : إما هذا الذى قلنا من معنى الإحكام والإتقان ، أو معنى التحسين الذى هو فى معنى الجمال والحسن ؛ فلما كان فى خلقه ما لا يشك فى قبّحه وسماحته ، علم أنه لم يُعْنِ به أنه أحسن كل ما خلق ، ولكن معناه أنه أحكمه وأتقن صنعته . وأما على القراءة الأخرى التى هى بتسكين اللام ، فإن أولى تأويلاته به قول من قال : معنى ذلك أعلم أولهم كل شىء خلقه ، هو أحسنهم ، كما قال ( الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى ) لأن ذلك أظهر معانيه . وأما الذى وجه تأويل ذلك إلى أنه بمعنى : الذى أحسن خلق كل شىء ، فإنه جعل الخلق نصبا ،

بمعنى التفسير ، كأنه قال : الذي أحسن كل شيء خلقاً منه . وقد كان بعضهم يقول : هو من المقدم الذي معناه التأخير ، ويوجهه إلى أنه نظير قول الشاعر :

وَوَضَعْنِي اللَّيْلَ حِضْنِيهِ أَنْبِي  
لِتِلْكَ إِذَا هَابَ الْهِدَانُ فَعُولُ<sup>١</sup>

يعنى : ووضعتني الليل إليك ، ونظير قول الآخر :

كَأَنَّ هِنْدًا ثَنَايَاهَا وَبَهْجَتَهَا  
يَوْمَ التَّقْيِينَا عَلَى أَدْحَالٍ دَبَّابٍ<sup>٢</sup>

أى كأن ثنايا هند وبهجتها .

وقوله (وَبَدَأَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ) يقول تعالى ذكره : وبدأ خلق آدم من طين ( ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ ) يعنى ذريته من سلالة ، يقول : من الماء الذي انسل فخرج منه . وإنما يعنى من إراقة من مائه ، كما قال الشاعر :

فَجَاءَتْ بِهِ عَضْبَ الْأَدِيمِ غَضْنَفَرًا  
سُلَالَةَ فَرَجٍ كَانَ غَيْرَ حَصِينٍ<sup>٣</sup>

وقوله ( مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ) يقول : من نطفة ضعيفة رقيقة .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَبَدَأَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ) وهو خلق آدم ، ثم جعل نسله : أى ذريته من سلالة من ماء مهين ، والسلالة : هى الماء المهين الضعيف . حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن أبي يحيى الأعرج ، عن ابن عباس ، فى قوله ( مِنْ سُلَالَةٍ ) قال : صفو الماء . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ) قال : ضعيف نطفة الرجل ، ومهين : فعيل من قول القائل : مهين فلان ، وذلك إذا زلّ وضعف .

(١) البيت (فى مجاز القرآن لأبي عبيدة الورقة ١٩٢ - ١٠) قال عند تفسير قوله تعالى «الذى أحسن كل شيء خلقه» : مجازه : أحسن خلق كل شيء : والعرب تفعل هذا ، يقدمون ويؤخرون . قال : «وظعن إليك . . . البيت» معناه : ووضعتني الليل إليك . وفى (اللسان : حزن) : وحضنا المفازة شقاها ، والفلاة : ناحيتها . وحضنا الليل : جانبا . وحضن الليل ما يطيف به ، وحضنا الشيء : جانبا . والهدان بوزن كتاب : الأحق الجاقى الوخم الثقيل فى الحرب . وفى حديث عثمان : جانبا هدانا . (٢) البيت فى مجاز القرآن لأبي عبيدة ، (الورقة ١٩٢ - ١٠) عند تفسير قوله تعالى «أحسن كل شيء خلقه» . بعد الشاهد السابق : «وظعن إليك . . . البيت» . ثم قال : كأن ثنايا هند وبهجتها . وهو أيضا فى (اللسان : دب) قال : قال الأزهرى : وبالخلصاء رمل يقال له الدباب ، وبجذاته دحلان كثير (بضم الدال) ومنه قول الشاعر :

كَأَنَّ هِنْدًا ثَنَايَاهَا وَبَهْجَتَهَا  
مَوْلِيَّةٌ أَنْفُ جَادِ الرَّبِيعِ بِهَا  
عَلَى أَبَارِقٍ قَدَّمَ هَمَّتْ بِأَعْتَابِ  
لَمَّا التَّقْيِينَا لَدَى أَدْحَالٍ دَبَّابِ

والأدحال والدحلان : جمادحل ، بالفتح ، وهو ثقب ضيق فه ، ثم يتسع أسفله ، حتى يمضى فيه .

(٣) البيت : فى مجاز القرآن لأبي عبيدة الورقة ١٩٢ - ب عند قوله تعالى : «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين» فى سورة المؤمنین (الجزء ١٨ : ٨) فراجعهمه .



القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ، قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٩)

يقول تعالى ذكره : ثم سوى الإنسان الذى بدأ خلقه من طين خلقاً سوياً معتدلاً ، (ونفخ فيه من روحه) فصار حياً ناطقاً (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) ، قليلاً ما تشكرون (يقول : وأنعم عليكم أيها الناس ربكم بأن أعطاكم السمع تسمعون به الأصوات ، والأبصار تبصرون بها الأشخاص والأفئدة ، تعقلون بها الخير من سوء ، لتشكروه على ما وهب لكم من ذلك . وقوله (قليلاً ما تشكرون) يقول : وأنتم تشكرون قليلاً من الشكر ربكم على ما أنعم عليكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا : أءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ؟ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ (١٠)

يقول تعالى ذكره : وقال المشركون بالله ، المكذبون بالبعث (أئذا ضللنا فى الأرض) : أى صارت لحومنا وعظامنا تراباً فى الأرض ، وفيها لغتان : ضللنا ، وضللنا ، بفتح اللام وكسرهما ، والقراءة على فتحها ، وهى الجوداء ، وبها نقرأ . وذكر عن الحسن أنه كان يقرأ (أئذا ضللنا) بالصاد ، بمعنى : أتقننا ، من قولهم : صل اللحم وأصل : إذا أنتن . وإنما عني هؤلاء المشركون بقولهم : (أئذا ضللنا فى الأرض) أى إذا هلكت أجسادنا فى الأرض ، لأن كل شئ غلب عليه غيره حتى خفى فيما غلب ، فإنه قد ضل فيه ، تقول العرب : قد ضل الماء فى اللبن : إذا غلب عليه حتى لا يتبين فيه ؛ ومنه قول الأخطل لجرير :

كُنْتُ الْقَدَى فِي مَوْجِ أَكْدَرٍ مُزْبِدٍ قَدَفَ الْأَيْ بِهٍ فَضَلَّ ضَلَالًا

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

(١) البيت للأخطل (ديوانه طبعه بيروت ص ٥٠) . والقدى : ما يقع فى العين من تراب أو تبن ونحوه ، مما يطيره الريح . والأكدر : الكدر ، غير الصافى ، لأنه أتى من بعيد ، وهو شديد الجرى ، يخالطه التراب والغشاء ، ولذلك قال : «مزبد» ، وهو الذى علاه الزبد لتحركه واضطرابه . والأقى : السيل يأتى من مكان بعيد ، أو من بلد إلى بلد . وقبل هذا البيت بيت آخر مرتبط به فى المعنى ، قال الأخطل :

وَإِذَا سَمَا لِلْمَجْدِ فَرَعًا وَائِيلَ وَاسْتَجْمَعَ الْوَادِي عَلَيْكَ فَسَلَا

فرعاً وائل هما بكر وتغلب . يريد أنه إذا اجتمع فرعاً وائل فى مكان يوم فخر مع القبائل ، وصاروا أشبه بالسيل فى كثرتهم ، لم تكن أنت يا جرير بالإضافة إليهم إلا كقذاة غرقت فى ذلك السيل الكدر ، فضلت فيه وغابت ، ولم يوقف لها على أثر . ولذلك قال شارح الديوان : والمراد من البيت أن أبا جرير حقير خسيس ، بالقياس إلى من ذكرهم . والبيت شاهد على أن الضلال : غياب الشئ فى الشئ ، حتى لا يحس له أثر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد ( أَيْدَا ضَلَكْنَا فِي الْأَرْضِ ) يقول : أئذا هلكتنا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَيْدَا ضَلَكْنَا فِي الْأَرْضِ ) هلكتنا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد : قال : سمعت الضحاک يقول ، في قوله ( أَيْدَا ضَلَكْنَا فِي الْأَرْضِ ) يقول : أئذا كنا عظاما ورفاتا أنبعث خلقا جديدا ؟ يكفرون بالبعث .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، ( وَقَالُوا أَيْدَا ضَلَكْنَا فِي الْأَرْضِ أَيْنَا لَيْقِي خَلْقِي جَدِيدِ ) قال : قالوا : أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ؟

وقوله ( بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ) يقول تعالى ذكره : ما بهؤلاء المشركين جحود قدرة الله على ما يشاء ، بل هم بلقاء ربهم كافرون ، حذرا لعقابه ، وخوف مجازاته إياهم على معصيتهم إياه ، فهم من أجل ذلك يجحدون لقاء ربهم في المعاد .

القول في تأويل قوله تعالى

\* قُلْ : يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ، ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١)

يقول تعالى ذكره : قل يا محمد هؤلاء المشركين بالله ( يتوفاكم ملك الموت ) ، يقول : يستوفي عددكم بقبض أرواحكم ملك الموت الذي وكل بقبض أرواحكم ؛ ومنه قول الراجز :

إِنَّ بَنِي الْأَدْرَمِ لَيْسُوا مِنْ أَحَدٍ وَلَا تَوَفَّاهُمْ قُرَيْشٌ فِي الْعَدَدِ\*

( ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ) يقول : من بعد قبض ملك الموت أرواحكم ، إلى ربكم يوم القيامة تردون أحياء كهيئتكم قبل وفاتكم ، فيجازى المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء بإساءته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ) قال : ملك الموت يتوفاكم ، ومعه أعوان من الملائكة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) البيتان لمنظور الوبري (اللسان : وفي) قال : وتوفيت عدد القوم إذا عدتهم كلهم . وأنشد أبو عبيدة لمنظور الوبري (يسكون الباء) :

أى لا تجعلهم قريش تمام عددهم ، ولا تستوفي بهم عددهم . وفي رواية اللسان : الأدردي في موضع الأدرم من رواية أبي عبيدة . ولم يصرح أبو عبيدة باسم الشاعر منظور الوبري ، ولعل صاحب اللسان رأى نسخة من مجاز القرآن فيها اسم الشاعر . وأنشد البيت صاحب التاج في (وفي) قال : وتوفيت عدد القوم : إذا عدتهم لهم ، وأنشد أبو عبيدة لمنظور العنبري : \* إن بني الأدردي ليسوا من أحد \* والأدردي فيه بالبدال آخر الحروف ، لا بالميم ، كما في نسخة مجاز القرآن التي بأيدينا . وفي (اللسان : وفي) : أورد ابن منظور البيت كرواية المؤلف ، ونسبه إلى منظور الوبري . اهـ .



قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله ( يَتَوَقَّأَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ ) قال : حُوت له الأرض ، فجعلت له مثل الطَّسُّت ، يتناول منها حيث يشاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، بنحوه .

### القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ، فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا ، إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : ( لَوْ تَرَى ) يا محمد هؤلاء القائلين ( أَيْدَا ضَلَكْنَا فِي الْأَرْضِ أَثِينًا لَسِنِي خَلَقِي جَدِيدٍ ) إذ هم ( نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ) ، حياء من ربهم ، للذى سلف منهم من معاصيه فى الدنيا ، يقولون : يا ( رَبَّنَا أَبْصَرْنَا ) ما كنا نكذب به من عقابك أهل معاصيك ، ( وَسَمِعْنَا ) منك تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به فى الدنيا ، ( فَارْجِعْنَا ) يقول : فارددنا إلى الدنيا ( نَعْمَلْ ) ، فيها بطاعتك ، وذلك العمل الصالح ، ( إِنَّا مُوقِنُونَ ) : يقول : إنا قد أيقنا الآن ما كنا به فى الدنيا جهالا من وحدانيتك ، وأنه لا يصلح أن يُعبد سواك ، ولا ينبغي أن يكون رب سواك ، وأنت تحي وتميت ، وتبعث من فى القبور بعد الممات والنفاء ، وتفعل ما تشاء .

وبنحو ما قلنا فى قوله : ( نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ ) ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قوله ( وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ) قال : قد حزنوا واستحيوا .

### القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى ، وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣)

يقول تعالى ذكره : ( وَلَوْ شِئْنَا ) يا محمد ( لَآتَيْنَا ) هؤلاء المشركين بالله من قومك وغيرهم من أهل الكفر بالله ( هُدًى ) ، يعنى : رشدها وتوفيقها للإيمان بالله ( وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ) يقول : وجب العذاب منى لهم ، وقوله ( لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ) يعنى من أهل المعاصى والكفر بالله منهم .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى )

قال : لو شاء الله لهدى الناس جميعا ، لو شاء الله لأنزل عليهم من السماء آية ، فظلت أعناقهم لها خاضعين ،  
( وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ) حق القول عليهم .

القول في تأويل قوله تعالى

فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ، إِنَّا نَسِينَاكُمْ ، وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤)

يقول تعالى ذكره : يقال لهؤلاء المشركين بالله ، إذا هم دخلوا النار : ذوقوا عذاب الله بما نسيتم لقاء يومكم هذا في الدنيا ، ( إِنَّا نَسِينَاكُمْ ) يقول : إنا تركناكم اليوم في النار . وقوله ( وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ ) يقول : يقال لهم أيضا : ذوقوا عذابا يُتخلَّدون فيه إلى غير نهاية ( بِمَا كُنتُمْ ) في الدنيا ( تَعْمَلُونَ ) من معاصي الله . وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ ) قال : نسوا من كل خير ، وأما الشر فلم ينسوا منه .  
حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله ( إِنَّا نَسِينَاكُمْ ) يقول : تركناكم .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥)

يقول تعالى ذكره : ما يصدق بحججنا وآيات كتابنا إلا القوم الذين إذا ذكروا بها ، ووعظوا ، ( خَرُّوا ) لله ( سُجَّدًا ) لوجوههم ، تذللوا له ، واستكانة لعظمته ، وإقرارا له بالعبودية ( وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ) يقول : وسبحوا الله في سجودهم بحمده ، فيبرئونه مما يصفه أهل الكفر به ، ويضيفون إليه من الصاحبة والأولاد والشركاء والأنداد ( وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ) يقول : يفعلون ذلك ، وهم لا يستكبرون عن السجود له والتسبيح ، لا يستنكفون عن التذلل له والاستكانة .

وقيل : إن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن قوما من المنافقين كانوا يخرجون من المسجد إذا أقيمت الصلاة ، ذكر ذلك عن حمص ، عن ابن جرير .

القول في تأويل قوله تعالى

تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ، يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦)

يقول تعالى ذكره : تتجافى جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله ، الذين وصفت صفتهم ، وترتفع من مضاجعهم التي يضطجعون لمناهم ، ولا ينامون ( يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ) في عفوه عنهم ،



وتفضله عليهم برحمته ومغفرته ( وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُشْفِقُونَ ) فى سبيل الله ، ويؤدون منه حقوق الله التى أوجبها عليهم فيه . ( وتتجافى ) : تتفاعل من الجفاء ؛ والجفاء : النسب ، كما قال الراجز :

وَصَاحِيي ذَاتُ هِيَابٍ دَمَشَقُ وَأَبْنُ مِلَاطٍ مُتَجَافٍ أَرْفَقُ<sup>١</sup>

يعنى : أن كرمها سجية عن ابن ملاط ، وإنما وصفهم تعالى ذكره بتجافى جنوبهم عن المضاجع ، لتركهم الاضطجاع للنوم ، شغلا بالصلاة .

واختلف أهل التأويل فى الصلاة التى وصفهم جل ثناؤه ، أن جنوبهم تتجافى لها عن المضطجع ، فقال بعضهم : هى الصلاة بين المغرب والعشاء ، وقال : نزلت هذه الآية فى قوم كانوا يصلون فى ذلك الوقت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن أبي عمرو بن عروة ، قال : قال قتادة ، قال أنس ، فى قوله ( كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ) قال : كانوا يتنفلون فيما بين المغرب والعشاء ، وكذلك تتجافى جنوبهم .

قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، فى قوله ( تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ) قال : يصلون ما بين هاتين الصلاتين .

حدثنى علي بن سعيد الكيندى ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ( تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ) قال : ما بين المغرب والعشاء .

حدثنى محمد بن خلف ، قال : ثنا يزيد بن حبان ، قال : ثنا الحارث بن وجيه الراسبي ، قال : ثنا مالك بن دينار ، عن أنس بن مالك ، أن هذه الآية نزلت فى رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء ( تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن سعيد بن أبي عمرو ، عن قتادة ، عن أنس : ( تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ) قال : كانوا يتطوعون فيما بين المغرب والعشاء .

(١) البيتان للزفيان ( انظرهما فى الملحق بديوان المعراج ١٠٠ ) . والهاب : النشاط والإسراع فى السير . والمدشق : الناقة الخفيفة السريعة ، وأنشد أبو عبيدة قول الزفيان :

وَمَنْهَلٍ طَامَ عَلَيْهِ الْعَلْفَقُ      بِنِيرٍ أَوْ يُسْدِي بِهِ الْخَوْرُنُقُ  
وَرَدْتُهُ وَاللَّيْلُ دَاجٌ أَبْلَقُ      وَصَاحِيي ذَاتُ هِيَابٍ دَمَشَقُ  
كَأَنهَا بَعْدَ الْكَلَالِ زَوْرُقُ

ولم يذكر البيت الثانى ، وهو محل الشاهد عند المؤلف . وفى ( اللسان : ملط ) قال النضر : الملاطان : ما عن يمين الكركرة وشمالها . وابنا ملاطى البعير : هما العصدان ، وقيل كتفاء ، وابنا ملاط : العصدان والكتفان . الواحد : ابن ملاط . وقال ابن السكيت : ابنا ملاط : العصدان . والمتجافى : البائن عن جنبها ، وذلك أقوى لسيرها . والأرفق : المنفلت المرفق عن الجنب ، وهو أرفق ، وناقاة رفقاء . اه . وقال الأزهرى : الذى حفظه هذا المعنى : ناقاة دقفا ، وجمل أدفق ، إذا انفلق مرفقه عن جنبه . وفى ( اللسان : دق ) ورجل أدفق : إذا انحى صلبه من كبر أو غم . وأنشد المفضل : وابن ملاط متحاف أدفق • اه وأنشد أبو عبيدة البيتين فى مجاز القرآن ( الورقة ١٩٣ - ١ ) ولم ينسبه . ثم قال : ادفق ( بالبدال ) أى منح عن كركرتها . اه .

قال : ثنا أ ، عن سفيان ، عن رجل ، عن أنس ( تَسَجَّأَتِي جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ ) قال ما بين المغرب والعشاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( تَسَجَّأَتِي جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ ) قال : كانوا يتنفلون ما بين صلاة المغرب وصلاة العشاء .  
وقال آخرون : عُنِيَ بِهَا صَلَاةُ الْمَغْرِبِ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن طلحة ، عن عطاء ( تَسَجَّأَتِي جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ ) قال : عن العتمة .  
وذكر عن حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال يحيى بن صبيح ، عن أبي سلمة ، قال : العتمة .  
وقال آخرون : لانتظار صلاة العتمة .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الله بن أبي زياد ، قال : ثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسى ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، عن أنس بن مالك ، أن هذه الآية ( تَسَجَّأَتِي جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ ) نزلت في انتظار الصلاة التي تُدْعَى الْعَتَمَةُ .  
وقال آخرون : عُنِيَ بِهَا قِيَامُ اللَّيْلِ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ( تَسَجَّأَتِي جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ ) قال : قيام الليل .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( تَسَجَّأَتِي جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ ) قال : هؤلاء المهجدون لصلاة الليل .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( تَسَجَّأَتِي جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ ) يقومون يصلون من الليل .

وقال آخرون : إنما هذه صفة قوم لا تخلو ألسنتهم من ذكر الله .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( تَسَجَّأَتِي جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ ) ، يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ) وهم قوم لا يزالون يذكرون الله ، إما في صلاة ، وإما قياما ، وإما قعودا ، وإما إذا استيقظوا من منامهم ، هم قوم لا يزالون يذكرون الله .

(١) لعله صلاة العتمة ، يعني العشاء ، كما تفيد الآثار بعد .



حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( تَتَجَاوَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ) . . . إلى آخر الآية ، يقول : تتجافى لذكر الله ، كلما استيقظوا ذكروا الله ، إما في الصلاة ، وإما في قيام ، أو في قعود ، أو على جنوبهم ، فهم لا يزالون يذكرون الله .

والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إن الله وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تنبو عن مضاجعهم ، شغلا منهم بدعاء ربهم ، وعبادته خوفا وطمعا ، وذلك نُبُو جنوبهم عن المضاجع ليلا ، لأن المعروف من وصف الواصف رجلا بأن جنبه نبا عن مضجعه ، إنما هو وصف منه له بأنه جفا عن النوم في وقت منام الناس المعروف ، وذلك الليل دون النهار ، وكذلك تصف العرب الرجل إذا وصفته بذلك ، يدل على ذلك قول عبد الله بن رَوَاحَةَ الأنصارى رضى الله عنه ، في صفة نبي الله صلى الله عليه وسلم :

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَشَقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ<sup>١</sup>

فإذ كان ذلك كذلك ، وكان الله تعالى ذكره لم يخص في وصفه هؤلاء القوم بالذى وصفهم به ، من جفاء جنوبهم عن مضاجعهم ، من أحوال الليل وأوقاته ، حالا ووقتا دون حال ووقت ، كان واجبا أن يكون ذلك على كل آناء الليل وأوقاته . وإذا كان كذلك كان من صلى ما بين المغرب والعشاء ، أو انتظر العشاء الآخرة ، أو قام الليل أو بعضه ، أو ذكر الله في ساعات الليل ، أو صلى العتمة ، ممن دخل في ظاهر قوله ( تَتَجَاوَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ) لأن جنبه قد جفا عن مضجعه ، في الحال التي قام فيها للصلاة ، قائما صلى أو ذكر الله ، أو قاعدا بعد أن لا يكون مضطجعا ، وهو على القيام أو القعود قادر ، غير أن الأمر وإن كان كذلك ، فإن توجيه الكلام إلى أنه معنى به قيام الليل : أعجب إلى ، لأن ذلك أظهر معانيه ، والأغلب على ظاهر الكلام ، وبه جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذلك ما حدثنا به ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت عروة بن الزبير يحدث عن معاذ بن جبل ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُكْفِّرُ الْخَطِيئَةَ ، وَقِيَامُ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ » وتلا هذه الآية ( تَتَجَاوَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ، يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُسْفِقُونَ ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن حماد ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سليمان ، عن حبيب بن أبي ثابت والحكم ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ بن جبل ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحوه . حدثني محمد بن خلكف العسقلاني ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا منصور بن المعتمر ، عن الحكم بن عتيبة ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ بن جبل ، قال : قال لي رسول الله صلى الله

(١) البيت لعبد الله بن رَوَاحَةَ الأنصارى أحد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم . ويجافى : يباعد . واستشقلت : ثقلت . والمضاجع : جمع مضجع ، وهو الفراش ينام فيه أو موضعه . والبيت شاهد ثان على التجافى في قوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » : معناه : تبعده قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( الورقة ١٩٥ - ب ) أي ترتفع عنها وتتحنى ، لأنهم يصلون بالليل . ٨١ .

عليه وسلم : « إن شئت أنأتك بأبواب الحسير : الصومُ جنةٌ ، والصدقةُ تكفّرُ الخطيئةَ ، وقيامُ  
الرجلِ في جوفِ الليلِ ؛ ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ( تتجأ في جنوؤهم عن المضاجع ) . »  
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يزيد بن حيان ، عن حماد بن سلمة ، قال : ثنا عاصم بن أبي النجود ، عن  
شهر بن حوشب ، عن معاذ بن جبل ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في قوله ( تتجأ في جنوؤهم  
عن المضاجع ) قال : قيام العبد من الليل .

حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا زياد بن خيثمة ، عن أبي يحيى بائع  
القت ، عن مجاهد ، قال : « ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل ، ففاضت عيناه ، حتى تحادرت  
دموعه ، فقال ( تتجأ في جنوؤهم عن المضاجع ) . »  
وأما قوله ( يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ) . . الآية ، فإن بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومماً  
رزقناهم ينفقون ) قال : خوفاً من عذاب الله ، وطمعاً في رحمة الله ، ومما رزقناهم ينفقون في طاعة  
الله ، وفي سبيله .

## القول في تأويل قوله تعالى

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)

يقول تعالى ذكره : فلا تعلم نفسٌ ذى نفسٍ ما أخفى الله لهؤلاء الذين وصف جل ثناؤه صفتهم  
في هاتين الآيتين ، مما تقرّ به أعينهم في جنانه يوم القيامة ( جزاءً بما كانوا يعملون ) يقول : ثواباً لهم  
على أعمالهم التي كانوا في الدنيا يعملون .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ٢ ، قال : قال  
عبد الله : « إن في التوراة مكتوباً : لقد أعدّ الله للذين تتجأ في جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ، ولم يحظر على  
قلب بشر ، ولم تسمع أذن ، وما لم يسمعه ملك مقرب . قال : ونحن نقرؤها ( فلا تعلم نفسٌ ما أخفى  
لهم من قُرَّةِ أعْيُنٍ ) . »

حدثنا خلاد ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا إسرائيل ، قال : أخبرنا أبو إسحاق ، عن  
عبيدة بن ربيعة ، عن ابن مسعود ، قال : « مكتوب في التوراة : على الله للذين تتجأ في جنوبهم عن المضاجع

(١) أنظر تفسير المؤلف للآية في صدر الكلام عليها ص ٩٩ .

(٢) عبيدة بن ربيعة بضم الدين . وقيل هو عبيد بفتحها وبلا هاء . وهو الذي يروي عنه أبو إسحاق كما في الخلاصة . وفي الأصل

أبي عبيدة . ولعل « أبي » زيادة من الناسخ .



ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فى القرآن ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخِيَتْ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله قال : خبي ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . قال سفيان : فيما علمت : على غير وجه الشك .

حدثنا محمد بن المنثى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق قال : سمعت أبا عبيدة ، قال : قال عبد الله ، قال : يعنى الله : « أعددت لعبادى الصالحين ما لم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب ناظر ( لَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخِيَتْ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن صلت ، عن قيس بن الربيع ، عن أبي إسحاق ، عن عبيدة بن ربيعة الخارثى ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : « إن فى التوراة : للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع من الكرامة ، ما لم تر عين ، ولم يخطر على قلب بشر ، ولم تسمع أذن ، وإنه لى القرآن ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخِيَتْ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ) . »

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعى ، عن ابن أبيجر ، قال : سمعت الشعبي يقول : سمعت المغيرة ابن شعبة يقول على المنبر : « إن موسى صلى الله عليه وسلم سأل عن أبخس أهل الجنة فيها حظا ، فقيل له : رجل يؤتى به وقد دخل أهل الجنة الجنة ، قال فيقال له : ادخل ، فيقول : أين وقد أخذ الناس أخذاتهم ؟ فيقال : اعدد أربعة ملوك من ملوك الدنيا ، فيكون لك مثل الذى كان لهم ، ولك أخرى شهوة نفسك ، فيقول : أشهى كذا وكذا ، وأشهى كذا ؛ ويقال : لك أخرى ، لك لذة عينك ، فيقول : ألد كذا وكذا ، فيقال : لك عشرة أضعاف مثل ذلك . وسأله عن أعظم أهل الجنة فيها حظا ، فقال : ذاك شىء ختمت عليه يوم خلقت السموات والأرض . قال الشعبي : فإنها فى القرآن ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخِيَتْ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) . »

حدثني أحمد بن محمد الطوسى ، قال : ثنا الحميدى ، قال : ثنا ابن عيينة ؛ وحدثني به القرقسانى ، عن ابن عيينة ، عن مطرف بن طريف ، وابن أبيجر : سمعنا الشعبي يقول : سمعت المغيرة بن شعبة على المنبر يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم : « إن موسى سأل ربه : أى رب ، أى أهل الجنة أدنى منزلة ؟ قال : رجل يجيى بعد ما دخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له ادخل ، فيقول : كيف أدخل وقد نزلوا منازلهم ؟ فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ما كان لملك من ملوك الدنيا ، فيقول : بئح ، أى رب قد رضيت ، فيقال له : إن لك هذا ومثله ومثله ومثله ، فيقول : رضيت أى رب رضيت ، فيقال له : إن لك هذا وعشرة أمثاله معه ، فيقول : رضيت أى رب ، فيقال له : فإن لك مع هذا ما اشتهدت نفسك ، ولدت عينك ؛ قال : فقال موسى : أى رب ، وأى أهل الجنة أرفع منزلة ؟ قال : إياها أردت ، وسأحدثك

عَنْهُمْ ، غَرَسْتُ لَهُمْ كَرَامَتِي بِيَدِي ، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا ، فَلَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ . قَالَ : وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) .

حدثنا محمد بن منصور الطوسي ، قال : ثنا إسحاق بن سايان ، قال : ثنا عمرو بن أبي قيس ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، في قوله ( وكانَ عرشُهُ على الماءِ ) وكانَ عرشُ الله على الماءِ ، ثم اتخذه لنفسه جنة ، ثم اتخذه دونها أخرى ، ثم أطبقها بلؤلؤة واحدة ؛ قال : ومن دونهما جنتان ؛ قال : وهى التى لاتعلم نفس ، أو قال : هما التى لاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين ، جزاء بما كانوا يعملون . قال : وهى التى لاتعلم الخلائق ما فيها ، أو ما فيهما ، يأتيهم كل يوم منها أو منهما تحفة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن عنبسة ، عن سالم الأفتس ، عن سعيد بن جبّير ، بنحوه . حدثنا سهل بن موسى الرازى ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن صفوان بن عمرو ، عن أبي اليمان الهوزنى أو غيره ، قال : « الجنة مئة درجة ، أولها درجة فضة ، أرضها فضة ، ومساكنها فضة ، وآنيها فضة ، وترابها المسك . والثانية ذهب ، وأرضها ذهب ، ومساكنها ذهب ، وآنيها ذهب ، وترابها المسك . والثالثة لؤلؤ ، وأرضها لؤلؤ ، ومساكنها لؤلؤ ، وآنيها لؤلؤ ، وترابها المسك . وسبع وتسعون بعد ذلك ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعته ، ولا خطر على قلب بشر ، وتلا هذه الآية ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الحارثي وعبد الرحيم ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قَالَ اللَّهُ أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، وَأَقْرَعُوا وَإِنْ شِئْتُمْ ، قَالَ اللَّهُ ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو معاوية وابن نمير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ) قال أبو هريرة : ومن بله ما أطلعكم عليه ، اقرعوا إن شئتم ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) قال أبو هريرة : نقرؤها : ( قُرَاتِ أَعْيُنٍ ) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن الحكم بن أبان ، عن الغطريف ، عن جابر ابن زيد ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، عن الروح الأمين ، قال : ( يُؤْتِي بِحَسَنَاتِ الْعَبْدِ وَسَيِّئَاتِهِ ، فَيَنْقُصُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، فَإِنْ بَقِيََتْ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَسَعَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ ، قَالَ : فدخلت على يزداد ، فحدثت بمثل هذا ؛ قال : قلت : فأين ذهب الحسنه ؟ قال :



(أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا، وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ) ، فى أصحاب الجنة (وَعَدَّ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) ، قلت : قوله (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخِيتِ لَكُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) قال : العبد يعمل سرا أسره إلى الله لم يعلم به الناس ، فأسر الله له به م القيامة قرّة عيني .  
حدثني العباس بن أبى طالب ، قال : ثنا معلى بن أسد ، قال : ثنا سلام بن أبى مطيع ، عن قتادة ، عن عقبه بن عبد الغافر ، عن أبى سعيد الخدرى ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يروى عن ربه ، قال : « أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا أَعْيُنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ » .

حدثني أبو السائب ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا أبو صخر ، أن أباً حازم حدثه ، قال : سمعت سهل بن سعد يقول : « شهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا وصف فيه الجنة حتى انتهى ، ثم قال فى آخر حديثه : فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » ، ثم قرأ هذه الآية (تَتَجَاوَى جَنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) . . . إلى قوله (جزاء بما كانوا يعملون) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدى ، عن عوف ، عن الحسن ، قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قَالَ رَبُّكُمْ : أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، مَا لَا أَعْيُنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يروى ذلك عن ربه ، : « قَالَ رَبُّكُمْ : أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا أَعْيُنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخِيتِ لَكُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) قال : أخفوا عملا فى الدنيا ، فأناهم الله بأعمالهم .

حدثني القاسم بن بشر ، قال : ثنا سليمان بن حرب ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أبى رافع ، عن أبى هريرة ، قال حماد : أحسبه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ وَلَا يَبْؤُسُ ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ ، وَلَا يَفْسَى شَبَابُهُ ، فِي الْجَنَّةِ مَا لَا أَعْيُنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ » .

واختلفت القراء فى قراءة قوله (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخِيتِ لَكُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) فقرأ ذلك بعض المدنيين والبصريين ، وبعض الكوفيين (أُخِيتِ) بضم الألف ، وفتح الياء ، بمعنى فُعِلَ . وقرأ بعض الكوفيين (أُخِيتِ لَكُمْ) بضم الألف وإرسال الياء ، بمعنى أُفْعِلَ ، أُخِيتِ لهم أنا .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أنهما قراءتان مشهورتان ، متقاربتا المعنى ، لأن الله إذا أخفاه فهو مُحِيتٌ ، وإذا أُخِيتِ فليس له مُحِيفٌ غيره ، «وما» فى قوله (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخِيتِ لَكُمْ) فإنها إذا جُعِلت بمعنى الذى ، كانت نصبا بوقوع «تعلّم» عليها ، كيف قرأ القارى أخفى ، وإذا وجهت إلى معنى «أى» ،

كانت رفعا، إذا قرئ أخفى بنصب الياء، وضم الألف، لأنه لم يسم فاعله، وإذا قرئ أخفى، بإرسال الياء، كانت نصبا بوقوع أخفى عليها.

### القول في تأويل قوله تعالى

أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا؟ لَا يَسْتَوُونَ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ، نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ، كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا، وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠)

يقول تعالى ذكره: أفتد الكافر المكذب بوعد الله ووعيدة، المخالف أمر الله ونهيه، كهذا المؤمن بالله، المصدق بوعد الله ووعيدة، المطيع له في أمره ونهيه؟ كلاً. لا يستوون عند الله: يقول: لا يعتدل الكفار بالله، والمؤمنون به عنده، فيها هو فاعل بهم يوم القيامة. وقال (لا يستوون) فجمع، وإنما ذكر قبل ذلك اثنين: مؤمنا، وفاسقا، لأنه لم يرد بالمؤمن: مؤمنا واحدا، وبالفاسق: فاسقا واحدا، وإنما أريد به جميع الفاسق، وجميع المؤمنين بالله. فإذا كان الاثنان غير مضمود لهما، ذهبتهما العرب مذهب الجمع.

وذكر أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب، رضوان الله عليه، والوليد بن عتبة.

### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة بن الفضل، قال: ثنى ابن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار، قال: نزلت بالمدينة، في علي بن أبي طالب، والوليد بن عتبة بن أبي معيط، كان بين الوليد وبين علي كلام، فقال الوليد بن عتبة: أنا أبسط منك لسانا، وأحد منك سنانا، وأرد منك للكتيبة، فقال علي: اسكت، فإنك فاسق، فأنزل الله فيهما (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون) ... إلى قوله (به تكذبون).

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا؟ لا يستوون) قال: لا والله ما استووا في الدنيا، ولا عند الموت، ولا في الآخرة.

وقوله (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) يقول تعالى ذكره: أما الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله ورسوله، فلهم جنات المأوى: يعنى بساتين المساكن التي يسكنونها في الآخرة، ويأوون إليها. وقوله (نزلا بما كانوا يعملون) يقول بما نزلنا: أنزلهموها جزء منه ثم بما كانوا في الدنيا يعملون بطاعته. وقوله (وأما الذين فسقوا) يقول تعالى ذكره: وأما الذين كفروا بالله، وفارقوا طاعته (فما وأهم النار) يقول: فساكنهم التي يأوون إليها في الآخرة: النار (كلما أرادوا



أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ، وَقِيلَ لَهُمْ : ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا ( تَكْذِبُونَ ) أَنْ اللَّهُ أَعَدَّهَا لِأَهْلِ الشَّرْكِ بِهِ .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا ) : أشركوا ( وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ) والقوم مكذبون كما ترون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلْوَنِ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١)

اختلف أهل التأويل فى معنى العذاب الأدنى ، الذى وعد الله أن يذيقه هؤلاء الفسقة ، فقال بعضهم : ذلك مصائب الدنيا فى الأنفس والأموال .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلْوَنِ ) يقول : مصائب الدنيا وأقسامها وبلاؤها ، مما يتلى الله بها العباد حتى يتوبوا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبيّ ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبيّ ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلْوَنِ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) قال : العذاب الأدنى : بلاء الدنيا ، قيل : هى المصائب .

حدثنا ابن المنى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن عروة ، عن الحسن العرفى ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبيّ بن كعب ( وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلْوَنِ ) قال : المصائب فى الدنيا . قال : والدخان قد مضى . والبطشة واللزام .

قال أبو موسى : ترك يحيى بن سعيد ، يحيى بن الجزار ، نقصان رجل .

حدثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ومحمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن عروة ، عن الحسن العرفى ، عن يحيى بن الجزار ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبيّ بن كعب ، أنه قال : فى هذه الآية ( وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلْوَنِ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) قال : مصائب الدنيا ، واللزوم والبطشة ، أو الدخان ؛ شك شعبة فى البطشة أو الدخان .

حدثنا ابن المنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن عروة ، عن الحسن العرفى ، عن يحيى بن الجزار ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبيّ بن كعب ، بنحوه ، إلا أنه قال : المصائب واللزوم والبطشة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن عروة ، عن الحسن العرفى ،

عن يحيى بن الجزار ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب ، قال : المصيبات يصابون بها في الدنيا : البطشة ، والدخان ، واللزوم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية ( وَلَسُنْدِيَقَتْنَهُمْ مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى ) قال : المصائب في الدنيا .

قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك ( وَلَسُنْدِيَقَتْنَهُمْ مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) قال : المصيبات في دنياهم وأمواهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، حدثه ، عن الحسن ، قوله ( وَلَسُنْدِيَقَتْنَهُمْ مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى ) : أي مصيبات الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ( وَلَسُنْدِيَقَتْنَهُمْ مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى ) قال : أشياء يصابون بها في الدنيا .

وقال آخرون : عني بها الحدود .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( وَلَسُنْدِيَقَتْنَهُمْ مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) قال : الحدود .

وقال آخرون : عني بها القتل بالسيف ، قال : وقتلوا يوم بدر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، ( وَلَسُنْدِيَقَتْنَهُمْ مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى ) قال : يوم بدر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن السدي ، عن مسروق ، عن عبد الله ، مثله .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عوف عن حدثه ، عن الحسن بن علي ، أنه قال ( وَلَسُنْدِيَقَتْنَهُمْ مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) قال : القتل بالسيف صبوا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، عن عوف ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ( وَلَسُنْدِيَقَتْنَهُمْ مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) قال : القتل بالسيف ، كل شيء وعد الله هذه الأمة من العذاب الأدنى ، إنما هو السيف .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،



قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَسْنَا نَقْتَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) قال : القتل والجوع لقريش في الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان مجاهد يحدث عن أبي بن كعب أنه كان يقول ( وَلَسْنَا نَقْتَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) يوم بدر . وقال آخرون : عَسَىٰ بِذَلِكَ سَنُونَ أَصَابَتِهِمْ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ( وَلَسْنَا نَقْتَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) قال : سَنُونَ أَصَابَتِهِمْ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله . وقال آخرون : عَسَىٰ بِذَلِكَ عَذَابِ الْقَبْرِ .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد : ( وَلَسْنَا نَقْتَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) قال : الأدنى في القبور ، وعذاب الدنيا . وقال آخرون : ذلك عذاب الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَسْنَا نَقْتَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى ) قال : العذاب الأدنى : عذاب الدنيا .

وأولى الأقوال في ذلك أن يقال : إن الله وعد هؤلاء الفسقة المكذبين بوعيده في الدنيا : العذاب الأدنى ، أن يذيقهموه دون العذاب الأكبر ، والعذاب : هو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم ، إما شدة من مجاعة ، أو قتل ، أو مصائب يصابون بها ، فكل ذلك من العذاب الأدنى ، ولم يخص الله تعالى ذكره ، إذ وعدهم ذلك أن يعذبهم بنوع من ذلك دون نوع ، وقد عذبهم بكل ذلك في الدنيا : بالقتل والجوع ، والشدائد ، والمصائب في الأموال ، فأوفى لهم بما وعدهم .

وقوله ( دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) يقول : قبَّل العذاب الأكبر ، وذلك عذاب يوم القيامة . وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدى ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ( دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) قال : يوم القيامة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن السدى ، عن مسروق ، عن عبد الله : مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) يوم القيامة في الآخرة . حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ( دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) يوم القيامة . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) يوم القيامة حدث به قتادة ، عن الحسن . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) قال : العذاب الأكبر : عذاب الآخرة . وقوله ( لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) يقول : كفى يرجعوا ويتوبوا بتعذيبهم العذاب الأدنى . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن السدي ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ( لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) قال : يتوبون . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا : أبي ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية ( لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) قال : يتوبون . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) : أي يتوبون .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ، ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ، إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : وأي الناس أظلم لنفسه ممن وعظه الله بحججه ، وآى كتابه ورسله ، ثم أعرض عن ذلك كله ، فلم يتعظ بمواعظه ، ولكنه استكبر عنها . وقوله ( إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ) يقول : إنا من الذين اكتسبوا الآثام ، واجتروا السيئات ، منتقمون .

وكان بعضهم يقول : عُنِيَ بالمجرمين في هذا الموضع : أهل القَدَر .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، قال : أخبرنا وائل بن داود ، عن مروان ابن سفيح ، عن يزيد بن رفيع ، قال : إن قول الله في القرآن ( إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ) هم أصحاب القَدَر ، ثم قرأ ( إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ) . . . إلى قوله ( خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ) . حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا مروان ، قال : أخبرنا وائل بن داود ، عن ابن سفيح ، عن يزيد



ابن ربيع بنحوه ، إلا أنه قال فى حديثه : ثم قرأ وائل بن داود هؤلاء الآيات ( إنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ) . . . إلى آخر الآيات .

وقال آخرون فى ذلك ، بما حدثنى به عمران بن بكَّار الكُلاعى ، قال : ثنا محمد بن المبارك ، قال : ثنا إسماعيل بن عياش ، قال : ثنا عبد العزيز بن عبيد الله ، عن عبادة بن نسي ، عن جُنادة بن أبى أمية ، عن معاذ بن جبل ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدَ أَجْرَمَ : مَنْ اعْتَقَدَ لِيَوَاءٍ فِي غَيْرِ حَقٍّ ، أَوْ عَقَّ وَالِدَيْهِ ، أَوْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ يَنْصُرُهُ فَقَدَ أَجْرَمَ ، يَقُولُ اللَّهُ ( إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ) . »

#### القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ، فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ ، وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣)  
وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ، وَكَانُوا بِنَايَتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا موسى التوراة ، كما آتيناك الفرقان يا محمد ( فلا تكن فى مِرْيَةٍ من لِقَائِهِ ) يقول : فلا تكن فى شك من لقائه ، فكان قتادة يقول : معنى ذلك : فلا تكن فى شك من أنك لِقَيْتِهِ ، أو تلقاه ليلة أُسْرِى بك ، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبى العالية الرياحى ، قال : حدثنا ابن عم نبيكم ، يعنى ابن عباس ، قال : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « أُرِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِى بِي مُوسَى ابْنَ عِمْرَانَ رَجُلًا آدَمَ طَوَالًا جَعْدًا ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ ، وَرَأَيْتُ عَيْسَى رَجُلًا مَرْبُوعَ الْخَلْقِ ، إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبِيَاضِ ، سَبَطَ الرَّأْسِ ، وَرَأَيْتُ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ ، وَالِدَ جَالٍ فِي آيَاتِ آرَاهُنَّ اللَّهُ إِيَّاهُ ، فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ ، أَنَّهُ قَدْ رَأَى مُوسَى ، وَلَقَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِى بِهِ . »

وقوله ( وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ) يقول تعالى ذكره : وجعلنا موسى هُدًى لبني إسرائيل ، يعنى : رشادا لهم يرشدون باتباعه ، ويصيرون الحق بالافتداء به ، والاثم بقوله .  
وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ) قال جعل الله موسى هُدًى لبني إسرائيل .

وقوله ( وَجَعَلْنَاهُ مِنْهُمْ أُمَّةً ) يقول تعالى ذكره : وجعلنا من بني إسرائيل أُمَّةً ، وهى جمع إمام ، والإمام الذى يؤتم به فى خير أو شر ، وأريد بذلك فى هذا الموضع أنه جعل منهم قادة فى الخير ، يؤتم بهم ، ويُهْتَدَى بهديهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ) قال : رؤساء في الخير . وقوله ( يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ) يقول تعالى ذكره : يهدون أتباعهم وأهل القبول منهم بإذننا لهم بذلك ، وتقويتنا إياهم عليه .

وقوله ( لَمَّا صَبَرُوا ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ، وبعض أهل الكوفة ( لَمَّا صَبَرُوا ) بفتح اللام وتشديد الميم ، بمعنى : إذ صبروا ، وحين صبروا . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ( لَمَّا ) بكسر اللام وتخفيف الميم ، بمعنى : لصبرهم عن الدنيا وشهواتها ، واجتهادهم في طاعتنا ، والعمل بأمرنا . وذكر أن ذلك في قراءة ابن مسعود ( بِمَصَبْرُوا ) ، وما إذا كسرت اللام من ( لَمَّا ) في موضع خفض ، وإذا فتحت اللام وشدت الميم ، فلا موضع لها ، لأنها حينئذ أداة .

والقول عندى في ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما عامة من القراء ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب . وتأويل الكلام إذا قرئ ذلك بفتح اللام وتشديد الميم : وجعلنا منهم أمة يهدون أتباعهم بإذننا إياهم ، وتقويتنا إياهم على الهداية ، إذ صبروا على طاعتنا ، وعزفوا أنفسهم عن لذات الدنيا وشهواتها . وإذا قرئ بكسر اللام على ما قد وصفنا .

وقد حدثنا ابن وكيع ، قال : قال أبي ، سمعنا في ( وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ) قال : عن الدنيا .

وقوله ( وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ) يقول : وكانوا أهل يقين بما دلهم عليه حججنا ، وأهل تصديق بما تبين لهم من الحق ، وإيمان برسولنا ، وآيات كتابنا ونزيلنا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : إن ربك يا محمد هو يبين جميع خلقه يوم القيامة فيما كانوا فيه في الدنيا يختلفون ، من أمور الدين والبعث والثواب والعقاب ، وغير ذلك من أسباب دينهم ، فيفريق بينهم بقضاء فاصل ، بإيجابه لأهل الحق الجنة ، ولأهل الباطل النار .

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ، كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ ، أَفَلَا يَسْمَعُونَ ؟ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : أو لم يبين لهم ؟

كما حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( أَوَلَمْ يَهْدِ

(١) لعله فيكون على الخ .



لَهُمْ) يقول : أو لم يبين لهم ، وعلى القراءة بالياء فى ذلك قرآء الأمصار ، وكذلك القراءة عندنا ، لإجماع الحجة من القراء ، بمعنى : أو لم يبين لهم ، إهلاكننا القرون الخالية من قبلهم ، سنتنا فىمن سلك سبيلهم من الكفر بآياتنا ، فيتعضوا وينزجروا . وقوله ( كَمْ ) إذا قرئ ( يَهْدِ ) بالياء : فى موضع رفع بيهد . وأما إذا قرئ ذلك بالنون ( أَوْ لَمْ يَهْدِ ) فإن موضع « كم » وما بعدها نصب . وقوله ( يَمْشُونَ فى مَسَاكِينِهِمْ ) . يقول تعالى ذكره : أو لم يبين لهم كثرة إهلاكننا القرون الماضية من قبلهم يمشون فى بلادهم وأرضهم ، كعاد وثمود .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ ) عاد وثمود ، وأنهم إليهم لا يُرْجَعُونَ .

وقوله ( إِنَّ فى ذَلِكَ لآياتٍ ) يقول تعالى ذكره : إن فى خلاء مساكن القرون الذين أهلكناهم من قبل هؤلاء المكذبين بآيات الله من قريش ، من أهلها الذين كانوا سكانها وعمَّارها ، بإهلاكننا إياهم لما كذبوا رسلنا ، وجحدوا بآياتنا ، وعبدوا من دون الله آلهة غيره ، التى يمرّون بها فيعابنونها . لآيات لهم ، وعظمت يتعضون بها . لو كانوا أولى حججاً وعقول ، يقول الله ( أَفَلَا يَسْمَعُونَ ) عظمت الله ، وتذكيره إياهم آياته ، وتعريفهم مواضع حججه ؟

#### القول فى تأويل قوله تعالى

أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ، فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ  
وَأَنْفُسُهُمْ ، أَفَلَا يُبْصِرُونَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره : أو لم ير هؤلاء المكذّبون بالبعث بعد الموت ، والنشر بعد القناء ، أنا بقدرتنا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة ، التى لانبات فيها ، وأصله من قولهم : ناقة جرّوز : إذا كانت تأكل كلّ شىء ، وكذلك الأرض الجرّوز : التى لا يبقى على ظهرها شىء إلا أفسدته ، نظير أكل الناقة الجرّاز كلّ ما وجدته ، ومنه قولهم للإنسان الأكلول : جرّوز ، كما قال الراجز :

حَبَّ جَرُوزٌ وَإِذَا . . . . .

(١) هذا جزء من بيت من مشطور الرجز ، أورده الشوكانى فى تفسيره المسمى فتح القدير ( ٤ : ٢٤٩ ، طبعة مصطفي البابى الحلبي وأولاده ) . وهاك البيت بتمامه مع ما يليه :

حَبَّ جَرُوزٌ وَإِذَا جَاعَ بِكَيْى وَيَأْكُلُ التَّمْرَ وَلَا يُلْتَقِي النَّوَى

وهو شاهد عند تفسير قوله تعالى : « أو لم يروا أننا نسوق الماء إلى الأرض الجرّوز » . قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن ( الورقة ١٩٣ - ١ ) الأرض الجرّوز : أى اليابسة الغليظة التى لم يصبها مطر . هـ . وقال الفراء فى معانى القرآن ( الورقة ٢٥٣ ) : الجرّوز التى لانبات فيها . ويقال للناقة إنها جرّاز : إذا كانت تأكل كلّ شىء ، وللإنسان : إنه جرّوز : إذا كان أكلولا . وسيف جراز : إذا كان لا يبقى شيئا إلا قتلته .

ومنه قيل للسيف إذا كان لا يبقى شيئا إلا قطعه سيف جراز ، وفيه لغات أربع : أرض جرّز ، وجرّز ، وجرّز وجرّز ، والفتح لبني تميم فيما بلغني .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن ابن عباس (الأرضُ الجرّزُ) أرض باليمن .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، قال : أرض باليمن .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أو لم يروا أننا نسوق الماء إلى الأرض الجرّز؟) قال : أبين ونحوها .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا عبد الرزاق بن عمر ، عن ابن المبارك ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : ونحوها من الأرض .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن رجل ، عن ابن عباس ، في قوله (إلى الأرض الجرّز) قال : الجرّز : التي لا تمطر إلا مطرا لا يغني عنها شيئا ، إلا ما يأتيها من السيول .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن جويبر ، عن الضحاك (إلى الأرض الجرّز) ليس فيها نبت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أو لم يروا أننا نسوق الماء إلى الأرض الجرّز) المغبرة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أو لم يروا أننا نسوق الماء إلى الأرض الجرّز) قال : الأرض الجرّز : التي ليس فيها شيء ، ليس فيها نبات ، وفي قوله (صعيدا جرّزا) قال : ليس عليها شيء ، وليس فيها نبات ولا شيء ، (فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم) يقول تعالى ذكره ، فنخرج بذلك الماء الذي نسوقه إليها ، على يبسها وغلظها ، وطول عهدها بالماء ، زرعاً خضيرا تأكل منه مواشيتهم ، وتتغذى به أبدانهم وأجسامهم ، فيعيشون به (أفلا يبصرون) يقول تعالى ذكره : أفلا يرون ذلك بأعينهم ، فيعلموا برؤيتهموه أن القدرة التي بها فعلت ذلك ، لا يتعدّر على أن أحبي بها الأموات ، وأنشبرهم من قبورهم ، وأعيدهم بهياتهم التي كانوا بها قبل وفاتهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٨) ، قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٢٩) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِيَّاهُمْ مُنْتَظِرُونَ (٣٠)

(١) إيبين بكسر الهمزة وفتحها وسكون الباء ، وياه مفتوحة : اسم رجل كان في الزمان القديم ، ويقال : ذو إيبين ، وهو الذي ينسب إليه عدن إيبين من بلاد اليمن . فاعل راوى الأثر يريد هذا الموضع . (انظر البكري في المعجم) .





## تفسير سورة الأحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١)  
وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم ( يا أيها النبى اتق الله ) بطاعته ، وأداء فرائضه ، وواجب حقوقه عليك ، والانتفاء عن محارمه ، وانتهاك حدوده ( ولا تطيع الكافرين ) الذين يقولون لك : اطرد عنك أتباعك من ضعفاء المؤمنين بك ، حتى نجالسك ( والمنافقين ) الذين يظهرون لك الإيمان بالله ، والنصيحة لك ، وهم لا يألونك وأصحابك ودينك خبلا ، فلا تقبل منهم رأيا ، ولا تستشرهم مستنصحا بهم ، فإنهم لك أعداء ( إن الله كان عليما حكيما ) يقول : إن الله ذو علم بما تضره نفوسهم ، وما الذى يقصدون فى إظهارهم لك النصيحة ، مع الذى ينطوون لك عليه ، حكيم فى تدبير أمرك وأمر أصحابك ودينك ، وغير ذلك من تدبير جميع خلقه ( واتبع ما يوحى إليك من ربك ) يقول : واعمل بما ينزل الله عليك من وحيه ، وآى كتابه . ( إن الله كان بما تعملون خبيرا ) يقول : إن الله بما تعمل به أنت وأصحابك من هذا القرآن ، وغير ذلك من أموركم وأمور عباده خبيرا : أى ذا خبرة ، لا يخفى عليه من ذلك شىء ، وهو مجازيكم على ذلك بما وعدكم من الجزاء .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله ( واتبع ما يوحى إليك من ربك ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( واتبع ما يوحى إليك من ربك )

أى هذا القرآن ( إن الله كان بما تعملون خبيرا ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (٣)

يقول تعالى ذكره : وفوض إلى الله يا محمد أمرك ، وثق به : ( وكفى بالله وكيلا ) : يقول : وحسبك بالله فيما يأمرك وكيلا ، وحفيظا بك .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ ، وَمَا جَعَلَ أَرْزَاقَكُمْ الَّتِى تُظَاهَرُونَ مِنْهِنَّ



أُمَّتِكُمْ ، وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ، ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ، وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤)

اختلف أهل التأويل في المراد من قول الله ( ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ) فقال بعضهم : عني بذلك تكذيب قوم من أهل النفاق ، وصفوا نبي الله صلى الله عليه وسلم بأنه ذو قلبين ، فنفى الله ذلك عن نبيه ، وكذبهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا حفص بن نفيل ، قال : ثنا زهير بن معاوية ، عن قابوس بن أبي ظبيان نأباه حديثه ، قال : قلنا لابن عباس : « رأيت قول الله ( ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ) ما عني بذلك ؟ قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فصلى ، فخطر خطرة<sup>١</sup> ، فقال المنافقون الذين يصلون معه : إن له قلبين ، قلباً معكم ، وقلبا معهم ، فأنزل الله ( ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ) » .

وقال آخرون : بل عني بذلك : رجل من قريش كان يدعى ذا القلبين من دهييه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ( ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ) قال : كان رجل من قريش يسمى من دهييه<sup>٢</sup> ذا القلبين ، فأنزل الله هذا في شأنه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ) قال : إن رجلاً من بني فهير ، قال : إن في جوفى قلبين أعقيل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد « وكذب » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ) قال قتادة : كان رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى ذا القلبين ، فأنزل الله فيه ما تسمعون .

قال قتادة : وكان الحسن يقول : كان رجل يقول لى : نفس تأمرنى ، ونفس تنهانى ، فأنزل الله فيه ما تسمعون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن خصيف ، عن عكرمة ، قال : كان رجل يسمى ذا القلبين ، فنزلت ( ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ) .

(١) خطر خطرة : سها سهوة . (٢) الدهو والدهى والدهاء : العقل .

وقال آخرون: بل عنى بذلك زيد بن حارثة، من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تبنّاه، فضرب الله بذلك مثلاً.

## ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، في قوله (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ) قال: بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة، ضرب الله له مثلاً يقول: ليس ابن رجل آخر ابنتك.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: ذلك تكذيب من الله تعالى قول من قال لرجل في جوفه قلبان يعقل بهما، على النحو الذي روى عن ابن عباس، وجائز أن يكون ذلك تكديبا من الله لمن وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، وأن يكون تكديبا لمن سمي القرشي الذي ذكر أنه سمي ذا القلبين من دهيته، وأى الأمرين كان فهو نفي من الله عن خلقه من الرجال، أن يكونوا بتلك الصفة.

وقوله (وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ) يقول تعالى ذكره: ولم يجعل الله أيها الرجال نساءكم اللاتي تقولون لهن: أنتن علينا كظهور أمهاتنا، أمهاتكم، بل جعل ذلك من قبيلكم كذبا، وألزمكم عقوبة لكم كفارة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ): أي ما جعلها أمك، فإذا ظاهر الرجل من امرأته، فإن الله لم يجعلها أمه، ولكن جعل فيها الكفارة.

وقوله (وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ) يقول: ولم يجعل الله من ادّعت أنه ابنك وهو ابن غيرك، ابنك بدعواك.

وذكر أن ذلك نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل تبنيه زيد بن حارثة.

## ذكر الرواية بذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ((أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ)) قال: نزلت هذه الآية في زيد بن حارثة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ) قال: كان زيد بن حارثة حين منّ الله ورسوله عليه، يقال له: زيد بن محمد كان تبنّاه، فقال الله (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ) قال: وهو يذكر الأزواج والأخت، فأخبره أن الأزواج لم تكن بالأمهات أمهاتكم، ولا أدعياءكم أبناءكم.



حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ) وما جعل دعيتك ابنك ، يقول : إذا ادعى رجل رجلاً وليس بابنه ( ذَلِكَكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ) . . . الآية ، وذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : « من ادعى إلى غير أبيه متعمداً ، حرم الله عليه الجنة » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن أشعث ، عن عامر ، قال : ليس في الأدياء زيد ، وقوله ( ذَلِكَكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ) يقول تعالى ذكره هذا القول ، وهو قول الرجل لامرأته : أنت على كظهر أمي ، ودعاؤه من ليس بابنه أنه ابنه ، إنما هو قولكم بأفواهكم ، لاحقيقة له ، لا يثبت بهذه الدعوى نسب الذي ادعيت بنوته ، ولا نصير الزوجة أمماً بقول الرجل لها : أنت على كظهر أمي . ( وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ ) : يقول : والله هو الصادق الذي يقول الحق ، وبقوله يثبت نسب من أثبت نسبه ، وبه تكون المرأة للمولود أمماً إذا حكم بذلك . ( وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ) يقول تعالى ذكره : والله يبين لعباده سبيل الحق ، ويرشدهم لطريق الرشاد .

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ، فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ ، فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥)

يقول الله تعالى ذكره : اتسبوا أدياءكم الذين ألحقتم أنسابهم بكم لأبائهم ، يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألحق نسب زيد بأبيه حارثة ، ولا تدعه زيدا بن محمد . وقوله ( هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ) : يقول دعاؤكم إياهم لأبائهم ، هو أعدل عند الله ، وأصدق وأصوب من دعائكم إياهم لغير آبائهم ، ونسبتكموهم إلى من تبناهم وادعاهم وليسوا له بنين .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ) : أى أعدل عند الله . وقوله ( فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ) يقول تعالى ذكره : فإن أنتم أيها الناس لم تعلموا آباء أديائكم من هم ، فتنسبوهم إليهم ، ولم تعرفوهم ، فتلحقوهم بهم ، ( فإخوانكم في الدين ) : يقول : فهم إخوانكم في الدين ، إن كانوا من أهل ملتكم . ( ومواليكم ) إن كانوا محرريكم وليسوا ببنيتكم . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ )

الله ( : أى أعدل عند الله ( فإن لم تعلموا آباءهم فلم يخوانكم في الدين ومواليكم ) فإن لم تعلموا من أبوه ، فلإنما هو أخوك ومولاك .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن عيينة بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، قال : قال أبو بكر : قال الله ( ادعوههم لأبائهم هو أفسط عند الله ، فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم ) فأنا ممن لا يعرف أبوه ، وأنا من إخوانكم في الدين ، قال : قال أبي : والله إنى لأظنه لو علم أن أباه كان حمارا ، لانتحى إليه .

وقوله ( وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ) يقول : ولا حرج عليكم ولا وزر في خطأ يكون منكم في نسبة بعض من تنسبونه إلى أبيه ، وأنتم ترونه ابن من ينسبونه إليه ، وهو ابن لغيره ( وليكن ما تعمدت قلوبكم ) يقول : ولكن الإثم والحرج عليكم ، في نسبتكموه إلى غير أبيه ، وأنتم تعلمونه ابن غير من تنسبونه إليه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ( وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ) يقول : إذا دعوت الرجل لغير أبيه ، وأنت ترى أنه كذلك . ( وليكن ما تعمدت قلوبكم ) يقول الله : لاتدعه لغير أبيه متعمدا . أما الخطأ فلا يؤخذكم الله به ، ( وليكن يؤخذكم بما تعمدت قلوبكم ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( تعمدت قلوبكم ) قال فالعمد ما أتى بعد البيان والنهي في هذا وغيره ، وما أتى في قوله ( وليكن ما تعمدت قلوبكم ) : خفض ، ردأ على « ما » التي في قوله ( فيما أخطأتم به ) وذلك أن معنى الكلام : ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن فيما تعمدت قلوبكم .

وقوله ( وكان الله غفورا رحيما ) يقول الله تعالى ذكره : وكان الله ذا ستر على ذنب من ظاهر من زوجته ، فقال الباطل والزور من القول ، وذنب من ادعى ولد غيره ابنا له ، إذا تابا وراجعا أمر الله ، وانتهيا عن قيل الباطل ، بعد أن نهاهما ربهما عنه ، ذا رحمة بهما أن يعاقبهما على ذلك ، بعد توبتهما من خطيئتهما .

القول في تأويل قوله تعالى

النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ، وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ، وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ ، إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا ، كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٦)



يقول تعالى ذكره : النبي محمد أولى بالمؤمنين ، يقول : أحق بالمؤمنين به من أنفسهم ، أن يحكم فيهم بما يشاء من حكم ، فيجوز ذلك عليهم .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ) كما أنت أولى بعبدك ما قضى فيهم من أمر جاز ، كما كلما قضيت على عبدك جاز .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ) قال : هو أب لهم .

حدثنا محمد بن المنفي ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا فليح ، عن هلال بن علي ، عن عبد الرحمن ابن أبي عمرة ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة ، اقرءوا إن شئتم ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ) وأيمنا مؤمن ترك مالا فليورثه وعصبته من كانوا ، وإن ترك دينا أو ضياعا فليأتي وأنا مولاه » .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حسن بن علي ، عن أبي موسى إسرائيل بن موسى ، قال : قرأ الحسن هذه الآية ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ) وأزواجه أمهاتهم ) قال الحسن : قال النبي صلى الله عليه وسلم ( أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ) قال الحسن : وفي القراءة الأولى ( أولى بالمؤمنين من أنفسهم ) ، وهو أب لهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال في بعض القراءة ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم ) وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « أئمتنا رجلى ترك ضياعا فأنا أولى به ، وإن ترك مالا فهو لورثته » .  
وقوله ( وأزواجه أمهاتهم ) يقول : وحرمة أزواجه حرمة أمهاتهم عليهم ، في أمن يحرم عليهن نكاحهن من بعد وفاته ، كما يحرم عليهم نكاح أمهاتهم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ) ، وأزواجه أمهاتهم ) يعظم بذلك حقهن ، وفي بعض القراءة ( وهو أب لهم ) .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وأزواجه أمهاتهم ) محرمات عليهم .

وقوله ( وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المهاجرين ) يقول تعالى ذكره : وأولوا الأرحام الذين ورثت بعضهم من بعض ، هم أولى بميراث بعض من المؤمنين والمهاجرين أن يرث بعضهم بعضا ، بالمهجرة والإيمان دون الرحم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ ) لبث المسلمون زمانا يتوارثون بالهجرة ، والأعرابي المسلم لا يرث من المهاجرين شيئا ، فأنزل الله هذه الآية ، فخلط المؤمنون ببعضهم ببعض ، فصارت الموارث بالملل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ ) لَأَنَّ أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا ) قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم قد آخى بين المهاجرين والأنصار أول ما كانت الهجرة ، وكانوا يتوارثون على ذلك ، وقال الله ( وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالتَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ ، فَأَتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ ) قال : إذا لم يأت رحم لهذا يحول دونهم ، قال : فكان هذا أولا ، فقال الله ( إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا ) يقول : إلا أن توصوا لهم ( كان ذلك في الكتاب مسطورا ) أن أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ، قال : وكان المؤمنون والمهاجرون لا يتوارثون إن كانوا أولى رحم ، حتى يهاجروا إلى المدينة ، وقرأ قال الله ( وَالتَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ) . . . إلى قوله ( وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ) ، فكانوا لا يتوارثون ، حتى إذا كان عام الفتح ، انقطعت الهجرة ، وكثر الإسلام ، وكان لا يقبل من أحد أن يكون على الذي كان عليه النبي ومن معه إلا أن يهاجر ؛ قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن بعث : « اغدوا على اسم الله لاتعلموا ولا تولوا ، ادعوهم إلى الإسلام ، فإن أجابوكم فاقبلوا وادعوهم إلى الهجرة ، فإن هاجروا معكم ، فلتهم مالتكم ، وعليهم ما عليكم ، فإن أبوا ولم يهاجروا واختاروا دارهم فأقبروهم فيها ، فهم كالأعراب تجرى عليهم أحكام الإسلام ، وليس لهم في هذا الشيء نصيب » . قال : فلما جاء الفتح ، وانقطعت الهجرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد الفتح » وكثر الإسلام ، وتوارث الناس على الأرحام حيث كانوا ، ونسخ ذلك الذي كان بين المؤمنين والمهاجرين ، وكان لهم في الشيء نصيب ، وإن أقاموا وأبوا ، وكان حقهم في الإسلام واحد ، المهاجر وغير المهاجر والبدوي وكل أحد ، حين جاء الفتح .

فغنى الكلام على هذا التأويل : وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض من المؤمنين والمهاجرين ببعضهم أن يرثوهم بالهجرة ، وقد يحتمل ظاهر هذا الكلام أن يكون من صلة الأرحام من المؤمنين والمهاجرين ، أولى بالميراث ، ممن لم يؤمن ، ولم يهاجر .

وقوله ( إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : إلا أن توصوا لذوي قرابتكم من غير أهل الإيمان والهجرة .



ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن حجاج ، عن سالم ، عن ابن الحنفية (إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً) قالوا : يوصى لقربته من أهل الشرك .

قال : ثنا عبدة ، قال : قرأت على ابن أبي عمرو ، عن قتادة (إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً) قال : للقربة من أهل الشرك وصية ، ولا ميراث لهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً) قال : إلى أوليائكم من أهل الشرك ، وصية ، ولا ميراث لهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيرى ويحيى بن آدم ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، عن يحيى ابن أبي كثير ، عن عكرمة (إلى أوليائكم معروفاً) قال : وصية .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى محمد بن عمرو ، عن ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : ما قوله (إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً) فقال : العطاء ، فقلت له : المؤمن للكافر بينهما قرابة ، قال : نعم ، عطاؤه إياه جاء : ووصية له .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إلا أن تمسكوا بالمعروف بينكم ، بحق الإيمان والهجرة والحلف ، فتؤتونهم حقهم من النصرة والعقل عنهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً) قال : حلفائكم الذين والى بينهم النبى صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ، إمساك بالمعروف والعقل ، والنصر بينهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن توصوا إلى أوليائكم من المهاجرين وصية .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً) يقول : إلا أن توصوا لهم .

وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : أن يقال : معنى ذلك إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينهم وبينكم ، من المهاجرين والأنصار ، معروفاً من الوصية لهم ، والنصرة والعقل عنهم ، وما أشبه ذلك ، لأن كل ذلك من المعروف ، الذى قد حث الله عليه عباده .

وإنما اخترت هذا القول ، وقلت : هو أولى بالصواب من قيل من قال : عسى بذلك الوصية للقربة من أهل الشرك ، لأن القرب من المشرك ، وإن كان ذا نسب فليس بالمولى ، وذلك أن الشرك يقطع ولاية ما بين المؤمن والمشرك ، وقد نهى الله المؤمنين أن يتخذوا منهم ولداً بقوله (لا تتخذوا عداوتى وعدوكم

أولياء) وغير جائز أن ينههم عن اتخاذهم أولياء ، ثم يصفهم جل ثناؤه بأنهم لهم أولياء . وموضع « أن » من قوله ( إلا أن تفعلوا ) نصب على الاستثناء . ومعنى الكلام : وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين ، إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين ليسوا بأولى أرحام منكم معروفا . وقوله ( كان ذلك في الكتاب مسطورا ) يقول : كان أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله : أي في اللوح المحفوظ مسطورا : أي مكتوبا ، كما قال الراجز :

في الصُّحُفِ الأُولَى التي كانَ سَطَّرَ

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد ، في قوله ( كان ذلك في الكتاب مسطورا ) : أي أن أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله . وقال آخرون : معنى ذلك : كان ذلك في الكتاب مسطورا : لا يرث المشرك المؤمن .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ،  
وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْهُمُ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٧)

يقول تعالى ذكره : كان ذلك في الكتاب مسطورا ، إذ كتبنا كل ما هو كائن في الكتاب ، « وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ » كان ذلك أيضا في الكتاب مسطورا ، ويعنى بالميثاق : العهد ، وقد بينا ذلك بشواهد في ماضي قبل ( وَمِنْكَ ) يا محمد ( وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وَأَخَذْنَا مِنْهُمُ مِيثَاقًا غَلِيظًا ) يقول : وأخذنا من جميعهم عهدا مؤكدا ، أن يصدق بعضهم بعضا . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ ) قال : وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « كُنْتُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ ، وَأَخِيرَهُمْ فِي الْبَعْثِ » ، ( وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وَأَخَذْنَا مِنْهُمُ مِيثَاقًا غَلِيظًا ) ميثاق أخذه الله على النبيين خصوصا ، أن يصدق بعضهم بعضا ، وأن يتبع بعضهم بعضا .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : كان قتادة إذا تلا هذه الآية ( وَإِذْ

(١) البيت من مشطور الرجز ، وهو للعجاج الراجز ، من أرجوزته المطولة التي ملح بها عمر بن عبد الله بن معمر ، وقد بعثه عبد الملك لحرب أبي فديك الخارجي ، فانتصر عليه . ( ديوان العجاج طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ١٩ ) . والبيت شاهد على أن معنى سطر : كتب . والسطر : الخط والكتابة .



أَخَذْنَا مِنْ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ، وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ ) قال : كان نبي الله صلى الله عليه وسلم فى أول النبيين فى الخلق .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله ( مِنْ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ ) قال : فى ظهر آدم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : ( وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ) قال : الميثاق الغليظ : العهد .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ سَأَلْتَهُنَّ خَبْرًا لَقَدْ يَعْلَمَنَّ اللَّهُ أَنَّكَ سَائِلٌ عَنْهُمْ كَذِبٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَئِنَّ اللَّهَ لَآبْلَهُمْ بِمَا عَمِلُوا جَازٍ (٨)

يقول تعالى ذكره : أخذنا من هؤلاء الأنبياء ميثاقهم ، كما أسأل المرسلين عما أجابتهم به أمهم ، وما فعل قومهم فيما أبلغوهم عن ربهم من الرسالة .  
وبنحو قولنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد ( لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ سَأَلْتَهُنَّ خَبْرًا لَقَدْ يَعْلَمَنَّ اللَّهُ أَنَّكَ سَائِلٌ عَنْهُمْ ) قال : المبلغين المؤدبين من الرسل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ سَأَلْتَهُنَّ خَبْرًا لَقَدْ يَعْلَمَنَّ اللَّهُ أَنَّكَ سَائِلٌ عَنْهُمْ ) قال : المبلغين المؤدبين من الرسل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ( لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ سَأَلْتَهُنَّ خَبْرًا لَقَدْ يَعْلَمَنَّ اللَّهُ أَنَّكَ سَائِلٌ عَنْهُمْ ) قال : الرسل المؤدبين المبلغين .

وقوله ( وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ) : يقول : وأعد للكافرين بالله من الأمم عذابا موجعا .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

يَسْأَلُهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا أَلَمَ تَرَوُهَا ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩)

يقول تعالى ذكره ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ) : التى أنعمها على جماعتكم ، وذلك حين حوَّصر المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الخندق ( إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ) : يعنى

جنود الأحزاب : قريش ، وغطفان ، ويهود بني النضير ( فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ) وهي فيما ذكر :  
ريح الصبا .

كما حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، قال : قالت الجنوب  
للشمال ليلة الأحزاب : انطلقني ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت الشمال : إن الحرّة لا تسرى  
بالليل ، قال : فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا الزبير ، يعني ابن عبد الله ، قال : ثنا ربيع بن  
أبي سعيد ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ، قال : « قلنا يوم الخندق : يا رسول الله بلغت القلوب الحناجر ، فهل  
من شيء تقوله ؟ قال : نَعَمْ قُولُوا : اللَّهُمَّ اسْئِرْ عَوْرَاتِنَا ، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا ، فَضَرْبَ اللَّهِ وَجْوهَ  
أعدائِهِ بِالرَّيحِ ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ بِالرَّيحِ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا عبد الله بن عمرو ، عن نافع ، عن عبد الله ،  
قال : « أرسلني خالي عثمان بن مظعون ليلة الخندق في برد شديد وريح ، إلى المدينة ، فقال : اتنا بطعام ولحاف  
قال : فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأذن لي وقال : مَنْ لَقِيْتْ مِنْ أَصْحَابِي فَمُرَّهُمْ  
يَرْجِعُوا ، قال : فذهبت والريح تسني كل شيء ، فجعلت لأتني أحدا إلا أمرته بالرجوع إلى النبي صلى  
الله عليه وسلم ، قال : فما يَلْكُوي أحد منهم عنقه ، قال : وكان معي ترس لي ، فكانت الريح تضربه على ،  
وكان فيه حديد ، قال : فضربت به الريح حتى وقع بعض ذلك الحديد على كفي ، فأنفذها إلى الأرض » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة : قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب  
القرظي ، قال : قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وصحبتهم ؟ قال : نعم يا بن أخي ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نتجهّد ، قال الفتى : والله لو  
أدركناه ماتركناه يمشي على الأرض ، لحملناه على أعناقنا . قال حذيفة : يا بن أخي ، والله لقد رأيتنا مع رسول  
الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، وصلى رسول الله هويّا من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : من رجل يقوم فينظر  
لنا ما فعل القوم ؟ يشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يرجع أدخله الله الجنة ، فما قام أحد ، ثم صلى  
رسول الله صلى الله عليه وسلم هويّا من الليل ، ثم التفت إلينا فقال مثله ، فما قام منا رجل ، ثم صلى رسول  
الله صلى الله عليه وسلم هويّا من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَسْتَنْظِرُ لَنَا مَا فَعَلَ  
الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ ، يَشْتَرِطُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجْعَةَ ، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ  
يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ ، فما قام رجل من شدة الخوف ، وشدة الجوع ، وشدة البرد ، فلما لم يقم أحد ،  
دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لي بدّ من القيام حين دعاني ، فقال : يا حذيفة اذهب  
فادخل في القوم فانظروا ما يفعلون ، ولا تحذرتن شيئا حتى تأتينا ، قال : فذهبت فدخلت  
في القوم ، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تقير لهم قدرا ولا نارا ولا بناء ، فقام أبوسفيان فقال :  
يامعشر قريش ، لينظر امرؤ من جلسه . فقال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي ، فقلت :

(١) هويّا ، بهاء مفتوحة أو مضمومة ، ويااء مشددة ، وهو الساعة الممتدة من الليل (اللسان : هوى) .



من أنت ؟ فقال : أنا فلان بن فلان ، ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مُقام ، ولقد هلك الكُراع والخُف ، واختلفت بنه قريظة ، وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من هذه الريح ماترون ، والله ما يطمئن لنا قيدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإني مرتحل ، ثم قام إلى جملة وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن لا تُحدث شيئا حتى تأتيني ، لو شئت لقتلته بسهم ؛ قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى في مرط لبعض نسائه ؛ فلما رآنى أدخلنى بين رجله ، وطرح على طرف المرط ، ثم ركع وسجد وإني لفيه ؛ فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( إذ جاء تكلم جئود ) قال : الأحزاب : عيينة بن بدر ، وأبو سفيان ، وقريظة .

وقوله ( فأرسلنا عليهم ريحا ) قال : ربح الصبا أرسلت على الأحزاب يوم الخندق ، حتى كفأت قدورهم على أفواهها ، ونزعت فساطيطهم ، حتى أظعنهم . وقوله ( وجئودا لم تروها ) قال : الملائكة ولم تقابل يومئذ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ، إذ جاء تكلم جئود فأرسلنا عليهم ريحا وجئودا لم تروها ) قال : يعنى الملائكة ، قال : نزلت هذه الآية يوم الأحزاب ، وقد حصر رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا ، فخذق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل أبو سفيان بقريش ومن تبعه من الناس ، حتى نزلوا بعقوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل عيينة بن حصن ، أحد بني بدر ، ومن تبعه من الناس ، حتى نزلوا بعقوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكاتب اليهود أبى سفيان وظاهره ، فقال حيث يقول الله تعالى ( إذ جاء وكم من فوقيكم ومن أسفل منكم ) فبعث الله عليهم الرعب والريح ، فذكر لنا أنهم كانوا كلما أوقدوا نارا أطفأها الله ، حتى لقد ذكر لنا أن سيد كل حي يقول : يا بنى فلان هلم إلى ، حتى إذا اجتمعوا عنده فقال : النجاء ، النجاء أيتم ، لما بعث الله عليهم من الرعب .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ) . . . الآية ، قال : كان يوم أبى سفيان يوم الأحزاب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان ، فى قول الله ( يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ) إذ جاء تكلم جئود فأرسلنا عليهم ريحا وجئودا لم تروها ) والجنود قريش وغطفان وبنو قريظة ، وكانت الجنود التى أرسل الله عليهم مع الريح : الملائكة .

وقوله ( وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ) يقول تعالى ذكره : وكان الله بأعمالكم يومئذ ، وذلك صبرهم على ما كانوا فيه من الجهد والشدة ، وثباتهم لعدوهم ، وغير ذلك من أعمالهم ، بصيرا لا يخفى عليه من ذلك شيء ، يُحصيه عليهم ، ليجزيهم عليه .

## القول في تأويل قوله تعالى

إِذْ جَاءَ وَكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ، وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا (١٠) ، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ ، وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) ، وَإِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢)

يقول تعالى ذكره : وكان الله بما تعملون بصيرا ، إذ جاءكم جنود الأحزاب من فوقكم ، ومن أسفل منكم . وقيل : إن الذين أتوهم من أسفل منهم ، أبو سفيان في قريش ومن معه . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( إِذْ جَاءَ وَكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ ) قال عبيدة بن بلرا في أهل نجد ، ومن أسفل منكم ، قال : أبو سفيان . قال : وواجهتهم قريظة . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : ذكرت يوم الخندق وقرأت : ( إِذْ جَاءَ وَكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ) ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ) قالت : هو يوم الخندق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان مولى آل الزبير ، عن عروة بن الزبير ، وعن لاتهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك ، وعن الزهري ، وعن عاصم بن عمر ابن قتادة ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعن محمد بن كعب القرظي ، وعن غيرهم من علمائنا : أنه كان من حديث الخندق ، أن نفرًا من اليهود ، منهم سلام بن أبي الحقيق النضري ، وحبشي بن أخطب النضري ، وكنانة بن الربيع ابن أبي الحقيق النضري ، وهودبة بن قيس الوائلي ، وأبو عمار الوائلي ، في نفر من بني النضير ، ونفر من بني وائل ، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قدموا مكة على قريش ، فدعواهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه ، حتى نستأصله . فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفقد يننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه . قال : فهم الذين أنزل الله فيهم : ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ آتَوْا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَيْبَةِ

(١) نبيه إلى أبيه الأعلى . (٢) في بعض نسخ السيرة لابن إسحاق ، وكنانة بن أبي الحقيق ، وليس فيه ابن الربيع .

(٣) كذا في السيرة . (٣ : ٢٢٥) طبعة الحلبي . وفي الأصل : منهم .



وَالطَّاعُونَ ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ) . . . إلى قوله ( وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ) . فلما قالوا ذلك لقريش ، سرهم ما قالوا ، ونشيطوا لما دعوهم له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك ، واتعدوا له . ثم خرج أولئك النفر من اليهود ، حتى جاءوا غطفان من قبس عيلان ، فدعواهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا فيه ، فأجابوهم . فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدها عبيس بن حصن بن حذيفة بن بدر ، في بني فزارة ، والحارث ابن عوف بن أبي حارثة المُرِّي في بني مُرَّة ، وميسعمر بن رُحَيْلَة بن نُؤيرة بن طريف بن سُحمة بن عبد الله بن هلال بن خِلاوة بن أشجع بن رَيْث بن غطفان ، فيمن تابعه من قومه من أشجع . فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبما اجتمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة ؛ فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسياال من رومة ، بين الجُرُف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ، ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة ، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذي نَبَسَى إلى جانب أحد ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سَلْع ، في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عسكره ، والخندق بينه وبين القوم ، وأمر بالذَّرَارِي والنساء ، فرفعوا في الآطام ، وخرج عدو الله حُيَيُّ بن أخطب النَّصْرِي ، حتى أتى كعب بن أسد القُرْظِي ، صاحب عَقْدِ بَنِي قُرَيْظَةَ وعهدهم ، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه ، وعاهده على ذلك وعاقده ، فلما سمع كعب بحُيَيِّ بن أخطب ، أغلق دونه حصنه ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فناداه حُيَيُّ : يا كعب افتح لي ، قال : وَيَحْكُ يا حَيُّ ، إنك امرؤ مشوم ، إنى قد عاهدت محمدا ، فلست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا ؛ قال : وَيَحْكُ ، افتح لي أكلمك ، قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن أغلقت دوني إلا تخوفت على جشيشتك أن آكل معك منها ، فأحفظ الرجل ، ففتح له ، فقال : يا كعب جئتكَ بعزّ الدهر ، وبيحر طمّ ، جئتكَ بقريش على قاداتها وساداتها ، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسياال من رومة ، وبغطفان على قاداتها وساداتها ، حتى أنزلتهم بذي نَبَسَى إلى جانب أحد ، قد عاهدوني وعاهدوني ألا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه . فقال له كعب بن أسد : جئتني والله بذي الدهر ، ويجتهام قد هراق ماءه ، يبرعد ويسبرق ليس فيه شيء ، فدعني ومحمدا وما أنا عليه ، فلم أر من محمد إلا صيدا قاو وفاء ؛ فلم يزل حُيَيُّ بكعب يفتّله في الذرّوة والغارب ، حتى سمح له ، على أن أعطاهم عهدا من الله وميثاقا ؛ لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا ، أن أدخل معك في حصنك ، حتى يصيبني ما أصابك ، فنقض كعب بن أسد عهده ، وبرئ مما كان عليه ، فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، وإلى المسلمين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد ابن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس ، أحد بني الأشهل ، وهو يومئذ سيد الأوس ، وسعد بن عبادة بن ذيلم ، أخى بني ساعدة بن كعب بن الخزرج ، وهو يومئذ سيد الخزرج ، ومعهما عبد الله بن رَوَاحَة أخو بَلْعَازَرِث

(١) في السيرة (الجلبي ٣ : ٢٦) : فاجتمعوا معهم فيه ، وسقط منها قوله : فأجابوهم .

(٢) في السيرة (الجلبي ٣ : ٢٣٠) زغابة ، بزى مفتوحة ، وغين (وانظر السجيل ٢ : ١٨٩) .

ابن الخزرج، وحوّات بن جبّير أخو بني عمرو بن عوف، فقال: انطلقوا حتى تنظروا: أحقّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه، ولا تفتّوا في أعضاد الناس. وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم، فاجتهدوا به للناس، فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد. فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه، وكان رجلا فيه حدة، فقال له سعد بن معاذ: دع عنك مشاتمهم، فما بيننا وبينهم أربي من المشامة. ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسلموا عليه، ثم قالوا: عضّل والقارة. أي<sup>٢</sup> كغدر عضّل والقارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب الرجيع: حبّيب بن عدى وأصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين. وعظّم عند ذلك البلاء، واشتدّ الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم، ومن أسفل منهم، حتى ظنّ المسلمون كلّ ظنّ، ونجم النفاق من بعض المنافقين، حتى قال معتب بن قشّير، أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصّر، وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط، وحتى قال أوس بن قبيصة، أحد بني حارثة ابن الحارث: يا رسول الله<sup>٢</sup>، إن بيوتنا لعمورة من العدو، وذلك عن مائة من رجال قومه، فأذّن لنا فلنرجع إلى دارنا، وإنها خارجة من المدينة، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر، ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي بالنبل والحصار<sup>٣</sup>.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثنى يزيد بن رومان، قوله (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم) فالذين جاءوهم من فوقهم: قريظة، والذين جاءوهم من أسفل منهم: قريش وغطفان.

وقوله (وإذ زاغت الأبصار) يقول: وحين عدلت الأبصار عن مقرّها، وشخصت طامحة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وإذ زاغت الأبصار) : شخصت. وقوله (وبلغت القلوب الحناجير) يقول: نبت القلوب عن أماكنها من الرعب والخوف، فبلغت إلى الحناجر.

كما حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا سويد بن عمرو، عن حماد بن زيد، عن أيوب، عن عكرمة: (وبلغت القلوب الحناجير) قال: من الفرع.

وقوله (وتظنون بالله الظنونا) يقول: وتظنون بالله الظنون الكاذبة، وذلك كظن من ظن منهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغلب، وأن ما وعده الله من النصر أن لا يكون، ونحو ذلك من ظنونهم الكاذبة التي ظنوا من ظن، ممن كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره.

حدثنا بشر، قال: ثنا هودّ بن خليفة، قال: ثنا عوف، عن الحسن (وتظنون بالله الظنونا)

(١) في إحدى نسخ السيرة (الجلي ٣: ٢٣٣): فيما نالوا... الخ.

(٢) كذا في السيرة (الجلي ٣: ٢٣٣). وفي الأصل بدون أي.

(٣) في بعض المراجع: والحصا. وكتبها بالألف.



قال : ظنونا مختلفة : ظن المنافقون أن محمدا وأصحابه يُسْتَمْتَأُ صَلَوَاتُكُمْ ، وأيقن المؤمنون أن ما وعدهم الله حق ، أنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون .  
واختلفت القراء في قراءة قوله ( وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة ، وبعض الكوفيين ( الظُّنُونَا ) بإثبات الألف ، وكذلك ( وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ، فَأَصَلَّوْنَا السَّبِيلَا ) في الوصل والوقف . وكان اعتلال المعتل في ذلك لهم ، أن ذلك في كل مصاحف المسلمين بإثبات الألف في هذه الأحرف كلها . وكان بعض قراء الكوفة يثبت الألف فيهن في الوقف . ويحذفها في الوصل ، اعتلالا بأن العرب تفعل ذلك في قوافي الشعر ومصاريعها . فتلحق الألف في موضع الفتح للوقوف . ولا تفعل ذلك في حَشْوِ الأبيات ، فإن هذه الأحرف . حَسَّنَ فيها إثبات الألفات ، لأنهن رءوس الآى ، تمثيلا لها بالقوافي . وقرأ ذلك بعض قراء البصرة والكوفة بحذف الألف من جميعه ، في الوقف والوصل ، اعتلالا بأن ذلك غير موجود في كلام العرب ، إلا في قوافي الشعر ، دون غيرها من كلامهم ، وأنها إنما تفعل ذلك في القوافي ، طلبا لإتمام وزن الشعر ، إذ لو لم تفعل ذلك فيها لم يتصح الشعر . وليس ذلك كذلك في القرآن ، لأنه لا شيء يضطرهم إلى ذلك في القرآن ، وقالوا : هن مع ذلك في مصحف عبد الله ، بغير ألف .  
وأولى القراءات في ذلك عندى بالصواب : قراءة من قرأه بحذف الألف في الوصل والوقف . لأن ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب ، مع شهرة القراءة بذلك في قراء المصيرين : الكوفة ، والبصرة ، ثم القراءة بإثبات الألف فيهن ، في حالة الوقف والوصل . لأن علة من أثبت ذلك في حال الوقف ، أنه كذلك في خطوط مصاحف المسلمين . وإذا كانت العلة في إثبات الألف في بعض الأحوال ، كونه مثبتا في مصاحف المسلمين ، فالواجب أن تكون القراءة في كل الأحوال ثابتة . لأنه مثبت في مصاحفهم . وغير جائز أن تكون العلة التي توجب قراءة ذلك على وجه من الوجوه في بعض الأحوال ، موجودة في حال أخرى ، والقراءة مختلفة ، وليس ذلك لقوافي الشعر بنظير ، لأن قوافي الشعر إنما تلحق فيها الألفات في مواضع الفتح ، والياء في مواضع الكسر ، والواو في مواضع الضم ، طلبا لتتمة الوزن . وأن ذلك لو لم يفعل كذلك ، بطل أن يكون شعرا ، لاستحالة عن وزنه ، ولا شيء يضطر تألى القرآن إلى فعل ذلك في القرآن .  
وقوله ( هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ ) يقول : عند ذلك اختبر إيمان المؤمنين ، ومحص القوم ، وعرف المؤمن من المنافق .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ ) قال : محصوا .  
وقوله ( وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ) يقول : وحسرتكوا بالفتنة تحريكا شديدا ، وابتلوا وفتنوا .

وقوله (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) : شَكَّ فِي الْإِيمَانِ ، وَضَعَفَ فِي اعْتِقَادِهِمْ إِيَّاهُ : مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ، وَذَلِكَ فِيهَا ذِكْرُ قَوْلِ مُعْتَبِّ بْنِ قُشَيْرٍ .  
وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنا يزيد بن رومان (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) : مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ) يَقُولُ : مُعْتَبِّ بْنِ قُشَيْرٍ ، إِذْ قَالَ مَا قَالَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) قال : تَكَلَّمْتَهُمْ بِالْتِمَاقِ يَوْمَئِذٍ ، وَتَكَلَّمْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحَقِّ وَالْإِيمَانَ ، قَالُوا : هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ .

حَدَّثَنَا بَشِيرٌ ، قَالَ : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) : مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ) قال : قال ذلك أناس من المنافقين : قد كان محمد يعدنا فتح فارس والروم ، وقد حُصِرْنَا هَاهُنَا ، حَتَّى مَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُنَا أَنْ يَبْرُزَ لِحَاجَتِهِ ، مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قال ابن زيد ، قال : قال رجل يوم الأحزاب لرجل من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم : يَا فُلَانُ أَرَأَيْتَ إِذْ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ ، وَإِذَا هَلَكَ كَيْسَرِي فَلَا كَيْسَرِي بَعْدَهُ » ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَسْتَفْتِنَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ . فَأَيْنَ هَذَا مِنْ هَذَا ، وَأَحَدُنَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْرُجَ يَبُولُ مِنَ الْخَوْفِ ؟

( مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ) . فَقَالَ لَهُ : كَذَبْتَ ، لِأَخْبِيرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرِكَ ، قَالَ : فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ ، فَدَعَاهُ فَقَالَ : مَا قُلْتَ ؟ فَقَالَ : كَذَبَ عَلَى

يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا قُلْتُ شَيْئًا ، مَا خَرَجَ هَذَا مِنْ فِي قَطٍ ، قَالَ اللَّهُ : ( يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ) . . . حَتَّى بَلَغَ ( وَمَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ) قال : فهذا قول الله : ( إِنْ نَعَفُ عَنْكَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ نَعَدَّ بِطَائِفَةٍ ) .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا محمد بن خالد بن عثمة ، قال : ثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، قال : « خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَنْدَقَ عَامَ ذِكْرِتِ الْأَحْزَابِ ، مِنْ أَمْرِ الشَّيْخِينَ ، طَرَفَ بَنِي حَارِثَةَ ، حَتَّى بَلَغَ الْمَدَّادَ ، ثُمَّ جَعَلَ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا بَيْنَ كُلِّ عَشْرَةٍ ، فَاخْتَلَفَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ فِي سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ، وَكَانَ رَجُلًا قَوِيًّا ، فَقَالَ الْأَنْصَارُ : سَلْمَانُ مِنَّا ، وَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ :

سَلْمَانُ مِنَّا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَلْمَانٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ » . قَالَ عَمْرُو بْنُ عَوْفٍ : فَكُنْتُ أَنَا وَسَلْمَانٌ وَحَدَيْفَةُ بْنُ إِيْمَانَ وَالنُّعْمَانُ بْنُ مُقْبِرٍ الْمُزَنِيُّ ، وَسِتَّةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فِي أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا ، فَحَفَرْنَا

(١) فِي الْمَوَاحِبِ اللَّدْنِيَّةِ بِشَرْحِ الزُّرْقَانِيِّ ٢ : ١٠٢ رَوَى الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدٍ لِأَبَسَ بِهِ عَنْ عَمْرُو بْنِ عَوْفِ الْمَزَنِيِّ ، أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَّ الْخَنْدَقَ مِنْ أَمْرِ الشَّيْخِينَ . . . وَهِيَ أَطْلَانُ طَرَفِ بَنِي حَارِثَةَ ، حَتَّى بَلَغَ الْمَدَّادَ . . .



تحت دوبار حتى بلغنا الصرى<sup>١</sup>، أخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مروية<sup>٢</sup>، فكسرت حديدنا، وشققت علينا، فقلنا: يا سلمان، ارق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره خبر هذه الصخرة، فلما أن نعدل عنها، فإن المعدل قريب، وإما أن يأمرنا فيها بأمره، فلنا لانبج أن نجاوز خطه. فرقى سلمان حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية، فقال: يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا، خرجت صخرة بيضاء من بطن الخندق، مروية، فكسرت حديدنا، وشققت علينا، حتى ما يجيء منها قليل ولا كثير، فرنا فيها بأمرك، فلنا لانبج أن نجاوز خطك. فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان في الخندق، ورقبنا نحن التسعة على شفة الخندق، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول من سلمان، فضرب الصخرة ضربة صدعها، وبرقت منها برقة أضاعت ما بين لابتها، يعنى: لابتى المدينة، حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح، وكبر المسلمون. ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية، فصدعها وبرقت منها برقة أضاعت ما بين لابتها، حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح، وكبر المسلمون، ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة، فكسرها، وبرقت منها برقة أضاعت ما بين لابتها، حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح، ثم أخذ بيد سلمان فرقى، فقال سلمان: بأبى أنت وأمى يا رسول الله، لقد رأيت شيئا ما رأيت قط، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القوم، فقال: «هل رأيتم ما يقول سلمان؟» قالوا نعم يا رسول الله، بأبينا أنت وأمنا؟ قد رأيناك تضرب، فيخرج برق كال موج، فرأيناك تكبر فنكبر، ولا نرى شيئا غير ذلك، قال «صدقتم ضربت ضربتى الأولى، فبرق الذى رأيتم، أضاعت لى منه قصور الحيرة ومدائن كسرى، كأنها أنياب الكلاب، فأخبرنى جبرائيل عليه السلام أن أمتى ظاهرة عسيها، ثم ضربت ضربتى الثانية، فبرق الذى رأيتم، أضاعت لى منه قصور الحمر من أرض الروم، كأنها أنياب الكلاب، وأخبرنى جبرائيل عليه السلام أن أمتى ظاهرة عسيها، ثم ضربت ضربتى الثالثة، وبرق منها الذى رأيتم، أضاعت لى منها قصور صنعاء، كأنها أنياب الكلاب، وأخبرنى جبرائيل عليه السلام أن أمتى ظاهرة عسيها، فأبشروا، يبلغهم النصر، وأبشروا، يبلغهم النصر، وأن وعدنا النصر بعد الحصر، فطبقت الأحزاب، فقال المسلمون (هدا ما وعدنا الله ورسوله) . . . الآية، وقال المنافقون: ألا تعجبون؟ يُخدثكم ويمنكم ويعدكم الباطل، يُخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم، وأنتم تحفرون الخندق من الفسق، ولا تستطيعون أن تسبرزوا؟ وأنزل القرآن: (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا).

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ، فَارْجِعُوا، وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ،

(١) هكذا جاءت هذه العبارة، ولعلها محرفة. و «دوبار»: لفظة فارسية، معناها: مرتين. وقوله حتى بلغنا: لعلها: حتى

إذا بلغنا. (٢) فى بعض المراجع: مدورة. والصرى: الماء.

يَقُولُونَ، إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ، وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣)، وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ  
أَفْطَارِهَا، ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا، وَمَا تَلْبَثُوا بِهَا إِلَّا سِيرًا (١٤)

يعني تعالى ذكره بقوله ( وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ) : وإذ قال بعضهم : يا أهل يثرب . ويثرب : اسم أرض ، فيقال : إن مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناحية من يثرب . وقوله ( لَامُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ) : بفتح الميم من مُقَام يقول : لا مكان لكم ، تقومون فيه ، كما قال الشاعر :

فَأَتَى مَا وَأَيْتِكَ كَانَ شَرًّا فَقَيْدَ إِلَى الْمَقَامَةِ لَا يَرَاهَا

قوله ( فَارْجِعُوا ) يقول : فارجعوا إلى منازلكم . أمرهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والفرار منه ، وترك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : إن ذلك من قبل أوس بن قَيْظِيٍّ ومن وافقه على رأيه .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثني يزيد ، بن رومان ( وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ ) . . . إلى ( فِرَارًا ) يقول : أوس بن قَيْظِيٍّ ، ومن كان على ذلك من رأيه من قومه : والقراءة على فتح الميم من قوله ( لَامُقَامَ لَكُمْ ) بمعنى : لا موضع قيام لكم ، وهي القراءة التي لا أستجيز القراءة بخلافها ، لإجماع الحجة من القراء عليها . وذكر عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ ، أنه قرأ ذلك ( لَامُقَامَ لَكُمْ ) بضم الميم ، يعني : لا إقامة لكم .

وقوله ( وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ ) ، يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ، وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ) يقول تعالى ذكره : ويستأذن بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإذن بالانصراف عنه إلى منزله ، ولكنه يريد القبر والهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ ) . . . إلى قوله ( إِلَّا فِرَارًا ) قال : هم بنو حارثة ، قالوا : بيوتنا مُخْلِيةٌ ، نخشى عليها السَّرْقَ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) البيت لعباس بن مرداس ، وقد سبق الاستشهاد به في ( ٢٠ : ٦٦ ) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( الورقة ١٩٣ - ب ) : هند تفسير قوله تعالى « لامقام لكم » : مفتوحة الأول . ومجازها : لا مكان لكم تقومون فيه . ومنه : قوله « نلني ما أريك كان شرا » . . . البيت .



قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( **إِنَّ بَيْتُوتَنَا عَوْرَةٌ** ) قال : نخشى عليها السرقة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( **وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بَيْتُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ** ) ، وإنما مما يلى العدو ، وإنما نخاف عليها السرقة ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا يجد بها عدوا ، قال الله : ( **إِنْ يَرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا** ) يقول : إنما كان قولهم ذلك ( **إِنَّ بَيْتُوتَنَا عَوْرَةٌ** ) إنما كان يريدون بذلك الفرار .

حدثنا محمد بن سنان القزّاز ، قال : ثنا عبيد الله بن حمران ، قال : ثنا عبد السلام بن شدّاد أبو طالوت ، عن أبيه ، فى هذه الآية ( **إِنَّ بَيْتُوتَنَا عَوْرَةٌ** ، **وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ** ) قال : ضائعة .

وقوله ( **وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا** ) يقول : ولودخلت المدينة على هؤلاء القائلين ( **إِنَّ بَيْتُوتَنَا عَوْرَةٌ** ) من أقطارها ، يعنى : من جوانبها ونواحيها ، واحدها : قَطْرٌ ، وفيها لغة أخرى : قُسْتِرٌ ، وأقطار : ومنه قول الراجز :

إِنْ شِئْتَ أَنْ تَدَهْنَ أَوْ تَمُورًا فَوَلَّهِنَّ قُسْتَرَكَ الْأَشْرَاءِ

وقوله ( **ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ** ) يقول : ثم سألوا الرجوع من الإيمان إلى الشرك ( **لَا تَوْهَا** ) يقول : لفعلوا ورجعوا عن الإسلام ، وأشركوا . وقوله ( **وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا بَسِيرًا** ) يقول : وما احتبسوا عن إجابتهم إلى الشرك إلا يسيرا : قليلا ، ولأسرعوا إلى ذلك .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( **وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا** ) : أى لو دُخِلَ عليهم من نواحي المدينة ( **ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ** ) : أى الشرك ( **لَا تَوْهَا** ) يقول : لآعطوها ، ( **وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا بَسِيرًا** ) يقول : إلا أعطوه طيبة به أنفسهم ، ما يحتبسونه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( **وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا** ) يقول : لو دُخِلت المدينة عليهم من نواحيها ( **ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآ تَوْهَا** ) سألوا أن يكفروا لكفروا ، قال : وهؤلاء المنافقون لو دُخِلت عليهم الجيوش ، والذين يريدون قتالهم ، ثم سألوا أن يكفروا لكفروا ، قال : والفتنة : الكفر ، وهى التى يقول الله : ( **الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ** ) : أى الكفر . يقول : يحملهم الخوف منهم ، وخبثت الفتنة التى هم عليها من النفاق ، على أن يكفروا به .

واختلفت القراء فى قراءة قوله ( **لَآ تَوْهَا** ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة ، وبعض قراء مكة : ( **لَآ تَوْهَا** )

(١) البيتان من مشطور الرجز . ولم أقف على قائلهما . والشاهد فيما فى قوله « قترك » بضم فسكون ، بمعنى القطر ، وهو الجانب والناحية . قال أبو عبيدة : « من أقطارها » أى من جوانبها ونواحيها . وواحدها : قطر ، وفى « اللسان » : قطر « القتر » بضم فسكون ، و ( القتر ) بضمين : الناحية والجانب . لغة فى القطر . وهى الأقطار . اهـ . وفى ( اللسان : قطر ) : وفى التنازل « من أقطار السموات والأرض » : أقطارها : نواحيها ، واحدها : قطر ، وكذلك أقطارها ، واحدها : قتر . اهـ .

بقصر الألف ، بمعنى جاءوها . وقرأه بعض المكيين ، وعامة قرآء الكوفة والبصرة : ( لَأَتَوْهَا ) بمدّ الألف ، بمعنى : لَأَعْطَوْهَا ، لقوله : ثم سئلوا الفتنه ، وقالوا : إذا كان سؤال كان إعطاء ، والمدّ أعجب القراءتين إلى ، لما ذكرت ، وإن كانت الأخرى جائزة .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْتُوا الْآدْبَارَ ، وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥)

يقول تعالى ذكره : ولقد كان هؤلاء الذين يستأذنون رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانصراف عنه ، ويقولون : إن بيوتنا عورة ، عاهدوا الله من قبل ذلك ، أن لا يولوا عدوهم الأدبار ، إن لقوهم في مشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ، فما أوفوا بعهدهم ( وكان عهد الله مسئولا ) يقول : فيسأل الله ذلك من أعطاه إياه من نفسه .

وذكر أن ذلك نزل في بني حارثة ، لما كان من فعلهم في الخندق ، بعد الذي كان منهم بأحد .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان ( ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يؤتوا الأدبار ، وكان عهد الله مسئولا ) وهم بنو حارثة ، وهم الذين هموا أن يقتلوا يوم أحد مع بني سلمة ، حين هتم بالفشل يوم أحد ، ثم عاهدوا الله لا يعودون لمثلها ، فذكر الله لهم الذي أعطوه من أنفسهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يؤتوا الأدبار ، وكان عهد الله مسئولا ) قال : كان ناس غابوا عن وقعة بدر ، ورأوا ما أعطى الله أصحاب بدر من الكرامة والفضيلة ، فقالوا : لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن ، فساق الله ذلك إليهم ، حتى كان في ناحية المدينة .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ، وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ، وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧)

يقول تعالى ذكره لئيبه محمد صلى الله عليه وسلم : ( قل ) يا محمد هؤلاء الذين يستأذنونك في الانصراف عنك ، ويقولون : إن بيوتنا عورة : ( لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ) يقول : لأن ذلك ، أو ما كتب الله منهما ، واصل إليكم بكل حال ، كرهتم أو أحببتم . ( وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ) :



يقول : وإذا فررتم من الموت أو القتل لم يزد فراركم ذلك في أعماركم وآجالكم . بل إنما تمتعون في هذه الدنيا إلى الوقت الذى كُتِبَ لكم ، ثم يأتيكم ما كُتِبَ لكم وعليكم .  
وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ قَرَرْتُمْ مِنْ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ، وَإِذَا لَمْ تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ) وإنما الدنيا كلها قليل .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبي رَزِين ، عن ربيع بن خَيْثَم ( وَإِذَا لَمْ تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ) قال : إلى آجالهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن أبي رَزِين ، عن ربيع ابن خَيْثَم ( وَإِذَا لَمْ تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ) قال : ما بينهم وبين الأجل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن الأعمش ، عن أبي رَزِين ، عن الربيع بن خَيْثَم مثله ، إلا أنه قال : ما بينهم وبين آجالهم .

حدثنا ابن المنثى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن أبي رَزِين ، أنه قال في هذه الآية : ( فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا ، وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ) قال : ليضحكوا في الدنيا قليلا ، ولْيَبْكُوا في النار كثيرا . وقال في هذه الآية ( وَإِذَا لَمْ تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ) قال : إلى آجالهم . أحد هذين الحديثين رفعه إلى ربيع بن خَيْثَم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبي ، عن الأعمش ، عن أبي رَزِين ، عن الربيع بن خَيْثَم ( وَإِذَا لَمْ تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ) قال : الأجل ، ورفع قوله ( تَمْتَعُونَ ) ولم ينصب بإذن ، للواو التى معها ، وذلك أنه إذا كان قبلها واو ، كان معنى « إذن » التأخير بعد الفعل ، كأنه قيل : ولو فرّوا لا يمتعون إلا قليلا إذن ، وقد يُنصب بها أحيانا وإن كان معها واو ، لأن الفعل مترك ، فكأنها لأوّل الكلام .

وقوله ( قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ) : يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء الذين يستأذنونك ويقولون : إن بيوتنا عورة ، هربا من القتل : من ذا الذى يمنعكم من الله إن هو أراد بكم سُوءا في أنفسكم ، من قتل أو بلاء أو غير ذلك ، أو عافية وسلامة ؟ وهل ما يكون بكم في أنفسكم من سُوء أو رحمة ، إلا من قبّله ؟

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان ( قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ؟ ) : أى أنه ليس الأمر إلا ما قضيت .  
وقوله ( وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ) : يقول تعالى ذكره : ولا يجد هؤلاء المنافقون إن أراد الله بهم سُوءا في أنفسهم وأموالهم ، من دون الله وليا يليهم بالكفاية ، ولا نصيرا ينصرهم من الله ، فيدفع عنهم ما أراد الله بهم من سُوء في ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٨)  
 أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ، فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ، كَالَّذِي يُغْشِي عَلَيْهِ مِنَ  
 الْمَوْتِ، فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ، أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ، أَوْلَعَتْكُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا، فَأَحْبَطَ  
 اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩)

يقول تعالى ذكره: قد يعلم الله الذين يعوقون الناس منكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيصدونهم عنه، وعن شهود الحرب معه، نيفاقا منهم، واتخاذيلا عن الإسلام وأهله (والقائلين لإخوانهم: هللم إلينا): أي تعالوا إلينا، ودعوا محمدا، فلا تشهدوا معه مشهدة، فإننا نخاف عليكم الملاك بهلاكه. (ولا يأتون البأس إلا قليلا) يقول: ولا يشهدون الحرب والقتال إن شهدوا، إلا تعذيرا، ودفعاً عن أنفسهم المؤمنين.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم) قال: هؤلاء ناس من المنافقين، كانوا يقولون لإخوانهم: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس، ولو كانوا لحما لاتهمهم أبوسفیان وأصحابه، دعوا هذا الرجل فإنه هالك.

وقوله (ولا يأتون البأس إلا قليلا): أي لا يشهدون القتال، يغيبون عنه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثنا يزيد بن رومان (قد يعلم الله المعوقين منكم): أي أهل النفاق (والقائلين لإخوانهم هللم إلينا، ولا يأتون البأس إلا قليلا): أي إلا دفعاً وتعذيراً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (قد يعلم الله المعوقين منكم)، والقائلين لإخوانهم) . . . إلى آخر الآية، قال: هذا يوم الأحزاب. «انصرف رجل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد أخاه بين يديه شواء ورغيف ونبيد، فقال له: أنت هاهنا في الشواء والرغيف والنبيد، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرماح والسيوف؟ فقال: هللم إلى هذا. فقد بلغ بك وبصاحبك، والذي يحلف به لا يستقبلها محمد أبدا، فقال: كذبت والذي يحلف به؛ قال: وكان أخاه من أبيه وأمه، أما والله لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم أمرك؛ قال: وذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره؛ قال: فوجده قد نزل جبرائيل عليه السلام بخبره: (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هللم إلينا، ولا يأتون البأس إلا قليلا)».

(١) كذا في الأصل، وفي الدر المنثور للسيوطي: لا يستق لها.



وقوله (أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمْ) اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى وصف الله به هؤلاء المنافقين، فى هذا الموضوع من الشح، فقال بعضهم: وصفهم بالشح عليهم فى الغنيمة.

ذكر من قال ذلك

حدثنى بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمْ) فى الغنيمة.

وقال آخرون: بل وصفهم بالشح عليهم بالخير.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن،

قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمْ) قال: بالخير، المنافقون، وقال غيره: معناه: أشحة عليكم بالنفقة على ضعفاء المؤمنين منكم.

والصواب من القول فى ذلك عندى: أن يقال: إن الله وصف هؤلاء المنافقين بالحبس والشح، ولم يخص وصفهم من معانى الشح، بمعنى دون معنى، فهم كما وصفهم الله به أشحة على المؤمنين بالغنيمة والخير والنفقة فى سبيل الله، على أهل مسكنة المسلمين. ونصب قوله (أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمْ) على الحال من ذكر الاسم الذى فى قوله (وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ): كأنه قيل: هم جنباء عند البأس، أشحاء عند قسم الغنيمة، بالغنيمة. وقد يحتمل أن يكون قطعاً من قوله (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ) فىكون تأويله: قد يعلم الله الذين يعوقون الناس عن القتال، ويشحون عند الفتح بالغنيمة. ويجوز أن يكون أيضاً قطعاً من قوله: هلم إلينا أشحة، وهم هكذا أشحة. ووصفهم جل ثناؤه بما وصفهم من الشح على المؤمنين، لما فى أنفسهم لهم من العداوة والضغن.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثنا يزيد بن رومان (أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمْ) أى للضعف الذى فى أنفسهم.

وقوله (فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ) . . . إلى قوله (مِنَ الْمَوْتِ) يقول تعالى ذكره: فإذا حضر البأس، وجاء القتال، خافوا الهلاك والقتل، رأيتهم يا محمد ينظرون إليك ليوأذا بك، تدور أعينهم، خوفاً من القتل، وفراراً منه. (كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ): يقول: كدوران عين الذى يغشى عليه من الموت النازل به (فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ) يقول: فإذا انقطعت الحرب واطمأنوا (سَلَقْتُمْ بِالْحَدِيدِ). وينحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ) من الخوف.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثنا يزيد بن رومان (فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ، كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ): أى إعظاماً وقرقاً منه.

وأما قوله (سَلَقُواكُمْ بِالْسِّنَةِ حِدَادٍ) . فإنه يقول : عَضُّوكم بِالسِّنَةِ ذَرِبَةً . ويقال للرجل الخطيب الذَّرِبُ اللسان : خطيب مِسْلَقٌ ومِصْلَقٌ ، وخطيب سَلَّاقٌ وصَلَّاقٌ .  
وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف تعالى ذكره هؤلاء المنافقين أنهم يَسْلُقُونَ المؤمنين به ، فقال بعضهم : ذلك سَلَقُهُمْ إِيَّاهُمْ عند الغنيمة ، بمسألهم القَسَمَ لهم .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَإِذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُواكُمْ بِالْسِّنَةِ حِدَادٍ) أما عند الغنيمة ، فأشح قوم ، وأسوأ مَقَاتِمَةً ، أعطونا أعطونا ، فإننا قد شهدنا معكم . وأما عند البأس فأجبن قوم ، وأخذله للحق .  
وقال آخرون : بل ذلك سَلَقُهُمْ إِيَّاهُمْ بالأذى .  
ذكر ذلك عن ابن عباس

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (سَلَقُواكُمْ بِالْسِّنَةِ حِدَادٍ) قال : استقبلوكم .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (سَلَقُواكُمْ بِالْسِّنَةِ حِدَادٍ) قال : ككلموكم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم يَسْلُقُونَهُمْ من القول بما تُحِبُّون ، نفاقاً منهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثني يزيد بن رومان (فَإِذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُواكُمْ بِالْسِّنَةِ حِدَادٍ) في القول بما تُحِبُّون . لأنهم لا يرجون آخرة ، ولا تحملهم حِسْبَةٌ ، فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده .

وأشبه هذه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر التنزيل : قول من قال (سَلَقُواكُمْ بِالْسِّنَةِ حِدَادٍ) أشحّةً عَلَى الخَيْرِ ( فأخبر أن سَلَقَهُمْ المسلمون شحّاً منهم على الغنيمة والخير ، فعلوم إذ كان ذلك كذلك ، أن ذلك لطلب الغنيمة . وإذا كان ذلك منهم لطلب الغنيمة ، دخل في ذلك قول من قال : معنى ذلك : سَلَقُواكُمْ بالأذى ، لأن فعلهم ذلك كذلك ، لاشكّ أنه للمؤمنين أذى .

وقوله (أَشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ) يقول : أشحّة على الغنيمة ، إذا ظفر المؤمنون . وقوله (لَمْ يُؤْمِسُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ) : يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفت لك صفتهم في هذه الآيات ، لم يصدّقوا الله ورسوله ، ولكنهم أهل كفر ونفاق ، فأحبط الله أعمالهم ، يقول : فأذهب الله أجور أعمالهم وأبطالها .  
وذكر أن الذي وُصِفَ بهذه الصفة كان بتدريماً ، فأحبط الله عمله .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ) ،



وكان ذلك على الله يسيراً) قال : فحدثني أبى أنه كان بدرياً ، وأن قوله (أحبب الله أعمالهم) : أحبب الله عمله يوم بدر .

وقوله (وكان ذلك على الله يسيراً) يقول تعالى ذكره : وكان إحباط عملهم الذى كانوا يعملوا قبل ارتدادهم ونفاقهم ، على الله يسيراً .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ، وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوْا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ ، يَسْأَلُونَ عَنَ أَنْبَاءِكُمْ ، وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (٢٠)

يقول تعالى ذكره : يحسب هؤلاء المنافقون الأحزاب ، وهم قريش وغطفان .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنا يزيد بن رومان : (يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا) : قريش وغطفان .

وقوله (لَمْ يَذْهَبُوا) يقول : لم ينصرفوا ، وإن كانوا قد انصرفوا جُبُنَا وهلكاً منهم .

وينحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا) : قال : يحسبونهم قريباً .

وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ قَدْ ذَهَبُوا ، فإِذَا وَجِدُوهُمْ لَمْ يَذْهَبُوا ، وَدَّوْا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ) .

وقوله (وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوْا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ) يقول تعالى ذكره : وإن يأت المؤمنين الأحزاب وهم الجماعة واحدهم حزب . (يَوَدُّوْا) يقول : يتمنوا من الخوف والجبن أنهم غيب عنكم فى البادية مع الأعراب ، خوفاً من القتل . وذلك أن قوله : (لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ) تقول : قد بدا فلان : إذا صار فى البدو ، فهو يبدو ، وهو باد ؛ وأما الأعراب : فإنهم جمع أعرابي ، وواحد العرب : عربى ، وإنما قيل أعرابي لأهل البدو ، فترقاً بين أهل البوادي والأمصار ، فجعل الأعراب لأهل البادية ، والعرب لأهل المصر .

وقوله (يَسْأَلُونَ عَنَ أَنْبَاءِكُمْ) يقول : يستخبر هؤلاء المنافقون ، أيها المؤمنون ، الناس عن أنباءكم يعنى عن أخباركم بالبادية : هل هلك محمد وأصحابه ؟ نقول : يتمنون أن يسمعوا أخباركم بهلاككم ، أن لا يشهدوا معكم مشاهدكم . (وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا) : يقول تعالى ذكره للمؤمنين : ولو

كانوا أيضا فيكم ما نفعوكم ، وما قاتلوا المشركين إلا قليلا : يقول : إلا تعذيرا ، لأنهم لا يقاتلونهم حِسْبَةَ ولا رجاء ثواب .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ ) قال : أخباركم . وقرأت قرآء الأمصار جميعا سوى عاصم الجحدري : ( يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ ) بمعنى : يسألون من قدم عليهم من الناس ، عن أبناء عسكركم وأخباركم ، وذكر عن عاصم الجحدري ، أنه كان يقرأ ذلك ( يَسْأَلُونَ ) بتشديد السين ، بمعنى : يتساءلون : أي يسأل بعضهم بعضا عن ذلك .  
والصواب من القول في ذلك عندنا : ما عليه قرآء الأمصار ، لإجماع الحجة من القرآء عليه .

القول في تأويل قوله تعالى

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ، وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ ، قَالُوا : هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ . وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢)

اختلفت القرآء في قراءة قوله ( أُسْوَةٌ ) : فقرأ ذلك عامة قرآء الأمصار ( لِإِسْوَةٍ ) بكسر الألف ، خلا عاصم بن أبي النجود ، فإنه قرأه بالضم ( أُسْوَةٌ ) ، وكان يحيى بن وثَّاب يقرأ هذه بالكسر ، ويقرأ قوله ( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ ) بالضم ، وهما لغتان . وذكر أن الكسر في أهل الحجاز ، والضم في قيس ، يقولون : أسوة ، وأخوة . وهذا عتاب من الله للمتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعسكره بالمدينة ، من المؤمنين به ، يقول لهم جل ثناؤه : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، أن تتأسوا به ، وتكونوا معه حيث كان ، ولا تتخلفوا عنه ( لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ ) يقول : فإن من يرجو ثواب الله ورحمته في الآخرة ، لا يرغب بنفسه ، ولكنه تكون له به أسوة في أن يكون معه حيث يكون هو .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثني يزيد بن رومان ، قال : ثم أقبل على المؤمنين ، فقال ( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ) ألا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، ولا عن مكان هو به ( وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ) يقول : وأكثر ذكر الله في الخوف والشدّة والرخاء .



وقوله (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ) يقول: ولما عاين المؤمنون بالله ورسوله جماعات الكفار، قالوا تسليماً منهم لأمر الله، وإيقاناً منهم بأن ذلك إنجاز وعده لهم، الذى وعدهم بقوله (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ) . . . إلى قوله (قَرِيبٌ): هذا ما وَعَدَنَا اللهُ ورسوله، وصدق الله ورسوله، فأحسن الله عليهم بذلك من يقينهم، وتسليمهم لأمره الثناء، فقال: وما زادهم اجتماع الأحزاب عليهم إلا إيماناً بالله، وتسليماً لقضائه وأمره، ورزقهم به النصر، والظفر على الأعداء. . . . وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ) . . . الآية قال: ذلك أن الله قال لهم فى سورة البقرة (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ) . . . إلى قوله (إِنْ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ) قال: فلما مسَّهم البلاء حيث رابطوا الأحزاب فى الخندق، تأول المؤمنون ذلك، ولم يزدهم ذلك إلا إيماناً وتسليماً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثنى يزيد بن رومان، قال: ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء، يخبرهم به: (قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ، وَوَصَدَّقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا): أى صبراً على البلاء، وتسليماً للقضاء، وتصديقاً بتحقيق ما كان الله وعدهم ورسوله:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ، وَوَصَدَّقَ اللهُ وَرَسُولُهُ) وكان الله قد وعدهم فى سورة البقرة، فقال: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ، مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا، حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) خيرهم وأصبرهم وأعلمهم بالله (مَسَى نَصْرُ اللهِ، أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ). هذا والله البلاء والنقص الشديد. وإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأوا ما أصابهم من الشدة والبلاء (قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ، وَوَصَدَّقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا) وتصديقاً بما وعدهم الله، وتسليماً لقضاء الله.

القول فى تأويل قوله تعالى

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهُ عَلَيْهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ، وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣)، لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ، وَيُعَذِّبَ الْمُنْفِقِينَ، إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، إِنْ اللهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٤)

يقول تعالى ذكره (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) بالله ورسوله (رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) : يقول : أوفوا بما عاهدوه عليه ، من الصبر على البأساء والضراء وحين البأس (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) : يقول : فمنهم من فرغ من العمل الذي كان نذره الله ، وأوجه له على نفسه ، فاستشهد بعض يوم بدر ، وبعض يوم أحد ، وبعض في غير ذلك من المواطن . (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) قضاءه والفراغ منه ، كما قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهده ، والنصر من الله ، والظفر على عدوه . والنَّحْبُ : النذر في كلام العرب . وللنَّحْبِ أيضا في كلامهم وجوه غير ذلك ، منها الموت ، كما قال الشاعر :

قَضَى نَحْبَهُ فِي مُلْتَقَى الْقَوْمِ هَوْبَرُ ١

يعنى : منيته ونفسه ؛ ومنها الخطر العظيم ، كما قال جرير :

بِطَخْفَةِ جَالِدِنا الْمُلُوكَ وَخَيْلِنا عَشِيَّةَ بَسْطَامِ جَرِيرِينَ عَلَى نَحْبِ ٢

أى على خطر عظيم ؛ ومنها النحيب ، يقال : نحب في سيره يومه أجمع : إذا مد ، فلم ينزل يومه وليلته ؛ ومنها التنحيب ، وهو الخطار ، كما قال الشاعر :

وَإِذْ نَحَبَتْ كَلْبٌ عَلَى النَّاسِ أَيُّهُمْ أَحَقُّ بِتِاجِ الْمَاجِدِ الْمُتَكَوِّمِ ٣

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) : أى ووفوا الله بما عاهدوه عليه . (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) : أى فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد ؛ ومنهم من ينتظر ما وعد الله من نصره ، والشهادة على ما مضى عليه أصحابه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) قال : عهده ، فقتل أو عاش . (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) يوما فيه جهاد ، فيقضى نحبته ، عهده فيقتل أو يصدق في لقاءه .

(١) هذا عجز بيت لذي الرمة وصلده « عشية فر الحارثيون بعدما » وهو بر : اسم رجل ، أراد ابن هوبر (اللسان : هبر) . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ، عند قوله تعالى : « فمنهم من قضى نحبه » : أى نذره الذي كان . والنحب أيضا النفس : أى الموت . قال ذو الرمة : قضى نحبه . . « أى نفسه ، وإنما هو أيضا يزيد بن هوبر ، اه . وفي الديوان (طبعة كبريدج سنة ١٩١٩ ص ٢٣٥) أراد يزيد بن هوبر ، وهو رجل من بني الحارث بن كعب .

(٢) البيت لجرير بن عطية بن الخطمي (أبو عبيدة ، مجاز القرآن ، الورقة ١٧٤ ب) و (اللسان : نحب) قال : وجمله جرير ابن الخطمي : الخطر العظيم ، قال : « بطخفة . . البيت » ، أى خطر عظيم . وطخفة ، بفتح الطاء وكسرها : جبل أحر طويل في ديار بني تميم . كانت به وقعة بين بني يربوع ، وقابوس بن النعمان ، وكان النعمان قد بعث إليهم جيشا وأمر عليه ابنه قابوس ، وأخاه حسان ، فهزمتهم بنو يربوع بطخفة ، وأسروهما ، حتى منوا عليهما ، فذلك الذي أراد جرير (انظر معجم ما استعجم للبكري : طخفة) . (٣) البيت للفرزدق (ديوانه طبعة الصاوي بالقاهرة ص ٧٥٩) والتنحيب هنا : مصدر نحب ، بشد الحاء ، أى صاح أو نادى بشدة . وأصل التنحيب : الدأب على الشيء ، والإكباب عليه لا يفارقه (اللسان : نحب) . وجمله المؤلف بمعنى الخطار ، ولعله يريد المخاطرة بالنفس .



حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ )  
قال : عهده . ( وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ) قال : يوما فيه قتال ، فيصدق في اللقاء .

قال : ثنا أنس ، عن سفيان ، عن مجاهد ( فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ) قال : مات على العهد .  
قال : ثنا أبو أسامة ، عن عبد الله بن فلان « قد سماه ، ذهب عنى اسمه » ، عن أبيه ( فَمِنْهُمْ مَنْ  
قَضَىٰ نَحْبَهُ ) قال : نذره .

حدثنا ابن إدريس ، عن طلحة بن يحيى ، عن عمه عيسى بن طلحة « أن أعرابيا أتى النبي صلى الله  
عليه وسلم ، فسأله : من الذين قضوا نحبهم ؟ فأعرض عنه ، ثم سأله ، فأعرض عنه ، ودخل طلحة من باب  
المسجد وعليه ثوبان أخضران ، فقال : هَذَا مِنَ الَّذِينَ قَضَوْا نَحْبَهُمْ » .

حدثنا ابن يشار ، قال : ثنا هُوَذَةُ ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قوله ( فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ  
نَحْبَهُ ) قال : موته على الصدق والوفاء . ( وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ) الموت على مثل ذلك ، ومنهم من  
بدل تبديلا .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سعيد بن مسروق ،  
عن مجاهد ( فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ) قال : النحب : العهد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا  
اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ) على الصدق والوفاء ( وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ) من نفسه  
الصدق والوفاء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ )  
قال : مات على ما هو عليه من التصديق والإيمان ( وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ) ذلك .

حدثنا ابن يشار ، قال : ثنا ابن أبي بكير ، قال شريك بن عبد الله ، أخبرناه عن سالم ، عن سعيد بن  
جبشير ، عن ابن عباس ( فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ) قال : الموت على ما عاهد الله عليه ( وَمِنْهُمْ  
مَنْ يَنْتَظِرُ ) الموت على ما عاهد الله عليه .

وقيل : إن هذه الآية نزلت في قوم لم يشهدوا بدرا ، فعاهدوا الله أن يقاتلوا للمشركين مع رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، فممن من أوفى فمضى نجه ، ومنهم من بدل ، ومنهم من أوفى ولم يقض نجه ، وكان  
منتظرا ، على ما وصفهم الله به من صفاتهم في هذه الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن  
أنس « أن أنس بن النضر تغيب ، عن قتال بدر ، فقال : تغيبت عن أول مشهد شهده رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، لئن رأيت قتالا لسيرين الله ما أصنع ؛ فلما كان يوم أحد ، وهزم الناس ، لقي سعد بن معاذ  
(١) الذي في الدر المنثور بدله : وآخرون فابدلوا تبديلا .

فقال : والله إني لأجد ريح الجنة ، فتقدم فقاتل حتى قُتل ، فنزلت فيه هذه الآية ( مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الله بن بكير ، قال : ثنا حميد ، قال : « زعم أنس بن مالك قال : غاب أنس بن النضر ، عن قتال يوم بدر ، فقال : غبت عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين ، لئن أشهدني الله قتالا ، لسيرين الله ما أصنع . فلما كان يوم أحد ، انكشف المسلمون ، فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون ، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء ، يعني المسلمين ، فمضى بسيفه ، فلقى سعد ابن معاذ ، فقال : أي سعد إني لأجد ريح الجنة دون أحد ، فقال سعد : يا رسول الله ، فما استطعت أن أصنع ما صنع ، قال أنس بن مالك : فوجدناه بين القتلى ، به بيض وثمانون جراحة ، بين ضربة بسيف ، وطعنة برمح ، ورمية بسهم ، فما عرفناه حتى عرفته أخته بنانته ، قال أنس : فكنا نتحدث أن هذه الآية : ( مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ) نزلت فيه ، وفي أصحابه . »

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت حميدا يحدث ، عن أنس بن مالك ، أن أنس بن النضر ، غاب عن قتال بدر ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا طلحة بن يحيى ، عن موسى وعيسى بن طلحة ، عن طلحة : « أن أعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وكانوا لا يجرون على مسأله ، فقالوا للأعرابي : سله ( مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ) من هو ؟ فسأله ، فأعرض عنه ، ثم سأله ، فأعرض عنه ، ثم دخلت من باب المسجد وعلى ثياب خضر ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أين السائلُ عمَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ؟ قال الأعرابي : أنا يا رسول الله ، قال : هَذَا مِمَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ . »

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الحميد الحماني ، عن إسحاق بن يحيى الطلحي ، عن موسى بن طلحة ، قال : قام معاوية بن أبي سفيان ، فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « طَلْحَةُ مِمَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ . »

حدثني محمد بن عمرو بن تمام الكلبي ، قال : ثنا سليمان بن أيوب ، قال : ثنى أبي ، عن إسحاق ، عن يحيى بن طلحة ، عن عمه موسى بن طلحة ، عن أبيه طلحة ، قال : لما قدمنا من أحد ، وصرنا بالمدينة ، سعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر ، فخطب الناس وعزاهم ، وأخبرهم بما لهم فيه من الأجر ، ثم قرأ ( رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ) . . . الآية ، قال : فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله ، من هؤلاء ؟ فالتفت وعلى ثوبان أخضران ، فقال : أيُّهَا السَّائِلُ هَذَا مِنْهُمْ . »

وقوله ( وَمَا بَدَلُوا تَبَدُّلًا ) : وما غيروا العهد الذي عاقلوا ربهم تغييرا ، كما غيره المعوقون القائلون لإخوانهم : هلم إلينا ، والقائلون : إن بيوتنا عورة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَمَا بَدَلْتُمْ بِهَا تَبَدُّلًا ) يقول : ما شكوا وما تردوا في دينهم ، ولا استبدلوا به غيره .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَا بَدَلْتُمْ بِهَا تَبَدُّلًا ) : لم يغيروا دينهم كما غير المنافقون .

وقوله ( لِيَجْزِيََ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ) يقول تعالى ذكره : ( مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ - لِيَجْزِيََ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ) يقول : ليثيب الله أهل الصدق بصدقهم الله بما عاهدوه عليه ، ووفاءهم له به ( وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ ) بكفرهم بالله ونفاقهم ( أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ) من نفاقهم ، فيهديهم للإيمان .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ) يقول : إن شاء أخرجهم من النفاق إلى الإيمان .

إن قال قائل : ما وجه الشرط فى قوله ( وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ ) بقوله ( إِنْ شَاءَ ) ، والمنافق كافر ، وهل يجوز أن لا يشاء تعذيب المنافق ، فيقال : ويعذبه إن شاء ؛ قيل : إن معنى ذلك على غير الوجه الذى توهمته . وإنما معنى ذلك : ويعذب المنافقين ، بأن لا يوفقهم للتوبة من نفاقهم ، حتى يموتوا على كفرهم إن شاء ، فيستوجبوا بذلك العذاب ، فالاستثناء إنما هو من التوفيق ، لا من العذاب ، إن ماتوا على نفاقهم .  
وقد بين ما قلنا فى ذلك قوله ( أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ) فعنى الكلام إذن : ويعذب المنافقين إذ لم يهدم للتوبة ، فيوفقهم لها ، أو يتوب عليهم ، فلا يعذبهم .

وقوله ( إِنْ شَاءَ اللَّهُ كَانَ عَقُورًا رَحِيمًا ) يقول : إن الله كان ذا ستر على ذنوب التائبين ، رحيمًا بالتائبين أن يعاقبهم بعد التوبة .

## القول فى تأويل قوله تعالى

وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ، وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ، وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا

عَزِيزًا (٢٥)

يقول تعالى ذكره ( وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ) به وبرسوله من قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ . ( بِغَيْظِهِمْ ) : يقول : بكرههم ونعمهم ، بغوئهم ما أمَّلُوا من الظفر ، وخبيثهم مما كانوا طَمَعُوا فيه من الغلبة . ( لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ) يقول : لم يصيبوا من المسلمين مالا ولا إسارا ( وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ) : بجنود من الملائكة ، والريح التى بعثها عليهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ) الأحزاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ) وذلك يوم أبي سفيان والأحزاب ، ردَّ الله أبا سفيان وأصحابه بغيبظهم ، لم ينالوا خيرا . ( وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ) : بالجنود من عنده ، والريح التي بعث عليهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان ( وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ) : أي قريش وغطفان .

حدثني الحسين بن علي الصدائي ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ابن أبي ذئب ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه ، قال : « حُبِسْنَا يَوْمَ الْخَنْدَقِ عَنِ الصَّلَاةِ ، فَلَمْ نَصَلِ الظُّهْرَ ، وَلَا الْعَصْرَ ، وَلَا الْمَغْرِبَ ، وَلَا الْعِشَاءَ ، حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْعِشَاءِ بَهْوَى كَفِينَا ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ : ( وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ) ، وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ) فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ ، وَصَلَّى الظُّهْرَ ، فَأَحْسَنَ صَلَاتَهَا ، كَمَا كَانَ يَصَلِّي فِي وَقْتِهَا ، ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ كَذَلِكَ ، ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ كَذَلِكَ ، ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ كَذَلِكَ ، جَعَلَ لِكُلِّ صَلَاةٍ إِقَامَةً ، وَكَانَ قَبْلَ أَنْ تَنْزَلَ صَلَاةُ الْخَوْفِ : ( فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ) . »

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا ابن أبي فديك ، قال : ثنا ابن أبي ذئب ، عن المقبري ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبي سعيد الخدري قال : حُبِسْنَا يَوْمَ الْخَنْدَقِ ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ .

وقوله ( وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ) يقول : وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَلَى فِعْلِ مَا يَشَاءُ فَعَلَهُ بِخَلْقِهِ ، فَيَنْصُرُ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ ، عَلَى مَنْ شَاءَ أَنْ يَخْذَلَهُ ، لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ . ( عزيزا ) : يقول : هو شديد انتقامه ممن انتقم منه من أعدائه . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ) : قويا في أمره ، عزيزا في نعمته .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صِيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمُ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوها ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٧)



يقول تعالى ذكره: وأنزل الله الذين أعانوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وذلك هو مظاهرهم إياه ، وعنى بذلك بنى قريظة ، وهم الذين ظاهروا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقوله ( مِينَ أَهْلِ الْكِتَابِ ) يعنى : من أهل التوراة ، وكانوا يهود . وقوله ( مِينَ صَيَاصِيهِمْ ) يعنى : من حصونهم .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وأنزل الذين ظاهروهم مِينَ أَهْلِ الْكِتَابِ ) قال قريظة ، يقول : أنزلهم من صياصبيهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله « ( وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِينَ أَهْلِ الْكِتَابِ ) وهم بنو قريظة ، ظاهروا أبا سفيان وراسلوه ، فنكثوا العهد الذى بينهم وبين نبي الله ، قال : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش يغسل رأسه ، وقد غسلت شقه ، إذ أتاه جبرائيل صلى الله عليه وسلم ، فقال : عفا الله عنك ، ما وضعت الملائكة سلاحها منذ أربعين ليلة ، فأنهض إلى بنى قريظة ، فإنى قد قطعت أوتارهم ، وفتحت أبوابهم ، وتركتهم فى زلزال وبلبال ؛ قال : فاستلأم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم سلك سكة بنى غنم ، فاتبعه الناس وقد عصب حاجبه بالتراب ؛ قال : فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحاصرهم وناداهم : يا إخوان القردة ، فقالوا : يا أبا القاسم ، ما كنت فحاشا ، فزولوا على حكم ابن معاذ ، وكان بينهم وبين قومه حلف ، فرجوا أن تأخذه فيهم هواده ، وأوما إليهم أبوإصابة أنه الذببح ، فأنزل الله ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا أَمَانَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم ، وأن تسبى ذراريهم ، وأن عقارهم للمهاجرين ، دون الأنصار . فقال قومه وعشيرته : آثرت المهاجرين بالعقار علينا ؟ قال : فإنكم كنتم ذوى عقار ، وإن المهاجرين كانوا لاعقار لهم . وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر وقال : قَضَىٰ فِيكُمْ بِحُكْمِ اللَّهِ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : « لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخندق راجعا إلى المدينة والمسلمون ، ووضعوا السلاح ، فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم . »

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهري « معتجرا بعمامة من إستبرق ، على بغلة عليها رحالة ، عليها قطيفة من ديباج ؛ فقال : أقدم وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم ، قال جبريل : ما وضعت الملائكة السلاح بعد ، ما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرك بال محمد بالسير إلى بنى قريظة ، وأنا عامد إلى بنى قريظة ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا ،

فأذن في الناس : إن من كان سامعا مطيعا فلا يُصَلِّينَ العصر إلا في بني قريظة، وقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضى الله عنه برايته إلى بني قريظة ، وابتدرها الناس ، فسار على بن أبي طالب رضى الله عنه حتى إذا دنا من الحصون ، سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ، فرجع حتى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق ، فقال : يا رسول الله ، لا عليك ألا تدنو من هؤلاء الأحياء ، قال : لم ؟ أظنك سمعت لي منهنم أذى ، قال : نعم يا رسول الله ، قال : لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا ؛ فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال : يا إخوان القردة ، هل أخزاكم الله ، وأنزل بكم نقيمتته ؟ قالوا : يا أبا القاسم : ما كنت جهولا . ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه بالصّورين قبل أن يصل إلى بني قريظة ، فقال : هل مرّ بكم أحد ؟ فقالوا : يا رسول الله ، قد مرّ بنا دحية بن خليفة الكلبي ، على بغلة بيضاء ، عليها رحالة ، عليها قطيفة ديباج ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك جبرائيل بُعِثَ إلى بني قريظة ينزل بهم حصونهم ، ويقذف الرعب في قلوبهم ؛ فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريظة ، نزل على بئر من آبارها ، في ناحية من أموالم ، يقال لها : بئرنا ، فتلاحق به الناس ، فأتاه رجال من بعد العشاء الآخرة ، ولم يصلوا العصر ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يُصَلِّينَ أحدُ العصر إلا في بني قريظة ، فصلّوا العصر ، فما عابهم الله بذلك في كتابه ، ولا عنقهم به رسوله .

والحديث عن محمد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري ، قال : « وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة ، حتى جهدهم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب . وقد كان حسي بن أخطب دخل على بني قريظة في حصنهم ، حين رجعت عنهم قريش وغطفان ، وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه ؛ فلما أيقنوا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم ؛ قال كعب بن أسد لهم : يامعشر يهود ، إنه قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإنى عارض عليكم خلا لا ثلاثا ، فخذوا أيها ؛ قالوا : وما هن ؟ قال : نبيع هذا الرجل ونصدقه ، فوالله لقد تبين لكم إنه لئبي مرسل ، وإنه الذي كنتم تجدون في كتابكم ، فتأمنوا على دمائكم وأموائكم وأبنائكم ونسائكم . قالوا : لانفارق حكم التوراة أبدا ، ولا نستبدل به غيره . قال : فإذا أبيتم هذه على ، فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مُصَلِّينَ بالسيوف ، ولم نترك وراءنا ثقلا يهمننا ، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئا نخشى عليه ، وإن ظهر فلعمري لتتخذن النساء والأبناء . قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ، فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فإذا أبيتم هذه على ، فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمّنا ، فانزلوا لعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غيرة ، قالوا : نفسد سبتنا ، ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من كان قبلنا ؟ أمّا من قد علمت فأصابهم من المسخ ما لم يخف عليك ؟ قال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما . قال : ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر ، أبا بني عمرو بن عوف ، وكانوا من حلفاء الأوس ، نستشيره



في أمرنا ، فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما رأوه قام إليه الرجال ، وجهش إليه النساء والصبيان ،  
يكون في وجهه ، فرق لهم ، وقالوا له : يا أبا لُبَابَة ، أترى أن نزل على حكم محمد ؟ قال : نعم . وأشار  
بيده إلى حلقه ، إنه الذَّبْح . قال أبو لُبَابَة : فوالله ما زالت قدماي ، حتى عرفت أني قد خُنت الله ورسوله .  
ثم انطلق أبو لُبَابَة على وجهه ، ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من  
عمده ، وقال : لأبرح مكاني حتى يتوب الله عليّ مما صنعت ؛ وعاهد الله لا يظأ بنى قريظة أبدا ، ولا يراني الله  
في بلد خُنت الله ورسوله فيه أبدا . فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره ، وكان قد استبطأه ، قال : أما  
إنه لو كان جاءني لاستغفرت له ، أما إذ فعل ما فعل ، فَمَا أَنَا بِالَّذِي أُطْلِقُهُ مِنْ مَكَانِهِ ،  
حتى يتوب الله عليه ؛ ثم إن ثعلبة بن سَعْيَةَ ، وأسيد بن سَعْيَةَ ، وأسد بن عبيد ، وهم نفر من بنى هذيل ،  
ليسوا من بنى قريظة ، ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك ، هم بنو عم القوم ، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها  
قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج في تلك الليلة عمرو بن سَعْدَى الْقُرَظِيّ ، فربح بحرس  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه محمد بن مسلمة الأنصاريّ تلك الليلة ؛ فلما رآه قال : مَنْ هَذَا ؟  
قال : عمرو بن سَعْدَى ؛ وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة في عَدْرهم برسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، وقال : لا أغدر بمحمد أبدا ، فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمي إقالته عترة الكرام .  
ثم خلى سبيله . فخرج على وجهه ، حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ، ثم  
ذهب ، فلا يُدرى أين ذهب من أرض الله إلى يومه هذا . فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه ،  
فقال : ذَاكَ رَجُلٌ نَجَّاهُ اللهُ بِوَفَائِهِ . قال : وبعض الناس كان يزعم أنه كان أوثق بريمة فيمن أوثق  
من بنى قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت ريمته مُلقاة ، ولا يُدرى أين  
ذهب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة ، فالله أعلم .

فلما أصبحوا ، نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول  
الله ، إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالي الخزرج بالأمس ما قد علمت ، وقد كان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قبيل بنى قريظة ، حاصر بنى قيسنق ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله  
إياهم عبد الله بن أبي ابن سلول ، فوجههم له ؛ فلما كلمته الأوس ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ ؟ قالوا : بلى ، قال : فَذَاكَ إِلَى  
سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ؛ وكان سعد بن مُعَاذٍ قد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيمة امرأة من أسلم ، يقال  
لها رُفَيْدَة في مسجده ، كانت تداوى الجرحى ، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ؛  
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : اجْعَلُوهُ فِي خِيْمَةِ  
رُفَيْدَة حَتَّى أَعُوذَ مِنْ قَرِيبٍ ؛ فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنى قريظة ، أتاه قومه  
فاحتملوه على حمار ، وقد وطئوا له بوسادة من آدم ، وكان رجلا جسيما ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ؛ أحسن في مواليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاك ذلك ،

لتُحَسِّنَ فِيهِمْ ؛ فلما أَكثَرُوا عَلَيْهِ قَالَ : قَدْ آنَ لِسَعْدٍ أَنْ لَا تَأْخُذَهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأَنْتُمْ ، فَرَجَعَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ إِلَى دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، فَنَعَى إِلَيْهِمْ رِجَالَ بَنِي قَرِيظَةَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ مِنْ كَلِمَتِهِ الَّتِي سَمِعَ مِنْهُ ؛ فَلَمَّا انْتَهَى سَعْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمِينَ ، قَالَ : قَوْمُوا إِلَى سَيْدِكُمْ ، فِقَامُوا إِلَيْهِ ، فَقَالُوا : يَا أَبَا عَمْرٍو ، إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَاكَ مَوَالِيكَ ، لَتَحْكُمَ فِيهِمْ ، فَقَالَ سَعْدٌ : عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ ، أَنْ الْحُكْمَ فِيهِمْ كَمَا حَكَمْتَ ، قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : وَعَلَى مَنْ هَاهُنَا فِي النَّاحِيَةِ الَّتِي فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ مَعْرِضٌ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِجْلَالًا لَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعَمْ . قَالَ سَعْدٌ : فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الرِّجَالُ ، وَتُقَسَّمُ الْأَمْوَالُ ، وَتُسَبَّى الذَّرَارِيُّ وَالنِّسَاءُ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : فحدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَتَقْدَحُ حَكَمَتُ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْفَعَةٍ . ثُمَّ اسْتَنْزَلُوا ، فَجَلَسَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دَارِ ابْنَةِ الْحَارِثِ : امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَوْقِ الْمَدِينَةِ ، الَّتِي هِيَ سَوْقُهَا الْيَوْمَ ، فَخَنَدَقَ بِهَا خَنَادِقَ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ ، فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ فِي تِلْكَ الْخَنَادِقِ ، يُخْرِجُ بِهِمْ إِلَيْهِ أَرْسَالًا ، وَفِيهِمْ عَدُوُّ اللَّهِ حَيْبِيُّ بْنُ أَخْطَبٍ ، وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ رَأْسَ الْقَوْمِ ، وَهُمْ سِتُّ مِائَةٍ أَوْ سَبْعَ مِائَةٍ ، وَالْمَكْثَرُ مِنْهُمْ يَقُولُ : كَانُوا مِنَ الثَّمَانِ مِائَةً إِلَى التَّمَعِ مِائَةً ، وَقَدْ قَالُوا لِكَعْبِ بْنِ أَسَدٍ وَهُمْ يُذْهَبُ بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَالًا : يَا كَعْبُ ، مَا تَرَى مَا يُصْنَعُ بِنَا ؟ فَقَالَ كَعْبٌ : أُنْفِي كُلَّ مَوْطِنٍ لَا تَعْقِلُونَ ؟ أَلَا تَرَوْنَ الدَّاعِيَ لَا يَنْزِعُ ، وَأَنْهُ مِنْ يُذْهَبُ بِهِ مِنْكُمْ ، فَمَا يَرْجِعُ ، هُوَ وَاللَّهُ الْقَتْلُ . فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الدَّأْبَ ، حَتَّى فَرَّغَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأُنْفِي بِحَيْبِيِّ بْنِ أَخْطَبِ عَدُوِّ اللَّهِ ، وَعَلَيْهِ حِلَّةٌ لَهُ فُقَّاحِيَّةٌ ، قَدْ شَقَّقَهَا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، كَمَا وَضَعَ الْأَنْمَلَةَ ، أَنْمَلَةَ أَنْمَلَةً ، لِثَلَاثِ مِائَةٍ ، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ بِحَيْلٍ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ مَا لَمْتُ نَفْسِي فِي عِدَاؤِكَ ، وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلُ اللَّهَ يُخْذَلْ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَا بَأْسَ بِأَمْرِ اللَّهِ ، كِتَابَ اللَّهِ وَقَدْرَهُ ، وَمَلَكُوتَهُ قَدْ كَتَبَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، ثُمَّ جَلَسَ فَضَرَبَتْ عُنُقَهُ ؛ فَقَالَ جَبَلُ بْنُ جُوَالِ الثَّلَعِيِّ :

لَعَمْرُكَ مَا لَامَ ابْنَ أَخْطَبٍ نَفْسَهُ  
وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلُ اللَّهَ يُخْذَلُ  
لِحَاهِدَةٍ حَتَّى أَبْلَغَ النَّفْسَ عُنْدَ رِهَا  
وَقَلَقَلَّ يَبْغِي الْعِزَّ كُلَّ مَقْلَقَلٍ ۱

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : « لَمْ يُقْتَلْ مِنْ نِسَائِهِمْ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ ، قَالَتْ : وَاللَّهِ إِنَّهَا لَعِنْدِي

(١) البيهقيان لحبل بن جوال الثعلبي ، من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وكان يهوديا فأسلم ، وكانت له حبة ( عن الروض الأنف للسبيلي ، والاستيعاب لابن عبد البر . وانظر سيرة ابن هشام طبعة الحلبي ٣ : ٢٥٢ ) ومعنى قلقل أي تحرك . وقد قال البيهقي عند مقتل حبي بن أخطاب ، رأس بني قريظة .



تحدثت معى ، وتضحك ظلُّهراً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم بالسوق ، إذ هتف هاتف باسمها ، أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت قلت : ويملك مالك ؟ قالت : أقتل ؟ قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته ؛ قال : فانطلق بها ، فضربت عنقها ، فكانت عائشة تقول : ما أنسى عجبى منها : طيب نفس ، وكثرة ضحك ، وقد عرفت أنها تُقتل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان ( وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيم ) والصياصي : الحصون والآطام التي كانوا فيها ( وقذف في قلوبهم الرعب ) .

حدثنا عمرو بن مالك البكرى ، قال : ثنا وكيع بن الجراح ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ( من صياصيم ) قال : من حصونهم .  
حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد ( من صياصيم ) يقول : أنزلهم من صياصيم ، قال : قصورهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( من صياصيم ) : أى من حصونهم وآطامهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيم ) قال : الصياصي : حصونهم التي ظنوا أنها مانعهم من الله تبارك وتعالى . وأصل الصياصي : جمع صيصة ، وعنى بها هاهنا : حصونهم ؛ والعرب تقول لطرف الجبل : صيصة ؛ ويقال لأصل الشيء : صيصة ؛ يقال : جز الله صيصة فلان : أى أصله ؛ ويقال لشوك الحماكة : صياصي ، كما قال الشاعر :

كَوْقَعِ الصِّيَاصِي فِي النَّسِيجِ الْمُمَدَّدِ

وهى شوكتا الديك .

وقوله ( وقذف في قلوبهم الرعب ) يقول : وألقى فى قلوبهم الخوف منكم ( فربما تقتلون ) يقول : تقتلون منهم جماعة ، وهم الذين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ، حين ظهر عليهم ( وتأسروا فربما ) يقول : وتأسرون منهم جماعة ، وهم نساؤهم وذراتهم الذين سبوا .

(١) هذا عجز بيت لدريد بن الصمة ، وصدرة « فجت إليه والرمح تنوشه » ( لسان العرب : صيص ) . قال أبو عبيدة فى ( مجاز القرآن ، الورقة ١٩٤ - ١ ) عند قوله تعالى : « من صياصيم » : أى من حصونهم وأصوهم . وهى أيضا شوكة الحماكة ، قال : كوقع الصياصي فى النسج المدد « وهى شوكتا الديك ، وهى قرن البقرة أيضا . اهـ . وفى ( اللسان : صيص ) : والصيصة : شوكة الحائك التي يسوى بها السداة واللحمة ، قال دريد بن الصمة « فجت إليه . . البيت » . ومنه صيصية الديك التي فى رجله . وصياصي البقر : قرونها . وربما كانت تركب فى الرماح مكان الأستة . والصياصي : الحصون . وكل شيء امتنع به ، وتحصن به فهو صيصية . ومنه قيل للحصون الصياصي .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَرِيقًا تَقْتُلُونَ ) الذين ضربت أعناقهم ( وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ) الذين سبوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان ( فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ) : أى قتل الرجال وسبى الذراري والنساء ( وَأُورَثَكُمْ ) وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم ( يَقُولُ ) وملاككم بعد مهلكهم أرضهم ، يعنى مزارعهم ومغارسهم وديارهم ، يقول : ومساكنهم وأموالهم ، يعنى سائر الأموال غير الأرض والدور .

وقوله ( وَأَرْضًا لَمْ تَطَّطُّوْهَا ) : اختلف أهل التأويل فيها ، أى أرض هي ؟ فقال بعضهم : هي الروم وفارس ونحوها من البلاد التى فتحها الله بعد ذلك على المسلمين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأَرْضًا لَمْ تَطَّطُّوْهَا ) قال : قال الحسن : هي الروم وفاوس ، وما فتح الله عليهم .

وقال آخرون : هي مكة .

وقال آخرون : بل هي خيبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان ( وَأَرْضًا لَمْ تَطَّطُّوْهَا ) قال : خيبر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَأُورَثَكُمْ ) أرضهم وديارهم ( ) قال : قريظة والنضير أهل الكتاب ( وَأَرْضًا لَمْ تَطَّطُّوْهَا ) قال : خيبر .

والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إن الله تعالى ذكره ، أخبر أنه أورث المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض بنى قريظة وديارهم وأموالهم ، وأرضاً لم يطنوها يومئذ ، ولم تكن مكة ولا خيبر ، ولا أرض فارس والروم ولا اليمن ، مما كان وطئوه يومئذ ، ثم وطئوا ذلك بعد ، وأورثهموه الله ، وذلك كله داخل فى قوله ( وَأَرْضًا لَمْ تَطَّطُّوْهَا ) لأنه تعالى ذكره لم يخص من ذلك بعضاً دون بعض . ( وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ) يقول تعالى ذكره . وكان الله على أن أورث المؤمنين ذلك ، وعلى نصره إياهم ، وغير ذلك من الأمور ، ذا قدرة ، لا يتعدر عليه شيء أراده ، ولا يمتنع عليه فعل شيء حاول فعله .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ : إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ، فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأَسْرَحَنَّ سَرَّاحًا جَيِّلاً (٢٨) وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ ، فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيماً (٢٩)



يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ( قُلْ ) يا محمد ( لَا زَوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتَّعْكُنَّ ) يقول فإني أمتعنكم ما أوجب الله على الرجال للنساء من المتعة ، عند فراقهم إياهن بالطلاق بقوله: ( وَمَتَّعُوهُنَّ ، عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ ، وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ) . وقوله: ( وَأُسْرَحِكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ) يقول: وأطلقكن على ما أذن الله به ، وأدب به عباده بقوله ( إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ ) ، ( وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ) يقول : وإن كنتن تردن رضا الله ورضا رسوله وطاعتها فأطعنهما ( فإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنَكُنَّ ) وهن العاملات منهن بأمر الله وأمر رسوله ( أَجْرًا عَظِيمًا ) .

وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل أن عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من عراض الدنيا، إما زيادة في النفقة ، أو غير ذلك ، فاعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه شهراً فيما ذكر ، ثم أمره الله أن يخبرهن بين الصبر عليه ، والرضا بما قسم لهن ، والعمل بطاعة الله ، وبين أن يمتعهن ويفارقهن إن لم يرضين بالذى يقسم لهن . وقيل : كان سبب ذلك غيرة كانت عائشة غارتها .

ذكر الرواية بقول من قال : كان ذلك من أجل شيء من النفقة وغيرها

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن أبي الزبير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخبرهن بصلوات ، فقالوا : ما شأنه ؟ فقال عمر : إن شئتم لأعلمن لكم شأنه ؛ فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل يتكلم ويرفع صوته ، حتى أذن له . قال : فجعلت : أقول في نفسي : أى شيء أكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لعله يضحك ، أو كلمة نحوها ، فقلت : يا رسول الله لو رأيت فلانة وسألتني النفقة فصككتها صكته ، فقال : ذلك حبسني عنكم ؛ قال : فأتى حفصة ، فقال : لا تسألني رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ما كانت لك من حاجة فإلى ، ثم تتبعت نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل يكلمهن ، فقال لعائشة : أيعرك أنك امرأة حسنة ، وأن زوجك يحبك ؟ لتنهين ، أو لينزلن فيك القرآن ؛ قال : فقالت أم سلمة : يا بن الخطاب ، أو ما بقى لك إلا أن تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين نسائه ، ولن تسأل المرأة إلا لزوجها ؟ قال : ونزل القرآن ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَإِزْوَاجِكِ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتَهَا ) . . . إلى قوله ( أَجْرًا عَظِيمًا ) قال : فبدأ بعائشة فخيرها ، وقرأ عليها القرآن ، فقالت : هل بدأت بأحد من نساك قبلى ؟ قال : لا ، قالت : فإني أختار الله ورسوله ، والدار الآخرة ، ولا تخبرهن بذلك ؛ قال : ثم تبعتن فجعل يخبرهن ويقرأ عليهن القرآن ، ويخبرهن بما صنعت عائشة ، فتابعن على ذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَإِزْوَاجِكِ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتَّعْكُنَّ وَأُسْرَحِكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ) . . . إلى قوله ( أَجْرًا عَظِيمًا ) قال : قال الحسن وقتادة : خسرهن بين الدنيا والآخرة والجنة والنار في شيء كن

أردنه من الدنيا . وقال عكرمة في غيرة : كانت غارتها عائشة ، وكان تحته يومئذ تسع نسوة ، خمس من قريش : عائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان ، وسودة بنت زمعة ، وأم سلمة بنت أبي أمية ، وكانت تحته صفية ابنة حبي الخبيرية ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وزينب بنت جحش الأسدية ، وجويرة بنت الحارث من بني المصطلق ، وبدأ بعائشة ، فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة ، روى الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتابعن كلهن على ذلك ، واخترن الله ورسوله والدار الآخرة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، وهو قول قتادة ، في قول الله : ( يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنسئن تردن الحياة الدنيا وزينتها ) . . . إلى قوله ( عظيما ) قال : أمره الله أن يخبرهن بين الدنيا والآخرة والجنة والنار . قال قتادة : وهي غيرة من عائشة في شيء أرادته من الدنيا ، وكان تحته تسع نسوة : عائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان ، وسودة بنت زمعة ، وأم سلمة بنت أبي أمية ، وزينب بنت جحش ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وجويرة بنت الحارث من بني المصطلق ، وصفية بنت حبي بن أخطب ، وبدأ بعائشة ، وكانت أحبهن إليه ؛ فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة ، روى الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتابعن على ذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، وهو قول قتادة قال : « لما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك ، فقال : ( لا يحيل لك النساء من بعد ، ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن ) فقصره الله عليهن ، وهن التسع اللاتي اخترن الله ورسوله . »

#### ذكر من إقال ذلك من أجل الغيرة

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد « في قول الله ( ترجي من تشاء منهن ) ، وتؤوى إليك من تشاء ) . . . الآية ، قال : كان أزواجه قد تغايرن على النبي صلى الله عليه وسلم ، فهجرهن شهرا ، نزل التخيير من الله له فيهن ( يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنسئن تردن الحياة الدنيا وزينتها ) فقرأ حتى بلغ ( ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ) فخيرهن بين أن يخترن أن يخلى سبيلهن ويسرحهن ، وبين أن يقمن إن أردن الله ورسوله ، على أمن أمهات المؤمنين ، لا ينكحن أبدا ، وعلى أنه يؤوى إليه من يشاء منهن ، لمن وهب نفسه له ، حتى يكون هو يرفع رأسه إليها ، ويرجي من يشاء ، حتى يكون هو يرفع رأسه إليها ، ومن ابتغي ممن هي عنده وعزل ، فلا جناح عليه ، ذلك أدنى أن تقر أعينهن ، ولا يحزن ، ويرضين إذا علمن أنه من قضائى عليهن ، إيثار بعضهن على بعض ، أدنى أن يرضين ؛ قال : ومن ابتغيت ممن عزلت ؛ من ابتغي أصابه ، ومن عزل لم يصبه ، فخيرهن بين أن يرضين بهذا ، أو يفارقهن ، فاخترن الله ورسوله ، إلا امرأة واحدة بدوية ذهبت ، وكان على ذلك وقد شرط له هذا الشرط ، ما زال يعدل بينهن حتى لسي الله . »

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، قال : قالت عائشة : « لما نزل الحبار ، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني أريد أن أذكر لك أمرا ، فلا



تَقْضِي فِيهِ شَيْئًا حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكَ ؛ قالت : قلت : وما هو يارسول الله ؟ قال : فردّه عليها ، فقالت : ما هو يارسول الله ؟ قال : فقرا عليهن ( يا أيها النبي قُلْ لَأَزْوَاجِكِ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ) . . . إلى آخر الآية ؛ قالت : قلت : بل نختار الله ورسوله ؛ قالت : ففرح بذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن عائشة ، قالت : « لما نزلت آية التخيير ، بدأ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعائشة ، فقال : يا عائشة إني عارضٌ عليكِ أمراً ، فلا تفتناني فيه بشيءٍ حتى تعرّضيه عليّ أبويك ، أبي بكرٌ وأمّ رومان ، فقالت : يارسول الله وما هو ؟ قال : قال الله ( يا أيها النبي قُلْ لَأَزْوَاجِكِ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ) إلى ( عظيمًا ) ، فقالت : إني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ، ولا أوامر في ذلك أبويّ أبابكر وأمّ رومان ، فضحك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثم استقرّ الحُجْرَ فقال : إن عائشة قالت كذا ، فقلن : ونحن نقول مثل ما قالت عائشة . »

حدثنا سعيد بن يحيى الأموى ، قال : ثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عمرة ، عن عائشة « أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لما نزل إلى نسائه أمر أن يخبرهن ، فدخل عليّ فقال : سأذكر لك أمراً ولا تعجلى حتى تستشيري أباك ، فقالت : وما هو يا نبيّ الله ؟ قال : إني أمرتُ أن أُخبر كنّ ، وتلا عليها آية التخيير ، إلى آخر الآيتين ؛ قالت : قلت : وما الذى تقول : لاتعجلى حتى تستشيري أباك ؟ فإني أختار الله ورسوله ؛ فسّر بذلك ، وعرض على نسائه ، فتتابعن كلهنّ ، فاخترن الله ورسوله . »

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني موسى بن عليّ ، ويونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن « أن عائشة زوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت : لما أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتخيير أزواجه ، بدأني ، فقال : إني ذاكيرٌ لكِ أمراً ، فلا عليكِ أن لاتعجلى حتى تستأمرى أبويك . قالت : قد علم أن أبويّ لم يكونا ليأمراني بفرقه ؛ قالت : ثم تلا هذه الآية ( يا أيها النبي قُلْ لَأَزْوَاجِكِ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمْتَعِكُنَّ وَأُتْرَحِكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ) قالت : قلت : فى أىّ هذا أستأمر أبويّ ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ؛ قالت عائشة : ثم فعل أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل ما فعلت ، فلم يكن ذلك حين قاله لمن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فاخترته طلاقاً ، من أجل أمنه اخترته . »

القول فى نأويل قوله تعالى

يُنِسَاءَ النَّبِيِّ مَنِ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى

اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠)

يقول تعالى ذكره لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم : ( يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ ) يقول : من يزني منكن الزنا المعروف الذي أوجب الله عليه الحد ، يضاعف لها العذاب على فجورها في الآخرة ضعفين ، على فجور أزواج الناس غيرهم .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن ابن عباس ( يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ) قال : يعني عذاب الآخرة .

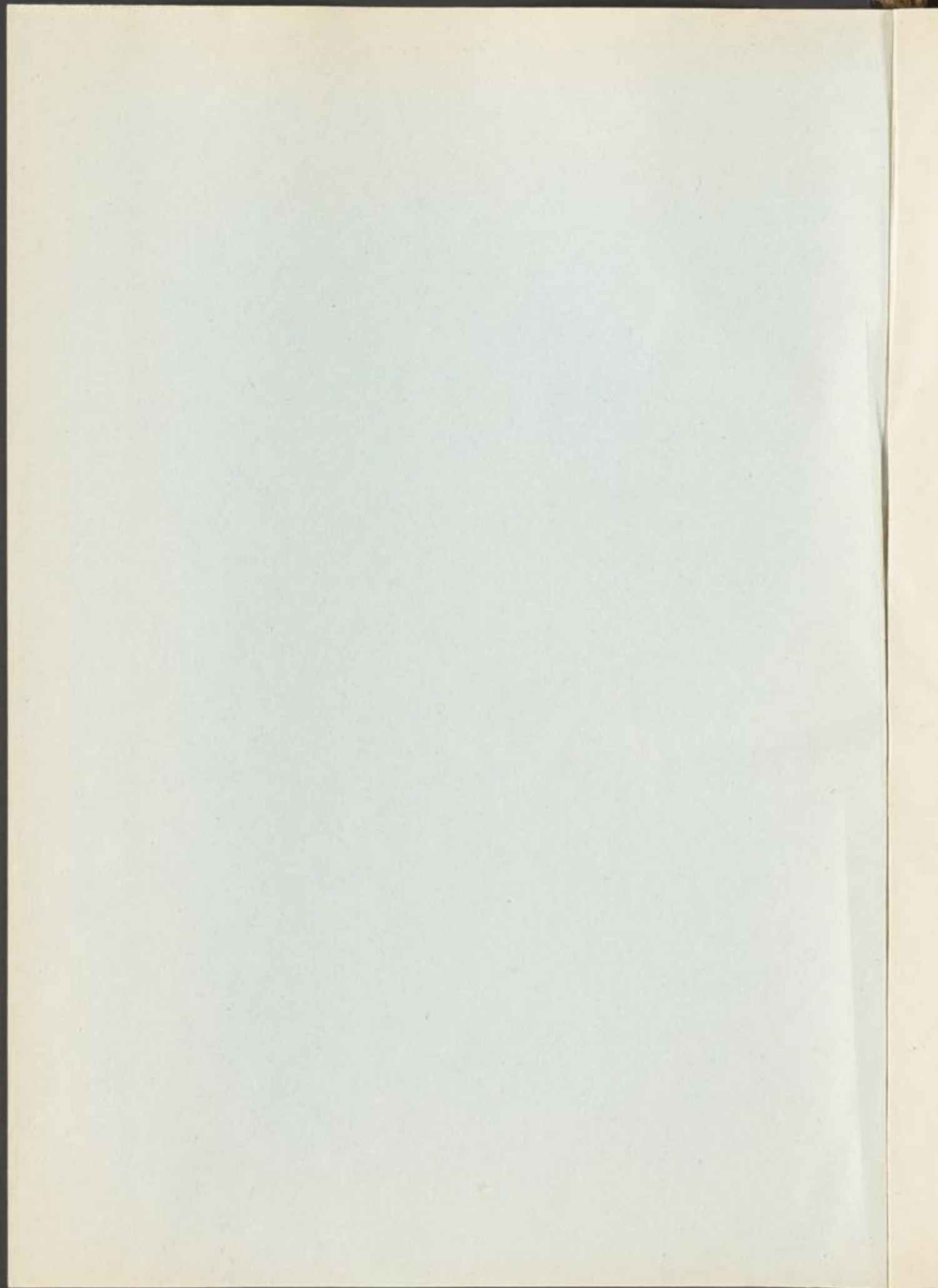
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار ( يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ) بالألف غير أبي عمرو ، فإنه قرأ ذلك ( يُضَعَّفُ ) بتشديد العين تأولاً منه في قراءته ذلك أن يضاعف ، بمعنى : تضعيف الشيء مرة واحدة ، وذلك أن يجعل الشيء شيئين ، فكأن معنى الكلام عنده : أن يجعل عذاب من يأتي من نساء النبي صلى الله عليه وسلم بفاحشة مبينة في الدنيا والآخرة ، مثل عذاب سائر النساء غيرهن ، ويقول : إن ( يُضَاعَفُ ) بمعنى أن يجعل إلى الشيء مثلاً ، حتى يكون ثلاثة أمثاله ، فكأن معنى من قرأ ( يُضَاعَفُ ) عنده كان ، أن عذابها ثلاثة أمثال عذاب غيرها من النساء ، من غير أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فلذلك اختار يضاعف على يضاعف . وأنكر الآخرون الذين قرءوا ذلك يُضَاعَفُ ، ما كان يقول في ذلك ، ويقولون : لانعلم بين ويضعف ويضاعف فرقا .

والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الأمصار ، وذلك ( يُضَاعَفُ ) . وأما التأويل الذي ذهب إليه أبو عمرو ، فتأويل لانعلم أحداً من أهل العلم ادعاه غيره ، وغير أبي عبدة معمر بن المثنى ، ولا يجوز خلاف ما جاءت به الحجة مجمعة عليه بتأويل لابرهان له من الوجه الذي يجب التسليم له .

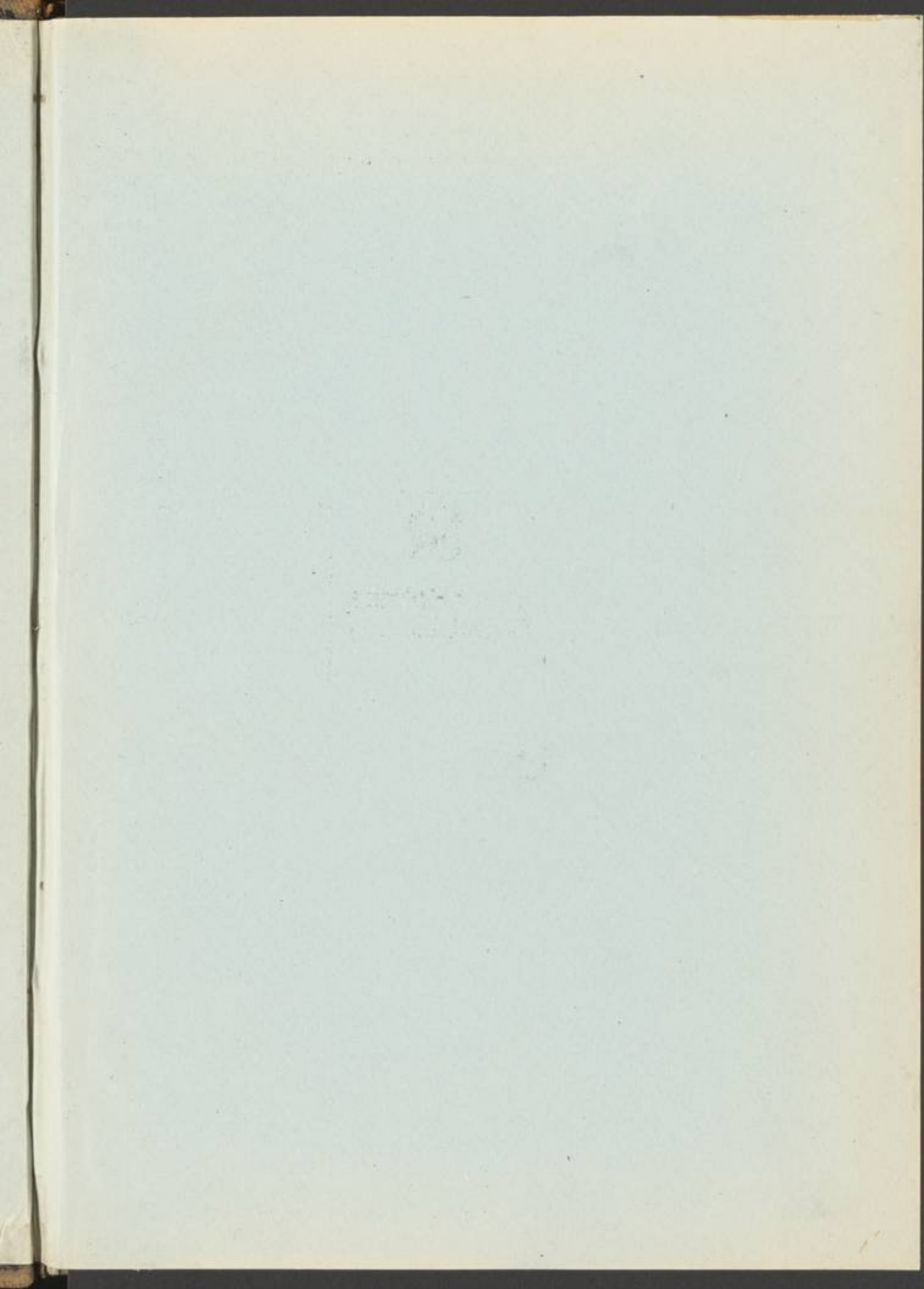
وقوله ( وكان ذلك على الله يسيراً ) يقول تعالى ذكره : وكانت مضاعفة العذاب على من فعل ذلك منهن على الله يسيراً ، والله أعلم .













**Elmer Holmes  
Bobst Library**

NYU LIBRARY  
**New York  
University**



